مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري

(ت ٧٤٩ هـ)

السفر التاسع

تراجم الحكماء والفلاسفة

تحقيق

بسام محمد بارود

٩٢٠,٠٢
ف ض م س
ابن فضل الله العمري، شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى،
٧٠٠-٧٤٩هـ.
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: السفر التاسع تراجم الحكماء والفلاسفة / لابن فضل الله العمري؛ تحقيق بسام محمد بارود.- أبوظبي: المجمع الثقافي،٢٠٠٣.
٦٤٣ ص.
١- الفلاسفة.
٢- الأطباء.
أ- بسام محمد بارود، محقق.
ب- العنوان.

أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380- هاتف: 6215300
Email:nlibrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

تم تحقيق هذا الكتاب بتكليف من المجمع الثقافي

مســــــالك الأبصـــــار
في ممالك الأمـــــصـــــار


محمد بن علي بن عيسى بن داود بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي عفا الله عنهم

تأليف الشيخ الإمام البارع العلامة
أبي العباس شهاب الدين أحمد
ابن يحيى ابن فضل الله العمري
رحمه الله

٤٤٢٣

الجزء التاسع مسالك

الورقة ١/أ من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن

واذ انتهت بنا الأوبة في العلماء الى نوبة الحكماء فلننطق بذكرهم المفاصل ونطلق من عمود اللحود المناصل ونتبه منهم عيونا طال ما طال نومها ونأتي بفوايد فيه كم كثر حسادها ونقتصر على المشاهير والأعيان الذين يكادون يعدون من المشاهيد ونأتي منهم بمن تكلم في العلوم الثلثة الطبعي والرياضي والالهي واحدها واجاد في جميعها او مفردها فنذكرهم على اختلاف فرق مللهم ونحلهم وبلادهم وتلادهم كل فرقة على حدتها بما وقع في قسمة الجانبين ولم نسم منهم الا من لم يسامت في افقه ولا يساهم اي كوكبه الى سمايه او اخلد ضنه الى نفقه ممن له في علم الكلام اقدام لا يدانيه ليث الشرى وتلطف لا تحاكيه طيف الكرى فقصر على طلبه الاشغال وقصد في التزيد من مكسبه الايغال ومن هو بالطب طب بنفهي احوال المزاج لا تخفى عليه نبضة عرق ولا يموه عليه ومضة حذق ولا يدق مدخل سقام الادواء ويتبعه وسقاؤه سوى يذل له سبعه

واولهم الهرامسة الثلاثة واليهم تنسب اصول هذه العلوم وقال ذلك ابو معشر البلخي وقال ان اقليبنوس الذي يزعم اكثر الحكماء انه اول من استنبط الحكمة وسيأتي ذكره لم يكن بالمتاله الأول في صناعة الطب ولا بالمبتدي بها بل انه عن غيره اخذ ولمنهج من سبقه سلك وقال انه كان تلميذ هرمس المصري قال ابن المطران في اختصار كتاب الادواء للكسدانيين هرمس المثلث بالنعمة وقال في معنى تسميته بالمثلث انه كان ملكا عمت مملكته اكثر المعمور ونبيا ذكره الله تعالى وقال هو ادريس عليه السلام وهو عند اليهود خنوخ وقيل

الورقة ١/ب من المخطوط

فلما انصرفوا قال لي فرج الله اعلم ان هذه المادة لم تنصرف وانما انصبت
بجملتها الى مكان استضعفته من الاعضاء الباطنة واكبر ظني ان تكون
انصبت الى قصبة الرية ولئن كان كذلك ليعرض له آخر هذا اليوم
ضيق نفس ثم قل ان تنجع معالجته مع ما بلغه من هذا السن فلم يات
آخر ذلك اليوم الا وقد عرض له مبادي ضيق نفس ثم لم يزل يتزايد الى ان
اتى عليه يوم لم نشك انه لا يخرج عنه فلما اتاه ورأى ماءه واستقرى امراضه
ووصف له ما وصف وقام وذلك يوم نصف شعبان قلت له تقول يمسي عليه
المساء قال نعم ويمسك الى اخر هذا الشهر الى خمسة ستة ايام اخرى في
شهر رمضان فكان الامر كما ذكره لم يخرم قلت ______ وقل ان وصف
لي دواء الا وتبين اثره ليومه ثم حمدت عاقبته فيما بعده وعرض لي مرة
دوار صفراوي فامر بماء فاسخن فوق الاسخان المستطاب ثم شد قدمي
بالنشوطة من فوق الكعبين وامر بتدليتهما في ذلك الماء وتعجيل حل
الانشوطة عند تدليتهما في الماء ففعل ذلك ثم امر باطالة اللبث ثم
حكهما بالحجر الخشن والملح والنخالة فلم يكن باسرع من زوال ذلك الدوار
لانعكاس المادة وتفتح المسام في سفل القدم واثر ذلك لساعته. ولما
اردت الحج في حجتي الثالثة كان الزمان صيفا والحر شديدا الى نهاية فسالته
عما اعتمد فقال لي اذا خفت الحر لعب بزرقطونا بماء ثم اضيف اليه شيئا
من الخل الحاذق الثقيف وضمد به صدرك ورقبتك فانك لا تبالي بالحر فوالله
لقد كنت انا ومن معي نعمله ونركب في الهواجر المتوقدة والقيظ المضطرم
ونحن نظن ان على صدورنا قطع الثلج لا نحس ما الحر وما ندري ما السموم
الى غير هذا مما كان فيه من الفضايل وما فاق به الانظار وفاق الاماثل

الصفحة قبل الأخيرة من المخطوط

٢٢٢٦

فليت الشمس لو انقته قليلا ووا اسفا على مثله كيف مات على اليهودية
ومنهم **محمد بن صغير** ناصر الدين طبيب جامع ولبيب تشرف
لمانه في المسامع وفاضل لم يقصر في نوع من الفضايل على كثرة تشعبها
ووجي الدراسة ولقبها مع اخلاق لو تخلقت بها المدام لما قطب شاربها
ولما قدر ان يذكرها عايبها الى فضايل شريفه وشمايل ظريفه واخوة صحيحة
الاخاء صريحة الانتخاء ولقد ... قول جزم انه قد اصبح اليوم فردا واحدا
لما جمع من شتى المحاسن وكمال الاوصاف قرا العلم واشتغل به وخدم
السلطان وباشر المرستان وقرا النحو والادب وتطبع به حتى صار خلقا
له وله في حسن العلاج يد طويلة وآثار جميلة وافعال حسنة مشكورة
وهو يري لطف التدبير في معالجة المرضي وعدم الاقدام عليهم بالادوية وكان
السلطان يشكره ويثني على لثاته الحسنة الى غير هذا مما ينفكه به
من جني الالسنه

اخر الجزء الثامن من كتاب مسالك الابصار
في ممالك الامصار ويتلوه ان شاء الله تعالى وممن يعد مع الحكماء
اهل علم الموسيقي والحمد لله رب العالمين

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد . . .

فبين يدينا اليوم حلقة جديدة من سلسلة حلقات ذهبية لموسوعة "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" لمؤلفها شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، العالم الموسوعي الأول في بابه، حيث لم يسبقه إلى مثل هذا التصنيف أحد – على ما أعلم – ، وقد سبق أن ذكرت في مقدمتي لتحقيق السفر الثامن من هذه الموسوعة وهي في تراجم السادة الصوفية " الفقراء" ، ذكرت أن ابن فضل الله العمري رحمه الله تعالى أجاد وأفاد في هذه الموسوعة القيمة حيث ذكر فيها من أعلام الأمة العربية والإسلامية في جميع العلوم والفنون على اختلاف أنواعها بدءاً من الجغرافيا والرحلات، إلى علماء الطب والكيمياء، والنبات، والتاريخ، والحديث، والفقه ، والتفسير، والأدباء، والخطباء، والمترسلين، وكتاب الإنشاء، والشعراء، وغيرهم من أهل كل علم وفن، سواء في المشرق أو المغرب والأندلس، أو في مصر وأفريقيا، إلى الهند وما حولها . . . ذاكراً ذلك كله ضمن هذه الموسوعة القيمة التي بقيت مئات السنين حبيسة الأرفف ، ودفينة الأقبية، دون أن تمتد إليها يد تنفض عنها غبار السنين وتقدمها إلى خلف الأمة العربية والإسلامية ليستفيدوا مما تركه لهم سلفهم الصالح، من علم يتفاخرون به على مدى السنين والأيام، إلى أن شاءت حكمة الباري سبحانه ووفق الدكتور العلامة فؤاد سيزكين لينبه العالم إلى هذا الكنز الدفين ، فصور نفائس مخطوطات العالم العربي والإسلامي ضمن سلسلة معهد فرانكفورت في ألمانيا، ومن ضمن ما

جمعه هذه المخطوطة النفيسة(مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، حيث جمعها من عدة مراكز ومكتبات مخطوطية سواء في تركيا أو مصر، أو في الشام أو في اليمن والمغرب إلى غير ما امتدت إليه يده ووصلت إليه همته في جمع نفائس المخطوطات ليقدمها إلى العالم على شكل مصورات هي أقرب في تصويرها إلى الشكل الأصلي المخطوط فجزاه الله خير الجزاء على صنيعه الحسن.

ثم وفق سبحانه وتعالى المجمع الثقافي في أبوظبي إلى حمل أعباء نشر هذا الكتاب " أعني مسالك الأبصار" وغيره من تراث الأمة، ليقدمه إلى أجيال اليوم من أبناء هذه الأمة ليستفيدوا من علم أمتهم الذي تركوه لهم على أطباق من ذهب أفنوا في ذلك أعمارهم ابتغاء وجه الله تعالى، ومساهمة في بناء الحضارة الإنسانية، ليثبتوا في وقت وزمان أن الأمة العربية الإسلامية أمة علم وحضاره وبناء وتقدم ونهضة وإنسانية، لا كما يزعم أعداؤها من الشرق والغرب أنهم دعاة إرهاب ودمار وحرب وسفك دماء..!!.

ومن هذه السلسلة الذهبية الجزء التاسع من "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" الذي بين أيدينا اليوم، وفيه ترجم العلامة ابن فضل الله العمري رحمه الله تعالى لما يزيد عن اثنين وتسعين ومائة طبيب من أطباء الشرق والغرب ، والهند، ومصر، والشام ، وغيرهم ، ذكر فيه ترجمة لكل واحد منهم بشكل أطنب فيه أحياناً، وأوجز أحياناً أخرى، وفق شهرة المترجَم له، ومنزلته بين أقرانه، ورتبته في علمه وفنه، واختصاصه، وأدبه. وفي هؤلاء الأطباء الشعراء والحكماء والفلاسفة، وأهل الاجتماع ، فذكر في ترجمة الكثير منهم ما لهم من أشعار ووصايا جامعة نافعة، في الطب والحكمة، وأقوال مأثورة سارت بها الركبان، وأدوية وأغذية جربها أولئك الأعلام ووصفوها لمرضاهم فكانت لهم البلسم الناجع، والدواء النافع، ولم يترك رحمه الله تعالى في ترجمة كل واحد ما وقع

عليه من أخباره وسيرة حياته ، وطريقة تعلمه وتعليمه، وسلوكه وتربيته، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فجاء هذا السفر بحق كتاباً نافعاً ليس للأطباء فقط وإنما لكل طالب علم، وباحث عن الثقافة من معينها الصافي، وقارىء وباحث عن تراث هذه الأمة العظيمة، دون تعصب لمذهب أو ملة أو نحلة.

وقد كان عملي المتواضع في هذا السفر على الشكل التالي:

١ - ضبط النص وشكله وتصحيحه حتى أتى أقرب إلى ما هو مثبت في المخطوط الأصلي.

٢ - توثيق النصوص ، والشواهد التي وردت في المخطوط ، وذلك بالرجوع إلى مصادرها من كتب الطب والحكمة والفلسفة التي سنبينها في آخر الكتاب في فهرس المصادر والمراجع.

٣ - ضبط التراجم وبيان زمان وفاة كل ترجمة وذلك بالرجع إلى كتب الطبقات والتراجم ، وكتب الأعلام وغيرها من مراجع هذا الفن.

٤ - عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وبيان أرقامها في تلك السور.

٥ - تخريج الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في المخطوط - على قلّتها - وذلك بالرجوع إلى كتب التخاريج والحديث النبوي الشريف.

٦- تخريج الأشعار التي أوردها المصنف واستشهد بها خلال ترجمته لبعض الأعلام من الأطباء والحكماء، وردها إلى أصحابها في دواوين أشعارهم ما أمكن، وإلا فإلى مصادرها من كتب التخاريج.

٧- ولا أدعي الكمال في عملي هذا وإنما هو جهد المقل ، وأرجو أن أكون قد وُفِّقت في هذا العمل قدر طاقتي البشرية المتواضعة، ورحم الله عبداً رأى عيباً فستره، وصححه، وكما قال الشاعر:

وإن ترى عيباً فسُدَّ الخللا   جلَّ من لا عيب فيه وعلا

وأسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل من العلم النافع في الدارين – لي ولمن أراد الانتفاع به ونظر إليه بعين الرضا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه / بسام محمد بارود

عفا الله عنه

أبوظبي ١٣ رمضان ١٤٢٣ هجرية

موافق: لـ ١٨ / ١١ / ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ أعـن

وإذ انتهت بنا الأوبة في العلماء إلى نوبة الحكماء، فلنطبِّق بذكرهم المفاصل، ونطلق من عمود اللحود المناصل، وننبِّه منهم عيوناً طالما طال نومها، ونأتي بفوائد فيئة كم كثر حسَّادها، ونقتصر على المشاهير والأعيان، الذين يكادون يعدُّون من المشاهيد، ونأتي منهم بمن تكلم في العلوم الثلاثة : الطبيعي، والرياضي، والإلهي. أو أحدها، وأجاد في جميعها، أو مفردها. فنذكرهم على اختلاف فرق مللهم، ونحلهم، وبلادهم، وتلادهم. كل فرقة على حدتها، بما وقع في قسمة الجانبين، ولم نسم منهم إلا من لم يسامت في أفقه، ولا يساهم أولي كوكبه إلى سمائه، أو أخلد ضبه إلى نفقه، ممن له في علم الكلام إقدام لا يدانيه ليث الشرى، وتلطُّفٌ لا يحاكيه طيف الكرى، قصر على طلبه الأشغال، وقصد في التزيد من مكسبه الإيغال، ومن هو بالطب طبّ بتقصِّي أحوال المزاج، لا تخفى عليه نبضة عرق، ولا يموَّه عليه ومضة حذق، ولا يدق مدخل سقام إلا ودواؤه يتبعه، وسقاؤه سوس يذل له سَبُعُه.

وأولهم: الهرامسة الثلاثة:

وإليهم تنسب أصول هذه العلوم؛ وقال ذلك أبو معشر البلخي[1]، وقال: " إن اسقليبيوس[2] - الذي يزعم أكثر الحكماء أنه أول من استنبط الحكمة، وسيأتي ذكره - لم يكن بالمتأله[3] الأول في صناعة الطب، ولا بالمبتدىء بها، بل إنه عن غيره أخذ، وعلى نهج من سبقه سلك". **وقال**" إنه كان تلميذ هرمس المصري".

قال ابن المطران[4] في اختصار كتاب "الأدواء" للكسدانيين: "هرمس المثلث بالنعمة. وقال في معنى تسميته بالمثلث: إنه كان ملكاً عمَّت مملكته أكثر

١: المنجّم، في كتاب" الألوف" على ما ذكر ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء - صفحة ٣١ .

٢ : في المخطوط الأصل ورد" إقليننوس"، وتصويبه من عيون الأنباء.

٣ : بمعنى أنه لم يكن ذا وله وميل إلى حد العشق لهذا الفن من العلوم.

٤ : موفق الدين أسعد بن أبي الفتح إلياس بن جرجيس المطران، ولد بدمشق، وتعلم الطب على أبيه، وعلى مهذب الدين ابن النقاش الذي جاء من بغداد إلى دمشق ليعمل في البيمارستان النوري الكبير، كما درس النحو، والأدب، وخالط العلماء والشعراء، وسافر إلى بلاد الروم ليستزيد من علوم النصارى، وكان كريم الخلق لطيف المعشر، متأنقاً في كلامه وخصوصاً مع السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي كان مخدومه الأول، فلا يفارقه في حله ولا في ترحاله، وفي حروبه أيضاً، وكانت خيمته حمراء اللون كخيمة صلاح الدين، تميزاً لها من خيمة الجنود والقواد، وقد أسلم فزوجه صلاح الدين واحدة من أفضل جواريه اسمها جوزة. وعرف ابن المطران بولعه بجمع المخطوطات فصار عنده منها ما يزيد على العشرة آلاف كتاب، وكان يكثر من القراءة فيها، واستنساخ النادر منها، ويعمل معه ثلاثة نساخ يساعدونه على النقل والكتابة. توفي ابن المطران بدمشق، سنة ٥٨٧هجرية، من مؤلفاته: كتاب "بستان الأطباء وروضة الألباء"، و" المقالة الناصرية في حفظ الأمور الصحية" وكتاب آداب طب الملوك" وغيرها. انظر ترجمته في: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٦٥١-٦٥٩، ومرآة الزمان ٨ / ٤١١، ومعجم الأطباء لأحمد عيسى ١٣٥-١٣٦، ومعجم المؤلفين لكحالة ٢ / ٥٤٥، والأعلام للزركلي ١ / ٢٣٩، ومختصر تاريخ الطب العربي للسامرائي ٢ / ٩٥ .

المعمورة، ونبياً ذكره الله تعالى" وقال: " هو إدريس عليه السلام" وهو عند اليهود: خنوخ" وقيل: " أخنوخ" . وحكيماً فيلسوفاً له تصانيف كثيرة في أيدي الناس، باقية إلى اليوم : كتاب الطول، وكتاب العرض، وكتاب قضيب الذهب، وغير ذلك.

قال: فهذه ثلاث نعم اجتمعت له، لم يسمع أنها اجتمعت لغيره من الأمم، ورفعه الله في عمود من نور. والهند والصابئة يزعمون أنه وقع في نار بعثها الله إليه، ولهذا ... الهند تحرق أجسادها بعد الموت، ومنهم من يحرقها قبل الموت، ويزعم أنه تقرب إلى الله وعبادة!.

قال ابن أبي أصيبعة(١):

١- أما (هرمس الأول)

وهو المثلث بالنعم، فإنه كان قبل الطوفان، و[معنى] هرمس: لقب كما يقال كسرى وقيصر. وتسميه الفرس في سيرها : اللهجد. وتفسيره : ذو عدل. وهو الذي تذكر الحرانية- يعني: الصابئة - نبوته.

١ : موفق الدين أحمد بن قاسم بن خليفة ابن أبي أصيبعة، الخزرجي، اشتهر بكنية جده، كان يجيد فنون اللغة، وينظم الشعر، ويهتم بجمع أخبار الحكماء والأطباء بالإضافة إلى ممارسة الطب والكحالة، وله من المؤلفات أشهرها: " عيون الأنباء في طبقات الأطباء" وهو أشهر كتبه والوحيد الذي وصل إلينا من مؤلفاته، وله كتاب التجارب والفوائد، وكتاب حكايات الأطباء في علاج الأدواء - ذكره الزركلي ١ / ١٨٩، وله كتاب إصابات المنجمين. توفي سنة ٦٩٦هجرية، موافق ١٣٩٦ميلادية، بعمر السبعين تقريباً. انظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ٢٥٧، والدارس في أخبار المدارس للنعيمي ٢ / ١٣٦-١٣٧، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٧ / ٢٢٩، والشذرات لابن العماد ٥ / ٣٢٧، وكنوز الأجداد لمحمد كرد علي ٣٣٢-٣٣٣، ومعجم الأطباء لأحمد عيسى ١١٤-١١٦، وروضات الجنات للخوانساري ٨٥، والأعلام للزركلي ١ / ١٨٨-١٨٩ .

ويقول الفرس: إن جده: كيومرث، وهو آدم.

ويقول العبرانيون: إنه أخنوخ، وهو بالعربية: إدريس.

قال أبو معشر[١]: "هو أول من تكلم في الأشياء العلوية من الحركات النجومية، وأن جده كيومرث - وهو آدم - علّمه ساعات الليل والنهار. وهو أول من بنى الهياكل ومجّد الله فيها، وأول من نظر في الطب، وتكلّم فيه. وأنه ألف لأهل زمانه كتباً كثيرة بأشعار موزونة، وقوافٍ معلومة، [بلغة أهل زمانه في معرفة] الأشياء الأرضية والعلوية. وهو أول من أنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار.

وكان مسكنه صعيد مصر، [تخير ذلك]؛ فبنى هنالك الأهرام، ومدائن التراب، وخاف ذهاب العلم بالطوفان، فبنى البرابي[٢]، وهو الجبل المعروف

---

١ : **أبو معشر الفلكي، جعفر بن محمد بن عمر البلخي**، عالم فلكي مشهور، كان أولاً من أصحاب الحديث، وتعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره، وضربه المستعين العباسي أسواطاً لأنه أخبر بشيء قبل حدوثه فحدث، فكان يقول: أصبت فعوقبت!، قال القفطي في وصفه: " عالم أهل الإسلام بأحكام النجوم، وكان أعلم الناس بتاريخ الفرس، وأخبار سائر الأمم، وعمّر طويلاً، جاوز المائة. أصله من بلخ من خراسان، أقام زمناً في بغداد، ومات بواسط سنة ٢٧٢هجرية/٨٨٦م.

انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم ١/٢٧٧، وشذرات الذهب لابن العماد ٣/٣٠٢-٣٠٣، وتاريخ الحكماء للقفطي ١٠٦، والأعلام للزركلي ٢/١٢٧ .

٢ : قال المحبي في قصد السبيل: " البرابي: كلمة نبطية ، معناها: بناء السحر المحكم. وقال الشهاب: هي أهرام صغار بنواحي الصعيد" . وقال ياقوت: " البرابي جمع برباة، وهي كلمة نبطية"، بينما نجد أن ياقوت يذكر أنها جمع بربا، وأنها كلمة قبطية، قال: وأظنه اسماً لموضع العبادة، أو البناء المحكم، أو موضع السحر" . وذكر ياقوت: أنها في عدة مواضع من صعيد مصر، في إخميم، وأنصنا، وغيرهما" .

انظر: قصد السبيل للمحبي ١/٢٦٠، ومعجم البلدان لياقوت ١/٣٦٢، وشفاء الغليل ٧٥" .

بالبرابر، بإخميم[١]، وصوَّر فيها جميع الصناعات، [وصنَّاعها نقشاً وصور جميع آلات الصناع]، وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده [برسوم] حرصاً منه على تخليد العلوم لمن بعده، وخيفة أن يذهب رسم ذلك من العالم".

قال:" وفي الأثر [المروي عن السلف] أن إدريس أول من درس الكتب، ونظر في العلوم، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، [وهو أول من خاط الثياب ولبسها]، ورفعه الله مكاناً علياً"[٢].

قلت: وقد مرَّ ذكره ما فيه غنىً.

٢- وأما (هرمس الثاني)

فإنه من أهل بابل

قال ابن أبي أصيبعة:" سكن مدينة الكلدانيين، وهي بابل، وكان بعد الطوفان بزمن بابل[٣]، الذي هو أول من بنى بابل بعد نمرود بن كوش[٤]، وكان بارعاً في علم الطب والفلسفة، عارفاً بطبائع الأعداد، وكان [تلميذه] فيثاغورس

١: قال ياقوت:" إخميم بلد ... على شاطئ النيل بالصعيد، وفي غربيِّه جبل صغير، من أصغى إليه بأذنيه سمع خرير الماء، ولغطاً شبيهاً بكلام الآدميين، لا يدرى ما هو، وبإخميم عجائب كثيرة قديمة، منها البرابي وغيرها، والبرابي أبنية عجيبة فيها تماثيل وصور، واختلف بانيها. وانظر تتمة كلامه في: معجم البلدان ١/١٢٣-١٢٤.

٢: انظر: ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء ٣٢.

٣: في عيون الأنباء صفحة ٣٢: " نزيربال".

٤: هو نمرود بن كوش بن خام، ورد ذكره في كتب العرب، وقالوا: إنه كان خصماً لإبراهيم، واشتهر بولوعه في الصيد، هو ملك كلدة حسب ما ورد في الأساطير التي تسميه الصياد، والقادر، إمام الخالد.

الأرتماطيقي[١]. وهرمس هذا جدد من هذه العلوم[٢] ما كان قد درس[٣] بالطوفان".

قال: " وهذه – يعني بابل – مدينة الفلاسفة من أهل الشرق، وفلاسفتهم أول من حدد الحدود، ورتَّب القوانين".

٣- وأما (هرمس الثالث):

فإنه سكن مدينة مصر، وكان بعد الطوفان.

قال ابن أبي أصيبعة: " وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم، وكان طبيباً فيلسوفاً، وعالماً بطبائع الأدوية القتَّالة، والحيوانات المؤذية، وكان جوَّالاً في البلاد، طوَّافاً بها، عالماً بنُصبة المدائن، وطبائعها، وطبائع أهلها. وله كلام حسن نفيس في صناعة الكيمياء ينتقل منه إلى صناعات كثيرة؛ كالزجاج، والخرز، والغضار"[٤].

وكان له تلميذ يقال له: اسقليبوس.

وكان سكنه بأرض الشام.

وأما فلاسفة اليونان: فأعظمهم قدراً خمسة، وهم:

١: فيلسوف ورياضي يوناني في القرن السادس قبل الميلاد، وهو مؤسس المذهب الفيثاغوري، ولا يعرف شيء عن اكتشافاته الرياضية والهندسية والفلكية، ولكن يعزى إليه جدول الضرب في علم الحساب.

٢: أي من علوم الطب والفلسفة وعلم العدد.

٣: أي: اندرس بمعنى عفا وامحى أثره.

٤: **الغضار**: الطين اللازب الأخضر، أو الطين الحر، يتخذ منه الخزف.

بندقليس، وفيثاغورس، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطوطاليس وهو ابن نيقوماخس[١].

فأولهم: بندقليس : وهو أول من خاض منهم اللجج، وخاصم بالحجج، إلا أنه زل به العقل، وأصدأ مهنّده كثرة الصقل.

قال أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد[٢] : إنه كان في زمان داود عليه السلام ، وأخذ الحكمة عن لقمان الحكيم بالشام، ثم انصرف إلى بلاد اليونان؛ فتكلم في خلق العالم بأشياء يقدح ظاهرها في أمر المعاد، فهجره بعضهم.

ولطائفة من الباطنية ميل إلى حكمته، وتزعم أن له رموزاً قلَّ ما يوقف عليها.

قال ابن أبي أصيبعة[٣] : " وإلى قوله في الصفات[٤] ذهب أبو الهذيل

---

١ : وتفسير " نيقوماخس" قاهر الخصم، وتفسير "أرسطوطاليس" تام الفضيلة، حكى ذلك أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، وعنه نقل ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء صفحة ٨٦ .

٢ : **ابن صاعد**: هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد التغلبي النسب، من أهل قرطبة، مؤرخ وبحاثة مشهور، ولي القضاء في طليطلة، وله كتاب جوامع أخبار الأمم عن العرب والعجم، وصوان الحكم في طبقات الحكماء، ومقالات أهل الملل والنحل، وتاريخ الأندلس، وطبقات الأمم – وعنه نقل ابن فضل الله في كتابه هذا – توفي سنة ٤٦٢هجرية / ١٠٧٠ ميلادية.
انظر ترجمته في : معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١ / ٢٨١، ونفح الطيب للمقري ٢ / ٧٢٦، والوافي بالوفيات للصفدي ١ / ٢٢٩، وبغية الملتمس ٣٣١، ومعجم المطبوعات لسركيس ٢ / ١١٨٢، وكشف الظنون لحاجي خليفة ص ٦١٠، ١٠٨٣، ١٠٩٦، والأعلام للزركلي ٣ / ٢٧١ . وانظر: طبقات الأمم لابن صاعد – صفحة ٧٢ .

٣ : عيون الأنباء ٦١ .

٤ : وقد ذهب بندقليس إلى الجمع بين معاني صفات الله تعالى، وأنها كلها تؤدي إلى شيء واحد، وأنه وإن وصف بالعلم والجود والقدرة فليس هو ذا معان متميزة، تختص بهذه الأسماء المختلفة،=

العلاف"[١].

ومنهم:

٤- فيثاغورس

وهو ممن خرق الفجاج، حيث يتشكى طالع الصباح المسرى، وتترامى طوالع الرياح حسرى، وقد كان يروع الليل وثغر أفقه أشنب، وفجر مفرقه مقنب، لا يرده قول مؤنِّب، ولا يصده ليلٌ بآفاقه مطنب، ولا يثني عزماته الموقنة من بارقة سوحها، ولا من مطوقة في حصر الغصون جنوحها.

قال أبو القاسم صاعد[٢]: " إنه أخذ الحكمة عن [أصحاب][٣] سليمان – عليه السلام – بمصر، حين دخلوا إليها من بلاد الشام، وكان قد أخذ الهندسة قبلهم عن المصريين، ثم رجع إلى بلاد اليونان وأدخل عندهم علم الهندسة، وعلم الطبيعة، وعلم الدين. واستخرج [بذكائه] علم الألحان، وتوقيع النغم،

=بل الواحد بالحقيقة الذي لا يتكثر بوجه ما أصلاً، بخلاف سائر الموجودات، فإن الوحدانيات العالمية معرضة للتكثير، إما بأجزائها، وإما بمعانيها، وإما بنظائرها، وذات الباري متعالية عن هذا كله.

١ : شيخ الكلام، ورأس الاعتزال، أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبيد الله البصري العلاف، صاحب التصانيف، والذكاء البارع، يقال: قارب مائة سنة، وخَرِف، وعمي. مات سنة ست وعشرين، ويقال: سنة خمس وثلاثين ومائتين، ومولده سنة خمس وثلاثين ومائة. انظر ترجمته في: مروج الذهب ٢/ ٢٩٨، وتاريخ بغداد ٣/ ٣٦٦،٣٧٠ . ووفيات الأعيان ٤/ ٢٦٥-٢٦٧، العبر ١/ ٤٢٢، والوافي بالوفيات ٥/ ١٦١-١٦٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٣، وتاريخ الإسلام ١٧/ ٣٤٨.

٢ : في كتابه " طبقات الأمم" ص ٧٤، وعنه أيضاً نقل ابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء" صفحة ٦١ .

٣ : ما بين المعقوفتين ساقطة من الأصل المخطوط واستكمل من "طبقات الأمم " لابن صاعد – ص ٧٤ .

وله رموز عجيبة، وله في شأن المعاد مذاهب قارب فيها بندقليس[١].

وكان يرى السياحة، واجتناب مماسَّة القاتل والمقتول.

وكان يقول: إنه أمر بتقديس الحواسّ، وتعلم العمل[٢] بالعدل، وجميع الفضائل، والكف عن الخطايا، والبحث عن طبيعة كل شيء، والتحابّ، والتأدب بشرح العلوم العلوية، ومجاهدة المعاصي، وعصمة النفوس، وتعلم الجهاد، وإكثار الصيام، والقعود على الكراسي، ومواعظ الملوك، وقراءة الكتب، وأن يعلِّم الرجال الرجال، والنساء النساء، وكان قد اتَّخذ أكلاً غير مجوِّع ولا معطِّش لا يتعداه، ولم يكن يفرح بإفراط، ولا يحزن بإفراط.

ويحكى أنه أول من قال إن أموال الأخلاء مشاعة غير مقسومة، وكان يأمر بأداء الأمانة في الوديعة، وصدق الوعد، وكان يتكهن فلا يخطئ.

وكان يرمز حكمته؛ ومنها قوله: " لا تلبس تماثيل الملائكة على فصوص الخواتيم" أي: لا تجهر بديانتك و[تدع] أسرار العلوم الإلهية عند الجهَّال[٣].

١ : من أن فوق عالم الطبيعة عالماً روحانياً نورانياً، لا يدرك العقل حسنه وبهاءه، وأن الأنفس الزكية تشتاق إليه، وأن كل إنسان أحسن تقويم نفسه بالتبري من العجب والتجبر والرياء والحسد وغيرها من الشهوات الجسدية، فقد صار أهلاً أن يلحق بالعالم الروحاني ويطلع على ما يشاء من جواهره من الحكمة الإلهية، وأن الأشياء الملذذة للنفس تأتيه حينئذ أرسالاً كالألحان الموسيقية الآتية إلى حاسة السمع، فلا يحتاج أن يتكلف لها طلباً. إلى آخر مقالته.

انظر: " طبقات الأمم لابن صاعد ٧٤–٧٥، وعنه نقل ابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" صفحة ٦٢ .

٢ : في الأصل المخطوط : العلم، وصوابهما أثبتناه من عيون الأنباء.

٣ : **ومنها قوله**:" لا تعتد في الميزان" أي: اجتنب الإفراط.

وقوله:" ولا تحرك النار بالسكين لأنها قد حميت فيها مرة أخرى" أي: اجتنب الكلام المحرِّض عند الغضوب المغتاظ.

وقوله:" ولا تجلس على قفيز" أي: لا تعش في البطالة. وغير ذلك.

وكان ممن استوطن أنطاكيا، بعد أن سافر إلى بلاد شتى طلباً للعلم، وأخذ عن الكلدانيين والمصريين، وغيرهم، وأخذ عن الكهنة.

وآخر أمره أنه كفر، فبقي مذبذباً لا تليقه بلد، ثم انحاز إلى هيكل تحصَّن فيه، ولبث فيه أربعين يوماً لا يغتذي، فأطيف به، وأحرق عليه الهيكل، فهلك هو ومن معه.

ومن كلامه:

قوله: " الأقوال الكثيرة في الله – سبحانه – علامة تقصير الإنسان عن معرفته" .

وقوله: " ما أنفع للإنسان أن يتكلم بالأشياء الجليلة النفيسة فإن لم يمكنه فليسمع قائلها" .

وقوله: "[احذر أن ترتكب قبيحاً من الأمر، لا في خلوة، ولا مع غيرك]، وليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من كل أحد" .

وقوله: " ليكن قصدك بالمال في اكتسابه من حلال، وإنفاقه في مثله" .

وقوله: " إذا سمعت كذباً فهوِّن على نفسك الصبر عليه" .

وقوله: " ما لا ينبغي أن تفعله احذر أن تخطره ببالك" .

وقوله: " لا تدنِّس لسانك بالقذف، ولا تصغ بأذنيك إليه" .

وقوله: " الأشكال المزخرفة، والأمور المموهة في أقصر الزمان تتبهرج"(١).

وقوله: " متى التمست أمراً ابدأ إلى ربك بالابتهال في النجح فيه" .

---

١ : أي أن الأمور المزيفة لا بد أن تظهر حقيقتها في أقرب وقت.

وقوله : " الإنسان الذي اختبرته بالتجربة فوجدته لا يصلح أن يكون صديقاً وخِلاًّ احذر من أن تجعله عدواً" .

وقوله : " الأخلق بالإنسان أن يفعل ما ينبغي، لا ما يشتهي" .

وقوله : " ما أحسن بالإنسان أن لا يخطئ، فإن أخطأ فما أكثر انتفاعه بأن يعلم بأنه أخطأ، ويحرص في أن لا يعاود" .

وقوله : " الدنيا دُوَلٌ؛ مرةً لك، وأخرى عليك، فإن توليت فأحسن، وإن تولَّوك فَلِنْ " .

وقوله : " ليس الحكيم من حمل عليه بقدر ما يطيق فصبر واحتمل، ولكن الحكيم من حُمل عليه أكثر مما يحتمل فصبر" .

وقوله : " إن أكثر الآفات إنما تعرض للحيوانات لعدمها الكلام، وتعرض للإنسان من قبل الكلام" .

وقوله : " استعمل الفكر قبل العمل" .

وقوله وقد نظر إلى شيخ يحب النظر في العلم ويستحيي أن يُرى متعلماً : " يا هذا ! أتستحي أن تُرى في آخر عمرك أفضل منك في أوله؟!" .

وقوله " وقد قيل له : ما أحلى الأشياء؟ قال : ما يشتهيه الإنسان"(١) .

ومنهم :

٥- سُقْرَاط

وهو المعروف بسقراط الحُب. و"الحُب" : وعاء من فخار كان يجلس فيه

---

١ : **انظر جملة أقواله في** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦٧-٦٨ .

ويستغني عن اللباس، اتخذه رياشاً له دون اللباس.

أعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها، وفرَّغ منها يديه ونفضها، وتجرَّد من الدنيا إلا حُبٌ يستره، وجُبٌ يشهره، كأنما يتوقى من ماطل الفجر أشراكاً خاتلة، ومن روائق النجوم نبالاً قاتلة، فكان لا يستطيب منديارِه مقيلا، ولا يستطب لعثاره مقيلا، فلم يأو جداراً ولا أطما، ولا ألجم رأسه عذاراً ولا خطما، حتى انتهى إلى ما بلغ، وشفي كلب الموت من دمه ما ولغ.

قال أبو القاسم صاعد: " هو من تلاميذ فيثاغورس". واقتصر [من علوم الفلسفة] على العلوم الإلهية، وخالف اليونان في عبادة الأصنام، وحاجَّ رؤساءهم بالأدلة، فنقدوا العالم عليه[١]، واضطروا ملكهم إلى قتله، فأودعه السجن، ثم سقاه السم[٢].

وله وصايا شريفة، وآداب فاضلة، وحكم مشهورة، ومذاهب قريبة من فيثاغورس وبندقليس[٣]، إلا أن له في المعاد[٤] آراء ضعيفة بعيدة عن محض الفلسفة، خارجة عن المذاهب المحققة".

وكان لا يستودع الحِكَم الصحفَ والقراطيس تنزيهاً لها، ويقول: " الحكمة طاهرة مقدَّسة، غير فاسدة، ولا دنسة، فلا ينبغي أن نستودعها إلا الأنفس الحية، وننزهها عن الجلود الميتة، ونصونها عن القلوب المتمردة".

ولم يصنف كتاباً، ولا أملى على أحد من تلاميذه ما أثبته في قرطاس؛ وإنما كان يلقنهم علمه تلقيناً.

١ : في طبقات الأمم، وعيون الأنباء " فثوَّروا العامة عليه" أي: أثاروهم ضده.

٢ : **انظر**: " طبقات الأمم" لابن صاعد – صفحة ٧٥، تحقيق حياة العيد بو علوان.

٣ : أي مذاهب في الصفات كما مر قريباً.

٤ : في الأصل المخطوط : " العدد" والصواب أثبتناه من : طبقات الأمم صفحة ٧٥، وعيون الأنباء ٧٠

وكان من عادة ملوك اليونان إذا حاربوا أخرجوا معهم حكماءهم، فأخرج الملك سقراطَ معه في سفرة خرج فيها، وكان سقراط يأوي إلى زير[١] مكسور يسكن فيه من البرد، وإذا طلعت الشمس خرج منه، فجلس عليه يستدفئ بالشمس، ولهذا سمي سقراط الحُب[٢].

ومن كلامه:

قوله: " إملأ الوعاء طيباً " أي: حكمة.

وقوله: " لا تتجاوز الميزان " أي: لا تتجاوز الحق.

وقوله : " ازرع بالأسود، واحصد بالأبيض" . أي: ازرع بالبكاء، واحصد بالسرور.

وقوله: " لا تشيلن الإكليل وتهتكه" أي : للسُّنن الجميلة لا ترفضها لأنها تحوط جميع الأمم، كحياطة الإكليل للرأس[٣].

وقوله: " عجباً لمن علم فناء الدنيا كيف تلهيه عما ليس له فناء!" .

وقوله : " اتفاق النفوس باتفاق هممها، واختلافها باختلاف مرادها"[٤].

وقوله : " من بخل على نفسه فهو على غيره أبخل، [ومن جاد على نفسه فذلك المرجو جوده][٥].

---

١ : الزير: الدنُّ، وهو الراقود العظيم، كالحُب، أي: الجرة العظيمة.

٢ : عيون الأنباء في طبقات الأطباء – لابن أبي أصيبعة ٧١ .

٣ : في الأصل المخطوط: " لا تحوط حياطة الإكليل..."، والصواب ما أثبتناه من " عيون الأنباء – صفحة ٧٢ .

٤ : عيون الأنباء – ص ٧٦ .

٥ : ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط استكمل من عيون الأنباء – ص ٧٦ .

وقوله: " ما ضاع من عرف نفسه، وما أضيع من جهل نفسه! " .

وقوله: "ستة لا تفارقهم الكآبة: الحقود، والحسود، وحديث عهد بغنى، وغني يخاف الفقر، وطالب رتبة يقصر قدره عنها، وجليس أهل الأدب وليس منهم" .

وقوله: " العقول مواهب، والعلوم مكاسب" .

وقوله: " اتقوا من تبغضه قلوبكم" .

وقوله: " إذا وليت أمراً فأبعد عنك الأشرار، فإن جميع عيوبهم منسوبة إليك" .

وقوله: " إنما أهل الدنيا كصور في صحيفة، كلما نشر بعضها طوي بعضها" .

وقوله: " ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض" .

وقوله: " طالب الدنيا قصير العمر، كثير الفكر" .

وقوله: " من كان شريراً فالموت سبب راحة الناس[١] من شره" .

وقوله: " إنما جعل للإنسان لسان واحد وأذنان ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلمه" .

وسئل : " أي الأشياء ألذ؟ فقال: استفادة الأدب، واستماع أخبار لم تكن سمعت" .

وقوله: " أنفع ما اقتناه الإنسان: الصديق المخلص" .

---

١ : في عيون الأنباء ص ٧٧ : " العالم" .

وقوله : " الصامت ينسب إلى العي[١]، ويسلم. والساكت ينسب إلى الفضول ويندم" .

وقوله : " من سره الزمان في حالة ساءه في أخرى" .

وقوله : " لا ضرر أضرُّ من الجهل، ولا شرَّ أشرُّ من النساء" .

وقوله لتلميذ له: " يا بني! إن كان لا بد لك من النساء ، فاجعل لقاءك لهنَّ كأكل الميتة لا تأكلها إلا عند الضرورة" .

وقوله : وقد قيل له: ما تقول في النساء؟، فقال: " هنَّ كشجر الدِّفْل[٢] له رونق وبهاء، فإذا أكله الغرُّ قتله[٣]" .

وقوله : " لا يصدَّنَّك عن الإحسان جحود جاحد النعمة" .

وقوله : " الجاهل من عثر بحجر مرتين" .

وقوله : " اعلم أنك في أثر من مضى سائر، وفي محل من مات مقيم، وإلى العنصر الذي بدأت منه تعود" .

وقوله : " رُبَّ متحرز[٤] من الشيء تكون منه آفته" .

---

١ : يقال: عبي في المنطق ، عيًّا: حصر. القاموس مادة عيَّ.

٢ : قال في القاموس: " الدفل: بالكسر نبت مر، فارسيته : خرزهره، قتَّال، زهره كالورد الأحمر، وحمله كالخرنوب، نافع للجرب والحكة طلاء، ولوجع الركبة، والظهر ضماداً، ولطرد البراغيث والأرضة رشاً بطبيخه، ولإزالة البرص طلاء بلبه اثنتي عشرة مرة، بعد الإنقاء. انظر: القاموس مادة دفل.

٣ : **فقيل له**: كيف يجوز لك أن تذم النساء ولولاهن لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء؟ فقال: إنما المرأة مثل النخلة ذات السلاء – أي جذع النخلة، والسلاء في الأصل هو شجة الرأس كائنة ما كانت، وشبه بها عقد جذع النخلة – إن دخل في بدن إنسان عقره، وحملها الرطب الجني!". انظر: عيون الأنباء – صفحة ٧٨ .

٤ : أي متوق، ومبتعد منحاش عن الشيء.

وقوله: " داووا الغضب بالصمت" .

وقوله: " لأهل الاعتبار في صروف الدهر كفاية، وكل يوم يأتي عليك منه علم جديد" . وله شعر باليونانية، عُرِّب فكان شعراً ، وهو:

إنما الدُّنيا وإن وَمِقَتْ خَطْرَةٌ من لَحْظِ مُلتَفِتِ(١)

ومنهم:

٦- أفَلاطُون

رجلٌ ترى النجوم لديه أسافل، والخصوم بين يديه جوافل، والغيوم معتذرة إليه إذا أتته حوافل، يطأ الأراقم، ويطاول الخطب المتفاقم، ويكف بعقله النوازي، وتقصر رؤية الأفكار إذا ارتجل، وتقصى إذا ارتحل، وتقدم النظراء إليه ثم لا ترى إلا مبلسة، وتقدم الآراء ثم لا تنفذ إلا وسهامها مرسلة.

قال ابن جلجل(٢): " هو من [أهل] مدينة أثينا، رومي فلسفي، يوناني، طبي، عالم بالهندسة وطبائع الأعداد، وله في الطب كتاب بعثه إلى طيماوس

١ : قوله: ومقت: أي أحبت. وقوله: "خطرة" أي: لمحة خاطفة. وقوله:" لحظ" أي عين.

٢ : هو أبو داود بن **سليمان بن حسان المشهور بابن جلجل الأندلسي**، أبو داود، المعروف بابن جلجل، طبيب مؤرخ، أندلسي، من أهل قرطبة، تعلم الطب وخدم به هشاماً المؤيد بالله، وسمع الحديث، وقرأ كتاب سيبويه، وصنف:" طبقات الأطباء والحكماء" وتفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس، " قطعة صغيرة منه، ومقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه، و"رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين" و" استدراك على كتاب الحشائش لديسقوريدس، و"مقالة في أدوية الترياق" وأغلبها ما زال مخطوطاً، إلا كتابه تاريخ الحكماء المعروف بطبقات الأطباء والحكماء فقد طبع بتحقيق أيمن فؤاد السيد .

انظر ترجمته في: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢/ ٤٦-٤٨، وأخبار الحكماء للقفطي ١٣٠، والمقتبس للحميدي ٢١٩، ومعجم الأطباء لأحمد عيسى ٢٠٧، والأعلام للزركلي ٣/ ١٢٣ .

تلميذه، وله في الفلسفة كتب وأشعار، وله في التأليف كلام لم يسبقه أحد إليه، استنبط به صنعة الديباج، وهو الكلام المنسوب إلى الخمس النسب التأليفية التي لا سبيل إلى وجود غيرها، ثم استشرف إلى علم العالم كله، وعرف موانع الأجزاء المؤتلفات الممتزجات باختلاف ألوانها، وأصباغها، وائتلافها على قدر النسبة، فوصل إلى علم التصوير، [فوضع أول حركة جامعة لجميع الحركات ثم صنفها بالنسبة العددية، ووضع الأجزاء المؤتلفة على ذلك فصار إلى علم تصوير التصويرات] فقامت له صناعة الديباج، وصناعة كل مؤتلف به.

وله في الفلسفة كلام عجيب[١]. وكان قد أخذ في أول أمره في تعلم علم الشعر، واللغة، فبلغ من ذلك مبلغاً عظيماً، إلى أن حضر يوماً سقراطيس، وهو يثلب[٢] صناعة الشعر، فأعجبه ما سمعه منه، وزهد فيما كان عنده منه، ولزم سقراط وسمع منه خمس سنين، ثم مات سقراط، فقصد مصر للقاء أصحاب فيثاغورس. وكان يتبع سقراط في الأشياء المحسوسة ويتبع فيثاغورس في الأشياء المعقولة. وكان يتبع سقراطيس في أمور التدبير[٣].

ثم رجع إلى بلده[٤]، ونصب فيها بيتي حكمة، وعلّم الناس، وفعل الجميل، وأعان الضعفاء. وكان حسن الأخلاق، كريم الأفعال، كثير الإحسان إلى كل ذي قرابة منه، وإلى الغرباء. ثبتاً، حكيماً، صبوراً، وكان يرمز حكمته، ويشير إليها، ويتكلم بها ملغوزة حتى لا يظهر مقصده إلا لذوي الحكمة.

---

١ : **انظر**: ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء ٨٠ .

٢ : أي: يعيب وينقص من شأنه.

٣ : عيون الأنباء – ٨٠ .

٤ : أي: أثينا.

وصنف عدة كتب[١]، وكتبه يتصل بعضها ببعض أربعة، أربعة، يجمعها غرض واحد، ويخص كل واحد منها غرض خاص يشتمل عليه ذلك الغرض العام، ويسمي كل واحد منها رابوعاً، وكل رابوع منها يتصل بالذي قبله.

وكان محباً للفلوات والصحاري والوحدة، وكان في الأكثر لا يستدل على موضعه إلا بصوت بكائه، وكان يسمع على ميلين، وكان منقوشاً على خاتمه: "تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك".

ومن كلامه:

قوله: "للعادة[٢] على كل شيء سلطان".

وقوله – وقد قيل له: لم لا تجتمع الحكمة والمال؟ فقال "لعز الكمال[٣]".

وقوله: "غاية الأدب أن يستحي المرء من نفسه".

وقوله: "إذا خبث الزمان كسدت[٤] الفضائل، وضرت، ونفقت الرذائل ونفعت، وكان خوف الموسر[٥] أشد من خوف المعسر[٦]".

وقوله: "العزيز النفس هو الذي لا يذل للفاقة".

وقوله: "الحسن الخلق من صبر على السيء الخلق".

---

١ : قال ابن أبي أصيبعة: منها ما بلغنا اسمه ستة وخمسون كتاباً".

٢ : في الأصل المخطوط" للمادة" أثبت الصواب من عيون الأنباء ٨١ .

٣ : في الأصل المخطوط: " المال".

٤ : من كسد الشيء إذا لم ينفق، فهو كاسد" انظر القاموس مادة كسد".

٥ : أي الغني.

٦ : أي الفقير.

وقوله: " أشرف الناس من شرَّفته الفضائل لا من تشرف بالفضائل[١]" .

وقوله: " الأمل خدَّاع النفوس" .

وقوله: " المشورة تريك طبع المستشار" .

وقوله : " اطلب في حياتك العلم، والمال، والعمل الصالح، فإن الخاصة تفضلك بما تحسن، والعامة بما تملك، والجميع بما تعمل" .

وقوله – وقد سئل عند موته عن الدنيا؟ فقال –: " خرجت إليها مضطراً، وعشت فيها متحيراً، وها أنا أخرج منها كارهاً، ولم أعلم فيها إلا أنني لا أعلم!!" . وعاش ثمانين سنة.

ومنهم:

٧- أرَسْطُو طاليس*

وهو ابن نيقوماخس[٢]، ذهب مذهب فيثاغورس.

رجلٌ لا يقاس به أحد، ولا يقال إن مثله البحر فيخصّ بحد. أنواع العلماء

---

١ : وذلك أن من كانت الفضائل فيه جوهرية فهي تشرفه، ومن كانت فيه عرضية تشرف بها ولم تشرفه.

* انظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم ٢٤٦–٢٥٢، وطبقات ابن جلجل ٢٥، وتاريخ الحكماء للقفطي ٣٧–٥٣، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٨٦–١٠٧، ومنتخب صوان الحكمة للسجستاني ٣٩–٤٨، ونزهة الأرواح للشهرزوري ١٨٨–٢٦٠، والملل والنحل للشهرستاني ٣/٤- دائرة المعارف الإسلامية " كتاب الشعب" ٥٨١–٥٩٣، ومختار الحكم للمبشر بن فاتك ١٧٨–١٨٤، وابن نباتة سرح العيون تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم – القاهرة ١٩٦٤ – صفحة ٢١١، والإعجاز والإيجاز لمنصور الثعالبي – هامش ص ١٢٥، ومختصر تاريخ الطب العربي ١/١١١ . ومعنى أرسطو طاليس: تام الفضيلة – على ما ذكره ابن صاعد في " طبقات الأمم" ص ٧٧ .

٢ : ومعنى نيقوماخس: قاهر الخصم – على ما ذكره ابن صاعد في طبقات الأمم ٧٦ .

عليه ضيوف، وأقوال الحكماء لديه زيوف. طلع صباحه، فطمي جدوله على الكواكب وطمسها، وطمَّ جرف نهاره المنهار حفر الغياهب ودمسها. وعرف فضله بالضرورة، وفعله بالمآثر المبرورة، وعني بمداواة الأفهام، فأبرأ سقيمها، وأنتج عقيمها، فشفى من لم، وأسمع من صمم، وحاز بانضواء الاسكندر الذي هو أحد ملوك العالم إليه فخرا، أصبح به نده يفخم، وضده يرغم، إذ كان لا تناط لديه إشاراته بإهمال، ولا تنال عنده إلا بالتعويل عليه أعمال.

ذكره أبو القاسم بن صاعد وقال: " إليه انتهت فلسفة اليونان، وكان خاتم حكمائهم، وسيد علمائهم، وهو أول من خلَّص صناعة البرهان من الصناعات المنطقية، وصوَّرها بالأشكال الثلاثة، وجعلها آلة العلوم النظرية، حتى لقِّب بصاحب المنطق، وله في جميع العلوم الفلسفية كتب شريفة؛ كلية وجزئية"(١).

قال ابن جلجل: " كان فيلسوف الروم، وعالمها، وجهبذها(٢)، ونحريرها(٣)، وخطيبها، وطبيبها، وكان أوحد في الطب، وغلب عليه علم الفلسفة"(٤).

قال المبشر بن فاتك: " كان أرسطو كثير التلاميذ، من الملوك وأبناء الملوك، وغيرهم، وعدَّ منهم أناساً منهم: الاسكندر – وسماه الاسكندروس – "(٥).

---

١ : **انظر**: طبقات الأمم لابن صاعد – صفحة ٧٧، و عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٩١ .

٢ : الجهبذ: بالكسر، النقاد الخبير، معرَّب " كهبد" أي: حافظ الخزينة، وذكر أدي شير: أنه معرَّب: "كهبد" وهو تخفيف" كوه بود" أي: المقيم في الجبل.

انظر: قصد السبيل للمحبي ١ /٤١٢ .

٣ : قال في القاموس: النحرير: الحاذق الماهر. " مادة نحر".

٤ : **انظر**: عيون الأنباء – ص ٨٦ .

٥ : **انظر**: عيون الأنباء – ص ٩٠ .

قال ابن أبي أصيبعة: " كان نيقوماخس أبو أرسطو طاليس طبيب [أمنطس أبي فيليبس، وفيلبس هذا هو أبو الاسكندر] وكان كل من أبيه وأمه من ولد اسقليبيوس، وكان خليفته على دار التعليم (١) ".

ولما قدم أفلاطون من صقلية انتقل أرسطو إلى لوقيون، واتخذ هناك دار التعليم المنسوبة إلى [الفلاسفة] المشائين، ثم رجع إلى مدينة الحكماء(٢)، ثم صار إلى مقدونيا يعلِّم، إلى أن تجاوز الاسكندر بلاد آسيا، ثم استخلف في مقدونيا، فسعى إليه (٣) بعض الكهنة في أرسطو، ونسبه إلى الكفر، لكونه كان لا يعظم الأصنام التي كانت تعبد!، فشخص أرسطو إلى بلاده، وبقي بها إلى أن مات وهو ابن ثمانين سنة" (٤).

"ثم إن أهل أسطاغيرا نقلوا بدنه وصيّروه في الموضع المعروف بالارسطوطاليسي، وصيَّروا مجتمعهم للمشاورة في جلائل الأمور، وإذا صعب عليهم شيء من فنون العلم أتوا إلى مكان قبره فتناظروا ما بينهم فيظهر لهم ما أشكل، وكانوا يرون اجتماعهم عنده يذكي عقولهم، ويصحح فكرهم، وكانوا لا يزالون في أسف لفراقه، وحزن لما فقدوه من ينابيع حكمته"(٥).

وذكر المسعودي: أنه في ملرم(٦) من صقلية، وكان جليل القدر في الناس، مكرماً عند ملوك زمانه، وكان يحسن السفارة عندهم للرعية، حتى اتخذوا

١ : **انظر**: عيون الأنباء – ص ٨٦ .

٢ : المعروفة بأثينس، أو أثينا.

٣ : أي وشى به ووقع فيه، واتهمه بالكفر.

٤ : **انظر**: عيون الأنباء – صفحة ٨٧ .

٥ : **انظر**: عيون الأنباء ٨٩–٩٠ .

٦ : عاصمة صقلية فيها آثار يونانية وعربية.

عموداً ونقشوا عليه اسمه، وحسن ما كان يصنعه معهم، إلا فرد رجل غاب عن رأيهم في هذا العمود، وعاب أرسطو، وهمَّ بإزالة نقش العمود، فأمسك وقتل، ثم عمدوا إلى عمود آخر [. . . .][1] بالبناء عليه كالأول، وذكروا المتعرض المخالف الذي قتل، ولعنوه، وتبرأوا منه.

قال ابن أبي أصيبعة: " إن الاسكندر لما ملك صار أرسطو إلى التبتل والتخلي مما كان فيه من الاتصال بالملوك والملازمة لهم، ولزم موضع التعليم، وهو رواق المشائين، وأقبل على العناية بمصالح الناس، ورفد الضعفاء، وأهل الفاقة، وتزويج الأيامى، وعول اليتامى، ورفد طلبة العلم والتأدب[2] من كانوا، وأي نوع من العلم والأدب طلبوا، والصدقة على الفقراء، ولم يزل في غاية لين الجانب والتواضع، وحسن اللقاء للصغير والكبير، والقوي والضعيف، وأما قيامه بأمر أصدقائه فلا يوصف"[3].

قال المبشر بن فاتك: " إن أرسطو لما بلغ ثماني سنين حمله أبوه إلى بلد الحكماء[4]، وضمَّه أبوه إلى الشعراء، والبلغاء ، والنحويين، فأقام متعلماً منهم تسع سنين، وكان اسم هذا العلم عندهم: المحيط – أعني علم اللسان، لحاجة جميع الناس إليه، لأنه المؤدي لكل حكمة، وبه يتحصل كل علم.

ثم بلغه أن قوماً من الحكماء أزروا[5] بعلم البلغاء واللغويين، وعنَّفوا

١ : ما بين المعقوفتين كلمة غير مفهومة، لم أتبينها.

٢ : أي طلبة الأدب، ويسمون المتادبين.

٣ : **انظر** : ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – صفحة ٨٨ .

٤ : أي: أثينا – كما ورد في " مختار الحكم ومحاسن الكلم" للمبشر بن فاتك – ص ١٧٩، وعنه نقل ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٨٨ .

٥ : أي نقَّصوا، وعابوا، وقللوا من شأنه.

المتشاغلين به، وزعموا أنه لا تحتاج إليه الحكمة، لأن النحويين معلمو الصبيان، والشعراء أصحاب أباطيل وكذب، والبلغاء أصحاب تمحُّل ومراء[١]، فأدركته الحفيظة[٢] لهم، فناضل عنهم، واحتج لهم، وقال: إن فضل الإنسان على البهائم بالنطق، وأحقهم بالإنسيَّة أبلغهم في منطقه، وإذا كانت الحكمة أشرف الأشياء فينبغي أن تكون العبارة عنها بأشرف المنطق لأن العيَّ يذهب بنور الحكمة، ويقطع عن الأداء، ويقصر عن الحاجة، ويلبس على المستمع، ويفسد المعاني، فيورث الشبهة. ثم انتقل أرسطو إلى أفلاطون لتعلم العلوم الأخلاقية، والسياسية، والطبيعية، والتعليمية، والإلهية. وكان أفلاطون إذا استدعي منه الكلام يقول: اصبروا حتى يحضر الناس! فإذا جاء أرسطو قال: تكلموا، فقد حضر العقل!"[٣].

وقال حنين[٤]: " كان منقوشاً على[فص] خاتم أرسطو: المُنكِرُ لما يعلم أعلم من المقِرّ بما لا يعلم!"[٥].

---

١ : التمحل : الخداع، والمكر، والكيد " القاموس مادة محل". والمراء: الجدال.

٢ : أي: الغيرة والحمية لهتك حرمتهم.

٣ : **انظر** : مختار الحكم ومحاسن الكلم لابن فاتك، واسمه المبشر، ص ١٧٩–١٨٠ – تحقيق د. عبد الرحمن بدوي. وكذا عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة – ص ٨٨–٩٠ .

٤ : العبَّاديّ، النصراني ، ابن إسحاق، علاَّمة وقته في الطب، وكان بارعاً في لغة اليونان. عرَّب كتاب إقليدس، وله تصانيف عدة، منها: تاريخ العالم والمبدأ والأنبياء والملوك والأمم ، إلى زمنه. وكان ابنه إسحاق بن حنين من كبار الأطباء أيضاً. توفي حنين في صفر سنة ستين ومائتين. انظر ترجمته في : فهرست ابن النديم ٣٥٢، طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١ / ١٨٤، وفيات الأعيان ٢١٧–٢١٨، العبر ٢ / ٢٠، أخبار الحكماء ١١٧، تاريخ حكماء الإسلام ١٦، تاريخ ابن كثير ١١ / ٣٢، سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤٩٢، المنتظم ٥ / ٢٤ .

٥ : انظر: عيون الأنباء – ص ٩٠ .

ومن كلامه:

قوله: " بالفكر الثاقب يدرك الرأي العازب[١] ، وبالتأني تسهل المطالب، وبلين الكلم تدوم المودة في الصدور، وبخفض الجناح تتم الأمور، وبسعة الأخلاق يطيب العيش، ويكمل السرور، وبالإنصاف يحب التواصل، وبالتواضع تكثر المحبة، وبالعفاف تزكو الأعمال، وبالعدل يقهر العدو، وبالحلم تكثر الأنصار، وبالرفق تستخدم القلوب[٢] ، وبالوفاء يدوم الإخاء، وبالصدق يتم الفضل، ومن الساعات تتولد الآفات، وبالعافية يوجد طيب الطعام والشراب، وبحلول المكاره تتكدر النعم، وبالمنّ يُدحض الإحسان، وبالجحود يستوجب الحرمان، والبخيل ذليل وإن كان غنياً، والجواد عزيز وإن كان مقلاً، والطمع الفقر الحاضر، واليأس الغنى الظاهر.

"لا أدري نصف العلم، والأدب يغني عن الحسب، والتقوى شعار العالم، والرياء لباس الجاهل، ومقاساة الأحمق عذاب الروح، والاشتغال بالفائت يضيع الأوقات، والتمني سبب الحسرة، والصبر تأييد العزم" .

"صديق الجاهل مغرور، والمخاطر خائب" .

"من عرف نفسه لم يضع . المجرب أحكم من الطبيب . إذا فاتك الأدب فالزم الصمت . من لم ينفعه العلم لم يأمن من ضرر الجهل . من افتخر ارتطم . من عجل تورَّط . من تفكَّر سلِمْ . من سأل علم . للعادة على كل أحد سلطان . كل شيء يستطاع نقله إلا الطباع . كل شيء يحتال له إلا القضاء . من عرف الحكمة لحظته العيون بالوقار . لا يؤتى الناطق إلا من سوء فهم السامع . الجزع عند

---

١ : أي: البعيد والخفي.

٢ : أي تسترق وتستعبد، فالإنسان كما يقال عبد الإحسان.

مصايب الأحزان أحمدُ من الصبر. وصبر المرء على مصيبته أحمد من الجزع. ليس شيء أقرب إلى تغيير النعم من الإقامة على الظلم. من طلب خدمة السلطان بلا أدب خرج من السلامة إلى العطب.

"إذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإن من لم يكن له قناعة لا يغنيه المال وإن كثر. لا تبطل لك عمراً في غير نفع، ولا تضع لك مالاً في غير حق، ولا تصرف لك قوة في غنى، ولا رأياً في غير رشد".

"العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً. اطلب الغنى الذي لا يفنى، والحياة التي لا تتغير، والملك الذي لا يزول، والبقاء الذي لا يضمحل".

"أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك، واقترض من عدوك الفرصة، واعمل على أن الدهر ذو دول. لا تصادم من كان على الحق، ولا تجاذب من كان متمسكاً بالدين".

"لا فخر فيما يزول، ولا غنى فيما لا يثبت. لا تغفل فإن الغفلة تورث الندامة. لا ترجُ السلامة لنفسك حتى يسلم الناس من جَورك[1]، ولا تعاقب غيرك على أمر ترخص فيه لنفسك".

"اعتبر ممن تقدم، واحفظ ما مضى، والزم الصحة يلزمك النصر. الصدق قوام أمر الخلائق. الكذب داء لا ينجو من نزل به. من تجبَّر على الناس أحب الناس ذلَّته. من أفرط في اللوم كرهت حياته. من مات محموداً كان أحسن حالاً ممن عاش مذموماً".

"من نازع السلطان مات قبل يومه. أي ملك نازع السوقة[2] هتك شرفه. من

١ : أي ظلمك، والجور ضد العدل.

٢ : قال في القاموس: " والسُّوقة بالضم: الرعية – التي تسوسها الملوك ، سموا سوقة لأن الملوك=

مات قلّ حاسده. الحكمة شرف من لا قديم له. سوء الأدب يهدم ما بناه الأب. الجهل شر الأصحاب. النميمة تهدي إلى القلوب البغضاء. ومن واجهك فقد شتمك، ومن نقل إليك نقل عنك. الجاهل عدوٌّ لنفسه، فكيف يكون صديقاً لغيره؟. الوفاء نتيجة الكرم. لسان الجاهل مفتاح حتفه. الحاجة تفتح باب الحيلة. بترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل. ليس زيادة القوة بكثرة ما يرد البدن من الغذاء ولكن بكثرة ما يقبل منه".

"امتحنِ المرءَ في وقت غضبه لا في وقت رضاه، وفي وقت قدرته لا في وقت ذلته. خير الأشياء أجدُّها إلا المودَّات خيرها أقدمها"[١].

وكتب إلى الاسكندر: " إذا أعطاك الله الظفر فافعل ما أحبَّ من العفو".

وكتب إليه: " الأردياء[٢] ينقادون بالخوف، والخيار ينقادون بالحياء، فميِّزْ بين الطبقتين، واستعمل في أولئك البطش والخوف، وفي هؤلاء الإفضال والإحسان".

وكتب إليه: " ليكن غضبك بين المنزلتين لا شديداً فاشياً، ولا فاتراً ضعيفاً، فإن هذه من أخلاق السباع، وهذه من أخلاق الصبيان".

=يسوقونهم فينساقون لهم، زاد صاحب اللسان: وكثير من الناس يظن أن السوقة أهل الأسواق! انظر: القاموس مادة سوق.

١: **انظر** هذه الأقوال وغيرها في: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ١/٩٦-١٠٢. وكذا في " مختار الحكم ومحاسن الكلم" للمبشر بن فاتك ص ١٨٥-٢٢٢.

٢: أي: أرذال الناس.

ومنهم:

٨- يَعْقُوبُ بنُ إِسحَاقَ الكِنْدِيُّ *

أبو يوسف، فيلسوف العرب(١).

من ولد الأشعث بن قيس(٢)، والأشعث من ولد معاوية الأكبر ابن الحارث الأصغر، ابن معاوية ابن الحارث الأكبر.

وكان الأشعث ملكاً على كندة، وله صحبة، وللأعشى فيه مدائح(٣).

* **انظر ترجمته** في: طبقات الأطباء ١/٢٠٦-٢١٤، فهرست ابن النديم ٢٥٥-٢٦١، وطبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/٣٣٧، وأخبار الحكماء للقفطي ٢٤٠-٢٤٧، ولسان الميزان ٦/٣٠٥، وسرح العيون لابن نباتة ٢٣١-٢٣٤، وصوان الحكمة للسجستاني ١١٣، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ٣٦٦-٣٧٨، ومختصر الدول لابن العبري ٢٥٦، والمرزباني ٥٠٧، وآداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٢/٢١٢، ومروج الذهب للمسعودي ٨/١٧٦، وعقود الجوهر لجميل بك العظم ٨٨-١٠٨، وهدية العارفين للبغدادي ٢/٥٣٧-٥٤٤، والخالدون العرب لطوقان ٣٧-٤٦، وتراث العرب لطوقان ١٣٧-١٤٧، ومجاني الأدب لشيخو ٤/٣٠٧ وقال فيه: "إن الكندي نصراني - كذا؟! على عادته فيما فعله لكثير من الجاهليين وبعض علماء الإسلام" وهي شنشنة نعرفها من أخزم!. وقد رد عليه الأب انستاس الكرملي في مجلة لغة العرب وأظهر تحريفه للنصوص وأثبت بما لا يقبل الشك من أن الكندي مسلم من أسرة عريقة في النسب. ويرجع أيضاً لمختصر تاريخ الطب العربي ١/٤١٥.

١: وأحد أبناء ملوكها.

٢: الصحابي الجليل أمير كندة في الجاهلية والإسلام، المتوفى في الكوفة سنة ٤٠ من الهجرة، وكان من ذوي الرأي والإقدام، موصوفاً بالهيبة، وهو أول راكب في الإسلام مشت معه الرجال يحملون الأعمدة بين يديه ومن خلفه، روى له البخاري ومسلم تسعة أحاديث.
انظر ترجمته في: تاريخ ابن عساكر ٣/٦٤، وثمار القلوب ٦٩، وتاريخ بغداد ١/١٩٦، والأعلام للزركلي ١/٣٣٢.

٣: أي أعشى بني قيس بن ثعلبة، مدحه بقصائد أربع طوال:
أولاهن: لعمرك ما طول هذا الزمن.
والثانية: رحلت سمية غدوة أجمالها. =

وكان من آبائه ملوك [على معبد][١] بالمشقر، واليمامة، والبحرين.

وكان [أبوه] إسحاق بن الصباح [أميراً] على الكوفة للمهدي والرشيد، وكان ابنه يعقوب هذا عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم، و[عند] ابنه أحمد. أملاكه بالبصرة[٢]. وتأدب ببغداد، وكان عالماً بالطب والفلسفة، والحساب، والمنطق، واللحون[٣]، والهندسة، وطبائع الأعداد، والنجوم، ولم نجد في الإسلام فيلسوفاً خلف أرسطو سواه!.

له تصانيف كثيرة في فنون العلم[٤].

خدم الملوك، وترجم كثيراً من كتب الفلسفة، وبين ما جمجم[٥] على أهل المعرفة، وأحجم عن مشاورته كل قسورة، وخاتل[٦] دون مساورته كل ابن بهماء مقفرة، وأثرى بعلمه كل مملق، وأربى في يمه كل محملق، وقصَّر لديه حجة كل مناظر، ودرس محجة كل خاطر، وردَّ من عادى كندة من كنود الأبطال، وأكبد بفضلها كبود أهل المطال، حتى خشي من كاد كندة، وخزي بالقبيح لحسن ما عنده، فلو نشر ملكها الضلّيل لما فخر بلسانه قدر ما فخر بإحسانه، ولما حمل

=**والثالثة**: أأزمعت من آل ليلى ابتكارا.

والرابعة: أتهجر غانية أم تلم.

انظر: عيون الأنباء ٢٨٥" .

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوط واستكمل من عيون الأنباء ٢٨٥ .

٢ : **أي**: إنه كان قد ولي الولايات لبني هاشم في البصرة." عيون الأنباء ٢٨٦" .

٣ : **أي**: تاليف الالحان الموسيقية.

٤ : ذكرها ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٢٨٩-٢٩٣ .

٥ : **أي** : ما أشكل، وفي القاموس: الجمجمة أن لا يبين كلامه" مادة جمم" .

٦ : **أي**: مخادع ماكر، " القاموس مادة ختل.

راية الشعراء بيده إلا بعد أخذ أمانه، ولا طلب ثأر أبيه ولو قدر عليه إلى زمانه.

ذكره ابن أبي أصيبعة، وذكر من كلامه قوله في وصية:

[**قوله**] ":وليتق الله المتطبب، ولا يخاطر، فليس عن الأنفس عِوض".

وقوله: " وكما يحب أن يقال له: إنه كان سبب عافية العليل وبرئه، [كذلك فليحذر] أن يقال: إنه كان سبب تلفه وموته".

وقوله – مما أوصى به ولده –: " يا بني! الأب رب، والأخ فخ، والعم غم، والخال وبال، والولد كمد، والأقارب عقارب، وقول: "لا" يصرف البلا[١]، وقول :نعم، يزيل النعم، وسماع الغناء برسام[٢] حاد، لأن الإنسان يسمع فيطرب، وينفق[٣] فيسرف، فيفتقر، فيغتم، فيعتل، فيموت!.

والدينار محموم، فإن صرفته مات، والدرهم محبوس فإن أخرجته فرّ. والناس سخرة، فخذ شيئهم واحفظ شيئك، ولا تقبل ممن قال اليمين الفاجرة [فإنها] تذر الديار بلاقع [٤]".

قلت: وهذا الكندي هو الذي حضر أبا تمام حين أنشد أحمد بن المعتصم

---

١ : **أي**: البلاء.

٢ : **البرسام** – ويكسر – : علةٌ يهذى فيها، وهي فارسي معرَّب، " بر" يعني : صدر، و"سام" يعني: الموت. وقيل: بر: الابن بالسريانية، أي: ابن الموت، والأول هو الأصح، لأن العلة إذا اكانت في الرأس يقال لها: " سرسام" و"سر" هو الرأس. ذكره الجواليقي في المعرَّب ٩٣، ولعل الأقرب للصواب أن برسام مركبة من "بر" بمعنى الصدر، و"سام" ورم أو مرض، لأن البرسام ورم يصيب صدور الناس، ونحوه السرسام . انظر: قصد السبيل للمحبي ١ / ٢٧٠ .

٣ : في الأصل المخطوط: فينفق، وصوابه ما أثبتناه من عيون الأنباء ٢٨٨ .

٤ : البلقع، وبهاء: الأرض القفر، جمعها : بلاقع. قاله في القاموس.

قوله فيـه:

ما في وقوفك ساعة من باس(١)

وهو صاحب الواقعة معه فيها، وهي في موضعها من ذكر أبي تمام أشبه.

ومنهـم:

٩- أحمدُ بنُ الطَّيِّبِ السَّرَخْسيُّ *

أبو العباس.

مفَنَّنٌ جليل المفاخر، متقنٌ لعلوم الأوائل وطرف من علوم الأواخر،هذا إلى خشن مناظرة، وحسن محاضرة، وبوادر أجوبة حاضرة، ونوادر ما أتت بحرازها أهل بادية ولا حاضرة، ومع هذا كله يزن عقله الجبال، ويوقر فضله الجِمال، ويقتدي بفيضه البحر إلا أنه لا يمر، والسحاب إلا أنه الذي ينسكب ولا يدر.

قال ابن أبي أصيبعة: " هو ممن ينتمي إلى الكندي، وعليه قرأ، [ومنه أخذ]، وكان متفنناً في علوم القدماء والعرب، حسن المعرفة، جيد القريحة، بليغ اللسان، مليح التصنيف[والتأليف]، أخذ في النحو والشعر، أوحدَ في [علم]

---

١ : في قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم، وتمام البيت:

ما في وقوفك ساعةً من باس تقضي ذمام الأربع الأدراس

انظر: ديوان أبي تمام – ط المركز العربي للبحث والنشر – ص ١٧٣

* **وقيل**: أحمد بن محمد بن مروان السرخسي، كما ذكر في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ص ٢٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٣ / ٤٤٩ . وانظر ترجمته في: الفهرست لابن النديم – المقالة السابعة: الفن الأول، معجم الأدباء ٣ /٩٨-١٠٢، الوافي بالوفيات ٧ / ٥-٨، لسان الميزان ١ / ١٨٩-١٩٢، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣ /٤٤٨-١١٩ .

النحو والشعر، فصيح الشعر، مليح النادرة، وسمع الحديث. وكان خليعاً ظريفاً"(١).

"وولي حسبة بغداد أيام المعتضد، وكان قبل هذا يعلّمه، وينادمه، وكان يفضي إليه بأسراره، ويستشيره في أمور ملكه، وكان يغلب علم السرخسي على عقله، وقتله(٢) بحيلة دبَّرها الوزير عليه، حتى أخذ خط المعتضد بقتل رجال دسَّه بينهم، فلما قتل سأل عنه المعتضد، فأخبره القاسم أنه قُتل، فأنكر، فأراه خطَّه، فسكت، ومضى بعد أن بلغ السماء رفعة".

ومنهم:

١٠- كنكه الهندي *

من أقدم الحكماء، وأقوم القوم، يبث ما أُنزل في الأرض من خير السماء، وأعلم الكل بما ينبت من العقاقير ذوات الأسماء.

أخذ عنه الحكماء أصحاب النواميس، واستمد اليونان مما وصل من كتبه إلى

---

١ : **انظر**: عيون الأنباء – لابن أبي أصيبعة ٢٩٣ .

٢ : وكان سبب قتل المعتضد إياه اختصاصه به، فإنه أفضى إليه بسر يتعلق بالقاسم بن عبيد الله، وبدر غلام المعتضد، فأفشاه وأذاعه بحيلة من القاسم عليه مشهورة، فسلّمه المعتضد إليهما، فاستصفيا ماله، ثم أودعاه المطامير – وهي الحفر تحت الأرض – فلما كان في الوقت الذي خرج فيه المعتضد لفتح آمد، وقتال أحمد بن عيسى بن شيخ، أفلت من المطامير جماعة من الخوارج وغيرهم، والتقطهم مؤنس الفحل، وكان إليه الشرطة، وخلافة المعتضد على الحضرة، وأقام أحمد في موضعه ورجا بذلك السلامة، فكان قعوده سبباً لمنيته، وأمر المعتضد القاسم بإثبات جماعة ممن ينبغي أن يقتلوا ليستريح من تعلق القلب بهم، فاثبتهم، ووقع المعتضد بقتلهم. فأدخل القاسم اسم أحمد في جملتهم، فيما بعد، فقتل. وكان قبض المعتضد على أحمد بن الطيب في سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتله في الشهر المحرم من سنة ست وثمانين ومائتين. " عيون الأنباء ٢٩٤ .

* **انظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة – صفحة ٤٧٣ .

أرسطوطاليس، وهو الذي لا يرتفع معه ذكر نابه، ولا يقاومه قدر مشابه.

قال ابن أبي أصيبعة: " إنه حكيم بارع من متقدمي حكماء الهند وأكابرهم، وله نظر في صناعة الطب، وقوى الأدوية والطبائع المولدات، وخواص الموجودات، وكان من أعلم الناس بهيئة العالم، وتركيب الأفلاك وحركات النجوم".

وقال أبو معشر(١) : " إن كنكه هو المتقدم في علم النجوم عند جميع علماء الهند في سالف الدهر".

قلت : ومنها كتاب في "أحداث العالم والدور في القرآن " . وهذا كتاب مُجدٍ لو وجد، وهيهات!!(٢).

ومنهم:

١١- صنجهل الهندي

وهو ثانيه في الرتبة، وثالثه في صعود الهضبة، فلو نطقت النجوم لما عدَّت شكره، أو العلوم لما عدَّت إلا برَّه.

قال ابن أبي أصيبعة : " كان من علماء الهند وفضلائهم، الخبيرين بعلم الطب والنجوم"(٣).

---

١ : جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب "الألوف" على ما ذكره ابن أبي أصيبعة – ص ٤٧٣ .

٢ : وقد ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء، وزاد عليه : "كتاب النموذار في الأعمار"، وكتاب" أسرار المواليد"، وكتاب:" القرانات الكبير"، وكتاب:" القرانات الصغير"، وكتاب:" الطب" وهو يجري مجرى الكناش، وكتاب في التوهم. انظر: المرجع السابق ٤٧٣ .

٣ : انظر: ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء ٤٧٣ .

ومنهم:

١٢- أَبُو نَصْرٍ الفَارَابِـيُّ *

محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان(١).

من أهل مدينة فاراب(٢) من مدن الترك في أرض خراسان، وكان أبوه قائد جيش وهو فارسي المنتسب، وكان ببغداد مدة ثم انتقل إلى الشام، وأقام به إلى

* **انظر ترجمته في**: الفهرست ٣٦٨، وطبقات الأمم لابن صاعد ٥٣-٥٤، وتاريخ الحكماء للقفطي ٢٧٧-٢٨٠، وطبقات الأطباء لابن جلجل ٦٠٣-٦٠٩، والكامل في التاريخ ٨/ ٤٩١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٩٩، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٥/ ١٥٣-١٥٧، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٦٠٣، وتاريخ حكماء الإسلام ٣٠، ودول الإسلام ١/ ٢١١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤١٦-٤١٨ رقم ٢٣١، والعبر ٢/ ٢٥١، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٨٤-٢٨٥، والوافي بالوفيات ١/ ١٠٦-١١٣، ومرآة الجنان ٢/ ٣٢٨-٣٣١، والبداية والنهاية ١١/ ٢٢٤، والسيف المهنَّد لبدر الدين العيني ٧٨-٧٩، وشذرات الذهب ٢/ ٣٥٠-٣٥٤، وكشف الظنون ٥٢ وغيها، وهدية العارفين ٢/ ٣٩، وديوان الإسلام ٣/ ٤١٥-٤١٧ رقم ١٦١٥، ومفتاح السعادة ١/ ٢٥٩، والأعلام للزركلي ٧/ ٢٠، ومعجم المؤلفين ١١/ ١٩٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٥/ ١٨٢ .

١: هكذا في الأصل المخطوط، وكذا عند ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء. وورد في تاريخ الإسلام وغيره: "ابن طرخان بن أوزلغ".

٢: قال ابن خلكان: والفارابي: بفتح الفاء والراء، وبينهما ألف، وبعد الألف الثانية باء موحدة، هذه النسبة إلى فاراب، وتسمى في هذا الزمان :أُطرار، بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة، وبين الراءين ألف ساكنة، وقد غلب عليها هذا الاسم، وهي مدينة فوق الشاش، قريبة من مدينة بلاساغون، وجميع أهلها على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وهي قاعدة من قواعد مدن الترك، ويقال لها: فاراب الداخلة، ولهم فاراب الخارجة، وهي في أطراف بلاد فارس. وبلاساغون: بفتح الباء الموحدة واللام ألف والسين المهملة، وبعد الألف غين معجمة ثم واو ساكنة وبعدها نون: وهي بلدة في ثغور الترك، وراء نهر سيحون، بالقرب من كاشْغر. **انظر**: وفيات الأعيان ٥/ ١٥٧ .

حين وفاته.

وكان – رحمه الله – فيلسوفاً كاملاً، وإماماً فاضلاً، بحراً منه يُغرف، وحبراً له يعرف، قد أتقن العلوم الرياضية، زكي النفس، قويَّ الذكاء، متجنِّباً عن الدنيا، مقتنعاً منها بما يقوم به أوده[١]، ويسير سيرة الفلاسفة المتقدِّمين، وكان له قوة في صناعة الطب، وعلم بالأمور الكلية منها، ولم يباشر أعمالها، ولا حاول جزئياتها.

قال ابن أبي أصيبعة: " وحدَّثني سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي الآمدي[٢] – رحمه الله تعالى – : أن الفارابي كان في أول أمره ناطوراً في بستان بدمشق، وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها، والتطلع إلى آراء المتقدمين وشرح معانيها، وكان ضعيف الحال، حتى إنه كان في الليل يسهر بالمطالعة والتصنيف، ويستضيء بالقنديل الذي للحارس، وبقي كذلك مدة.

ثم إنه عظم شأنه، وظهر فضله، واشتهرت تصانيفه، وكثرت تلاميذه، وصار أوحد زمانه، وعلاّمة وقته. واجتمع به الأمير سيف الدولة أبو الحسن علي بن

---

١ : أي: بما يقيم صلبه، ويحفظ قوته" القاموس مادة أيد".

٢ : أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الحنبلي ثم الشافعي المتكلم، العلاّمة، صاحب التصانيف العقلية. ولد بعد الخمسين وخمسمائة بآمد، وقرأ القراءات والفقه، ودرس على ابن المنّي، وسمع من ابن شاتيل، ثم تفقه للشافعي علي بن فضلان، وبرع في الخلاف، وتفنن في علم النظر، والكلام، والحكمة، وكان ذكياً من أذكياء العالم، أقرأ بمصر مدة فنسبوه إلى دين الأوائل، ووضعوا خطوطهم بما يستباح به الدم، فخرج مستخفياً إلى الشام، فنزل حماة وصنف في الأصلين والحكمة والمنطق، ثم اعتزل في بيته إلى وفاته سنة ٦٣١ من الهجرة. **انظر ترجمته في**:" وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣، وطبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٣٠، وطبقات الأسنوي ١/ ١٣٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٥، وشذرات الذهب ٧/ ٢٥٣ .

عبد الله بن حمدان التغلبي[1]، وأكرمه إكراماً كثيراً، وعظمت منزلته عنده، وكان له مؤثراً.

ونقلت من خط بعض المشايخ، أن أبا نصر الفارابي سافر إلى مصر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، [ورجع إلى دمشق، وتوفي بها سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة]، عند سيف الدولة علي بن حمدان، وفي خلافة الراضي، وصلى عليه سيف الدولة في خمسة عشر رجلاً من خاصته[2].

ويذكر أنه لم يكن يتناول من سيف الدولة من جملة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم، يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه، ولم يكن معتنياً بهيئة، ولا [منزل] ولا مكسب. ويذكر أنه كان يغتذي بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط. ويذكر أنه كان في أول أمره قاضياً، فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك، وأقبل بكليته على تعليمها، ولم يسكن إلى نحو من أمور الدنيا البتة.

ويذكر أنه كان يخرج إلى الحرَّاس في الليل من منزله، يستضيء بمصابيحهم فيما يقرؤه، وكان في علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها، وأتقنها إتقاناً لا مزيد عليه. ويذكر أنه صنع آلة غريبة يسمع منها ألحان بديعة، يحرك بها الانفعالات.

ويذكر أن سبب قراءته للحكمة أن رجلاً أودع عنده جملة من كتب أرسطوطاليس، فاتفق أنه نظر فيها، فوافقت منه قبولاً وتحرك إلى قراءتها، ولم يزل

---

١ : صاحب حلب، اشتهر بشجاعته وحمايته للعلماء منهم المتنبي، وأبو فراس، والفارابي الفيلسوف، ورفع إليه أبو الفرج كتابه الأغاني.

٢ : وكانت وفاته بدمشق، وصلى عليه سيف الدولة، وعاش نحواً من ثمانين سنة، ومات في رجب، سنة ثلاثمائة وتسعة وثلاثين، ودفن بمقبرة باب الصغير.

إلى أن أتقنها فهماً، وصار فيلسوفاً بالحقيقة.

ونقلت من كلام لأبي نصر الفارابي في معنى [اسم] الفلسفة، قال: " اسم الفلسفة: يوناني، وهو دخيل إلى العربية، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفاً، ومعناه إيثار الحكمة. وهو مركب من:" فيلا" ومن :" سوفيا" . فـ:"فيلا" الإيثار. و"سوفيا" : الحكمة.

والفيلسوف مشتق من :" الفلسفة" وهو على مذهب لسانهم:" فيلسوفوس" . فإن هذا التغيير هو تغيير كثير من الاشتقاقات عندهم، ومعناه: المؤثر للحكمة. والمؤثر للحكمة هو الذي يجعل الوكد[١] من حياته، وغرضه من عمره الحكمة.

وحكى أبو نصر الفارابي في ظهور الفلسفة ما هذا نصه، قال:" إن أمر الفلسفة اشتهر في أيام ملوك اليونانيين، بعد وفاة أرسطوطاليس بالاسكندرية إلى آخر أيام المرأة. وأنه لما توفي بقي التعليم بحاله فيها، إلى أن ملك ثلاثة عشر ملكاً، وتوالى في مدة ملكهم من معلمي الفلسفة اثنا عشر معلماً أحدهم المعروف بـ"أندرو نيقوس" . وكان آخر هؤلاء الملوك المرأة، فغلبها أوغسطس الملك من أهل رومية، وقتلها، واستحوذ على الملك، فلما استقر له نظر في خزائن الكتب وصنعتها، فوجد فيها نسخاً من كتب أرسطوطاليس، قد نسخت في أيامه، وأيام ثاوفرسطس، ووجد المعلمين والفلاسفة قد عملوا كتباً في المعاني التي عمل فيها أرسطو [فأمر أن تنسخ تلك الكتب، التي كانت نسخت في أيام أرسطو][٢] وتلاميذه، وأن يكون التعليم منها، وأن ينصرف عن الباقي.

١ : **قال في القاموس:**" وكد يكد وكوداً: أقام، وقصد، وأصاب. والوُكد: السعي، والجهد. والوَكد بالفتح: المراد، والهم، والقصد" . مادة: وكد" .

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من عيون الأنباء ٦٠٤ .

وحكم أندرونيقوس في تدبير ذلك، وأمره أن ينسخ نسخاً يحملها معه إلى رومية، [ونسخاً يبقيها في موضع التعليم بالاسكندرية، وأمره أن يستخلف معلماً يقوم مقامه بالاسكندرية، ويسير معه إلى رومية] .فصار التعليم في موضعين، وجرى الأمر على ذلك، إلى أن جاءت النصرانية، فبطل التعليم من رومية، وبقي بالاسكندرية إلى أن نظر ملك النصرانية في ذلك، واجتمعت الأساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا العلم وما يبطل. فرأوا أن يعلم من كتب المنطق إلى آخر الأشكال الوجودية، ولا يعلَّم ما بعده ، لأنهم رأوا أن في ذلك ضرراً على النصرانية، وأن فيما أطلقوا تعليمه ما يستعان(١) به على نصرة دينهم، فبقي الظاهر من التعليم هذا المقدار، وما ينظر فيه من الباقي مستوراً، إلى أن كان الإسلام بعده بمدة طويلة، فانتقل التعليم من الاسكندرية إلى أنطاكية، وبقي بها زمناً طويلاً ، إلى أن بقي معلم واحد، فتعلم منه رجلان، وخرجا ومعهما الكتب، وكان أحدهما من أهل حران، والآخر من أهل مرو.

فأما الذي من أهل مرو: فتعلم منه رجلان، أحدهما: [إبراهيم] المروزي. والآخر: يوحنا بن جيلان.

وتعلم من الحراني :[إسرائيل] الأسقف وقويري، وساروا إلى بغداد، فتشاغل إبراهيم بالدين، وأخذ قويري في التعليم. وأما يوحنا بن جيلان: فإنه تشاغل أيضاً بدينه.

وانحدر إبراهيم المروزي إلى بغداد، فأقام بها، وتعلم من المروزي متى بن يونان. وكذلك الذي يتعلم في ذلك الوقت إلى آخر الأشكال الوجودية.

وقال أبو النصر الفارابي عن نفسه: إنه تعلم من يوحنا بن جيلان، إلى آخر

١: في الأصل المخطوط: " لا يستعان" والصواب ما أثبتناه من عيون الأنباء.

كتاب البرهان. وكان يسمى ما بعد الأشكال الوجودية الجزء الذي لا يقرأ، إلى أن قرئ بعد ذلك، وصار الرسم بعد ذلك حيث صار الأمر إلى معلمي الإسلام أن يقرأ من الأشكال الوجودية إلى حيث قدر الإنسان أن يقرأ. فقال أبو نصر: إنه قرأ إلى آخر كتاب البرهان.

وحدَّثني عمي رشيد الدين أبو الحسن علي بن خليفة – رحمه الله –: أن الفارابي توفي عند سيف الدولة بن حمدان في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وكان أخذ الصناعة عن يوحنا بن جيلان، ببغداد، وكان في أيام المقتدر، وكان في زمانه أبو البشر متى بن يونان، وكان أسنَّ من أبي نصر، وكان أبو نصر أحدَّ ذهناً منه، وأعذب كلاماً، وتعلم أبو البشر متى من إبراهيم المروزي، وتوفي أبو البشر في خلافة الراضي فيما بين سنة ثلاث وعشرين إلى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. وكان يوحنا بن جيلان، وإبراهيم المروزي قد تعلما جميعاً من رجل من أهل مرو.

وقال الشيخ أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني في معلقاته: إن يحيى بن عدي أخبره أن متَّى قرأ إيساغوجي[١] على إنسان نصراني. وقرأ قاطيغورياس وبارمينياس على إنسان يسمى روبيل، وقرأ كتاب القياس على أبي يحيى المروزي[٢].

---

١ : **إيساغوجي**: لفظ يوناني معناه الكليات الخمس، أي: الجنس، والنوع، والفصل، والخاصة، والعرض العام. وهو باب من الأبواب التسعة للمنطق المشهور والمتداول في زماننا هو المختصر المنسوب إلى الفاضل أثير الدين الأبهري، وهو مشتمل على ما يجب استحضاره من المنطق، سمي إيساغوجي مجازاً من باب إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل، أو المظروف على الظرف، أو تسمية الكتاب باسم مقدمته. انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة.

٢ : **انظر**: عيون الأنباء ٦٠٤–٦٠٥.

وقال القاضي صاعد بن أحمد بن صاعد، في كتاب " التعريف بطبقات الأمم" : إن الفارابي أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن جيلان(١)، المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر، فبزَّ(٢) جميع أهل الإسلام فيها، وأربى عليهم في التحقيق بها، وشرح غامضها، وكشف سرَّها، وقرّب تناولها، وجمع ما يحتاج إليه منها في كتب صحيحة العبارة، لطيفة الإشارة، منبِّهة على ما أغفله الكندي وغيره، من صناعة التحليل، وإيحاء التعاليم. وأوضح القول فيها عن موادِّ المنطق الخمس، وإفادة وجوه الانتفاع بها، وعرَّف طرق استعمالها، وكيف تصرف صورة القياس في كل مادة منها. فجاءت كتبه في ذلك الغاية القصوى، الكافية، والنهاية الفاضلة.

ثم له بعد ذلك كتاب شريف في إحصاء العلوم، والتعريف بأغراضها، لم يسبق إليه، ولا ذهب أحدٌ مذهبه فيه، لا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به، وتقديم النظر فيه.

وله كتاب في "أغراض فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس" . يشهد له بالبراعة في صناعة الفلسفة والتحقيق بفنون الحكمة، وهو أكبر عون على تعلم طريق النظر، وتعرّف وجوه الطلب، اطَّلع فيه على أسرار العلوم، وثمارها علماً [علماً]، وبين كيف التدرج من بعضها إلى بعض [شيئاً فشيئاً].

ثم بدأ بفلسفة أفلاطون، فعرف غرضها منها، وسمّى تواليفه(٣) فيها.

ثم أتبع ذلك بفلسفة أرسطو، فقدَّم له مقدِّمة جليلة، عرف فيها بتدرجه إلى

١ : تاريخ الحكماء ٢٧٧، والتعريف بطبقات الأمم لابن صاعد ١٣٧ .

٢ : **أي** : فاقهم، وغلب عليهم" القاموس ماد بز" .

٣ : **أي**: مصنفاته وتآليفه.

فلسفته ، ثم بدأ بوصف أغراضه في تواليفه المنطقية والطبيعية، كتاباً كتاباً، حتى انتهى به القول في النسخة الواصلة إلينا إلى أول العلم الإلهي، والاستدلال بالعلم الطبيعي عليه. ولا أعلم كتاباً أجدى على طالب الفلسفة منها، فإنه يعرِّف بالمعاني المشتركة لجميع العلوم، والمعاني المختصة بعلم علم منها. ولا سبيل إلى معاني قاطيغورياس وكيف هي[١] الأوائل الموضوعة لجميع العلوم.

ثم له بعد ذلك في العلم الإلهي والعلم المدني كتابان لا نظير لهما، أحدهما المعروف بـ: " السياسة المدنية" . والآخر المعروف بـ: " السيرة الفاضلة. عرَّف فيهما بجمل عظيمة من العلم الإلهي، على مذهب أرسطوطاليس، في [المبادئ الستة] الروحانية، وكيف يؤخذ عنها الجواهر الجسمانية، على ما هي عليه من النظام، واتصال الحكمة. وعرَّف فيها مراتب الإنسان وقواه النفسانية، وفرَّق بين الوحي والفلسفة، ووصف أصناف المدن الفاضلة، واحتياج المدينة إلى السيرة الملكية، والنواميس النبوية[٢].

أقول[٣] : وفي التاريخ: أن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج[٤]،

---

١ : في الأصل المخطوط: " بين" والصواب ما أثبتناه من التعريف بطبقات الأمم لابن صاعد ١٣٩، وعيون الأنباء ٦٠٦ .

٢ : **انظر** : التعريف بطبقات الأمم لابن صاعد ١٣٩–١٤٠ .

٣ : والقول لابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٦٠٦ .

٤ : محمد بن السري بن سهل، أبو بكر السراج، أحد أئمة الأدب والعربية، من أهل بغداد، كان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً، ويقال: مازال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله. مات شاباً ، وكان عارفاً بالموسيقى. من كتبه : الأصول، في النحو، وشرح كتاب سيبويه، والشعر والشعراء، والخط والهجاء ، وغيرها. توفي سنة ٣١٦هجرية.

انظر ترجمته في: بغية الوعاة ٤٤، والوفيات ١ /٥٠٣، وطبقات النحويين واللغويين ١٢٢، والأعلام للزركلي ٦ /١٣٦ .

يقرأ عليه صناعة المنطق. وكان الفارابي يشعر أيضاً.

وسأل بعضهم أبا نصر: أيما أعلم أنت أم أرسطو؟.

فقال: لو أدركته لكنت أكبر تلامذته![1].

ويذكر عنه أنه قال: قرأت السماع لأرسطو أربعين مرة، وأرى أنني محتاج إلى معاودته.

ومن شعر أبي نصر :[البسيط]

لَمّا رأيتُ الزَّمانَ نُكْسَاً ... وَلَيس في الصُّحبَةِ انتفاعُ
كُلُّ رئيس به مَلالٌ ... وكلُّ رأسٍ بِه صُداعُ
لَزِمتُ بَيتي وَصِنْتُ عِرضَاً ... بِه مِنَ العِزَّةِ اقتناعُ
أشْرَبُ مما اقتَنَيت راحَاً ... لَها عَلى رَاحتي شُعَاعُ
لِي مِنْ قَواريرِها نَدَامَى ... ومِن قَراقيرِهَا سَمَاعُ
وأجتَنِي مِن حَديث قَومٍ ... قَد أقْفَرَت مِنهُم البِقَاعُ

وقال أيضاً :[المتقارب]

أخي خَلِّ حَيِّزَ ذي بَاطِلٍ ... وكُنْ للحَقَائِق فِي حَيِّزِ
فَمَا الدَّارُ دَارَ خُلودٍ لَنَا ... ولا المرءُ في الأرض بِالْمُعجِزِ
وهَل نَحْنُ إلا خُطُوطٌ وَقَعْنَ ... عَلى كُرةٍ وقعَ مُستَوفِزِ
يُنافِسُ هَذَا لِهَذَا عَلَى ... أقلّ من الكَلِمِ المُوجَزِ
مُحِيطُ السَّمَاوات أَولى بِنَا ... فَكَمْ ذَا التزاحُمُ في المَرْكَزِ

---

١ : تاريخ الإسلام ٢٥ / ١٨٢ .

ومنهم:

١٣- يحيى بن عدي*

أبو زكرياء المنطقي. حكيم علمه والودق[١] شيئان، وقلمه والبرق سيَّان.

كان أول حاله علماً في ملته، ومعلماً لأهل قبلته، وعُرف بالمنطق مع أنه بعض علومه، ومن جملة ما دخل من الخصائص في عمومه، وأضاءت له من الأدب لُمع تمَّمت فضائله، ونمَّت هلاله، والبدور الكوامل متضائلة.

قال ابن أبي أصيبعة: " انتهت إليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته، وكان أوحد دهره في مذهب النصارى اليعقوبية، وكان كثير الكتابة، وكتب تفسير الطبري مرتين. وقال: لعهدي بنفسي أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة، وأقل!!.

وأوصى أن يكتب على قبره[٢]:[**الخفيف**]

رُبَّ مَيْتٍ قد صار في العلم حيَّاً ومبقَّى قد مات جهلاً وعَيَّا
فاقتنوا العِلمَ كي تَنَالوا خُلُودا لا تَعُدُّوا الحَيَاة في الجَهْلِ شَيَّا[٣]

---

* انظر ترجمته في: عيون الأنباء ٣١٧-٣١٨، وتاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي ١١٢.

١: انظر تاريخ الإسلام٢٥/١٨٢.

٢: الودق: المطر" القاموس مادة ودق.

٣: **ومن كلامه**: " لم يعرف الحق من لم ينفصل عن الباطل". و: "العاقل لا يغتر بالمرتقى السهل إذا كان المنحدر وعراً". و: " العاقل مع خشونة العيش عند العقلاء، أسر منه مع لين العيش مع السفهاء".

انظر: تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ١١٢.

ومنهم:

١٤- أَبُو بَكرٍ مُحَمَّدُ بنُ زَكَرِيَّاءَ الرَّازِيُّ *

لم يبق علم ما أتى منه بجذوة، ولا عالم إلا ولديه حبوة، تفنن في أنواع العلوم، فقرأ منها ما أوقر حمل خاطره، وملأ إناء ماطره. وكان فكره المقترح شرر زناد، ونظره الملتمح شرك ازدياد، وفضله المنوّع جمّ المذاهب، وجماع المحاسن الذواهب. وأكثر النقل يقف عنده سلسلته، وأعمق المشكل به تعرف مسألته.

قال ابن أبي أصيبعة: " مولده ومنشؤه بالري(١)، وسافر إلى بغداد وأقام بها مدة، وكان نهماً في العلوم العقلية، مشتغلاً بها، وتعلم الأدب، ونظم الشعر".

قال: " وكان سبب تعلمه الطب أنه لما أتى مدينة السلام دخل البيمارستان العضدي(٢)، فرأى الصيدلاني به، فسأله عن الأدوية ومن كان المظهر لها؟ فقال

* **انظر ترجمته في**: طبقات الحكماء لابن جلجل٧٧، والفهرست لابن النديم ٥٠٤، وطبقات الأمم لصاعد ١٣٧، وتاريخ الحكماء ٢٧٨-٢٨٢، وعيون الأنباء ٤١٤-٤٢٧، وتاريخ مختصر الدول ١٥٨، ووفيات الأعيان ٥/١٥٧-١٦١، رقم ٧٠٧، والعبر ٢/ ١٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٥٤-٣٥٥، ودول الإسلام ١/ ١٨٨، والوافي بالوفيات ٣/ ٧٥-٧٧، ونكت الهميان ٢٤٩-٢٥٠، ومرآة الجنان ٢/ ٢٦٣-٢٦٤، والبداية والنهاية ١١/ ١٤٩، وتاريخ الخميس ٤/ ٣٨٩-٣٩٠، وشذرات الذهب ٢/ ٢٦٣، وروضات الجنات ١٦٥-١٦٦، وكشف الظنون ٥٧٧، وغيرها، وهدية العارفين ٢/ ٢٧، وديوان الإسلام ٢/ ٣٤٠-٣٤٣ رقم ١٠٠٧، والأعلام للزركلي ٦/ ١٣٠، ومعجم المؤلفين ١٠/ ٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٣/ ٤٢٦-٤٢٧ .

١ : **الري**: بفتح أوله وتشديد يائه: مدينة مشهورة من أمهات المدن وأعلام البلاد، في جنوب شرقي طهران بإيران، قيل إنها مسقط رأس زرادشت، دخلها الإسكندر المقدوني ثم صارت بعده للسلوقيين، وفتحها المسلمون في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فتحها عروة بن زيد الخيل الطائي،سنة عشرين من الهجرة. وفيها ولد هارون الرشيد ، وينسب إليها كثير من العلماء انظر: معجم البلدان لياقوت ٢/ ٨٩٢-٨٩٩ . والموسوعة العربية الميسرة.

٢ : **البيمارستان العضدي**: هو أشهر البيمارستانات العباسية وأوسعها، أنشأه عضد الدولة البويهي=

له : إن أول ما عرف منها : "حي العالم"(١)، وذلك أن رجلاً كان به ورم حار في ذراعه، فلما أشفى منه ارتاح إلى الخروج إلى شاطئ نهر، فحمل إليه، وكان عليه نباته، فوضع يده عليه تبرُّداً به، فخفَّ ألمه بذلك، فاستطال وضعها عليه، ثم أصبح ففعل ذلك ، فبرأ، فلما رأى الناس سرعة برئه، علموا أنه إنما كان بما وضع يده عليه، فسموه : " حياة العالم" [وتداولته الألسن وخففته وسمي : حي العالم"] . ثم جففوه، ثم لم يزل الرازي يسأل حتى حسن له التعليم فتعلَّم" .

قال : " والذي صحَّ عندي أن الرازي كان أقدم زماناً من عضد الدولة بن بويه، وإنما كان تردده إلى المارستان قبل أن يجدد"(٢) .

وقال ابن جلجل : " إن الرازي كان في ابتداء أمره يضرب بالعود، ثم أكب على النظر في الفلسفة والطب، فبرع براعة المتقدمين" .

وقال ابن صاعد : " إنما لم يوغل في العلم الإلهي ولا فهم غرضه الأقصى، فاضطرب رأيه وتقلَّد آراء سخيفة، وانتحل مذاهب خبيثة، وذمَّ أقواماً لم يفهم

=أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه المتوفى سنة ٣٧٣هجرية – في الجانب الغربي ببغداد سنة ٣٧٢ من الهجرة، وزوده بما يحتاج إليه من الأطباء والممرضين والخدم والطباخين والأدوات الطبية، وألحق به بيمارستاناً للمجانين، وقد عمل فيه ما يزيد على الستين طبيباً في مختلف الاختصاصات. والبيمارستان : لفظة فارسية استعملها العرب، ومعناه : " مجمع المرضى" . لأن : "بيمار" معناه : المرض. و"ستان" : هو الموضع. وأول من صنعه أبو قراط، وسماه : "اخشندوكين"، قال الخفاجي : تنطقه العرب المارستان. انظر : قصد السبيل للمحبي ١ / ٣٢٠، ومختصر تاريخ الطب العربي ١ / ٥٤٢، وشفاء الغليل للخفاجي ٧٩، والمعجم الذهبي ١٣٠ / ٣٣٣ .

١ : هو جنس نباتات عشبية لحمية معمرة تزرع لزهرها وللتزيين من فصيلة المخلدات . عيون الأنباء ٤١٥ .

٢ : عيون الأنباء – لابن أبي أصيبعة – صفحة ٤١٥ .

عنهم، ولا اهتدى لسبيلهم"[١].

وكان يتنقل في البلدان، وكان كريماً متفضلاً بارّاً بالناس، محسناً إلى الفقراء، يجري عليهم الجرايات الواسعة، ويمرِّضهم، وكان لا يفارق التسويد والتبييض، وكان في بصره رطوبة لكثرة أكل الباقلاء، ثم عمي آخر عمره" .

قال التنوخي[٢]: " إن غلاماً قدم الري وهو ينفث الدم، فأحضر إليه الرازي، فلم تظهر له علائم سلٍ[٣] ولا قرحة[٤]. فسأله: متى بدأ به المرض؟. فقال: من الطريق. فسأله: عن المياه التي شربها في طريقه؟. فأخبره أنها من الصهاريج[٥]، ومستنقعات الأرض. فوقع في نفس الرازي أنه ابتلع علقة ، وأن نفث الدم منها. فقال له: إذا كان في غدٍ، جئتك فداويتك، ثم لا أنصرف عنك حتى تبرأ، بشرط أن تأمر غلمانك أن يطيعوني فيك بما آمرهم. فقال: نعم. فلما أصبح أتاه بطحلب[٦] كثير، وقال له: ابتلع هذا!، فابتلع يسيراً، ثم قال: لا أستطيع.

---

١ : **انظر**: التعريف بطبقات الأمم لصاعد الأندلسي – ١٣٧ .

٢ : **القاضي المحسّن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري**، أبو علي، قاضٍ، من العلماء الأدباء، الشعراء، ولد ونشأ في البصرة، وولي القضاء في جزيرة ابن عمر، وعسكر مكرم، وتقلّد أعمالاً. وسكن بغداد، فتوفي فيها. سنة ٣٨٤هجرية. ومن كتبه: " الفرج بعد الشدة "وعنه نقل المصنف وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء. وله كتاب: "نشوار المحاضرة"، و"ديوان شعر"، و"المستجاد من فعلات الأجواد" . انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١ /٤٤٥، ويتيمة الدهر ٢ /١١٥، والنجوم الزاهرة ٤ /١٦٨، والأعلام للزركلي ٥ /٢٨٨ .

٣ : **السل**: مرض يصيب الرئة.

٤ : **القرحة**: مرض يتقرح فيه الغشاء المخاطي للجهاز الهضمي.

٥ : **الصهريج**: حوض يجتمع فيه الماء، كلمة فارسية معربة. انظر: قصد السبيل ٢ /٢٣٧ .

٦ : **الطحالب**: نباتات تعيش في البحار والمياه الحلوة، وهي من مستورات الزهر لا تتميز في أجسامها السيقان والأوراق والجذور.

فأمر الغلمان بأن ينيِّموه على قفاه، ويفتحوا فاه، ثم جعل يبلعه الطحلب كرهاً، ويطالبه ببلعه، والرجل يستغيث!، والرازي لا يكف، إلى أن ذرع[١] الرجل القيء، فقذف ما في جوفه، وإذا به قد اعتلقت به علقة، لأن الطحلب لما وصل إليها قرمت[٢] إليه بالطبع، والتفَّت عليه. ثم قام الرجل معافىً.

وقال ابن معرِّف[٣]: " كان الرازي يقول: أنا لا أسمي فيلسوفاً إلا من علم صناعة الكيمياء، لأنه يكون قد استغنى عن [التكسب من أوساخ] الناس، وتنَّزه عما في أيديهم، [ولم يحتج إليهم]."

وحكي أن الوزير أكل عند الرازي أطعمة استطابها، فتحيَّل في مشتري طباخته ثم لم يجد بطبيخها له ما في نفسه، فسألها عن السبب؟ فأخبرته أن قدور الرازي، وماعونه كله ذهب وفضة!. فسأله أن يعلمه علم الكيمياء. فأنكره، فخنقه بوتر[٤].

ومن كلامه قوله:

"الحقيقة في الطب غاية لا تدرك، والعلاج [بما تنصه] الكتب دون إعمال الماهر الحكيم برأيه خطر".

وقوله: " العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الأرض، فعليك بالأشهر مما أجمع عليه، [ودع الشاذ]، واقتصر على ما جرَّبت".

١: يقال: ذرع القيء فلاناً: أي غلبه وسبقه. انظر: القاموس مادة "ذرع".

٢: قرمت أي: اشتدت شهوتها إليه، وفي الأصل المخطوط "رمت" والصواب أثبتناه من عيون الأنباء ٤١٧.

٣: ورد في الأصل المخطوط" ابن معروف" والصواب ما أثبتناه من طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة – ص ٤١٩، وترجمته فيه ٥٧١، وهو: بلمظفر نصر بن محمود بن المعرف.

٤: قال في تاريخ الإسلام: توفي ببغداد سنة ٣١١هجرية، وكان على مارستان بغداد زمن المكتفي.

انظر: تاريخ الإسلام ٢٣/ ٤٢٦–٤٢٧، وعيون الأنباء – بتصرف – ص ٤١٩.

وقوله : " الأمراض الحارة أقتل من الباردة لسرعة حركة النـار" .

وقوله : " ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً الصحة، وإن كان غير واثق بها، فمزاج البدن تابع لأخلاق النفس" .

وقوله : " ينبغي للمريض أن يقتصر على واحد ممن يوثق به من الأطباء، فخطؤه في جنب صوابه يسير جداً" .

وقوله : " من يتطبب عند كثير من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم" .

وقوله : " بانتقال الكواكب الثابتة في الطول والعرض تنتقل الأخلاق والمزاجات" .

وقوله : " إن استطاع الحكيم أن يعالج [بالأغذية] دون الأدوية فقد وافق السعادة" . ومن شعره [**الطويل**](١)

لَعَمـريَ مَا أدري وَقَد آذنَ البِلَى … بِعَاجِلِ تَرحَالٍ؛ إلى أينَ ترحالِي؟
وأينَ مَحِلُّ الرُّوحِ بَعْدَ خُروجِه … من الهَيكلِ المنحَلّ والجسَدِ البَالِي؟

ومنهم:

١٥ - أَبُو سُلَيمانَ السَّجستاني*

حكيم حكي من فضله العجائب، وجيء من سجله بالسحائب، ويعد في العلم الجم قليبه، وسعد بالسقيا به بعيده وقريبه، انبعث طبه في العلل انبعاث

١ : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤١٤ .

* انظر ترجمته في : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة صفحة ٤٢٧-٤٢٨ .

النفوس في الأبدان، والشموس في البلدان، ولم يزل حتى اطلع بعلم، واضطلع من كل مهم، فاستعطفت الأجسام أرواحها، واستكفت المنايا رماحها، فأضحت به الصحة مضمونة، والسلامة محققة وكانت مظنونة، اللهم إلا ما آن لبقية أنظرت، وآجال بها علمت نفس ما أحضرت، وتلك العقرب التي لا يتوقى لها دبيب، والداء الذي أعيا دواؤه كل طبيب.

قال ابن أبي أصيبعة : " هو أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي. كان متقناً للعلوم الحكمية، مطّلعاً على دقائقها. واجتمع بيحيى بن عدي[1]، وأخذ عنه وكان له نظر في الأدب ، **وشعر ، ومنه قوله**[2]:[**الكامل**]

لا تحسدن على تظاهر نعمة ... شخصاً تبيت له المنون بمرصد
أو ليس بعد بلوغه آماله ... يفضي إلى عدم كأن لم يوجد؟
لو كنت أحسد ما تجاوز خاطري ... حسد النجوم على بقاء مرصد

وقوله :[الكامل]

الجوع يدفع بالرغيف اليابس ... فعلام أكثر حسرتي ووساوسي
والموت أنصف، حين ساوى حكمه ... بين الخليفة والفقير البائس

قوله :[الخفيف]

لذة العيش في بهيمية اللذة ... لا ما يقوله الفلسفي
حكم كاس المنون أن يتساوى ... في حساها الغبي والألمعي[3]
ويحل البليد تحت ثرى الأر ... ض كما حل تحتها اللوذعي[4]

---

١ : سبقت ترجمته .

٢ : عيون الأنباء ٤١٤ .

٣ : **الألمعي**: الذكي والمتوقد ذكاء.

٤ : **اللوذعي**: الذكي الذهن، الحاد الفؤاد، أو الفصيح اللسان.

أصبحا رمة[1] تزايل عنها فصلها الجوهري والعرضيّ
وتلاشى كيانها الحيواني وأودى تميزها المنطقي
والحواس الخمس التي كنَّ فيها ولإدراكهن فعل وحي
فاسأل الأرض عنهما إن أزال الشـ ـك والمرية[2] الجواب الخفي
بطلت تلكم الصفات جميعاً ومحالٌ أن يبطل الأزلي[3]

١ : **الرمة** : القطعة البالية، والمهترئة.

٢ : **المرية** : الجدل والشك.

٣ : انظر الأبيات في عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة – صفحة ٤٢٨ .

ومنهم:

١٦- ابنُ الخَمَّار*

وهو أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا [بن بهنام] [١].

طبيب شفى طبُّه الأمراض، وكفى قربه منافياً للأعراض، لم يوجد في كلامه الفضول، ولم يوجد إلا الفصول، وقع بحدسه الصائب على الوجع، واستعاد ذاهب الصحة وارتجع، وأحسن الاستدلال بالعلامات، والاستقلال بعلاج من حيي ومات، ولم يزل وما إن طرَّ شاربه[٢]، ولا استقل بحبله غاربه[٣]، مكباً على الطلب، وقد وُكِّل به منه طرفاً لا يهجع، وإنسان عين بسوى فقد النظر لا يفجع، حتى انتقلت إلى أحناء صدره تلك الأوقار[٤]، وبقي على هذا حتى تقضَّت تلك اللبانات والأوطار[٥].

* **انظر ترجمته في**: الفهرست لابن النديم ص ٢٦٥، وصوان الحكمة للسجستاني ١٤٤-١٤٥، وفيه يذكره باسم ابن سوّار - بتشديد الواو - ، والشهرزوري ٢/ ٩-١٢، والبيهقي ٢٦-٣٨، وتاريخ الحكماء للقفطي ١٦٤، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٢٨-٤٢٩، والتراث العربي مايرهوف ٨٧-٨٨، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/ ٢٢٩، ونوابغ السريان لغرام ٤-١٥، والحكمة بالقدس ٥/ ٢٢-٢٣، ومختصر تاريخ الطب العربي ٤٨١-٤٨٢ .

١ : عيون الأنباء ٤٢٨ . وبهنام لفظة فارسية مركبة من كلمتين وهي "به" : خير؛ و"نام" اسم. أي: اسم الخير، ولذا كني بأبي الخير. ولد ببغداد سنة ٣٣١ من الهجرة، وقد يكون أبوه نصرانياً يصنع الخمرة، أو يتاجر بها، فلقِّب بالخمّار، فعرف ابنه الحسن بابن الخمار.
ويقول البيهقي في كتابه حكماء الإسلام: "إن الأمير سبكتكين أهدى قرية إلى ابن سوار تعرف باسم خُمار فنسب إلى هذه القرية" . انظر: البيهقي ٢٦-٢٨ .

٢ : يقال: طر شارب الغلام إذا نبت. "القاموس مادة طرر" .

٣ : **الغارب** : الكاهل جمعه غوارب : القاموس مادة غرب.

٤ : أي : حنايا صدره، والأوقار: جمع وقر وهو الحمل الثقيل كناية عن كثرة العلم.

٥ : أي: المقاصد والغايات.

قال ابن أبي أصيبعة : " كان نصرانياً [١] عالماً بأصول صناعة الطب وفروعها، خبيراً بغوامضها، كثير الدراية لها، ماهراً في الحكمة، وكان في نهاية الذكاء والفطنة" .

قال ابن رضوان في "حل شكوك الرازي على جالينوس" ما هذا نصه : كما فعل في عصرنا هذا الحسن بن بابا، المعروف بابن الخمار، فإنه وصل بالطب إلى أن قيل له : محمود الملك للأرض . وكان محمود عظيماً جداً ، وذلك أن هذا الرجل فيلسوف حسن العقل، حسن المعرفة، حسن السياسة لفقهاء الناس، ورؤساء العوام، والعظماء، والملوك، وكان إذا دعاه زاهدٌ مشى إليه راجلاً، وقال له : جعلت هذا المشي كفارة لمروري إلى أهل الفسق والجبابرة . وإذا دعاه السلطان ركب إليه في زي الملوك والعظماء، حتى ربما حجبه ثلاث مائة غلام، يركب الخيل الجياد بالملابس البهية، ووفى الصناعة حقها في اللين للضعفاء، والتعاظم على العظماء، وهذه كانت طريقة أبقراط وجالينوس، وغيرهما من الحكماء[٢] .

---

١ : قال ظهير الدين البيهقي في " تاريخ حكماء الإسلام" : كان بغدادي المولد ، وقد حمل إلى خوارزم شاه، ثم لما استولى السلطان محمود بن سبكتكين على خوارزم حمله إلى غزنة، وعرض عليه الإسلام فأبى، وعمره جاوز المائة، فمر يوماً بمكتب فيه معلم حسن الصوت يقرأ سورة :﴿ الم ، أَحَسِبَ النَّاسُ﴾ فوقف وبكى ساعة ومر، فرأى في هذه الليلة في منامه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : يا أبا الخير! مثلك – مع كمال علمك – يقبح أن ينكر نبوتي! . فأسلم أبو الخير في منامه على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما انتبه من منامه أظهر الإسلام، وتعلم الفقه على كبر سنه، وحفظ القرآن، وحسن إسلامه . انظر : تاريخ حكماء الإسلام – ص ٣٦ .

٢ : انظر : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٢٩ .

ومنهم:

١٧- أبو الفرج بن هندو *

منقب عن البيان، يكشف خباءه ويبعث له في كل معنى نشاءه، وينفث فيه روحاً كأنه يحس لكل فكرة نباءه، ويفتق أكمام الأدب فقل كزرع أخرج شطأه، له سرٌّ دقيقٌ فتن الناس، وخمرٌ رحيقٌ يذهب بالباس، لا كالتي تدخل بالالتباس على الحواس، وسحرٌ يستلذه الذوق وينقطع عنده القياس، لو أن للدهر رقته لان قاسيه، أو للجافي ذكر العهد ناسيه، أو للأمل ألقى إلى قبضة اليد مراسيه، وما أعيره شهاده، ولا أميره الحسنى إلا امتاز بزياده.

وكانت بضاعته من الطب غير مزجاة، وصناعته تحقق للمتطبب ما يترجاه، لفضلٍ تجلبب بشعاره، وجلب زيادة الحكمة إلى إشعاره، وعلو همته إلى علومها، وقراءة مادة كل علم على عليمها، إلى أن جنى ثمر الفنون، وجرَّب كل شيء ولم يقدر على دفع المنون، وكان له في صناعة الكتابة ارتزاق، وبئست بضاعة أرزاق، إلا أنه لم يقدر عليه بها قوته، وما كان للمرء لا يفوته، وبقي على تعلاّته واختلاف علاّته، إلى أن أتاه هادم الأعمار، ووافاه قادم الموت مبسوط الأعذار.

قال ابن أبي أصيبعة: " هو الأستاذ السيد الجليل[١] أبو الفرج علي بن الحسين ابن هندو. من الأكابر المتميزين في علوم الحكمة، والأمور الطبية، والفنون

---

* انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت ٥ /٨٣، والوافي بالوفيات ٢١ / ٣١، ويتيمة الدهر ٣ /٤٥٩، وفوات الوفيات٣ /١٣، وتتمة اليتيمة ١ / ١٣٤ .

١ : في عيون الأنباء: " السيد الفاضل" – ص ٤٢٩ .

الأدبية. له الألفاظ الرائقة، والأشعار الفائقة، والتصانيف المشهورة، والفضائل المذكورة، وكان يخدم بالكتابة، واشتغل على ابن الخمَّار، وكان من أفضل المشتغلين عليه".

وقال الثعالبي في " تتمة اليتيمة"(١) فيه: هو من ضربه في الآداب والعلوم بالسهام الفائزة، وملكه رق البراعة في البلاغة ، فرد الدهر في الشعر، وواحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد، ونظم القلائد وترصيع الفرائد، مع تهذيب الألفاظ البليغة، وتقريب الأغراض البعيدة، تذكير الذين يسمعون ويروون: ﴿ أفَسِحرٌ هَذا أم أنتُم لاتُبصِرُونَ ﴾.

وأنشد له قوله [الطويل]

يقولون لي: ما بال عينيك مذ رأت ... محاسن هذا الظبي أدمعها مطل

فقلت زنت عيني بطلعة وجهه ... فكان لها من صوب أدمعها غسل(٢)

وقوله:[البسيط]

قوّض خيامك عن دار ظلمت بها ... وجانب الذل إن الذل يجتنب

وارحل إذا كانت الأوطان منقصة ... فالمندل الرطب في أوطانه حطب(٣)

وقوله:[المنسرح]

إن رحت عن بلدة غدوت إلى أخـ ... ـرى فما تستقر أحمالي

---

١ : في الأصل المخطوط: " اليتمية ".

٢ : هذه الأبيات من اليتيمة ٣ / ٤٦١، لا من التتمة.

٣ : هكذا ذكر المصنف رحمه الله أنها من نظم ابن هندو، ونتيجة البحث تبين أنها للشاعر السري الرفاء، من قصيدة يمدح بها الأمير سيف الدولة الحمداني، ويصف إحدى غزواته للروم في بطن هنريط.

انظر: ديوان السري الرفاء ١ / ٤٣٤ .

كأنني فكرة الموسوس لا يبقى ... مدى لحظة على حال

وقوله :[**الكامل**]

ما للمعيل[1] وللمعالي إنما ... يسعى إليهنَّ الوحيد الفارد
فالشمس تجتاب السماء وحيدة ... وأبو بنات النعش فيها راكد[2]

وقوله :[**البسيط**]

قالوا اشتغل عنهم حيناً بغيرهم ... وخادع النفس إن النفس تنخدع
قد صيغ قلبي على مقدار حبهم ... فما لحب سواهم فيه متسع[3]

وقوله :[**المنسرح**]

عارض ورد الغصون[4] وجنته ... فاتفقا في الجمال واختلفا
يزداد بالقطف ورد وجنته ... وينقص الورد كلما قطفا[5]

وقوله :[**الطويل**]

تمنيت من أهوى فلما لقيته ... بُهِتُّ فلم أملك لساناً ولا طرفا
وقد كان في قلبي أمور كثيرة ... فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا

وقوله :[**مخلَّع البسيط**]

عابوه لما التحى فقلنا ... عبتم وغبتم عن الجمالِ

---

١ : **المُعيل** : كثير العائلة.

٢ : تتمة يتيمة الدهر ١٦٤ .

٣ : تتمة اليتيمة – صفحة ١٥٧–١٥٨ .

٤ : في الأصل المخطوط :"الخدود"، والتصويب من تتمة يتيمة الدهر ١٥٦ .

٥ : تتمة اليتيمة – ص ١٥٦ .

هذا غــزالٌ ومــا عــجــيبٌ تولد المسك من الغـزال[1]

وقوله: [**البسيط**]

لا يوحشنك[2] من مجد تباعده فإن للمجد تدريجاً وتدريبا

إن القناة التي شاهدت رفعتها تنمي وتصعد أنبوباً فأنبوبا[3]

وقوله: [**المنسرح**]

تقول: لو كان عاشقاً دنفا إذا بدت صفرة بخديه

لا تنكريه فإن صفرته غطّت عليها دماء عينيه[4]

وقوله [**مخلع البسيط**]

كم من مليحٍ على أذاه يسلُّ من فكه حساما

صبٍّ قذى القول في صماخي فصار حلمي له فداما[5]

وقوله [**الطويل**]

يسر زماني أن أناط[6] بأهله وآنف أن أعزى إليه بجهله

ويعجبني أن أخّرتني صروفه فتأخيرها الإنسان برهان فضله

فإنا رأينا قائم السيف كلما تقلّده الأبطال قدام نصله[7]

١ : **انظر**: يتيمة الدهر ٣ / ٤٦٠ .

٢ : في الأصل المخطوط: "لا يؤيسنك" .

٣ : **انظر**: يتيمة الدهر ٣ / ٤٦٠ .

٤ : نفسه – صفحة ٤٦٠ .

٥ : **الصماخ** : خرق الأذن الباطن الذي يؤدي إلى الرأس. والفدام: المصفاة التي تجعل على فم الإبريق ليصفى بها ما فيه.

٦ : **أناط**: أي أقرن.

٧ : يتيمة الدهر – ٣ / ٤٦٠ .

وقوله:[الكامل المرفل]

أرخى لعارضه العذار فما ... أبقى على ورعي ولا نسكي [1]

فكأن نملاً قد دببن به ... غمست أكارعهنّ في مسك

وقوله[2]:[المنسرح]

يا شعرات جميعها فتن ... تتيه في وصف كنهها الفتن

ما عيَّروا من عذاره سفهاً ... قد كان غصناً فأورق الغصن

وقوله[3]:[الرمل]

رُبَّ روضٍ خلت آذري ... ونه(٤) لما توقد

ذهباً أشعل مسكاً ... في كوانين زبرجد [5]

---

١ : في الأصل المخطوط: " فما أبقى علي روعي "، والتصويب من تتمة اليتيمة ١٥٩ .

٢ : انظر: تتمة اليتيمة ١٥٩ .

٣ : انظر: تتمة اليتيمة – صفحة ١٦٢ .

٤ : الآذريون: بالمد والقصر، زهر أصفر وسطه خمل أسود، خريفي حارٌ رطب، تعظمه الفرس، بالنظر إليه، وتنثره في المنازل، وتجعله خلف آذانها تيمناً، وأصله: أن أردشير بن بابك كان يوماً بقصره، فرآه فاعجبه، فنزل لأخذه فسقط قصره، فتيمن به، وليس بطيب الرائحة، وهو فارسي معرَّب "أدركون" وفيه يقول ابن المعتز:

وأردف آذريونه فوق أذنيه ... ككأس عقيق في قرارته تبر

ولابن الرومي:

كأن آذريونها ... والشمس فيه كاليه

مداهن من ذهب ... فيها بقايا غاليه

انظر: المحبي في قصد السبيل ١ /١٣٩–١٤٠ .

٥ : الزبرجد: حجر يكون من مادة الذهب في معادنه غالباً، يبتدئ ليكون ذهباً فيقصر به اليبس والبرد. انظر: المحبي – قصد السبيل ٢ /٨٠–٨١ . ٢ .

وقوله(١): [المتقارب]

عجبت لقولنج هذا الوزير أنى ومن أين قد جاءه؟
وفي كل يوم له حقنة تنظف بالزيت أمعاءه

ومنهم:

١٨- الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا*

رجل الدنيا وواحدها، وعديم النظراء وواجدها، ولَّد المعاني وولدها، وعقم

١ : **انظر**: تتمة اليتيمة ص ١٦١ .

* **ينظر ترجمته في**: الإكمال لابن ماكولا ١/٤٨٣، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ٥٢-٧٢، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨٧، وتاريخ الزمان، له: ٨٨-٨٩، وفيه وفاته سنة ٤٢٧هجرية، والكامل في التاريخ ٩/٤٥٦، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢/٧، وما بعدها، والأنساب ٢/١٦٢، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ٤١٣-٤٢٦، ووفيات الأعيان ٢/١٥٧-١٦٢ و٤/٢٥١ومواضع أخرى، وإغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية ٢/٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٣١-٥٣٧ رقم ٣٥٦، والإعلام بوفيات الأعلام ١٧٨، والعبر ٣/١٦٥، وميزان الاعتدال ١/٥٣٩، وتاريخ ابن الوردي ١/٣٤٤-٣٤٥، وتاريخ الحكماء للشهرستاني ٤١٣-٤٢٦، وعيون التواريخ ١٢/١٥٩/آ-١٦٦/ب، والوافي بالوفيات ١٢/٣٩١-٤١٢، ومرآة الجنان ٣/٤٧-٥١، والبداية والنهاية ١٢/٤٢-٤٣، والجواهر المضية ٢/٦٣-٦٤، وطبقات الفقهاء لطاش كبري زادة ٧٠، والوفيات لابن قنفذ ٢٣٥-٢٣٦، رقم ٤٢٨، وتاريخ الخميس ٢/٣٩٩، والرد على المنطقيين ١٤١-١٤٤، والشقائق النعمانية ١/٤٧٥-٤٧٨، ولسان الميزان ٢/٢٩١-٢٩٣، والنجوم الزاهرة ٥/٢٥-٢٦، وتاج التراجم لابن قطلوبغا ١٩، والطبقات السنية رقم ٧٦١، وشذرات الذهب ٣/٢٣٤-٢٣٧، وخزانة الأدب للبغدادي ٤/٤٦٦، وتاريخ الخلفاء ٤٢٢، وروضات الجنات ٣/١٧٠-١٨٥، وإيضاح المكنون ٢/٥٥٥-٦٧٢، وهدية العارفين ١/٣٠٨-٣٠٩، والفهرس التمهيدي ٤٥٣-٤٦٤، و٥١٦-٥٦٦، وأعيان الشيعة ٢٦/٢٨٧-٣٣٧، والذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢/٤٨-٩٦، و ٧/١٨٤، وعقود الجوهر لجميل بك العظم ١٣٣-١٤١، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٩/٢١٩-٢٣٢ .

القرائح ووأدها، لا يجيء أرسطو منه سينه، ولا أفلاطون في جبلته طينه، لو أنه في زمن اليونان لجلس في صدر الرواق، ولاستقلت طرائف المشائين حوله المشي على الأحداق، لعلمٍ جمع بين علوم الإسلام واليونان، ووقع على ما يلقط مثله من الأفنان، ولم يقنع إلا بكل عباب، ولا رضي من جنات التصانيف حتى دعي إليها من كل باب، لو قرن به الفارابي لفر، أو الكندي لما كدّ نفسه ولا كر، بل لو تقدم في عصور الأوائل لتكلم وسكت كل قائل، وأقرَّ كل طائر الصيت بأنه ما هو عنده طائل.

علم أعلام، ومملي كلام، ومالىء طروس[١] وأقلام. شعلة ذكاء، لم يبق شرق ولا غرب حتى أضاء فيه شعاعها، وامتدَّ إليه شراعها، وأشرقت عليه شمسها، وانبسطت به شمسها، وغلب عليه صيتها، وغُلَّ به عفريتها، ومشت فيها الحكماء على قانونه[٢]، ورأت الشفاء بمضمونه، وعرفت الحكماء بإشاراته،

١ : جمع "طرس" بالكسر : الصحيفة، أو التي محيت ثم كتبت ، قاله في القاموس مادة طرس.

٢ : أي: **القانون في الطب**" ، من أشهر كتب الشيخ الرئيس، والذي كان له أكبر الأثر في تعظيم مكانة الشيخ الرئيس في الجانب الطبي، فصار اسم الكتاب واسم مؤلفه على ألسنة الأطباء منذ أن نشر الكتاب إلى يومنا هذا، لقد غطى كتاب القانون على الكتب الطبية السالفة له لحسن تبويبه وشموله الواسع للمادة العلمية، وما فيها من الأدوية والمفردات الطبية، التي تدخل في التداوي. وميل ابن سينا إلى الجانب النظري في هذا الكتاب واضح جداً، وهذا ما جعل الكتاب سهل الفهم من القراء الأطباء وغير الأطباء. وكان كثير من عامة الناس طوال القرون الإسلامية يقرؤون كتب الطب للمتعة والاستفادة الشخصية من معارف هذه الصنعة، فكان كتاب القانون بما فيه من أوصاف مبسطة عن الأمراض وأعراضها، واستعمال الأدوية من الأعشاب المعروفة، كتاباً مثالياً لمثل هذه الطبقة من القراء. وكانت عند ظهور كتاب القانون ثلاثة كتب جامعة في الطب، أقدمها كتاب فردوس الحكمة للطبري، وهو كتاب يجمع بين الطب اليوناني والهندي والفارسي، كما يحتوي أيضاً على كثير من الأفكار السقيمة والخرافات، فلما ظهر الكتاب الثاني وهو المنصوري لأبي بكر الرازي ذي النزعة العلمية الخالصة احتل مكان كتاب فردوس الحكمة، أما الكتاب الثالث: فهو الكتاب الملكي لعلي بن العباس المجوسي، وهو بحق كتاب ند لكتاب ابن سينا، وعلى الرغم من=

وسلكت مثل النحل سبلها ذللاً بعباراته، وعلمت أنه فيلسوف الإسلام، والمسلَّم إليه في كل علم بسلام، والمقدم في سائر الطبقات، والمعظَّم على الأوقات، والمحرَّم من العلم المحرم إليه في الميقات.

كان ندرة في العالم، وزهرة في بني آدم، والمفاض عليه من العلوم ما تزجر بحاره، ولا يزخر إلا لج فوائد فرائده، وصدره محاره، منبع العلم، وموضع الحلم، ومرتع الفضائل، ومربع الكرم، ووسمي[١] الربيع متضائل، أعجوبة الزمان وغريبة آل سامان[٢].

فخرت دولة ما وراء النهر منه بوزير شرف دستها[٣]، وصرف بجمعه الجهات

=كونه أكثر حيوية وأصلح للتطبيق من كتاب القانون إلا أن هذا الكتاب الأخير قد طغى على كل الكتب المتداولة آنذاك. وصار المرجع الأول للممارسين في أكثر الربوع التي وصلها الكتاب. بدأ ابن سينا بتحرير كتاب القانون في جرجان، وكتب قسماً منه في الري، واستمر يكتب فيه وهو يتنقل بين المدن وأخيراً أتمه في همدان. إلا أن انتشاره بين الأقطار للغرابة كان بطيئاً، فلم يصل إلى بغداد إلا بعد مرور نصف قرن، ولم يصل إلى قرطبة إلا بعد نصف قرن آخر، أو أكثر قليلاً، ووصل من هناك إلى أوربا وصار أشهر كتب الطب العربية في مدارسها الطبية.
وقد تناول الأطباء العرب كتاب القانون بالمدح، وبعضهم بالقدح، وعلق عليه كثير منهم، وكان أشد اهتمامهم بقسم الكليات منه الذي رأوه أصعب على الفهم مما في الكتاب من علوم وفنون، كما اختصره آخرون ليكون أسهل قراءة وأخف حملاً. انظر: مختصر تاريخ الطب العربي ١/٤٩٣-٤٩٥.

١ : قال في القاموس: " **الوسمي** " مطر الربيع الأول، والأرض موسومة. - مادة وسم.
٢ : **سامان**: محلة بأصبهان، وقرية بسمرقند، إليها ينسب ملوك بني سامان الذين ملكوا ما وراء النهر وخراسان، يقولون سامان اسم جدٍّ من أجدادهم. قاله المحبي في قصد السبيل ٢/١١١.
٣ : قال المحبي: " الدست الصحراء، معرَّب "دشت" ومن الثياب والورق، وصدر البيت، قال ابن الكمال: هو فارسي معرَّب معنى اليد، يطلق على التمكن في المناصب، قال الشهاب - في شفاء الغليل ١٢٢-١٢٤ " : واستعمله المتأخرون بمعنى الديوان، ومجلس الوزارة، والرياسة مستعارة من هذا.
انظر: قصد السبيل للمحبي ٢/٢٦-٢٧.

الممالك شتها، وتقلد أمورها، وقلد المنة بولايته أميرها، وتزيًّا بزيّ أرباب الدول، وأصبح في أصحاب الخول(١)، واقتنى الغلمان الأتراك، ووقع بالحب في الأشراك، وكان غلمانه يلبسون الديباج المنسوج بالذهب، ويشدون مناطق الذهب المرصعة بالجواهر، ويزهر بهم جلوته، وتعمر خلوته، يبيت معهم الليالي في الحمام، ويبادر بتنعمه بهم صروف الحِمام(٢)، حتى قال له ملكه: كيف تنهانا عن الإتيان في الحمام؟ فقال: لأن الملك يحب أن يعيش طويلا، وأنا أحب أن أعيش طيبا. وكان لا يملك صبراً عن غلمانه، ولا يشغل إلا بهم فراغ زمانه، حتى كانوا سبب حِمامه، وجلب سمامه. وكان السبب في فعلتهم، ومرشدهم في هذا إلى ضلَّتهم، أنهم سرقوا له مالاً جليلاً، ثم خافوه، وسئموا فعله الطويل بهم وعافوه، فشابوا له درياق(٣) مثرود يطوس، كان يستعمله بسمٍّ أبى إلا أن يقتله، فتعلَّل(٤) به عامه حتى ساق الأجل إليه حمامه. وكانت الوزارة نقصاً عيب به، وأطلقت الحكماء ألسنتها فيه بسببها، وقالوا: أذلَّ العلم، ورضي من الفانية بالاستكثار!. فقال: لي أسوة بأرسطو في صحبة الاسكندر. وفيما قاله نظر، لأن أرسطو كان معلماً للاسكندر ومشيرا، وابن سينا كان مكلَّفاً ووزيرا.

قال ابن أبي أصيبعة: " هو[إن كان] أشهر من أن يذكر، وفضائله أعظم من أن تسطر، ونحن نقتصر من وصفه على قدر ما ذكره عن نفسه. ووصفه أبو عبيد الجوزجاني (٥)صاحبه من أحواله والذي ذكره هو قال: كان أبي رجلاً من أهل

١ : قال في القاموس: الخول: ما أعطاك الله من النعم والعبيد والإماء، وغيرهم من الحاشية، ويقال للواحد خائل" القاموس مادة خول".

٢ : **الحِمام** – بكسر الحاء – الموت.

٣ : **الدرياق**: بالكسر، ويفتح، الترياق، رومي معرَّب ، والخمر كالدرياقة." قصد السبيل ٢ / ٢٥".

٤ : **أي**: أصابته العلة القاتلة التي كانت سبب حتفه.

٥ : عبد الواحد الجوزجاني أبو عبيد كان حياً قبل ٤٢٨هجرية. له سيرة الشيخ الرئيس وفهرست=

بلخ(١)، وانتقل إلى بخارى(٢)، في أيام نوح بن منصور(٣)، واشتغل بالتصرف، وتولى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها "خرميثن" من ضياع بخارى، وهي من أمهات القرى، وبقربها قرية يقال لها "أفشنة" وتزوج منها بوالدتي، وقطن بها، وسكن، وولدت منها بها، ثم أولدت أخي بها، ثم انتقلنا إلى بخارى، وأُحضرت معلم القرآن والأدب، وأكملت العشرة من العمر، وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب، حتى كان يقتضي مني العجب(٤).

وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين، ويعدُّ من الإسماعيلية، وقد سمع منهم

=كتبه، وذكر أحواله وتواريخه من تحقيق محسن صبا، وترجمها إلى الفارسية آقاي سعيد نفيسي، إيران: جانجانة، بانكملي،د.ت، في اثنين وأربعين صفحة بالعربية، وأربع وعشرين صفحة بالفارسية.

انظر: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع تأليف محمد عيسى صالحية ٨٩ .

١: **بلخ**: مدينة مشهورة بخراسان، من أجمل مدنها، وأشهرها ذكراً، وأكثرها خيراً، بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخاً، على الشاطئ النوبي لنهر جيحون، على رافده دهاس، وقد كانت بلخ القصبة السياسية لولاية خراسان القديمة، ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان.

انظر: مراصد الاطلاع ١ /١٦٨ . و"دائرة المعارف الإسلامية : مادة "بلخ".

٢: **بخارى**، ويقال لها كذلك :"بخاراء" ممدودة؛ والنسب إليها: بخاري، مدينة قديمة بخراسان، من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلِّها، وكانت قاعدة ملك السامانية، فتحها عبيد الله بن زياد في عهد سيدنا معاوية بن أبي سفيان. وأشهر من نسب إليها الإمام محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح رضي الله عنه. انظر: معجم ما استعجم ١ /٢٢٩، ومعجم البلدان لياقوت ٢ /٨١–٨٦.

٣: نوح بن نصر الساماني صاحب خراسان، تولى حكم خراسان بعد أبيه نصر بن أحمد سنة ٣٣١هجرية، ولقب بالأمير الحميد، وبقي في الحكم حتى توفي سنة ٣٤٣ هجرية، وكان حسن السيرة، كريم الأخلاق. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ /١٥٨ .

٤: **انظر**: تاريخ الإسلام للذهبي ٢٩ /٢١٩، وتاريخ مختصر الدول ١٨٧ .

ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم، وكذلك أخي، وربما كانوا يذكرونه بينهم وأنا أسمع وأدرك ما يقولونه، ولا تقبله نفسي، وابتدؤوا يدعونني إليه ويجرون على ألسنتهم ذكر الفلسفة والهندسة، وحساب الهند، وأخذ يوجهني إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه، ثم جاء إلى بخارى أبو عبد الله الناتِلّي[١] وكان يدعى المتفلسف،وأنزله أبي إلى دارنا، رجاء تعليمي منه، وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه والتردد إلى إسماعيل الزاهد[٢]، وكنت من أجود السالكين، وقد ألفت طرق المطالبة[٣]، ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به.

ثم ابتدأت بكتاب "إيساغوجي" على البابلي. ولما ذكر لي أن حد الجنس هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو، فأخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله، وتعجَّب مني كل التعجب، وحذَّر والدي من شغلي بغير العلم[٤].

وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيراً منه، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه،

---

١ : **الناتِلّي**: بفتح النون وكسر التاء المنقوطة، من فوقها باثنتين وفي آخرها اللام، هذه النسبة إلى "ناتيل" وهي بليدة بنواحي آمل طبرستان، كثيرة الخضرة والمياه. انظر: الأنساب ٩ / ١٢ .

٢ : **انظر**: وفيات الأعيان ٢ /١٥٨ .

٣ : في تاريخ الإسلام : المناظرة.

٤ : **قال ابن العبري**: ولما وصل إلى تحديد الجنس الذي يطلق على أنواع كثيرة قال لمعلّمه: هل يطلق الجنس على كل من الأنواع فرداً فرداً؟. قال المعلم: نعم. اعترض الفتى فقال: إذا سألني سائل: من هو الإنسان؟. وقلت له: حيوان فقط، فهل يكون جوابي صائباً؟ قال المعلم: نعم. ناقضه التلميذ وقال: لست أوافقك، إذ لست بلا روية حتى إذا سألني سائل عن الحيوان الناطق من هو؟. أكتفي بالقول: إنه حيوان، وأسكت. ومنذ إذٍ ترك المعلم وجعل يطالع على حدة، ويتفهَّم ما يقرأ.

انظر: تاريخ الزمان ٨٨ . وتاريخ الإسلام ٢٩ / ٢٢٠ .

وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبر(١).

ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق، وكذلك كتاب "إقليدس" (٢)، فقرأت من أوله إلى خمسة أشكال أو ستة عليه، ثم توليت بنفسي حلَّ بقية الكتاب بأسره.

ثم انتقلت إلى " المجسطي"(٣) ولما فرغت من مقدماته، وانتهيت إلى الأشكال الهندسية قال الناتلي: تولَّ قراءتها وحلها بنفسك ثم اعرضها عليَّ لأبين لك صوابه من خطئه، وما كان الرجل يقوم بالكتاب ، فأخذت أحل ذلك الكتاب فكم من شكل ما عرفه إلا وقت ما عرضته عليه، وفهَّمته إياه (٤).

. ثم فارقني الناتلي متوجهاً إلى كركانج، واشتغلت أنا بتحصيل الكتب في الفصوص والشروح، من الطبيعي والإلهي، وصارت أبواب العلم تنفتح عليّ.

ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب الصعبة فيه، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة، فلا جرم أني برَّزت فيه في أقل مدة، حتى بدأ فضلاء الطب يقرؤون عليّ علم الطب. وتعاهدت المرضى فانفتح عليَّ من أبواب المعالجات

---

١ : **انظر**: تاريخ مختصر الدول ١٨٧ .

٢ : **أقليدوس**: اسم حكيم له كتاب في الهندسة معلوم، وغلب اسمه عليه أيضاً، وليس خطأ كما ظنه صاحب القاموس ، حيث قال: وقول ابن عباد "أقليدس" اسم كتاب غلط" . ونقل الزبيدي عن شيخه أنه لا غلط، فإن إطلاق اسم المؤلف على كتابه من الأمر المشهور، بل قلَّ أن تجد من يميز بين اسم الكتاب ومؤلفه، فيقولون: قرأت البخاري.

انظر: القاموس المحيط مادة قلدس، وكذا تاج العروس. وقصد السبيل للمحبي ١ /٢٠٣ .

٣ : **المجسطي**: بالكسر وتخفيف الياء، يوناني، معناه: الترتيب، اسم كتاب لبطليموس، أول من عرَّبه حنين بن إسحاق النصراني العبادي، الطبيب، وابنه إسحاق لحق بأبيه في نقل الكتب اليونانية إلى العربية. **انظر**: قصد السبيل ٢ /٤٤٥ .

٤ : تاريخ مختصر الدول ١٨٧، وعيون الأنباء ٤٣٨، وتاريخ الإسلام ٢٩ /٢٢٠ .

المقتبسة من التجربة ما لا يوصف[١]، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه، وأناظر فيه، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة، ثم توفرت على العلم والقراءات سنة ونصف، فأعدت قراءة المنطق، وسائر أجزاء الفلسفة، وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها، ولا اشتغلت في النهار بغيره، وجمعت بين يدي ظهوراً فكل حجة أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية[٢]، ورتبتها في تلك الظهور،ثم نظرت فيما عساها تنتج، وراعيت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة، وكلما كنت أتحير في مسألة ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت إلى الجامع، وصليت، وابتهلت إلى مبدع الكل، حتى فتح لي المنغلق، وتيسر المتعسر[٣].

وكنت أرجع بالليل إلى داري، وأضع السراج بين يدي، وأشتغل بالقراءة والدرس، والكتابة، فمهما غلبني النوم، أو شعرت بضعف، عدلت إلى شرب قدح من الشراب، ريثما تعود إليَّ قوَّتي، ثم أرجع إلى القراءة، ومهما أخذني أدنى نوم، أحلم بتلك المسائل [بأعيانها] اتضح لي وجوهها في المنام[٤]. وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم، ووقفت عليها بحسب الإمكان الإنساني. وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن ولم أزدد فيه إلى اليوم، حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي، والرياضي، ثم عدلت إلى الإلهي، وقرأت كتاب " ما بعد الطبيعة" فما كنت أفهم ما فيه، والتبس عليَّ غرض

---

١ : زاد ابن العبري: " وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة". تاريخ مختصر الدول ١٨٧ .

٢ : في الأصل المخطوط: "قياساته".

٣ : **انظر**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٣٨، وتاريخ مختصر الدول ١٨٧، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢ /١٥٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٩ / ٢٢١ .

٤ : **انظر**: تاريخ الإسلام للذهبي ٢٩ / ٢٢١، وتاريخ مختصر الدول ١٨٧ .

واضعه، حتى أعدت قراءته أربعين مرة[١]، وصار لي محفوظاً .وأنا مع ذلك لا أفهم المقصود به، وأيست من نفسي، وقلت: هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه. وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الورَّاقين وبيد دلاَّل مجلَّد ينادي عليه، فعرضه عليَّ، فرددته [ردَّ] متبرِّم!، معتقد أن لا فائدة في هذا العلم. فقال لي: اشتر مني هذا فإنه رخيص! أبيعكه بثلاثة دراهم!، وصاحبه محتاج إلى ثمنه[٢].

فاشتريته؛ وإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في: " أغراض كتاب ما بعد الطبيعة" ! . فرجعت إلى بيتي، فأسرعت قراءته، فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظاً على ظهر القلب. وفرحت بذلك، وتصدقت في ثاني يوم بشيء كثير على الفقراء، شكراً لله عز وجل.

وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور، واتفق له مرض [أتلج][٣] الأطباء فيه، وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على العلم والقراءة، فأجروا ذكري بين يديه، وسألوه إحضاري، فحضرت وشاركتهم في مداواته، وتوسمت بخدمته، فسألته يوماً الإذن لي في دخول دار كتبهم، ومطالعتها، وقراءة ما فيها من كتب الطب. فأذن لي؛ فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة[٤]، في كل بيت صناديق من الكتب منضَّدة بعضها على بعض، في بيت منها كتب العربية والشعر، وفي آخر الفقه، وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد.

---

١ : في الأصل المخطوط: "أربعين يوماً" والتصويب من عيون الأنباء، وتاريخ الإسلام.

٢ : **انظر**: ابن العبري – تاريخ مختصر الدول ١٨٧ .

٣ : هكذا ورد في الأصل المخطوط ولعل المراد من المعنى: استدعى تدخُّل الأطباء لمعالجته.

٤ : **أي**: ذات غرف كثيرة، وكان يطلق على الغرفة بيتاً، ومجموعة البيوت دار.

وطالعت فهرست(١) كتب الأوائل، وطلبت ما احتجت إليه منها، ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط. وما كنت رأيته من قبل، ولا رأيته أيضاً من بعد. فقرأت تلك الكتب، وظفرت بفوائدها، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه(٢).

فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها، وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ، ولكنه اليوم معي أنضج، وإلا فالعلم واحد لم يتجدَّد لي بعده شيء!(٣).

وكان في جواري رجل يقال له: أبو الحسن العروضي(٤)، فسألني أن أصنف له كتاباً جامعاً في هذا العلم، فصنَّفت له :المجموع، وسميته به، وأتيت فيه على سائر العلوم، سوى الرياضي، ولي إذ ذاك إحدى وعشرون سنة من عمري!.

١ : **الفهرست**: بالكسر، الكتاب الي تجمع فيه الكتب، معرَّب فِهرست، وقد فهرس كتابه، انتهى. كذا في القاموس – مادة فهرس – وقد وردت فيه بدون تاء – .
وقال الزركشي في تعليقه على مصطلح الحديث لابن الصلاح: يقولون :فهرست، وجعل التاء فيه للتانيث، ويقفون عليها بالهاء، والصواب كما قاله ابن مكي في "تثقيف اللسان وتلقيح الجنان": فهرست بإسكان السين، والتاء فيه أصلية، ومعناها في اللغة: جملة العدد للكتب، لفظة فارسية، واستعمل الناس فيها: فهرس الكتب يفهرسها فهرسة، مثل دحرج، وإنما الفهرسة اسم جملة العدد، والفهرسة المصدر، كالفذلكة، يقال: فذلكت الكتاب إذا وقفت على جملته، انتهى. قال الشهاب: أقول: ما في القاموس هو من كلام الليث، وتحريره أن هذه اللفظة فارسية، وفارسيتها بكسر الفاء وسكون الهاء وكسر الراء المهملة تليها سين مهملة، ساكنة ثم مثناة فوقية ساكنة، ومعناه: إجمال الأشياء لتعديد أسمائها وحصرها مطلقاً على الترتيب، ثم إنهم عرَّبوه وصرفوه، فقالوا: فهرس يفهرس فهرسة، كدحرج. انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ /٣٤٧–٣٤٨، و" تثقيف اللسان ٥٩".

٢ : **انظر**: وفيات الأعيان ٢ /١٥٨، وتاريخ الإسلام ٢٩ / ٢٢٢، وعيون الأنباء ٤٣٩ .

٣ : تاريخ مختصر الدول ١٨٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٩ / ٢٢٢ .

٤ : هكذا في الأصل المخطوط : أبو الحسن، وفي تاريخ الإسلام، وعيون الأنباء: أبو الحسين العروضي.

وكان في جواري أيضاً رجلٌ يقال له: أبو بكر البرقي[١] الخوارزمي[٢]، فقيه النفس، متوجه في الفقه والتفسير، والزهد، مائل إلى هذه العلوم، فسألني شرح الكتب [له]، فصنفت له كتاب: "الحاصل والمحصول" في قريب من عشرين مجلداً، وصنفت له في الأخلاق كتاباً سميته: "كتاب البر والإثم" وهذان الكتابان لا يوجدان إلا عنده، ولم يعر أحداً أن ينسخ منه[٣].

ثم مات والدي، وتصرَّفت بي الأحوال، وتقلدت شيئاً من أعمال السلطان، ودعتني الضرورة إلى الإحلال ببخارى[٤]، والانتقال إلى "كُركانج"[٥]، وكان أبو الحسن السهلي، المحب لهذه العلوم بها وزيراً. وقدمت على الأمير بها وهو علي بن المأمون، وكنت على زي الفقهاء، إذ ذاك بطيلسان[٦] تحت الحنك، وأثبتوا

١: **البَرَقيُّ**: بفتح الباء والراء، والقاف بعدهما، هذه النسبة إلى بَرَق، وهو بيت كبير من خوارزم، انتقلوا إلى بخارى وسكنوها، وهذه النسبة إلى برق يعني بالفارسية: بره ولد الشاة، لأنه كان في آبائه من يبيع الحملان، فعرِّب بالفارسي. انظر: الإكمال لابن ماكولا ١/٤٨٣، والأنساب ٢/١٦١.

٢: ترجم له ابن ماكولا في الإكمال ١/٤٨٣، وابن السمعاني في الأنساب ٢/١٦١–١٦٢، وقال ابن ماكولا: ورأيت ديوان شعره وأكثره بخط تلميذه ابن سينا الفيلسوف.

٣: تاريخ الإسلام ٢٩/٢٢٢، وعيون الأنباء ٤٣٩.

٤: في تاريخ الحكماء: "إلى الارتحال عن بخارى"، وفي "الوافي بالوفيات" إلى الإخلال ببخاري".

٥: **كُركانْج**: بالضم ثم السكون،وكاف أخرى، وبعد الألف نون ساكنة، يلتقي بها ساكنان، ثم جيم: اسم القصبة بلاد خوارزم ومدينتها العظمى، وقد عربت فقيل: الجرجانية. فأما أهل خوارزم فيسمونها: كركانج. وليس خوارزم اسماً لمدينة بعينها، إنما هو اسم للناحية بأسرها، وهما كركانجان: فهذه الكبرى، وبينها وبين كركانج الصغرى ثلاثة فراسخ. **انظر**: معجم البلدان ٤/٤٥٢.

٦: **الطيلس والطيلسان**: مثلثة اللام عن عياض وغيره، معرَّب، أصله: "تالشان" وهو في الأصل: كساء مدوَّر أخضر لا أسفل له، لحمته أو سداه من صوف، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ، وهو من لباس العجم. ويقال في الشتم: يا ابن الطيلسان!. أي: أنك أعجمي. جمعه: "طيالسة"، والهاء في الجمع للعجمة. انظر: "الألفاظ الفارسية" ١١٣، و"قصد السبيل" للمحبي ٢/٢٧٢.

لي مشاهرة[١] دارَّة تقوم بكفاية مثلي.

ثم دعت الضرورة إلى الانتقال إلى "نسا"[٢] ومنها إلى "باورد"[٣]، ومنها إلى "طوس"[٤]، ومنها إلى "سمنيقان" ومنها إلى "جاجرم"[٥]، رأس حد خراسان، ومنها إلى جرجان، وكان قصدي الأمير قابوس. فاتفق في أثناء هذا أخذُ قابوسَ وحبسُه في بعض القلاع، وموته هناك.

ثم مضيت إلى "دهستان"[٦]، ومرضت به مرضاً صعباً، وعدت إلى جرجان، فاتصل[بي] أبو عبيد الجوزجاني[٧].

---

١ : لعل المقصود: راتباً شهرياً ونحوه.

٢ : **نسا**: بفتح أوله، مقصور بلفظ: عرق النسا، وهي مدينة بخراسان ، بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام، وبين أبيورد يوم، وبين نيسابور ستة أو سبعة، وهي مدينة وبئة جداً.
انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥ / ٢٨٢ .

٣ : **باورد**: بفتح الواو، وسكون الراء،وهي أبيورد، بلد بخراسان بين سرخس ونسا.
انظر: معجم البلدان ١ / ٣٣٣" .

٤ : **طوس**: ناحية بخراسان، تشتمل على مدينتين تسمى إحداهما طابران، بفتح الطاء المهملة، وبعد الألف باء موحدة، ثم راء مفتوحة، وبعد الألف الثانية نون، والأخرى :نوقان، بفتح النون، وسكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون، ولهما ما يزيد على ألف قرية.
انظر: وفيات الأعيان ١ /٩٨ .

٥ : **جاجرم**: بعد الألف جيم أخرى مفتوحة، وراء ساكنة، وميم، بلدة لها كورة واقعة بين نيسابور وجوين، وجرجان، تشتمل على قرى كثيرة، وبلد حسن.
انظر: معجم البلدان ٢ / ٩٢ .

٦ : **دهستان**: بكسر أوله وثانيه، بلد مشهور في طرف مازندران، قرب خوارزم، وجرجان.
انظر: معجم البلدان ٢ / ٤٩٢ .

٧ : **الجوزجاني**: بضم أوله وسكون الواو والزاي: نسبة لاسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، وهي بين مرو والروذ، وبلخ. ويقال لقصبتها اليهودية، ومن مدنها: الأنبار، وفارياب، وكلاّر.
انظر: معجم البلدان ٢ / ١٨٢ .

وأنشدت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :[**الكامل**]

لَمَّا غَـلا ثَـمَنِي عَـدِمتُ المُشْـتَـرِي   لَمَّا عَظُمْتُ فليسَ مِـصْـرٌ وَاسِـعِي

قال أبو عبيد(١) الجوزجاني : فهذا ما حكاه لي الشيخ من لفظه(٢)

ومن هاهنا شاهدت أنا من أحواله كان بجرجان رجل يقال له :أبو محمد الشيرازي، يحب هذا العلم، وقد اشترى للشيخ داراً في جواره، أنزله بها، وأنا أختلف إليه في كل يوم، أقرأ "المجسطي" واستملي المنطق.

وصنف لأبي محمد الشيرازي كتاب : " المبدأ والمعاد"، وكتاب" الأرصاد الكلية".

وصنف هناك كتباً كثيرة : كأول القانون، و"مختصر المجسطي"، وكثيراً من الرسائل. ثم صنف في أرض الجبل بقية كتبه(٣).

كتاب : "**المجموع**" مجلد، " **الحاصل والمحصول**" عشرون مجلداً، "**الإنصاف**" عشرون مجلداً، " **البر والإثم**" مجلدان، " **الشفاء**" ثمانية عشر مجلداً، "

---

١ : **قال ابن خلّكان**: واسمه عبد الواحد. وفيات الأعيان ٢ / ١٥٩ .

٢ : **انظر** : تاريخ مختصر الدول ١٨٨ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٩ / ٢٢٤ .

٣ : **راجع أسماء مؤلفاته ورسائله في** : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٥٧-٤٥٩ ، والوافي بالوفيات ١٢ / ٦٠٤-٦٠٦، وكشف الظنون في مواضع كثيرة، وهدية العارفين ١ /٣٠٨-٣٠٩، وتراث العرب العلمي لطوقان ٢٨٦-٢٩٧، وعقود الجوهر لجميل العظم ١٣٣-١٤١، ومؤلفات ابن سينا للأب جورج قنواتي ، والكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لابن سينا ، صدر ببغداد سنة ١٩٥٢م، ومؤلفات ابن سينا لأمين مرسي قنديل، طبعة ١٩٥٠م، ومعجم المطبوعات ليوسف إليان سركيس ١٢٧-١٣٢ وغيرها.

وقال ابن العبري: " وبلغت تآليفه المشهورة المتداولة اثنين وتسعين كتاباً وضع أغلبها وهو في السجن، ونقلت أنا الحقير عن العربية إلى السريانية كتابه البديع: الإشارة والتنبيه . انظر: تاريخ الزمان ٨٩ .

الأرصاد الكلية" مجلد. " **النجاة**" ثلاث مجلدات. " **الهداية**" مجلد. " **المختصر المتوسط**" مجلد. " **العلائي**" مجلد. " **القولنج**" مجلد. "**لسان العرب**[١]" عشر مجلدات. "**الأدوية القلبية**" مجلد. " **بعض الحكم المشرقية**" مجلد. " **بيان ذوات الجهة**" مجلد. " **كتاب المبدأ والمعاد**" مجلد.

ومن رسائله:

"القضاء والقدر"، " الآلة الرصدية"، " غرض قاطيغورياس"، " المنطق بالشعر"، " قصائد في العظة والحكمة" في الحروف، " تعقب المواضع الجدلية"، "مختصر أوقليدس"، " مختصر في النبض" بالعجمية، " الحدود"، الأجرام السماوية"، " الإشارة إلى علم المنطق"، "أقسام الحكمة في النهاية"، "وأن لا نهاية"، و"عهد" كتبه لنفسه، "حي بن يقظان"، " في أن أبعاد الجسم غير ذاتية له"، " خطب الكلام في الهندباء"، "في أن الشيء الواحد لا يكون جوهرياً وعرضياً"، " في أن علم زيد غير علم عمرو"، و"رسائل له إخوانية وسلطانية"، "مسائل جرت بينه وبين بعض الفضلاء".

ثم انتقل إلى الري بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة[٢]، وعرفوه بسبب كتب وصلت معه، تتضمن تعريف قدره. وكان مجد الدولة إذ ذاك قد غلبته السوداء، فاشتغل بمداواته، وصنف كتاب: " المبدأ والمعاد"، وأقام بها إلى أن قصد شمس الدولة[٣] بعد قتل هلال بن زيد بن حسنويه، وهزيمة عسكر بغداد.

١ : في سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٣٣ : "اللغة".

٢ : تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٩ / ٢٢٥.

٣ : أبو طاهر بن فخر الدولة البويهي حاكم همدان وكرمان شاه.

ثم اتفقت له أسباب أوجبت بالضرورة خروجه إلى قزوين[١]، ومنها إلى همذان، واتصاله بخدمة "كدبانويه" والنظر في أسبابها.

ثم اتفق معرفة شمس الدولة وإحضاره مجلسه بسبب قولنج قد أصابه، وعالجه حتى شفاه الله، وفاز من ذلك المجلس بخلعٍ كثيرة، ورجع إلى داره بعد ما أقام هناك أربعين يوماً بلياليها، وصار من ندماء الأمير.

ثم اتفق نهوض الأمير إلى قرمسين، لحرب عناز، وخرج الشيخ في خدمته، ثم توجه نحو همذان، منهزماً راجعاً.

ثم سألوه تقلد الوزارة، فتقلدها. ثم اتفق تشويش العسكر عليه، وإشفاقهم منه على أنفسهم، فكبسوا داره، وأخذوه إلى الحبس، وأغاروا على أسبابه، وأخذوا جميع ما كان يملكه، وسألوا الأمير قتله، فامتنع منه، وعدل إلى عز الدولة طلباً لمرضاتهم، فتوارى في دار الشيخ أبي سعيد بن دخدوك[٢] أربعين يوماً، فتعاود الأمير شمس الدولة القولنج، وطلب الشيخ يحضر مجلسه، فاعتذر الأمير إليه بكل الاعتذار، فاشتغل بمعالجته، فأقام عنده مكرماً مبجلاً، وأعيدت الوزارة إليه ثانياً.

ثم سألته أنا[٣] – شرح كتب أرسطوطاليس. فذكر أنه لا فراغ له في ذلك الوقت، ولكن إن رضيت مني بتصنيف كتاب أورد فيه ما صحَّ عندي من هذه العلوم بلا مناظرة مع المخالفين، ولا الاشتغال بالرد عليهم، فعلت ذلك. فرضيت به، فابتدأ بالطبيعيات من كتاب سماه: "كتاب الشفاء". وكان قد صنف

١: **قزوين**: بفتح القاف وسكون الزاي المعجمة، وكسر الواو، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها نون: وهي مدينة كبيرة في عراق العجم عند قلاع الإسماعيلية. " وفيات الأعيان ١ /٩٨".

٢: ورد في الأصل المخطوط: "دحدول". والتصويب من عيون الأنباء ٤٤١ .

٣: **المتكلم**: أبو عبيد الجوزجاني.

الكتاب الأول من "القانون" . وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم[١]، وكنت أقرأ من" الشفاء" نوبة، وكان يقرأ غيري من "القانون" نوبة، فإذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم، وهيء مجلس الشراب بآلاته، وكنا نشتغل به، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار[٢] خدمة للأمير.

فقضينا على ذلك زمناً، ثم توجه شمس الدولة إلى طارم لحرب الأمير بهاء الدولة، وعاوده القولنج قريب ذلك الموضع، واشتدَّ عليه وانضاف إلى ذلك أمراض أخر جلبها سوء تدبير وقلة القبول من الشيخ، فخاف العسكر وفاته، فرجعوا طالبين به همذان في المهد، فتوفي في الطريق في المهد.

ثم بويع ابن شمس الدولة، وطلبوا استيزار الشيخ فأبى عليهم، وكاتب علاء الدولة[٣] سراً يطلب خدمته والمصير إليه، والانضمام إلى جوانبه، وأقام في دار أبي غالب العطار[٤] متوارياً، وطلبتُ منه إتمام كتاب "الشفاء" فاستحضر أبا غلب، وطلب الكاغد[٥] والمحبرة، فأحضرهما. وكتب الشيخ في عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل، وبقي فيه يومين حتى كتب رؤوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره، ولا أصل[٦] يرجع إليه، بل من حفظه وعن ظهر قلبه.

١ : في "تاريخ الحكماء" و"الوافي بالوفيات" : في دار طلبة العلم. والصواب ما أثبتناه من تاريخ الإسلام ٢٩/ ٢٢٥ .

٢ : في الأصل المخطوط : "من النهار" . والصواب ما أثبت من عيون الأنباء ٤٤١، وتاريخ الإسلام ٢٩/ ٢٢ .

٣ : **هو** أبو جعفر من بني كاكويه، استوزر ابن سينا، وتوفي سنة ١٠٢٩ ميلادية. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٢٩/ ٢٢٦، وعيون الأنباء ٤٤١ .

٤ : **انظر** : تاريخ مختصر الدول ١٨٨، وتاريخ الإسلام ٢٩/ ٢٢٦، وعيون الأنباء ٤٤١ .

٥ : **الكاغد** : بالفتح، القرطاس، فارسيّ معرَّب." قاله في القاموس مادة كغد" والمحبي في قصد السبيل ٢/ ٣٨٢ .

٦ : في الأصل المخطوط : "ولا أجل"، والصواب كما أثبتناه من عيون الأنباء.

ثم ترك الشيخ تلك الأجزاء بين يديه، وأخذ الكاغد فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها، وكان يكتب في كل يومين خمسين ورقة، حتى أتى على جميع الطبيعيات والإلهيات، ما خلا كتابي: "الحيوان، و"النبات"(١).

وابتدأ بالمنطق، فكتب منه جزءاً، ثم اتهمه تاج الملك بمكاتبته علاء الدولة فأنكر عليه ذلك، وحثّ في طلبه، فدلّ عليه بعض أعدائه، فأخذوه، وأدوه إلى قلعة يقال لها: "فردجان"(٢).

وأنشد هناك قصيدة، منها: [**الوافر**]

دُخُولِي باليَقِين كَمَا تَراهُ وكُلُّ الشَّكِّ في أمر الخُرُوجِ (٣)

وبقي فيها أربعة أشهر، ثم قصد علاء الدولة همذان فأخذها، وانهزم تاج الملك، ومرّ إلى تلك القلعة بعينها.

ثم رجع علاء الدولة عن همذان، وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة إلى همذان، ونزل في دار العلوي، واشتغل هناك بتصنيف "المنطق" من كتاب: "الشفاء".

وكان قد صنف بالقلعة كتاب: "الهدايات"(٤)، ورسالة "حي بن يقظان"، وكتاب "القولنج".

وأما الأدوية القلبية؛ فإنه صنفها أول وروده إلى همذان، وكان قد تقضى

---

١ : تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨٨ .

٢ : فردجان: قلعة مشهورة من نواحي همذان من ناحية جر، ويقال لها: براهان." معجم البلدان لياقوت ٤ /٢٤٧، وفي "تاريخ مختصر الدول ١٨٨" : بردجان.

٣ : تاريخ مختصر الدول ١٨٨، وعيون الأنباء ٤٤١، وتاريخ الحكماء ٤٢١،و الوافي بالوفيات ١٢ /٣٩٧ .

٤ : في تاريخ الحكماء: "كتاب الهداية".

على هذا زمان، وتاج الملك في أثناء هذا يمنِّيه بمواعيد جميلة.

ثم عنَّ للشيخ التوجه إلى أصفهان[١]، فخرج متنكراً ، وأنا وأخوه غلامان له في زي الصوفية، إلى أن وصلنا طبران[٢] ، على باب أصفهان، بعد أن قاسينا شدائد في الطريق، فاستقبلنا أصدقاء الشيخ، وندماء الأمير علاء الدولة، وخواصه، وحمل إليه الثياب والمراكب الخاصة، وأنزل في محلة يقال لها كون كبير. في دار عبد الله بن بابي، وفيها من الآلات والفرش ما يحتاج إليه، وحضر مجلس علاء الدولة فصادف من منزلة الإكرام والإعزاز اللذين يستحقه مثله[٣].
ثم رسم الأمير علاء الدولة ليأتي الجماعات مجلس النظر بين يديه، بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم، والشيخ في جملتهم، فما كان يطاق في شيء من العلوم.

واشتغل بأصفهان بتتميم كتاب: "الشفاء"، ففرغ من المنطق، والمجسطي، وكان قد اختصر أوقليدس، والأرثماطيقي، والموسيقى، وأورد في كل كتاب من الرياضات زيادات رأى أن الحاجة إليها داعية.

أما في "المجسطي" : فأورد عشرة أشكال في اختلاف القطر[٤]، وأورد في

١ : **أصبهان**، أو **أصفهان**: منهم من يفتح همزتها، وهم الأكثر، وكسرها آخرون، منهم السمعاني، وأبو عبيد البكري الأندلسي، وهي مدينة عظيمة مشهورة ، من أعلام المدن وأعيانها، وقد يطلق اسمها على الإقليم بأسره، وأصبهان من نواحي الجبل، فتحها عبد الله بن عبد الله بن عتبان، صلحاً، في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه، سنة تسع عشرة من الهجرة المصطفوية على صاحبها ألف ألف سلام وأزكى تحية. انظر: معجم البلدان ١ / ٢٩٢-٢٩٨ .

٢ : **طبران**: بالتحريك، وآخره نون، بلفظ تثنية طبر، وهي فارسية، والطبر : هو الذي يشقق به الأحطاب، وما شاكله بلغة الفرس، وهي مدينة في تخوم قومس. انظر: معجم البلدان لياقوت ٤ /١٣ .

٣ : **انظر** : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٤٢ .

٤ : في الأصل المخطوط: "المنظر".

آخر المجسطي في علم الهيئة أشياء لم يسبق إليها.

وأورد في "أوقليدس" شبهاً، وفي "الأرثماطيقي" خواصَّ حسنة. وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الأولون، وتم الكتاب المعروف بـ"الشفاء" ما خلا كتابَي: "النبات"، و"الحيوان"، فإنهما صنفهما في السنة التي توجَّه فيها علاء الدولة إلى سابور خواست في الطريق(١).

وصنف أيضاً في الطريق كتاب: "النجاة"، واختص بعلاء الدولة، وصار من ندمائه، إلى أن عزم علاء الدولة قصد همذان، وخرج الشيخ في الصحبة، فجرى ليلة بين يدي علاء الدولة ذكر الخلل الواقع في التقاويم المعمولة بحسب الأرصاد القديمة، فأمر الأمير الشيخ بالاشتغال برصد هذه الكواكب، وأطلق له من الأموال ما يحتاج إليه. وابتدأ الشيخ به، وولاني اتخاذ آلاتها، واستخدام صناعها، حتى ظهر كثير من المسائل، فكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة الأسفار وعوائقها. وصنف الشيخ بأصفهان: "الكتاب العلائي"(٢).

وكان من عجائب أمر الشيخ أني صحبته، وخدمته خمساً وعشرين سنة، فما رأيته إذا وقع له كتاب مُجدَّد ينظر فيه على الولاء(٣)، بل كان يقصد المواضع الصعبة منه، والمسائل المشكلة، فينظر ما قاله مصنفه، فيتبين مرتبته في العلم، ودرجته في الفهم.

وكان الشيخ جالساً يوماً من الأيام بين يدي الأمير، وأبو منصور الجبائي(٤)

١: كورة في فارس.

٢: **انظر**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٤٢.

٣: **أي**: يقرأ الكتاب قراءة متتابعة الفصول والأبواب، بل يختار من الكتاب ما هو صعب من المسائل العالقة في ذهنه، ويحتاج إليها.

٤: هكذا ورد في الأصل المخطوط، وفي عيون الأنباء، وورد في "تاريخ حكماء الإسلام" بلفظ: الجبان.

حاضر، فجرى في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره، فالتفت أبو منصور إلى الشيخ وقال له: أنت تقول أنك فيلسوف وحكيم، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها!.

فاستنكف الشيخ من هذا الكلام، وتوفَّر على درس كتب اللغة ثلاث سنين،واستهدى كتاب "تهذيب اللغة" من خراسان، تصنيف أبي منصور الأزهري(١)، فبلغ الشيخ في اللغة طبقةً قلَّ ما يتفق مثلها.

وأنشأ(٢) ثلاث قصائد، وضمَّنها ألفاظاً غريبة في اللغة. وكتب ثلاثة كتب؛ أحدها: على طريقة ابن العميد(٣)، والآخر: على طريقة الصاحب(٤)

١: أبو منصور الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أحد أئمة اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان، ونسبته إلى جده الأزهر. عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها، وقصد القبائل، وتوسع في أخبارهم. ووقع في إسار القرامطة، فكان مع فريق من هوازن، يتكلمون بطباعهم البدوية، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن، كما قال في مقدمة كتابه"تهذيب اللغة" ، ومن كتبه: "غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء"، و"تفسير القرآن"، و"فوائد منقولة من تفسير المزني". انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٥٠١، وإرشاد الأريب " معجم الأدباء" ٦/٢٩، وآداب اللغة ٢/٣٠٨ .

٢: في الأصل المخطوط "أنشد".

٣: هما اثنان: الأب والابن، أما الأب - وهو ما ترجح لدي من ترجمته -: محمد بن الحسين العميد بن محمد أبو الفضل، وزير من أئمة الكتاب، كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم، ولقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله، قال الثعالبي: بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد. ولي الوزارة لركن الدولة البويهي. وكان حسن السياسة خبيراً بتدبير الملك، كريماً ممدوحاً. له: "مجموع رسائل" في مجلد ضخم لا يزال مخطوطاً - على ما ذكره الزركلي في أعلامه -.
انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٦/٩٨، ويتيمة الدهر ٣/٢، ووفيات الأعيان ٢/٥٧، وأمراء البيان ٥٤٦-٥٧٠، والإمتاع والمؤانسة ١/٦٦ .

٤: هو **إسماعيل بن عباد** بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً، وفضلاً، وتدبيراً، وجودة رأي، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه، ثم أخوه فخر=

والآخر: على طريقة الصابي[١] وأمر بتجليدها، وإخلاق[٢] جلدها.

ثم أوعز الأمير فعرض تلك المجلّدة على أبي منصور الجبائي، وذكر أنّا ظفرنا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد، فنحبُّ أن تتفقدها، وتقول لنا ما فيها.

فنظر فيها أبو منصور وأشكل عليه كثير مما فيـها!.

فقال الشيخ: إن ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة، وذكر له كثيراً من الكتب المعروفة في اللغة.

ففطن أبو منصور أن تلك الرسائل من تصنيف الشيخ، وأن الذي حمله عليه ما جبهه به ذلك اليوم، فتنصَّل واعتذر إليه.

ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة سماه: " لسان العرب"[٣]، لم يصنف في اللغة مثله، ولم ينقله إلى البياض حتى توفي، فبقي على مسوَّدته، لا يهتدي أحد إلى ترتيبه.

=الدولة، ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه. ولد في الطالقان من أعمال قزوين، وإليها نسبته، وتوفي بالري سنة ٣٨٥ هجرية، له تصانيف جليلة في اللغة منها: " المحيط" في مجلدين، وكتاب" الوزراء"، والإقناع في تخريج العروض والقوافي" وغيرها.

انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ١/٣١٦، ومعجم الأدباء ٢/٢٧٣-٣٤٣، ومعاهد التنصيص ٤/١١١، وتاريخ ابن الوردي ١/٣١٢ .

١: هو ابراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الحراني، أبو إسحاق الصابيء، نابغة كُتَّاب جيله، كان أسلافه يعرفون بصناعة الطب، ومال هو إلى الأدب، فتقلّد دواوين الرسائل والمظالم والمعاون تقليداً سلطانياً في أيام المطيع لله العباسي، ثم قلده معز الدولة الديلمي ديوان رسائله سنة ٣٤٩هجرية، فخدمه وخدم بعده ابنه عز الدولة ، وكان صلباً في دين الصابئة، توفي سنة ٣٨٤هجرية.

انظر ترجمته في : الأعلام للزركلي ١/٧٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١/١٢، والإمتاع والمؤانسة ١/٦٧، والنجوم الزاهرة ٣/٣٢٤ .

٢: أي: دهنها بالخلوق وهو الطيب، أي أمر بتطييب جلدها.

٣ : **انظر**: عيون الأنباء ٤٤٣، وتاريخ الحكماء ٤٢٢ .

وكان قد حصل للشيخ تجارب كثيرة فيما باشر من المعالجات، عزم على تدوينها في كتاب "القانون"(١).

من ذلك: أنه صدع يوماً ؛ فتصور أن مادة تريد النزول إلى حجاب رأسه، وأنه لا يأمن من ورم يحصل فيه، فأمر بإحضار ثلج كثير، ودقَّه ولفَّه في خرقة، وأمر بتغطية رأسه بها.

ففعل ذلك حتى قوي الموضع وامتنع عن قبول تلك المادة، وعوفي.

ومن ذلك: [أن] امرأة مسلولة بخوارزم أمرها أن لا تتناول من الأدوية سوى الجلنجبين السكري(٢)، حتى تناولت على الأيام نحو مائة مَنٍّ، وشفيت المرأة.

وكان الشيخ قد صنف بجرجان: " المختصر الأصغر" في المنطق، وهو الذي وضعه بعد ذلك في: "النجاة". ووقعت نسخة إلى شيراز(٣)، فنظر فيها جماعة من أهل العلم هناك، فوقعت لهم الشبهة في مسائل منها؛ فكتبوها على جزء، وكان القاضي بشيراز من جملة القوم؛ فأنفذ بالجزء إلى أبي القاسم الكرماني،

---

١ : وكان قد علقها على أجزاء فضاعت قبل تمام كتاب القانون. ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء ٤٤٣ .

٢ : قال **المحبي**:" الجلنجبين" معرَّب :"كُل أنكُبين"، أي: ورد وعسل، والمعمول من السكر يسمى :"كل با شكر" والنوعان يقويان الدماغ والمعدة، ويجففان الرطوبات الغريبة، ويمنعان البخار من الصعود، خصوصاً إذا أخذا بعد الطعام، وملازمته في الشتاء تحفظ الصحة، وإذا أخذ منه ومن معجون الأسطو خودس" – ويسمى الكمون الهندي – سواء، ومن معجون البنفسج نصف أحدهما، وأحكمت الثلاثة خلطاً، وتمودي على استعمالها أزالت الرمد العتيق، والبخار، وضعف البصر، والصداع، والشقيقة، والسدد، والأخلاط المحترقة، مجرَّب وهو معطِّش، مضر بالكبد، ويصلحه الخشخاش.

انظر: قصد السبيل للمحبي ١ / ٣٩٤ .

٣ : **شيراز**: مدينة في إيران هي قاعدة إقليم فارس، فتحها أبو موسى الأشعري، وعثمان بن أبي العاص، في أواخر خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه، نشأ بها وتخرج منها جماعة من العلماء لقبوا بـ : الشيرازي.

صاحب إبراهيم بن بابا الديلمي، المشتغل بعلم التناظر، وأضاف إليه كتاباً إلى الشيخ أبي القاسم، وأنفذها على يدي ركابي قاصد، وسأله عرض الجزء على الشيخ أبي القاسم، فدخل على الشيخ عند اصفرار الشمس في يوم صائف، وعرض عليه الكتاب والجزء. فقرأ الكتاب ورده عليه، وترك الجزء بين يديه، وهو ينظر فيه، والناس يتحدثون. ثم رجع أبو القاسم وأمرني الشيخ بإحضار البياض، وقطع أجزاء منها، فشددت خمسة أجزاء كل واحد منها عشرة أوراق بالربع الفرعوني، وصلينا العشاء فأمر بإحضار الشراب وأجلسني وأخاه، وأمرنا بتناول الشراب، وابتدأ هو بجواب تلك المسائل. وكان يكتب ويشرب إلى نصف الليل، حتى غلبني وأخاه النوم، فأمرنا بالانصراف.

فعند الصباح قرع الباب؛ فإذا رسول الشيخ يستحضرني فحضرته، وهو على المصلّى، وبين يديه الأجزاء الخمسة؛ فقال: خذها، وصِرْ بها إلى الشيخ أبي القاسم الكرماني، وقل له: استعجلت في الإجابة عنها لئلا يتعوّق الركابي.

فلما حملته، تعجب كل العجب، وصرف الفيج[1]، وأعلمهم بهذه الحالة، وصار هذا الحديث تاريخاً بين الناس.

ووضع في [حال] الرصد آلات ما لم يسبق إليه، وصنَّف فيها رسالة، وبقيت أنا ثماني سنين مشغولاً بالرصد، وكان غرضي تبين ما يحكيه بطليموس عن قصته في الأرصاد؛ فتبين لي بعضها.

١: **الفيج**: معرَّب "بيك"، والجمع: "فيوج". قال أبو منصور: ليس بعربي صحيح. ومنه: "الفائج"، من قولك" مر بنا فائج من وليمة فلان. أي: فيج ممن كان في طعامه.
والفَيج: رسول السلطان على رجله – قاله الجواليقي في "المعرّب" ٢٩١ – فارسي معرَّب، وقيل: هو الذي يسعى بالكتب، والجمع: فيوج.
انظر: قصد السبيل للمحبي ٢/٣٤٩.

وصنف الشيخ كتاب "الإنصاف"، واليوم الذي قصد فيه السلطان مسعود إلى أصفهان، نهب عسكره [رحل] الشيخ، وكان الكتاب في جملة النهب، وما وقف له على أثر.

وكان الشيخ قويَّ القوى كلها، وكانت قوة المجامعة من قواه الشهوانية أقوى وأغلب، [وكان كثيراً ما يشتغل به فأثر في مزاجه] وكان الشيخ يعتمد على قوة مزاجه حتى صار أمره في السنة التي حارب فيها علاء الدولة تاش فراش على باب الكرخ، إلى أن أخذه الشيخ قولنج. ومن حرصه على برئه إشفاقاً من هزيمة يدفع إليها، ولا يتأتى له المسير فيها مع المرض، حقن نفسه في يوم واحد ثمان مرات، فتقرح بعض أمعائه، وظهر به سحج(١)، وأحوج إلى المسير مع علاء الدولة، فأسرعوا نحو إيذج(٢)، فظهر به هناك الصرع الذي كان يتبع علة القولنج، ومع ذلك كان يدبر نفسه، ويحقن نفسه لأجل السحج(٣)، ولبقية القولنج.

فأمر يوماً باتخاذ دانقين(٤) من بزر الكرفس(٥)، في جملة ما يحتقن به،

١ : **السَّحْج**: التقشُّر.

٢ : **إيذج**: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان، وهي أجلُّ مدن هذه الكورة، قاله ياقوت، وانظر تتمة كلامه عنها في: "معجم البلدان" ١ /٢٨٨-٢٨٩ .

٣ : تاريخ الإسلام للذهبي ٢٩ /٢٢٧، وتاريخ مختصر الدول ١٨٩ .

٤ : **الدانق**: بكسر النون، وهو الأفصح الأعلى، ويفتح : سدس الدرهم، معرَّب: "دانك" يقال: أول من دنق الدانق الحجاج، وعن الحسن: " لعن الله الدانق ومن دنق به" . كأنه أراد النهي عن التقدير والنظر في الشيء، التافه الحقير" .
انظر: "قصد السبيل" للمحبي ٢ /١١، و"لسان العرب" مادة دنق، و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير الجزري ٢ /١٣٧ .

٥ : **الكرفس**: محركة، وكجعفر، معرب كرسب، بقل معروف، عظيم المنافع، محلل للرياح والنفخ، منقٍّ للكلى والكبد والمثانة، مفتِّح لسددها، مقوٍّ للباه، لا سيما بزره مدقوقاً بالسكر والسمن، عجيب إذا شرب ثلاثة أيام، ويضر بالأجنة والحبالى والمصروعين" قاله في القاموس مادة كرفس" .

وخلطه به طلباً لكسر الرياح؛ فقصد بعض الأطباء الذين كان يتقدم هو إليه بمعالجته، فطرح من بزر الكرفس خمسة دراهم - لست أدري عمداً فعله أم خطأ؟ لأنني لم أكن معه - فازداد السحج به، من حدة ذلك البزر(١).

وكان يتناول "المثرذيطوس"(٢) لأجل الصرع، فقام بعض غلمانه وطرح شيئاً كثيراً من الأفيون(٣) فيه وناوله، فأكله. وكان سبب ذلك خيانتهم في مال كثير من خزائنه، فتمنوا هلاكه، ليأمنوا عاقبة أعمالهم. فنقل الشيخ كما هو إلى أصبهان، فلم يزل يعالج نفسه حتى قدر على المشي، وحضر مجلس علاء الدولة، لكنه مع ذلك لا يتحفظ، ويكثر التخليط في أمر المعالجة(٤)، ولم يبرأ من العلة كل البرء، فكان ينتكس ويبرأ كل وقت.

=وفي الشرعة: أنه يورث الحفظ، ويزكي القلب، وينفي الجذام والجنون، وأنه طعام الخضر وإلياس عليهما السلام. **انظر**: قصد السبيل للمحبي ٢/٣٩٢.

١ : **انظر**: تاريخ الإسلام ٢٩/٢٢٧، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢/١٥٩، وعيون الأنباء ٤٤٥.

٢ : **في التذكرة**: "مثرو ذيطوس"، والمثرذيطوس: ويقال: "مثرا" اختصاراً، ومعناه: المنقذ من ضرر السم، واسم مالك رومية الكبرى، وقيل: اسم الحكيم المؤلِّف له، وفيما لم يعرَّب من اليونانيات ما يدل على الأول، وحكى أندرو ماخس أنه من صناعة فيلمون، وقيل: أنطاغورس، أحد الآخذين عن المعلم، ولما شاع هذا التركيب، عظم قدره، وذاع ذكره، ونوَّه عظماء اليونان بذكره، حتى بيع المثقال منه بسبعة أمثاله ذهباً، وأقام كذلك حتى ظهر الترياق الكبير، فإنه أجلُّ منه، وأسرع في قطع السموم، فكان هذا ثانياً في هذا الأمر، وأجلُّ المعاجين الكبار.
انظر: قصد السبيل للمحبي ٢/٤٤٣.

٣ : **الأفيون**: لبن الخشخاش المصري الأسود، نافع من الأورام الحارة خاصة العين، مخدِّر، وقليله منوِّم، وكثيره سم، فارسي معرَّب "أبيون"، وقيل: يوناني معناه: المُسْبِتْ. يقال له بالبربرية: ترياق، وبالسريانية "شقيقل"، أي: مميت الأعضاء.
انظر: قصد السبيل للمحبي ١/٢٠١-٢٠٢، والتذكرة ٤٨.

٤ : هكذا في الأصل المخطوط، ولعله الصواب، وفي عيون الأنباء وتاريخ الإسلام: "المجامعة".

ثم قصد علاء الدولة همذان، فسار معه الشيخ فعاودته في الطريق تلك العلة إلى أن وصل إلى همذان، وعلم أن قوته قد سقطت، وأنها لا تفي بدفع المرض، فأهمل مداواة نفسه، وأخذ يقول: المدبر الذي كان يدبرني[١] قد عجز عن التدبير، والآن فلا تنفع المعالجة. وبقي على هذا أياماً، ثم انتقل إلى جوار ربه.

وكان عمره: ثلاثاً وخمسين سنة[٢]. وكان موته في سنة ثمان وعشرين وأربع مائة. وكانت ولادته: في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.

هذا آخر ما ذكره أبو عبيد[٣] من أحوال الشيخ الرئيس - رحمه الله -.

وقبره تحت سور من جانب القبلة من همذان، وقيل: إنه نقل إلى أصبهان، ودفن في موضع على باب "كونكنبد"[٤]

ولما مات ابن سينا من القولنج الذي [عرض له][٥] قال فيه بعض أهل زمانه: [**المتقارب**].

رَأيتُ ابنَ سِينَا يُعادِي الرِّجَال وبالحَبس مَات أَخَسَّ المَمَات
فَلَم يُشْفَ مَا نَالَه بالشِّفَا ولم يَنْجُ مِن مَوتِة بالنَّجَاة

وقوله: "بالحبس" يعني: انحباس البطن من القولنج الذي أصابه.

---

١ : في تاريخ الإسلام: "يدبر بدني".

٢ : في "تاريخ مختصر الدول" ١٨٩ : وكان عمره ثمانياً وخمسين سنة. ومثله في "تاريخ الزمان" ٨٩

٣ : **انظر**: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ١٥٩-١٦٠، وعيون الأنباء ٤٤٣-٤٤٥ . وفي: "الكامل" لابن الأثير في التاريخ ٩ / ٤٥٦ : أنه توفي بإصبهان.

٤ : عيون الأنباء ٤٤٥ .

٥ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من عيون الأنباء.

و"الشفاء" و"النجاة" : يريد الكتابين من تأليفه، وقصد بهما [الجناس في الشعر].

[وصية ابن سينا]

[ومن **كلام الشيخ الرئيس** وصية أوصى بها][1]بعض أصدقائه، – وهو سعيد ابن أبي الخير الصوفي الميهني[2] . ومن كلامه قال:

"ليكن الله تعالى أول فكرك وآخره، وباطن اعتبارك وظاهره[3]، ولتكن عين نفس الرجل مكحولة بالنظر إليه[4]، وقدمها موقوف على المثول بين يديه، مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى، وما فيه من آيات ربه الكبرى، وإذا انحطّ إلى قراره، فلينـزه الله تعالى في آثاره، فإنه باطن ظاهر، تجلى لكل شيء بكل شيء. [**المتقارب**]

فَفِي كُلِّ شيءٍ لَهُ آيةٌ تَدلُّ علَى أنَّه واحِدُ

فإذا صارت هذه الحال له ملكة، تنطبع فيها نقش الملكوت، وتجلى له قدس اللاهوت، فألِفَ الأنس الأعلى، وذاق اللذة القصوى، وأخذه عن نفسه من هو بها أولى[5]، وفاضت عليه السكينة، وحقت له الطمأنينة[6]، وتطلّع على

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الأصل استكمل من عيون الأنباء ٤٤٥ .

٢ : **الميهني**: بكسر الميم، وسكون الياء المنقوطة، من تحتها بنقطتين، وفتح الهاء وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى ميهنة، وهي إحدى قرى خابران ناحية بين سرخس وأبيورد. انظر: الأنساب ١١ / ٥٨٠

٣ : في عيون الأنباء، وتاريخ الإسلام: باطن كل اعتبار وظاهره.

٤ : في سير أعلام النبلاء : " ولتكن عين نفسه مكحولة" .

٥ : في الأصل المخطوط : "من هواها أولى" . والتصويب من تاريخ الإسلام، وعيون الأنباء.

٦ : في الأصل المخطوط : "وحفت به الطمأنينة" .

العالم الأدنى اطلاع راحمٍ لأهله، مستوهنٍ لحبله، مستخفٌ لثقله، مستحسن[١] به لعقله، مستضل لطرقه، وتذكر نفسه وهي بها لهجة، وببهجتها بهجة، فيعجب منها ومنهم تعجبهم منه، وقد ودَّعها، وكان معها كأن ليس معها.

وليعلم أن أفضل الحركات الصلاة، وأمثل السكنات الصيام، وأنفع البر الصدقة، وأزكى العمل الاحتمال[٢]، وأبطل السعي المراءاة[٣]، ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفت إلى قيل وقال، ومنافسة وجدال، وانفعلت بحال من الأحوال.

وخير العمل ما صدر عن خالص نية، وخير النية ما ينفرج عن جناب علم، والحكمة أم الفضائل، ومعرفة الله – تعالى – أول الأوائل: ﴿ إليه يَصعَدُ الكَلِمُ الطيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[٤].

ثم يقبل على هذه النفس المؤمنة بكمالها الذاتي، فيحرسها عن التلطخ بما يشينها من الهيئات الانقيادية، للنفوس الموادية، التي إذا بقيت في النفس المزينة كان حالها عند الانفصال كحالها عند الاتصال، إذ جوهرها غير مشاوب ولا مخالط، وإنما يدنسها هيئة الانقياد لتلك الصواحب بل تفيدها هيئات الاستيلاء والاستعلاء والرياسة.

وكذلك يهجر الكذب قولاً وفعلاً، حتى يحدث للنفس هيئة صدوقة، فتصدق الأحلام والرؤيا، وأما اللذات فيستعملها على إصلاح الطبيعة، وإبقاء الشخص والنوع، والسياسة.

---

١ : في تاريخ الإسلام: "مستخش به لعلقه".

٢ : في الأصل المخطوط: "الاحتلام".

٣ : في عيون الأنباء وسير أعلام النبلاء: "الرياء".

٤ : سورة فاطر – الآية ١٠ .

أما المشروب: فإنه يهجر شربه تلهياً بل تشفياً وتداويا، ويعاشر كل فرقة بعادته ورسمه، ويسمح بالمقدور والتقدير من المال، ويركب لمساعدة الناس كثيراً مما هو خلاف طبعه، ثم لا يقصر في الأوضاع الشرعية، ويعظم السنن الإلهية، والمواظبات على التعبدات البدنية، ويكون دوام عمره إذا خلا وخلص من المعاشرين تطربه الزينة في النفس، والفكرة في الملك الأول وملكه، وكيس النفس عن عشار[١] الناس من حيث لا يقف عليه الناس، عاهد الله أنه يسير بهذه السيرة، ويدين بهذه الديانة، والله ولي الذين آمنوا، وحسبنا الله ونعم الوكيل".

ومن شعر الشيخ الرئيس قاله في النفس

"وهي من أحسن قصائده وأشرفها" [**الكامل**]

هَبَطَتْ إليْكَ مِنَ المحلِّ[٢] الأرفَعِ ... وَرقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وتمنُّعِ
مَحْجُوبةٌ عَن كلِّ مُقلَةِ عَارِفٍ ... وهي الَّتي سَفَرتْ فَلَم تَتَبَرْقَعِ
وصَلْتَ عَلى كُرهٍ إليكَ ورُبَّمَا ... كَرِهَت فِراقَكَ وهي ذَاتُ تَفَجُّعِ
أنفَتْ ومَا أنِسَتْ[٣] فَلَمَّا وَاصَلَتْ ... ألفَتْ مُجَاورةَ الخَرَابَ البَلْقَعِ
وأظُنُّها نَسِيَت عُهُوداً بالحِمَى ... ومَنازِلاً بِفِراقِهَا لَم تَقْنَعِ
حَتى إذا اتَّصَلتْ بِهَاء هُبُوطِها ... مِن مِيم مركزِها بذات الأجرعِ

١ : في عيون الأنباء: "عيار".
٢ : في البداية والنهاية : "من المقام".
٣ : في وفيات الأعيان : "وما ألفت"، والمثبت من الأصل المخطوط، وهو يتفق مع عيون الأنباء، وأعيان الشيعة.

علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت (١) بين المعـالم والطلول الخُضَّع
تبكي إذا ذكرت دياراً بالحمى بمدامع تهمي ولمّا تقطع (٢)
وتظل ساجعةً على الدِّمَن التي دُرِسَتْ بتكرار الرياح الأربع
إذ عاقها الشرَك الكثيف وصدَّها قفصٌ عن الأوج الفسيح الأرفع (٣)
حتى إذا قرب المسير من الحمى دنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وهجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يدرك بالعيون الهُجَّع
وغدت مفارقة لكل مخالف عنها حليف الترب غير مشيع
وبدت (٤) تغرِّد فوق ذروة شاهقٍ والعلم يرفع كل من لم يُرفع
فلأي شيء أهبطت من شاهق سامٍ إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أرسلها (٥) الإله لحكمة طويت عن الفَطِن اللبيب الأروع
فهبوطها إن (٦) كان ضربة لازبٍ (٧) لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية في العالمين فخرقها لم يرقع

١ : ذكر في هامش تاريخ الإسلام – النسخة المخطوطة –: " هاء هبوطها: رمز عن الهيولى، وميم مركزها اختراعها ومبدأها الأول، وثاء الثقيل، أي: الهيكل الإنساني". انظر: تاريخ الإسلام ٢٩ / ٢٣٠ .

٢ : هذا البيت ساقط من النسخة المخطوطة استكمل من تاريخ الإسلام. وهو في وفيات الأعيان: "تقلع"، ومثله في الوافي بالوفيات ١٢ /٤٠٨، والمثبت يتفق مع "عيون الأنباء"، والشذرات وتاريخ الإسلام.

٣ : هذا البيت ساقط من النسخة المخطوطة واستكمل من تاريخ الإسلام ٢٩ / ٢٣٠ .

٤ : في وفيات الأعيان: "وغدت"،ومثله في الوافي بالوفيات والمثبت يتفق مع عيون الأنباء، و أعيان الشيعة.

٥ : في"وفيات الأعيان" "أهبطها"، ومثله في : الوافي بالوفيات ١٢ /٤٠٨، والمثبت يتفق مع عيون الأنباء، وأعيان الشيعة.

٦ : هكذا في الأصل، وعيون الأنباء، وفي الوافي بالوفيات ١٢ /٤٠٨ :" فهبوطها لا شك".

٧ : في وفيات الأعيان، وأعيان الشيعة :"ضربة لازم".

وهي التي قطع الزمانُ طريقها ... حتى لقد غرُبت بغير المطلع
فكأنها برقٌ تألَّق بالحمى ... ثم انطوى فكأنه لم يلمع[1]

وقال في الشيب، والحكمة، والزهد:[الوافر]

أما أصبحت عن ليل التصابي ... وقد أصبحت عن ليل الشباب
تنفس في عذارك صبح شيب ... وعسعس ليله فكم التصابي
شبابك[2] كان شيطاناً مريدا ... فرجِّم من مشيبك بالشهاب
وأشهب من بزاة الدهر خوّى ... على فودي فألمأ بالغراب
عفا رسم الشباب ورسم دار ... لهم عهدي بها مغنى رباب
فذاك ابيضَّ من قطرات دمعي ... وذاك اخضرَّ من قطر السحاب
فذا ينعى إليك النفس نعياً ... وذلكم نشور للروابي
كذا دنياك ترأب لانصداع ... مغالطة وتبني للخراب
ويعلق مشمئز النفس عنها ... بأشراك تعوق عن اضطراب[3]
فلولاها لعجلت انسلاخي ... عن الدنيا وإن كانت إهابي
عرفت عقوقها فسلوت عنها ... فلما عفتها أغريتها بي[4]
بليت بعالم يعلو أذاه ... سوى صبري ويسفل عن عتابي
وسيل للصواب خلاط قوم ... وكم كان الصواب سوى الصواب
أخالطهم ونفسي في مكان ... من العلياء عنهم في حجاب

١ : الأبيات بتقديم وتأخير في: وفيات الأعيان ٢ / ١٦٠–١٦١، وعيون الأنباء ٤٤٦، والوافي بالوفيات ١٢ / ٤٠٧–٤٠٨، وشذرات الذهب ٣ / ٢٣٦–٢٣٧، وأعيان الشيعة ٢٦ / ٣٢٩–٣٣٠، ومنها الثلاثة أبيات الأولى فقط: في البداية والنهاية ١٢ / ٤٣ .

٢ : في الأصل المخطوط: " شهابك". والمثبت من "عيون الأنباء ٤٤٧ .

٣ : في "عيون الأنباء: " فلما عفتها أغريتها بي".

٤ : في عيون الأنباء: " بأشراك تعوق عن اضطراب".

ولست بمن يلطخه خلاط — متى اعتبرت أبان عن تراب
إذا ما لحت الأبصار نالت — خيالاً واشمأزت عن لباب (١)

وقال أيضاً :[الكامل]

خير النفوس العارفات ذواتها — وحقيق كيمياتها ماهيَّاتها
وبم الذي حلَّت وبم تكونت — أعضاء بنيتها على هيئاتها
نفس النبات ونفس حسٍ ركبا — هلاّ كذاك سماته كسماتها
يا للرجال لعظم رزء لم تزل — منه النفوس تخب (٢) في ظلماتها

وقال أيضاً :[الخفيف]

هذِّب النفس بالعلوم لترقى — وذرِ الكلَّ فهي للكلِّ بيت
إنما النفس كالزجاجة والعلـ — ـم سراج وحكمة الله زيت
فإذا أشرقت فإنك حي — وإذا أظلمت فإنك ميت (٣)

وقال أيضاً :[مجزوء الرمل]

صَبَّها في الكاس صرفا — غلبت ضوء السراج
ظنَّها في الكاس نارا — فطفاها بالمزاج (٤)

وقال أيضاً :[الكامل:

قم فاسقنيها قهوة كدم الطلا — يا صاح بالقدح الملا بين الملا
خمراً تظل لها النصارى سجَّدا — ولها بنو عمران أخلصت الولا

---

١ : عيون الأنباء ٤٤٦–٤٤٧ .

٢ : أي تضطرب وتسير خبباً . والأبيات في عيون الأنباء ٤٥١–٤٥٢ .

٣ : البيت الأخير ناقص من الأصل المخطوط، وقد استكمل من عيون الأنباء ٤٥٢ .

٤ : عيون الأنبا لابن أبي أصيبعة ٤٥٢ .

لو أنهـا يومـاً وقـد ولعت بهم   قـالت : ألست بربكم قـالوا بلى[١]

نظر إلى قوله تعالى في سورة الأعراف :﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُم قَالوا بَلَى ﴾[٢]

وقال أيضاً :[**الرمل**]

نزل اللاهوت[٣] في ناسُوتِهـا[٤]   كنـزول الشـمس في أبراج يوح

قـال فـيـهـا بعضُ من هام بهـا   مِثلَ ما قـال النصارى في المسيح

هي والكاس ومـا مـا زجـهـا   كـأب مـتَّـحـدٍ وابن روح

وقال أيضاً :[**الطويل**]

شربنا على الصوت القديم قديمة   لكل قـديمٍ أولٌ هي أول

ولو لم تكن في حـيِّـزٍ قلت إنهـا   هي العلة الأولى التي لا تعلل

وقال أيضاً وقيل إنها للطغرائي [الكامل]

عجباً لقوم يحسدون فضائلي   مـا بين عـانيٍّ إلى عُـذَّال

عتبوا على فضلي وذمُّوا حكمتي   واستوحشوا من نقصهم وكمالي

إني وكيدهم وما عتبوا به   كالطَّود يحقر نطحة الأوعال

وإذا الفتى عرف الرشاد لنفسه   هانت عليه ملامة الجهَّال[٥]

---

١ : عيون الأنباء ٤٥٢ .

٢ : سورة الأعراف – الآية ١٧٢ .

٣ : **اللاهوت** : الألوهة، وأصله "لاه" أي أنه زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة كما في جبروت وملكوت.

٤ : **الناسوت** : الطبيعة الإنسانية.

٥ : **انظر** : ديوان الطغرائي ٣١١، و"عيون الأنباء" ٤٥٣، والبيت الأخير منها ناقص في المخطوط الأصل.

وقال أيضاً :[**الكامل**]

أشكو إلى الله الزمـان بصـرفـه أبلى جـديد قـواي وهو جـديد
مِـحَنٌ إليَّ توجَّـهت فكأنني قد صرت مغناطيس وهي حديد[١]

وقال أيضاً : [**الطويل**]

عطارد قـد – والله – طال ترددي مساءً وصبحاً كي أراك فأغنما
فـها أنت فامددني كي أدرك المنى بها والعلوم الغامضات تكرما
ووقـتي و المحذور والشر كله بأمر مليك خالق الأرض والسما[٢]

ومنهم:

١٩- أبو الفرج عبد الله بن الطيب*

كاتب الجاثَليق(٣).

١ : البيت الثاني ناقص في المخطوط الأصل استكمل من عيون الأنباء ٤٥٣ .

٢ : عيون الأنباء – ٤٥٤ وقال قبلها: "إن هذه الأبيات إذا قيلت عند رؤية عطارد وقت شرفه فإنها تفيد علماً وخيراً **بإذن الله تعالى**".

* **انظر ترجمته في**: مختصر الدول لابن العبري ٢٧٤–٣٣٠، وتاريخ الحكماء للقفطي ٢٢٣، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٣٢٣–٣٢٥، ونزهة الأرواح للشهرزوري ٢ /٢٥–٢٨، وهدية العارفين للبغدادي ١ /٤٥٠–٤٥١، وفلاسفة الإسلام للبيهقي ٤٣–٤٧، ونصارى بغداد لبابو إسحاق ٢١٥–٢١٧، والأعلام لخير الدين زركلي ٤ /٢٢٧، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦ /٦٦، والحكمة – القدس ٥ /٢٧، ومختصر تاريخ الطب العربي ١ /٥٠١–٥٠٤ .

٣ : **الجاثَليق**: بفتح الثاء، " رئيس النصارى في بلاد الإسلام بمدينة السلام، ويكون تحت يد بطريق أنطاكية، ثم "المطران" تحت يده، ثم "الأسقف" يكون في كل بلدة من تحت يد المطران، ثم القسيس، ثم الشمَّاس. انظر: القاموس مادة: "جثلق"، وقصد السبيل للمحبي ١ /٣٦٢ .

كان مع توسعه في الحكمة، وتتبعه لسرجها المضيئة في كل ظلمة، مصرّاً على نصرانيته[١]، معظِّماً لأمور رهبانيته، ينقاد إلى خُدعها، ولا يخفى عليه أنها ضلال، ويتردَّد إلى بِيَعها[٢]، ولا يعتريه ملال، ويعظم صورها الممثلة، ويظل عليها عاكفا، وإليها عاطفا، وهو على يقين من أنها لا تنطق، ولا تمسك عليه من خزائن رزقها ولا تنفق. على أنه كان إماماً في الطبيعي لا يعدو علمه، ولا يخاف عدمه، فأما من ذكر سواه فكثيراً ما يجد من واساه.

ذكره ابن أبي أصيبعة، وقال: " هو الفيلسوف الإمام العالم [أبو الفرج عبد الله ابن الطيب، وكان كاتب الجاثليق] ومتميزاً بين النصارى ببغداد، ويقرئ الطب في البيمارستان العضدي، .... جليل المقدار، واسع العلم، شرح كثيراً من كتب أرسطو، وأبقراط، وجالينوس، وكانت له قوة في التصنيف، وأكثر ما كانت تؤخذ عنه إملاء من لفظه، [وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا]. وكان الرئيس يحمده في الطب، ويذمه في الحكمة، وقال فيه: " وكان يقع إلينا كتبٌ يعملها الشيخ أبو الفرج ابن الطيب، في الطب، ونجدها صحيحة مرضية، خلاف تصانيفه في المنطق والطبيعيات، وما يجري معها" .

وحكى ابن القفّ[٣] : أن رجلين أتيا من بلاد العجم للقراءة على ابن

١ : **قال تعالى:** ﴿ ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُور ﴾ صدق الله العظيم، سورة النور – الآية ٤٠ .

٢ : البِيعة: بالكسر، معبد النصارى واليهود، وكذلك الكنيسة، لكن البيعة غلبت على معبد النصارى، والكنيسة على معبد اليهود، وهما معرَّبا "كليسا"، و"كُنِشت" بالفارسية، أي: معبد النار، أو بيعة اليهود، أو كنيسة النصارى. انظر: المحبي – قصد السبيل ١ / ٣٢٠، وكذا المعجم الذهبي ٤٧٥–٤٨٠ .

٣ : **يعقوب بن إسحاق**، أبو الفرج، أمين الدولة الكركي ابن القف، (٦٣٠–٦٨٥هجرية) عالم بالطب والجراحة، من نصارى الكرك، ملكي المذهب، استقر في دمشق، فقرأ على ابن أبي أصيبعة=

الطيب، فقيل لهما إنه في الكنيسة للصلاة، فأتيا عليه، فوجداه لابساً ثوب صوف، مكشوف الرأس، وبيده مبخرة فيها بخور، وهو يدور في الكنيسة، يبخرها؛ فتأملاه، وتحدَّثا بالفارسية، وأداما النظر إليه، والتعجب من فعله! وهو من أجلِّ الحكماء، فكأنه رآهما، وفهم عنهما ما هما فيه. فلما فرغ من شأنه، لبس ثيابه المعتادة، وقرِّبت له البغلة، فركبها، ومشت الغلمان حوله. فتبعاه، وسألاه أن يقرئهما. فقال لهما: أحججتما قط؟.

فقالا: لا.

فقال: لا أقرئكما حتى تحجَّا.

فحجَّا، ثم أتياه وقد علاهما الشحوب، ورؤوسهما محلَّقة، فسألهما عن مناسك الحج، وما فعلاه فيها؟. فأخبراه بها.

فقال لهما: لما رميتما الجمار بقيتما عراة موشحين، وبأيديكما الحجارة وأنتما تهرولان وترميان بها؟.

قالا: نعم.

فقال: هكذا الأمور الشرعية، تؤخذ نقلاً لا عقلاً!.

فعرفا قصده، وعجبا منه، ثم اشتغلا عليه، وكانا من أجلِّ تلامذته[1].

=الكتب المتداولة في صناعة الطب والعلاج، كمسائل حنين، والفصول لأبقراط، وكتب أبي بكر الرازي وقرأ الفلسفة والحكمة على عبد الحميد الخسروشاهي، وغيره، وخدم بصناعة الطب في عجلون، فأقام بها عدة سنين، وعاد إلى دمشق يعالج المرضى، في قلعتها. وتوفي بها. له تصانيف منها: " عمدة الإصلاح في صناعة الجرَّاح"، و"الأصول في شرح الفصول لأبقراط"، وله: " الشافي في الطب" وغيرها.

انظر ترجمته في: طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢ / ٢٧٣، وذيل مرآة الزمان ٤ / ٣١٤، والأعلام للزركلي ٨ / ١٩٦ .

١ : انظر: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٣٢٤ .

ومنهم:

٢٠- أبو المؤيد محمد بن محمد بن المجلي الجزري، المعروف بابن الصايغ*

أثرى بالفضائل وما كنزها، وأثار علوم الأوائل وما ركزها، هذا مع أدب وشعر هو شعاع بنت الزرجون[١]، وشعاع الفجر المتفرق تحت أُزُر الدجون.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان إماماً مشهوراً، وعالماً مذكورا، وفيلسوفاً مميزا، وأديباً مبرِّزا، ويعرف بالعنتري، لأنه كان في صباه يكتب أحاديث عنترة العبسي".

ومن كلامه قوله: " تعلَّم العلم، فإنه لو لم يُنَل به من الدنيا إلا الغنى عمَّن يستعبدك بحق أو باطل".

وقوله: " [بُنيَّ! إن الحكمة العقلية][٢] تريك العالم يقادون بأزمَّة الجهل إلى

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٣٨٩-٣٩٩، والوافي بالوفيات للصفدي ٤ / ٣٨٤-٣٨٧، وإيضاح المكنون للبغدادي ١ / ٢٠٥٦٢ / ٢٧٠-٢٨٦، و هدية العارفين ٢ / ١٠٠، و الأعلام للزركلي ٧ / ١٩، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١١ / ١٧٣، وموسوعة علماء الطب ٢٦٧.

١ : أي الخمر، و" **الزرجون**" : معرَّب"زركون" الكرم، أو قضيبه، قال السيرافي: هو الخمر، شُبِّه لونها بلون الذهب لأن"زر" بالفارسية : الذهب، و"جون" معرَّب "كون" أي: اللون. وهم يعكسون المضاف والمضاف إليه عن وضع العرب. قال شمر: معرَّب"زركون" بالراء، وفيه : إنه غير معروف في أسماء الخمر. وذكره الأزهري في ترجمة"زرج" وتبعه في القاموس، فقال:" زرجه بالرمح يزرجه ، والزَّرجون كقربوس، شجرة العنب، أو قضبانها، والخمر، وماء المطر الصافي، المستنقع في الصخرة.

انظر: المحبي في قصد السبيل ٢ / ٨٢ -٨٣ .

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من عيون الأنباء.

الخطأ والصواب" .

وقال : " الجاهل عبدٌ لا يعتق إلا بالمعرفة" .

وقال : " الحكمة سراج النفس فمتى عدمتها عميت علن الحق" .

وقال : " الحكمة دواء من الموت الأبدي" .

وقال : " [كون] الشخص بلا علم كالجسد بلا روح" .

وقال : " من أحب أن ينطقَ[١] باسمه فليكثر من العناية بعلمه" .

وقال : " العالم المحروم أشرف من الجاهل المرزوق" .

وقال : " الجاهل يطلب المال، والعالم يطلب الكمال" .

وقال : " الغمُّ ليل القلب، والسرور نهاره، وشرب السم أهون من معاناة الهم" .

ومن شعره قوله :[الكامل]

لو كنت تعلم كل ما عَلِمَ الورى ... حقاً لكنت صديق كلِّ العالم
لكن جهلت فصرت تحسب كل من ... يهوى خلاف هواك، ليس بعالم
اسْتَحْيِ أن العقل أصبح ضاحكاً ... مما تقول وأنت مثل النائم
لو كنت تسمع ما سمعت، وعالماً ... ما قد علمت، خجلت خجلة نادم
وضع الإله الخلف في كل الورى ... بالطبع حتى صار ضربة لازم[٢]

١ : في عيون الأنباء : "أن ينوه" .

٢ : البيتان الأخيران من عيون الأنباء ٣٩٢ .

وقوله: [الخفيف]

أبلغ العـــالمين عني بأني ... كل علمي تصور وقياس[1]

قد كشفت الأشياء بالفعل حتى ... ظهرت لي وليس فيها التباسُ

وعرفت الرجال بالعلم لما ... عرف العلم بالرجال الناسُ

وقوله: [الكامل]

لا تَدنِينَّ فتى يودّك ظاهراً ... منه وضد وداده في طبعه

واهجر صديقك إن تنكّر ودُّه ... فالعضو يحسم داؤه في قطعه[2]

وقوله: [الكامل]

عدِّل مزاجك ما استطعت ولا تكن ... كمسوِّفٍ أودى به التخليطُ

واحفظ عليك حرارة برطوبة ... تبقى، فتركك حفظها تفريط

واعلم بأنك كالسراج بقاؤه ... ما دام في طرف الذبال[3] سليط[4]

وقوله – في مليح تنقّل بالرمّان على الخمر :[السريع]

[وشادن أبلج كالبدر ... نادمته ليلاً إلى الفجر

بات به يصرف عنه الأذى ... بنهل كاسات من الخمر][5]

ينتقل الرمان في أثرها ... مخافة من ضرر السكر

كأنه وهو خبير به ... يكسِّرُ الياقوت بالدُّرِّ[6]

---

١ : هذا البيت ساقط من الأصل المخطوط استكمل من عيون الأنباء ٣٩٢ .

٢ : عيون الأنباء – ٣٩٣ .

٣ : **الذبال**: جمع ذُبالة، وهي: الفتيلة. القاموس مادة ذبل.

٤ : عيون الأنباء – صفحة ٣٩٤ .

٥ : البيتان الأولان سقطا من المخطوطة الأصل استكملا من عيون الأنباء.

٦ : **انظر**: عيون الأنباء – صفحة ٣٩٥ .

وقوله :[مخلع البسيط]

رأيت فوق الرئيس علجاً أسود يعلوه كالحمار
يدفن في العاج آبنوساً[1] ويولج الليل في النهار

وقوله :في المرأة : [مخلع البسيط]

قد أقبلت غولة الصبايا تنظر من معلم النقاب
فقلت : من أعظم الرزايا قفلٌ على منزل خراب
أحسن ما كنت في عباة ملفوفة الراس في جسراب[2]

وقال :[الكامل]

احفظ بُنيَّ وصيَّتي واعمل بها فالطب مجموعٌ بنصٍ كلامي :
قدِّم على طب المريض عناية في حفظ قوَّته مع الأيام
بالشبه تحفظ صحة موجودة والضد فيه شفاء كل سقام
أقلل نكاحك ما استطعت فإنه ماء الحياة يراق في الأرحام
واجعل طعامك كل يوم مرة واحذر طعامك قبل هضم طعام
لا تحقر المرَضَ اليسير فإنه كالنار يصبح وهي ذات ضرام
وإذا تغير منك حالٌ ظاهرٌ فاحتل لرجعة حل عقد نظام
لا تهجرنَّ القيء واهجر كل ما كيموسه[3] سبب إلى الأسقام

١ : الآبنوس : بضم الباء، وبالواو : خشبٌ معروف يجلب من الهند . قاله المحبي في قصد السبيل ١/١٣٦

٢ : انظر : عيون الأنباء ٣٩٨، والبيت الأخير ساقط من النسخة الأصل .

٣ : الكيموس : الخِلْط، سرياني، أو يوناني، والجمع : كيموسات، أي : الطبائع الأربع، وفي شفاء الغليل :"الكيموس : أحد مراتب الهضم مما عرَّبته الأطباء، لكن وقع في حديث قُسّ في تمجيد الله تعالى :" ليس له كيفية ولا كيموسة" ، وفي النهاية في غريب الحديث :" الكيموسية : عبارة عن الحاجة إلى الطعام والغذاء، والكيموس في عبارة الأطباء : هو الطعام إذا انهضم في المعدة قبل أن=

إن الحمى عون الطبيعة مسعدٌ شافٍ من الأمراض والآلام
لا تشربنَّ عقيب أكل عاجلاً أو تأكلنَّ عقيب شرب مُدام
والقيء يقطع والقيام كلاهما بهما وليس بنوع كل قيام
وخذ الدواء إذا الطبيعة كدَّرت بالإحتلام وكثرة الأحلام
إياك تلزم أكل شيء واحد فتقود نفسك للأذى بزمام
وإذا الطبيعة منك نقَّت باطناً فدواء ما في الجلد بالحَمَّام
وتزيد في الأخلاط إن نقصت به زادت فنقص فضلها بقوام
والطب جملته إذا حقَّقته حلٌّ وعقد طبيعة الأجسام
ولِعَقْل تدبير المزاج فضيلة يشفى المريض بها وبالأوهام

وهي تروى للرئيس ابن سينا، ولابن بطلان، والصحيح أنها لأبي المؤيد[١].

=ينصرف عنها ويصير دماً.

انظر: قصد السبيل للمحبي ٢/٤١٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ٤/٢٠٠ وشفاء الغليل ٢٢٨.

١ : **قال ابن أبي أصيبعة** في عيون الأنباء: " ومن شعر أبي المؤيد محمد بن المجلي بن الصائغ المعروف بالعنتري، أنشدني إياه الحكيم سديد الدين محمود بن عمر بن رقيقة، قال: أنشدني مؤيد الدين ولد العنتري قال: أنشدني والدي لنفسه" ثم ذكر القصيدة بتمامها.

انظر: عيون الأنباء ٣٩٠-٣٩١.

ومنهم:

٢١- ابنُ الخَطيبِ الرَّازِيّ، ابنُ خَطيبِ الرّيّ، وهو:
مُحَمَّدُ بنُ عمرَ بنِ الحُسَيْنِ، أبو عبدِ الله - الإمامُ فَخرُ الدِّين*

حبر الأعلام، وبحر الكلام، طالما أغضَّ المناظر، وخصَّ بالعجب كل ناظر، وقطف الكلام منوّرا، وجلا سُدَف[١] الظلام منورا، ونظر في كل فنٍّ، وحضر له تحقيق في كل ظن، وجاء بحلية المناقب، وزينة النجوم الثواقب، وطاب بذكره

* انظر ترجمته في: الكامل في التاريخ ١٢ /٢٨٨، والتاريخ المظفري لابن أبي الدم ، ورقة ٢٣٠، وتاريخ الحكماء ٢٩١-٢٩٣، ومرآة الزمان ٢ /٨ /٥٤٢ -٥٤٣، والتكملة لوفيات النقلة ٢ /١٨٦-١٨٧ رقم ١١٢١، وذيل الروضتين ٦٨، وعيون الأنباء ٤٦٢-٤٧٠، وتاريخ مختصر الدول ٢٤٠، ووفيات الأعيان ٤ /٢٤٨ -٢٥٢، وتاريخ الزمان لابن العبري ٢٤٩، وآثار البلاد وأخبار العباد ٣٧٧-٣٧٩، وتلخيص مجمع الآداب ٣ /٣٥٧، وتاريخ إربل ١ /٣٢٩، والمختصر في أخبار البشر ٣ / ١١٢، ونهاية الأرب ٢٩ /٥١، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣١٦، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٤٩، وسير أعلام النبلاء ١٢ / ٥٠٠-٥٠١ رقم ٢٦١، وميزان الاعتدال٣ / ٣٤٠ رقم ٦٦٨٦ " الفخر بن الخطيب"، والمغني في الضعفاء ٢ /٥٠٨ رقم ٤٨٨٩، ودول الإسلام ٢ ١١٢ /-١١٣، والعبر ٥ /١٨-١٩، وتاريخ ابن الوردي ١٢٧ /٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥ /٣٣، ٨ /٨١-٩٦، ومرآة الجنان ٧ /٤-١١، والوافي بالوفيات ٤ / ٢٨٤-٢٥٩، والبداية والنهاية٣١ / ٥٥-٥٦، والوفيات لابن قنفذ ٣٠٨، وفيه: " ابن الخطيب الرازي"، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢ /٢٦٠-٢٦١، وتاريخ الخميس ٢ /٤١٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢ /٣٩٦-٣٩٨ رقم ٣٦٦، والعسجد المسبوك ٣٣٢ وفيه مولده سنة ٥٤٣هجرية.، ٣٣-٣٣٢ وفيه مولده سنة ٥٤٤هجرية. ولم يتنبه المحقق للكتاب أن صاحب الترجمة قد تكرر في السنتين، وهما واحد. ولسان الميزان ٤ / ٤٢٦-٤٢٩ رقم ١٣١١، وتاج التراجم ٩٣، والنجوم الزاهرة ٦ /١٩٧-١٩٨، وتاريخ الإسلام ٤٣ /٢١١-٢٢٣، ومفتاح السعادة ١ /٤٤٥، وكشف الظنون في مواضع كثيرة، وشذرات الذهب ٥ /٣١، وروضات الجنات ١٩٠-١٩٢، وهدية العارفين ٢ /١٠٧-١٠٨، وإيضاح المكنون٢ /٥٩٦، وديوان الإسلام ٢ /٣٣٨-٣٤٠ رقم ١٠٠٥، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢١٦-٢١٧، وطبقات المفسرين للسيوطي ٣٩، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١١ / ٧٩-٨٠ .

١ : **السُّدف**: جمع **سَدْفة**: وهي الظلمة، أو اختلاط الضوء والظلمة معاً، كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار، والطائفة من الليل. " القاموس مادة سدف".

كل سمر، وصدق منه حديث ابن عمر.

هذا إلى توقير الملوك لجنابه، وتوفير خاطره الذي لو شاء لجنى به، وتعظيمٍ حلَّ به الذُّرى، وحُلِّي ببعضه الورى، وخلى سهلاً ما بين الثريا والثرى، لعلم قصّر من لبه، ومسلك الناس بسببه، وجال ما بين الخافقين وجاب به، فامتدت الجداول من منبعه، وعدَّت يد الأنواء دون إصبعه، وسرى صيته والرياح رواكد، وشرَّق في البلاد وغرَّب والنجوم إلى الصباح رواصد، وقطع في التصانيف النافعة شقق الأيام العريضة، وجعل جناح النسر في الليالي الطوال مثل جناح البعوضة، حتى طافت الأقطار وطارت في كل مطار، وهاهي الآن ملتزمة في الأيدي مثل خطوط الراح، وفي نظر العيون مثل فلق الصباح.

وحدَّثني شيخنا قاضي القضاة جلال الدين القزويني(١) - وقد جرى ذكره - قال: كانت الملوك تتقي حَدَّ لسانه، حتى احتاج صاحب الألموت إلى إعمال الحيلة في مداراته، وتسبب لمالٍ قبله منه، وأخافه لاستصلاح خاطره، لأنه كان لا يزال يبحث في فساد عقيدته، وتزييف أقواله، فينفر الناس عن دعاته، ويرد بالحرمان مساعي سعاته.

وإذا كان هذا فعله بصاحب الألموت، وهو الذي كان من عاداه يموت، فكيف

---

١ : **محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني** الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، من أحفاد أبي دلف العجلي، قاضٍ، من أدباء الفقهاء، أصله من قزوين، ومولده بالموصل، ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هجرة، فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧هجرية، ونفاه السلطان الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هجرة، ثم ولاه القضاء بها، فاستمر إلى أن توفي. من كتبه: "تلخيص المفتاح" في المعاني والبيان، والإيضاح في شرح التلخيص، والسور والمرجان من شعر الأرجاني وكان حلو العبارة، أديباً بالعربية والتركية، والفارسية، سمحاً كثير الفضائل. **انظر ترجمته في**: مفتاح السعادة ١/١٦٨، و٢/٢١٧، وبغية الوعاة ٦٦، وتاريخ ابن الوردي ٢ /٣٢٤، والبدر الطالع ٢/١٨٣، والبداية والنهاية ٤١/١٨٥، وستأتي ترجمته في هذا الكتاب مفصلة.

كان من يتهيَّب الآجال، وما عنده إلا نساء في زيٍّ رجال؟!.

ذكره ابن أبي أصيبعة فقال: " أفضل المتأخرين، وسيد الحكماء المتقدمين[١]، قد أشرعت سيادته، واشتهرت في الآفاق مصنفاته وتلامذته، وكان إذا ركب يمشي حوله ثلاثمائة تلميذ من الفقهاء، وغيرهم. وكان خوارزم شاه يأتي إليه.

وكان ابن الخطيب شديد الحرص على تحصيل العلوم الشرعية والحكمية. جيد الفطرة، حادَّ الذهن، حسن العبارة، كثير البراعة، قويَّ النظر في منازع الطب[٢] ومباحثه، عارفاً بالأدب وشعوبه، وله شعر بالعربي والفارسي .

وكان عبل[٣] البدن، ربع القامة، كبير اللحية، وكان في صوته فخامة. وكان يخطب في بلده الري، وغيرها من البلاد، ويتكلم على المنبر بأنواع من الحكمة. وكان الناس يقصدونه من البلاد، ويهاجرون إليه من كل ناحية على اختلاف مطالبهم في العلوم، وتفننهم فيما يشتغلون به، فكان كل منهم يجد عنده النهاية القصوى فيما يرومه[٤]

وكان الإمام فخر الدين قد قرأ الحكمة على مجد الدين الجيلي، بمراغة، وكان مجد الدين هذا من الأفاضل العظماء في زمانه، وله تصانيف جليلة[٥]

وحكى لنا القاضي شمس الدين الخوئي، عن الشيخ فخر الدين ابن الخطيب أنه قال: والله إني لأتأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل، فإن الوقت والزمان عزيز[٦]

---

١ : في عيون الأنباء: "المحدثين".

٢ : أي: في صناعة الطب ومباحثها.

٣ : قال في القاموس: العبل" الضخم من كل شيء، وعبل البدن أي: ضخمه" القاموس مادة عبل".

٤ : **انظر**: تاريخ الإسلام ٤٣ / ٢١٣، ووفيات الأعيان٤ /٢٤٩، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٦٢ .

٥ : **يعني**: بالحكمة: الفلسفة . انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٤٣ /٢١٣، وعيون الأنباء ٤٦٢ .

٦ : عيون الأنباء ٤٦٢ .

وحدثني محيي الدين قاضي مرند[١] قال: كان الشيخ فخر الدين يمرند أقام بالمدرسة التي كان أبي مدرِّسها، وكان يشتغل عنده بالفقه، ثم اشتغل بعد ذلك لنفسه بالعلوم الحكمية، وتميَّز حتى لم يكن أحدٌ يضاهيه، واجتمعت به أيضاً بهمدان [وهراة][٢]، واشتغلت عليه .

قال: وكان لمجلسه جلالة عظيمة، وكان يتعاظم حتى على الملوك، وكان إذا جلس للتدريس يكون قريباً منه جماعة من تلاميذه الكبار، مثل: زين الدين الكشي، والقطب [المصري][٣]، وشهاب الدين النيسابوري، ثم يليهم بقية التلامذة، وسائر الخلق على قدر مراتبهم، فكان من يتكلم في شيء من العلوم يباحثونه أولئك التلامذة الكبار، فإن جرى بحثٌ مشكلٌ أو معنى غريب شاركهم الشيخ فيما هم فيه، ويتكلم في ذلك المعنى بما يفوق الوصف[٤]

وحدَّثني شمس الدين محمد الوتار الموصلي قال: كنت في بلد هراة [٥] في سنة ست وستمائة، وقد كان قصدها فخر الدين ابن الخطيب من بلد "باميان"[٦] وهو في أبَّهة عظيمة، وحشم كبير، فلما ورد إليها تلقَّاه السلطان

١ : **مَرَنْد**: مدينة في أذربيجان، قالت الأساطير الأرمنية إن فيها قبر فرند زوجة سيدنا نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

٢ : ساقطة من النسخة المخطوطة.

٣ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة، واستكمل من عيون الأنباء ٤٦٢ .

٤ : عيون الأنباء ٤٦٢ .

٥ : **هراة**: هي إحدى مدن خراسان الكبار فتحها الأحنف بن قيس صلحاً من قبل عبد الله بن عامر.
انظر: وفيات الأعيان ١ /٩٦ .

٦ : **باميان**: بكسر الميم وباء، وألف، ونون: بلدة وكورة في الجبال بين بلخ وهراة وغزنة، بها قلعة حصينة، والقصبة صغيرة، والمملكة واسعة، بينها وبين بلخ عشر مراحل، وإلى غزنة ثماني مراحل، وبها بيت ذاهب في الهواء بأساطين مرفوعة، منقوش فيه كل طير خلقه الله تعالى على=

بها، وهو حسين بن خرمين، وأكرمه إكراماً كثيراً، ونصب له بعد ذلك منبراً وسجادة في صدر الإيوان(١) ليجلس في ذلك الموضع، ويكون له يوم مشهود يراه فيه سائر الناس، ويسمعون كلامه. وكنت ذلك اليوم حاضراً مع جماعة من الناس، وإلى جانبي شرف الدين ابن عنين(٢)، الشاعر - رحمه الله -، وذلك المجلس حفلٌ جداً بكثرة الناس، والشيخ فخر الدين في صدر الإيوان، وعن جانبيه يمنة ويسرة صفان من مماليكه الترك متكئين على السيوف، وجاء إليه السلطان حسين بن خرمين - صاحب هراة - فسلَّم، وأمره الشيخ بالجلوس إلى جانبه، أو قريباً منه، وجاء إليه أيضاً السلطان محمود ابن أخت شهاب الدين الغوري صاحب فيروز كوه(٣) فسلَّم، وأشار إليه الشيخ بالجلوس في موضع آخر قريباً

=وجه الأرض ينتابه الذعار، وقد خرج من هذه البلدة جماعة من العلماء . انظر: معجم البلدان ١ / ٢٣٠

١ : الإيوان: بالكسر : الصُّفَّة العظيمة، غير مسدود الوجه، معرَّب "إوان" بالتخفيف، وقيل: بالتضعيف، فأبدلت إحداهما ياءً، والجمع : "أواوين"، و"إيوانات". انظر: قصد السبيل للمحبي ١ / ٢٣٠ .

٢ : هو محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن ابن عنين، أبو المحاسن، شرف الدين، الزرعوني، الحوراني، الدمشقي، الأنصاري. أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته في دمشق ، كان يقول: إن أصله من الكوفة، من الأنصار .وكان هجَّاءً، قلَّ من سلم من شره في دمشق، حتى السلطان صلاح الدين والملك العادل، ونفاه صلاح الدين، فذهب إلى العراق والجزيرة، وأذربيجان، وخراسان، والهند، واليمن ومصر. وعاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين، فمدح الملك العادل وتقرَّب منه. وكان وافر الحرمة عند الملوك وتولى الوزارة للملك المعظم، بدمشق، في آخر دولته، ومدة الملك الناصر، وانفصل عنها في أيام الملك الأشرف، فلزم بيته إلى أن مات سنة ٦٣٠ هجرية. انظر ترجمته في :الأعلام للزركلي٧ / ١٢٥-١٢٦، ووفيات الأعيان ٢ / ٢٥، والنجوم الزاهرة٦ / ٢٩٣

٣ : **فيروز كوه**: قلعة حصينة بالغور بين هراة وغَزنين،كانت دار ملك بين سام، غياث الدين محمد بن سام، وأخيه شهاب الدين محمد بن سام ملك الهند وغزنة، وقلعة قرب جبل دُنباوَند، ربضها مدينة صغيرة تسمة: "ويمه" .

ومعنى:"**فيروز كوه**" : الجبل الأزرق .- في الفارسية: "فيروز " :ازرق سماوي، و"كوه" : جبل. =

منه من الناحية الأخرى، وتكلم الشيخ في النفس بكلام عظيم، وفصاحة بليغة.

قال: وبينما نحن عنده في ذلك الوقت، وإذا بحمامة تدور في الجامع، وخلفها صقر يكاد أن يقتنصها، وهي تطير في جوانب الجامع، إلى أن أعيت، فدخلت الإيوان الذي فيه الشيخ، ومرت طائرةً بين الصفين إلى أن رمت بنفسها عنده. فذكر لي شرف الدين ابن عنين أنه عمل شعراً على البديهة، ثم نهض لوقته واستأذنه في أن يورد ما قاله في المعنى. فأمره الشيخ [بذلك] فقال: [**الكامل**]

جاءت سليمان الزمان بشكوهاً[1] والموت يلمع من جناحي خاطف
من نبَّأ الورقاء أن محلَّكم حرمٌ[2] وأنك ملجأٌ للخائف؟

فطرب لها الشيخ فخر الدين، وأدناه وأجلسه قريباً منه، وبعث إليه بعد ما قام من مجلسه خلعة كاملة، ودنانير كثيرة، وبقي دائماً يحسن إليه.

قال لي شمس الدين الوتَّار: لم ينشد قدامي لابن خطيب الري سوى هذين البيتين، وإنما بعد ذلك زاد فيها أبياتاً أخر، هذا قوله.

وقد وجدت هذه الأبيات المزادة في ديوانه على هذا المثال: [**الكامل**]

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتَوا في كل مخمصة وثلج خاشف[3]
العاصمين إذا النفوس تطايرت بين الصوارم والوشيج الراعف

= انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ / ٣٥٠، والمعجم الذهبي ٤٣٧، ٤٦٨.

١ : في الأصل المخطوط: "حمامةٌ"، وصوابه من معجم الأدباء: "بشكوها"، وورد في عيون الأنباء: "بشجوها". انظر: معجم الأدباء لياقوت ٧ / ٦٠-٦١ - تحقيق عمر فاروق الطباع.

٢ : كذا في الأصل المخطوط، ومعجم الأدباء. وورد في عيون الأنباء: "حرز".

٣ : كذا في الأصل المخطوط، والديوان ٩٥. وفي معجم الأدباء ٧ / ٦٠: "في يوم مسغبة".

من نبَّأ الورقاء أن محلَّكم حرمٌ وأنك ملجأٌ للخائفِ
وفدت إليك وقد تدانى حتفها فحبوتها ببقائها المستأنفِ
ولو انها تحبى بمالٍ لانثنت من راحتيك بنائل متضاعفِ
جاءت سليمان الزمان بشكوها والموتُ يلمع من جناحي خاطفِ
قَرِمٌ[1] لواه القوت حتى ظلُّه بإزائه يجري بقلب واجفِ[2]

قال: ومما حكاه شرف الدين ابن عنين أنه حصل من جهة فخر الدين ابن خطيب الري، وبجاهه، في بلاد العجم نحو ثلاثين ألف دينار.

وقال: ومن شعره فيه قوله، وسيَّرها إليه من نيسابور إلى هراة: [**الكامل**]

ريح الشمال عساكِ أن تتحمَّلي خدمي إلى صدر الإمام الأفضلِ
وَقِفي بواديه المقدس وانظري نور الهدى متألِّقاً لا يأتلي[3]
من دوحةٍ فخريةٍ عمريةٍ طابت مغارس مجدها المتأثِّلِ[4]
مكيَّة الأنساب زاكٍ أصلها وفروعها فوق السماك الأعزلِ[5]
واستمطري جدوى لديه فطالما خلف الحيا في كل عام ممحلِ[6]
تغدو سحائبها تعمُّ كما بدت[7] لا يعرف الوسمي منها والولي[8]

---

١ : رواه ياقوت في معجم الأدباء٧ / ٦١ : " قرمٌ يطاردها فلما استأمنت بجنابه ولى بقلب واجف"

٢ : قال في القاموس: " القرم ، محركة: شدة شهوة اللحم. مادة قرم" .

٣ : **لا يأتلي**: أي: لا يقصر.

٤ : **المتأثِّل**: الأصيل الثابت.

٥ : **السماك الأعزل**: أحد السماكين النيرين، والآخر هو: السماك الرامح.

٦ : **العام الممحل**: المجدب، الذي لم يمطر.

٧ : **الوسمي**: أول مطر الربيع، ويليه: الولي.

٨ : في معجم الأدباء، والديوان : " نعم سحائبها تعود كما بدت" .

بحـــرٌ تصـــدَّر للعلوم ومن رأى بحـراً تصـدَّر قبله في محـفل؟
ومتـيم[1] في الله يسحب للتقى والدين سربال[2] العفاف المسبل
مـاتت به بدعٌ تمادى عـمـرها دهراً وكـان ظلامـهـا لا ينجلي
فـعـلا به الإسـلام أرفع هضـبة ورسا سواه في الحضيض الأسفل
غلط امـرؤٌ بأبي علي[3] قـاسـه هيـهـات قـصَّـر عن مداه أبو علي
لو أن رسطاليس[4] يسـمع لفظة من لفظه لعـرته هزَّة أفكل[5]
ويحـار بطليـموس لو لاقاه من برهانه في كل شكلٍ مشكل[6]
فلو انهم جـمـعـوا لديه تيـقَّنوا أن الفـضـيلة لم تكن للأول
وبه يبيت الحلم معـتـصـماً إذا هزَّت رياح الطيش صفحة[7] يذبل[8]
يعـفـو عن الذنب العظيم تكرماً ويجـود مسـؤولاً وإن لم يسأل
أرضى الإله بفـضله ودفـاعـه عـن دينه وأقــرَّ عين المرسل
يا أيهـا المولى الذي درجـاته ترنو إلى فلك الثـوابت من علِ
مـا منصبٌ إلا وقـدرك فـوقـه فبمجدك السـاميّ يهنى ما تُلي
فـمتى أراد الله رفـعـة منصب أفـضى إليك فنال أشـرف منزل

---

١ : السربال: القميص أو كل ما يلبس.
٢ : في معجم الأدباء، والديوان: " ومشمِّرٌ".
٣ : **أبو علي**: هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسن بن سينا، وقد مرت ترجمته.
٤ : **أي**: أرسطوطاليس،وقد مرت ترجمته أول الكتاب.
٥ : **الأفكل**، كأحمد: الرعدة، وهو مفكول" القاموس مادة فكل".
٦ : **المشكل**: من أشكل الأمر: التبس، ولم يعرف فيه وجه الصواب.
والشكل: من ضروب القياس في علم المنطق.
٧ : في الديوان، ومعجم الأدباء: " ركني يذبل".
٨ : **يذبل**: اسم جبل معروف ورد ذكره في معلقة امرىء القيس.

لا زال ربعك[1] للوفود محطة[2] أبداً وجودك كهف كل مؤمِّلٍ[3]

وحدثني نجم الدين يوسف بن شرف الدين علي بن محمد الاسفرائيني قال: وكان الشيخ الإمام ضياء الدين عمر – والد الإمام فخر الدين – من الري، وتفقَّه، واشتغل بعلم الخلاف[4] والأصول، حتى تميَّز تميُّزاً كثيراً، وصار قليل المثل. وكان يدرِّس بالري، ويخطب في أوقات معلومة هنالك، ويجمع عنده خلقٌ كثير من حسن ما يورده في نطقه وبلاغته، حتى اشتهر بذلك بين الخاص والعام في تلك النواحي، وله تصانيف عدة توجد في الأصول، والوعظ، وغير ذلك. وخلَّف ولدين أحدهما الإمام فخر الدين، والآخر: هو الأكبر سناً كان يلقب بالركن، وكان هذا الركن قد قرأ شيئاً من الخلاف، والفقه، والأصول، إلا أنه كان أهوج كثير الاختلال، فكان أبداً لا يزال يسير خلف أخيه الإمام فخر الدين، ويتوجه إليه في أي بلد قصده، ويشنِّع عليه، ويسفِّه المشتغلين بكتبه، والناظرين في أقواله، ويقول: ألست أكبر منه؟ وأكثر معرفة بالخلاف والأصول؟، فَلِمَ يقول الناس فخر الدين، فخر الدين!!. ولا أسمعهم يقولون: ركن الدين، ركن الدين؟. وكان ربما صنف شيئاً بزعمه، ويقول: هذا من كلام فخر الدين، والجماعة يعجبون منه، وكثير منهم يصفونه ويهزؤون منه.

وكان الإمام فخر الدين كلما بلغه شيء من ذلك صعب عليه، ولم يؤثر أن

---

١ : **انظر القصيدة في**: ديوان ابن عُنَين – تحقيق : خليل مردم بك – ص ٥٣–٥٥ . ومعجم الأدباء /٧ ٦٤، وقد ذكر المحقق الفاضل أنها من البحر الطويل ولعله خطأ مطبعي فهي من البحر الكامل قولاً واحداً.

٢ : **الربع**: مكان الإقامة.

٣ : كذا ورد في المخطوطة الأصل، وفي معجم الأدباء: " مثابة" .

٤ : **علم الخلاف**: هو العلم الذي يستدل فيه بامتناع أحد النقيضين على تحقيق الآخر.

أخاه بتلك الحالة ، ولا أحد يسمع قوله. وكان دائم الإحسان إليه، وربما يسأله المقام في الري، أو في غيره، وهو يتفقده، ويصله بكل ما يقدر عليه، فكان كلما سأله ذلك يزيد في فعله، ولا ينقص من حاله، ولم يزل كذلك لا ينقطع عنه، ولا يسكت عما هو فيه إلى أن اجتمع الإمام فخر الدين بالسلطان خوارزم شاه، وأنهى إليه حال أخيه، وما يقاسي منه، والتمس منه أن يتركه في بعض المواضع، ويوصي عليه أن لا يمكَّن من الخروج والانتقال عن ذلك الموضع، وأن يكون له ما يقوم بكفايته من كل ما يحتاج. فجعله السلطان في بعض القلاع التي له، وأطلق له إقطاعاً يقوم به كل سنة بما مبلغه ألف دينار، ولم يزل هناك مقيماً حتى قضى الله فيه أمره[١].

قال: وكان الإمام فخر الدين علاَّمة وقته في كل العلوم، وكان الخلق يأتون إليه من كل ناحية،وكان الخطيب أيضاً بالري، وكان له مجلس عظيم للتدريس، فإذا تكلم بزَّ القائلين، وكان عبل البدن باعتدال، عظيم الصدر والرأس، كثّ اللحية، ومات وهو في سن الكهولة، أشمط[٢] شعر اللحية، وكان كثيراً ما يذكر الله تعالى ويستغفره، ويسأله الرحمة والقبول، والتجاوز عن زلله، ويقول: إنني حصلت من العلوم ما يمكن تحصيله بحسب الطاقة البشرية، وما بقيت أوثر إلا لقاء الله تعالى ، والنظر إلى وجهه الكريم.

قال: وخلَّف فخر الدين ولدين ذكوراً؛ أكبرهما: يلقب بضياء الدين، وله اشتغال ونظر في العلوم. والآخر: – وهو الصغير – لقبه: شمس الدين، وله فطرة فائقة، وذكاء حاذق، وكان كثيراً ما يصفه الإمام فخر الدين بالذكاء ويقول: "إن عاش هذا فإنه يكون أعلم مني!". وكانت النجابة تتبين فيه من الصغر.

---

١ : عيون الأنباء ٤٦٥ .

٢ : **الشَّمَطُ**: بياض الرأس يخالط سواده، فهو أشمط. " القاموس مادة شمط".

ولما توفي الإمام فخر الدين بقيت أولاده مقيمين في هراة، ولقب ولده الصغير بعد ذلك فخر الدين، لقب والده. وكان الوزير علاء الملك العلوي متقلداً لوزارة السلطان خوارزم شاه، وكان علاء الملك عالماً فاضلاً متقناً لعلوم الأدب، ويشعر[١] بالعربية والفارسية، وكان قد تزوج بابنة الشيخ فخر الدين، ولما جرى أن "جنكيز خان" ملك التتار قهر خوارزم شاه، وكسره، وقتل أكثر عسكره، وفقد خوارزم شاه، توجه علاء الملك قاصداً إلى جنكيز خان، ومعتصماً به، فلما وصل إليه أكرمه، وجعله من جملة خواصّه.

وعندما استولى التتار على بلاد العجم، وخربوا قلاعها ومدنها، وكانوا يقتلون في كل مدينة من بها، ولا يبقون أحداً بها. تقدم علاء الملك إلى جنكيز خان، وقد توجّهت فرقة من عساكره إلى مدينة هراة، ليخربوها، ويقتلوا من بها. فسأله أن يعطيه أماناً لأولاد الشيخ فخر الدين ابن خطيب الري. وأن يجيئوا بهم مكرّمين إليه. فوهب لهم ذلك وأعطاهم أماناً. ولما ذهب أصحابه إلى هراة وشارفوا أخذها، نادوا فيها بأن لأولاد فخر الدين ابن الخطيب الأمان، فلينعزلوا ناحية في مكان، ويكون هذا الأمان معهم.

وكان في هراة دار الشيخ فخر الدين هي دار السلطنة، كان خوارزم شاه قد أعطاها له، وهي أعظم دار تكون وأكبرها، وأبهاها زخرفة واحتفالاً. فلما بلغ أولاد فخر الدين ذلك أقاموا بها مأمونين، والتحق بهم خلق كثير من أهاليهم، وأقربائهم، وأعيان الدولة، وكبراء البلد، وجماعة كثير من الفقهاء، وغيرهم، ظناً أن يكونوا في أمان لاتصالهم بأولاد فخر الدين، ولكونهم خصيصين بهم، وفي دارهم، وكانوا خلقاً عظيماً. فلما دخل التتار إلى البلاد وقتلوا من وجدوا بها، وانتهوا إلى الدار، نادوا بأولاد فخر الدين أن يروهم. فلما شاهدوهم أخذوهم،

١ : أي: يقول الشعر.

وهم: ضياء الدين، وشمس الدين، وأختهم. ثم شرعوا بسائر من كان في الدار، فقتلوهم عن آخرهم بالسيف، وتوجهوا بأولاد الشيخ فخر الدين من هراة إلى سمرقند، لأن ملك التتار جنكيز خان في ذلك الوقت بها، وعنده علاء الملك.

قال: ولست أعلم ما تم لهم بعد ذلك.

قال: وكان أكثر مقام الشيخ – رحمه الله تعالى – بالري، وتوجه أيضاً إلى بلد خوارزم، ومرض بها، وتوفي في عقابيله ببلدة هراة.

وأملى في شدة مرضه وصية على تلميذه إبراهيم بن أبي بكر بن علي الأصفهاني، وذلك في يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة ست وستمائة، وامتدّ مرضه إلى أن توفي يوم العيد غرة شوال من السنة المذكورة. وانتقل إلى جوار ربه – رحمه الله تعالى –، وهذه نسخة الوصية:

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الراجي رحمة ربه، الواثق بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، وهو في آخر عمره وعهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس، ويتوجَّه إلى مولاه كل آبق: إني أحمد الله تعالى بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات مشاهدتهم[1]، بل أقول كل ذلك من نتائج الحدوث والإمكان.

فأحمده بالمحامد التي تستحقها إلاهيته[2]، ويستوجبها لكمال ألوهيته،

---

١ : كذا في الأصل المخطوط، وفي تاريخ الإسلام: "شهاداتهم".

٢ : أي: ألوهيته.

عرفتها أو لم أعرفها، لأنه لا مناسبة للتراب مع جلال رب الأرباب.

وأصلي على الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين، وجميع عباد الله الصالحين، ثم أقول بعد ذلك:

اعلموا إخواني في الدين، وإخواني في طلب اليقين!، أن الناس يقولون إن الإنسان إذا مات انقطع تعلقه عن الخلق، وهذا العام مخصوص من وجهين:

الأول: أنه إن بقي منه عمل صالح صار ذلك سبباً للدعاء، والدعاء له أثر عند الله تعالى.

والثاني: ما يتعلق بمصالح الأطفال، والأولاد، والمعارف، وأداء المظالم والجنايات.

أما الأول: فاعلم أنني كنت رجلاً محباً للعلوم، فكنت أكتب في كل شيء شيئاً لا أقف على كميته، وكيفيته، سواء كان حقاً أو باطلاً، أو غثاً، أو سميناً. إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة لي أن هذا العالم محسوس تحت تدبير مدبِّر منزَّه عن مماثلة المتحيزات، والأعراض، وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة. وقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن [العظيم]، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك الأودية العميقة، والمناهج الخفية، **فلهذا أقول**:-

كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته، وبراءته عن الشركاء في القدم، والأزلية، والتدبير، والفعالية، فذاك هو الذي أقول به، وألقى الله تعالى به، وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض، فكل ما ورد في

القرآن، والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأمة، المتبعين للمعنى الواحد، فهو كما هو، والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين! إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فلك ما مرَّ به قلمي(١)، وخطر ببالي، فأستشهد علمك، **وأقول**: إن علمت مني أني أردت به تحقيق باطل، أو إبطال حق، فافعل بي ما أنا أهله. وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقرير ما اعتقدت أنه هو الحق، وتصوَّرت أنه هو الصدق، فلتكن رحمتك معي، فذلك جهد المقل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في الزلة. فأعني، وارحمني، واستر زلتي، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينتقص بخطأ المجرمين!.

وأقول: ديني متابعة سيد المرسلين محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. وكتابي: هو القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما.

اللهم! يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، ويا راحم العبرات، ويا قيَّام المحدَثات والممكنات!!، أنا كنت حسن الظن بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: (أنا عند ظن عبدي بي)(٢)

١ : في الأصل المخطوط: "قلبي"، والصواب من عيون الأنباء.

٢ : **حديث "أنا عند ظن عبدي بي"** رواه الشيخان عن أبي هريرة رفعه، وللبيهقي عن أبي هريرة أيضاً رفعه بلفظ: " أمر الله عز وجل بعبدين إلى النار، فلما وقف أحدهما على شفتها التفت فقال: أما والله إني كان ظني بك لحسن، فقال الله عز وجل: ردوه، فأنا عند ظنك بي، فغفر له".

وفي لفظ: " ردوه، أنا عند حسن ظن عبدي بي". وعزاه ابن الجزري في الحصن الحصين للشيخين بلفظ: " أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ذكرته، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه".

وروى أبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً مرفوعاً بلفظ: " يا أيها الناس! أحسنوا الظن برب العالمين، فإن الرب عند ظن عبده به". =

وأنت قلت :[أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه](١)

وأنت قلت :[وإذا سألك عبادي عني فإني قريب](٢).

وهَبْ أني ما جئت بشيء فأنت الغني الكريم، وأنا المحتاج اللئيم، وأعلم أنه ليس لي أحد سواك، ولا أجد أكرم منك، ولا أجد محسناً سواك، وأنا معترف بالزلة والقصور، والعيب والفتور، فلا تخيب رجائي، ولا تردَّ دعائي، واجعلني آمناً من عذابك قبل الموت، وعند الموت، وبعد الموت، وسهِّل عليَّ سكرات الموت، ولا تضيِّق عليَّ سبب الآلام والأسقام، فأنت أرحم الراحمين" .

وأما الكتب العلمية التي صنفتها، أو استكثرت من إيراد السؤالات على المتقدمين فيها؛ فمن نظر في شيء منها ، فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وليحذف القول السيء، فإني ما أردت إلا تكثير البحث، وتشحيذ الخواطر، والاعتماد في الكل على الله تعالى.

وأما المهم الثاني : وهو إصلاح أمر الأطفال، والعورات، والاعتماد فيه على الله تعالى، ثم على نائبه في أرضه السلطان محمد – اللهم اجعله قرين محمد الأكبر في الدين والعلو – إلا أن السلطان الأعظم لا يمكنه أن يشتغل بمهمات الأطفال، فرأيت أن أفوِّض وصاية ولديّ إلى – فلان – وأمرته بتقوى الله تعالى، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون" وسرد الوصية إلى آخرها (٣)

= وقال النجم: رواه أحمد ، وابن حبان، وابن ماجة، عن واثلة بلفظ :" قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي، إن ظنَّ خيراً فله، وإن ظنَّ شراً فله" . ولابن أبي الدنيا تأليف في حسن الظن بالله .
انظر : كشف الخفاء للعجلوني ١ /٢٠٢-٢٠٣ .

١ : سورة النمل – الآية ٦٢ .

٢ : سورة البقرة – الآية ١٨٦ .

٣ : وردت الوصية في تاريخ الإسلام ، وطبقات السبكي ، وعيون الأنباء، بألفاظ متقاربة، لكن فيها اختلاف كثير.

ثم قال : وأوصيه، ثم أوصيه، ثم أوصيه بأن يبالغ في تربية ولدي أبي بكر، فإن آثار الذكاء والفطنة ظاهرة عليه، ولعلَّ الله تعالى يوصله إلى خير.

وأمرته وأمرت تلامذتي وكل من لي عليه الحق، أني إذا متُّ يبالغون في إخفاء موتي، ولا يخبرون أحداً به، ويكفنوني، ويدفنوني على الوجه الشرعي، ويحملونني إلى الجبل المصاقب لقرية مزداخان[1]، ويدفنوني هناك، وإذا وضعوني في اللحد قرؤوا عليَّ ما قدروا عليه من الهبات القرآن ، ثم ينثرون عليَّ التراب بعد الإتمام، ويقولون : يا كريم! جاءك الفقير المحتاج إليك، فأحسن إليه" .

وهذا منتهى وصيتي من هذا الباب، والله تعالى الفعَّال لما يشاء وهو على ما يشاء قدير، وبالإجابة وبالإحسان جدير" .

ومن شعر فخر الدين ابن الخطيب : أنشدني بديع الدين البندهي مما سمعه من الشيخ فخر الدين ابن خطيب الري لنفسه، فمن ذلك قال :[**الطويل**]

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في غفلة من جسومنا وحاصل دنيانا أذىً ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه : قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجالٍ ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبالٍ قد علت شرفاتها فزالوا جميعاً والجبال جبالُ[2]

---

١ : **مزداخان** : بضم الميم وسكون الزاي، وفتح الدالالمهملة، وبعد الألف خاء معجمة مفتوحة، وبعد الألف الثانية نون، وهي قرية بالقرب من هراة. **انظر** : ابن خلكان – وفيات الأعيان ٤ / ٢٥٢ .

٢ : **الأبيات** في عيون الأنباء ٤٦٨ ، ووفيات الأعيان ٤ / ٢٥٠–٢٥١، والمختصر في أخبار البشر ٣ / ١١٢، وتاريخ ابن الوردي ٢ / ١٢٧ .

وقال[**الطويل**]

فلو قنعت نفسي بميسور بلغة لما سبقت في المكرمات رجالها
ولو كانت الدنيا مناسبة لها لما استحقرت نقصانها وكمالها
ولا أرمق الدنيا بعين كرامة ولا أتوقّى سوءها واختلالها
وذلك أني عارفٌ بفنائها ومستيقن ترحالها وانحلالها
أروم أموراً يصغر الدهر عندها وتستعظم الأفلاك طراً وصالها

وقال أيضاً [**البسيط**]

أرواحنا ليس ندري أين مذهبها وفي التراب توارى هذه الجثث
كون يُرى وفسادٌ جاء يتبعه الله أعلم، ما في خلقه عبثُ[١]

١ : وله رضي الله عنه من المصنفات : " تفسير فتوح الغيب" أو "مفاتيح الغيب" وهو التفسير الكبير، وفسر "الفاتحة " في مجلد مستقل، وشرح نصف "الوجيز" للغزالي، وله كتاب " المطالب العالية" في ثلاث مجلدات، ولم يتمه، وهو من آخر تصانيفه، وله كتاب: " عيون الحكمة" ، في الفلسفة، وكتاب في الرمل، وكتاب في الهندسة، وكتاب: "الاختبارات العلائية" ، فيه تنجيم،وكتاب "الاختبارات السماوية" تنجيم، وكتاب " الملل والنحل" ، وكتاب في النبض، وكتاب " الطب الكبير، وكتاب "التشريح" ، لم يتمه، ومصنفات كثيرة ذكرها الموفق ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٤٧٠ .

ومنهم:

٢٢- القُطبُ المِصرِيُّ وهو:

إِبرَاهِيمُ بنُ عليّ بنِ مُحَمَّدٍ السُّلَمِيُّ أبُو إِسحاقَ *

الإمام قطب الدين، وكان قطب دائره، ومركز شُهُبٍ سائره، ومُظهر عجائب، ومشهر غرائب، ومبين فضائل، ومفتن خمايل، وآية فضل تدرس ومعالمها واضحة، وعلومها ناضحة، وهو – وإن كان من الغرب مرماه – فإن في المشرق منماه وهكذا صاحب تاريخ الأطباء سماه، وما عدا في هذا واجبا، ولا نكب عن الحق جانبا، إذ كان إنما استفاد المشرق، وغاية العلم الذي به ذكر، والفضل الذي عليه قصر.

قال ابن أبي أصيبعة: " أصله مغربي،وأتى مصر، وأقام بها مدة، ثم سافر إلى بلاد العجم، ولقي الإمام الرازي فلزمه، واشتغل عليه، واشتهر هناك، وكان من أجلِّ تلاميذ ابن الخطيب وأميزهم.

وصنف كتباً كثيرة في الطب والحكمة، وشرح الكليات بأسرها(١)، قال: "ووجدته في كتابه هذا يفضِّل المسيحي وابن الخطيب على ابن سينا" .

وهذا نص قوله،[قال]"والمسيحي أعلم بصناعة الطب من أبي علي، فإن مشايخنا كانوا يرجحونه على جمعٍ عظيم ممن هم أفضل من أبي علي في هذا الفن" .

وقال أيضاً: " عبارة المسيحي أوضح وأبين مما قاله الشيخ، وغرضه في كتبه

---

* **انظر ترجمته في**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٧١، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/٤٤٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/٤٨، و٨/١٢١ –١٢٢، والوافي بالوفيات ٦/٦٩ رقم ٢٥٠٨، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/٣٨٣ رقم ٥٥١، والمقفى الكبير ١/٢٠٨/–٢٠٩ رقم ٢٣٠، وحسن المحاضرة ١/٣١٢، وهدية العارفين ١/١١، والأعلام للزركلي ١/٤٥، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١/٦٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٤/٣٩٦–٣٩٧ .

١ : **أي**: من كتاب القانون لابن سينا. **انظر**: عيون الأنباء ٤٧١، وتاريخ الإسلام ٤٤/٣٩٦ .

تقييد العبارة من غير فائدة" .

وقال في تفضيل ابن الخطيب على ابن سينا : " فهذا مما تنخَّل من كلام الإمامين الفاضلين العظيمين، الإمام المتقدم، والإمام المتأخر عنه زماناً، الراجح عليه علماً وعملاً، واعتقاداً، ومذهباً" .

وقتل القطب المصري في نيسابور فيمن قتله التتار بها[١] «رحمه الله تعالى» .

ومنهم :

٢٣- عَبدُ اللَّطِيف البَغْدَادِي*

هو ابن يوسف محمد بن علي بن أبي سعد[٢]، عرف بابن اللبَّاد، موفق الدين، أبو محمد، الموصلي الأصل، البغدادي المولد، ويعرف بالجدي المطجَّن[٣]

١ : وذلك سنة ٦١٨هجرية. انظر: تاريخ الإسلام ٤٤ /٣٩٦ .

* **ينظر ترجمته في**: التقييد لابن نقطة ٣٨٢-٣٨٣ رقم ٤٩٥، وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ١٥ / ٢٦، وإنباه الرواة للقفطي ٢ /١٩٣-١٩٦، والتكملة لوفيات النقلة٣ / ٢٩٧-٢٩٨ رقم ٢٣٦٨، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٦٨٣-٦٩٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٢٠-٣٢٣ رقم ١٩٥، والمختصر المحتاج إليه ٣ /٦٥-٦٦ رقم ٨٦٢، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٥٩، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣١، والمعين في طبقات المحدِّثين ١٩٤ رقم ٢٠٥٤، وتذكرة الحفاظ ٤ /١٤١٤، والعبر ٥ / ١١٥-١١٦، وتلخيص ابن مكتوم ، ورقة ١١٤-١١٧، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٧٣-١٧٤ رقم ١٢٨، وفوات الوفيات ٢ /١٦-١٩، ومرآة الجنان ٤ /٦٨، وطبقات الشافعية للإسنوي١ / ٢٧٣-٢٧٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥ /١٣٢، و٨ /٣١٣ رقم ١٢١٧، والوافي بالوفيات للصفدي ١٩ /١٠٧-١١٥ رقم ٩٩ مكرر، والعسجد المسبوك ٢ /٤٥٠، وبغية الوعاة ٢ /٣١١ رقم ١٥٥٥، وشذرات الذهب ٥ /١٣٢، وهدية العارفين ١ /٦١٤، وديوان الإسلام ٤ /١٥٥-١٥٧ رقم ١٨٧٤، والأعلام ٤ /٦١، ومعجم المؤلفين ٦ /١٥، وكنوز الأجداد لمحمد كرد علي ٣٢٥-٣٣١، والأعلام للزركلي ٤ /٦١، وتاريخ الإسلام٤٥ / ٣٥٣-٣٥٨ .

٢ : في الأصل المخطوط : "ابن أبي سعيد" ، والمثبت من عيون الأنباء، وتاريخ الإسلام.

٣ : **ويعرف** أيضا بابن نقطة ، كما في موسوعة علماء الطب ١٨٩ .

مسرح أمل، ومطمح علم وعمل، وزينة أرض ما هي في السماء لجدي ولا حمل، ناجح جديه الكباش فكسرها، ومزَّقها بظلفه(١) ونشرها، إلى أن أخلى منها المظان، وأبدل بسواد المعز بياض الضّان.

وأعطاه أهل زمانه حقه في التعظيم، وناظر كل قرين، وهو الجدي، وغيره الذي سُمط(٢)، فهادنته جناة الذئاب، وهابته جناة القرظ(٣)، وطال عليهم الإياب. وجال في الجيل الأول وقد شمخ بقَرنه، وسمج لقِرنه، وجلّ فلم ينتسب إليه كل عنزي من عنزة، ولا حسب كفؤاً لقرنه كبش كتيبة ولا جديد عنزة، وأنسي كل من تقدمه هدياً، وفخر به كل بلد قدمه وقدمت دمشق جديا،وعلم العلم أنه له منتصب، وقامت قامة بلده وقد قيل لها حدبا لأنها تصحيفه إذا نصب.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان مشهوراً بالعلوم، متحلياً بالفضائل، مليح العبارة، جيد(٤) التصنيف، وكان متميزاً في النحو واللغة، والعربية، عارفاً بعلم الكلام، والطب. وكان قد اعتنى كثيراً بصناعة الطب لما كان بدمشق، واشتهر بعلمها، وكان يتردد إليه جماعة من التلاميذ، وغيرهم من الأطباء، للقراءة عليه، وكان والده قد أشغله بصناعة(٥) الحديث في صباه.

وكان يوسف والد الشيخ موفق الدين مشتغلاً بعلم الحديث، بارعاً في علوم

---

١ : **الظلف**: بالكسر للبقرة والشاة والظبي وشبهها: بمنزلة القدم لنا. "القاموس مادة ظلف".

٢ : قال في القاموس:" سمط الجدي يسمطه ويسمُطه، فهو مسموط وسميط: نتف صوفه بالماء الحار". القاموس مادة سمط.

٣ : يقال: كبش قرظي – كعربي – وجهني، يمني ، لأنها منابته. القاموس مادة قرظ.

٤ : كذا في الأصل المخطوط، وفي عيون الأنباء" **كثير التصنيف**".

٥ : كذا في الأصل المخطوط، وفي عيون الأنباء: "**بسماع الحديث**".

القرآن، والقراءات، محموداً في المذهب والخلاف، والأصول.

وكان سليمان عم الشيخ موفق الدين [فقيهاً مجيداً، وكان الشيخ موفق الدين][1] عبد اللطيف كثير الاشتغال، لا يخلي وقتاً من أوقاته من النظر في الكتب، والتصنيف والكتابة. والذي وجدته من خطِّه أشياء كثيرة جداً، بحيث أنه يكتب من مصنفاته نسخاً متعددة، وكذلك أيضاً كتب كتباً كثيرة من تصانيف الفقهاء. وكان صديقاً لجَدّي، وبينهما صحبة أكيدة بالديار المصرية لما كان بها، وكان أبي وعمي اشتغلا عليه بعلم الأدب، واشتغل عليه عمي أيضاً بكتب أرسطوطاليس، وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها، والفهم لمعانيها.

وأتى إلى دمشق من الديار المصرية، وأقام بها مدة، وكثر انتفاع الناس بعلمه. ورأيته في آخر مرة بدمشق وهو شيخ نحيف الجسم، ربع القامة، حسن الكلام، جيد العبارة، وكانت مسطرته أبلغ من لفظه. وكان - رحمه الله تعالى - ربما تجاوز في الكلام لكثرة ما يرى في نفسه. وكان يتنقَّص الفضلاء الذين في زمانه، وكثيراً من المتقدمين. وكان وقوعه كثيراً جداً في علماء العجم ومصنفاتهم، وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه.

ونقلت من خطِّه في سيرته التي ألَّفها ما هذا مثاله، قال: " إني ولدت بدار لجَدي في درب الفالوذج، في سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وتربيت في حجر الشيخ [أبي النجيب] لا أعرف اللهو واللعب، وأكثر زماني مصروف في سماع الحديث، وأخذت لي إجازات من مشايخ بغداد، وخراسان، والشام، ومصر.

وقال لي والدي يوماً: قد سمَّعتك جميع عوالي بغداد، [وألحقتك في الرواية

---

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوطة الأصل ، استكمل من عيون الأنباء.

بالشيوخ، وكنت في أثناء ذلك] أتعلم الخط، وأحفظ القرآن، والفصيح، والمقامات، وديوان المتنبي، ونحو ذلك، ومختصراً في الفقه، ومختصراً في النحو.

فلما ترعرعت، حملني والدي إلى كمال الدين عبد الرحمن الأنباري(١)، وكان يومئذ شيخ بغداد، وله بوالدي صحبة قديمة أيام التفقه بالنظامية(٢)، فقرأت عليه خطبة الفصيح(٣)، فهذّ(٤) كلاماً كثيراً متتابعاً لم أفهم منه شيئاً، لكن التلاميذ حوله تعجبوا منه.

ثم قال: أنا أجفو عن تعليم الصبيان. احمله إلى تلميذي الوجيه

---

١ : ورد في المخطوطة الأصل :"عبد الرحيم" ، والصواب هو: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري. من علماء اللغة والأدب، وتاريخ الرجال. كان زاهداً عفيفاً خشن العيش والملبس، لا يقبل من أحد شيئاً. سكن بغداد وتوفي فيها، من مؤلفاته: "نزهة الألباء في طبقات الأدباء". و"الإغراب في جدل الإعراب"، و"أسرار العربية"، وغيرها من الكتب. توفي سنة ٥٧٧هجرية.

انظر ترجمته في : فوات الوفيات ١/٢٦٢، وبغية الوعاة ٣٠١، ومرآة الزمان٨/ ٣٦٨، والأعلام للزركلي ٣/ ٣٢٧ .

٢ : **المدرسة النظامية**: من أكبر المدارس في بغداد، بناها نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، وكان وزيراً حازماً لألب أرسلان، اغتيل سنة ٤٨٥هجرية، ودفن بأصبهان.

انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢/ ١٢٨-١٣١ .

٣ : **أي كتاب :"فصيح ثعلب"** : في اللغة، وقد اختلف في مؤلفه، فقيل للحسن بن داود الرقي، وقيل لابن السكيت، والأصح أنه: لأبي العباس أحمد بن يحي المعروف بثعلب الكوفي النحوي، المتوفى سنة ٢٩١ هجرية.

انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/١٢٧٢-١٢٧٣ .

٤ : قال في القاموس: " الهذُّ: سرعة القطع والقراءة، كالهذذ، والهذاذ، والاهتذاذ، أو قطع كل شيء" .
انظر القاموس : مادة هذذ.

[الواسطي، يقرأ عليه، فإذا توسطت حاله يقرأ عليَّ. وكان الوجيه][(١)]عند بعض أولاد الرؤساء، وكان رجلاً أعمى من أهل الثروة والمروءة، فأخذني بكلتي يديه، وجعل يعلمني من أول النهار إلى آخره بوجوه كثيرة من التلطف.

وكنت أحضر بحلقته بمسجد المظفرية، ويجعل جميع الشروحات لي، ويخاطبني بها. وفي آخر الأمر أقرأ درسي، ويخصني بشرحه، ثم نخرج من المسجد فيذاكرني في الطريق، فإذا بلغنا منزله، أخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسه، فأحفظ له، وأحفظ معه، ثم يذهب إلى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسه، ويشرح له، وأنا أسمع.

وتخرَّجت إلى أن صرت أسبقه في الحفظ والفهم، وأصرف أكثر الليل في الحفظ والتكرار. وأقمنا على ذلك برهة، كلما جاء حفظي كثر وزاد، وفهمي قوي واستنار، وذهني احتدَّ واستقام، وأنا ألازم الشيخ، وشيخ الشيخ.

وأول ما بدأت حفظت: "اللمع"[(٢)] في ثمانية أشهر، أسمع كل يوم شرح أكثرها، مما يقرؤه غيري، وأنقلب إلى بيتي فأطالع شرح [الثمانيني]، الفارسي، وشرح الشريف عمر بن حمزة، وشرح ابن برهان، وكل ما أجد من شروحها، وأشرحها لتلاميذ يختصون بي[(٣)]، إلى أن صرت أتكلم على كل باب كراريس، ولا ينفد ما عندي.

وحفظت: " أدب الكاتب " لابن قتيبة[(٤)]، حفظاً متقناً، أما النصف الأول؛

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة، استكمل من عيون الأنباء.

٢ : كتاب اللمع: كتاب في النحو ألَّفه عثمان بن جنِّي الموصلي، جمعه من كلام شيخه أبي علي الفارسي. **انظر**: كشف الظنون لحاجي خليفة٢/ ١٥٦٢ .

٣ : في الأصل المخطوط: "بحضوري" وهو تصحيف، صوابه ما أثبتناه من عيون الأنباء ٦٨٤ .

٤ : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد : من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين، ولد ببغداد وسكن الكوفة، ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي ببغداد سنة=

ففي شهور.

وأما تقويم اللسان: ففي أربعة عشر يوماً، لأنه كان أربع عشرة كراسة.

ثم حفظت: "مشكل القرآن" له، و"غريب القرآن" له. وكان ذلك في مدة يسيرة.

ثم انتقلت إلى: "الإيضاح" لأبي علي الفارسي(١)، فحفظته في شهور كثيرة، ولازمت شروحه، وتتبعته التتبع التام، وتبحَّرت فيه، وجمعت ما قال الشُّرَّاح. وأما "التكملة"(٢) فحفظتها في أيام يسيرة، كل يوم كراساً.

وطالعت الكتب المبسوطة، والمختصرات.

وواظبت على "المقتضب"(٣) للمبرد، وكتاب ابن درستويه(٤) في أثناء

=٢٧٦هجرية. من مصنفاته: "أدب الكاتب" و"تأويل مختلف الحديث" و"المعارف" وغيرها.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٥١، ولسان الميزان٣/ ٣٥٧، والأعلام للزركلي٤/ ١٣٧.

١ : كتاب "**الإيضاح**" في النحو: للشيخ أبي علي حسن بن أحمد الفارسي، النحوي، المتوفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة من الهجرة، وهو كتاب متوسط مشتمل على مائة وست وتسعين باباً منها إلى مائة وست وستين نحو، والباقي إلى آخره تصريف، ألَّفه حين قرأ عليه عضد الدولة، ولما رآه استقصره، وقال: ما زدت على ما أعرف شيئاً! وإنما يصلح هذا للصبيان، فمضى الشيخ وصنف التكملة، وحملها إليه، فلما وقف قال: قد غضب الشيخ، وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو!.
انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٢١١-٢١٢.

٢ : **انظر**: الحاشية السابقة.

٣ : كتاب "**المقتضب**" في النحو، وهو نظير كتاب سيبويه، من تأليف أبي عبد الله محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي، المتوفى سنة ٢٨٥هجرية، شرحه أبو الحسن الرماني، وغيره.
انظر: كشف الظنون٢/ ١٧٩٣.

٤ : عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه، ابن المرزبان، أبو محمد: من علماء اللغة، فارسي الأصل، اشتهر وتوفي ببغداد، له تصانيف كثيرة، منها: "تصحيح الفصيح" يعرف بشرح فصيح ثعلب، وكتاب: "الإرشاد" في النحو، و"معاني الشعر" وغيرها. توفي سنة ٣٤٧هجرية.=

ذلك، لا أغفل عن سماع الحديث والفقه على شيخنا ابن فضلان، بدار الذهب، وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب.

قال: " وللشيخ كمال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصنيفاً، أكثرها في النحو، وبعضها في الفقه، والأصولين، وفي التصوف، والزهد، وأتيت على أكثر تصانيفه؛ سماعاً وقراءة، [وحفظاً]. وشرع في تصنيفين كبيرين؛ أحدهما في اللغة، والآخر في الفقه، ولم يتفق له إتمامهما.

وحفظت عليه طائفة من كتاب سيبويه، وأكببت على المقتضب فأتممته[١]

وبعد وفاة الشيخ تجرَّدت لكتاب سيبويه، ولشرحه للسيرافي[٢]

ثم قرأت على أبي عبيدة الكرخي كتباً كثيرة، منها: كتاب "الأصول" لابن السراج[٣]، والنسخة في وقف ابن الخشاب برباط المأمونية. وقرأت عليه الفرائض، والعروض، للخطيب التبريزي[٤]، وهو من خواص تلاميذ ابن

=انظر ترجمته في: بغية الوعاة ٢٧٩، وابن النديم ١ / ٦٣، والأعلام للزركلي ٤ / ٧٦ .

١ : في عيون الأنباء: " **فأتقنته**" .

٢ : **السيرافي**: هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد: نحوي عالم بالأدب، أصله من سيراف من بلاد فارس، تفقه في عمان، وسكن بغداد، فتولى نيابة القضاء، وتوفي فيها سنة ٣٦٨هجرية. وكان معتزلياً متعففاً، لا يأكل إلا من كسب يده، ينسخ الكتب بالأجرة ويعيش منها، من كتبه: " صنعة الشعر"، و"شرح كتاب سيبويه" .

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١ / ١٣٠، ونزهة الألبا ٣٧٩، والأعلام للزركلي٢ / ١٩٥-١٩٦ .

٣ : هو **محمد بن السري بن سهل**، أبو بكر، أحد أئمة اللغة والأدب، من أهل بغداد. كان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً، ويقال: ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله. مات شاباً سنة ٣١٦ هجرية. ومن كتبه: " الأصول" في النحو، و"شرح كتاب سيبويه"، و" الشعر والشعراء" وغيرها.

انظر ترجمته في: بغية الوعاة ٤٤، ووفيات الأعيان١ / ٥٠٣، والوافي بالوفيات ٣ / ٨٦، والأعلام للزركلي ٦ / ١٣٦ .

٤ : هو **يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي**، أبو زكريا: من أئمة اللغة والأدب، أصله من=

الشجري.

وأما ابن الخشَّاب(١): فسمعت بقراءته "معاني الزجَّاج"، على الكاتبة شهدة بنت الأبري، وسمعت منه الحديث المسلسل وهو: "الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"(٢)

وقال أيضاً موفق الدين البغدادي: " إن من مشايخه الذين انتفع بهم – كما زعم – ولد أمين الدولة ابن التلميذ، وبالغ في وصفه، وكثر. وهذا لكثرة تعصبه للعراقيين وإلا فولد أمين الدولة لم يكن بهذه المثابة، ولا قريباً منها".

وقال: " إنه ورد إلى بغداد رجل مغربي طوالٌ في زي التصوف، له أبَّهةٌ وليس بمقبول الصورة، عليه مسحة الدين، وهيئة السياحة، ينفعل لصورته من رآه [قبل أن يخبره]، يعرف بابن نائلي، يزعم أنه من أولاد المتلثمة، خرج من

=تبريز، نشأ ببغداد، ورحل إلى بلاد الشام، فقرأ "تهذيب اللغة" للأزهري، على أبي العلاء المعري، قيل: إنه أتاه يحمل نسخة "التهذيب" في مخلاة على ظهره، وقد بللها عرقه، حتى يظن أنها غريقة!، ودخل مصر، ثم عاد إلى بغداد، فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية إلى أن توفي سنة ٥٠٢هجرية. من مصنفاته: "الوافي في العروض والقوافي" و"شرح مشكل ديوان أبي تمام" و"شرح اللمع لابن جني" وغيرها. **انظر ترجمته في**: وفيات الأعيان٢/ ٢٣٣، والأعلام للزركلي٨/ ١٥٧–١٥٨.

١ : **ابن الخشاب**: هو عبد الله بن أحمد ابن الخشاب، أبو محمد: أعلم معاصريه بالعربية، من أهل بغداد، مولداً ووفاة، كان عارفاً بعلوم الدين، مطلعاً على شيء من الفلسفة والحساب والهندسة، مستهتراً في حياته، متبذلاً في عيشه وملبسه، كثير المزاح، يلعب الشطرنج مع العوام على قارعة الطريق، وقف كتبه على أهل العلم قبيل وفاته سنة ٥٦٧هجرية. انظر ترجمته في: بغية الوعاة ٢٧٦، ووفيات الأعيان١/ ٢٦٧، والأعلام للزركلي٤/ ٦٧.

٢ : **أخرجه** أبو داود ٤٩٤١، والترمذي ١٩٢٤، والإمام أحمد ٢/ ١٦٠، والحميدي ٥٩١، كلهم من طريق سفيان بن عيينة، وقال الترمذي: حديث حسنٌ صحيح، وصححه الحاكم٤/ ١٥٩، وصححه غير واحد من الأئمة، وله شاهد بسند رجال ثقات عن جرير بن عبد الله عند الطبراني في الكبير ٢٤٩٧.

المغرب لما استولى عليها عبد المؤمن، فلما استقرَّ ببغداد واجتمع عليه جماعة من الأكابر والأعيان، وحضره الرضي القزويني(١)، وشيخ الشيوخ [ابن سكينة(٢)](٣).

وكنت واحداً ممن حضره فأقرأني مقدمة الحساب، ومقدمة ابن بابشاذ في النحو، وكان له طريق في التعليم عجيب، ومن يحضره يظن أنه متبحر، وإنما كان متطرفاً، لكنه قد أمعن في كتب الكيمياء، والطلّسمات(٤)، وما جرى

---

١ : هو **العلامة رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل**، بن يوسف الطالقاني، الفقيه الشافعي الواعظ. ولد سنة ٥١٢هجرية، وتفقه على الفقيه ملكداذ، العمركي وقرأ بالروايات على إبراهيم بن عبد الملك القزويني، وقدم بغداد قبل الستين ودرَّس بها ووعظ، ثم قدمها قبل السبعين ودرَّس بالنظامية، وكان إماماً في المذهب، والخلاف، والأصول، والتفسير، والوعظ، وكان صاحب قدم راسخة في العبادة، عديم النظير، كبير الشأن، رجع إلى قزوين سنة ثمانين وخمسمائة ، ولزم العبادة إلى أن مات في محرم سنة خمسمائة وتسعين من الهجرة .

انظر : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي٦ / ٤٩٢-٤٩٣ .

٢ : **ابن سكينة** : صدر الدين عبد الرزاق ابن الإمام أبي أحمد عبد الوهاب بن سكينة، شيخ الشيوخ البغدادي، حضر على ابن البطي، وسمع من شهدة، وترسل عن الخليفة إلى النواحي، وتوفي سنة ستمائة وخمس وثلاثين من الهجرة .

انظر ترجمته في: العبر ٥ / ١٤٤، وتاريخ الإسلام ٦٤ / ٢٢٩،وشذرات الذهب ٧ / ٣٠٠ .

٣ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة .

٤ : **الطِّلَّسم**: بكسر الطاء وشد اللام، وسكون السين المهملة، غير عربي، وكأنه مأخوذ من لغة اليونان. وفي شفاء الغليل: " الطِّلَّسم: لفظ يوناني لم يعرِّبه من يوثق به، وكونه مقلوباً من "مسلط" وهم لا يعتدُّ به. وفي السر المكتوم العقد المنظوم في الطلسمات لأحمد بن أبي الحسن النامقي الجامي المتوفى ٥٣٦هجرية ما نصه :" هو عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية، بالقوى المنفعلة الأرضية، لأجل التمكن من إظهار ما يخالف العادة، والمنع مما يوافقها، انتهى.

انظر : قصد السبيل للمحبي ٢ / ٢٦٤

مجراها. وأتى على كتب جابر[١] بأسرها، وعلى كتب ابن وحشية[٢]

وكان يجلب القلوب بصورته ومنطقه، وإيهامه. فملأ قلبي شوقاً إلى العلوم كلها، واجتمع بالإمام الناصر لدين الله، وأعجبه، ثم سافر، وأقبلت على الاشتغال، وشمَّرت ذيل الجد والاجتهاد، وهجرت النوم واللذات، وأكببت على كتب الغزالي[٣]: "المقاصد، والمعيار، والميزان، ومحك النظر".

ثم انتقلت إلى كتب ابن سينا؛ صغارها وكبارها، وحفظت كتاب "النجاة"، وكتبت "الشفاء"، وبحثت فيه.

وحصلت كتاب "التحصيل" لبهمنيار – تلميذ ابن سينا –.

وحصلت كثيراً من كتب جابر بن حيان الصوفي، وابن وحشية، وباشرت عمل[٤] الصنعة الباطلة، وتجارب الضلال الفارغة، وأقوى من أضلَّني ابن سينا

---

١ : أي: "**جابر بن حيان**" بن عبد الله الكوفي، فيلسوف كيميائي كان يعرف بالصوفي، من أهل الكوفة، وأصله من خراسان، اتصل بالبرامكة، وانقطع إلى أحدهم جعفر بن يحيى، وتوفي بطوس سنة ٢٠٠هجرية.

انظر ترجمته في: فهرست ابن النديم ١ / ٣٥٤، وأخبار الحكماء ١١١، والمقتطف١ / ١٢٣، والأعلام للزركلي٢ / ١٠٣-١٠٤.

٢ : هو أحمد النبطي، كان على جانب عظيم من العلم، وله مؤلفات عديدة في الكيمياء والعلوم الخفية، عاش قرابة سنة ٢٠٠ من الهجرة.

٣ : الإمام **حجة الإسلام** والمسلمين **محمد بن محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوس**، الفيلسوف، الحجة، العارف بالله تعالى. له نحو من مائتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران – قصبة طوس – بخراسان، رحل إلى نيسابور، ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر، وعاد إلى بلدته، نسبته إلى صناعة الغزل، أو إلى غزالة، من قرى طوس، توفي رضي الله عنه سنة ٥٠٥ هجرية. **انظر ترجمته في**: وفيات الأعيان ١ / ٤٦٣، وطبقات الشافعية ٤ / ١٠١، والأعلام للزركلي ٧ / ٢٢-٢٣.

٤ : في الأصل المخطوط: "على".

بكتابه في الصنعة، الذي تمم به فلسفته التي لا تزداد بالتمام إلا نقصا!".

قال: "ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة، حيث لم يبق ببغداد من يأخذ بقلبي ويملأ عيني، ويحل ما يُشكل عليَّ، دخلت الموصل فلم أجد فيها بغيتي، لكن وجدت الكمال ابن يونس[١] جيداً في الرياضيات، والفقه، متطرفاً في باقي أجزاء الحكمة، قد استغرق عقله وحسه حب[٢] الكيمياء،وعملها، حتى صار يستخف ما عداها.

واجتمع إليَّ جماعة كثيرة، وعُرضت عليَّ مناصب؛ فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة، ودار الحديث [التي] تحتها.

وأقمت بالموصل سنة كاملة في اشتغال دائم متواصل ليلاً ونهاراً، وزعم أهل الموصل أنهم لم يروا أحداً من قبلي مثل ما رأوا مني، في سعة المحفوظ، وسرعة الخاطر، وسكون الطائر.

وسمعت الناس يلهجون في حديث الشهاب السهروردي[٣] المتفلسف،

١ : **موسى بن يونس** بن محمد بن منعة بن مالك العقيلي، كمال الدين، أبو الفتح الموصلي: فيلسوف علامة بالرياضيات، والحكمة، والأصول، عارف بالموسيقى والأدب، والسير. مولده ووفاته بالموصل، تعلم بها، وبالمدرسة النظامية ببغداد. وقصده العلماء للأخذ عنه، واستخرج في علم "الأوفاق" طرقاً لم يهتد إليها أحد. وكان النصارى واليهود يقرؤون عليه التوراة والإنجيل، ويشرحهما شرحاً وافياً، وكان يقرئ كتاب سيبويه، والمفصل للزمخشري، واتهم في عقيدته لغلبة العلوم العقلية عليه. توفي سنة ٦٣٩هجرية. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان٢ / ١٣٢، ومفتاح السعادة ٢ / ٢١٤، وطبقات السبكي٥ / ١٥٨-١٦٢، والأعلام للزركلي ٧ / ٣٣٢ .

٢ : في الأصل المخطوط: "حسرة". والتصويب من: عيون الأنباء ٦٨٦ .

٣ : **الشهاب السهروردي**: يحيى بن حبش بن أميرك، أبو الفتوح، شهاب الدين، السهروردي: فيلسوف، اختلف المؤرخون في اسمه، ولد في سهرورد من قرى زنجان في العراق العجمي، ونشأ بمراغة، وسافر إلى حلب، فنسب إلى انحلال العقيدة، وكان علمه أكثر من عقله، كما يقول ابن خلكان، فأفتى العلماء بإباحة دمه، فسجنه الملك الظاهر غازي، وخنقه في سجنه بقلعة حلب،=

ويعتقدون أنه قد فاق الأولين والآخرين، وأن تصانيفه فوق تصانيف القدماء، فهممت لقصده، ثم أدركني التوفيق وطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفه، وكان أيضاً معتقداً عليه؛ فوقفت على: " التلويحات، واللمحة، والمعارج "، فصادفت فيها ما يدل على جهل أهل الزمان، ووجدت لي تعاليق كثيرة لا أرتضيها هي خير من كلام هذا [الأنوك(١)](٢).وفي أثناء كلامه يثبت حروفاً مقطعة يوهم بها أمثاله أنها أسرارٌ إلهية!".

قال: " ولما دخلت دمشق وجدت فيها من أعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الإحسان الصلاحي، جمعاً كثيراً، **منهم**:-

جمال الدين عبد اللطيف، ولد الشيخ أبي النجيب(٣)، وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء. وابن طلحة الكاتب(٤)، وبيت ابن جهير(٥)، وابن العطار المقتول الوزير.

=من كتبه: "التلويحات، وهياكل النور، والمشارع والمطارحات، ومقامات الصوفية ومعاني مصطلحاتهم" وغيرها كثير، توفي سنة ٥٨٧هجرية.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢ / ٢٦١، والنجوم الزاهرة٦ / ١١٤، والأعلام للزركلي ٨ / ١٤٠

١ : الأنوك: أي الأحمق. القاموس مادة "نوك".

٢ : في الأصل المخطوط : "الأول". والتصويب من عيون الأنباء٦٨٦ .

٣ : المسمى ابن اللباد، مشهور بعلم الكلام والفلسفة والطب، والتنجيم.

٤ : **محمد بن طلحة** بن محمد بن الحسن، كمال الدين القرشي، النصيبي، العدوي، الشافعي، أبو سالم: وزير من الأدباء الكتاب، ولد بالعمرية، من قرى نصيبين، ورحل إلى نيسابور، وولي الوزارة بدمشق، ثم تركها وتزهّد، وتوفي بحلب سنة ٦٥٢هجرية. من مؤلفاته: " مطالب السول في مناقب آل الرسول"، و" مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل الصلاح"، وغيرها.

انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٥ / ٢٥٩، وطبقات السبكي٥ / ٢٦، والأعلام للزركلي ٦/ ١٧٥.

٥ : بيت خرج منه أربعة من وزراء العباسيين، أولهم: وزير المستظهر، وآخرهم: وزير المقتفي.

واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي(١)، وجرى بيننا مباحثات، وكان شيخاً ذكياً، مثرياً، له جانب من السلطان(٢)، لكنه كان معجباً بنفسه، مؤذياً لجليسه، وجرت بيننا مباحثات فأظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة، ثم إني أهملت جانبه، فكان يتأذى بإهمالي له أكثر مما يتأذى الناس منه.

وعملت بدمشق تصانيف جمَّة، منها: " غريب الحديث" الكبير، جمعت فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام، وغريب ابن قتيبة، وغريب الخطابي، وكنت ابتدأته بالموصل، وعملت له مختصراً سميته: " المجرَّد"، وعملت كتاب: "الواضحة في إعراب الفاتحة" نحو عشرين كرَّاساً. وكتاب: " رُبَّ"، وكتاباً في [الذات] والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلمين، وقصدت بهذه المسألة الرد على الكندي.

ووجدت بدمشق الشيخ عبد الله بن بابلي(٣)، نازلاً بالمئذنة الغربية، وقد عكف عليه جماعة. وتحدث الناس فيه؛ له، وعليه. وكان الخطيب الدولعي(٤)

---

١ : **هو زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميري**، من ذي رعين، أبو اليمن، تاج الدين الكندي: أديب، ومن الكتاب الشعراء العلماء، ولد ونشأ ببغداد، وسافر إلى حلب سنة ٥٦٣هجرية، وسكن دمشق، وقصده الناس يقرؤون عليه، وكان مختصاً بفرخ شاه، ابن أخي صلاح الدين، وبولده الملك الأمجد صاحب بعلبك، وهو شيخ المؤرخ ابن الجوزي، وكان الملك المعظم عيسى يقرأ عليه دائماً كتاب سيبويه، متناً وشرحاً، والإيضاح والحماسة، وغيرهما، قال أبو شامة: كان المعظم يمشي من القلعة راجلاً إلى دار تاج الدين، والكتاب تحت إبطه. توفي رحمه الله تعالى في دمشق سنة ٦١٣هجرية.

انظر ترجمته في: مرآة الزمان ٨ / ٥٧٥، ووفيات الأعيان ١ /١٩٦، والأعلام ٣ /٧٥-٥٨ .

٢ : أي السلطان صلاح الدين الأيوبي.

٣ : في عيون الأنباء ابن نائلي، ولم أعثر على ترجمته.

٤ : **هو عبد الملك بن زيد بن ياسين التغلبي، الدولعي**. ضياء الدين، أبو القاسم. فقيه شافعي، من أهل الدولعية، من قرى الموصل. تفقه ببغداد، وانتقل إلى الشام، فولي الخطابة وتدريس الغزالية=

عليه، وكان من الأعيان، له منزلة، وناموس.

ثم خلط ابن بابلي على نفسه، فأعان عدوه عليه، وصار يتكلم في الكيمياء والفلسفة، وكثر التشنيع عليه، واجتمعت به ، وصار يسألني عن أعمال أعتقد أنها خسيسة، نزرة، فيعظمها، ويحتفل بها، ويكتبها مني، فكاشفته فلم أجده كما كان في نفسي، فساء به ظني، وبطريقته.

ثم باحثته في العلوم، فوجدت عنده منها أطرافاً نزرة، فقلت له يوماً: لو صرفت زمانك الذي ضيَّعته في طلب الصنعة إلى بعض العلوم الشرعية، أو العقلية، كنت اليوم فريد عصرك. مخدوماً طول عمرك، وهذا هو الكيمياء، لا ما تطلبه.

ثم اعتبرت بحاله، وانزجرت بسوء مآله، والسعيد من وعظ بغيره، فأقلعت و[لكن] لا كُلَّ الإقلاع.

ثم إنه توجَّه إلى صلاح الدين بظاهر عكا، وشكا إليه الدولعي، وعاد مريضاً، وحمل إلى البيمارستان، فمات [به]. وأخذ كتبه المعتمد مشيخة دمشق، وكان متيَّماً بالصنعة.

ثم إني توجَّهت إلى زيارة البيت المقدس، ثم إلى صلاح الدين بظاهر عكا، واجتمعت ببهاء الدين ابن شداد(١) قاضي العسكر يومئذ، وكان قد اتصل به

=بدمشق، وله تصانيف. توفي سنة ٥٩٨هجرية.

انظر ترجمته في: مرآة الزمان ٨/ ٥١١، وطبقات الشافعية للسبكي٤/ ٢٦١، والأعلام ٤/ ١٥٩

١ : **يوسف بن رافع** بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، أبو المحاسن، بهاء الدين بن شداد، مؤرخ، من كبار القضاة، ولد ومات بالموصل، ومات أبوه وهو صغير، فنشأ عند أخواله" بني شداد" وشداد جده لأمه، فنسب إليهم، وتفقه بالموصل، ثم ببغداد، وتولى الإعادة بالنظامية نحو أربع سنين، وعاد إلى الموصل ، فدرَّس وصنَّف بعض كتبه، وسافر إلى حلب، فحدَّث بها وبدمشق، ومصر،=

خبري بالموصل، فانبسط إليَّ وأقبل عليَّ،وقال: نجتمع بعماد الدين الكاتب، [فقمنا إليه] وخيمته إلى خيمة بهاء الدين، فوجدته يكتب كتاباً إلى الديوان العزيز، بقلم الثلث من غير مسوَّدة، وقال: هذا كتابٌ إلى بلدكم. وذاكرني في مسائل من علم الكلام، وقال: قوموا بنا إلى القاضي الفاضل(١)، فدخلنا عليه، فرأيت شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب، وهو يكتب ويملي على اثنين، ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في إخراج الكلام. وكان يكتب بجملة أعضائه.

وسألني القاضي الفاضل عن قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذا جَاؤُوهَا وفُتِحَتْ أَبَوابُهَا وقَالَ لَهُم خَزَنَتُهَا ﴾(٢)، أين جواب إذا؟.

=وغيرها، ولما دخل دمشق كان صلاح الدين محاصراً قلعة كوكب، فدعاه إليه، وولاه قضاء العسكر وبيت المقدس، والنظر على أوقافه، واستصحبه في بعض غزواته، فدوَّن وقائعه، وكثيراً من أخباره. – وهو شيخ ابن خلكان صاحب الوفيات –. قال ابن العديم: كانت ولايته قضاء حلب ووقوفها سنة ٥٩١هجرية، واستمر إلى أن توفي فيها سنة ٦٣٢هجرية. من كتبه: "النوادر السلطانية في المحاسن اليوسفية" وهو أشهرها، وله غير ذلك من الكتب.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢ / ٣٥٤، وطبقات السبكي ٥ / ١١٥، والأعلام للزركلي ٨ / ٢٣٠.

١ : **عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل**، وزير، من أئمة الكتَّاب، ولد بعسقلان – فلسطين – وانتقل إلى الإسكندرية، ثم إلى القاهرة، وتوفي فيها. كان من وزراء السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومن مقرَّبيه، ولم يخدم أحداً بعده. قال بعض مترجميه" : كانت الدولة بأسرها تأتي إلى خدمته". وكان السلطان صلاح الدين يقول:" لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم الفاضل!". وكان سريع الخاطر في الإنشاء، كثير الرسائل، قيل: لو جمعت رسائله وتعليقاته، لم تقصر عن مائة مجلد. وقد بقي من رسائله مجموعات، منها:"ترسل القاضي الفاضل" وله ديوان شعر مطبوع. انظر ترجمته في: النجوم الزاهرة ٦ / ١٥٦، ووفيات الأعيان ١ / ٢٨٤، والأعلام للزركلي ٣ / ٣٤٦.

٢ : سورة الزمر – الآية ٧٣.

وأين جواب "لو" في قوله تعالى: ﴿ ولو أنَّ قرآناً سُيِّرتْ بِهِ الجِبَالُ ﴾[١]

وعن مسائل كثيرة، ومع هذا فلا يقطع الكتابة ولا الإملاء. وقال لي: ترجع إلى دمشق، وتجري عليك الجرايات. فقلت: أريد مصر. فقال: السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا، وقتل المسلمين بها. فقلت: لا بد لي من مصر.

فكتب لي ورقة صغيرة إلى وكيله بها. فلما دخلت القاهرة، جاء وكيله[٢]، وكان شيخاً جليل القدر، نافذ الأمر، فأنزلني داراً قد أزيحت عللها، وجاءني بدنانير، وغلة. ثم مضى إلى أرباب الدولة، وقال: هذا ضيف القاضي الفاضل، فدرَّت الهدايا والصِّلات[٣] من كل جانب. وكان كل عشرة أيام أو نحوها تصل تذكرة القاضي إلى ديوان مصر بمهمات الدولة، وفيها فصلٌ يؤكد الوصية في حقي. فأقمت بمسجد الحاجب لؤلؤ[٤] أقرئ الناس.

وكان قصدي في مصر ثلاث أنفس: ياسين السيميائي، والرئيس موسى بن ميمون اليهودي[٥]، وأبو القاسم الشارعي، وكلهم جاؤوني.

---

١ : سورة الرعد – الآية ٣١ .

٢ : وهو ابن سناء الملك على ما في عيون الأنباء ٦٨٧ .

٣ : جمع :صِلَة، وهي: العطية، أو الهبة.

٤ : هو أمين سر رضوان السلجوقي، وأتابك ألب رسلان.

٥ : هو موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحق، أبو عمران القرطبي، طبيب، حكيم، رياضي، ويهودي عالم بسنن اليهود، ولد وتعلم في قرطبة بالأندلس، وتنقَّل مع أبيه في مدن الأندلس، وتظاهر بالإسلام، فحفظ القرآن وتفقه بالمالكية، ثم توجه إلى مصر فأقام بفسطاطها، حيث ارتدَّ فعاد إلى يهوديته، وأقام في القاهرة ٣٧ سنة، كان فيها رئيساً روحياً لليهود، كما عمل خلالها في بلاط الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وولده الملك الأفضل علي، ومات بالقاهرة ودفن بطبرية في فلسطين سنة ٥٢٩هجرية. **انظر ترجمته في:** عيون الأنباء ٥٨٢-٥٨٣، والوافي بالوفيات للصفدي ٢٦ /١٤٥ -١٤٩، والأعلام للزركلي٧ / ٣٢٩-٣٣٠، وموسوعة علماء الطب ٢٨١-٢٨٢ .

أما ياسين فوجدته محالياً كذاباً، يشهد للشاقاني بالكيمياء، ويشهد له الشاقاني بالسيمياء، ويقول عنه: إنه يعلم أعمالاً يعجز موسى بن عمران – عليه السلام – عنها ، وأنه يحضر الذهب المضروب متى شاء، وبأي مقدار شاء، وبأي سكة شاء، وأنه يجعل ماء النيل خيمة ويجلس فيها وأصحابه تحتها. وكان ضعيف الحال.

وجاءني موسى فوجدته فاضلاً في الغاية، قد غلب عليه حب الرياسة، وخدمة أرباب الدنيا، وعمل كتاباً في الطب جمعه من "الستة عشر" لجالينوس، ومن خمسة كتب أخر، وشرط أن لا يغير فيه حرفاً، إلا أن يكون واو عطف أو فاء وصل[1]، وإنما ينقله فصولاً يختارها. وعمل كتاباً لليهود سماه: "كتاب الدلالة"، ولعن من يكتبه بغير القلم العبراني. ووقفت عليه، فوجدته كتاب سوء يفسد أصول الشرائع والعقائد بما يظن أنه يصلحها. وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي خلقٌ كثير، فدخل شيخ رثّ الثياب، نيِّر الطلعة، مقبول الصورة، فهابه الجمع، ورفعوه فوقهم، وأخذت في إتمام كلامي. فلما تصرَّم المجلس، جاء إمام المسجد وقال: أتعرف هذا الشيخ؟. هذا أبو القاسم الشارعي.

فاعتنقته، وقلت: إياك أطلب، فأخذته إلى منزلي، وأكلنا الطعام، وتفاوضنا الحديث، فوجدته كما تشتهي النفس، وتلذّ العين. سيرته سيرة الحكماء العقلاء، وكذا صورته، قد رضي من الدنيا بالقليل، لا يتعلق بشيء منها يشغله عن طلب الفضل، ثم لازمني، فوجدته قيماً بكتب القدماء، وكتب أبي نصر الفارابي، ولم يكن لي اعتقاد في هؤلاء لأني كنت أظن أن الحكمة كلها حازها ابن سينا، وحشاها كتبه، فكنا إذا تفاوضنا الحديث أغلبه بقوة الجدل، وفضل اللسن، ويغلبني بقوة الحجة، وظهور المحجة. وأنا لا تلين قناتي لغمزه، ولا أحيد

١ : في الأصل المخطوط: "فاصل".

عن جادة الهوى والتعصب برمزه، فصار يحضرني[١] شيئاً بعد شيء من كتب أبي نصر، والإسكندر، وثامسطيوس، يؤنس بذلك نفاري، ويلين عريكة شماسي[٢]، حتى عطفت عليه أقدِّم رجلاً وأؤخر أخرى.

وشاع أن صلاح الدين هادن الفرنج، وعاد إلى القدس. فقادتني الضرورة إلى التوجه إليه، فأخذت من كتب القدماء ما أمكنني، وتوجَّهت إلى القدس، فرأيت ملكاً عظيماً يملأ العين روعةً، والقلوب محبةً، قريباً بعيداً، سهلاً محبباً، وأصحابه يتشبهون به، يتسابقون إلى المعروف، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾[٣] وأول ليلة حضرته، وجدت مجلساً حفلاً بأهل العلم، يتذاكرون في أصناف العلوم، وهو يحسن الاستماع والمشاركة، ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق. ويتفقه في ذلك، ويأتي بكل معنى بديع، وكان مهتماً في بناء سور بيت المقدس وحفر خندقه، يتولى ذلك بنفسه، ويحمل الحجارة على عاتقه، ويتأسى به جميع الفقراء والأغنياء، والأقرباء والضعفاء، حتى العماد الكاتب، والقاضي الفاضل، ويركب لذلك قبل طلوع الشمس إلى وقت الظهر، فيأتي داره، فيمد السماط فيأكل ويستريح، ويركب العصر، ويرجع في المساء، ويصرف أكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً. فكتب لي صلاح الدين ثلاثين ديناراً كل شهر، على ديوان الجامع، وأطلق لي أولاده رواتب حتى تقرَّر لي في كل شهر مائة دينار.

ورجعت إلى دمشق وأكببت على الاشتغال وإقراء الناس بالجامع، وكلما أمعنت في كتب القدماء ازددت فيها رغبة، وفي كتب ابن سينا زهادة، واطَّلعت

---

١ : في الأصل المخطوط: "يجذبني"، والصواب من عيون الأنباء.

٢ :من" شمس الفرس شموساً وشماساً : منع ظهره – أي نفر وجمح –" القاموس مادة شمس.

٣ : سورة الأعراف – الآية ٤٣ .

على بطلان الكيمياء[١]، وعرفت حقيقة الحال في وضعها، ومن وضعها، وكذب بها، وما كان قصده في ذلك، وخلصت من ضلالين عظيمين موبقين، وتضاعف شكري لله تعالى على ذلك، فإن أكثر الناس إنما هلكوا بكتب ابن سينا، وبالكيمياء.

ثم إن صلاح الدين دخل دمشق، وخرج يودِّع الحاج. ثم رجع فحُمَّ، ففصده من لا خبرة عنده، فخارت القوى، ومات قبل الرابع عشر، ووجد الناس عليه شبيهاً بما يجدونه على الأنبياء[٢]. وما رأيت ملكاً حزن الناس لموته سواه، لأنه كان محبوباً، يحبه البر والفاجر، والمسلم والكافر. ثم تفرَّق أولاده وأصحابه أيادي سبأ، ومزّقوا في البلاد كل ممزَّق، وأكثرهم توجَّه إلى مصر لخصبها، وسعة صدر ملكها.

وأقمت بدمشق وملكها الملك الأفضل، وهو أكبر الأولاد في السن، إلى أن جاء الملك العزيز بعساكر مصر، يحاصر أخاه بدمشق، فلم ينل منه بغية، ثم تأخَّر إلى مرج الصفر لقولنج عرض له، فخرجت إليه بعد خلاصه منه، فأذن لي في الرحيل معه، وأجرى عليَّ من بيت المال كفايتي، وزيادة. وأقمت مع الشيخ أبي القاسم يلازمني صباح مساء، إلى أن قضى نحبه، ولما اشتد مرضه وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسه، وأشرت عليه بدواء؛ فأنشد :[**المديد**]

---

١ : **الكيمياء**: بالكسر، ويمد، عبراني معرَّب "كيم يه"، أي من الله، وقيل: مولَّدة من اليونانية، وأصل معناها الحيلة والحذق، وقيل: فارسيّ معرَّب : "كي ميا"، أي: تجيء على الاستبعاد، وقيل: عربي ، وقيل: مولَّد، الإكسير، أو صنعة معروفة، نقل عن أرسطو أنها من الممكن الذي يعسر وجوده، وأنكرها ابن سينا. انظر: المعرب ٣٣٩، وشفاء الغليل ٢٢٢، والقاموس "كمي"، وقصد السبيل ٢ / ٤١٥ ويلاحظ أن هذه التعاريف تعبر عما عرف عند الأقدمين.

٢ : وجدوا: أي حزنوا عليه حزنا كأنهم حزنوا على نبي من الأنبياء لما كان له رضي الله عنه من فضل وسيرة حسنه، وصلاح وتقوى.

لا أذود الطيـــر عن شـــجـــر   قـــد بلوت المر من ثمـــره

ثم سألته عن ألمه؟ فقال:

ما لجرح بميت إيلام[١]

وكان سيرتي في هذه المدة أنني أقرئ الناس في الجامع الأزهر إلى نحو الساعة الرابعة، ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره، وآخر النهار أرجع إلى الجامع، فيقرأ قوم آخرون. وفي الليل أشتغل مع نفسي، ولم أزل على ذلك إلى أن توفي الملك العزيز، وكان شاباً كريماً، شجاعاً، كثير الحياء، لا يحسن قول: "لا"، وكان مع حداثة سنه وشرة شبابه كامل العفة عن الأموال والفروج[٢].

أقول[٣]: " ثم إن الشيخ موفق الدين أقام بالقاهرة بعد ذلك بمدة، وله الراتب والجرايات من أولاد الملك الناصر.

وأتى إلى مصر ذلك الغلاء العظيم، والموتان[٤] الذي لم يشاهد مثله. وألّف الشيخ موفق الدين في ذلك كتاباً ذكر فيه أشياء شاهدها أو سمعها ممن عاينها، تذهل العقل، وسمّى ذلك الكتاب: " كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر".

---

١ : عجز بيت المتنبي المشهور:

" من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلامُ "

انظر: ديوان المتنبي بشرح البرقوقي ٤ / ٢١٧ .

٢ : في الأصل المخطوط: "الفرج".

٣ : القول هنا لابن أبي أصيبعة ٦٨٩ .

٤ : في الأصل المخطوط: "الموت" والصواب من ابن أبي أصيبعة، والمقصود بالموتان: موت يقع في الماشية. **انظر**: عيون الأنباء ٦٨٩ .

ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب الديار المصرية، وأكثر الشام والشرق، وتفرَّقت أولاد أخيه الملك الناصر صلاح الدين، وانتزع ملكهم، توجَّه الشيخ موفق الدين إلى القدس، وأقام به مدة، وكان يتردَّد إلى الجامع الأقصى، ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم، وصنَّف هنالك كتباً كثيرة، ثم إنه توجَّه إلى دمشق، ونزل بالمدرسة العزيزية[١]، وذلك في سنة أربع وستمائة. وشرع في التدريس والاشتغال، وكان يأتيه خلقٌ كثير، يشتغلون عليه، ويقرؤون أصنافاً من العلوم، وتميَّز في صناعة الطب بدمشق، وصنَّف في هذا الفنِّ كتباً كثيرة، وعرف به. وأما قبل ذلك فإنما كانت شهرته بعلم النحو. وأقام بدمشق مدة، وانتفع به الناس. ثم إنه سافر إلى حلب، وقصد بلاد الروم، وأقام بها سنين كثيرة، وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام[٢] صاحب أرزنجان، وكان مكيناً عنده، عظيم المنزلة، وله منه الجامكية[٣] الوافرة،

١ : **المدرسة العزيزية**: جوار المدرسة المعظمية بالصالحية – صالحية دمشق – بناها الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل المتوفى سنة ٦٣٠هجرية، وهو شقيق الملك المعظم.

انظر: الدارس بأخبار المدارس للنعيمي ١ / ٥٤٩–٥٥٠ .

٢ : **ابن بهرام**: هو الملك الأمجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه ابن نائب دمشق فرُّوخ شاه، ابن الملك شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك بعد والده، ملَّكه إياها عم أبيه السلطان صلاح الدين فدامت دولته خمسين سنة، وكان جواداً كريماً شاعراً محسناً، له نظم رائق، وله ديوان. قهره السلطان الملك الأشرف موسى، وأخذ منه بعلبك قبل موته بعام، وملَّكها لأخيه الصالح، فتحوَّل الأمجد المذكور إلى دمشق، ونزل بداره داخل باب النصر. قتله مملوك له في شوال سنة ثمان وعشرين وستمائة، وفرَّ قاتله إلى السطح فالقى بنفسه فهلك.

انظر ترجمته في: الأعلاق الخطيرة ٤٩ ، ومرآة الزمان ٨ / ٦٦٨–٦٦٩، ووفيات الأعيان ٢ / ٤٥٣ ، وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٣٠ .

٣ : **الجامكية** : من الفارسية : "كلمة" بمعنى اللباس، والجامكية في الاصطلاح: الجراية الشهرية تعطى من غلة الوقف، فهي من ناحية أجر، ومن ناحية أخرى منحة.

انظر: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى صفحة ٥٩ .

والصلات المتواترة، وصنف باسمه عدة كتب. وكان هذا الملك عالي الهمة، كثير الحياء، كريم النفس، وقد اشتغل بشيء من العلوم، ولم يزل في خدمته إلى أن استولى على ملكه صاحب أرزن(١) الروم، وهو السلطان كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان، فقبض على صاحب أرزنجان ولم يظهر له خبر"(٢).

قال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف : " ولما كان في سابع عشر ذي الحجة من سنة خمس وعشرين وستمائة توجهت إلى أرزن الروم، وفي حادي عشر صفر من سنة ست وعشرين وستمائة رجعت إلى أرزنجان من أرزن الروم، وفي نصف ربيع الأول توجهت إلى كماخ(٣)، وفي جمادى الأولى توجهت منها إلى دير زكي(٤)، وفي رجب توجهت منها إلى ملطية(٥). وفي آخر رمضان توجهت

١ : **أرزن** : مدينة مشهورة قرب خلاط، ولها قلعة حصينة ، وكانت من أعمر نواحي إرمينية ، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم ، وقد فتحت على يد عياض بن غنم بعد فراغه من الجزيرة سنة عشرين صلحاً على مثل صلح الرها . انظر : معجم البلدان ١ / ١٥٠ .

٢ : عيون الأنباء ٦٩٠ .

٣ : "**كماخ**" : ذكرها ياقوت باسم : "كمخ" في معجمه، وقال : بالفتح ثم السكون، مدينة بالروم ، وسألت واحداً من تلك النواحي فقال : هي كماخ بالألف لا شك فيها ، وبين كماخ وأرزنجان يوم واحد. انظر: معجم البلدان ٤ / ٤٧٩ .

٤ : **دير زكي**: بفتح أوله وتشديد الكاف ، هو دير بالرُّها بإزائه تل يقال له تل زفر بن الحارث الكلابي، وقال الخالدي : هو بالرقة قريب من الفرات، وقيل: هو بالرقة وعلى جنبيه نهر البليخ ، وقيل : قرية بغوطة دمشق معروفة .

انظر: معجم البلدان ٢ / ٥١٢-٥١٣ .

٥ : **مَلَطْيَة** : بفتح أوله، وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء: والعامة تقول بتشديد الياء وكسر الطاء، هي من بناء الإسكندر وجامعها من بناء الصحابة، وهي بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام، وهي للمسلمين، قال خليفة بن خياط: في سنة ١٤٠هجرية، وجَّه أبو جعفر المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لبناء ملطية، فأقام عليها سنة حتى بناها، وأسكنها الناس، وغزا الصائفة.

انظر: معجم البلدان لياقوت ٥ / ١٩٢-١٩٣ .

منها إلى حلب" .

أقول: " وأقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشتغلون عليه، وكثرت تصانيفه، وكان له من شهاب الدين طغريل الخادم أتابك حلب جار حسن، وهو متخلٍّ لتدريس صناعة الطب، ويتردد إلى الجامع يسمع الحديث ، ويقرئ العربية، وكان دائم الاشتغال ملازماً للكتابة والتصنيف.

ولما أقام بحلب، قصدت أن أتوجَّه إليه، وأجتمع به، فلم يتفق ذلك، وكانت كتبه أبداً تصل إلينا ومراسلاته، وبعث إليَّ بأشياء من تصانيفه بخطه.

وهذا نسخة كتاب كتبته إليه لما كان بمدينة حلب:

"المملوك يواصل بدعائه وثنائه، وشكره وانتمائه إلى عبودية المجلس السامي، المولوي، السيِّدي السندي، الأجلِّيِّ الكبيري، العالمي الفاضلي، موفق الدين، سيد العلماء في الغائبين والحاضرين، جامع العلوم المتفرقة في العالمين، ولي أمير المؤمنين، أوضح الله به سبل الهدى والهداية، وأنار ببقائه طرق الدراية، وحقق بحقائق ألفاظه صحيح الولاية، ولا زالت سعادته دائمة البقاء، وسيادته سامية الارتقاء، وتصانيفه في الآفاق قدوة العلماء، وعمدة سائر الأدباء والحكماء.

المملوك يجدد الخدمة، ويهدي من السلام أطيبه، ومن الشكر والثناء أعذبه، وينهي ما يكابده من أليم التطلُّع إلى مشاهدة أنوار شمسه المنيرة، وما يعانيه من الارتياح إلى ملاحظة شريف حضرته الأثيرة، وما تزايد القلق وتعاظم عند سماعه قرب المزار من الأرق: [**الوافر**]

وأبرح ما يكون الشوق يوماً   إذا دنت الديار من الديار [١]

ولولا أمل قفول الركاب العالي، ووصول الجناب الموفَّقيِّ الجلاليّ، لسارع

١ : وهو من أشعار ابن الأبار الأندلسي انظر ديوانه.

المملوك إلى الوصول، ولبادر المبادرة بالمثول، ولجاء إلى شريف خدمته، وفاز بالنظر إلى بهي طلعته. فيا سعادة من فاز بالنظر إليه، ويا بشرى من مثل بين يديه، ويا هناء من حظي بوجه إقباله عليه، ومن ورد بحار فضله، روي من نميرها، واستضاء بشمس علمه، فسرى في أضواء منيرها. نسأل الله تعالى تقريب الاجتماع وتحصيل الجمع بين مسرَّتي الأبصار والأسماع، بمنِّه وكرمه، إن شاء الله تعالى".

ومن مراسلات الشيخ موفق الدين عبد اللطيف؛ أنه بعث إلى أبي في أول كتاب، وهو يقول فيه عني:
"ولد الولد أعز من الولد، وهذا موفق الدين ولد ولدي، وأعز الناس عندي، وما زالت النجابة تتبين لي فيه من الصِّغر". ووصف وأثنى كثيراً وقال فيه: "لو أمكنني أنِّي آتي إليه بالقصد ليشتغل عليَّ لفعلت".

وبالجملة فإنه كان قد عزم أن يأتي دمشق، ويقيم بها، ثم خطر له أنه كان يحجّ قبل ذلك، ويجعل طريقه على بغداد، وأن يقدم بها للخليفة المستنصر بالله أشياء من تصانيفه.

ولما وصل إلى بغداد مرض في أثناء ذلك، وتوفي – رحمه الله تعالى – يوم الأحد ثاني عشر المحرَّم، سنة تسع وعشرين وست مائة. ودفن بالوردية[١] عند أبيه، وذلك بعد أن خرج عن بغداد، وبقي غائباً عنها خمسةً وأربعين عاماً!. ثم إن الله تعالى ساقه إليها وأماته بها.

ومن كلام موفق الدين عبد اللطيف – مما نقلته من خطه – قال:
"ينبغي أن تحاسب نفسك كل ليلة إذا أويت إلى فراشك[٢] وتنظر ما اكتسبت

١ : **مقبرة الوردية**: من مقابر بغداد.

٢ : في عيون الأنباء: "منامك".

في يومك؛ من حسنة تشكر الله عليها، أو كانت سيئة تستغفر الله منها، وتقلع عنها. وترتب في نفسك ما تعمله من الحسنات، وتسأل الله الإعانة على ذلك". وقال: " أوصيك أن لا تأخذ العلوم من الكتب، وإن وثقت من نفسك بقوة الفهم، وعليك بالأستاذين(١) في كل علم تطلب اكتسابه، ولو كان الأستاذ ناقصاً؛ فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه. وعليك بتعظيمه، وتوجيبه(٢)، وإن قدرت أن تفيده من دنياك فافعل، وإلا بلسانك وثنائك. وإذا قرأت كتاباً فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه، وتوهَّم أن الكتاب قد عدم(٣)، وأنك مستغن عنه، لا تحزن لفقده.

وإذا كنت مكبّاً على قراءة(٤) كتاب وتفهُّمه، فإياك أن تشتغل بآخر غيره معه، واصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره إليه.

وإيَّاك أن تشتغل بعلمين دفعة واحدة، وواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين، أو ما شاء الله، فإذا قضيت وطرك فانتقل إلى علم آخر، ولا تظنّ أنك إذا حصَّلت علماً فقد اكتفيت، بل تحتاج إلى مراعاته [لينمو ولا ينقص، ومراعاته تكون](٥) بالمذاكرة، والتفكر، [واشتغال المبتدئ بالتلفظ والتعلم، ومباحثة الأقران].واشتغال العالم بالتعليم(٦)، والتصنيف.

---

١ : أي عليك أن تتخذ لك معلماً وأستاذاً تأخذ عنه العلوم.

٢ : في الأصل المخطوط: "وترحيبه" والتصويب من عيون الأنباء ٦٩١ .

٣ : وذلك تأكيداً وزيادة في الاعتناء بحفظه واستظهاره، حتى إنك إذا ما عدمت هذا الكتاب أو فقدته، تكون مستحضراً لما فيه من علوم، غير آسف على فقده، وإن كان لفقد الكتاب بعض مصاب، يشعر بذلك من عنده اهتمام بذلك، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه.

٤ : كذا في الأصل المخطوط، وفي عيون الأنباء: "دراسة كتاب".

٥ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط، استكمل من عيون الأنباء.

٦ : في الأصل المخطوط: " بالتعلم"، وتصويبه من عيون الأنباء ٦٩١، وما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط.

وإذا تصدَّيت لتعلُّم علم ، أو للمناظرة فيه، فلا تمزج به غيره من العلوم، فإن كل علم مكتف بنفسه، مستغنٍ عن غيره، فإن استعانتك في علم بعلم عجزٌ عن استيفاء أقسامه، كمن يستعين [في لغة] بلغة أخرى إذا ضاقت عليه، أو جهل بعضها" .

وقال : " وينبغي للإنسان أن يقرأ التواريخ، وأن يطَّلع على السير، وتجارب الأمم، فيصير بذلك كأنه في عمره القصير قد أدرك الأمم الخالية، وعاصرهم، وعاشرهم، وعرف خيرهم وشرَّهم" .

وقال : " وينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصدر الأول، فاقرأ سيرة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وتتبَّعْ أحواله، وأفعاله، واقتفِ آثاره ما أمكنك، وبقدر طاقتك. وإذا وقفت على سيرته في مطعمه، ومشربه، ومنامه، ويقظته، وتمرُّضه، [وتطبُّبه، وتمتُّعه وتطيُّبه][1]، ومعاملته مع ربه، ومع أزواجه، وأصحابه، وأفعاله مع أعدائه، وفعلت اليسير من ذلك فأنت السعيد كل السعيد" .

قال : " وينبغي أن تكثر اتِّهامك لنفسك، ولا تحسن الظن بها، وتعرض خواطرك على العلماء، وعلى تصانيفهم، وتثبَّت ولا تعجل، ولا تعجب[2]، فمع العجب العثار، ومع الاستبداد الزلل، ومن [لم يعرق جبينه إلى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة]، ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس، ومن لم يبكِّتوه[3] لم يسُدْ، ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم، ومن لم

---

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من عيون الأنباء٦٩٢ .

٢ : أي لا تعجب من نفسك وتظن أنك حصلت علم الأولين والآخرين بتصنيفك لكتاب أو تحقيقك لمسألة، ففي ذلك عين الزلل، وسبب لإحباط العمل.

٣ : **يبكِّتوه**: من التبكيت وهو التقريع. القاموس مادة بكت.

يكدح لم يفلح.

وإذا خلوت من التعلم والتفكر فحرِّك لسانك بذكر الله تعالى ، وبتسابيحه، وخاصة عند النوم، فيتشرَّبه لُبُّك، ويتعجَّن في خيالك، وتتكلم به في منامك.

وإذا حدث لك فرحٌ أو سرورٌ ببعض أمور الدنيا، فاذكر الموت، وسرعة الزوال، وأصناف المنغِّصات، وإذا حزبك أمرٌ فاسترجع[١]، وإذا اعترتك غفلة فاستغفر، واجعل الموت نصب عينيك، والعلم والتقوى زادك إلى الآخرة، وإذا طلبت أن تعصي الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه!، واعلم أن الناس عيون الله على العبد، يريهم خيره وإن أخفاه، وشرَّه وإن ستره، فباطنه مكشوف لله، والله يكشفه لعباده. فعليك أن تجعل باطنك خيراً من ظاهرك، وسرَّك أصحَّ من علانيتك، ولا تتألَّمْ إذا أعرضت عنك الدنيا، فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل، وقلَّ ما يتعلق في العلم ذو الثروة، إلا أن يكون شريف الهمة جداً. أو أن يثري بعد تحصيل العلم. وإني لا أقول إن الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض عنها، لأن همته مصروفة إلى العلم،فلا يبقى له التفات إلى الدنيا، والدنيا إنما تحصل بحرصٍ وفكرٍ في وجودها، فإذا غفل عن أسبابها لم تأته. وأيضاً فإن طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة، والمكاسب الدنية، وعن أصناف [التجارات][٢]، وعن التذلل لأرباب الدنيا، والوقوف على أحوالهم.

ولبعض إخواننا بيت شعر:[**الكامل**]

من جــد في طلب العلوم أفــاته شرف العلوم دناءة التحـصـيل[٣]

---

١ : أي: قل" إنا لله وإنا إليه راجعون" كما حث على ذلك الله في كتابه وأمر بذلك المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

٢ : ساقطة من الأصل المخطوط.

٣ : في الأصل فإنه وصوابه من طبقات الأطباء ٦٩١.

"وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج إلى فراغ لها، وحذق فيها، وصرف الزمان إليها، والمشتغل بالعلم لا يسعه شيءٌ من ذلك، وإنما ينتظر أن تأتيه الدنيا بلا سبب، وتطلبه من غير أن يطلبها طلب مثلها، وهذا ظلم منه وعدوان. ولكن إذا تمكن الرجل من العلم، وشهر به، خُطِبَ[١] من كل وجه، وعرضت عليه المناصب، وجاءته الدنيا صاغرة، وأخذها وماء وجهه موفور، وعرضه ودينه مصون.

"واعلم أن للعلم عقبة وعرفاً ينادى على صاحبه، ونوراً وضياءً يشرق عليه، ويدلُّ عليه، كتاجر المسك لا يخفى مكانه، ولا تجهل صناعته، وكمن يمشي بمشعل في ليل مدلهم[٢]. والعالم مع هذا محبوب أينما كان، وكيفما كان. لا يجد إلا من يميل إليه، ويؤثر قربه، ويأنس به، ويرتاح بمداناته".

"واعلم أن العلوم تغور ثم تفور في زمان، بمنزلة النبات أو عيون المياه، وتنتقل من قوم إلى قوم، ومن صُقع إلى صُقع[٣]".

وقال: "وإياك والهذر[٤]، والكلام فيما لا يعني. وإياك والسكوت في محل

١ : أي أن الرجل أو العالم المتمكن من علمه يكون أبداً مطلوباً لا طالباً، مطلوباً من أهل الدنيا وأهل الآخرة، وهذا ما تشهد له الأحوال في كل وقت. فما استغنى عالم عن الدنيا واشتغل بعلمه مخلصاً النية في طلبه إلا وأتته الدنيا وأهلها وما فيها طالبة خادمة له. وما طلب عالم الدنيا بعلمه إلا أذله الله بين أهلها، وحرمه بركة علمه، وحبط عمله، في الدنيا، وكان وبالاً عليه في الآخرة، وكان من أول من تسعر بهم النار، عافانا الله من ذلك ورزقنا الإخلاص في القول والفعل والعمل بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

٢ : يقال: ادلهمَّ الظلام: كثف واسودَّ، مدلهمّ: مبالغة. القاموس مادة ادلهمَّ.

٣ : **الصُّقع**، بالضم: الناحية. " القاموس مادة صقع".

٤ : **الهذر**: يقال: هَذرَ كلامه: كثر في الخطأ والباطل، والهذر: الكثير الرديء، أو سقط الكلام. (القاموس مادة هذر).

الحاجة، ورجوع النوبة إليك إما لاستخراج حق، أو اجتلاب مودَّة، أو تنبيه على فضيلة. وإياك والضحك مع كلامك، كثرة الكلام وتبتيره[١]، بل اجمع كلامك سرداً بسكون ووقار، بحيث يستشعر منك أن وراءه أكثر منه، وأنه عن خميرة سابقة[٢]، ونظرٍ متقدم".

وقال: " وإياك والغلظة في الخطاب، والجفاء في المناظرة، فإن ذلك يذهب ببهجة الكلام، ويسقط فائدته، ويعدم حلاوته، ويجلب الضغائن، ويمحق المودَّات، ويصيِّر القائل مستثقلاً، سكوته أشهى إلى السامع من كلامه، ويثير النفوس على معاندته، ويبسط الألسن بمخاشنته، وإذهاب حرمته".

وقال: " لا تترفَّع بحيث تستثقل، ولا تتنازل بحيث تستخسّ وتستحقر".

ومن دعائه – رحمه الله تعالى – قال: " اللهم ! أعذنا من شموس الطبيعة[٣]، وجموح النفس الرديئة[٤]، وأسلس لنا مقاد التوفيق، وخذ بنا في سواء الطريق، يا هادي العمي!، يا مرشد الضُّلاَّل!، يا محيي القلوب الميتة بالإيمان!، يا منير ظلمة الضلالة بنور الإيقان!، خذ بأيدينا من مهواة الهلكة، ونجِّنا من ردغة[٥] الطبيعة، وطهِّرنا من درن الدنيا[٦] الدنية بالإخلاص لك والتقوى، إنك مالك الآخرة والدنيا".

---

١ : أي لا تجعل كلامك متقطعاً مخلاً بالمعنى، ويصعب فهمه على من يسمعك.

٢ : أي عن تفكر وتروٍّ وسابق تأمل وتحضير واستعداد لما تقول أو تباحث.

٣ : **قوله**: " شموس الطبيعة" من : شمس الفرس شموساً وشماساً : منع ظهره. القاموس مادة شمس.

٤ : يقال: جمح الرجل إذا ركب هواه، فلا يمكن رده" القاموس مادة جمح".

٥ : **الردغة**: الطين والوحل الشديد، قاله في القاموس مادة ردغ.

٦ : أي: أوساخها.

وله تسبيح أيضاً : " سبحان من عمَّ بحكمته الوجود، واستحقّ بكل وجه أن يكون هو المعبود، تلألأت بنور وجهك وجلالك الآفاق، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس إشراقاً وأيّ إشراق! " .

ومنهم :

٢٤- ابنُ الخُوَيّ : أَحمدُ بنُ الخَليلِ بنِ سَعادَةَ بن جَعْفَرَ بنِ عيسى ، الشَّافعيُّ ، شَمْسُ الدِّينِ ، أَبُو العَبَّاس*

قاضي القضاة، أوحد العلماء، مجموع الفضائل، دوحة مجدٍ اخضرَّ فرعها، ودرَّ كالمعصرات[١] ضرعها، ومدَّت الأفياء والظلال، وردَّت الأحياء والضَّال، طال على يد المجتني منعها، وطاب ثمرها المثمر ونبعها، جاءت له العلياء وفاقا،

* انظر ترجمته في : التكملة لوفيات النقلة٣ / ٥٣٧ رقم ٢٩٤١، والتاريخ المنصوري ١٢٢، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٦٤٦، وذيل الروضتين ١٦٩، وبغية الطلب لابن العديم ٢ /٢٤٨ رقم ٦٦، وتكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ١٠٦-١٠٩، ونهاية الأرب٢٩ / ٢٧٢-٢٧٤، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٩، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٤، والعبر للذهبي ٥ / ١٥٢-١٥٣، وسير أعلام النبلاء٢٣ / ٦٤-٦٥ رقم ٤٧، وتذكرة الحفاظ ٤ / ١٤١٥، والمشتبه١ / ١٩٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ١ / ٥٠٠-٥٠١، وطبقات الشافعية لابن كثير ١٦٥، والبداية والنهاية ١٣ / ١٥٥، والوافي بالوفيات ٦ /٣٧٥-٣٧٦ رقم ٢٨٧٨، ومرآة الجنان ٤ /٢٢٢، وطبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي ٨ /١٦-١٧ رقم ١٠٤٤، وطبقات الشافعية لابن دقماق ٢ /٤٠١ رقم ٣٧٠، والمقفى الكبير للمقريزي ٥ /١٦٦-١٦٧ رقم ١٧١٦، في ترجمة ابنه محمد، وتبصير المنتبه ١ / ٣٧٦، وتوضيح المشتبه ٢ / ٥٤٥، والنجوم الزاهرة ٦ / ٣١٦، والقضاة الشافعية للنعيمي ٦٥-٦٦، وشذرات الذهب ٥ / ١٨٣، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١ / ٢١٦، وتاريخ الإسلام ٦٤ /٣١٥-٣١٦ رقم ٤٥١، وفيات سنة سبع وثلاثين وستمائة.

١ : **المعصرات** : السحب .

وجادت له السحب الرواء دفاقا، فطنَّبت شمسه على السماء رواقا، وتطلَّبت فواضله للنفاق أشواقا، ثم حلَّ لدن المعظم شرف الدين عيسى فحل بيت شرفه، وحَلَّ مكاناً في مقاعد غرفه، ثم لم يتحوَّل من أفقه، ولا أضاء له ضوء نهار إلا بين أصيله وشفقه.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان أوحد زمانه في العلوم الحكمية، وعلاَّمة وقته في الأمور الشرعية. عارفاً بأصول الطب وغيره، حسن الصورة، كريم النفس، كثير الحياء، محبَّاً لفعل الخير، ملازماً للصلاة والصيام، وقراءة القرآن.

اتصل بالملك المعظَّم عيسى[١]، فعرف فضله، وقرَّر له الراتب، وقرأ عليه الطلبة، وانتفعوا به، وكان حسن العبارة، قويَّ البراعة، فصيح اللسان، بليغ البيان، وافر المروءة، ظاهر الفتوة. أخذ عن القطب المصري[٢]، وأخذ المصري عن الإمام الرازي. ثم ولاَّه المعظَّم قضاء الشام.وكان عظيم التواضع، لطيف الكلام، يمشي إلى الجامع الأموي لأداء فرائض الصلوات في أوقاتها، ولم يزل على هذا حتى توفي في سنِّ الشباب[٣] ، في سابع شعبان سنة تسع وثلاثين وستمائة.

---

١ : الملك المعظَّم سلطان الشام، شرف الدين عيسى بن العادل الحنفي الفقيه الأديب. ولد بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمائة، وحفظ القرآن ، وبرع في الفقه، وشرح الجامع الكبير في عدة مجلَّدات، بإعانة غيره، وسمع المسند كله للإمام أحمد ، وله شعر كثير، وكان عديم الالتفات إلى النواميس وأبَّهة الملوك، وكان من النجباء الأذكياء. توفي يوم الجمعة مستهل ذي الحجة بدمشق سنة أربع وعشرين وستمائة من الهجرة، ودفن في قلعة دمشق.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلِّكان ٣ / ٤٩٤-٤٩٦، والعبر ٥/١٠٠، وتاريخ الإسلام ٦٣ / ١٨٥-١٨٩، والبداية والنهاية ١٣ / ١٢١، وشذرات الذهب ٧/٢٠١-٢٠٣ .

٢ : مرت ترجمته أول الكتاب.

٣ : كذا في الأصل المخطوط، وقال ابن أبي أصيبعة: "توفي بحمَّى الدق المعروفة بالسخونة العالية، وذلك بدمشق في سابع شهر شعبان، سنة سبع وثلاثين وستمائة" . انظر: عيون الأنباء ٦٤٦-٦٤٧ .

قلت[١] : وحكى لي شيخنا الإمام شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي الكاتب، قال: لحقت جماعة أدركوا شمس الدين الخُوَيي، أيام قدومه دمشق، وحدّثوني أنه قدم في زيٍّ فقير صوفي، وكان يلعب ببعض آلات الطرب حتى عُرِف بذلك، وكان يُستدعى به لأجل ذلك، والملك المعظَّم صاحب دمشق إذ ذاك، فقيل له عنه، فأمر به فأحضر ولعب بين يديه، فأعجبه لعبه لإتقان صنعته، فجعله من ندمائه، فلما تردَّد إليه ظهر له علمه، وتحقَّق لديه فضله، فاختصَّه بالمجالسة، وقرَّبه منه، فلما خلا القضاء عيَّنه له، فاستعفاه. فألزمه به حتى وليه. فلما ولي القضاء انقطع عن الملك المعظَّم، ففقده في أوقات أنسه، فقال له: مالك انقطعت هذه الليالي؟.

فجعل يعتذر، والملك المعظَّم لا يقبل منه، ويحثُّه على الملازمة على عادته.

فقال له: مولانا يعلم ما بقي يتعلق بي وبذمَّتي من أقضية المسلمين وعقودهم، وما يجمل بي أن أظهر العدالة وأبطن الفسق وقد صرت قاضياً!. ومولانا مخيَّر إن شاء تركت القضاء وعدت إلى ما كنت عليه في خدمته، وإن شاء تركني على القضاء وأعفاني لأخلِّص ذمَّتي وذمَّته.

فقال: بل استمر على القضاء، ودع ما سواه. فكان في غاية الخير حتى كأنه لم يكن ذاك.

---

١ : والقول لابن فضل الله العمري رحمه الله.

ومنهم:

٢٥- الرَّفيعُ الجِيليُّ: أبو حامد، عَبدُ العَزيزِ بنُ عَبدِ الواحدِ ابنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الهَادي*

شجرة توقَّدت ناراً، وأوقدت شنارا، فحنظلت ثمراتها، وأبرت سمراتها، طلعها كأنه رؤوس الشياطين، وينعها كأنه تلف لنفوس السلاطين، وذلك أنه والى عدوَّ الدين، وتبعه في بعض ما يدين، صحب السامرة، وسحب في أنديتهم أذيال المسامرة، ولم يكن بزّه بالرفيع، ولا زمنه بالربيع، فجدّ السامري في غيّه، ومدَّ له من حبال بغيه، وكان قد اتخذ له منه عجلاً جسداً واتَّحد به حتى تفقَّأ منه حسدا، حتى سقط في مهواته، وسقى دمه الجبل بل لهواته[١].

* توفي سنة ٦٤٢ هجرية **ينظر ترجمته في**: مفرِّج الكروب ٥ /٢٣٧، ٣٤١، ٣٤٢، ومرآة الزمان ٨ ق٢/ ٧٤٩-٧٥١، وذيل الروضتين ١٧٣-١٧٤، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ٦٤٧، ونهاية الأرب ٢٩ /٣٠٣-٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ٣٢/ ١٠٩-١١١ رقم ٨٤، والعبر ٥/ ١٧٢-١٧٣، والمختار من تاريخ ابن الجزري ١٩٤-١٩٦، وتذكرة الحفاظ ٤ /١٤٢٧-١٤٢٨، وفوات الوفيات ٢ /٣٥٢-٣٥٤، رقم ٢٨٨، وتاريخ ابن الوردي ٢ /١٧٣-١٧٤، وفيه: " الرقيع" ووفاته سنة ٦٤١هجرية، والبداية والنهاية ١٣ /١٦٢-١٦٣، في وفيات ٦٤١هجرية، وطبقات الشافعية للأسنوي١/ ٥٩٢-٥٩٤ رقم ٥٤٧، والوافي بالوفيات ١٨ /٥٢٤-٥٢٦ رقم ٥٢٦، وعيون التواريخ ٢٠/ ١٧١-١٧٢، والعسجد المسبوك ٢ /٥٣، وفيه: " عبد العزيز بن إسماعيل بن عبد الهادي" وهو خطأ، والفلاكة والمفلوكون للدلجي ٧٥، وفيه وفاته ٦٤٣هجرية، والمنهل الصافي ٧/ ٢٨٢-٢٨٥، رقم ١٤٣٦، والدليل الشافي ١ /٤١٥ رقم ١٤٣، والنجوم الزاهرة ٦ /٣٥٠، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١ /١٨٨، وقضاة دمشق للنعيمي ٦٩، وشذرات الذهب ٥ /٢١٤-/ ٢١٥ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥ / ٢٥١-٢٥٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٧/ ١٢٥.

١ : قال الذهبي في تاريخه: " كان فقيهاً فاضلاً متكلماً، مناظراً، متفلسفاً، رديء العقيدة معتراً".
انظر: تاريخ الإسلام ٤٧ / ١٢٥.

قال ابن أبي أصيبعة[١] : " كان من الأكابر في الحكمة وأصول الدين، والفقه، والعلم الطبيعي، والطب. وكان فقيهاً بالعذراوية[٢]، يشتغل بها. ثم ولي القضاء ببعلبك، وأقام بها مدة، وكان صديقاً لأمين الدولة وزير الصالح إسماعيل، فلما ملك الصالح دمشق وتوفي قاضيها شمس الدين الخويي، ولي عوضه، وارتفعت منزلته [وأثرى]، ووقع بينه وبين أمين الدولة، وكثر تظلُّم الناس منه، وشكواهم من سوء سيرته، فانتهى إلى أن قبض عليه، وقتل. وبعث إلى هوَّة عظيمة قريب بعلبك، لا يعرف لها قرار، تعرف بمغارة الدم، فكتّف ودفع فيها.

وقال بعض الذين كانوا معه: إنه لما دفع في تلك الهوّة تحطَّم في نزوله، وكأنه تعلَّق في بعض جوانبها. قال: فبقينا نسمع أنينه نحو ثلاثة أيام، وكلما مر يضعف ويخفى حتى تحققنا موته، ورجعنا عنه" .

قلت: وقد حكى الثقات أنه كان يفتعل الحجة بشهود زور كان أعدَّهم على الرجل ذي الجدة[٣] واليسار، ويكتبها لمن يطلب الرجل إلى مجلسه، ويدَّعي بالمبلغ عليه، فإذا أنكر أقام تلك البينة عليه، ثم يلزمه بالمال، فإذا قبض كان للسلطان النصف، وله ولأمين الدولة، وللشهود والمدعي النصف!. وجرى على هذا مدة، ثم كان لا ينصف أمين الدولة، ففسد ما بينهما وقالوا: إنه لما كثر فعل

---

١ : عيون الأنباء ٦٤٧ .

٢ : أي: المدرسة العذراوية: وهي من مدارس الشافعية والحنفية في دمشق ، بحارة الغرباء داخل باب النصر، قال ابن شداد أنشأتها الست عذراء بنت أخي صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس والمتوفاة سنة ٥٩٣هجرية ، وبنتها في سنة ثمانين وخمسمائة، داخل باب النصر في حارة الغرباء، وذكر في هامش "الدارس" للنعيمي أنها درست وضاعت.

انظر : الدارس في تاريخ المدارس ١ / ٣٧٣-٣٧٦ .

٣ : الجدة: المال.

مثل هذا من القاضي الرفيع، عرف عليه، فصار ذوو المال يأتونه قبل افتعال الحجج فيقدمون له ما يختص به، فيسكت عنهم، فإذا ذكرهم الأمين الخائن له دافع عنهم، فأوغر ذلك صدره، وكدَّرله ورده وصدره، حتى حالت به الحال، وآل إلى ما آل".

وحكى لي شيخنا الإمام أبو الثناء محمود الحلبي الكاتب قال: " حدَّثني شيخنا قاضي القضاة ابن خلكان قال: كان الرفيع ذا كرم وسخاء، وكان جاريه[1] لا يقوم ببعض كفايته، فكان يتجشم البلايا ولقد ألجأته الضرورة إلى أن باع مرة عمامته، وأنفق ثمنها؛ فلما أصبح وأراد الركوب إلى موكب السلطان، استعار ما لبسه وركب به.

قلت: وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الأملاك والأوقاف، وفيها إسجالات على القاضي الرفيع، فلما اتصلت تلك الكتب بمن بعده من القضاة وصلوها إليهم بمن كان قبل الرفيع، وأضربوا عنه، فلم ينفذ له حاكم جاء بعده حكماً إلا كتاباً واحداً كان في وقف مدرسة بالمدينة الشريفة النبوية – على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التحية –، وأظن أنه إنما سومح فيه لتيقن براءته من غرض في ذلك، إذ كان جهة بر، ولم يكن هو أول من حكم به، ولا أول من نفذ حكم من حكم به، ومع هذا لم أرَ من كبار أهل هذا الشان إلا من عجب منه، وأحببت التنبيه على ذلك ليعرف عند الحاجة لئلا ينسى بتطاول المدد.

---

١ : أي: مرتبه.

ومنهم:

٢٦- الشِّهابُ السَّهرَوَرْدِيُّ المَقتُولُ: يحيى بنُ حَبَش بنِ أَميرك*

المقتول، والردى المختول، جاء بما سحر أعين الناس، وحيَّر الألباب، فحيَّر الفطن، وحيز كل الأرض إلى محل الوطن، بخوارق حملت على المخاريق، وأحلَّت دمه للمريق، فأرى مالا يرى، وصوّر ما لم يوجد، وأتى بما ادَّعاه بعض ذوي العقول [...][١] من المتصوفة من طي الزمان والمكان، وجاء بما لم يكن في إمكان، فخيَّل ما لم يكن، وهوَّن ما لم يهن، وأضلَّ جبلاً كثيراً، واستزَلَّ حيلاً كبيراً، ولو طال لبثه، و خلِّي ماؤه الآجن[٢] حتى يطول مكثه، لأكثر الفساد، وأكبر البليَّة وساد، لكن الله سلَّم، وذبحه وكان لو كلَّم جماداً لتكلَّم.

---

* و"**أميرك**": بالفارسية تعني: "أمير" بالتصغير، والعجم يضيفون الكاف في آخر الأسماء للتصغير. ولد سنة ٥٤٩ وتوفي سنة ٥٨٧ هجرية **ينظر ترجمته في**: معجم الأدباء ٧/ ٢٦٩، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦/ ٢٦٨، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦٤١-٦٤٦، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ٥٧١، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٧٨١-٧٨٢، ودول الإسلام للذهبي ٢/ ٩٩، وسير أعلام النبلاء له أيضاً ١٢/ ٢٠٧-٢١١ رقم ١٠٢، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٤٢، والعبر ٤/ ٢٦٣-٢٦٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٠٤-١٠٥، ومرآة الجنان ٣/ ٤٣٤-٤٣٧، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٤٤٢-٤٤٣، والعسجد المسبوك ٢/ ٢١٣-٢١٤، وتاريخ ابن الفرات ٤/ ٢/ ٥١-٥٧، والفلاكة والمفلوكون ٦٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ١١٤، ومفتاح السعادة١/ ٣٤٠-٣٤١، وشذرات الذهب ٤/ ٢٩٠-٢٩١، وتاريخ الإسلام للذهبي٤١/ ٢٨٣-٢٨٨.

١ : ما بين المعقوفتين كلمة لم أتبينها.

٢ : الماء **الآجن**: هو الماء المتغير الطعم واللون. " القاموس مادة أجن".

قال ابن أبي أصيبعة[١] : " كان أوحداً في العلوم الحكمية، جامعاً للفنون الفلسفية، بارعاً في الأصول الفقهية، مفرط الذكاء، جيد الفطرة، فصيح العبارة، لم يناظر أحداً إلا بزّه، ولم يباحث محصِّلاً إلا أربى عليه. وكان علمه أكثر من عقله.

حدّثني الشيخ سديد الدين محمود بن عمر[٢] قال: كان شهاب الدين السهرورديُّ قد أتى إلى شيخنا فخر الدين المارديني، وكان [يتردد إليه في أوقات وبينهما صداقة، وكان الشيخ فخر الدين][٣] يقول لنا: ما أذكى هذا الشاب وأفصحه!، ولم أجد أحداً مثله في زماني، إلا أني أخشى عليه لكثرة تهوُّره واشتهاره، وقلّة تحفُّظه أن يكون ذلك سبباً لتلافه.

قال: فلما فارقنا[٤] شهاب الدين السهروردي من الشرق، وتوجّه إلى الشام، وأتى إلى حلب، وناظر فيها الفقهاء، ولم يجاره أحدٌ فكثر تشنيعهم عليه، فاستحضره السلطان الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب، واستحضر الأكابر من المدرّسين والفقهاء والمتكلّمين، ليسمع ما يجري بينهم وبينه من المباحث والكلام، فتكلّم معهم بكلام كثير، وبان له فضلٌ عظيم، وعلمٌ باهر، وحَسُن موقعه عند الملك الظاهر، وقرّبه، وصار مكيناً عنده،

١ : عيون الأنباء ٦٤١ .

٢ : الحكيم الفاضل سديد الدين أبو الثناء محمود بن عمر الحانوي، عرف بابن زُقَيقَة، الشيباني، صنف كتاب: " قانون الحكماء وفردوس الندماء" وكتاب: " الغرض المطلوب في تدبير المأكول والمشروب" وغيرها، وله ديوان شعر، توفي سنة ٦٣٥ هجرية.

انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام ٦٤/ ٢٤٧-٣٣١، والأعلام للزركلي ٧/ ١٧٨، وشذرات الذهب ٧/ ٣٠٩-٣١٠ .

٣ : ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط الأصل وقد استكمل من "عيون الأنباء" ٦٤٢ .

٤ : في الأصل المخطوط: "فارقت"، والصواب من: " عيون الأنباء ".

مختصاً به، فازداد تشنيع أولئك عليه، وعملوا محاضر بكفره، وأرسلوها إلى دمشق، إلى الملك الناصر صلاح الدين، وقالوا: إن بقي هذا فإنه يفسد اعتقاد الملك الظاهر!، وكذلك إن أُطلق، فهو يفسد كل ناحية كان فيها من البلاد، وزادوا عليه أشياء كثيرة من ذلك. فبعث صلاح الدين إلى ولده الملك الظاهر بحلب كتاباً في حقه ، بخط القاضي الفاضل، وهو يقول فيه: إن الشهاب السهروردي لا بدَّ من قتله، ولا سبيل أنه يطلق، ولا يبقى بوجه من الوجوه.

ولما بلغ شهاب الدين السهروردي ذلك وأيقن أنه يُقتل، وليس له جهة إلى الإفراج عنه، اختار أن يترك(١) في مكان مفرد، ويمنع من الطعام والشراب إلى أن يلقى الله تعالى. ففعل به ذلك، وكان في أواخر سنة ست وثمانين وخمسمائة، بقلعة حلب، وكان عمره نحو ست وثلاثين.

قال الشيخ سديد محمود بن عمر: لما بلغ شيخنا فخر الدين المارديني قتله قال لنا: أليس كنت قلت لكم عنه هذا من قبل؟، وكنت أخشى عليه منه.

أقول(٢) : ويحكى عن شهاب الدين السهروردي أنه كان يعرف علم السيمياء، وله فيه نوادر شوهدت عنه من هذا الفن. ومن ذلك: حدَّثني الحكيم إبراهيم بن أبي الفضل بن صدقة أنه اجتمع به، وشاهد عنه ظاهر باب الفرج ، وهم يتمشون إلى ناحية الميدان الكبير، ومعه جماعة من التلاميذ وغيرهم، وجرى ذكر هذا الفن وبدائعه، وما يعرف الشيخ منه. وهو يسمع، فمشى قليلاً وقال: ما أحسن دمشق وهذه المواضع!.

قال: فنظرنا وإذا من جهة الشرق جواسق(٣) عالية متدانية بعضها من بعض،

١ : في الأصل المخطوط: " يقرر" والصواب من "عيون الأنباء" ٦٤٢ .

٢ : والقائل هنا ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء ٦٤٢ .

٣ : جمع "**جوسق**" وهو : القصر ، معرب: " كوشك" وفي الفارسية: "كوشك" وقيل: الحصن، أو=

مبيَّضة، وهي من أحسن ما يكون بناء مزخرفاً، ولها طاقات كبار، وفيها نساء أحسن ما يكون منهن، وأصوات المغاني والملاهي. ورأينا أشجاراً ملتفَّة بعضها على بعض، وأنهاراً جارية كباراً، ولم نكن نعرف ذلك من قبل، فعجبنا من ذلك وانذهل الجماعة مما رأوا.

قال: فبقي ذلك ساعة، ثم غاب عنا، وعدنا إلى رؤية ما كنا نعرفه من طول الزمان. قال: إلا أنني في رؤية تلك الحالة العجيبة، أحس في نفسي كأنني في سِنَةٍ(١) خفيفة لم يكن إدراكي كالحالة التي أتحققها مني.

وحدَّثني بعض الفقهاء العجم قال: كنا مع الشيخ شهاب الدين عند القابون(٢)، ونحن مسافرون عن دمشق، فوجدنا قطيع غنم مع تركمان، فقلنا للشيخ: يا مولانا! نريد من هذا الغنم رأساً نأكله.

فقال: معي عشرة دراهم، خذوها واشتروا بها رأس غنم لكم.

فأخذناها فاشترينا رأساً من التركماني، ومشينا، فلحقنا رفيق التركماني، وقال: ردُّوا الرأس، وخذوا أصغر منه، فإن هذا ما عرف يبيعكم، يسوى هذا الرأس الذي معكم أكثر من الذي قبض منكم. فتقاولنا نحن وإياه، ولما عرف الشيخ ذلك قال لنا: خذوا الرأس وامشوا، وأنا أقف معه، وأرضيه.

فتقدَّمنا وبقي الشيخ يتحدَّث معه، ويمنِّيه(٣)، فلما أبعدنا قليلاً، تركه

=شبيه به. قال الشاعر النعمان بن عدي بن نضلة بن عبد العزى:

لعلَّ أمير المؤمنين يسوؤه تنادمنا في الجوسق المتهدم

انظر: قصد السبيل للمحبي ١/ ٤٠٩-٤١٠.

١ : **السِّنة**: النوم الخفيف، ومنه قوله تعالى في آية الكرسي: ﴿ لا تأخُذُه سِنَةٌ ولا نَوْمٌ ﴾.

٢ : **القابون**: موضع بينه وبين دمشق ميل واحد من طريق القاصد إلى العراق. "معجم البلدان ٤/ ٢٩٠"

٣ : أي: يطيِّب خاطره.

وتبعنا، وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح به، وهو لا يلتفت إليه. ولما لم يكلِّمه لحقه بغيظ، وجذب يده اليسرى، وقال: أين تروح، وتخليني؟.

وإذا بيد الشيخ قد انخلعت من عند كتفه، وبقيت في يد التركماني!، ودمه يجري من يده. فبهت التركماني، وتحيَّر في أمره، ورمى اليد، وخاف.

فرجع الشيخ وأخذ تلك اليد بيده اليمنى، ولحقنا، وبقي التركماني راجعاً وهو يلتفت إلينا حتى غاب، ولما وصل الشيخ إلينا رأينا في يده اليمنى منديله لا غير!![١].

وحدَّثني صفيُّ الدين خليل بن أبي الفضل الكاتب قال: حدَّثنا الشيخ ضياء الدين بن صقر[٢] - رحمه الله تعالى -: أن في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، قدم إلى حلب شهاب الدين السهروردي، ونزل في مدرسة الحلاوية، وكان مدرِّسها يومئذ الشريف رئيس الحنفية افتخار الدين - رحمه الله تعالى - فلما حضر شهاب الدين وبحث مع الفقهاء كان لابس دلق[٣]، وهو مجرَّد بإبريق وعكَّاز خشب، وما كان أحد يعرفه، فلما بحث، تميَّز بين الفقهاء، وعلم افتخار

---

١ : انظر: تاريخ الإسلام٤١ / ٢٨٤-٢٨٥، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦ / ٢٦٨-٢٧٢ .

٢ : **ضياء الدين أبو محمد صقر** بن يحيى بن سالم بن يحيى بن عيسى بن صقر، المفتي الإمام المعمَّر، الكلبي، الحلبي الشافعي. ولد قبل الستين وخمسمائة، وتوفي في صفر بحلب سنة ثلاث وخمسين وستمائة من الهجرة. انظر ترجمته في: العبر ٥ / ٢١٤، وسير أعلام النبلاء٢٣ / ٣٠٦، وطبقات الشافعية الكبرى ٨ / ١٥٣ .

٣ : **الدَّلَق**: ثوب متسع الأكمام ، طويلها، مفتوح فوق كتفيه بغير تفريج، سائل على القدمين ، يلبسه القضاة في الدولة الأيوبية. والدلق: محرَّكة، لباس فرو لدويبة نحو الهرة، طويلة الظهر، يعمل منها الفرو، وهو معرَّب "دلَه" وقيل: هو ابن مقرض يشبه النمس، وقيل: إنه النمس الرومي.
انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ / ٣٢ .

الدين أنه فاضل؛ فأخرج له منديلاً فيه ثوب عتابي، وغلالة، ولباس، وبقيار[١]، وقال لولده: تروح إلى هذا الفقير، وتقول له: والدي يسلِّم عليك، ويقول لك: أنت رجلٌ فقير، وتحضر مجالس الفقهاء في الدرس، وقد أرسل إليك شيئاً تلبسه إذا حضرت.

فلما وصل ولده إلى الشيخ شهاب الدين، وقال له ما أوصاه به. سكت ساعة وقال له: يا ولدي! حطَّ هذا القماش، وتفضَّل واقضِ لي حاجة. وأخرج له فصَّ بَلَخْشٍ[٢] كالبيضة، رُمَّانيٌّ اللون، ما ملك أحد في قدره ولونه، وقال: تروح إلى السوق، وتنادي على هذا الفص، ومهما جلب لا تطلق بيعه حتى تعرِّفني.

فلما وصل إلى السوق، قعد عند العريف[٣]، ونادى على الفصِّ، فانتهى ثمنه إلى خمس وعشرين ألف درهم، فأخذه العريف وطلع إلى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، وهو يومئذ صاحب حلب، وقال: هذا الفصّ قد جاب هذا الثمن. فأعجب الملك الظاهر قدره، ولونه، وحسنه. فبلغ به إلى ثلاثين ألف

---

١ : قال الفيروز آبادي في القاموس: "والبقير المشقوق كالمبتور، وبُرْدٌ يلبس يشق فيلبس بلا كمَّين كالبقيرة". **انظر**: القاموس مادة "بقر".

٢ : **البَلَخْش**: جوهرٌ يجلب من بَلَخْشان، والعجم تقول له: "بَذَخشان" بذال معجمة، وهي من بلاد التُّرك. قاله الخفاجي في "شفاء الغليل ٧٩، وذكر ياقوت أنه "بذخشان" والعامة تسميه "بلخشان" وبذخشان بلدة في أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك.

وقال شرف الدين أحمد بن يوسف التيفاشي "ت: ٦٥١هجرية": البلخش والبنفش، والبجادي، ثلاثتها من أشباه الياقوت كما كان الماست والزبرجد من أشباه الزمرُّد، وأصل تكوُّن أشباه الياقوت الثلاثة المذكورة واحد، وتوجد في مواضع قريب بعضها من بعض، والبلخش ثلاثة أنواع: أحمر يسمى المعقرب، لأن حمرته شبيهة بالحمرة، وأخضر زبرجدي، وأصفر، وأجوده الأحمر.

انظر: قصد السبيل للمحبي ١/ ٢٩٦-٢٩٧، ومعجم البلدان لياقوت ١/ ٣٦٠.

٣ : **العريف**: رئيس القوم، سمِّي لأنه عرف بذلك، أو النقيب، وهو دون الرئيس. قاله في القاموس، مادة "عرف".

درهم.

فقال العريف: حتى أنزل إلى ولد افتخار الدين، وأقول له.

وأخذ الفصّ ونزل إلى السوق، وأعطاه له، وقال له: تروح تشاور والدك على هذا الثمن. واعتقد العريف أن الفصّ من عند افتخار الدين. فلما جاء إلى شهاب الدين السهروردي وعرَّفه بالذي جاب الفصّ، صعب عليه، وأخذ الفصّ وجعله على حجر، وضربه بحجر آخر حتى فتّته، وقال لولد افتخار الدين: خذ يا ولدي هذه الأثواب، وارجع إلى والدك، وقبِّل يده عني، وقل له: لو أردنا الملبوس ما غلبنا عنه.

فمضى إلى والده، وعرَّفه صورة ما جرى، فبقي حائراً في قضيَّته.

وأما الملك الظاهر فإنه طلب العريف وقال له: أريد الفصّ. فقال له: يا مولانا! أخذه صاحبه ابن الشريف افتخار الدين مدرِّس الحلاوية. فركب السلطان ونزل إلى المدرسة، فقعد في الإيوان، وطلب افتخار الدين إليه، وقال له: أريد الفصّ. فعرَّفه أنه لشخص فقير نازل عنده!.

قال: فأفكر السلطان ثم قال: يا افتخار الدين! إن صدق حدسي فهذا شهاب الدين السهروردي.

ثم قام السلطان واجتمع بشهاب الدين وأخذه معه إلى القلعة، وصار له شأن عظيم. وبحث مع الفقهاء في سائر المذاهب، وعجَّزهم، واستطال على أهل حلب، وصار له شأن يكلمهم كلام من هو أعلى منهم قدراً. فتعصَّبوا عليه، وأفتوا في دمه حتى قُتل.

وقيل: إن الملك الظاهر أرسل إليه [من] خنقه.

قال: ثم إن الملك الظاهر بعد مدة نقم على الذين أفتوا في دمه، وقبض على

جماعة منهم، واعتقلهم، وأهانهم، وأخذ منهم أموالاً عظيمة[١].

قال العدل بهاء الدين الديلمي: كنت أصحب الشيخ شهاب الدين السهروردي الحكيم بحلب، فلما اعتقل بقلعة حلب كنا نتردد إليه، وكان تحت القلعة شخصٌ جزَّار، وكان كلما رآنا متردِّدين إلى الشيخ يسبُّه ويسبُّنا، فلما أكثر حكينا أمره للشيخ، فقال: احتالوا على أن تأخذوا طوله وتأتوني به. فاحتالوا لذلك وأحضروه إليه، فأمرهم أن يقطعوا عصاً على مقدار طوله. فلما أحضروها، حزَّ فيها حزاً مثل الرأس، وأمر بعض تلامذته أن يأخذ معه سكيناً، وإذا قال له: اضربْ يضرب بها. فقعد الشيخ وجعل يقرأ شيئاً في نفسه. ثم قال لحامل السكين: اقطع. فقطع من الموضع الذي حزَّه. وإذا صيحة هائلة تحت القلعة!. فسألوا عنها؟ فقيل: إن الشخص الجزَّار قد قتل!!، أو كما قال.

حدَّثني[٢] سديد الدين محمود بن عمر المعروف بابن زقيقة قال: كان الشيخ شهاب الدين السهروردي لا يلتفت إلى ما يلبسه، ولا له احتفال بأمور الدنيا.

قال: وكنت أنا وإياه نتمشى في جامع ميافارقين، وهو لابس جبة قصيرة مضرَّبة زرقاء، وعلى رأسه فوطة مفتولة، وفي رجليه زربول[٣]، ورآني صديق

---

١ : **انظر**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٦٤٣-٦٤٤، وتاريخ الإسلام للذهبي٤١ / ٢٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٢ / ٢٠٩-٢١٠ .

٢ : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٦٤٤ .

٣ : **الزربول**: لما يلبس في الرِّجل، عاميَّةٌ مبتذلة، والعامة تزيد في تحريفه فتبدل لامه نوناً. قال ابن حجاج:

مرني بصفع الاعدا إذا اضطربوا ... من حسد اليوم بالزرابيل

انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ / ٨٢ .

لي، وهو إلى جانبي، فقال: ما جئت تماشي إلا هذا الخربندا؟ (١).

فقلت له: اسكت، هذا سيد الوقت شهاب الدين السهروردي. فتعاظم قولي، وتعجَّب، ومضى.

وحدَّثني بعض أهل حلب قال: لما توفي شهاب الدين السهروردي – رحمه الله تعالى – ودفن بظاهر مدينة حلب، وجد مكتوباً على قبره، والشعر قديم [**البسيط**]

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة مكنونة قد براها الله من شرف
فلم تكن تعرف الأيام قيمته فردَّها غَيْرَةً منه إلى الصَّدف

ومن كلامه: قال في دعاء: " اللهم يا قيَّام الوجود، وفائض الجود، ومُنزِلَ البركات، ومنتهى الرغبات، منور النور، ومدبِّر الأمور، وواهب حياة العالمين، امددنا بنورك، ووفقنا لمرضاتك، وألهمنا رشدك، وطهِّرنا من رجس الظلمات، وخلِّصنا من غسق الطبيعة إلى مشاهدة أنوارك، ومعاينة أضوائك، ومجاورة مقرَّبيك، وموافقة سكان ملكوتك، واحشرنا اللهم مع الذين أنعمت عليهم من الملائكة والصديقين، والأنبياء والمرسلين"(٢).

ومن شعره قوله [**الكامل**]

أبداً تحنُّ إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والرَّاحُ
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم وإلى لذيذ وصالكم ترتاح
وإذا همُ كفُّوا تحدَّث عنهم عند الوشاة المدمع السَّحَّاحُ

١ : **الـ" خَرْبَنْدا"** : كلمة فارسية تعني: حارس الحمار، وجمعها" خربندكان" ومعناها في ذلك الوقت: الحمَّار. ونقل هذا الحديث ابن أبي أصيبعة في طبقاته ٦٤٤، فلفظة"حدثني" تعود إليه.

٢ : **انظر**: عيون الأنباء ٦٤٤ .

فـإلى لقـاكـم نفـسـه مـشـتـاقـةٌ وإلى رضـاكـم طرفـه طمَّـاحُ
عـودوا بنور الوصل من غسق الدجا فـالهـجـر ليلٌ والوصـال صـبـاحُ
وتمتَّـعـوا فـالوقت طاب لـكم وقـد رقَّ الشـراب ودارت الأقـداح
مـتـرنِّحـاً وهو الغـزال الشـارد وبخـدِّه الصَّـهـبـاء والتـفـاحُ
وبثـغـره الشـهـد الشـهي وقـد بدا في أحـسـن اليـاقـوت منه أقـاحُ

وقوله[١]: [الوافر]

أقـول لجـارتي والدمع جـاري ولي عـزم الرحـيل عن الديار
ذريـنـي أن أسـيـر ولا تنوحي فـإن الشـهب أشـرفـهـا السـواري
فـإني في الظلام رأيت ضـوءاً كـأن الليـل زُيِّن بالنـهـار
إلى كـم أجـعل الحـيَّـات صـحـبي إلى كم أجـعل التِّنِّين جـاري؟[٢]
وكم[٣] أرضى الإقـامـة في فـلاة وفـوق الفـرقـديـن[٤] رأيت داري
ويأتيـنـي من الجـرعـاء[٥] برقٌ يـذكـرني بهـا قـرب الديار

وقولـه[٦]:[الرمل]

قـل لأصـحـاب رأوني مـيـتـاً فـبـكـوني إذ رأوني حـزنـا
لا تـظـنـونـي بـأنـي مـيـتٌ لـيـس ذاك الميـت – والـلـه – أنـا

---

١ : عيون الأنباء ٦٤٥ .

٢ : هذا البيت ساقط من المخطوط الأصل، استكمل من عيون الأنباء لتمام المعنى.

٣ : **الفرقدان**: مثنى فرقد، وهو النجم الذي يهتدى به، فهما فرقدان." القاموس مادة فرقد" .

٤ : في النسخة المخطوطة: "ولم" .

٥ : **الجرعاء**: الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها، أو الأرض ذات الحُزونة تشاكل الرمل، أو الكثيب جانب منه رمل، وجانب منه حجارة" القاموس مادة جرع.

٦ : وقد ذكرت هذه الأبيات للإمام الغزالي حجة الإسلام رضي الله عنه وأرضاه، وعنَّا به.

أنا عـصـفـورٌ وهذا قـفـصي | طرتُ عنه فـتـخلى رهنا
وأنا اليـوم أناجي مـلأً | وأرى الله عـيـاناً بهنا[1]
فاخلعوا الأنفس عن أجسادها | لتـروا للحق حـقـاً بيِّنا
لا ترعكم سكرة الموت فـمـا | هي إلا انتـقـال من هنا

قلت: حدثني شيخنا أبو الثناء الكاتب الحلبي - رحمه الله تعالى - عن أشياخه: أن الشهاب السهروردي كان لا يقرُّ للملك الظاهر بمعرفة السيمياء[2]، وينكر ذلك، وكان الملك الظاهر لا يشك في أنه يعرف ذلك، ويحب أن يراه، وكان لا يزال يقول له عن ذلك وهو ينكره، ويجحد.

فلما كان ذات يوم قال له: بالله يا مولانا! أرني شيئاً من السيمياء.

فقال له: بسم الله - وكان الملك الظاهر واقفاً على بركة يريد أن يغتسل فيها - ثم إن الملك الظاهر نزل فغطس، ثم طلع ومملوكه واقف بيده منشفة، فلما خرج ناوله المنشفة، فتنشّف ثم قال: أين أنا؟.

---

١ : قوله "**بهنا**": أي بهناءة.

٢ : **علم السيمياء**: كما قال حاجي خليفة في "كشف الظنون": اعلم أنه قد يطلق هذا الاسم على ما هو غير حقيقي من السحر، وهو المشهور. وحاصله: إحداث مثالات خيالية في الجو لا وجود لها في الحس، وقد يطلق على إيجاد صورها في الحس، فحينئذ يظهر بعض الصور في جوهر الهواء، ولا مجال لحفظ ما يقبل من الصورة في زمان طويل لرطوبته فيكون سريع القبول وسريع الزوال، وأما كيفية إحداث تلك الصور وعللها فأمر خفي لا اطلاع عليه إلا لأهله، وليس المراد وصفه وتحقيقه ههنا بل المقصود هنا الكشف وإزالة الالتباس عن أمثاله.

وحاصله: أن يركب الساحر أشياء من الخواص، أو الأدهان، والمائعات، أو كلمات خاصة توجب بعض تخيلات خاصة كإدراك الحس ببعض المأكول والمشروب، وأمثاله.

وفي هذا الباب حكايات كثيرة عن ابن سينا والسهروردي المقتول - صاحب هذه الترجمة - .

انظر: كشف الظنون عن أسامي العلوم والفنون ٢ / ١٠٢٠ .

فقال له ذلك المملوك: هنا في دارك، وملكك بحلب.

فقال: ولك! كم لي غائب عنكم؟.

فقال: قدر ما غطست في الماء.

فقال: ويلك أنا لي غائب عنكم سنين، وغرقت فما طلعت إلا من ساحل بحر عدن، وتزوَّجت امرأة هناك، بنت خطَّاب، وأولدتها أولاداً.

فقال المملوك: أعيذك يا خوند[١] بالله، وأعيذ عقلك. وكلما قال هذا يغتاظ الملك الظاهر ويقول: ويلك تغالطني، وتدهيني في عقلي؟. والمملوك يعيد قوله. فضحك السهروردي. ففطن الملك الظاهر، وقال له: هذه عملاتك[٢] معي!.

فقال له السهروردي: لا والله، بل هذه عملاتك أنت مع نفسك.

وأجريت ذكره مرة مع الشيخ العارف جمال الدين الحويزاوي شيخ الشيوخ بالديار المصرية، فقال: كان رجلاً جليل القدر من أفراد العالم، وفضلاء الدهر، وأعيان أهل التصوف، وأخذ نفسه في أول حاله بالتجريد، واجتهد فيه، ولكن غلبت عليه شقاوته وجهل صباه؛ فقتل بسيف الشرع. ثم أنشد:

وذاك قتيل لا يطل له دم[٣]

---

١ : أي: يا سيدي.

٢ : بالدارجة بمعنى: أعمالك، وبمعنى أدق بتعبيرنا المعاصر: "مقالبك".

٣ : قال ابن خلكان : قال السيف الآمدي: اجتمعت بالسهروردي بحلب، فرأيته كثير العلم، قليل العقل، قال لي: لا بد أن أملك الأرض. رأيت كأني قد شربت ماء البحر!. فقلت: لعل هذا يكون اشتهار العلم، وما يناسب هذا. فرأيته لا يرجع. ولما أن تحقق هلاكه قال:

أرى قدمي أراق دمي وهان دمي فها ندمي

قال ابن خلكان: حبسه الملك الظاهر ثم خنقه في خامس رجب سنة سبع. وقال بهاء الدين بن شداد :=

ومنهم:

٢٧- الخَسْرُوشَاهِيُّ: عَبدُ الحَمِيدِ بنُ عيسى، بن عمُّويه، بنِ يُونُسَ، ابنِ خَليلٍ شمسُ الدّينِ، أبو محمَّد، التبريزيُّ، الشَّافِعيُّ*

نسبة إلى قرية تعرف بـ: "خسروشاه"(١)، من قرى تبريز.

سَمَرُ حديثٍ مُغْرِب، وقمرٌ مشرقٌ ومغرِّب، قدم الشام فكان أزين له من

=قتل ثم صلب أياماً.

انظر: وفيات الأعيان ٦ / ٢٧٢، والمختصر لأبي الفداء، والنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، وتاريخ الإسلام لذهبي١٤ / ٢٨٧ .

ولشهاب الدين السهروردي من الكتب: كتاب التلويحات اللوحية والعرشية، وكتاب الألواح العمادية، ألفه لعماد الدين أبي بكر بن قرا أرسلان بن داود بن أرتق صاحب خرت برت، كتاب اللحمة، وكتاب المقاومات وهو لواحق على كتاب التلويحات، وكتاب هياكل النور، وكتاب المعارج، وكتاب المطارحات، وكتاب حكمة الإشراق. انظر: عيون الأنباء ٦٤٦ .

*[٥٨٠ – ٦٥٢ هـ]**ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦٤٨–٦٥٠، والفوائد الجليَّة ١٥٢، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ٤٣٨، وذيل الروضتين ١٩٨، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٢، والعبر للذهبي ٥/ ٢١١–٢١٢، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥١، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣ / ٢٨١، والوافي بالوفيات للصفدي ١٨/ ٧٣–٧٥ رقم ٧٦، وطبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي ٥ / ٦٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٣١ / ١٨٥، وعيون التواريخ ٢٠ / ٧٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢ / ٤٣٩ رقم ٤١٠، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٧ / ٣٢، وشذرات الذهب ٥ / ٢٥٥، وهدية العارفين ١ / ٥٠٦، والعسجد المسبوك ٢ / ٦٠٦، والحوادث الجامعة، وفيه: "عبد الحميد بن حسن بن شاهي" وعقد الجمان ١ / ٤٩، والدليل الشافي ١/ ٣٩٥ رقم ١٣٥٩، والمنهل الصافي ٧/ ١٤٩ رقم ١٣٦٣، وتاريخ الخلفاء ٤٧٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٨ / ١٢٥–١٢٦، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥/ ١٠٣، والأعلام للزركلي ٣ /٢٨٨.

١ : **خسروشاه**: بليدة بينها وبين تبريز ستة فراسخ، فيها سوق وعمارة. قاله ياقوت في معجم البلدان ٢ / ٣٧١

هشام، وحلَّ في أم بلدانه حلول ابن ذي يزن في غمدانه، ونزل بالكرك.

وأناخ نزوله بالشاذياخ[١] فأسعف وأعان، وذكر المنازل أهلها بين البلقاء[٢] ومعان[٣]، وأفاض في تلك المعالم الإحسان فوق آل غسان.

استقدمه الناصر داود، وقدَّمه تقديم الودود، فنشر عَلَمَ عِلْمِهِ، وشرَّع مورد يمِّه، وجعل حوضه لمن يمتاح[٤]، وروضه لمن يرتاح، فغدت حضرته محطًّا للركائب، ومحلاً للرغائب، فكثر من عنده الممتار[٥]، ورجع يشهده

---

١ : **الشاذياخ**: اسم نيسابور، وكان بستاناً لعبد الله بن طاهر، ثم صار منزل الأمراء بنيسابور، فلما خربت الغُزُّ نيسابور، صار الشاذياخ مدينة نيسابور، وعلى ذلك خرَّبها التتر – لعنهم الله تعالى – والشاذياخ أيضاً: من قرى بلخ، وينسب إليها الشاذياخي، قال ياقوت في "المشترك": إلا أني وجدت في كتاب أبي سعد : شاذخ من قرى بلخ، وينسب إليها الشاذياخي، ولا أدري أهو غلط في النسخة أم الأمر كذلك.

انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ / ١٨٠–١٨١، والمشترك وضعاً ٢٦٤–٢٦٥ .

٢ : **البلقاء**: مدينة بالشام. وقال ياقوت: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة. معجم البلدان ١ / ٤٨٩.

٣ : **معان**: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً إلى مؤتة فيه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة فساروا حتى بلغوا معان فاقاموا بها وأرادوا أن يكتبوا للنبي صلى الله عليه وسلم عمَّن تجمع من الجيوش. وقيل: قد اجتمع من العرب نحو مائتي ألف فنهاهم عبد الله بن رواحة وقال: إنما هي الشهادة أو الطعن.

انظر: معجم البلدان لياقوت ٥ / ١٥٣ .

٤ : **يقال**: " متح الماء " نزعه، وصرعه، وقلعه، وقطعه " . القاموس مادة متح.

٥ : **الممتار**: من الميرة، وهي جلب الطعام، من قوله: مار عياله يمير ميراً، وأمارهم وامتار لهم. " القاموس مادة مير " .

المشتار(١)، ونمى عدد الفضلاء، وطمي(٢) مدد الفضل في ذلك الفضاء، وتزاحمت الملوك على خطبته، واستزارته من خطته، وهو بذروة ذلك الجبل ممتنع، وبيسير ذلك البلل مقتنع، ودأبه في زيادة علوم، وإفادة خصوص وعموم، وأيامه بالفضائل مشحونة، ولياليه من الرذائل مصونة.

ثم أتاه أجله، وحل عليه من دَين البقاء مؤجَّله، فاتَّصلت تلك الروم الزكية بعالمها، وخلصت من ظلم الدنيا ومظالمها.

قال ابن أبي أصيبعة(٣) : " هو إمام العلماء، وسيد الحكماء، قدوة الأنام، شرف الإسلام. قد تميَّز في العلوم الحكمية، وحرَّر الأصول الطبية، وأتقن الأحكام الشرعية، ولم يزل دائم الاشتغال، جامعاً للفضل والإفضال.

وكان شيخه الإمام فخر الدين ابن خطيب الري(٤)، وهو من أجلِّ تلامذته، ومن حين وصل الشام اتصل بخدمة الملك الناصر [صلاح الدين] داود بن المعظَّم(٥) ، وأقام عنده بالكرك، وكان عظيم المنزلة عنده، وله من الإحسان

١ : أي: المشتري.

٢ : **طمي**: من قولهم طمى الماء يطمي طمياً إذا علا، والنبت : طال، والبحر : امتلأ. القاموس مادة طمى.

٣ : عيون الأنباء ٦٤٨ .

٤ : مرت ترجمته أول الكتاب.

٥ : **الملك الناصر**: داود بن الملك المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، الملك الناصر صلاح الدين: صاحب الكرك، وأحد الشعراء والأدباء، ولد ونشأ في دمشق، وملكها بعد أبيه سنة ٦٢٦هجرية، وأخذها منه عمه الأشرف. فتحول إلى الكرك، فملكها إحدى عشرة سنة، ثم استخلف عليها ابنه عيسى سنة ٦٤٧هجرية، فانتزعها منه الصالح أيوب بن عيسى في هذه السنة، فرحل الناصر مشرداً في البلاد، وحبس بقلعة حمص ثلاث سنوات، ثم أقام في حلة بني مزيد، وتوفي بقرية البويضاء بظاهر دمشق ، سنة ٦٥٦هجرية. وكان كثير العطايا للشعراء والأدباء، له عناية بتحصيل الكتب النفيسة. وله شعر، جمعت رسائله في كتاب: " الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية" .

انظر ترجمته في: صبح الأعشى ٤ / ١٧٥، وفوات الوفيات ١ / ١٥٦، والأعلام للزركلي ٢ / ٣٣٤ .

الغزير، والإنعام الكثير.

ثم أتى دمشق وتوفي بها في شوّال سنة اثنتين وخمسين وستمائة، ودفن بجبل قاسيون".

قال: " رأيته يوماً وقد أتاه بعض فقهاء العجم بكتاب دقيق الخط، ثمن البغدادي، معتزلي التقطيع.

فلما نظر فيه صار يقبّله ويضعه على رأسه، فسألته عن ذلك فقال: هذا خطُّ شيخنا الإمام فخر الدين ابن الخطيب – رحمه الله تعالى –".

قلت[١]: ولما كان الشيخ شمس الدين الخسروشاهي عند الملك الناصر داود بالكرك، كان جدّي الصاحب جمال الدين أبو المآثر فضل الله وزيراً عنده. واتحدت له صحبة بالشيخ، فأخذ معه ولده عمّي الصاحب شرف الدين أبا محمد عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – وقدّمه للشيخ، وقال هذا ولدي، وأعزُّ ما أقدر عليه، وقد قدَّمته لك. فقبله منه قبولاً حسناً، وأقرأه: "الأربعين في أصول الدين"[٢]، وانتفع به.

ثم لما أتى الأمير الكبير الكافل جمال الدين أبو الفتح موسى بن يغمور لزيارة الشيخ طلب منه عمي أن يكون عنده، فآثره به. ثم اتصل بالملك الصالح أيوب بسببه على ما ذكرت ذلك في ترجمة عمي في "فواصل السمر" [٣].

---

١ : القول للمصنف ابن فضل الله رحمه الله.

٢ : كتاب "الأربعين في أصول الدين" للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي رحمه الله تعالى، ألَّفه لولده محمد، ورتَّبه على أربعين مسألة من مسائل الكلام، ثم لخصه القاضي أبو الثناء سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي المتوفى سنة اثنين وثمانين وستمائة وسماه اللباب. وكلاهما مطبوع .انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ١ / ٦١ .

٣ : كتاب: " **فواصل السمر في فضائل آل عمر**" وهو من أربع مجلدات للمصنف رحمه الله تعالى. ذكره حاجي خليفة في " كشف الظنون" ٢ /١٢٩٣ .

ورثى الخسروشاهي جماعة منهم العز الضرير، منها:[**الطويل**]

بموتك شمس الدين مات الفضائل (١) وأردى ببدر الفضل والبدر كامل
فتى بزَّ كل القائلين (٢) بصمته فكيف إذا وافيته وهو قائل
أتدري المنايا من رمت بسهامها وأي فتى أودى وغال الغوائل
رمت أوحد (٣) الدنيا وبحر علومها ومن قصرت في الفضل عنه الأوائل
ولو كان بالفضل الفتى يدفع الردى لما غيِّبت عبد الحميد الجنادل (٤)
فبعدك شمس الدين أعوز عالم وأبدى الدعاوى في المحافل (٥) جاهل (٦)

ومنهم:

٢٨- السَّيفُ الآمديُّ: عليُّ بنُ [أبي (٧)] عليٍّ بنِ محمَّدٍ بنِ سَالمٍ، سَيفُ الدِّينِ أبو الحسنِ التَّغْلِبِيُّ الآمِديُّ *

سيف لا يعرف التقليد، وسيلٌ يشيب لهوله الوليد، توقّى كل مناظر حدَّ

١ : ورد في الأصل المخطوط: " أصاب العلى شمس العلى لما استوت" ، والتصويب من عيون الأنباء ٦٤٩

٢ : في الأصل المخطوط: "العالمين" .

٣ : في الأصل المخطوط: "واحد الدنيا" .

٤ : **الجنادل**: جمع جندل، وهي: الصخور.

٥ : **المحافل**: المجالس والمجامع. جمع "محفل" وهو مجتمع القوم. القاموس مادة حفل.

٦ : ولشمس الدين الخسروشاهي من الكتب والمصنفات: مختصر كتاب المهذب في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، لأبي إسحاق الشيرازي. ومختصر كتاب الشفاء للرئيس ابن سينا. وتتمة كتاب الآيات البينات لابن خطيب الري. وكان وصل فيها في الشكل الثاني. انظر: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٦٥٠ .

٧ : ساقطة من النسخة الأصل.

* **ينظر ترجمته في**: تاريخ الحكماء للقفطي ٢٤٠-٢٤١، والتكملة لوفيات النقلة ٣٥٩/٣-٣٦٠=

مضربه، وعاد كل صادر بريق مشربه، ساحلٌ قطع غمار اللجج، وجادل فقطع حجاج الحجج، ولم يخل منهله من زحام، ولا تصرُّفه من زمام، فكم جاءت إليه الأفواج، وتزاحمت في بحره الأمواج، ونداه يسع، وجِداه لا يدع.

وجعل مدينة حماه سوقاً لفوائده، ومعدناً لفرائده، وكان قصدها لا يعدُّ إلا في معالي الرتب، ولا يزال يرحل إليه على كور(١) وقتب(٢)، وهو على هذا الازدحام، وكثرة من حلَّق عليه وحام، لا يودع الحكم غير أهلها، ولا يدع للشَّفَةِ إلا قدر نهلها(٣)، فكان لا يزال لديه شفيع لطالب، ومتوسل بخلائقه الأطايب، فلم يكن مثله سيف لا يزال يخدمه القلم، وينشر لعلمه على جناح الجوزاء العَلَم.

=رقم ٣٥٠٨، وذيل الروضتين ١٦١، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣-٢٩٤، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ١٥٥-١٥٦، وسير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ٢٢/ ٣٦٤-٣٦٦ رقم ٢٣٠، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٣، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٦١، ودول الإسلام للذهبي٢/ ١٣٦، والعبر للذهبي ٥/ ١٢٤-١٢، ومفرّج الكروب ٥/ ٣-١١ - وفيات ٦٣٠هجرية - وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦٠، ومرآة الجنان ٤/ ٧٣-٧٥، والوافي بالوفيات ١٢/ ١٢٤-١٢٦، ونثر الجمان للفيومي ٢/ ٦٠-٦١، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ١٣٧-١٣٨، وطبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي ٥/ ١٢٩، و٨/ ٣٠٦-٣١٧، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ١٤٠-١٤١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٤١٠-٤١٢ رقم ٣٧٩، والوفيات لابن قنفذ ٣١٢-٣١٣ رقم ٦٣١، ولسان الميزان ٣/ ١٣٤، وتاريخ الخميس ٢/ ٤١، والعسجد المسبوك ٢/ ٤٦٢-٤٦٣، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٥، وتاريخ الخلفاء ٤٦٤، وحسن المحاضرة ١/ ٢٥٩، ومفتاح السعادة ٢/ ٤٩، وتاريخ الأزمنة للدويهي ٢١٧، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٥/ ١٤٢-١٤٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٦/ ٧٤-٧٦، وديوان الإسلام ١/ ٧٦-٧٧ رقم ٨، والأعلام للزركلي ٤/ ٣٣٢، ومعجم المؤلفين ٧/ ١٥٥.

١ : **الكُور**: بضم الكاف : الرحل.

٢ : **القتب**: جميع أداة السانية. القاموس مادة قتب.

٣ : **النهل**: أول الشرب. القاموس مادة نهل.

وكانت ملوك زمانه تجلُّه، ولو قدرت عرفت من نجاد ممالكها أين تُحلُّه، فقد كان سيفاً مشرفياً، ومثقَّفاً[١] سمهريًّا[٢]، طالما طال المفارق والطلاء [٣]، وطاب معدنه فلم يحتج إلى تنميق الحمائل[٤] والحُلى، هذا... وليس به فلول من قراع الكتائب[٥]، ولا ذهولٌ وبحره جمٌّ العجائب.

قال ابن أبي أصيبعة[٦]: "كان أذكى أهل زمانه، وأكثرهم معرفة بالحكمة والشريعة، والمبادئ الطبية. بهيَّ الصورة، فصيح اللسان، جيِّدَ التصنيف.

خدم الملك المنصور[٧] صاحب حماة، وأقام عنده سنين، ورتَّب له الرواتب السنيَّة، [والإنعام الكثير. وكان من أكابر الخواص عنده، ولم يزل في خدمته]،

---

١ : **مثقَّفاً**: من قولهم ثقف الرمح إذا سواه، والثقاف ما تسوَّى به الرماح. القاموس مادة ثقف.

٢ : **السَّمهريُّ**: الرمح الصلب، والمنسوب إلى سمهر زوج ردينة، وكانا مثقفين للرماح. القاموس مادة سمهر.

٣ : **الطِّلاء**: جمع طلية أو طُلاة: وهي الأعناق، أو أصولها. القاموس مادة طلي.

٤ : **حمائل** الرجل: عروق في أصله، وجلده. القاموس مادة حمل.

٥ : اقتباس من قول النابغة الذبياني المشهور:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قراع الكتائب

انظر: ديوان النابغة الذبياني – صفحة ٤٤، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم

٦ : عيون الأنباء ٦٥٠.

٧ : الملك المنصور: محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه، الأيوبي، أبو المعالي، ناصر الدين، المنصور بن المظفر: صاحب حماة، وأحد العلماء بالتاريخ والأدب، سمع الحديث بالإسكندرية، وصار إليه ملك حماة بعد أبيه، فكان في خدمته بها قريب من مائتي عالم، وكان له مع الفرنجة حروب، وصنف: "مضمار الحقائق وسر الخلائق" في التاريخ في عشر مجلدات، جمع فيه جملة من التواريخ، وأسماء من ورد عليه وأقام عنده، وله غير ذلك من المصنفات. وجمعت أشعاره في ديوان، ومن آثاره في حماة: سوق المنصورية، المعروف اليوم بالسوق. توفي سنة ٦١٧هجرية.

انظر ترجمته في: تاريخ حماة ٨٤، وفوات الوفيات ٢ / ٢٥٢، والأعلام للزركلي ٦ / ٣١٣.

فلما توفي أتى الملك المعظم عيسى[١] فبالغ في الإنعام عليه وإكرامه، وولاه التدريس.

وكانت الناس تتعجب له في المناظرة والبحث، وقلَّ أن كان يشتغل في العلوم الحكمية، وتشفَّع العماد السلماسي بابن بصاقة[٢] ليقرئه، فكتب إليه :[**البسيط**]

يا سيداً جمَّل الله الزمان به ... وأهله من جميع العجم والعرب
العبد يذكر مولاه بما سبقت ... وعوده لعماد الدين عن كثب
ومثل مولاي من جاءت مواهبه ... من غير وعدٍ وجدواه بلا طلب
فأصف من بحرك الفيَّاض مورده ... وأغنه من كنوز العلم، لا الذهب!
واجعل له نسباً يدلي إليك به ... فلُحمة العلم تعلو لُحمة[٣] النسب
ولا تكلْه إلى كُتبٍ تنبئه ... ف:" السيف أصدق أنباء من الكتب[٤]

١ : **الملك المعظم عيسى** بن محمد الملك العادل، بن أبي بكر بن ايوب، شرف الدين الأيوبي، سلطان الشام، من علماء الملوك. كان وافر الحرمة، فارساً شجاعاً، كثيراً ما يركب وحده لقتال الفرنج ثم تلاحق به المماليك والجنود، وكان لا يركب بالمواكب السلطانية، ازدراء لها. وكان عالماً بفقه الحنفية والعربية، جعل لكل من يحفظ المفصل للزمخشري مائة دينار وخلعة، فحفظه جماعة، وصنف كتاباً في الرد على ما جاء في تاريخ بغداد للخطيب. من التعرض لأبي حنيفة سماه: "السهم المصيب في الرد على الخطيب" وخلف آثاراً منها المدرسة المعظمية في صالحية دمشق، مولده بالقاهرة سنة ٥٧٦هجرية، ومنشؤه بدمشق وبها توفي سنة ٦٢٤هجرية.
انظر ترجمته في: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٨/ ٦٤٤-٦٥٢، ووفيات الأعيان لابن خلكان١/ ٣٩٦ ، والأعلام للزركلي ٥/ ١٠٧-١٠٨ .

٢ : **فخر القضاة** نصر الله بن هبة الله بن بُصَاقة الحنفي الكاتب. المتوفى سنة خمسين وستمائة هجرية.
انظر ترجمته في : الجواهر المضية ٢/ ١٩٩، وشذرات الذهب٧/ ٤٣٥، والأعلام للزركلي٨/ ٣١

٣ : **اللُّحْمة**: بضم اللام وسكون الحاء: القرابة، وما سُدي به بن سدى الثوب. القاموس مادة لحم.

٤ : إشارة إلى قول أبي تمام في بيته المشهور:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

ومنهم:

٢٩- البَديعُ الاصطُرْلابِيُّ: وهو بديعُ الزَّمانِ أبو القَاسِمِ هِبَةُ الله بنُ الحُسَينِ بنِ أحمدَ البَغْداديُّ *

حكيم فاق بتفنُّن علمه الحكماء، ولم يكفّ نظره فسيح الأرجاء حتى شق السماء، ولم يقنع باستقصاء أمزجة البشر حتى سأل عن أمزجة النجوم، وميَّز ذوات البِشَرِ منها والوجوم. وأتقن عمل الاصطرلاب(١) ليقوم تحريكه للعضادة

*(ت ٥٣٤هـ) **ينظر ترجمته في**: معجم الأدباء١٩ / ٢٧٣-٢٧٥، وأخبار العلماء للقفطي ٢٢٢، وعيون الأنباء ٣٧٦-٣٨٠، ووفيات الأعيان ٦ / ٥٠-٥٢، والمختصر في أخبار البشر ٣ / ١٥، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ٥٢-٥٣ رقم ٣٠، وتاريخ ابن الوردي ٢ / ٦٨، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد للدمياطي ٢٤٥-٢٤٦ رقم ١٩٠، ومرآة الجنان ٣ / ٢٦١-٢٦٣، وعيون التواريخ ١٢ / ٣٤٨-٣٥٠، وفيات ٥٣٣هجرية. وفوات الوفيات ٢ / ٦١٤-٦١٦، والنجوم الزاهرة ٥ / ٢٧٥ - وفيات ٥٣٩هجرية -، وكشف الظنون ١ / ٧٣٩و٧٦٥و٧٧٦، وشذرات الذهب٤ / ١٠٣ -١٠٤، وهدية العارفين ٢ / ٥٠٥ ، وتاريخ ابن أسباط ١ / ٧١، والأعلام للزركلي ٨ / ٧١-٧٢، ومعجم المؤلفين١٣ / ١٣٧، وديوان الإسلام ١ / ١١١ رقم ١٤٨، وتاريخ الإسلام ٣٦ / ٣٦١-٣٦٢ .

١ : **الاصطُرلاب**: - ويقال بالسين -: يوناني، أو رومي معرَّب، مركَّبٌ معناه: ميزان الشمس. وذكر صاحب القاموس أن "لاب" اسم رجل سطَّر أسطراً وبنى عليها حساباً، فقيل: أسطر لاب. ثم مزجا ونزعت الإضافة فقيل: الأصطرلاب.

وقال بعضهم: أسطر: كلمة يونانية بمعنى النجم، و"لاب" معناه: الأخذ. فمعناه التركيبي أخذ النجم. يراد به: أخذ أحكام النجوم. كذا في هامش تاج العروس، وفيه أنه حققه عاصم أفندي مع مادة إيساغوجي من الأوقيانوس - القاموس والتاج مادة لوب وقيل يوناني مركب من Astron: أي: كوكب . وLambauo أي : أخذ. وكان الفلكيون القدماء يعرفون حركة الكوكب بهذه الآلة ويعينون موضعه، ويقيسون ارتفاعه.

انظر : تفسير الألفاظ الدخيلة ٣، وقصد السبيل للمحبي وحواشيه ١ / ١٩٤ .

مقام جسّه للنبض، ونظره لما بين المشارق والمغارب بمحيط ما يجمع الأرض. هذا مع إتقان بقية فنون الحكمة، وما في غضون ذلك من الأمور المهمَّة. على أنه لم يخل الأدب من لطيف نظر، وشريف ذكاء وقف به على ما لا تنافر من محاسن كل نفر.

قال ابن أبي أصيبعة فيه(١) : " من الحكماء الفضلاء، والأدباء النبلاء، [طبيبٌ] عالم، وفيلسوف متكلم، غلبت عليه الحكمة وعلم الكلام، والرياضي، وكان متقناً لعلم النجوم والرصد" . وكان أوحد أهل زمانه في علم الاصطُرلاب، وعمله، فعرف به(٢).

ومن بديع شعر البديع قوله:[**السريع**]

قام إلى الشمس بآلاته ... لينظر السعد من النحس
فقلت: أين الشمس؟ ، قال الفتى: ... في الثور، قلت: الثور في الشمس

وقوله [**الخفيف**]

قيل لي: قد عشقته أمرد الخد ... وقد قيل: إنه نكريش(٣)

وقوله [أيضاً في غلامٍ معذَّر – أي طلع عذاره [**مجزوء الكامل**]

كن كيف شئت فإنني ... قد صغت قلباً من حديدِ

---

١ : عيون الأنباء ٣٧٦ .

٢ : أي: نسب إليه وسمي الاصطُرلابي.

٣ : **النكريش**: قال في الصحاح: "قد أهمله الجماعة ، والنكرشة كالنقرشة. والنكريش – بالفتح –: لقبٌ ، وظني أنه معرَّب ، ومعناه: حسن اللحية" .

وقــعــدت أنتظر الكُسُــو فَ وليس ذلك بالبــعــيــدِ

وقوله في جرع دان(١) – وهو الذي يوضع في مجالس الكبراء لصبٍّ تكعيب القدح :[**المنسرح**]

إني إذا مــا قــعــدت في مــلأٍ عــددت من بعض آلة الفــرح
إذا تصــدَّرتُ في مــجــالســهم تنغَّــصــوا لي بفــاضل القــدحِ

وقوله [السريع]

هل عــثــرت أقــلام خط العــذار في مشقها(٢)، فالخال نقط العثار؟
أم اســتــدار الخط لما غــدت نقطتــه مــركــز ذاك المدار؟(٣)

ومنهم:

٣٠– ابنُ الشِّبلِ البَغْدَاديُّ: [مُحَمَّدُ بنُ(٤)] الحُسَينِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يُوسُفَ أبو عَليٍّ، بنِ أُسَامةَ السَّامِيُّ(٥)، البغداديُّ الحَرِيمِيُّ *

١ : في عيون الأنباء ٣٨٠: وقال في مغسل الشراب وهو جردان.

٢ : **المشق**: خطٌّ فيه خفة، والعرب تقول: مشقه بالرمح، إذا طعنه طعناً خفيفاً، قال ذو الرمة:

فكرٌ يمشق طعناً في جوانبها كأنه الأجر في الإقبال يحتسب

انظر: قصد السبيل للمحبي ٢/ ٤٧١–٤٧٢، وديوان ذي الرمة ٣٥ .

٣ : وللبديع الاصطرلابي من الكتب: " اختصار ديوان أبي عبد الله الحسين بن الحجاج"، و"زيج سماه المعرب المحمودي" ألفه للسلطان محمود أبي القاسم بن محمد. انظر: عيون الأنباء ٣٨٠ .

٤ : ورد اسمه في الأصل:" الحسين بن عبد الله" وكذا في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، ومعجم الأدباء، وواضح في مصادر الترجمة الاختلاف في اسمه. والذي ذكرته ما اعتمده أغلب كتب التراجم منها سير أعلام النبلاء، وتاريخ الإسلام، وغيرها وستأتي في مصادر الترجمة.

٥ : نسبة إلى سامة بن لؤي بن غالب." الأنساب ٧/ ٢٨٤".

*(ت ٤٧٣هـ) **ينظر ترجمته في**: دمية القصر ٢/ ٩٠٧–٩٠٨، والأنساب المتفقة ٨٥، والمنتظم ٨/

حكيم رأى الدنيا بعين الاحتقار، ونظر كل ما فيها بذلِّ الافتقار، وزخرت له بحار الحكم، فخاض لججها الغمار، وأذكت له سرجها فجني له من غصونها المهل له الثمار، وتناهى نظره في المآل فلم يزد بصيرة في الاعتبار، ولم يرد زيادة للاختبار، إلا أنه كان جريء اللسان، مسيء الإحسان، خرجت به الفلسفة إلى مهامهها[١] العريضة، فضلَّ في فجاجها[٢] الفيح[٣]، وضلَّ في ذيل انفراجها الفسيح، ودام يخبط في سماء سماواتها، ويخطب ولا يلج خطبه أسماع أهل مداواتها، وأغرب مساع نطقه، ومسالك باطله المموَّه بحقه، تأدب بأدب الحياء في الوجنات، وذو الإغفاء في المقل السِّنات، ولكنه لم يجد أذناً ولم يلق من يعير بصيرته فطنا.

قال ابن أبي أصيبعة[٤]: " مولده ومنشؤه ببغداد،وكان حكيماً فيلسوفاً، متكلماً فاضلاً، وأديباً بارعاً، وشاعراً مجيداً" .

=٣٢٨-٣٢٩ رقم٤١٧، و:١٦/ ٢١٣-٢١٤ رقم ٣٥١١، والأنساب ٧/ ٢٨٤، ومعجم الأدباء ١٠/٢٣-٢٥، وفيه: الحسين بن عبد الله بن يوسف" ، واللباب ٢/١٠، وخريدة القصر - قسم شعراء العراق - ٢/ ٢٤٧، والمحمَّدون من الشعراء للقفطي ٤٦٢-٤٧٠، وتاريخ إربل لابن المستوفي ١/٢٤٩، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٣٣٣-٣٤٠، وفيه: " الحسين بن عبد الله" ، ووفيات الأعيان ٤/٣٩٣، - في ترجمة ابن نقطة -، وفيه: " محمود بن الحسن بن أبي الشبل" ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٣٠-٤٣١ رقم ٢١٧، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٨-٩، والوافي بالوفيات ٣/ ١١-١٦، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٢١-١٢٢، وفوات الوفيات ٣/٣٤٠-٣٤٤، والبدر السافر ٩١، والنجوم الزاهرة ٥/١١١، وكشف الظنون ٧٦٦، و٣١٣، والأعلام ٦/١٠٠، وتاريخ الإسلام ٣٢/٩٩ .

١ : **المهامه**: جمع مهمهة، وهي المفازة البعيدة، أي الصحراء المترامية الأطراف، والبلد المقفر.

٢ : **الفجاج**: جمع فج، وهو الطريق الواسع بين جبلين. القاموس مادة فج.

٣ : قوله **الفيح**: جمع أفيح وفياح، وهو بين الفيح: أي واسع. القاموس مادة فيح.

٤ : عيون الأنباء ٣٣٣ .

ومن شعره(١): [الوافر]

بـربـك أيـهـــا الـفـلـك المدار | أقـــصـــدٌ ذا المســيـر أم اضطرارُ
مــــدارك قـل لـنـا فـي أي شـيء | فـفي أفـهـامنا عنك انبـهـارُ(٢)
وفـيك نـرى الـفـضـاء فـهل فـضـاءٌ | ســوى هذا الـفــضــاء به تُدارُ؟
وعـنـك تــرفـع الأرواح أم هـل | مع الأجـســام يدركـهـا البـوار(٣)؟
ومـــوجٌ، ذي المجـرة أم فـــرندٌ(٤) | عـلى لجج الـدروع(٥) لـه أوار(٦)
وفـيك الـشـمس رافـعـةً شـعـاعـاً | بأجنحـة قـوادمـهـا(٧) قـصـارُ
وطوقٌ لـلـنـجـــوم إذا تـبـــدَّى(٨) | هلالك أم يدٌ فــيـــهـــا ســوارُ؟

---

١ : وقد نسبت هذه القصيدة إلى الشيخ الرئيس ابن سينا وليست له كما قال ياقوت في معجم الأدباء، وغيره. انظر: معجم الأدباء٤ / ١٥ .

٢ : **الانبهار**: مصدر انبهر أي: تقطع نفسه من الإعياء، وربما بباعث الذهول والإعجاب.

٣ : **البَوار**: الفناء والهلاك.

٤ : كذا في المخطوط الأصل، وعيون الأنباء ٣٣٣، وفي معجم الأدباء: " الذراع" في رواية، والذراع: من منازل القمر ، وكوكب الأسد، له ذراعان، واحدة مبسوطة لجهة اليمين، وأخرى مقبوضة لجهة الشمال.

٥ : كذا في المخطوطة الأصلية وعيون الأنباء. وجاء في معجم الأدباء: "مدار" تمشياً مع روايته : "الذراع" بدلاً من الدروع. انظر الحاشية السابقة.

٦ : **الفرند**: بكسرتين، معرَّب: السيف، أو جوهر السيف، وماؤه، وطرائقه، وقد حكي بالفاء وبالباء، قاله الجواليقي في المعرب ٢٩١ . وقيل: الفِرند: ثوب معروف، والحرير. وأنشد ثعلب:

يحلّه الياقوت والفرندا | مع الملاب وعبيراً صلدا

أي: خالصاً. وقال جرير – كما في ديوانه ٢٨٩ –:

بيضٌ تربَّبها النعيم وخالطت | عيشاً كحاشية الفرند غريرا

انظر: قصد السبيل للمحبي ٣٣٥ .

٧ : **القوادم**: والقدامي، أربع أو عشر ريشات في مقدَّم الجناح. الواحدة: قادمة. القاموس مادة قدم.

٨ : في الأصل المخطوط: " من اللآلي" وما أثبتناه من: "معجم الأدباء" ٤ / ١٦ .

وشـــهبٌ ذا الخـــواطف أم ذبالٌ[١] عليهـا المرخ[٢] يقـدح والعفـار[٣]
وترصـيعٌ نجـومك أم حـبـاب[٤] يـؤلـف بيـنـه الـلـجج الـغـــزار؟
تمدُّ رقــومــهــا لـيــلاً وتطوي[٥] نهـــاراً، مــثلمـــا طوي الإزار
فكم بصـقـالهـا[٦] صـدئ البـرايا ومـا يصـدا لهـا أبداً غـرار[٧]
تبـاري ثم تخنس[٨] راجـعـات وتكنس[٩] مثلما كنس الصُّوار[١٠]
فـبينا الشـرق يقـذفـهـا صـعـوداً تلقَّــاها من الغـــرب انحـــدارُ
على ذا مـا مـضى وعليـه يمضي طوال منى وآجـالٌ[١١] قــصــارُ
وأيامٌ تفـــرِّقنا مُـــداهـا[١٢] لهـا أنفـاسنا أبداً شـفـار[١٣]
ودهرٌ ينـثـر الأعـمـار نثـراً كـما للورد في الروض انتـثار[١٤]

١ : **الذبال**: الفتيل.

٢ : **المرخ**: شجر سريع الوري، - أي: الاشتعال -. القاموس مادة مرخ.

٣ : **العَفار**: كسحاب، شجرٌ يتخذ منه الزناد. القاموس مادة عفر.

٤ : **الحَبَاب**: حَباب الماء: فقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير. القاموس مادة حبب.

٥ : كذا في المخطوط الأصل، وعيون الأنباء. وفي معجم الأدباء جاء: " وتنشر في الفضا ليلاً وتطوى".

٦ : **الصقال**: من "صقل الشيء: إذا جلاه وملَّسه".

٧ : **الغرار**: حد السيف.

٨ : **تخنس**: تغيب وتختفي.

٩ : **تكنس**: أي تدخل الكِناس، والكِناس: بيت الظبي، ومستتره من الشجر. القاموس: مادة كنس.

١٠ : **الصوار**: كغُراب: القطيع من البقر. القاموس مادة صور.

١١ : **الآجال**: جمع أجل، غاية الوقت، والأجل: الموت.

١٢ : كذا في الأصل المخطوط، وهو الصواب. وفي عيون الأنباء، ومعجم الأدباء: " وأيام تعرفنا مَداها"، والأقرب للمعنى ما جاء في المخطوط، حيث شبه الأيام بالسكاكين القواطع التي تفرق بين الأحباب بحلول الآجال.

١٣ : **الشِّفار**: جمع شفرة، وهي حد السيف، وجانب النصل.

١٤ : ورد في الأصل المخطوط: " كما للغصن بالورد انتشار" ولعل الأقرب ما أثبتناه من رواية "معجم=

ودنيـا كلمـا وضـعت جنيناً غـذاه من نوائبـهـا ظؤار[1]
هي العشواء[2] ما خبطت هشيم هي العجماء[3] ما جرحت جبار[4]
فـمن يـومٍ بـلا أمسٍ ويـومٍ بغـير غـدٍ إليـه بنا[5] يُسـارُ
ومن نَفَـسَين في أخـذٍ وردٍّ لروح المرء في الجسم انتشـار
وكم من بعـد مـا ألفت نفـوسٌ جسـوماً عن مجـاثمهـا تطار
وتنتظر الرزايا[6] والبـلايا وبعـدُ، فبـالوعيـد لنا انتظار
ونخـرج كـارهين كـمـا دخلنا خـروج الضَّبِّ أخرجه الوجـار[7]
ألم تك بالجـوارح آنسـات فـأعقب ذلك الأنس النفـار[8]
فـإن يك آدمٌ أشـقى بنيـه بذنب مـا له منه اعتـذار[9]
ولم يَنْفَـعْـه بالأسـمـاء علمٌ ومـا نفع السجود ولا الجـؤار[10]

=الأدباء ٤ / ١٦".

١ : **الظؤار**: جمع ظئر، المرضعة التي تحتضن ولد غيرها.

٢ : **العجماء**: البهيمة.

٣ : **الجُبار**: الهدر، يقال: ذهب دمه جباراً: أي لم يؤخذ بثأره.

٤ : **العشواء**: الناقة لا تبصر أمامها. القاموس مادة عشي.

٥ : في الأصل المخطوط: ما يسار" والأقرب ما أثبتناه من عيون الأنباء، ومعجم الأدباء.

٦ : **الرزايا**: جمع رزية، وهي المصيبة تحل بالمرء في دينه أو دنياه، عافانا الله منها والمسلمين، آمين.

٧ : **الوجار**: جحر الضبع وغيرها.

٨ : ورد في الأصل المخطوط: " فكم بالقرب عاد لها النفار". وما أثبتناه من معجم الأدباء.

٩ : وما أشقى آدم ولا أسعد، والمشقي والمسعد هو الله سبحانه، لكنها حكمة الله في إعمار أرضه ليظهر فيها حكمه، وتتجلى فيها أسماؤه وصفاته، وإلا فماذا تقول يا سيدي! في قوله تعالى: «فتَلقَّى آدَمُ من ربِّه كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَليه إنَّه هو التوَّابُ الرَّحيمُ» ، فأي قبول لعذر أكبر من هذا؟.

١٠ : **الجؤار** : هو رفع الصوت بالدعاء، وقد نفعه وقبل الله توبته كما مرَّ، فلا تعويل على قول شاعر أو غيره كائن من كان أمام قول رب العالمين، وأحكم الحاكمين سبحانه.

فـــأُخـــرج ثـم أُهبط ثـم أودى ... فـتـربُ السـافـيـات[١] لـه شـعـار[٢]
فـأدركـه بـعـلـم الله فـيـه ... مـن الكـلـمـات للذنب اغـتـفـار
ولـكـن بـعـد غـفـران وعـفـو ... يـعـيَّـر مـا تلا لـيـلاً نـهـار[٣]،
لـقـد بـلـغ الـعـدو[٤] بنا مناه ... وحلَّ بآدم وبـنـا الـصَّـغـارُ
وقـفـنـا تـائـهـين كـقـوم مـوسى ... ولا عـجـلٌ أضلَّ ولا خـوارُ
فـيـالك لقـمـة[٥] قـد كـان منهـا ... علـيـنـا نـقـمـة وعليـه عـارُ
نـعـاقب في الظـهـور ومـا ولدنا ... ويذبح في حـشـا الأم الحُـوَار[٦]،
فـمـاذا الامـتـنان على وجـود ... لغـيـر الموجـدين بـه الخـيـارُ؟
وكـان وجـودنا خـيـراً لو أنَّا[٧] ... نخـيَّـر قـبله أو نسـتـشـارُ
أهـذا الـداء لـيـس لـه دواءٌ ... وهـذا الكـسـر ليس له الجـبـارُ؟
تحـيَّـر فـيـه كلُّ دقـيـقِ فـهـمٍ ... وليس لعـمـيق جرحـهم انسبار[٨]
إذا التكوير غـال[٩] الشـمـس عنا ... وغـال كـواكـب الأفق انـتـشـار[١٠]،

---

١ : **السافيات** : الرياح العاتيات.

٢ : **الشِّعار**: ما تحت الدثار من اللباس، وهو ما يلي شعر الإنسان.

٣ : ولا يعيَّر إلا من النصارى حسب عقيدتهم .

٤ : العدو هنا هو إبليس اللعين، أعاذنا الله منه ومن جنوده من الإنس والجان.

٥ : إشارة إلى ما فعله سيدنا آدم من أكله من الشجرة التي نهي عن الأكل منها فنسي؛ كما قال عز من قائل﴿ فَنَسِيَ ولَم نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾.

٦ : الحُوار – بضم الحاء –: ولد الناقة منذ ولادته حتى فصاله عن أمه.

٧ : في الأصل المخطوط:" وكانت أنعماً لو أن كنا ..." والمثبت من معجم الأدباء، وعيون الأنباء.

٨ : **الانسبار**: من سبر سبراً: الماء أو البئر أو الجرح: امتحن غوره ليعرف مقداره، وسبر الأمر انسباراً: اختبره.

٩ : **التكوير**: التلفيف على جهة الاستدارة أي: يلف ضوءها فتذهب. وقوله: غال الشمس عنا: أي أبعدها. وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى:﴿ إذا الشَّمسُ كوِّرَتْ ﴾ سورة التكوير –.

١٠ : **الانتثار**: أي التفرق كالحب المنثور.

وبُدِّلنا بهــذي الأرض أرضــاً ... وطوِّح بالســماوات انفطارُ[١]
وأذهلت المراضع عن بنيــهــا ... لدهشتـهـا وعُطِّلت العشارُ[٢]
وغشّي البـدر من فـرق وذعـرٍ ... خسـوفٌ ليس يُجلى أو سرارُ[٣]
وسيِّرت الجبال فكُنَّ كُثْباً[٤] ... مهيلات وسجِّرت البحارُ[٥]
فأين ثبات ذي الألباب منا ... وأين مع الرجوم[٦] لنا اصطبار؟
وأين عقول ذي الأفهام مما ... يراد بنا وأين الاعتبارُ؟
وأين يغيب لُبٌّ كان فينا ... ضياؤك من سناه مستعار؟
وما أرضٌ عصته ولا سماءٌ ... ففيمَ يغولُ[٧] أنجمها انكدار؟
وقد وافته طائعة[٨] وكانت ... دخاناً ما لقاتره[٩] شرار

---

١ : **الانفطار**: الانشقاق.

٢ : **العشار**: النياق الحاملات اللواتي مضى على حملهنَّ عشرة أشهر أو ثمانية أشهر، واحدها عشراء، وهي كالنفساء من النساء. وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿ وإذا العِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾.

٣ : في الأصل المخطوط: " خسوف للتوعد لا سرار". والسرار: إظلام أواخر الشهر.

٤ : **الكثب**: جمع كثيب، وهو المرتفع من الرمل.

٥ : **سجِّرت البحار**: أي أحميت بأن تغيض مياهها وتظهر النار في مكانها، ولذا قيل: إن البحر غطاء جهنم، أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض، حتى يكون مالحها وعذبها بحراً واحداً من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه. قاله في روح المعاني ٣٠ / ٥٢ .

٦ : **الرجوم**: جمع رجم، ما يرجم من الحجارة، والعبارة كناية عن عذاب الآخرة، أعاذنا الله منه به سبحانه.

٧ : **يغول**: أي يغتال، ويهلك ويبيد.

٨ : إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ .. ثم استَوىَ إلى السَّمَاءِ وهِيَ دُخَانٌ فقَال لَهَا وللأَرضِ ائتِيا طَوْعاً أوكرْهاً قَالتَا أتَينا طَائعين ﴾ سورة فصلت ـ الآية ١١ .

٩ : في الأصل المخطوط: "لثائره" والمثبت من عيون الأنباء، ومعجم الأدباء. **والقاتر**: ذو القتر، أي: الغبرة.

قضاها سبعة والأرض مهداً ... دحاها فهي للأموات دارُ
فما لسموٍّ ما أعلى انتهاءٌ ... ولا لسمو ما أرسى قرار
ولكن كل ذا التهويل فيه ... لذي الألباب وعظٌ وازدجارُ[1]

ومنه قوله:[الكامل]

وكأنما الإنسان فيه عبرة ... متلوناً والحسن فيه معارُ
متصرفاً وله القضاء مصرِّفٌ ... ومكلَّفاً وكأنه مختارُ

وقوله[الكامل]

ثقلت زجاجاتٌ أتتنا فُرَّغاً ... حتى إذا ملئت بصرف الرَّاح
خفَّت فكادت أن تطير بما حوت ... وكذا الجسوم تخف بالأرواح[2]

وقوله[البسيط]

قالوا: القناعة عزٌّ والكفاف[3] غنىً ... والذل والعار حرص المرء والطمعُ
صدقتم، من رضاه سد جوعتَه ... إن لم يصبه بما ذا عنه يقتنع؟[4]

وقوله: [البسيط]

تلقَّ بالصبر ضيف الهمِّ حيث أتى ... إن الهموم ضيوف أكلها المُهَجُ
فالخطب ما زاد إلا وهو منتقصٌ ... والأمر ما ضاق إلا وهو منفرج[5]

---

١ : **الازجار**: الانتهاء والانزجار.

٢ : **انظر**: عيون الأنباء ٣٣٩، ومعجم الأدباء ٤ / ٢٢ .

٣ : في الأصل المخطوط: "والعفاف" وكلاهما بمعنى، والكفاف من الطعام أو الرزق: ما يغني الإنسان عن الحاجة.

٤ : بمعنى أنه أي شيء يكون له مقنعاً إن لم يكن له نصيب من هذا الرضا؟.

٥ : كذا في الأصل المخطوط، وعيون الأنباء. وورد في معجم الأدباء:

فالخطب إن زاد يوماً فهو منتقصٌ ... والأمر إن ضاق يوماً فهو منفرجُ=

فـــروِّح النفس بالتــعليل ترضَ بـه   عسى إلى ساعة من ساعة فرجُ[(١)]

وقوله:[البسيط]

بنا إلى الدير من درتا صـــبابات   فـلا تلمني فـمـا تغني مـلامـاتُ
فكم قضيت لبانات[(٢)] الشباب بها   غنمـاً وكم بقيت عندي بقيات[(٣)]
مـا أمكنت دولة الأفـراح مـقبلة   فـانعم ولذَّ فـإن العـيش تارات
قم فاجلِ في فَلَكِ الظلماء[(٤)] شمس ضحىً   بروجها الدهر[(٥)] طاسات[(٦)] وكاسات
تلوح في أذرع الســاقين أســورةٌ   تبراً وفوق نحور الشرب جامات[(٧)]
قد وقَّع الدهر سطراً في صحيفته   لا فارقت شارب الخمر المسرات[(٨)]
خذ مـا تعجَّل واترك مـا وعدت به   وكن لبيبـاً فللتأخير آفاتُ[(٩)]

=انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤ / ٢١ .

١ : كذا في الأصل المخطوط، وعيون الأنباء. وورد في معجم الأدباء:

فروِّح النفس بالتعليل ترض به   واعلم إلى ساعة من ساعة فرجُ

انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤ / ٢١ .

٢ : **اللبانات**: حاجات النفس، جمع: لبانة.

٣ : في معجم الأدباء: " وكم بقيت عندي لبانات" .

٤ : في معجم الأدباء: " البستان" .

٥ : في معجم الأدباء: " الزهر" .

٦ : **الطاس**: إناء يشرب فيه. انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ / ٢٤٧، والقاموس مادة طوس.

٧ : **الجامات**: جمع "جام" وهو إناء، وطبق أبيض من زجاج أو فضة، ذكر ابن منظور أن الجام عربي صحيح، اللسان "جوم" وجمعه أجؤم، بالهمز، وأجوم، وجامات، وجوم. " القاموس: جوم" .
وفي الفارسية الحديثة: " جام" ، أي كأس أو قدح من زجاج أو فضة.
انظر: قصد السبيل للمحبي ١ / ٣٦٥، والمعجم الذهبي ١٩٨ .

٨ : بل فارقته الخيرات والبركات والمبرات، وحلَّت عليه الشقاوات في الدنيا والآخرة ما لم يتب إلى الله، وأية مسرة تكون في معصية الله يا رجل!؟.

٩ : وفي هذا البيت دعوة إن كان يقصد بقوله: "ما وعدت به" : خمر الآخرة، ونعيم الجنة ولا تنال=

ومنهم:

٣١- النَّصيرُ الطُّوسِيُّ: محمدُ بنُ محمدٍ بنِ الحَسَنِ، نَصيرُ الدِّينِ، أبو عبدِ الله، الطُّوسيُّ الفَيلَسُوفُ*

رجل ما عرف أياما، ولا تبرقع بالحياء لثاما، أقدم على خالقه، وحصل من السعي على خافقه، وتجاهر بالفسوق، وتظاهر بالتبضُّع من السوق، ولم يخف عاقبة التهور، ولا التدلي على الشريعة والتسوُّر، فلم يزل في قبح أحدوثة، وطريق سبيل عهود منكوثة، على توسُّعه في العلم، ومعرفته بما به يستهم، فقد كان ذا فضائل غزيرة، وفواضل غريرة، واستيلاء على عقول السلاطين، واستخفاء في كيد ولا تبلغه الشياطين، مع كرمٍ عميم، وكرٍّ على مالٍ لا يبقي معه عديم،

=ذلك إلا بتركك معصية الله تعالى في الدنيا وصبرك على طاعته، وعن معصيته، وإلا فإن ظاهر البيت دعوة صريحة للفسق، والمعصية **فاصبر يا هذا! إن استطعت بعد سماعك لهذه النصيحة - السوء -اصبر على حر جهنم وبئس المصير، إن كنت من الذين يستمعون إلى تلك المقالات**، ولست أدري كيف يدعو حكيم إلى شرب أم الخبائث " الخمر!!". فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه وفضَّلنا على كثير ممن خلق تفضيلا.

* (ت ٦٧٢هـ) **ينظر ترجمته في**: فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢/ ٢٤٣- ٢٤٩، والوافي بالوفيات للصفدي ١/ ١٧٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٣، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٧/ ٥٩١-٥٩٢، ومفتاح السعادة لطاش كبري زادة ١/ ٢٦١، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٦٧-٢٦٨، وهو فيه: "محمد بن عبد الله"، والفهرس التمهيدي ٤٧٢، ٤٧٨، و٥١٦، وآداب اللغة ٣/ ٢٣٤، والذريعة ١/ ٢٦، ثم ٤/ ٥٠، ومعجم المطبوعات ليوسف اليان سركيس ٢/ ١٢٥٠، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٧/ ٢٤٥، والأعلام لخير الدين الزركلي ٧/ ٣٠-٣١، وأمل الآمل ٢/ ٢٩٩، والذريعة ٣/ ٣٥٢، وروضات الجنات للخوانساري ٦/ ٢٧٨-٢٩٧.

وتظاهر بفراغ، وطلب فصل رام مثله وراغ، ولكن الله إذا أراد لامرء أمراً يسَّره لفعله وقدَّره على فعله، ليمضي سابق إرادته، ويقضي بشقاء العبد أو سعادته، ولهذا لجَّ في عمهه، ولم يبصر، ودام على غيِّه ولم يقصر، فما أقبل على اعتذار، ولا أسمعه المشيب الإنذار.

كان رأساً في علم الأوائل، لا سيما في الأرصاد، والمجسطي، فإنه فاق الكبار. قرأ على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي الرافضي، وغيره. وكان ذا حرمة وافرة، ومنزلة عالية عند هولاكو، وكان يطيعه فيما يشير به عليه، والأموال في تصريفه، فابتنى في مدينة مراغة[١] قبة، ورصداً عظيماً. واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء، وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمَّع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد!!. وقرر بالرصد المنجمين والفلاسفة، والفضلاء، وجعل لهم الجامكية[٢].

وكان سمحاً كريماً، جواداً حليماً، حسن العشرة، غزير الفضائل، جليل القدر، داهية.

حكى لي شيخنا الأصفهاني أنه أراد العمل للرصد، فرأى هولاكو كثرة ما ينصرف عليه، فقال: هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فائدته؟ أيدفع ما قُدِّر أن يكون؟.

فقال: أنا أضرب لمنفعته مثالاً: [يأمر][٣] القان[٤] يأمر من يطلع إلى أعلى

---

١ : **مراغة** : بالفتح والغين المعجمة: بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان - غربي تبريز -.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/٩٣-٩٤ .

٢ : **الجامكية** : سبق تعريفها.

٣ : ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط الأصل ، أثبت من فوات الوفيات لابن شاكر ٣/٢٤٧.

٤ : **القان**: هو الرئيس أو السيد عند التتر، وهو اختصار لكلمة :خاقان، حيث تختصر إلى :قان، أو=

هذا المكان، ويدع يرمي من أعلاه طست نحاس كبيراً، من غير أن يعلم به أحد، ففعل ذلك.

فلما وقع كانت له وقعة عظيمة هائلة روَّعت [كلَّ] من هناك، وكاد بعضهم يصعق. وأما هو وهولاكو فإنهما ما تغير عليهما شيء، لعلمهما بأن ذلك واقع.

فقال له: هذا العلم النجومي له هذه الفائدة. يعلم المتحدِّث فيه ما يحدث، فلا يحصل له من الروعة والاكتراث ما يحصل للذاهل الغافل عنه. فقال [له] لا بأس بهذا، وأمره بالشروع فيه، أو كما قيل[١].

ومن دهائه: ما حكى لي شيخنا الأصفهاني أيضاً قال: إنه حصل له[٢] غضب على الجويني[٣] صاحب الديوان، وأظنه قال: علاء الدين. فأمر بقتله فجاء أخوه إليه، وذكر له ذلك، وطلب منه إبطال ذلك. فقال: هذا القان، وهؤلاء القوم إذا أمروا بأمر ما يمكن رده، خصوصاً إذا برز إلى الخارج، فقال [له] لا بدَّ من الحيلة في ذلك.

=خان. **انظر**: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي تأليف العلامة المرحوم محمد أحمد دهمان – مادة:خاقان" و"قان".

١ : فوات الوفيات لابن شاكر ٣/ ٢٤٧ .

٢ : أي: لهولاكو. كما في فوات الوفيات.

٣ : **الصاحب علاء الدين الجويني**، عطاء الملك بن محمد بن محمد ، صاحب الديوان الخراساني، أخو الصاحب الكبير شمس الدين، كان إليهما الحل والعقد في دولة أبغا الابن الأكبر لهولاكو خان، ونالا من الجاه والحشمة ما يتجاوز الوصف. وفي سنة ثمانين وستمائة قدم بغداد مجد الدين العجمي فأخذ صاحب الديوان وغلَّه وعاقبه، وأخذ أمواله وأملاكه، وعاقب سائر خواصه. توفي علاء الدين سنة إحدى وثمانين وستمائة من الهجرة.

انظر ترجمته في: فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢/ ٤٥٢-٤٥٣، وجامع التواريخ للهمداني الجزء الثاني، القسم الأول والثاني.

فتوجَّه إلى هولاكو، وبيده عكاز، وسبحة، واصطرلاب، وخلفه من يحمل مبخرة، والبخور يضرم. فرآه خاصة هولاكو الذين على باب المخيم، فلما وصل أخذ يزيد في البخور، ويرفع الاصطرلاب، ينظر فيه ويضعه، ويسأل عن هولاكو ويقول: هو سالم هو سالم. يكرر ذلك ويقولون: نعم. فيحمد الله ويسجد؛ فلما رأوه يفعل ذلك دخلوا إلى هولاكو، وأعلموه، وخرجوا إليه. فقالوا: ما الذي أوجب هذا؟. فقال: القان، أين هو؟. قالوا له: جُوًّا[١].

قال: طيب معافى موجود في صحة؟. قالوا: نعم. فسجد شكراً لله تعالى، وقال لهم: هو طيب في نفسه؟. قالوا: نعم. وكرر هذا ومثله، وقال: أريد أرى وجهه بعيني، إلى أن دخلوا إليه وأعلموه بذلك. وكان [في] وقت لا يجتمع فيه [به] أحدٌ، فأمر بإدخاله، فلما رآه سجد وأطال السجود.فقال له: ما خبرك؟ قال: اقتضى الطالع في هذا الوقت أن يكون على القان قطع عظيم إلى الغاية[٢]؛ فقمت وعملت هذا، وبخَّرتُ هذا البخور، ودعوت بأدعية أعرفها، أسأل الله صرف ذلك عن القان. والطالع يقتضي أن يحقن القان دماءً كثيرة، ويفرج عن نفوس كثيرة ليحقن دمه، ويفرج عنه، ويتعين الآن أن القان يكتب إلى [سائر] ممالكه، ويجهز الأجية في هذه الساعة إليها بإطلاق من في الحبوس[٣] والاعتقال، والعفو عمن له جناية أو أمر بقتله. لعل الله أن يصرف هذا الحادث العظيم، ولو لم أر وجه القان ما صدَّقت. فأمر هولاكو في ذلك الوقت بما قال، وأطلق صاحب الديوان في جملة الناس، ولم يذكره النصير الطوسي. وهذا غاية في الدهاء بلغ به مقصده ودفع عن الناس أذاهم، وعن بعض الناس إزهاق

---

١ : **جُوًّا**: أي في الداخل وهي من العامي الدارج.

٢ : في فوات الوفيات، والوافي: " أمر فظيع".

٣ : **الحبوس**: جمع حبس، أي السجن أو المعتقل.

أرواحهم.

قال أبو الصفاء: ومن حلمه ما وقفت على ورقة حضرت إليه من شخص من جملة ما يقول فيها: يا كلب!، يا ابن الكلب!!.

فكان الجواب: وأما قوله كذا وكذا، فليس بصحيح. لأن الكلب من ذوات الأربع، وهو نابحٌ طويل الأظفار، وأنا فمنتصب القامة، بادي البشرة، عريض الأظفار، ناطقٌ، ضاحكٌ، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص!. وأطال في نقض كل ما قاله، هكذا برطوبة[١] وتأنٍّ غير منزعج، ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة!.

ومن تصانيفه: كتاب " المتوسطات بين الهندسة والهيئة" وهو جيد إلى الغاية. و"مقدمة في الهيئة" . وكتاب وضعه للنصيرية، وأنا أعتقد أنه ما يعتقده، لأن هذا فيلسوف وأولئك يعتقدون ألوهية علي. واختصر" المحصَّل" للإمام فخر الدين، وهذَّبه، وزاد فيه. وشرح "الإشارات" ورد فيه على الإمام فخر الدين في شرحه، وقال: هذا جرحٌ وما هو شرح!. وقال فيه: إني حرَّرته في عشرين سنة، وناقض فخر الدين كثيراً. ولقد ذكره قاضي القضاة جلال الدين القزويني[٢] – رحمه الله – يوماً وأنا حاضرٌ وعظَّمه – أعني الشرح –، فقلت: يا مولانا! ما عمل شيئاً لأنه أخذ شرح الإمام وكلام سيف الدين الآمدي[٣]، وجمع بينهما، وزاده يسيراً .فقال: ما أعرف للآمدي في الإشارات شيئاً. قلت: نعم. كتاب صنفه وسماه :" كشف التمويهات عن الإشارات والتنبيهات" .

---

١ : قوله برطوبة: أي بهدوء أعصاب وبرودة مزاج، دون أن تأخذه الحمية والطيش في الرد. وفي فوات الوفيات:" بحسن طوية" . فوات الوفيات ٣ / ٢٤٨.

٢ : سبقت ترجمته.

٣ : سبقت ترجمته.

فقال: هذا ما رأيته.

ومن تصانيفه: " التجريد " في المنطق. و" أوصاف الأشراف "[١]، و" قواعد العقائد"، و"التلخيص في علم الكلام" . و" العروض " بالفارسية. و" شرح الثمرة" لبطليموس. و"كتاب مجسطي" . و" جامع الحساب في التخت والتراب" . و" الكرة والأسطوانة[٢]" . و"المغطيات[٣]" و" الظاهرات" . و"المناظر" . و" الليل والنهار" . و" الكرة المتحركة" . و"الطلوع والغروب" . و"تسطيح الكرة" . و" المطالع" . و" تربيع الدائرة" . و"المخروطات" . و" الشكل المعروف بالقطائع" . و" الجواهر" . و"الأسطوانة" . و"الفرائض على مذهب أهل البيت" . و" تعديل المعيار في نقد[٤] تنزيل الأفكار" . و"بقاء النفس بعد بوار البدن" . و" الجبر والمقابلة" . و"إثبات العقل الفعَّال" . و" شرح مسألة العالم" . و"رسالة الإمامة" و"رسالة إلى النجم الدين الكاتبي[٥] في إثبات واجب الوجود" . و"حواشي على كليات القانون" . و" رسالة ثلاثون فصلاً في معرفة التقويم" . وله شعر كثير بالفارسية.

وقال الشمس ابن المؤيد العرضي: أخذ النصير العلم عن الشيخ كمال الدين ابن يونس الموصلي[٦]، والمعين سالم بن بدران المصري، المعتزلي، وغيرهما.

---

١ : في الأصل المخطوط " الإشارات" .والصواب من :" فوات الوفيات ٣ / ٢٤٩"، و"الوافي بالوفيات ١ / ١٨١".

٢ : في فوات الوفيات :" الكرة والاسطرلاب" .

٣ : في الوافي :" المعطيات" .

٤ : في فوات الوفيات :"نقض" .

٥ : في فوات الوفيات :"الكاشي" .

٦ : **الكمال بن يونس أبو الفتح موسى** بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك الموصلي الشافعي . ولد سنة إحدى وخمسين بالموصل، وتفقه على والده، وببغداد على معيد النظامية السديد=

قال: وكان منجماً لأبغا[١] بعد أبيه، وكان يعمل الوزارة لهولاكو من غير أن يدخل يديه في الأموال، واحتوى على عقله حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به. ودخل عليه مرة ومعه كتاب مصور في عمل الدرياق[٢] الفاروق، فقرأه عليه وعظَّمه عنده، وذكر منافعه. وقال: إنَّ كمال منفعته أن تسحق مفرداته في هاون[٣] ذهب، فأمر له بثلاثة آلاف دينار لعمل الهاون، وولاه هولاكو جميع الأوقاف في سائر بلاده، وكان له في كل بلد نائب يستغل الأوقاف، ويأخذ عشرها، ويحمله إليه ليصرفه في جامكيات المقيمين بالرصد، ولما يحتاج إليه من الأعمال بسبب الأرصاد، وكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين[٤]، والحكماء وغيرهم. وكان يبرُّهم، ويقضي أشغالهم، ويحمي أوقافهم، وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى[٥] قال حسن بن أحمد الحكيم[٦]: سافرت إلى مراغة، وتفرَّجت في هذا الرصد، ومتوليه صدر

=السلماسي، وبرع عليه في الأصول والخلاف، وقرأ النحو على ابن سعدون القرطبي. وأكب على الاشتغال بالعقليات، حتى بلغ الغاية، وكان يتوقد ذكاء، ويموج بالمعارف، حتى قيل: إنه كان يتقن أربعة عشر فناً، واشتهر ذكره، وطار صيته، وتفرد بإتقان علم الرياضي، ولم يكن له في وقته نظير. قال ابن خلكان: كان يتهم في دينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه. توفي سنة تسع وثلاثين وستمائة من الهجرة.

انظر ترجمته في شذرات الذهب٧ / ٣٥٦، ووفيات الأعيان٥ / ٣١١، والعبر ٥ / ١٦٢ .

١ : **أبغا**: آباقا خان: هو الابن الأكبر والأرشد لهولاكو خان، وقد أصبح ابنه أرغون سلطاناً من بعده.

٢ : **الدرياق**: بالكسر ويفتح، الترياق، رومي معرَّب، والخمر، كالترياقة. قال حسان:

من خمر بيسان تخيرتها درياقة توشك فتر العظام

انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ / ٢٥، وديوان حسان٤٣٦ / ٤٣٧، والمعرب ١٩٠ .

٣ : **الهاوَن**، والهاوُن، والهاوُون: الذي يدقُّ فيه. القاموس مادة هان.

٤ : **أي**: ذرية سيدنا علي كرم الله وجهه.

٥ : **انظر**: الوافي بالوفيات للصفدي١ / ١٨٢، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي٣ / ٢٥٠ .

٦ : على ما نقله ابن شاكر والصفدي عن شمس الدين الجزري المتوفى بعد سنة ٦٦٣ هجرية.

الدين علي بن خواجا نصير(١)، وكان شاباً فاضلاً في التنجيم، والشعر بالفارسية، وصادفت الشمس ابن المؤيد العرضي، والشمس الشرواني، وكمال الدين الأيكي، وحسام الدين الشامي، فرأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً، منها : ذات الحلق، وهي خمس دوائر متخذة من نحاس: الأول دائرة نصف النهار، وهي مركوزة على الأرض، ودائرة معدّل النهار، ودائرة منطقة البروج، ودائرة العرض، ودائرة الميل، رأيت الدائرة الشمسية [التي]يعرف بها سمت الكواكب، [واصطرلاباً يكون سعة قطره ذراعاً، واصطرلابات كثيرة، وكتباً كثيرة](٢)

قال: وأخبرني شمس الدين ابن العرضي أن النصير أخذ من هولاكو بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصيه إلا الله، وأقل ما كان يأخذ بعد فراغ الرصد لأجل الآلات وإفراغها وإصلاحها عشرون ألف دينار ، خارجاً عن الجوامك(٣) للحكماء والقَوَمة(٤).

وقال الخواجا نصير الدين في "الزيج الإيلخائي(٥)" : إني جمعت لبناء الرصد جماعة من الحكماء، منهم المؤيد العرضي من دمشق، والفخر المراغي

---

١ : أي: الطوسي.

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط الأصل.

٣ : **الجوامك**: جمع جامكية، وهي المرتب الذي يأخذه الموظف، وقد مرّ.

٤ : أي القائمين على الرصد.

٥ : **الزيج**: خيط البناء، فارسي معرَّب، عربيَّته: "المطمر"، وتردَّد الأصمعي في أنه عربي أم معرَّب؟، والصواب أنه معرَّب: "زه" وفي كتاب مفاتيح العلوم: الزيج كتاب يُحسب فيه سير الكواكب، ويستخرج التقويم، أعني حساب الكواكب سنة سنة، وهو بالفارسية: "زه" أي: وتر، ثم عُرِّب. انظر: قصد السبيل للمحبي٢ / ١٠١ .

الذي كان بالموصل، والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس[١]، والنجم دبيران القزويني، وابتدأنا ببنائه في سنة سبع وخمسين وستمائة، في جمادى الأولى بمراغة، والأرصاد التي بنيت قبلي وعليها كان الاعتماد دون غيرها هو رصد برجيس[٢]، وله مبنيٌّ ألف وأربعمائة سنة، وبعده رصد بطليموس، وله ألف ومائتا سنة، وخمس وثمانون سنة. وبعده في ملة الإسلام رصد المأمون ببغداد، وله: أربعمائة سنة، وثلاثون سنة. والرصد البناني في حدود الشام، والرصد الحاكمي بمصر، ورصد بني الأعلم، ببغداد. وأوفقها الرصد الحاكمي ورصد ابن الأعلم، ولهما مائتان وخمسون سنة.

وقال الأستاذون: إن أرصاد الكواكب السبعة لا يتم في أقل من ثلاثين سنة[٣]، لأن فيها يتم دور هذه السبعة. فقال هولاكو: اجتهد أن يتم رصد هذه السبعة في اثنتي عشرة سنة. فقلت له: أجهد في ذلك.

وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه جماعة كثيرة من تلامذته، وأصحابه. فأقام بها مدة أشهر ومات، وخلف من أولاده: صدر الدين علي،

---

١ : **تفليس**: بالفتح ويكسر، قصبة " كور جستان"، لها سوران وحمامات، ماؤها حار، ذكر ياقوت أنها بإرمينية الأولى، وقيل: بأران، وهي قصبة ناحية جرزان، قرب باب الأبواب، افتتحها المسلمون في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه. سميت بتفليس بن حوران بن يافث.

انظر: " قصد السبيل " للمحبي١ / ٣٤٣، ومعجم البلدان٢ / ٣٨-٣٩ .

٢ : **البرجيس**:بالكسر، ويفتح: المشتري، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم سئل عن الكواكب الخنَّس؟ فقال: هي البرجيس، وزحل، وعطارد، وبهرام، والزهرة. ذكر هذا الحديث ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر١ / ١١٣، وابن منظور في لسان العرب مادة برجس، وذكر الخفاجي في شفاء الغليل أن البرجيس فارسية ٦٩، وبهرام: المريخ. وانظر: قصد السبيل للمحبي ١ /٢٦٤.

٣ : في الأصل المخطوط: " ثلاث وثلاثين" والصواب من فوات الوفيات، والوافي.

والأصيل [حسن][١]، والفخر أحمد .

وولي صدر الدين علي بعد أبيه غالب مناصبه، فلما مات ولي مناصبه أخوه الأصيل، وقدم الشام مع غازان وحكم تلك الأيام في أوقاف دمشق، وأخذ منها جملة، ورجع مع غازان، وولي ولاية[٢] بغداد مديدة، فأساء السيرة، فعزل وصودر، وأهين، فمات غير حميد، وأما أخوهما الفخر أحمد فقتله غازان لكونه أكل أوقاف الروم وظلم[٣].

ومنهم:

٣٢- القُطْبُ الشِّيرَازِيُّ: [محمودُ بنُ مَسْعودٍ بنِ مُصْلِحٍ الفَارِسِيُّ[٤]]*

رجلٌ يرجع إلى خير، وينتجع[٥] في أول وأخير، فلم يخل واديه من

---

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط. استكمل من الوافي وفوات الوفيات.

٢ : كذا في الأصل المخطوط، وفي الفوات والوافي: "نيابة".

٣ : ومولد النصير بطوس سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ببغداد، وقد نيّف على الثمانين، أو قاربها، وشيّعه صاحب الديوان والكبار، وكانت جنازة حفلة، ودفن في مشهد الكاظم. انظر: الوافي بالوفيات١ / ١٨٣، وفوات الوفيات ٣ / ٢٥٢.

٤ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط، وقد اكتفى المصنف رحمه الله تعالى بذكر اللقب دون الاسم.

*(ت ٧١٠هـ) **ينظر ترجمته في**: بغية الوعاة٢ / ٢٨٢، والبدر الطالع ٢ / ٢٩٩-٣٠٠، وتاريخ ابن الوردي ٢ / ٢٥٩، الدرر الكامنة ٥ / ١٠٨-١٠٩، ودول الإسلام ٢ / ٢١٦،وذيول العبر ٥٥، والسلوك، القسم الأول من الجزء الثاني ٩٦، وطبقات الإسنوي ٢ / ١٢٠، والفلاكة والمفلوكون ٧٣، ومفتاح السعادة لطاش كبري زادة١ / ٢٠٤-٢٠٥، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٩ / ٢١٣، وطبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي١٠ / ٣٨٦ رقم ١٤١٠، والأعلام للزركلي٧ / ١٨٧-١٨٨.

٥ : يقال: انتجع: إذا طلب الكلأ في موضعه، وانتجع فلاناً: أتاه طالباً معروفه، كتنجّع فيهما،=

منتجع،ولا واديه من جفل(١) قوم مجتمع، وكان له من بني جنكيز خان محلٌّ حلي بالحلل ترائبه، وخلّي كمد داء الأنواء راتبه، حتى اصطفاه السلطان أحمد، فبعثه إلى الحضرة المنصورية رسولاً، وبلّغه من تلك المشاهد سولا(٢)، فحالت الأقدار دون مراده، وأحلّت له السمام في مراده، فلم يبلغ الرسالة، ولا سوّغ له زمنه الذي أساله.

وحدَّثني شيخنا الأصفهاني قال: كان لا يزال بينه وبين خواجا رشيد الوزير بغضاء تفرّق اللحم، وتدبُّ دبيب النار في الفحم، وكان لا يزال ينغّص عليه مقرَّه، ولا يريه موارده إلا مكدّره، فكانت جدته(٣) لا تقوم بتكاليفه، وموادُّه لا تنهض بمصاريفه. على أنه كان ينسب إلى هنات ومعايب بيّنات، على فضل يُنتاب، وكرم لا يرد بعتاب(٤).

=والمنتجع المنزل في طلب الكلأ. " القاموس مادة نجع".

١ : **الجفل**: السحاب هراق ماءه ومضى، وجاؤوا أجفلة، وبأجفلتهم: أي بجماعتهم. القاموس مادة جفل".

٢ : أي: سؤلاً، بمعنى عطية. سهّل الهمزة للسجع.

٣ : **الجِدة**: المال.

٤ : ولد رحمه الله بشيراز سنة أربع وثلاثين وستمائة، وكان أبوه طبيباً بها، فقرأ عليه وعلى عمه، والزَّكيِّ الركشاوي، والشمس الكتبي، ثم سافر إلى النصير الطوسي، فقرأ عليه وبرع، ثم دخل بلاد الروم فأكرمه صاحبها، وولي قضاء سيواس، وملطية، وقدم الشام ثم سكن تبريز، وأقرأ بها العلوم العقلية وحدَّث بجامع الأصول، عن الصدر القونوي عن يعقوب الهمذاني، عن المصنف. وكان يخالط الملوك، متحرزاً، ظريفاً، مزّاحاً لا يحمل همّاً، ولا يغير عن زي الصوفية، وكان يجيد لعب الشطرنج، ويديمه، ويتقن الشعبذة، ويضرب بالرباب، وكان من بحور العلم، ومن أذكياء العالم، يخضع للفقهاء، ويلازم الصلاة في الجماعة، وإذا صنّف كتاباً صام ولازم السهر، ومسوّدته مبيّضته. وله من التآليف: كتاب" فتح المنان في تفسير القرآن" نحو ٤٠ مجلداً، و"شرح المختصر" لابن الحاجب، و"شرح المفتاح"، و"شرح كليات القاون في الطب لابن سينا"، و"غرة التاج" في الحكمة، و"شرح كتاب الأسرار" للسهروردي، و" مفتاح المفتاح" في البلاغة، و" نهاية الإدراك=

ومنهم:

٣٣-الشَّيخُ صَفِيُّ الدِّينِ الهِنْدِيُّ: [محمدُ بنُ عبدِ الرَّحيم بنِ محمدٍ الأَرْمَوِيُّ، أبو عبد الله، صفي الدين [١]]*

إمامٌ لم يبقَ إلا من اعترف بسؤدده، واغترف منه بيده، واشترف به على ما أعيا العيان وأخفى البيان، وقرب البعيد ولم يان. وكان بحراً يطفح[٢]، وقطراً[٣] يسفح، يرجع إلى كرم سجايا، لو قذف بها النار لما اضطرمت، أو سجرت بها البحار لما التطمت، إلا أنه كان لا تطيعه العبارة إذا نطق، ولا يحدر صيِّب سيله إذا اندفق.

أخذ عنه أكابر العلماء بدمشق، كابن المرحِّل، وابن الزملكاني، وبلغوا به فوق الأماني، وحصَّل به ابن المرحِّل علوماً كانت نجايا الصدر، وأمن ابن الزملكاني أن يعرو النقص كماله كما يعرو البدر. ولولاه لما اتسع بالشام مجال

=في دراية الأفلاك" في علم الهيئة، و"رسالة في بيان الحاجة إلى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم"، و" التحفة الشهية" في الهيئة، و"رسالة في البرص"، وغير ذلك. مات في رابع عشر رمضان سنة عشر وسبعمائة.

١ : اكتفى المصنف رحمه الله بذكر "الشيخ صفي الدين الهندي" فقط هكذا دون ذكر اسمه مفصلاً كما هو مثبت في مصادره.

* **ينظر ترجمته في**: البداية والنهاية لابن كثير١٤ / ٧٤-٧٥، والبدر الطالع للشوكاني٢ / ١٨٧، وحسن المحاضرة للسيوطي١ / ٥٤٤، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي١ / ١٣٠-١٣٢، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني٤ / ١٣٢، وذيول العبر ٨٣-٨٤، وشذرات الذهب ٨/٦٨-٦٩، وطبقات الإسنوي٢ / ٥٣٤، ومرآة الجنان ٤ /٢٧٢، ومفتاح السعادة لطاش كبري زادة٢ / ٣٦٠، والوافي بالوفيات ٣ / ٢٣٩، والأعلام ٦ / ٢٠٠، وطبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي ٩ / ١٦٢-١٦٣ .

٢ : **يطفح**: أي يزداد كلما اغترف منه.

٣ : **قطراً يسفح**: أي مطراً هاطلا .

الكلام، ولا طلعت للمعقول شمس تمحق الظلام. وكان على تدفق بحره وتأنق سحره لا ينفث سحره في عقد الأقلام، ولا يكتب في "نهايته"(١) إلا مالا يرضى به في بدايته من الغلام(٢).

ومنهم:

٣٤- علي بن إسماعيل بن يوسف الإمام العلامة القدوة العارف ذو الفنون الشيخ علاء الدين قاضي القضاة شيخ الشيوخ أبو الحسن القونوي التبريزي*

جمع الطريقين، ونفع الفريقين، وولي المنصبين، ورعى في جانبيهما المخصبين،

---

١ : "نهاية الوصول في دراية الأصول" راجع فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات١ / ٢٥٣، وقال عنه الإمام السبكي في طبقاته:" وكل مصنفاته حسنة جامعة، لا سيما النهاية" انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٩ / ١٦٢ .

٢ : مولده بالهند في ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وستمائة، وتفقه على جده لأمه، وسار من دلهي سنة سبع وستين وستمائة إلى اليمن، وحجّ، وجاور ثلاثة أشهر، وجالس ابن سبعين، ثم قدم مصر، فأقام بها أربع سنين، ثم سافر إلى بلاد الروم فأقام بها إحدى عشرة سنة بقونية، وغيرها. ثم قدم دمشق سنة خمس وثمانين، وسمع من ابن البخاري، وولي بها مشيخة الشيوخ، وانتصب للإفتاء والإقراء، في الأصول والمعقول، والتصنيف والنظر. وكان ذا دين وتعبُّد وإيثار وحسن اعتقاد، وكان يحفظ ربع القرآن. توفي بدمشق في صفر سنة خمسة عشر وسبعمائة ،عن إحدى وسبعين سنة، ودفن بمقابر الصوفية.

ومن تصانيفه: في علم الكلام: " الزبدة"، و"الفائق" وفي أصول الفقه: "النهاية"، و"الرسالة السيفية" ، وكل مصنفاته حسنة جامعة لا سيما " النهاية". انظر: طبقات السبكي٩ / ٦٨ .

*(ت٧٢٩هـ) **ينظر ترجمته في**: البداية والنهاية لابن كثير ١٤ /١٤٧، والبدر الطالع للشوكاني١ / ٤٣٩-٤٤١، وبغية الوعاة للسيوطي٢ / ١٤٩-١٥٠، وتاريخ ابن الوردي ٢ /٤١٦، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي١ / ١٦١-١٦٢، وانظر فهارسه -، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني٣ / ٩٣-٩٧،=

فعلا على الألى، وأرتقة أهل النقا، وعلا على مجد ما وصل إليه ذو مجد، ودرَّس في الإقليمين[١] فأعجب، وغرس فيهما كل غرس فأنجب، ولم يرد أهل العلم والصلاح إلا بقيته، ولا شهد أهل مصر والشام إلا أولويته، ذُلِّلت له فيهما الرتب، وسُهِّلت عليه الأماني فبلغ أقصى علاهما، وطاب به الواديان كلاهما.

ولد سنة ثمان وستين وستمائة، **وتوفي** بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة، في ذي القعدة، ودفن بسفح جبل قاسيون، بتربة اشتريت له.

تفقَّه وتفنَّن، وبرع وناظر. قدم دمشق أول سنة ثلاث وتسعين وستمائة، فرُتِّب صوفياً[٢]، ثم درَّس بالإقبالية[٣]. وسمع من أبي حفص ابن القوَّاص، وأبي الفضل ابن عساكر، وجماعةٍ بمصر من الأَبرْقُوهي، وطائفة[٤].

واستوطن مصر، وولي مشيخة سعيد السعداء، وأقام عشرين سنة يصلي

=ودول الإسلام للذهبي ٢ / ٢٣٨، وذيول العبر ١٦٢-١٦٣، والسلوك، القسم الثاني، من الجزء الثاني ٣١٥، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٨ / ١٥٨-١٥٩، وطبقات الإسنوي ٢ / ٣٣٤-٣٣٦، وقضاة دمشق ٩١، ومرآة الجنان ٤ / ٢٨٠، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٩ / ٢٧٩، والأعلام للزركلي ٤ / ٢٦٤، وطبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي ١٠ / ١٣٢-١٣٦.

١ : يقصد مصر والشام.

٢ : بمعنى أنه عيِّن له مرتب صوفي متجرِّد لعبادة الله تعالى.

٣ : **المدرسة الإقبالية**: أنشأها خواجا إقبال عتيق ست الشام ابنة أيوب بن شادي أخت صلاح الدين، وهو أيضاً خادم نور الدين الشهيد، داخل باب الفرج وباب الفراديس بينهما، شمالي الجامع الأموي والظاهرية الجوانية، قال الحافظ ابن كثير في تاريخه سنة ثلاث وستمائة: إقبال الخادم جمال الدولة، أحد خدام الملك صلاح الدين، واقف الإقباليتين، وكانتا دارين فجعلهما مدرستين، ووقف عليهما وقفاً، الكبيرة للشافعية، والصغيرة للحنفية، وعليها ثلث الوقف، وكانت وفاته بالقدس الشريف، انتهى.

انظر: الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١ / ١٥٨-١٥٩.

٤ : منهم ابن الصواف، وابن القيم، والحافظان أبو محمد الدمياطي، وشيخ الإسلام ابن دقيق العيد. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ١٠ / ١٣٢.

الصبح ويقعد للاشتغال[١] إلى أذان الظهر، وتخرَّج به الأصحاب، وانتفع به الطلبة خصوصاً في الأصول.

وكان ساكناً وقوراً، حليماً، مليح السمت والوجه، تام الشكل، حسن التعليم، ذكياً، قوي اللغة والعربية، كثير التلاوة والخير.

درَّس بالشريفيَّة بالقاهرة، وبها كان سكنه واشتغاله، ثم لما حضر قاضي القضاة القزويني إلى الديار المصرية عوضاً عن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، عيَّنه السلطان لقضاء قضاة الشام، فأخرج كارهاً، وكان يقول لأصحابه الأخصَّاء سراً: أخملني السلطان كونه لم يولِّني قضاء الديار المصرية، وليت كان عيَّنني لذلك، وكنت سألته الإعفاء.

ولما خرج إلى الشام حمل كتبه على البريد معه، وأظنها كانت وقر خمسة عشر فرساً أو أكثر! . وباشر المنصب أحسن مباشرة، بصلف زائد[٢]، وعفة مفرطة، ولم يكن له نهمة في الأحكام بل رغبته وتطلُّعه إلى الأشغال والإفادة.

وطلب الإقالة أولاً من السلطان فما أجابه، وكان منصفاً في بحوثه، ريِّضاً، معظِّماً للآثار، ولم يغيِّر هيئة التصوف. خرَّج له ابن طغريل، وابن كثير، ووصلهما بجملة.

وشرح " الحاوي"[٣] في أربع مجلدات، موجودة. وله: " مختصر المنهاج"

---

١ : أي: للإقراء والتدريس، قال في البدر السافر: يلقي دروساً، تحيي قلوباً وتسر نفوساً، وتدير من العوارف على أهل المعرفة كؤوساً".

٢ : أي أنه مع مخالطته للناس كان صلباً في دينه، ينهى عن المنكر، ويأمر بالمعروف.

٣ : أي: "**الحاوي الصغير**" : من تاليف عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني، كما في البدر السافر، وكشف الظنون١ / ٦٢٥ .

للحليمي، سمَّاه: "الابتهاج"(١). وله: "التصرُّف شرح التعرُّف في التصوف"(٢).

وكان - رحمه الله تعالى - يعرف الأصلين، والمنطق، وعلوم الحكمة، ويعرف الأدب، وكان مع مخالفته لابن تيمية وتخطئته له في أشياء كثيرة يثني عليه ويعظِّمه، ويذبُّ عنه، إلا أنه لما توجَّه من مصر إلى دمشق، قال له السلطان: إذا وصلت، خلِّ نائب الشام يفرج عن ابن تيمية.

قال: يا خَوَند!(٣)، على ماذا حبستموه؟.

فقال: لأجل ما أفتى به في تلك المسألة.

فقال: إنما حبس للرجوع عنها، فإن كان قد رجع أفرجنا عنه. فكان ذلك سبب تأخيره في السجن.

وكان له ميلٌ إلى - سيدي - محيي الدين بن عربي - رضي الله عنه وأرضاه وعنَّا به - إلا أن له ردوداً على أهل الإلحاد.

وكان يتحدَّث على حديث أبي هريرة: "كنت سمعه الذي يسمع به"(٤)،

---

١ : **الابتهاج في اختصار المنهاج**: كما في البدر السافر، وكشف الظنون١٠/ ١٨٧١، وطبقات الشافعية للسبكي١٠/ ١٣٤.

٢ : في الأصل المخطوط: "التصرف شرح التعرف من التصرف"، وصوابه ما أثبتناه من طبقات الشافعية للإمام السبكي١٠/ ١٣٤.

٣ : **الخَوَند**: في الفارسية: السيد المعظم، أو الأمير. استعملت في العربية لقباً بمعنى: السيد أو السيدة. **انظر**: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي لدهمان ص ٧٠.

٤ : روى البخاري بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: إن الله عز وجلَّ قال: " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي=

ويشرحه شرحاً حسناً، ويبينه بياناً شافياً.

وكان يكتب مليحاً، قوياً، جارياً(١).

قال أبو الصفاء: ورأيته يكتب بخطه على ما يقتنيه من الكتب التي فيها مخالفة السُّنَّة من اعتزالٍ أو غيره: [**الهزج**]

عـــــرفت الشــــــر لا للشّـ ـرِّ لكن لتـــــوقِّـــــيــــه
ومن لا يعـــــرف الشــــــرَّ من الخـــيــــر يقعْ فـــيــــه(٢)

وكان يترسَّل جيداً من غير سجع، ويستشهد بالآيات المناسبة والأحاديث والآيات اللائقة بذلك المقام.

ومات بورم الدماغ، بقي به أحد عشر، ومات في بستان ضمنه، وتأسف الناس لموته أسفاً كثيراً: [الكامل]

عـمَّت فواضله(٣) فـعمَّ مصابه فـالناس فـيـه كلهم مـأجـور(٤)

وكتب إلى ناصر الدين شافع وقد طلب منه شيئاً من شعره: [**الخفيف**]

غـــمـــرتني المكارم الغُـــرُّ منكم وتوالت عليَّ منهـــــا فنونُ
شـرطُ إحـســـانكم تحـقُّق عندي ليت شعري، الجزاء كيف يكون؟

=بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما تردَّدت عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته" الجامع الصحيح٨/ ١٠٥

١ : أي أن أسلوبه رصيناً سلساً غزيراً.

٢ : والأبيات مشهورة لأبي فراس الحمداني، وهي من البحر الهزج.

٣ : في الأصل المخطوط: "فضائله" والتصويب من الديوان.

٤ : من جملة أبيات لصريع الغواني مسلم بن الوليد في الرثاء، انظر: ديوانه ٣١٧ بتحقيق الدكتور سامي الدهان. وهي من البحر الكامل.

يقبِّل اليد الشريفة، لا زالت المكارم مستديمة، وفي سبل الخيرات مستقيمة، وينهي أن بضاعة المملوك من كل الفنون مزجاة، لا سيما من الأدب فإنه فيه في أدنى الدرجات، وقد وردت عليه إشارة مولانا - حرسه الله تعالى - في طلب شيء من الشعر الذي ليس للملوك منه في عِير ولا نَفير(١)، ولا حظي منه بنقير ولا قطمير، سوى ما نبذ من الهذيان الذي لا يصلح لغير الكتمان، ولا يحفظ إلا اللسان، والمسؤول من فضل مولانا وكرمه المبذول أن يتم إحساناً إليه بالستر عليه، فإنه وجميع ما لديه من سقط المتاع، ولا يعار لسقطاته ولا لنفاسته ولا يباع، والله يؤيد مولانا ويسعده، ويحرسه بالملائكة ويعضده.

وكتب إليه وقد وقف على كتابه الذي سماه: " مخالفة المرسوم في حل المنثور والمنظوم" :[**الطويل**]

مخالفة المرسوم وافقت المنى	وحازت من الإحسان حصل المفاضل
أثارت على بخل الأثير أثارة	من العلم مفتوناً بها كل فاضل

ومنهم:

٣٥- القاضي جَلالُ الدِّينِ القَزْوينيُّ، أَبو المَعَالي محمدُ ابنُ القاضي سَعدِ الدِّين أبي القاسِمِ عبدِ الرَّحمنِ بن عُمَرَ بنِ أحمدَ الشَّافعيِّ الدُّلَفيُّ *

١: يقال في الأمثال : " لا في العير ولا في النفير" يضرب لمن لا يصلح لمهمة. انظر: مجمع الأمثال للميداني٢ / ٢٢١ ، والمستقصى للزمخشري٢ / ٢٦٤ ، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ٢ / ٣٩٩.

***ينظر ترجمته في**: البداية والنهاية لابن كثير ١٤ / ١٨٥، والبدر الطالع ٢ / ١٨٣، وبغية الوعاة ١ / ١٥٦، وتاريخ ابن الوردي ٢ / ٣٢٤، وحسن المحاضرة ٢ / ١٧١، والدارس في تاريخ المدارس ١ / ١٩٧، والدرر الكامنة ٤ / ١٢٠-١٢٤،و ذيول العبر ٢٠٥ ،و شذرات الذهب لابن العماد=

قاضي القضاة، خطيب الخطباء، أوحد الأئمة، مفيد العلماء، عمدة الطالبين، لسان المتكلمين.

من ولد أي دُلَف، ومن مدد ذلك السلف، من بيت قضاء وإمامة، وضرائر بحر وغمامة، ولي أبوه وأخوه، وتشبَّهت النظراء ولم يؤاخوه.

قدم مع أخيه الشام، وناب عنه بمدينة دمشق واستوطنها، وولي الخطابة وسقي فتنها، ورقى أعواد المنابر وهزَّ غصنها، وكان صدر المحافل إذا عقدت، وصيرفي المسائل إذا انتقدت، وإذا جُمعت المجالس كان لسانها، وإذا نظرت المدارس كان إنسانها، وكان خرق(١) اليدين، وطلق الكرم وإن كان بالدَّين.

وكان له من سلطاننا نظرة عناية ترمقه، وتكبت به البحر إذا أشبهه تدفُّقه، وكذلك كانت له من كافل الممالك تنكز، حتى اتَّخذه في حَجِّه رفيقا، وجعله له إلى الله طريقا.

ثم تنكَّر له بحره، فكادت تنسفه أمواجه، وتلقيه في مهالكها فجاجه، ودام السلطان له على كرم سجيَّته، وشيم أريحيَّته، فكتب إلى تنكز في توليته قضاء القضاة بالشام حين خلا منصبه، وتخلى له مخصبه، فأظهر تنكز له المعايب، وأساء محضره وهو غايب، فأصرَّ السلطان على ولايته وصمَّم، وكمَّل بادي رأيه فيه وتمَّم، وطلبه إلى حضرته مكرَّما، وأخمد عنه من نار الثائرة متضرِّما، وأوفى

=الحنبلي ٨/ ٢١٦ تحقيق الأرناؤوط، وطبقات الإسنوي ٢/ ٣٢٩-٣٣٠، وفي حواشيه أن للأستاذ الدكتور أحمد مطلوب كتاباً في سيرة صاحب الترجمة اسمه: "القزويني وشروح التلخيص"، مطبوعاً في بغداد سنة ١٩٦٧م؛ وقضاة دمشق ٨٧، ومرآة الجنان ٤/ ٣٠١، ومفتاح السعادة لطاش كبري زادة ١/ ٢٠٩ - وانظر فهارسه - ، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١٨، والوافي بالوفيات للصفدي ٣/ ٢٤٢، وطبقات الشافعية الكبرى ٩/ ١٥٨، والوفيات لابن رافع ١/ ٢٥٨-٢٦٠.

١ : بمعنى أنه طلق اليدين، كناية عن الكرم.

عنه ما أثقل إصره من الديون التي اتخذها ذلك المنكر له عيباً، وانتهب له غببا.

ثم قدم دمشق جامعاً بين الخطابة والقضاء، وتصرّف في الإنفاق والإمضاء. ثم لم تطل به المدة حتى طلبه السلطان إلى حضرته ثانيا، وولاه بحضرة القضاء، وأظهر به إذ كرهه نائبه الارتضاء، وكان له منه المنزلة الرفيعة، والمكانة التي ما ردت قط شفيعه، حتى حدثت هنات، وجنيت نيات، فأعاده إلى الشام على القضاء، فما لبث حتى حلّ به صرف القضاء.

وكان ممن قُدِّم وحصَّل جانباً صالحاً من الفقه واللغة، وعلم المعاني والبيان، وعلم الكلام، واعتنى به، وبرع فيه، وأتقن علم الحكمة إتقاناً قلَّ فيه من كان يدانيه.

واشتهر بحسن البديهة في المجالس والمدارس، ولم يك مقصراً في شان، ولا ثانياً من عنان. وتزيَّد في دمشق إكبابه على الاشتغال وطلب العلم وتحصيله، وقراءة الكتب ومطالعتها، ومذاكرة العلماء ومباحثتهم.

حكي لي أنه كان لشدة حرصه يحضر بعض خزائن الكتب المشهورة الموقوفة، وكان خازنها لا يرى إخراجها إلى عارية أحد[1]، فكان يقنع منه بأن يجلس عنده يومه كله لمطالعة ما يحتاج إليه منها، وأنه دام على هذا سنين كثيرة.

ولما قدم قاضي القضاة إمام الدين أبو حفص عمر قدم معه أخوه جلال الدين هذا، فلما ولي الحكم بدمشق ناب عنه، وسد خلل أخيه لنقص علم كان فيه، ثم لما ولي ابن صصري[2] القضاء استنابه، ثم خاف منه، وقيل له: إنه اتفق هو

١ : أي أن القائم عليها لا يسمح بإعارة كتبها إلى أحد.

٢ : **ابن صصري**: محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله التغلبي، أبو عبد الله، عماد الدين، ابن=

وجماعة من الفقهاء ، والصاحب أبي يعلى حمزة ابن القلانسي[١]، وطائفة من الرؤساء بدمشق على عمل محضر عليه يحكم فيه بفسقه، وأنه كتب وهُيِّئ ليحكم به في صبيحة يومه، فسارع ابن صصري إلى عزله، وعجل إعلامه به مع العدول الثقات، فبطل ما عملوا، وذهب الصباح بما كانوا بيَّتوا له، وبقي في قلب جلال الدين من هذا ما لم يكن له معه حيلة، إلا أنه اتفق مع ابن الزملكاني[٢] على إدامة تبكيته في المجالس، وإظهار جهله، وتزييف كلامه، وداما على هذا وكان يحتاج إلى أنه لا يزال يداريهما، ويصانعهما، ويضيِّفهما، ويتفقدّهما بالعطايا، وهما على ما هما عليه من تتبع عثراته، وتقصُّد مساويه.

حكى لي الأمين سليمان الحكيم المتطبب قال: حضرت مرة عنده في بستانه

=صصري: قاض، من المشتغلين بالحديث، مولده سنة ٥٩٨ ووفاته ٦٧٠هجرية، بدمشق، قال ابن تغري بردي: حدَّث هو وأبوه، وجده، وجد أبيه، وجد جده، وغير واحد من بيته". انظر: النجوم الزاهرة ٧ /٢٣٧، والأعلام للزركلي ٦ /١٣٣، وشذرات الذهب ٥ /٣٣٢ .

١ : **ابن القلانسي**: حمزة بن اسعد بن مظفر بن حمزة التيمي الدمشقي، الصاحب عز الدين، أبو يعلى ابن القلانسي: رئيس الشام في عصره، مولده سنة ٦٤٩، ووفاته فيها سنة ٧٢٩هجرية، ولي وكالة السلطان، والوزارة فيها، وأنشأ دار الحديث القلانسية، وإليه نسبتها، وأعرض عن المناصب تنزهاً، وصودر. انظر ترجمته في : القلائد الجوهرية ٨٥، والأعلام ٢ /٢٧٧،والدرر الكامنة ٢ /٧٥، والدارس للنعيمي ١ /٩٦ .

٢ : **ابن الزملكاني**: محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري: كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني، فقيه، انتهت إليه رئاسة الشافعية بدمشق في عصره، ولد في دمشق سنة ٦٦٧هجرية، وتصدر للتدريس والافتاء، وولي نظر ديوان الأفرم ونظر الخزانة، ووكالة بيت المال، وكتب في ديوان الإنشاء، ثم ولي قضاء حلب، سنتين، وطلب لقضاء مصر، فقصدها. له رسالة في الرد على ابن تيمية في "الطلاق والزيارة" وتعليقات على المنهاج للنووي، وغير ذلك، توفي سنة ٧٢٧هجرية، في بلبيس .

انظر ترجمته في: فوات الوفيات ٢ /٢٥٠، والأعلام للزركلي ٦ /٢٨٤، وطبقات السبكي ٥ /٢٥١-٢٥٩ .

وهما عنده في يوم قد أضافهما فيه، واحتفل، فقال لي: أقم اليوم عندنا. فأقمت، فرأيت من تنويع إكرامه لهما ما يتجاوز الوصف، ورأيتهما يتغامزان عليه، ويتحدثان فيه – إذا قام – بأنواع القبائح، وينسبان إليه غرائب الفضائح، فلما انصرفا تقدَّمت إليه وقلت له: قد كان من إكرامك لهذين الرجلين ما لا يحد، وهما يفعلان كذا، ويقولان كذا، فما الذي يحملك على إنفاق مالك على من تكون هذه أفعاله في حقك؟، وهذا باطنه في أمرك؟. فقال لي: يا أخي! أنا – واللهِ – أعلم منهما ما قلت، وفوق ما قلت. وإنما كيف عملي؟ هذان رجلان إمامان عالمان، فاضلان، جريّان، وما عندهما تقوى، وهذا ابن القلانسي كما تعرف، وإذا أراد استشهد كل أهل دمشق بأن النهار ليل، والليل نهار فعل! ولم يعجز. وهذا قاضي القضاة التقي سليمان الحنبلي قاض بطَّاش، ويرى ضرري، وضرر أمثالي من الشافعية قربة، ولولا هذا – واللهِ – ما داريتهما، ولكن أحتاج مع وجود هذه البلايا إلى مداراتهما من خلف أذني. قال: فسكتُّ وعلمت عذره.

قلت: فلما مات ابن صصري وولي الزرعي، خاب أمل جلال الدين، وكان يظن أن المنصب لا يتخطاه، فكان هو وابن الزملكاني وابن القلانسي ممن حسَّنوا في أمره ما حسَّنوا، حتى سلقته الألسنة، وعزل.

ثم صمم السلطان على ولاية جلال الدين، وتنكز يعيبه، وآخر ما عابه بما عليه من الدَّين، وبولده عبد الله، وما هو عليه من سوء السيرة. فطلبه السلطان وأوفى دينه، وترك عبد الله مقيماً بمصر، وأعاد جلال الدين إلى دمشق حاكماً كما تقدَّم، فشرع في معاداة الكبراء، وإسخاط قلوب الرؤساء.

وأتاه رجلٌ من الفقهاء بأبيات، فقال: الشعر للمجالس، والفقه للمدارس، وبقي النائب يعجبه وقوع مثل هذا منه ويظهر له الاستحسان له ليغري به الناس،

ويملأ عليه الصدور، وكان يريد ذهاب روحه!، فبينا هو في هذا إذ سأل قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة[١] الإقالة، لكبر سنه وعجزه، فأقيل وصرف إلى بيته مكرَّماً، وطلب جلال الدين وولي قضاء القضاة بمصر عوضه، وولي ابنه بدر الدين محمد الخطابة بدمشق عوضه، مضافاً إلى تدريس المدرسة الشامية الجوانيّة، فدخل جلال الدين في عين السلطان، ومساه الحظ من خاطره، وصار يحدِّث السلطان في كثير من أمور الناس، وقضيت للناس على يده حوائج، ونجحت مطالب وبلغت مآرب، فكثر ولده عبد الله واقتنى كرائم الخيل الثمينة، وصار يسابق بها الأمراء، وخدام الإدارت السلطانية، ويخالط أولاد الأمراء، ويتوسع في الأبنية، واقتناء الجواري الحسان، والمطربات، ويتعرَّض إلى أمور كثيرة، وكان يحمل حُبَّ أبيه له، على أنه لا يردُّه عنها، إلى أن فاض خاطر السلطان، وامتلأ عليه، وطرد ابنه عنه، ثم توسَّل في إعادته فأعيد، ثم طرده، ثم توسل في إعادته فأعيد، ثم سعى الناظر الخاص، وابن المرواني والي القاهرة عليه، وأطلقا فيه ألسنتهما وأوصلا به سعايتهما، وسدَّدا فيه نكايتهما، فعزله السلطان، وأراد تعريضه للهوان، فنهض له فرد الدهر[٢] الأصفهاني، وقام معه قيام مثله من أفراد الدهر، وركب إلى سرياقوس[٣]، وكان السلطان قد خرج إليها

١ : **ابن جماعة**: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض من العلماء بالحديث، وسائر علوم الدين. ولد في حماة سنة ٦٣٩هجرية. وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي، كان من خيار القضاة رحمه الله تعالى، توفي بمصر سنة ٧٣٣هجرية.

انظر ترجمته في: فوات الوفيات ٢ / ١٧٤، ونكت الهميان ٢٣٥، والأعلام ٥ / ٢٩٧-٢٩٨ .

٢ : **فرد الدهر**، أو فرد الزمان: من ألقاب العلماء والصلحاء، على ما ذكره القلقشندي في صبح الأعشى ٦ / ٦٥ .

٣ : **سرياقوس**: قرية بمصر، قاله في القاموس مادة "سري" وضبطها ياقوت بفتح السين، وذكر أنها في نواحي القاهرة. انظر: معجم البلدان لياقوت ٣ / ٢١٨ .

بعد أن صرف جلال الدين عن القضاء، وأتى قوصون، وكان قوصون لا يرى إلا أنه ولد له، فلما أتاه قام له وأكرمه، وقال له: قد جئت إليكم لأجتمع بالسلطان في مصلحة له، ولكم، ما أمكنني إخفاؤها عنكم. فقام قوصون لوقته وعرَّف السلطان بمجيئه، وبما قال، فأكبر السلطان مجيئه وقال: قل له يعرفنا بالمصلحة التي رآها. فقال له، فقال: اعلم أن هذا القاضي جلال الدين قاضٍ كبير مشهور في الشرق والغرب، وقد زوج بناتكم، وزوَّجكم، وأثبت كتب أملاككم وأوقافكم، وحكم لكم أحكاماً كثيرة، ومتى عُزل هكذا وخلِّيَ بلا قضاء مع كونه لم يعجز، ولا بلغ به الكبر، حصل بهذا التطرق إليه، وإذا تطرَّق إليه انتقض عليكم جميع ما حكم لكم به. وقال له من هذا ومثله ما بلغه إلى السلطان، فقال: صدق الشيخ، ولُّوه قضاء الشام كما كان، فأمر له به، وجهَّزه إليه، فأقام به مدة، وتنكز لا يبش به، ولا يمكنه منعه.

ثم حصل له استرخاء وفالج أبطله؛ فاستناب ولده الخطيب عنه في كل ما ولاّه السلطان، وبقي يراجع في جلائل الأمور إلى أن مات، ودفن بمقابر الصوفية.

وهو ممن أخذت عنه علم المعاني والبيان. وقلت أرثيه ، وكتبت بها إلى ولده الخطيب بدر الدين محمد :[**الطويل**]

أحقاً بأن البحر خف معينه ... وأن وقور الطود خف رزينه
أحقاً بأن السيف أُغمِدَ حدَّه ... بطيف كرىً ليست تنام جفونه
أحقاً بأن الشمس غاب ضياؤها ... وقد بان من بدر التمام جبينه
أحقاً بأن النوء أقلع نائياً ... وآلى يميناً(١) لا تجود يمينه
أحقاً بأن الدُّرَّ آن ابتذاله ... وأهوى من الجَفن القريح(٢) ثمينه

١ : **آلى**: أي حلف يميناً.

٢ : **القريح**: أي الجريح.

أحـــقـــاً بأن العلم خفّ نبـــاتـه ... وأضحى فما فاءت عليه غصونه

أحقاً لقد غاض الندى بكماله ... نعم ومضى تحت التراب خدينه (١)

أحقاً دعا داعي الردى علم الهدى ... أم الدهر بالعليـــاء جُنّ جنونه

لقد خرّ في المحراب تقوى منيبة ... وفي صدر إيوان القضاء (٢) مبينه

مضى بجلال الدين كل فضيلة ... وأعظمـهـا عند المفـاخـر دينه

مضى طاهرَ الأثواب ما شان عرضَه ... حسودٌ إذا ما شاء شيناً (٣) يريبه

مضى وهو ملء الدست (٤) صدراً معظّماً ... يطول إليـه شـوقـه وحنينه

إذا ما يراع (٦) الخط صرّ صريره ... فـمـا ذاك إلا للعويل (٥) أنينه

نعى باسمه الناعي فما شك سامعٌ ... بأن انقضاء الدهر قد حان حَيْنُه

تغـيَّـر ضوء الصبح يوم وفاته ... فلم يبق في الآفاق من يستبينه

كأن جلال الدين ما كان في الورى ... إمـامـاً لهم حتى أتته منونه

فـتـىً دُلَفيٌّ في الأبوة جدُّه ... أبو دُلفٍ هل شبهه أو قرينه

---

١ : **الخدين**: الصاحب.

٢ : **الإيوان**: بالكسر، الصُّفَّة العظيمة، غير مسدود الوجه، معرب "إوان"، بالتخفيف، وقيل: بالتضعيف، فأبدلت إحداهما ياء، والجمع أواوين، و"إيوانات". قصد السبيل للمحبي ١ / ٢٣٠.

٣ : **الشين**: العيب.

٤ : قال المحبي: " الدست: الصحراء، معرَّب "دشت" ومن الثياب والورق، وصدر البيت، قال ابن الكمال: هو فارسي معرّ بمعنى اليد، يطلق على التمكن في المناصب، قال الشهاب – في شفاء الغليل ١٢٢–١٢٤ " : واستعمله المتأخرون بمعنى الديوان، ومجلس الوزارة، والرياسة مستعارة من هذا.

انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ / ٢٦–٢٧ .

٥ : **العويل**: البكاء.

٦ : **اليراع**: القصب الذي يكتب به.

سقي قبره الوضّاح مثل بنانه سكوب الغوادي لا تغيب هتونه[1]
يضاحكه بالسفح بارق ليله تغازله تحت الظلام جفونه
فهل بعد هذا اليوم يدّخر الفتى بكاءً عزيزاً عنده لا يهينه
أرى الخطباء اليوم بعدك ألبسوا حداداً عليهم في الملابس جونه[2]
أرى منصب الحكم العزيز تضاءلت معاليه وارفضّت عليك متونه
أرى المنبر العالي استكنَّ لما به وكان به فوق السُّها[3] مستكينه
أرى قلم الإفتاء قد فات وقته وكان نظير الغصن تجبى فنونه
أرى منطق التدريس أُخرس نطقه وأصبح إن قال، النهى[4] لا تبينه
أرى مجلس التصدير أقْوَتْ رحابه ولم يرضَ إيداع الصدور حنينه
لقد أغلق التصنيف أبواب كتبه وأغفت لأحداث الزمان عيونه
فمن للمرجّي خاب ما كان يرتجي ومات أريحي كريمٌ يعينه
لعمرك ما يجدي الحنين على امرئ تحطُّ بأكناف القبور ظعونه
تمهَّلْ به يا حامل النعش إنه يقطِّع أصلاب الرجال شطونه[5]
وهل يعلم الآتي إلى لحده به بأن الهلال المستنير دفينه
لقد عطِّل الدست الرحيب إمامه وفارقه مأمونه وأمينه
ووالله إن الموت أكرم نازلٍ بحرٍّ ولا يقضي عليه غبونه
فهل ساكنٌ في الدهر ليس يسوؤه ومستأمنٌ للدّهر ليس يخونه

---

١ : **الهتون**: السحاب الماطر.

٢ : **الجون**: في الأصل النبات يضرب إلى السّواد من خضرته، والأحمر، والأبيض، والأسود.

٣ : **السُّها**: كوكب خفيٌّ من بنات نعش الصغرى.

٤ : **النُّهى**: أي العقول.

٥ : **شطونه**: أي بعد مراميه، وصعوبة الوصول إليه، من قولهم: " بئر شطون: أي بعيدة القعر".

وذو غـــرر بالموت أن لا تغـــرَّه أمـانيـه في الدنيـا، نعم وظنونه
لتبك المعالي بالدماء سواكباً أباها ويبكي للبكاء حـزينه
فيـا أيهـا الناعي[1] رويدك إنه يـودُّ بمن ينعي لنا لو تكونه
غلطتَ، أهلْ قاضي القضاة قضى ردىً أم الشـام بالزلزال هدَّت حصونه
ترفَّقْ ولا تبغي العلى بوفاته فذكراك ميعاد البكا وضمينه
لعلَّ حزيناً يملك الصبر قلبه يجود بصبر فاضل أستدينه
فيـا سائق الأظعان قدام جلَّق[2] وفي التربة الفيحاء يلقى تريبه
تعمَّـدْ بنا تلك القبور فإننا نرود بها روضاً جنيَّاً جنينه
وقف بي على ذاك الضريح مسلِّماً فـإن فؤادي في التراب رهينه
إليك وإلا لا يئنّ صبابة كـئيبٌ ولا تبدو عليه شؤونه
تولَّى ابن إدريسٍ وولَّيت ذاهباً فما عاد للتدريس حرزٌ يصونه
تضعضعت الدنيا فلم يبقَ مذهبٌ لعمري لقد هزَّ الجبال سكونه
فمن بعده هل في الطريقين سالكٌ وهل لاح في الوجهين بِشرٌ يزينه
فكل طريقٍ منه قد سدَّ مذهبٌ وفي كل وجه بانٍ عيبٌ يشينه
ولولا كرامٌ من بنيه أعزَّةٌ لأوحش منه سيفه ووضينه[3]
ومن مثل بدر الدين بل ليس مثله فما غاض بحر العلم وهو معينه
فما مثل من قد مات في الناس سيِّدٌ ولا مثل هذا الحيِّ تحمي عرينه

ويعزُّ عليه أن يكتب إلى مولانا معزّياً، او يُسلِّيه عمَّن لم يجد هو ولا جميع أهل الدنيا عنه مسلِّيا، وإنما هي عادة الأيام، وسنَّة الدين والإسلام، فالله يعظم

١ : **الناعي**: المخبر بالموت.

٢ : **جلَّق**: من أسماء دمشق حرسها الله تعالى.

٣ : **الوضين**: بطان عريض منسوج من سيور أو شعر، أو لا يكون إلا من جلد.

أجر مولانا، ويرحم ميته، ويحسن عزاء الإسلام فيمن شيد بجهاده بناءه وثبّته، فلقد كان – والله – من حماة الدين بسيفه وقلمه، وكماة الكلام في المدارس والمنابر بعلمه وعَلَمه، فرحم الله تلك المزايا الكرام، وفتح لها أبواب الجنة، وأدخلها إليها بسلام، والعزاء مشترك، ومن نظر بعين الحقيقة علم أن الدَّهر أخذ أقلَّ مما ترك.

وتوفي في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين[١] ، عن أربع وسبعين سنة.

قلت: ولما ولي كراي المنصوري[٢] كفالة الشام، أتاها وقد هبَّت به ريح العدو المتنسِّم، والثغور قد استطار برعب من جاورها قلب بارقها المتبسِّم، طلب خيل الحجر التي جرت العادة بطلبها معونة من البلاد إذا قدم العدو، وعدم الهُدوّ، ولم يكن الاضطرار قد بلغ إلى حد تطلب فيه المعونة، وتحمل به إلى البلاد المؤونة، وشرع النجم ابن هلال في توزيع ذلك الطلب، وتفريع ذلك الظلم الذي باء منه بسوء المنقلب، فطلب من جهات الملك والوقف ما كاد يكون لها ثمناً، واتَّخذها له مأكلة حتى كاد يتفقّأ[٣] سَمِنا، وكان أخا بِطنة، يأكل حتى يكاد يتبعَّج، وجرأةٍ لا يبالي من أي باب منه على النار يتولَّج.

فاجتمع أهل البلد إلى جلال الدين لأنه إمامهم المتَّبع، ورأس المصلِّين في

---

١ : **أي**: وسبعمائة من الهجرة.

٢ : **هو سيف الدين كُرت** – أو كرد – بن عبد الله المنصوري، قتل في وقعة نادي الخزندار، سنة ٦٩٩هجرية، وكان وقتها نائب السلطنة بطرابلس.

انظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان وقائع ٦٩٧– ٧١١هجرية تحقيق الدكتور حمزة عباس، وكذلك انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٢١ /٢٢٩ /ب؛ والعبر ٣ / ٤٠٤ .

٣ : **أي**: يتفتق كرشه من شدة السمن. كناية عن كثرة ما انتهبه.

الجماعة وهم له تبع، فقام هو والعلامة مجد الدين أبو بكر التونسي[١] في درء هذه المظلمة، وإخفاء نجم ابن هلال الطالع في هذه الليلة المظلمة. فجمعا أهل الجامع الأموي ومن انضمَّ تحت أعلام الخطابه، وأسرع إلى هذه الدعوة المجابه، وخرجوا بالمصحف العثماني والأثر النبوي، وكراي راكب في موكبه، قد شمخ العجب بهامته، فحين رآهم سأل عنهم، فلما أخبر الخبر جُنَّ جنونه، وظنَّ ظنونه، فأمر الحاجب أن يأتيهم فيأمرهم بالرجوع بالمصحف والأثر، ويتقشَّع سواد ذلك الجمع الذي حضر[٢]، ثم يأتيه منهم من يعي عنه الخِطاب، ويسمع منه الجواب، فأتاه الخطيب والتونسي، وقدَّما إليه الإنذار، وأغلظا، ولا سيما التونسي في الإنكار، فأومأ إلى الخطيب ليضربه بيده، وأمر بالتونسي فرمي، وكشف عن جسده، ثم ضربه ضرباً جاز أدنى الحد في عدده، فخرجا، والناس تتحرَّقُ ولا ماء يطفي النار، وكان من العجب المقدر وغرائب الاتفاق التي تذكر أن السلطان كان قد أمر بإمساك كراي، وخرج المجهِّز لإمساكه، ثم بقي في وثاق المحبس إلى حين هلاكه.

ويقال: إن التونسي كتب في ذلك اليوم له من الحروف ما كان من أسباب ما حلَّ به من الصروف، أتي كراي بخلعة السلطان فركب بها، وجلس في الإيوان، فأحضر محضر ذلك التشريف معه كتاباً قرئ وهو في تلك الحال، وقد ظنَّ أن الدهر عن طباعه قد استحال، فإذا فيه المرسوم إلى الأمراء بإمساكه، فأمسك،

---

١ : **أبو بكر بن محمد بن قاسم التونسي** الشافعي، قال الذهبي: هو شيخ القراء والنحاة والبحاثين، أخذ القراءات والنحو عن الشيخ حسن الراشدي، وتصدَّر بتربة الأشرفية، وبأم الصالح، وتخرَّج به الفضلاء، وكان ديِّناً صيِّناً، ذكياً، توفي سنة ثماني عشرة وسبعمائة من الهجرة.

انظر ترجمته في: شذرات الذهب لابن العماد ٨/٨٦، وذيول العبر ٩٩، وغاية النهاية في طبقات القرّاء ١/١٨٣–١٨٤.

٢ : أي يختفي أثرهم بعد عيان.

وقيِّد، والخلعة عليه، ما حُلَّت أزرارها، ولا أرته عينه إلا ما كأنه غرارها، ولا أجدته الأيام إلا وفي نفعها ضرارها.

وكان الخطيب قد كتب إلى السلطان كتاباً مضمونه:

(الحمد لله رافع السماء وبانيها، وساطح الأرض وداحيها، ومثبتها بالجبال وراسيها، ومزيح الملوك عن أسرّتها وكراسيها. أرسل - سيدنا - محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخلائق جميعاً دانيها وقاصيها.

وبعد:

ذلك لَّما تقدَّم المرسوم الشريف العالي، المولوي السلطاني ، الملكي الناصري، أدام الله أيامه، وجعل النصر وراءه وأمامه، بأن يستخرج من الأملاك التي بالبلاد الشامية حق أربعة شهور، ولا يعفى عن وقف، ولا عما يكون ليتيم أو مسكين. فأردنا أن ننبِّه الذي رسم بأن الأوقاف لا تعفى، وأن يؤخذ من الجامع الشريف ما أخفى، فطلعنا في يوم الاثنين، في شهر الاستغفار(١)، جمعَ علماء المسلمين، وأئمة الدين، الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في حقهم: " علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل"(٢)، وقد حملنا على رؤوسنا كتاب

---

١ : أي شهر رجب كما هو معلوم.

٢ :حديث" علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل" قال السيوطي في الدرر : لا أصل له، وقال في المقاصد: قال شيخنا يعني ابن حجر: لا أصل له، وقبله الدميري، والزركشي، وزاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر. وقد روي: أكرموا حملة القرآن كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء إلا أنهم لا يوحى إليهم،ولأبي نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه: " أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد" انتهى. وقال النجم: وممن نقله جازماً بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي، وموفق الدين بن قدامة، والإسنوي، والبارزي، واليافعي، وأشار إلى الأخذ بمعناه التفتازاني، وفتح الدين الشهيد، وابو بكر الموصلي، والسيوطي في الخصائص، وله شواهد ، وقد يؤيده أنه الواقع .
انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ٢ / ٦٤ الحديث رقم ١٧٤٤ .

الله المبين، وأثر سيد الأولين والآخرين، حتى نعلم أن الجامع لا يوجب لأن يؤخذ منه حبة، ولا يتعرَّض إليه من في قلبه دين. فبدا إلينا حاجب الملك الذي ولاَّه أمور الدين، وجعله بجهله حاكماً على المسلمين، ولم يمكِّنَّا من الدخول إلى نائب السلطنة المعظَّمة، حتى نشكو إليه ضرر المساكين، شهد الله العظيم أنهم ما استهابوا، ولا هابوا كلام ذي القوة المتين، إلا جوَّدوا الضرب على الرؤوس والأكتاف والمتين[١]، وقد طلع من كان قبلنا إلى الذي استفتح البلاد، وكان كافراً بالله العظيم، فنزل عن ظهر جواده، ومشى إليه خاضعاً متذلِّلاً كالمسكين يتذلل وهو تذلُّلُ مستكين، وعفا عن العباد والبلاد، وأوصى جيوشه أن لا يسعوا في الأرض مفسدين، احتراماً لكتاب الله، ولأثر سيد الأولين والآخرين – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم –. فلما طلعنا ورددنا خائبين، طلب نائب السلطنة إماماً من أئمة المسلمين، وقد نفخ الشيطان في معاطسه[٢] حين خلاَّه بما يحدث رهيناً أيَّ رهين، وجلد ذلك الإمام، وعمل شيئاً ما سبقه إليه أحدٌ من العالمين، وجعل يقول – بجهله وقلة عقله وقد أمر بقتله– : أحرقني إن كان لك برهان من البراهين!.

فراقب ذلك الإمام مولاه، وناداه في سرِّه ونجواه: "يا من لا يشغله شان عن شان، ولا تغلطه مسائل السائلين، اقضِ بالحق على الظالم يا ديَّان يوم الدين".

أيها العبد الصالح! إنا خشينا عليك أن تفتن كما فُتن الذين من قبلك ثم تولَّوا مدبرين، فإذا حكم ربُّ السماء والأرض، ونادى يوم القيامة: أحضروا الظالمين. فكيف ينطق من قد افترى على العلماء والفقهاء وأئمة الدين؟، وما احترم كتاب الله الذي أنزل فيه ﴿أيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ منهُم أن يَدْخُلَ جَنَّةَ

---

١ : بمعنى أنهم انهالوا عليهم ضرباً دون تمييز.

٢ : كناية عن التكبر والتجبر، نعوذ بالله من ذلك.

نَعِيمٍ﴾(١).

فهذا الكتاب يجتمع عليه فقهاء الديار المصرية، ويحكموا فيمن لا خاف يوم تنشر فيه الدواوين، وتحشر فيه الخلائق أجمعين، وينادي منادٍ من قبل الله – عزَّ وجلَّ – هذا يوم يجزي الله المتقين، ويخسر فيه الظالمون. وقد علم سيدنا ومولانا السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين(٢) – وهو أعلم بمن كان قبله من الملوك والسلاطين – بأن لا يوجب أن يؤخذ من العامة أموالهم، ولا يتعرَّضْ إليهم من في قلبه دين، إلا إذا التقت الفئتان، ونودي: هذا يوم لا قبله ولا بعده، وكانت أمراء الدولة قد اضمحلَّ ما عندهم من الأموال والسلاح والخيل، فهنالك عمَّن تخلف عن ذلك اليوم فقد أمسى بما كسبت يداه وهو رهين.

واعلم أن ما يسبق أحد من خلق الله إلى الجنة غير المجاهدين، فيجب عليك أن تنصر كتاب الله، وكلام الله، وتأخذ الحق ممن افترى وطغى، فيقف على هذا الكتاب فقهاء الديار المصرية، والسلام".

---

١ : سورة المعارج – الآية ٣٨.

٢ : هو الملك التاسع من ملوك الترك، توفي بالقاهرة في ٢١ ذي الحجة سنة ٧٤١هجرية، وكان قد تعاقب على ملك مصر ثلاث مرات: الأولى سنة ٦٩٣هجرية. والثانية: في سنة ٦٩٨هجرية، والثالثة: سنة ٧٠٩هجرية.

انظر ترجمته في: دول الإسلام للذهبي ٢ /٢٤٧، وفوات الوفيات لابن شاكر ٤ /٣٥–٣، وذيل مرآة الزمان – رسالة دكتوراة لسنوات ٦٩٧–٧١١هجرية تحقيق د. حمزة عباس.

ومنهم:

٣٦- السَّيدُ العِبريُّ: بُرهَانُ الدِّينِ عُبَيدُ اللهِ بنُ محمَّدٍ [الشريف] الحُسَينيُّ الشافعيُّ [الفَرْغَانِيُّ] [العاقوليُّ](١) العِبْرِيُّ(٢) *

الإمام العلاّمة، ابن الإمام العلامة. لسانٌ جبل على الكلام، وبيانٌ جعل لكشف الظلام، سلَّ على الباطل حسامه(٣)، وجذب من يده خِطامه(٤).

ولي القضاء فأرضى، وأقام سُنَّةً وفرضا، وهو – على ما بلغنا – حيٌّ يحيا به العوالم، وتُجلى به العواتم، ويكف نداه وينهم، ويأمر الدهر فيأتمر، ويقف الجواد دون مداه ويستمر. قال الدهلي(٥): ولد بتبريز(٦)، وهو الآن قد جاوز الستين.

---

١ : هذه النسبة إلى: "دير العاقول" وفي بغداد محلة تنسب إليه "العاقولية" وهي اليوم غربي مدرسة التفيض في رصافة بغداد، وفيها جامع يعرف باسمه أيضاً، وفيه قبره، وهو إلى الآن ظاهر.
انظر: مساجد بغداد ٤٦، وتاريخ علماء المستنصرية ١ / ٢٢٢–٢٢٣ .

٢ : بكسر العين المهملة كما قاله ابن شهبة ٣ / ٣٢ .

*(ت ٧٤٣هـ) **ينظر ترجمته في**: علماء بغداد ٧٥، والبدر الطالع ١ / ٤١١، والدرر الكامنة ٢ / ٤٣٣، وشذرات الذهب ٨ / ٢٤١ تحقيق الأرناؤوط، والأعلام للزركلي ٤ / ١٢٦، وطبقات الشافعية للإسنوي ٣ / ٢٣٦، وفيها: "عبد الله الهاشمي الحسيني".

٣ : **الحسام**: السيف.

٤ : **الخِطام**: بكسر الخاء المعجمة – ككتاب – ذلك المعلق به، ووتر القوس، وكل ما وضع في أنف البعير ليقتاد به. القاموس مادة خطم.

٥ : **نجم الدين الدِّهلي**: الإمام الحافظ سعيد بن عبد الله نجم الدين أبو الخير الدهلي الحنبلي، الحريري، الجلالي صنعة، نشأ ببغداد، وارتحل إلى مصر والثغر، وغيرهما، وسمع وقرأ وتعب وحصَّل الأجزاء، قال الصفدي في "فوات الوفيات": ليس لنا اليوم في الشام مثله في التراجم وأسماء الرجال، وتنقّل الخلاف في الوفيات وغيرها، فهو حافظ الشام بعد الذهبي". ولد سنة ٧١٢هجرية، وتوفي ٧٤٩هجرية. انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٢ / ١٣٤ رقم ١٨١٤، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين ٤ / ٨١، وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٤٥، وذيل طبقات الحفاظ ٣٥٦ .

٦ : **تبريز**: ذكر في القاموس أنها قاعدة أذربيجان، مدينة عامرة حسناء في وسطها عدة أنهار جارية،

إمامٌ في العقليات، منطقها، وحكمتها، وطبِّها، وله قوة عظيمة في الخلافيات والجدل، بحّاثٌ مناظر في الغاية، لم نرَ أحداً يقدر على التدريس مثله. يُلقي الدروس في علوم شتى، أكثر من ثلاثين علماً في مشكلات الكتب لأفاضل الزمان في كل يوم في بيته، ولم يناظره أحدٌ إلا وغُلب معه.

وكان فقيهاً في مذهب الإمام أبي حنيفة - رحمه الله تعالى -، عريقاً في أصوله وفروعه، مفتياً لهم. ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، وحفظ الحاوي على ابن مصنِّفه جلال الدين محمد، وصار إماماً في مذهبه، أصلاً وفرعاً. يفتي في المذهبين.

وولي قضاء القضاة بجميع مملكة إيران، شرح "الطوالع[١]"، و"المصباح[٢]"،

=والبساتين محيطة بها. وقال في اللباب: "هي أشهر بلدة بأذربيجا، وبها كان كرسي بيت هولاكو من التتر، ثم انتقل بعد ذلك إلى السلطانية". القاموس مادة "برز" وهي تقع الآن في إيران.

وانظر: قصد السبيل للمحبي ١/٣٢٦، وصبح الأعشى ٤/٣٥٨، ومعجم البلدان لياقوت ٢/١٣.

١ : كذا في الأصل المخطوط، وفي شذرات الذهب: "المطالع" وكتاب الطوالع: هو "طوالع الأنوار" مختصر في علم الكلام، للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥هجرية، وهو متن متين اعتنى العلماء في شأنه، وشرحوه كثيراً. ومنها شرح العبري قال عنه في كشف الظنون:" والقاضي البرهان عبيد الله بن محمد العبيدلي الشريف الفرغاني، قاضي تبريز المعروف بالعبري المتوفى سنة ٧٤٣هجرية، أوله: " أحمد الله حمداً يتقاصر عن إدراك غايته عقول العقلاء... إلخ". ألَّفه لشهاب الدين مبارك شاه.

انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/١١١٦.

٢ : "**مصباح الأرواح**" في علم الكلام للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥هجرية، أوله: " الحمد لله الأول قبل كل موجود ...إلخ" رتّبه على مقدمة وثلاثة كتب، وقد شرحه العبري على طريقة: "قال أقول".

انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/١٧٠٤-١٧٠٥.

و"المنهاج [١]" في أصول الفقه، و"إيلاقي" في الطب، و"نقد الصحائف" في الكلام.

وعمل كتاباً في المنطق في يوم، وأخذ العلوم عن القاضي محيي الدين أبي الحسن بن أبي الفضل بن عبد الحميد بن محمد القزويني قاضي القضاة. وأخذ العقليات عن قطب الدين الشيرازي[٢]، والعبيدي، ووالده. وكان من جملة المحققين. وروى " جامع الأصول" عن القطب الشيرازي، و"شرح السنة[٣]" عن محيي الدين القزويني.

وروى عن أبيه، عن شيوخه، منهم: العلامة سيف الدين الباخرزي[٤].

قال: وله نظم مليح، وخطٌ حسن، وجاهٌ عظيم، وحشمة في الغاية، وترجمته عند السلاطين: "أستاذ البشر العقد الحادي عشر" وله ابنٌ هو: شمس الدين محمد. قال الدهلي: هو المشتهر [ببيرك] فاضل في أكثر العلوم، حسن الجد والخط والعبارة، ولد سنة عشر وسبعمائة، وأخذ عن السيد أكثر فضلاء الشرق، ومنهم: النصير الحلي، وروى المشارق عن الروي عن الصنعاني.

---

١ : " المنهاج" هو : "منهاج الوصول إلى علم الأصول" مختصر للقاضي الإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى ٦٨٥هجرية، مرتب على مقدمة وسبعة كتب، قال: إن كتابنا هذا يسمى منهاج الوصول إلى علم الأصول الجامع بين المشروع والمعقول ، والمتوسط بين الفروع والأصول. . . إلخ. وقد شرحه كثير من العلماء. انظر : كشف الظنون ٢ /١٨٧٨-١٨٧٩ .

٢ : سبقت ترجمته.

٣ : للإمام البغوي.

٤ : نسبة إلى "باخرز" بالباء الموحدة، وفتح الخاء المعجمة، وبعد الراء زاي، وهي: ناحية من نواحي نيسابور، تشتمل على قرى ومزارع، خرج منها جماعة من العلماء والفضلاء. انظر: شذرات الذهب ٥ /٢٨٩ .

ومنهم:

٣٧- الشَّيخُ شَمْسُ الدِّينِ الأَصْفَهانيُّ، وهو: محمودُ بنُ أبي القَاسِمِ بنِ أَحمدَ، أبو الثَّنَاء *

الإمام العالم العلاَّمة، قدوة العلماء والحكماء والفقهاء، والفقراء. وإرث العلم والحكمة، واحد الدهر، معلم الوجود.

شمسٌ أضاءت، وسماءٌ على الدنيا فاءت، وإمامٌ قدم دمشق وهي تحكي بغداد زمان عمارتها، وقرطبة حيث استقلّت بنو أمية بإمارتها، لكثرة نجوم العلماء الطالعة، وغيوم النعماء الهامعة، وابن تيمية ونباح قمره، وابن الزملكاني ولفيف سمره، والخطيب القزويني والإجماع عليه في المعقول معقود، وحلق المسجد والفقهاء بها قعود، فلم يبق إلا من اعترف بسؤدده[١]، واغترف منه بيده، فحلف في فنِّ الأصول فننها[٢] الرطيب، ونسي به ابن خطيب الري فضلاً عن القزويني الخطيب، ولم يعد يلتفت عليه بعد أن قدم في الأصول حلقة إقراء،

* (ت٧٤٩هـ) **ينظر ترجمته في**: شذرات الذهب ٨ / ٢٨١، وطبقات الشافعية للإسنوي ١ / ١٧٢-١٧٤، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣ / ٩٤، والأعلام لخير الدين الزركلي ٧ / ١٧٦، والدرر الكامنة ٤ / ٣٢٧، وبغية الوعاة ٣٨٨، وفهرست الكتبخانة ١ / ١٤٢، و ٢ / ١١، و٥٤و٢٣٩، والبدر الطالع ٢ / ٢٩٨، وحسن المحاضرة ١ / ٥٤٥، وذيول تذكرة الحفاظ ١٢٣، وذيول العبر ٢٧١، السلوك - القسم الثالث من الجزء الثاني ٧٩٧، وطبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي ١٠ / ٣٨٣-٣٨٤، وطبقات المفسرين للداودي ٢ / ٣١٣، ومرآة الجنان ٤ / ٣٣١، ومفتاح السعادة ٢ / ١٧٨-١٧٩، وفيها وفاته سنة ٧٤٧هجرية تصحيف تسع وأربعين. وكشف الظنون لحاجي خليفة ٢ / ١٩٢١، وأخبار التراث العربي العدد ٦٤ .

١ : **السؤدد**: الرفعة.

٢ : **الفنن**: الغصن وجمعه أفنان.

ولا شكت الوجاء إليه أقدام القرَّاء.

طلع صباحاً، وسطع مصباحا، وأتى في زيٍّ تاجر جاء بمتاع، فكانت فرائد الدرِّ راهون أعلاقه[١]، وكتم نفسه وضوء الشمس لا تخفي لوامع إشراقه.

نزل بدار ابن هلال، ودارة الهلال أحق بموضعه، وطلع دمشق وأُفُق السماء أولى بمطلعه، وتردَّدت إليه العلماء، وسعت إليه العظماء، وأقام ينشر العلوم، ويمدُّ جناح الفضائل على العموم، ويعلم في علم الأوائل أن القطب عليه دار، وأن الطوسي وإن نشر جناح الطاووس عجز عنه لما طار، وأن الآمدي امتدَّ معه فقصَّر في المضمار[٢]، وأن الفارابي لم ينجِّه منه إلا الفرار، وأن ابن سينا ما يجيء سينة من حروفه، وهي حمل الفقار.

هذا، إلى علوم شرعية، وفهوم لوذعية[٣]، ومعرفة بالفقه على مذهب الشافعي، يجمع بين قوليه، ووجوه للأصحاب ناضرة ناظرة إليه، واختلاف في طرف الخراسانيين والعراقيين تتفرق، وتجتمع عليه مع علم حديثٍ ما ابن شهاب[٤] فيه عنده إلا .... كالأعمش[٥]، وعربية ما الجاحظ لديه فيها إلا كالأخفش، وحقيقة ما صاحب كل طريقة بالنسبة إليها معه إلا واقف في مجاز،

---

١ : **العِلْق**: النفيس من كل شيء، وجمعه أعلاق.

٢ : **المضمار**: غاية الفرس في السباق.

٣ : **اللوذع، واللوذعي**: الخفيف الذكي، الظريف الذهن، الحديد الفؤاد، واللَّسِن الفصيح، كأنه يلذع بالنار من ذكائه.

٤ : **ابن شهاب الزهري**، محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، من بني زهرة، أول من دوَّن الحديث الشريف، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة، توفي سنة ١٢٤هجرية.

انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٢، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٤٥١، والأعلام للزركلي ٧ / ٩٧ .

٥ : سليمان بن مهران الأسدي، الملقب بالأعمش، تابعي مشهور، أصله من بلاد الري، ومنشؤه ووفاته=

وتبحُّرٍ في تفسير جاء فيه بالإعجاز[1]، وغير هذا من كرم ما البحر عنده إلا مُبَخَّل، ولا السيل المنصبُّ من مكانه العالي إلا مخلخل، ولا الغمام إلا وقد تقطَّعت عراه، وغمض جفن لأنه كراه، وقيدت إذا همَّ الليل عن سراه.

كل هذا إلى خلق يتخلَّق به الأبرار، ويتحقق صفات الأخيار، ويدلُّ على ما وراءها من العمل لما فيه نعم عقبى الدار.

كان في بلده جليلاً، وفي عدده كثيراً، لا يجد مثله إلا قليلا، صحب السلطان محمد بن خذا بنده، وكان في سيَارتِه من مدرِّسي السيارة، وهم جماعة كان يُقرر أن يكونوا حيث خيم السلطان.

وكان من أنظار القطب الشيرازي وأمثاله، وأحسن حالاً منه، عند خواجا رشيد، لما كان يجده في نفسه على الشيرازي، ويرمي به طرفه من الغضاضة[2]، ويتقصَّد به جناحه من الإهاضة[3].

وكان يعلي شمس شيخنا الأصبهاني ويرفعه، ويزين به أفق المجالس ويطلعه، وكان يحاضره ويسامره، ويفيده العلم ويذاكره. وكان يجزل له العطاء، ويدر له

=في الكوفة، كان عالماً بالقرآن والحديث والفقه، قال الذهبي: كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح، وقال السخاوي: قيل: لم يُرَ السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره. توفي سنة ١٤٨هجرية.

انظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦ /٢٣٨، ووفيات الأعيان ١ /٢١٣، وتاريخ بغداد ٩ /٣,

١ : **قال العلامة الصفدي**: – على ما نقله عنه في الأعلام –: رأيته يكتب في تفسيره من خاطره من غير مراجعة، وله كتاب: "التفسير" مخطوط في مكتبة صوفية، دار الكتب الشعبية، ١ /٤٣، وهو مخطوطة كاملة نفيسة مكونة من ٨٤٣ ورقة كبيرة، سماه: "أنوار الحقائق الربانية".

انظر: الأعلام للزركلي ٧ /١٧٦,

٢ : **الغضاضة**: الذلة والمنقصة.

٣ : من قولهم: هاض العظم يهيضه إذا كسره بعد الجبور.

الصِّلات(١)، وينوِّه بذكره، وينبِّه على جلالة قدره.

وقرأ عليه ابنه الوزير الكبير آخر وزراء الشرق بل ملك الرياسة بحكم الحق: أمير محمد بن خواجا رشيد، وتخرَّج به، وحصَّل.

وقدم الشيخ الأصفهاني دمشق واستوطنها فارغاً من تلك البلاد(٢)، على عظم مكانته فيها، وامتلاء صدور أهلها بتعظيمه، وأقام والطلبة تتسامع به وتتواصل إليه، وتأتيه من كل جهة ومكان، وكان شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية يثني عليه أحسن الثناء، ويصفه بالفضل الوافر والعلوم الجمَّة(٣).

قال لي: ما قدم البلاد علينا مثل الشيخ شمس الدين الأصفهاني.

ورأيت شيخنا الأصفهاني قد زاره مرة، فقام إليه ومشى خطوات لتلقِّيه، وعرض عليه أن يجلس مكانه فأبى. وكنا في ذلك الوقت نقرأ عليه. ودخل وأنا أقرأ في "المسح على الخفين من العمدة" في الأحكام الصغرى، فقال ابن تيمية للأصفهاني: ما نتكلَّم وأنت حاضر!.

فقال له الأصفهاني: الله، الله يا مولانا، مولانا شيخ السنة، وإمام العلماء.

فقال لي ابن تيمية: ما في ها اليوم قراءة(٤). اليوم يوم فراغ لسماع فوائد الشيخ. وأشار إلى الأصفهاني. فلبثت ساعة رأيت فيها مجمع البحرين، ومطلع

---

١ : **جمع صلة**: وهي العطية.

٢ : وذلك بعد رجوعه من الحج سنة ٧٢٤هجرية، ثم زار القدس في صفر سنة ٧٢٥هجرية، وفي أواخرها قدم دمشق. "

انظر: طبقات الإسنوي ١ / ١٧٣".

٣ : **أي**: العلوم الغزيرة.

٤ : بالدارجة أي: ليس في هذا اليوم قراءة.

النيرين، فكانا فحلين يتصارعان، وسيفين يتقارعان، ثم تركتهما، وأنا أظنُّ أن مكة قد انطبق أخشابها[١]،وأن المدينة قد تلاقت حرَّتاها[٢]، ثم طفقت[٣] أستثبت هل دمشق قد [. .][٤]شرفاها؟، أو الأرض قد اجتمع طرفاها؟. ثم كنت لا أزال أسمع ابن تيمية يعظِّمه. وكذلك ابن الزملكاني، وأما الخطيب؛ فإلى غاية لا تبلغ!!.

وقال ابن تيمية مرة في تقرير مدرس حضره جلَّة العلماء، وحضره الأصفهاني، فتكلم رجلٌ من أعيان العلماء فيه، فقال ابن تيمية: اسكتوا لنسمع ما يقول الشيخ. وأشار إلى الأصفهاني.

ثم قال الشيخ شمس الدين بزرك - والبزرك هو الكبير باللغة الفارسية - : ثم كان الخطيب لفرط محبته في الحكمة وعلم الكلام يدعو الأصفهاني إليه ويدع من يقرأ بحضوره عليه ليستفيد.

وجرى بينه وبين ابن جملة[٥] مرة نزاع في حديث، وكان النقل مع الشيخ فيه، فوبّخ ابن جملة على تجرئه على مثله، وغاية مثله أن يكون كأحد تلاميذه وطلبته الآخذين عنه.

---

١ : كناية عن الجبلين، كما جاء في الحديث المشهور : " لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت" .

٢ : مثنى : "حرَّة" وهي الحجارة السوداء.

٣ : أي ثم ما لبثت، أو : ثم جعلت أتثبت.

٤ : كلمة لم أتبينها.

٥ : **ابن جملة: هو يوسف بن إبراهيم بن جملة**: قاض له اشتغال بالحديث، كان حنبلياً وتحول شافعياً. مولده ووفاته بدمشق ، ولي قضاءها سنة ٧٣٣هجرية، وعزل سنة٧٣٤هجرية، وسجن إلى سنة ٧٣٦هجرية، قال البرزالي : خرَّجت له جزءاً عن أكثر من خمسين شيخاً، وحدَّث به بالمدينة النبوية وبدمشق.

انظر: ترجمته في : الأعلام ٨ / ٢١٢، والدرر الكامنة ٤ / ٤٤٣ .

وأقام الشيخ سنين بدمشق، كأنما هو مرفوع على الرؤوس لإفراط التعظيم والإجلال. ثم لما طُلِب الخطيب إلى مصر، وولي القضاء بها، كان لا يزال يتشوق ويتشوف(١) إلى مقدمه عليه ومقامه بمصر. فلما طلبني السلطان شركته في ذلك، وزدت عليه، واتَّصل خبره بالسلطان، وطلبه، وأقبل عليه، وأكرم وأدنى منه مجلسه، وبسطه، وأنسه، وأمره بالمقام بحضرته، فأقام وأجرى عليه مرتَّباً، وأبقى عليه معلوم التصدير(٢) بدمشق، مع الإقامة بمصر للإشغال بها.

ثم كنت يوماً أنا وقاضي القضاة الخطيب القزويني عند السلطان بالدركاه(٣) داخل باب مسجد رديني(٤) بالآدر السلطانية، في عقدٍ عقد لبعض الحرم، فأجرى ذكر الشيخ الأصفهاني وكانت المدرسة المعزِّيَّة(٥) بمصر المعروفة بمنازل العز قد شغرت ، فولاَّها له، ثم بنى الأمير قوصون(٦) له الخانقاه(٧) التي

---

١ : يتشوف: أي يتطلَّع.

٢ : أي أبقى عليه معاش التدريس، والتصدير: كلمة ترد بمعنى التدريس، أي يتصدر المدرس مجلساً في المسجد ليدرِّس الطلبة.

انظر: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي تاليف المرحوم العلامة محمد أحمد دهمان – ص ٤٥ .

٣ : **الدركاه**: لفظ فارسي، معناه: الساحة، أو الفناء، أو الحوش المؤدي إلى بناء كبير مثل قصر السلطان، أو قلعة الجبل، والجمع: دركاوات. انظر: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ١٣٥ .

٤ : **قال القلقشندي**: عند كلامه على "قلعة الجبل" : وكان موضعها قبل أن تبنى مساجد من بناء الفاطميين: منها مسجد رديني الذي هو بين آدر الحريم السلطانية. انظر: صبح الأعشى ٣ / ٤٢١ .

٥ : التي بناها المعز أيبك التركماني أول ملوك الترك على ما ذكره القلقشندي في صبح الأعشى ٣ / ٣٨٠ .

٦ : من أمراء الأتراك، الذين ولوا ولاية مصر، سنة سبعمائة وإحدى وأربعين من الهجرة. ذكره دهمان في إعلام الورى فيمن ولي نائباً من الأتراك في الشام الكبرى – ص ٤٢ .

٧ : **الخانقاه**: فارسية معناها: بيت، وأصلها "خونقاه" أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، و"الخوانق" حدثت في الإسلام في حدود سنة ٤٠٠هجرية، وجعلت لتخلي سادتنا الصوفية – نفعنا الله=

بالقرافة، وكان ينزل في كل وقت إليه، ويقعد قدَّامه بين يديه، ويقضي كل حوائجه ويبعث بالجُمَل ليعمل بها أوقات، ويحضرها بنفسه، ويكون فيها مثل أحد تلاميذ الشيخ.

وعظمت منزلة الشيخ عند السلطان، وكبرت مكانته في صدره، حتى أمر قوصون أن يقول له: السلطان يقول لك: أنت عندنا كبير، ومكانتك نعرفها، ونريد أننا لا ترد عليك قط في شيء تطلبه منا، ونحن نوصيك بأنك لا تتحدَّث في اثنين، ثم مهما أردت قُلْ يُسْمَعْ منك، وهما: عبد الله بن القاضي جلال الدين[١]، وأوحد ابن أخي الشيخ مجد الدين الأقسرائي، شيخ خانقاتنا بسرياقوس[٢]؛ فإن هذين الاثنين قد ثبت عندنا نحسهما، وما يمكن أن نقبل فيهما شفاعة.

قلت: فكان الشيخ لهذا لا يرى التثقيل عند السلطان في شيء لئلا يطلب ما يستثقل به ويقضيه رعاية له.

ثم إن السلطان أبا سعيد بهادر خان[٣] بعث كتاباً إلى السلطان يطلب فيه

=بهم – فيها لعبادة الله تعالى.

انظر: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ١١٥ .

١ : أي القزويني، المار ذكره.

٢ : وقد سبق التعريف بها.

٣ : ابن خدا بندا: وهو سلطان المغول ، أبو سعيد ، بهادُرخان بن خربندة، وبهادُر(بالدال المضمومة) كلمة تركية مغولية الأصل مأخوذة من "بخاتر" والمعنى الأصلي لبهادُر هو الشجاع، أو المقدام، ثم أصبحت لقباً يطلق للتشريف في بلاد المغول. يقول مصطفى جواد: "كانت دولة المماليك بمصر والشام مضادة ومنازعة للدولة الإيلخانية في العراق وبلاد الروم، والحروب المستدامة بينهما تؤيد ذلك منذ وقعة عين جالوت حتى استيلاء غازان بن أرغون بن هولاكو على بلاد الشام ثم عودها إلى حكم المماليك، وقد استمر النزاع السياسي حتى سنة ٧٢٢هجرية، فاصطلح السلطانان سلطان المغول أبو سعيد بهادُر بن خربندة، وسلطان المماليك العظيم الملك الناصر محمد بن=

إنفاذ الشيخ إليه لاشتياق الوزير أمير محمد وأهل البلاد إليه، وأكَّد في طلبه.

وجاء قرينه[١] كتاب من الوزير يقول فيه: إنه من أولاد الشيخ وتلاميذه، وكم يصبر الولد عن والده، والتلميذ عن شيخه؟ وسأل الصدقات السلطانية في تجهيزه. فقال لي السلطان: والله! نحن ما نسمح بالشيخ، ولكن قولوا له: قد بعث أبو سعيد يطلبك هو والوزير، وأهل تلك البلاد، وقد حيُّوا السلطان بسببك، والسلطان قد جعل الأمر إليك.

فقال الشيخ: لا والله لا أفارق ظل السلطان، ولا أستبدل بهذه البلاد، فأنا ما فارقت تلك البلاد بنية من يعود إليها.

فأعجب السلطان هذا منه كل الإعجاب، ووقع منه أحسن المواقع، وجلَّ في صدره، وعظم في عينه، وعرف محلَّه، وتحقق مكانته في بلاده، وأنه مع ذلك لم يزد إلا حيث استعلت كلمة الإسلام وكانت مباعث الأنبياء والرسل – صلوات الله عليهم –.

ثم لما سعت نمال النميمة في القاضي جلال الدين، وتحتَّم عزله، وكاد يفضي به الأمر إلى ما أعاذ الله منه نواب شريعته[٢]، وعلماء دينه الذي ارتضى، قام الشيخ في أمره حتى ولي قضاء الشام – على ما تقدم ذكره في ترجمته –.

=قلاوون، وبسط السلام جناحيه على الدولتين تحت ظل الإسلام. قال ابن فضل الله: وملوك هذا البيت وإن كانوا أعداء ملوكنا من قديم الزمان وبينهم ما يكون بين الملوك من الشنآن، فإنهم أهل همم تذل لها الجبال". وقد حكم أبو سعيد من سنة ٧١٧هجرية إلى سنة ٧٣٦هجرية.

انظر: "دائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٢١٩، و٧/ ٤٣٣، وفي التراث العربي: ٤٩٧". وكذا: صبح الأعشى للقلقشندي ٧/ ٥٠.

١: أي جاء مع كتاب السلطان كتاب من الوزير المذكور.

٢: كناية عن العلماء فهم نواب الشريعة، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

ولما طلب السلطان أعيان الفقهاء للارتياد بعد جلال الدين لم يفصل رأياً حتى حضر الشيخ، وأخذ رأيه، وكان هو المعظَّم في ذلك المجلس، والمقدَّم عند السلطان على ذلك الجمع الجمّ.

ثم إن السلطان أمسك ابن صورة(١)، وكان على نظر الأهراء السلطانية(٢)،

١ : **ابن صورة**: هو أبو الفتوح ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري، المعروف بابن صورة. وكان سمساراً في الكتب بمصر، وله في ذلك حظ كبير، وكان يجلس في دهليز داره لذلك، ويجتمع عنده في يوم الأحد والأربعاء أعيان الرؤساء والفضلاء، ويعرض عليهم الكتب التي تباع. **انظر**: وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ١٩٧ .

٢ : **الأهراء السلطانية**: هي الأماكن التي تخزن بها الغلال والأتبان الخاصة بالسلطان احتياطاً للطوارئ الاقتصادية، وكانت لا تفتح إلا عند الضرورة، وتقابل اليوم صوامع الغلال والحبوب. وكان لخاص السلطان أيضاً شُوَن، وهذه يوضع بها ما يستهلك طوال السنة من الغلال والأحطاب والأتبان، وما أشبه ذلك.

ويصف المقريزي "الأهراء السلطانية" في زمن الخلفاء الفاطميين فيقول: " وكانت أهراء الغلال السلطانية في دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التي فيها الآن خزانة شمائل، وما وراءها إلى أقرب حارة الوزيرية" . قال ابن الطوير: وأما الأهراء فإنها كانت في عدة أماكن بالقاهرة، هي اليوم اصطبلات ومناخات وكانت تحتوي على ثلاثمائة ألف أردب من الغلات، وأكثر من ذلك. وكان فيها مخازن يسمى أحدهما بغدادي، وآخر الفول، وآخر القرافة، ولها الحماة من الأمراء والمشارفين من العدول، والمراكب تصل إليها بأصناف الغلات إلى ساحل مصر، وساحل المقس، والحمالون يحملون ذلك إليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية وأكثر ذلك من الوجه القبلي، ومنها إطلاق الأقوات لأرباب الرتب، والخدم، وأرباب الصدقات، وأرباب الجوامع والمساجد، وجرايات العبيد السودان بتعريفات. ومنها ما ينفق في الطواحين برسم خاص الخليفة، وهي طواحين مدارها سفل وطواحينها علو، حتى لا تقارب زبل الدواب، ويحمل دقيقها للخاص، وما يختص بالجهات في خرائط شقق حلبية. ومن الأهراء تخرج رجال الأسطول وجرايات السودان، ومنها ما يستدعى من الضيافة لأخباز الرسل ومن يتبعهم، وما يعمل من القمح برسم الكعك لزاد الأسطول" .

انظر: ابن شاهين زبدة كشف الممالك ص ١٢٢ – ١٢٣، والمقريزي الخطط ١ / ٤٤٦، والقلقشندي ٤ / ٣٣، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٣٤٢، ومعجم دهمان ٢٥ .

وكان الشيخ مزوّجاً بابنته، وكان قد اتُّهم بأخذ مالٍ جليلٍ للسلطان، وقد أمسكه السلطان وشدَّد عليه في الطلب. فأتى الشيخ بنفسه إلى قوصون بسببه، فاعتذر إليه، وقال: هذه ساعة غضب السلطان، ما أقدر أكلِّمه فيها!.

فقال له الشيخ: أنا أتحدَّث مع السلطان. ثم أتاه وطلب الإذن عليه، فدخل فلما رآه وقف له، أكرمه، وأجلسه إلى جانبه، وقال له: في خيرٍ؟، ما جاء الشيخ إلا في حاجة؟!.

فقال له: نعم!. قال: ما هي؟. قال: ابن صورة.

قال: خذه، والله! ما أقدر أردك، ولولاك لكان له حالٌ آخر. فخرج الشيخ فأخذه وانصرف.

قلت: وهو اليوم في مصر لإقراء أنواع العلوم الشرعية والعقلية، وعلم المعاني والبيان، والنحو والعربية، والإفتاء، وإفادة الطلبة، والإذن لنبهاء الفقهاء بالإفتاء، وإنشاء أهل العلم والتحصيل، حتى كثر عدد العلماء، واخضرَّ به قلم الإفتاء، ولولاه لجفَّ بموت من مات من العلماء، لأنه أذن لجماعة بمصر والشام وحلب، وتضرَّم به وقود الأذهان والتهب.

وهو ممن قرأت عليه أصول الفقه، وعلم المعاني، والبيان. وممن أذن لي وأحسن، وجاد بما أمكن.

ولما رحل صاحبنا الشيخ الإمام الفاضل بدر الدين أبو عبد الله محمد الشبلي الحنفي[1] إلى الديار المصرية، كتبت إليه بسببه كتاباً نسخته:-

---

١ :**محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي**، أبو عبد الله، بدر الدين، ابن تقي الدين: من فقهاء الحنفية، ولد بدمشق سنة ٧١٢هجرية، وكان أبوه "قيِّم الشبلية" فيها، ورحل إلى القاهرة، وولي قضاء طرابلس الشام سنة ٧٥٥هجرية، واستمر في القضاء إلى أن توفي بها. وفي الدرر: قال ابن حبيب: كان يتثبت في أحكامه، ويحقق ما يبديه على ألسنة أقلامه، ويرابط في السواحل، ويلبس=

"الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى – ومنهم واحد الدهر وكفى–.

سيدنا ومولانا، ومبصّرنا بمصالح آخرتنا وأولانا، ومتحفنا بما يقصِّر منه عن شكرنا أولانا: السيد العالم الرباني(1)، المكمِّل لنقائص الصور والمعاني، المسلِّك(2) على الطريقة، والمملك لأزمَّة الحقيقة، قطب الأولياء(3)، وارث الأنبياء، الإمام المجتهد المطلق، والبحر الزيد المطبق، الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والساعي يبلغ من مصالح الأمة في أدنى يوم ما يعجز في سنة، الحجة الواضحة، والمحجَّة اللائحة، آخر المجتهدين، شمس الدنيا والدين، معلم المتكلِّمين، إمام المتأخرين والمتقدمين: [البسيط]

سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملء المسامع والأفواه والمقل(4)

لا زالت البصائر به منوّرة، والحدائق بسحبه منورة، والحقائق بعلمه

=السلاح ويقاتل، وكان ذا محاضرة مفيدة، ومنظوم ومنثور". من كتبه: آكام المرجان في أحكام الجان، وتثقيف الألسنة بتعريف الأزمنة، توفي سنة 769هجرية.

انظر ترجمته في: الدرر الكامنة 3/487، والأعلام للزركلي 6/234، ومعجم المطبوعات 2/1101.

1: **العالم الربّاني**: وهو في اللغة العارف بالله تعالى، وتفسره الآية الكريمة: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّين﴾، وهو من ألقاب سادتنا الصوفية نفعنا الله بهم، وأهل الصلاح، كما يلقَّب به العلماء، فكان يقال: "العالم الرباني".

2: **المسلِّك**: اسم فاعل من تسليك الطريق، وهو تعريفها، والمراد: تعريف المريدين الطريق إلى الله تعالى وإدخالهم فيها، وهو من ألقاب سادتنا الصوفية نفعنا الله بهم، وكان يستعمل أحياناً مضافاً إلى ياء النسب. انظر: صبح الأعشى للقلقشندي 6/28، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى 311.

3: قطب الأولياء: جمع ولي، والمقصود أولياء الله تعالى من أهل الصلاح – نفعنا الله بهم في الدارين آمين –.

4: البيت لابن شرف الجزامي القيرواني الأديب الكاتب الشاعر واسه محمد بن أبي سعيد محمد، في قصيدة يمدح بها شيخه أبا الحسن علي بن أبي الرجال.

مصورة،والشرائع بذَبِّه[١] عن حوزتها مسوَّرة[٢]، والبحار الزواخر في مغيض صدره مغوّرة، وشمس السماء بضياء شمسه مكوّرة،وأرض القدماء لدى رياضه اليانعة مبوّرة[٣]،ومنابت الخط إذا نظرت إلى ميامن قلمه تشاءمت بكعاب رماحه المدورة، ودول الأيام تسعد بخيالات أيامه المطوَّرة، ولا برحت السيوف تعنو لهممه والسيوف تعزو النفع إلى كرمه، ولا فتيء فتي الدهر وشيخ أبنائه، ولا انفكَّ أنف كل معاند راغماً بسارِّ أنبائه، ولا كان مكان فوق فرق الفرقد[٤] إلا دون أدنى بنائه، حتى يلتحق بالزمرة السعداء، ويلقى الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، خدم بها المملوك على قصوره وخضوع أبياته التي كان يتطاول بها في العلياء إلى شوامخ قصوره، مذكِّراً بعبودية قديمة، لا يزال لها في كل حين بارقة على إطلاله. وقائلة[٥] في ظلاله، وحائمة على زلاله، ومتشوِّقة في آفاق الأقمار إلى مطلع هلاله، وملتفة إلى ما يغضّ الأبصار من بديع جلاله، مع وثوقه بأنه إن أغبَّ[٦]بتذكاره أو غاب، لا يلوي لحظه من سيده مطال[٧] مطالب، ولا يغير عوائد تعوده وراب آرب، ولا يبرح له ذاكراً لا ينساه، ومؤانس له والدهر قليل المواساة، إلا صفوة إخوان بهم يبل الرمق، وقليلٌ ما هم، ويقل القلق وهو كثير لولا هم، ومنهم السيد الأخ العزيز، الشيخ الجليل،

---

١ : **أي**: بدفاعه عنها.

٢ : **مسوَّرة**: أي محاطة بسور وسياج من غيرته عليها ودفاعه عن حماها.

٣ : **مبوّرة**: أي بائرة خاسرة أمام رياضه.

٤ : **الفرقد**: مفرد "فرقدان" وهما نجمان قريبان من القطب. قاله في لسان العرب.

٥ : **قائلة**: من القيلولة.

٦ : **أغبَّ**: أي ذكره غبّاً أي مرة ومرة.

٧ : **المطال**: المطل، وهو المماطلة والتأخر كما هو في رد الدين.

الإمام، العالم، الفاضل، الفقيه، المحدِّث، المفنّن، مجموع الفضائل، فلان الماثل على حضرته المشرفة بها، والخائض إليها ظُلَم الليالي لا يبالي بجنح غيهبها[1]، وهو على ما هو عليه من التحلي بالوفاء في الزمان الغادر، والاتصاف بالصفاء في وقت يبدو فيه الكدر، وأوله ما يبدو من الشفق المحمر في لج الصباح الزاخر، من ذوي الفضل المتعدِّد، والعلم المتجدِّد، والذهن الساطع، والرأي الصائب القاطع، واليد التي لم تقصر به في التصنيف، ولم تعذر بسببه فيها تهب المسامع التشنيف، هذا إلى ذهن شفَّت سرائره، وعرفت أمائره[2]، وتقىً صلحت مضغة قلبه لتصلح سائره، وقد أمَّ الآن الديار المصرية المحروسة التي هي الآن فلك شمسه وحضرة قدسه، وموضع ثمار العلماء من غرسه، وقد حمل ظمأه إلى بحره، وشقَّ ظلمه إلى فجره، وجاب الفيافي في طلب العلم لديه، واشتمل ذيول الفجاج لحصول الأشمال عليه، وله أسوة بالعلماء الذين امتدت شمسه النيِّرة نجومهم، وقدحت مشكاته المضيئة فهومَهم، وأمطرت سحبه الرويّة علومَهم، وأطلق إذنه الشريف قلم فتاويهم، وشرف قدره المنيف لهمم معاليهم، ورعى إحسانه المطيف ذمم قصدهم، يقتحمون مناحل أيامهم، وجحافل لياليهم، وهو وإن لم يكن أظهر منهم استحقاقاً، وأكثر لإحراز الفوائد استراقاً، فما هو بدون جماعتهم، لا بأضعفهم طاقة عن جهة استطاعتهم، والمملوك ممن يثني بين يدي مولانا عليه باستحقاقه، ويصفه بما لا يقدر أحدٌ فيه على شقاقه، وسيظهر له ما يزكي شهادة المملوك في الثناء على فضله والشكر له، وإن لم يكن المملوك من رجال هذا المقام، ولا من أهله، وإن لم يكن:

---

١ : **الغيهب**: الظُّلمة.

٢ : أي أماراته، وهي علاماته.

فقف وقفة قدامه تتعلَّم[١]

وفي هذا كفاية ومقنع، وغاية وممتع، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، انتهى.

وكنت كتبت على يده نسخة إذن له بالإفتاء، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع أقدار العلماء، ونقع بورد الشرائع غلل الظلماء، ورفع بصباح الحق المنير دجى الظلماء، ونصب أعلام الأئمة ليهتدى بهم كنجوم السماء.

نحمده على نعمه التي زينت بمجالس العلماء المعابد، وبيَّنت فضل العلم إذ كان العالم الواحد أشد على الشيطان من ألف عابد.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تهتزُّ بها الأقلام، وتعتزُّ ألوية الأئمة الأعلام، وتبتزُّ بأيدي حماتها حملة العلم ضوال الإسلام.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، الذي هدى به من الأضاليل، وحمى من الأباطيل، وفضَّله على الأنبياء، وجعل علماء أمته كأنبياء بني إسرائيل[٢].

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الهدى، وأزمَّة الندى، وتتمة كل خير يبتدأ، صلاة متصلة لا تنتهي إلى مدى، وسلم تسليماً كثيرا. وبعد:

فلما كان مراد العلم أخصب ما انتجع، وزمان الطلب أحق ما يبكى على

---

١ : عجز بيت من قصيدة للمتنبي تمامه:

إذا منعت منك السياسة نفسها فقف وقفة قدَّامه تتعلم

انظر: ديوان المتنبي ٤ /٢٦٧ .

٢ : سبق تخريج حديث "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل".

فائته لو ارتجع، وهو الذي تشدُّ إليه الرحال، وتَجُدُّ إليه الرجال، وتمتطي إليه الهمم، ويخاض الليل وقتير الصباح ما دبَّ في سواد اللمم، وتركب إليه الرياح، وتتخطى إليه الرماح، ولم يزل أهل الطلب تفارق فيه الكرى[١]، وتشمّر الأهداب للسرى، وتنهض وقد أقعد الحرمان أكثر الورى، وتجول في طلبه الآفاق، وتجوب البلاد والنجوم في اللحاق، وتتفاوت في هذا ومثله رتب الطلب، وتتباين قصب العلم والطرب، ولأهل الحديث الشريف النبوي – زاده الله شرفاً – في هذا الوسع مجال، وأنجع[٢] ركائب تأتي عليها رجال عجال، ويزداد في توسع ذيل الارتحال، وتوسيع أردية الأصل قبل حط الرجال، من تفقّه في الدين وتنبه وما له خدين[٣]، واشتغل بمذهب أول الأئمة الإمام أبي حنيفة – رضي الله عنه – حتى ودَّ شقيق الشفق لو نسب إلى نعمانه، ورفيق أول السلف لو تأخَّر إلى زمانه، وظهر من فضائله ما وضح وضوح النهار، وأظهر فضوح البحر وفي قلبه النار، وجدَّل الأقران لما ناظر، وعلّل السَّبب في رقة النسيم بلطائفه لما حاضر، وتفتّح في هذا المذهب المذهب، وأذكى ضرام فهمه فيه فكاد يتلهَّب، من دلَّه علمه على أن : " طلب العلم فريضة على كل مسلم "[٤]، وسبب السفور لجلاء كل مظلم، إذ كان العلم هو الذي يتماثل في وجوب طلبه المسلمون،

---

١ : **الكرى**: النوم.

٢ : **أنجع** : أي أفلح.

٣ : **الخدين**: الصاحب.

٤ : حديث : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " : رواه ابن عدي، والبيهقي، عن أنس. والطبراني في الصغير، والخطيب عن الحسين بن علي، والطبراني في الأوسط عن ابن عباس، وتمام عن ابن عمر، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود، والخطيب عن علي، والطبراني في الأوسط والبيهقي عن أبي سعيد الخدري. ورمز السيوطي لصحته.

انظر : الجامع الصغير ٢ /٩٧ الحديث رقم ٥٢٦٤ .

ويتفاضل في علوّ رتبه من قرأ: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

وفي الحديث: (العلماء ورثة الأنبياء)[٢].

وقد جاء: (من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين)[٣].

وقال بعض السلف لرجل قال له: إلى متى يحسن بي التعلم؟.

قال: ما حسنت بك الحياة.

وطالب العلم نَهِمٌ لا يشبع، ومغتنمٌ لا يقنع، وإناءٌ لا يمتلئ، ومجتهدٌ لا يأتلي، فلما أخذ عن علماء بلده، ونقع بما منهله الغدير ولم يغترف غرفة بيده، لم يجد ذلك وإن كان البحر الزاخر ناقعاً[٤] لأوامه[٥]، ولا ذلك الخصب الممتد وإن أمرى نافعاً لسوامه، ورأى أن تلك الرحاب الفساح في الطلب لا تسعه، وأن تلك المُدد الطوال التي قضاها في التحصيل لا تقنعه، فأمَّ مصر - حرسها الله تعالى - حيث هي المصر[٦] الجامع، والأفق الذي تزينه من علمائه النجوم الطوالع. وأتى لا يريد إلا العلم ولقاء أهله، والزيادة منه لو وجد مزيداً في

١ : سورة الزمر - الآية ٩ .

٢ : حديث: " العلماء ورثة الأنبياء تحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا يوم القيامة" رواه ابن النجار بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورمز السيوطي لضعفه .
انظر: الجامع الصغير ٢/١٥٣ الحديث رقم ٥٧٠٥.

٣ : حديث: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" رواه الشيخان والإمام أحمد عن سيدنا معاوية، والإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه.
انظر: الجامع الصغير ٢/٥٦٦ الحديث رقم ٩١٠٣ .

٤ : **ناقع**: أي قاطع لعطشه.

٥ : **الأوام**: العطش، أو حرّه. القاموس مادة أوم.

٦ : **المصر**: أي القطر والبلد.

فضله. فلم يدع غماماً يستسقى ولا إماماً عن مثله يتلقّى، ولا من يمتاح[1] له من قليب[2]، ولا من يرتاح إليه على بعد فكيف والمزار قريب، حتى كادت ركائبه لا تنهض بما أوسقت[3]، وسحائبه لا تبيض بما سقت، وكان "فلان" هو الذي استفاد وأفاد، وانتقى واستزاد، وضاهى في طلب العلم سري[4] الغمام، وباهى البدور الكوامل وزاد في التمام. الذي اقتحم الدجى لا ترهبه الأسنَّة[5]، ولافح الرياح لا تزاحمه الأعنَّة[6]، وفهم التنزيل فسكنت نفسه المطمئنة، وعلم الحديث فسلك به طريقاً إلى العلم ليسلك الله له به طريقاً إلى الجنة[7].

طالما رفعت أعلام الدين بجداله الذي يمنع، وخضعت رؤوس الخصوم بجلاده الذي لا يمنع، ووضعت الملائكة أجنحتها له لأنه طالب علم رضىً بما يصنع[8]. وهو ممن حصَّل من كلِّ علمٍ غاية أو طرفاً، وحلَّ كل علاً وتبوأ غُرَفا، وأجاد في

١ : **يمتاح**: أي ينزع، ويخرج.

٢ : **القليب**: البئر.

٣ : **أوسقت**: يقال: أوسق البعير: حمَّله حِمله.

٤ : **سري الغمام**: أي: السحاب المرتفع العالي.

٥ : **الأسنَّة**: أي الرماح.

٦ : **الأعنَّة**: جمع عنان، وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة.

٧ : إشارة إلى الحديث الشريف عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة). رواه الترمذي في سننه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه.
انظر: الجامع الصغير ٢/٥٢٧ الحديث رقم ٨٧٥٦.

٨ : إشارة إلى الحديث الشريف عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع) قال العراقي أخرجه الإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم، وصححه من حديث صفوان بن عسال، وهذا اللفظ لأحمد.
انظر: إتحاف السادة المتقين للسيد المرتضى ١/١٤٥ ط دار الكتب العلمية.

علم الفقه وتوجيهه، وعلم تشعُّب طرقه ووجوهه، وعرف فيه وجوه الاختلاف ووجوب الائتلاف، ووجود المقتضي للترجيح، والمرتضى فيما يفتي به على الصحيح، ومن أين استنبطت الأدلَّة، وعرف المعلول والعلَّة. وتردَّد إليَّ، وقرأ عليَّ، وبحث مع أفاضل العلماء لديَّ، وناظر بحضوري أماثل الفقهاء، فملأ أذنيَّ، وتكرر حضوره عندي، وظهر لي من مدده السحابي أن محلته لا تكدي. ورأيته أهلاً للإفتاء[١] والتدريس، والتصدير[٢]، وولاية المدارس، وغير ذلك، مما ينافس فيه من هذه الرتب العليَّة المنافس.

وقد استخرت الله، وأذنت له أن يطلق قلمه بالإفتاء، ويلحق بشأو[٣] الكهول في سن الفتاء[٤]، وأن يرشد الضُّلّال ويرشف من قلمه الزلال، ويتصدَّر لإشغال الطلبة ونشر الفقه على ما يوافق في النصِّ والقياس مذهبه، واقفاً فيما يفتي به عند الصحيح الراجح والحق الواضح، والذي عليه نص مذهب إمامه الإمام أبي حنيفة – رضي الله عنه – ، وأصحابه مما عليه الفتوى، وعلى ما ترشد إليه.

ومما أوصيه به من التقوى متيقناً أنه – أطال الله عمره – يموت ويبقى ما كتبت يداه، وأن الفتيا إذا خرجت من يده ربما وقعت في أيدي عداه. ثم إن الله سيسأله عما كتب، فليعدَّ قبل أن يجيب على الفتوى الجواب، وليعد النظر مما

---

١ : **الإفتاء**: وظيفة جليلة لصاحبها مجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة: ويجلس معهم السلطان لفصل الخصومات والإفتاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل. انظر: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٣٧ .

٢ : **التصدير** : كلمة ترد بمعنى التدريس، أي: يتصدر المدرس مجلساً ي المسجد ليدرِّس الطلبة. انظر: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي للمرحوم محمد أحمد دهمان – ص ٤٥ .

٣ : **الشَّأو**: السبق،والغاية، والأمد.

٤ : **الفتاء**: الفتوة.

يكتب به فمن أعاد النظر لم يعدم الصواب. والله تعالى يمدّ له أجلاً يسري به في ليل الشبيبة حتى يرى صباح المشيب، ومهَلاً لا تجف لأنديته ضرع ندي، ولا يخمد لهيب، وأن يبقيه خَلَفاً في الإسلام، وما ذلك من عوائد كرم الله بعجيب، والمسؤول من الله أن يوفِّق ولاة الأمور – أعزَّهم الله بعزِّ طاعته، وصرف كلاًّ منهم في الخير وسع استطاعته – لإعلاء قدره، واستجلاء بدره، واستملاء ما يكنُّه من العلم الجمِّ في صدره، وأن يكثروا به في هذا الزمان عدد الفضل القليل، ويأثروا منه الأثر الجميل، ويقدموا منه مستحقاً لو أجالوا الفكر لم يجدوا مثله في هذا الجيل، ليصلوا به حبلاً لولا مثل هذا في كل أوان لانقرض، ويقيموا بنياناً لولا شبه هذا في كل مكان لانتقض[١]، وينظروا لآخر الأمة في مدّ مدد العلم الذي لولا بقية العلماء – وهذا منهم – لم يخض".

فلما وصلت إليه تلقَّاها بالقبول، وكتبها بخطه إذناً له بالفتوى، وكتب إليَّ جوابه؛ فأجبته بما صورته:

"يقبِّل الباسط[٢] الأشرف[٣]، الطاهر[٤]، الزكيّ[٥]، المولويُّ، السيدي،

---

١ : **انتقض**: أي: انهدَّ واندثر.

٢ : **الباسط**: فاعل من "البسط" والمراد: بسط الكف بالبذل والعطاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ البسط﴾، "سورة الإسراء – الآية ٢٩"، وكان يستعمل كلقب أصل، ولم يكن يرد في مراسم التعيين ولكنه كان يختص بالمكاتبات لا سيما إذا عبر فيها عن رغبة المكاتب في تقبيل اليد، وكان يطلق على العسكريين والمدنيين على السواء، ويقال فيه: الباسط الشريف العالي، و الباسط الكريم العالي. انظر: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٦٠.

٣ : **الأشرف**: أفعل تفضيل، وهي أرفع من شريف، وهو يتفرع على أعلى الألقاب الأصول، وكان هذا اللقب رفيع القدر في عصر المماليك حيث تلقَّب به كثير من سلاطينهم. "المصدر السابق ص٣٣".

٤ : **الطاهر**: لقب يغلب إطلاقه على آل النبي صلى الله عليه وسلم ومن هنا كان يطلق على الشيعة ولا سيما في العصر الفاطمي. "المصدر السابق – ص ٢٢٧".

٥ : **الزكي**: من ألقاب المتدينين خصوصاً إذا كانوا من أرباب الأقلام، وقد يقال: التقي الزكي.=

الإمـامـيُّ، العـلاَّمي، العـامـليُّ(١)، الفـريديُّ(٢)، الأوحـديُّ(٣)، الحـجِّيُّ(٤)، المسلِّكيُّ(٥)، المخدوميُّ(٦)، الشيخيُّ، الشمسيُّ، علم الأعلام(٧)، شيخ مشايخ

=انظر: المصدر السابق – ١٧١".

١ : **العاملي**: من ألقاب أهل الصلاح، والمراد العامل بعلمه، أو من يعمل عملاً صالحاً، ونظراً إلى أنه كان يشير إلى التحقيق العملي للعلم المحصَّل كان في معظم الأحيان يلحق بلقب العالم، فيقال: العالم العامل، في حالة السلاطين، والعالم العاملي في حالة غيرهم من كبار رجال الدولة. انظر: المصدر السابق نفسه – ص ٢٤٠.

٢ : **الفريدي**: المنفرد بما لم يشاركه فيه غيره، وهو من ألقاب أكابر العلماء واستعمل مضافاً إلى ياء النسب، وأصله "الفريد". انظر: صبح الأعشى ٦/٢٢، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٢٦٢.

٣ : **الأوحدي**: "الأوحد": من الألقاب السلطانية وأطلق على أرباب الأقلام، ويشير اللقب إلى أن صاحبه في درجة رفيعة بالنسبة لأفراد الطائفة التي ينتمي إليها، وذلك يرجع إلى معنى الانفراد فيه، وهذا مع العلم أنه كان يطلق على صغار الكتَّاب الذين لا تثبت " الياء " في ألقابهم، والأوحدي: نسبة إليه للمبالغة. انظر: صبح الأعشى ٦/١٠–١١، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى – ص ٥٣.

٤ : **الحجِّيُّ**: بضم الحاء وكسر الجيم المشدَّدة، وفي الآخر ياء النسبة: من ألقاب أكابر القضاة والعلماء، وهومنسوب إلى الحجة بحذف تاء التأنيث منه على قاعدة النسب كما تحذف من طلحة ونحوه. **انظر**: صبح الأعشى ٦/١٣، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى – ص ١٠٢.

٥ : **المسلِّكيُّ**: اسم فاعل من تسليك الطريق، وهو تعريفها، والمراد تعريف المريدين الطريق إلى الله تعالى وإدخالهم فيها، وهو من ألقاب سادتنا الصوفية – نفعنا بهم وأمدنا بإمداداتهم – وكان يستعمل أحياناً مضافاً إلى ياء النسب كما هنا. انظر: صبح الأعشى ٦/٢٨.

٦ : **المخدومي**: من الألقاب الرفيعة، إذ إنه يشير إلى أن الملقب في درجة تؤهِّله لأن يكون مخدوماً لعلوِّ رتبته وسمو محلِّه. انظر: صبح الأعشى ٦/٢٧.

٧ : **علم الأعلام**: من ألقاب العلماء والصلحاء ويصلح للعسكريين كذلك. انظر: صبح الأعشى٦/٦٠.

الإسلام[١]، مفيد[٢] أهل مصر والعراق والشام، فرد الوجود[٣]، ورد الجود، منشئ العلماء والمفتين، إمام المتكلِّمين[٤]، سيف الحق[٥]، ملجأ الخلق، جامع الطرق[٦]، شمس الأفق[٧]، ولي أمير المؤمنين[٨]، لا زالت الأيام رافلة في حبره، والأقلام ناقلة لخبره، والأعلام الشوامخ، متضائلة لدى كبره، والكرام تعترف بفضله الذي تعدّ معه عبرة الغمام من عِبَره، والأحكام لا تطبع حديد مواضيها

---

١ : **شيخ الإسلام**: من الألقاب المركبة ، واللقب من ألقاب كبار العلماء ، وقد اشتهر به كثيرون، في القديم والحديث، منهم من لقّب به عن جدارة وعلم وفضل ، ومنهم من حمله زوراً وبهتاناً أطلقه عليه أتباعه ليشهروه.

٢ : **المفيد** : اسم فاعل من الإفادة، وهي إنالة الشخص ما لم يكن حاصلاً عنده، واللقب من ألقاب العلماء، والمفيدي : نسبة إليه للمبالغة. انظر : صبح الأعشى ٦ / ٢٩ .

٣ : **فرد الوجود**: من ألقاب العلماء وأهل الصلاح. انظر: صبح الأعشى ٦ /٦٣ .

٤ : **إمام المتكلِّمين**: من ألقاب العلماء، وهو بأهل المعقول أليق، لإطلاق علم الكلام على أصول الدين، وإنما سمي بذلك لأنه لما وقع القول بخلق القرآن في صدر الإسلام ممن وقع ، كثر الكلام والخوض في ذلك فأطلق على أصول الدين علم الكلام، وبقي علماً عليه. انظر: صبح الأعشى ٦ /٣٨ .

٥ : **سيف الحق**: من ألقاب العلماء وأهل النظر. انظر: صبح الأعشى ٦ /٥٥ .

٦ : **جامع الطرق**: من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وقد يقال: " جامع طرق الصوفية" ويصلح أن يكون من ألقاب الصلحاء أيضاً. انظر: صبح الأعشى ٦ /٤٢، و ١٤٧ . والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى :٨١ .

٧ : **شمس الأفق**: من ألقاب أكابر الأقلام، واللقب أكثر اختصاصاً بالعلماء، وأصل الأفق الناحية، ومنه قيل للنواحي: آفاق، وخصت الشمس هنا بالإضافة للأفق لأنها عند شروقها تكون في النظر أعظم صورة. انظر: صبح الأعشى ٦ /٥٦، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٢٠٤ .

٨ : **ولي أمير المؤمنين**: الولي في اللغة خلاف العدو، وقد عرف هذا اللقب منذ أواخر القرن الرابع الهجري، حيث كان يطلق على "محمود الغزنوي" لقب: قسيم ولي أمير المؤمنين" وقد أطلق هذا اللقب في الدولة الأيوبية على كبراء الدولة من الكتَّاب، وفي أواخر المماليك البحرية أطلق على الوزراء والقضاة والعلماء ومن في معناهم، وكان من أعلى الألقاب المضافة إلى "أمير المؤمنين" . انظر: صبح الأعشى ٦ /٧٤، و١٠٩، و٧ /٢٠، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٣٦٢ .

إلا من زُبَره(١) ، والسهام لا تقطع آراؤها الصائبة قطع سيوفه، ولا تحزّ حزّ إبره، تقبيلاً يؤدي حقَّ شكره، ويوفي بعض نذره، ويولي القبل قبلة إحسانه، ويوصي بنيه بأداء ما في ذمَّته وفرضه، وعجز عن ذكره بلسانه، وينهي ورود المثال العالي، فقام المملوك له ووقف على قدمه،ووقف لديه معرضاً لخدمه، ونظر إليه فبهت، وحاول شكر أدنى معروفه فصمت، واستظلَّ بظل غمامته، واستقلَّ سروراً بسلامته، واستقبل الدهر برفع ملامته، وتأمل كرمه ومدَّ يده إلى مدامته، وأفضى منه إلى فضاءٍ ملؤه الكرم، ورسيله البحر وتلوه الدِّيَم(٢)، فترامى المملوك عليه، وكرع في غدير تلك الصحيفة وأمِن به، وقد أوجس(٣) البرق في نفسه خيفة، وبايع مؤديه الرشيد لما رأى لمهدي مهديِّهِ خليفة، وقلب وجهه في سماء ذلك السماح، وقلبه في سراء تلك المواهب التي لو جاراها البحر قالت له : إياك والطِّماح(٤) ، وجبنه في نعماء تلك النعم التي خطت إليها الرياح وتخطَّت الرماح، واستبق مضمونه، ولسان محضره في وصف ندي عهده وكرم لم يزل يعد منه يداً مجدده، وهدىً فرق به النحر لما أبصر فرقده، ومعروف ما برحت تعرف به الأعلام، وتصرف بالفتاوى الأقلام، وتشرف القبل بالتهاوي إلى مواطن الأقدام، وتلك صدقات مولانا التي شملت من شهد علمه الشريف باستحقاقه، ولهذا أطلق فيه رسن قلمه، ونبَّه له، وسن طرفه من حلمه، وأذن له في الإفتاء الذي آن لأن يشرق في أفقه بدره الطالع، ويشرق(٥) بغصص حدِّه

١ : **الزُبَر**: قطع الحديد.

٢ : **الدِّيَم**: جمع دِيَمَة، وهي السحابة.

٣ : **الوجس**: كالوعد، الفزع يقع في القلب أو السمع من صوت وغيره.

٤ : **الطِّماح**: أي الجماح.

٥ : **يشرق**: من قولهم شرق إذا غصَّ.

عدوه الطامع، فجاء مسروراً من كريم جنابه، محبوراً بإحسانه بعد أن حظي بالمثول في فنائه الرحيب، وأحسن عن المملوك في منابه المولى الشيخ الفقيه، الإمام العالم، الكامل الفاضل، الحافظ المحدِّث، المتقن المتفنِّن، العلامة، أوحد العلماء، جمال أهل الإفتاء[١]، فخر المحدِّثين[٢]، شمس العصر، بدر الدين الشبلي – زاده الله فضلاً – ولَلَّه[٣] هو من مستحق قدم مولانا منه إماما، وأمطر طلبه العلم به غماما، وناوله قلم الإفتاء وكثر عدد العلماء به وقد قلُّوا، وأرشد السواد الأعظم ببدره الطالع، ولولاه لضلُّوا، وأهَّل الصدور التصدير منه من مطويِّ علمه المحاريب إحناء ضلوعها، وتجري السماء إذ لم تر مثله أعين دموعها، ووصل ووصف وأراه ما كساه فما ظن إلا أنه عليه من ورق الجنة قد خصف، وذكر وشكر، وما جاء إلا بالمعنى المتداول مما أجمع الناس عليه من إحسان مولانا وهو يظن أنه قد ابتكر، وقال وقال، وهيهات أن تبلغ البلاغة أو تحيط الفكر، وناول المملوك المثال العالي[٤] الذي لا مثال له إلا ما كتبه كاتب اليمين، وذهَّبه موقد جمر الشَّفق وكابت به الدر الثمين، وقبَّله وسابق نهب اللاثمين، وحلا بما

---

١ : **جمال أهل الإفتاء**: من ألقاب أكابر العلماء. انظر: صبح الأعشى ٦ / ٤٣، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٨٧ .

٢ : **فخر المحدِّثين**: من ألقاب أهل الحديث. انظر: صبح الأعشى ٦ / ٦٣، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٢٦٠ .

٣ : قسم بالله، واللام هنا لام القسم.

٤ : **المثال**: وهو أول ما كان يكتب من الأوراق الرسمية إيذاناً بإعطاء أحد المماليك إقطاعاً من الإقطاعات الخالية، وكان المثال يخرج من ديوان الجيش، ويقدمه ناظر هذا الديوان إلى السلطان أثناء جلوسه بدار العدل، فإذا شمله السلطان بالموافقة أرسله ناظر ديوان النظر لتسجيله وحفظه ويكتب بذلك مربعة فيها اسم المعين على الإقطاع ورتبته، وغير ذلك من التفصيلات اللازمة، ثم ترسل المربعة إلى ديوان الإنشاء فيكتب كاتب السر بمقتضاها منشور الإقطاع، ويتخذ هذا المنشور الآخر أدوار تلك العملية.

انظر : صبح الأعشى ١٣ / ١٥٣–١٥٥، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٢٩٦–٢٩٧ .

تضمَّنه وإذا بالبحار الزواخر والرياض الزواهر ، والسُّحب إلا أنها سُحُب نيسان التي تولد الجواهر، واللهَ اللهَ في مسامحة المملوك في قصور هذا التمثيل، وفتور هذا التشبيه الذي كم له مثيل لشيء ما له مثيل، ولقد وقع هذا الإحسان بموقع من المملوك، وعمّ سائر القلوب وعدّ فضل النعم به إلا أنه غير محسوب، وأرى المملوك زمان مثوله بين يدي سيده حيث المزار قريب، والزمان عزّ ولولا هذا لم يكن صنعه الميل بغريب، ولقد رام المذكور على طلاقة لسنه، وامتداد رسنه، وقدرته على الكلام وكثرة حسنه، أن يعرّف المملوك بما أولاه من مِنَنِه المنوعة فما قدر ولا زاد على أنه اعترف أنه لا يطيق واعتذر، وهاهو الآن قد تصدَّى لما أخذ عن مولانا علمه ، وحرَّك له عزمه، وأحيا الله به موات أموات هذا المذهب، واستعاد فوات ما لو لم يدرك مولانا بقية آخر رمقه بهذا ومثله من العلماء لكاد أن يذهب.

وألسنة أهل دمشق كلها بالأدعية لمولانا موليهم هذه النعمة بسببه ناطقة، وبضائع صنائع مولانا في سوق شكرهم نافقة. والمملوك عنهم المترجم، ولإدلاله قد طال ويقبِّل تقبيل المتهجِّم، والمملوك يستعرض المراسم العالية التي هو طوالع السعود لا ما يدَّعيه المنجِّم، لا رحت طَلَبَته مثرية المطالب، مورية الهدى في الغياهب[١]، مجرية الأقلام بالإفتاء، وفي آثارها ولا يلحق زمن الكواكب" .

١ : **الغياهب**: جمع "غيهب" وهو الظلمة.

ومن فلاسفة المغاربة، وحكمائها، ومتكلميها ممن كان بالأندلس:

٣٨- يحيى بنُ يحيى، أبو بكر، المعروف بابن السَّمِينَة *

من أهل قرطبة(١). أتقن العلم والحساب، وعلم التصور والاكتساب، وعانق الصبر والاحتساب، وعانى مهمَّ الفنِّ حتى أوتي أجره بغير حساب، فمات، وآخر الحياة الموت، ونهاية الدرك الفوت، بعد خيرات أثرها، ومبرَّات بقيت، وقد أكلت الأيام مؤثِّرها، وعملٍ صالحٍ بلا اكتراث، وعلم نافع يبقى إذا انقطع عمل ابن آدم إلا من ثلاث(٢)

قال ابن أبي أصيبعة(٣): " قال القاضي صاعد(٤): إنه كان بصيراً بالحساب، والنجوم، والطب، متصرِّفاً في العلوم، متفنِّناً في المعارف، بارعاً في [علم النحو](٥) واللغة والعروض، ومعاني الشعر، والفقه، والحديث، والأخبار، والجدل، ورحل إلى المشرق ثم انصرف".

---

*(ت ٣١٥هـ) ينظر ترجمته في: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٢ / ١٨٥-١٨٦ - رقم ١٥٨٠، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٨٢، وطبقات النحويين للزبيدي ٣١٤، والأعلام للزركلي ٨ / ١٧٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٣ / ٥٠٥-٥٠٦ .

١ : **قرطبة**: مدينة الأندلس أصبحت عاصمة الخلفاء الأمويين فيها، وفيها يوجد قصر الزهراء.

٢ : إشارة إلى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا مات ابن آدم - وفي رواية : الإنسان - انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له). رواه أبو داود ، والترمذي، والنسائي، والبخاري في الأدب المفرد، عن أبي هريرة، وزاد بعضهم على ذلك أشياء وردت في أحاديث أخرى. انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ١ / ٩٩ الحديث رقم ٢٧٧.

٣ : عيون الأنباء ٤٨٢ .

٤ : **انظر**: طبقات الأمم ١٦١-١٦٢ .

٥ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط، استكملت من طبقات الأمم.

قلت: وقد ذكره ابن المازري[١]، وقال: " قدم علينا مصر حاجّاً، وتسامع به الناس، فأتوه من كل فج،وقرؤوا عليه كتبه، وغيرها، وحبوه[٢] بالذهب، وأنواع الحباء، فلم يقبل لأحد شيئاً. وكان متقلّلاً من الدنيا، زاهداً في حطامها، لا يزال يذكر الموت وهو المطّلع، ويقول: ليت أمي لم تلدني! ".

قال: "وكان كثير الصدقة والبر، ولا سيما إذا رأى ذا عجز ظاهر. ملازماً للصلوات في أوقاتها. نزل في دارٍ قريبةٍ من المسجد الجامع، ليقرب عليه أداء الفرائض في الجماعة، وكان إذا صلى ظهر عليه من الخشوع وفيض الدموع ما يكاد يرحمه به من رآه.

قال: وكان لا يزال ينشد: [**الطويل**]

إذا نظر الدنيا بصيرٌ بحالها ... تيقَّن أن الدهر جمٌّ المصائب
فمن عارف تصطاده باقتسارها[٣] ... وغِرٍّ بها تصطاده بالرغائب
فما ماؤها إلا سرابٌ بقيعَة ... وما عيشها إلا تحلُّم كاذب
لحا[٤] الله مغترّاً بها وصروفها[٥] ... وفي بعضها للمرء كل العجائب

قال ابن المازري: وأظنها له.

---

١ : **محمد بن علي بن عمر التميمي المازري**، أبو عبد الله: محدِّث من فقهاء المالكية، نسبته إلى مازر، بجزيرة صقلية، ولد سنة ٤٥٣هجرية، وتوفي سنة ٥٣٦هجرية بالمهدية، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٤٨٦، والأعلام للزركلي ٦/٢٧٧، وأزهار الرياض ٣/١٦٥ .

٢ : **حبوه**: أي أعطوه، ومنحوه.

٣ : قوله **باقتسارها**: أي بقهرها، القاموس مادة قهر.

٤ : قوله: **لحا الله**: من قولهم: " لحاه يلحوه إذا شتمه" . القاموس مادة لحا.

٥ : **الصروف**: النوائب والمصائب والحِدثان. القاموس مادة صرف.

ومنهم:

٣٩- ابن الجريطي[١]: أبو القاسم مسلمة بن أحمد [بن قاسم بن عبد الله]*

من أهل قرطبة.

مسح الأفلاك وقسمها خِطَطا، ووسمها وما سامها شططا، وكان كأنه بعض كواكبها إشراقا، وجواريّها الكُنَّس إشفاقا. أشرق إشراق زهرتها، وتدفَّق تدفُّق المجرة على زهرها، ونفض على الآفاق صبغة أصلها، وذرَّ في مقلة الصباح زرقة كحلها.

وكان بقرطبة حلية لأيام بني مروان، وزينة لذلك الأوان، أعاد ذاهب زمانهم، والركائب ترد عليهم وترد وجوه النجائب[٢] إليهم.

قال ابن أبي أصيبعة[٣]: "كان في زمان الحكم"[٤].

---

١ : في الأصل المخطوط: "**المرجيطي**" بتقديم الراء على الجيم، والتصويب من طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، وغيره من كتب التراجم الآتية في ترجمته، انظر الحاشية التالية.

*(ت ٣٩٨هـ) **ينظر ترجمته في**: طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٨٢، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسي ١٦٨-١٦، وأخبار الحكماء للقفطي ٢١٤، والأعلام للزركلي ٧/ ٢٢٤، وقال في حاشيته ما نصّه: "وسماه ابن حجر في الفتاوى وصاحب جلاء العينين ٨٦: مسلمة بن القاسم. واعتمدت في تاريخ وفاته على طبقات الأطباء وأخبار الحكماء أيضاً، وفي جلاء العينين وخلاصة الأثر أنه توفي سنة ٣٥٣هجرية، واستفدت تاريخ ولادته من نقل صاحب الخلاصة أنه مات وهو ابن ستين سنة".

٢ : **النجائب**: جمع نجيبة وهي الناقة.

٣ : عيون الأنباء ٤٨٢ .

٤ : **الحكم بن عبد الرحمن الناصر** بن محمد بن عبد الله: خليفة أموي أندلسي، ولد بقرطبة سنة=

وقال صاعد(١) : " كان إمام الرياضيين بالأندلس في وقته، وأعلم من كان قبله بعلم الأفلاك، وحركات النجوم، وكانت له عناية بأرصاد الكواكب، وشغف بالمجسطي، – كتاب بطليموس –، وله عدة كتب. وأنجب له ملأً من التلاميذ الأجلاَّء، ولم ينجب عالمٌ بالأندلس مثلهم؛ ومنهم: ابن السمح(٢)، وابن الصفَّار(٣).

وهو أول من أتقن علم الاصطرلاب بالمغرب، والزهراوي(٤)، والكرماني(٥)،

=٣٠٢هجرية، وولي الخلافة بعد أبيه سنة ٣٥٠هجرية. وكان عالماً بالدين ملماً بالأدب والتاريخ، ضليعاً في معرفة الأنساب، يروى له شعر، محباً للعلماء، يستحضرهم من البلدان النائية فيستفيد منهم ويحسن إليهم، جمَّاعاً للكتب. قيل إن مكتبته بلغت أربعمائة ألف مجلد.

قال ابن حزم: اتصلت ولايته خمسة عشر عاماً في هدوَ وعلوّ. وقال ابن حيان: وباسمه طرَّز أبو علي البغدادي القالي كتابه " الأمالي "، وعليه وفد، فأحمد وفادته. توفي بقرطبة مفلوجاً سنة ٣٦٦هجرية.

انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٢ /٢٦٧،و ابن الأثير ٨ / ٢٢٤، ونفح الطيب ١ / ١٨٠ .

١ : **انظر** : طبقات الأمم – صفحة ١٦٩ .

٢ : ستأتي ترجمته بعد الانتهاء من ترجمة المجريطي المذكور.

٣ : **ابن الصفَّار**: هو أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر، كان متحقِّقاً بعلم العدد والهندسة والنجوم، وقعد في قرطبة ليعلم ذلك. ذكره ابن صاعد في طبقات الأمم ١٧١ .

٤ : **الزهراوي**: هو خلف بن عباس الزهراوي الأندلسي أبو القاسم: طبيب من العلماء، ولد في الزهراء قرب قرطبة، وإليها نسبته، وهو أشهر من ألَّف في الجراحة عند العرب، وأول من استعمل ربط الشريان لمنع النزيف. أشهر كتبه: "التصريف لمن عجز عن التأليف" في الطب، أكثره في الجراحة، وكتاب فيه أسماء العقاقير باليونانية والسريانية والفارسية والعجمية وتفسير الأكيال والأوزان، وتفسير الأسماء الجارية في كتب الطب. توفي سنة ٤٢٧هجرية.

انظر ترجمته في: طبقات الأطباء ٢ / ٥٢، وهدية العارفين ١ /٣٤٨، والأعلام للزركلي ٢ / ٣١٠– ٣١١ .

٥ : **الكرماني**: عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد الكرماني، أبو الحكم: جرَّاح، عالم بالطب والهندسة، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق واشتهر، ولد سنة ٣٦٨هجرية، وتوفي ٤٥٨هجرية. **انظر**=

وابن خلدون[١].

قلت: وقد رأيت اصطرلاباً من عمله عليها اسمه، وكانت غاية في الحسن، للعروض التي عملت لها صفائحها، إلا أن كواكبها كانت تحتاج إلى تحريك لطول المدة منذ عملت. ورأيت له رسالة في "المجنّب والآفاقية"، كتبتها بخطي لإعجابي بها، ثم غالتها يد الضياع، وغالبت عليها الأيام التي لا تستطاع.

ومنهم:

٤٠- ابنُ السَّمْحِ: أبو القَاسِمِ أَصْبَغُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ السَّمْحِ الغَرْنَاطِيُّ القُرطُبِيُّ المَهْرِيُّ[٢] المُهَنْدِسُ *

حكيمٌ ترفع[٣] له المبار[٤]، وطبيبٌ تدفع به المضار، قيِّمٌ بتركيب الأدوية،

=**ترجمته في**: طبقات الأطباء ٢ / ٤٠، والمرزباني ٢٠٩، والأعلام للزركلي ٥ / ٨٠ .

١ : **ابن خلدون**: أبو مسلم عمر بن أحمد بن خلدون الحضرمي، - وهو غير عبد الرحمن بن خلدون المؤرِّخ المشهور - من أشراف أهل إشبيلية، كان متصرفاً في علوم الفلسفة مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم، والطب، متشبهاً بالفلاسفة في إصلاح أخلاقه، وتعديل سيرته، وتقويم سياسته، توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة من الهجرة. ذكره ابن صاعد في طبقات الأمم ١٧٢-١٧٣.وانظر أيضاً: أخبار الحكماء ١٦٢، والأعلام للزركلي ٥ / ٤٠ .

٢ : **المَهري**: بفتح الميم وسكون الهاء وفي آخرها الراء: هذه النسبة إلى مهرة بن حيدان بن عمرو.

* **ينظر ترجمته في**:عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٨٣، والإحاطة في أخبار غرناطة ١ / ٢٦٤، والوفيات لابن قنفذ ٢٣٤ رقم ٤٢٦، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٥٢٣و٩٦٥و١٣٩٠و١٤٧٢و١٦٤٢، وإيضاح المكنون ١ /٥٨٣، وتراث العرب العلمي لقدري طوقان ٢٩٩، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢ / ٣٠٢، والأعلام للزركلي ١ /٣٣٣، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسي ١٦٩-١٧٠ .

٣ : في الأصل المخطوط: "تعرف" وهو تصحيف لا معنى له، والصواب ما أثبتناه كما مستفاد من السياق.

٤ : **المبار**: المهالك والمضار، أي ترفع له الأدواء لعلاجها بأدويته.

وتفاضل التفضيل والتسوية، أحيا الله به القوى الحيوانية، وحفظ النفس الإنسانية.

سلك بنظره في الأبدان، وملك ما ليس لأحد به يدان، ونظر في تفاريق العضل، وتفاريع ما كفى من الأغذية وفضل، واستدلَّ بالنبض على ما وراءه، وعرف دواءه على الحقيقة وداءه، بحدسٍ صحيح حصر حتى ضيِّق المجاري واتساعها، وانحطاط الدرجات في الأدوية وارتفاعها، إلى غير ذلك من أسباب في علوم، وحساب، ونجوم، وأمور كان بها يقوم.

قال ابن أبي أصيبعة(١): " كان في زمان الحكم" .

وقال صاعد(٢): " كان محققاً لعلم العدد(٣)، والهندسة، متقدِّماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم، وكانت له عناية بالطب، وتواليف الحساب،" .

وقال: " أخبرني تلميذه أبو مروان الناشئ المهندس أنه توفي بغرناطة(٤)" .

١ : عيون الأنباء ٤٨٣ .

٢ : طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ١٦٩ .

٣ : في الأصل المخطوط: "الأدب" والتصويب من طبقات الأمم.

٤ : قال صاعد الأندلسي: " وأخبرني عنه تلميذه أبو مروان سليمان بن محمد بن عبس بن الناشئ المهندس أنه توفي بمدينة غرناطة قاعدة الأمير حبوس بن مكسن، بن زيري بن مناد الصنهاجي ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين وأربع مائة وهو ابن ست وخمسين سنة شمسية" .

انظر: طبقات الأمم ١٧٠ .

ومنهم:

٤١- أبو الحَكَم الكَرْمَانِيُّ: عَمرُو بنُ عَبدِ الرَّحمنِ بنِ أحمدَ بنِ عَلِيّ *

من أهل قرطبة.

طبيبٌ لا يدقُّ عليه غامض، ولا يشق عليه خفاء وامض. وكان مقدَّماً في التعاليم، ومعظَّماً في الأقاليم، وجامعاً من القوى النفسانية التقاسيم، وأجاد الكلام في أحكام الطب، وإحكام ما يحتاج إليه المستطب[١]، وعرف في القوى الطبيعية المخدومة والخادمة، والبداية والخاتمة، إلى أن أبرز كل خفية، وأحرز قدر الكمية والكيفية، ولم يزل يعود بملاطفته ويعود بعاطفته، حتى انتعشت به الأرواح في أجسامها، وأمنت به من انتهاب الأقسام واقتسامها، وطردت الصحةُ الأمراضَ، وقامت جواهر النفوس بالأعراض.

قال ابن أبي أصيبعة[٢]: " هو أحد الراسخين في [علم] العدد".

وقال صاعد[٣]: " إن تلميذه الحسين بن محمد المهندس المنجِّم قال: إنه ما ألفى أحداً يجاريه في علم الهندسة، ولا شقَّ غباره في فك غامضها، وتبيين مشكلها واستيفاء أجزائها.

---

* (ت ٤٥٨هـ) ينظر ترجمته في: عيون الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٨٤-٤٨٥، وأخبار الحكماء لابن القفطي ١٦٢، واسمه فيه: عمر. وهو بخط ابن قاضي شهبة: "عمرو"، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسي ١٧١-١٧٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣٠/ ٤٥٠، والأعلام للزركلي ٥/ ٨٠.

١ : المستطب: أي طالب الطب.

٢ : عيون الأنباء - ٤٨٤.

٣ : طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ١٧٢.

ورحل إلى المشرق، وانتهى إلى حران [من بلاد الجزيرة]، وعني هناك بطلب الهندسة، ثم رجع إلى الأندلس، واستوطن ثغر سرقسطة[١]، وأدخل معه "رسائل إخوان الصفا" ومجرَّبات فاضلة فيه. ونفوذ مشهورة في الكيِّ والقطع، والشقّ، والبط، وغير ذلك من أعمال الطب، ولم يكُ بصيراً بالنجوم ولا بالمنطق".

ومنهم:

٤٢- ابنُ وَاقِد [الوَزِيرُ، أبو المُطَرِّف عَبدُ الرَّحمنِ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ عَبدِ الكَبيرِ بنِ يَحيَى ابنِ وَاقِد بنِ مُهَنَّدٍ اللَّخَميُّ]*

بيت حكمة، ونبت حشمة، ورئيس طب، ومُنيةُ مُحب، عنيت الدول برفع أخمصه، ودفع منتقصه، وقدمته باستحقاقه لأن يكون مقدَّماً، ويسدّد رأيه ليفوت مقوّماً، فلهذا كان مُجاريه لا يقدر له على لحاق، وحاسده ولو كان البدر لا يرى إلا في المحاق[٢]، بلطف لو سحب ردنه[٣] الروض لأبهج رقيمه[٤]، أو

١ : **سَرَقُسطة**: بفتح السين المهملة، والراء، وضم القاف، وسكون السين الثانية، وبعدها طاء مهملة: مدينة شرق الأندلس من أحسن البلاد، وخرج منها جماعة من العلماء وغيرهم، وأخذها الفرنج من المسلمين في سنة اثني عشرة وخمسمائة من الهجرة. انظر: وفيات الأعيان ١ / ٣٣٣ .

* (ت ٤٠٠هـ) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٩٦، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسي ١٩٥-١٩٦، وأخبار الحكماء للقفطي ١٥٢ .

٢ : **المحاق**: آخر الشهر، أو ثلاث ليالٍ من آخره، أو أن يستترَّ القمر فلا يُرى غدوة ولا عشية، سمِّي لأنه طلع مع الشمس فمحقته. القاموس مادة محق.

٣ : **الرُّدن**: أصل الكم.

٤ : **الرقيم**: من رقم الثوب إذا خططه.

الأصيل المعتد لشفاه، وما صحَّ من النسيم سقيمه، لم تمدّ يدٌ إلى مجاذبته، ولا طمع في مجانبته.

قال ابن أبي أصيبعة(١): " هو الوزير أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي. أحد أشراف أهل الأندلس، وذوي السلف الصالح منهم، والسابقة القديمة فيهم. عني عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وتفهّمها، ومطالعة كتب أرسطو وغيره من الفلاسفة وتعقلها".

قال صاعد(٢): " وتمهَّر في تعلُّم الأدوية، وصنَّف فيه كتاباً جليلاً لا نظير له، جمع فيه ما قاله ديسقوريدس وجالينوس في الأدوية المفردة، ورتَّبه أحسن ترتيب، [وهو مشتمل على قريب من خمسمائة ورقة](٣).

قال: " وأخبرني أنه عانى جمعه وترتيبه وتصحيح ما تضمنه من أسماء الأدوية وصفاتها، وتفصيل قواها، وتحديد درجاتها، نحواً من عشرين سنة، حتى كمل موافقاً لغرضه، مطابقاً لبغيته. وله في الطب منزع لطيف، ومذهب شريف.

كان لا يرى التداوي بالأدوية ما أمكن التداوي بالأغذية، أو كان قريباً منها، ثم إذا اضطر إلى الأدوية لا يرى التداوي بالمركَّب ما أغنى المفرد، فإن اضطرَّ إلى المركَّب لم يكثر التركيب، بل يقتصر على أقلّ ما يمكنه منه، وله نوادر محفوظة وغرائب مشهورة في الإبراء من العلل الصعبة، والأمراض المخيفة بأيسر العلاج. واستوطن طليطلة، وكان أيام ابن ذي النون(٤).

١ : عيون الأنباء ٤٩٦ .

٢ : طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ١٩٥-١٩٦ .

٣ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من طبقات الأمم.

٤ : **إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون** : أول من ولي الإمارة في طليطلة من عشيرته، وكان في=

ومنهم:

٤٣ - مُحَمدُ بنُ يُوسُفَ المُنَجِّمُ*

أديب غلب عليه التنجيم، وعلا قدره فما حصر بالتقويم، وسيّر الشهب حتى صوَّرها من توليد خاطره، وصيَّرها على لسانه بدلاً من ناظره، وحيَّرها حتى وُقِفَتْ له فأصبحت قريحته منها متخيِّرة، وأظلها بلألاء أنواره فظلت متحيرة.

قال ابن رشيق[١]: " شعره صحيح[٢] البناء، ملتئم الأجزاء، ملموم الثواء[٣]، يجيء كأنه قطعة واحدة.

غلب عليه التنجيم كأبيه، وكتب ليعلى بن فرح، ثم لولده، وامتدح نصير[٤] الدولة مرات، وأورد من شعره: [**الطويل**]

لعمري لئن كنا حليفي صناعة لقد سبقت ريش الخوافي القوادمُ[٥]

=عصر ملوك الطوائف بالأندلس، وبنو ذي النون من بربر المغرب، اسم جدهم "زنون" وخدموا آل أبي عامر، فخالطوا العرب وحُرِّف الاسم أو عُرِّب فصار ذا النون. توفي ابن ذي النون نحو ٤٣٠ هجرية.

انظر ترجمته في: البيان المغرب ٣ /٢٧٦، والأعلام للزركلي ١ /٣١٧ .

* ينظر ترجمته في: أنموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق القيرواني ٤٠٨ رقم ٩٣، والوافي بالوفيات للصفدي ٥ /٢٤٨ رقم ٢٣٢١ .

١ : أنموذج الزمان في شعراء القيروان ٤٠٨ .

٢ : كذا في الأصل المخطوط، وفي الأنموذج: "مليح" .

٣ : **الثواء**: قماش البيت.

٤ : في الأصل المخطوط: " نصر" .

٥ : **الخوافي** ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت، أو هي الأربع اللواتي بعد المناكب، أو هي سبع ريشات بعد السبع المقدمات،والأبيات في الوافي بالوفيات٥ /٢٤٨ .

و"**القوادم**" أربع أو عشر ريشات في مقدم الجناح. "القاموس مادة خفي وقدم" .

فقل للذي استهزا[١] بنا في فعاله مقالي يقظان وعرضك نائم
سيغسل عني الماء فعلك كله وقولي باقٍ والعظام رمائم
تدبُّ على الأعضاء منه عقارب وتنفث في الأحشاء منه أراقم[٢]
فإن كان ذا عرض تلوح كلومه فعندي ضمادات له ومراهم

ومنهم:

٤٤- أبو بكر ابنُ بَاجَةَ[٣]: ابنُ الصَّايغ، واسمه: مُحَمَّدُ بنُ يَحيَى التُّجَيبِيّ[٤] السَّرَقُسْطِيُّ[٥] الأَندَلُسِيُّ*

١ : **استهزا**: أي استهزأ بنا، وسهلت الهمزة لضرورة الشعر.

٢ : **الأراقم**: جمع أرقم وهو أخبث الحيات، وأطلبها للناس، أو ما فيه سوادٌ وبياض، أو ذكر الحيَّات، والأنثى منه: رقشاء.

٣ : **قال ابن خلِّكان**: وباجه: بالباء الموحدة، وبعد الألف جيم، ثم هاء ساكنة: وهي الفضة بلغة فرنج المغرب. انظر: " وفيات الأعيان ٤ / ٤٣١ .

٤ : **التجيبي**: بضم التاء المثناة من فوقها، وفتحها، وكسر الجيم، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها باء موحدة: هذه النسبة إلى تجيب، وهي أم عدي،وسعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون، نسب ولدها إليها، وهي تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج. انظر:" وفيات الأعيان ٤ / ٤٣١ ".

٥ : **السرقُسطي**: بفتح السين المهملة والراء وضم القاف وسكون السين المهملة وبعدها طاء مهملة: هذه النسبة إلى سرقسطة، وهي مدينة بالأندلس خرج منها جماعة من العلماء واستولى عليها الفرنج سنة اثنتي عشرة وخمسمائة. انظر: " وفيات الأعيان" ٤ / ٤٣١ .

*(ت٥٣٣هـ) **ينظر ترجمته في**: قلائد العقيان ٧٢٣-٧٣٨ بتحقيق العلامة الطاهر بن عاشور، رقم ٦٤، وخريدة القصر قسم شعراء المغرب والأندلس ٢ / ٣٣٢-٣٣٤، وق ٤ ج ٢ / ٦٠٨، وأخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي ٤٠٦، وآداب اللغة ٣ / ١٠٣، ومجلة المجمع العلمي العربي ٣٣:٩٦-١٠٩، وتزيين قلائد العقيان، وفيه تفنيد لما جاء في القلائد من الطعن في ابن باجه، وأن صاحب القلائد نفسه كان قد بالغ في الثناء عليه في كتابه " مطمح الأنفس" ، وانظر أيضاً:عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥١٥-٥١٧، والمغرب في حلي المغرب ٢ / ١١٩، ووفيات

أديب رمي من حالق، وبُلي بحارق، ولم يقنع صاحب "القلائد"(١) بأن يضع عليه سمة الفاسق، ذكره ويا بئس ما جاء به في سوقه النافق!. قال فيه: "رمد جفن الدين، وكمد نفوس المهتدين، اشتهر سخفاً وجنوناً، وهجر مفروضاً ومسنونا"(٢).

قال ابن أبي أصيبعة(٣): " كان علاَّمة في وقته في العلوم الحكمية، وبُلي بمحن كثيرة، وشناعات سيئة، وقصدوا هلاكه مرات، [وسلَّمه الله منهم، وكان متميِّزاً في العربية والأدب](٤)، وكان حافظاً للقرآن، [ويعد من الأفاضل في صناعة الطب، وكان متقناً لصناعة الموسيقى، جيِّد اللعب بالعود] .

الأعيان ٤ / ٤٢٩-٤٣١، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ٩٣-٩٤ رقم ٥٤، والوافي بالوفيات ٢ / ٢٤٠-٢٤٢، وعيون التواريخ ١٢ / ٣٤٤-٣٤٨، ومرآة الزمان ج٨ ق ١ / ١٧٢-١٧٣، ونفح الطيب ٧ / ١٧-٢٥، و٢٧، وشذرات الذهب ٤ / ١٠٣-١٠٤، وهدية العارفين ٢ / ٨٧، ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ٩٥، ومعجم المؤلفين ١٢ / ١٠٣-١٠٤، والأعلام للزركلي ٨ / ٦، وإيضاح المكنون ١ / ٤٨٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣٦ / ٣٣١-٣٣٣ .

١ : أي صاحب "**قلائد العقيان**" وهو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الملقب بابن خاقان، المتوفى ٥٣٥هجرية، وقد طبع الكتاب بتصحيح وتحقيق العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

٢ : **انظر**: قلائد العقيان - ٧٢٣ . قال الذهبي في تاريخ الإسلام: " وهو منسوب إلى انحلال العقيدة وسوء المذهب، وكان يعتقد أن الكواكب تدبِّر العالم. تاريخ الإسلام ٣٦ / ٣٣١ . قال العلامة الزركلي في هامش الأعلام ما نصه: " وانظر أيضاً الإعلام بمن حلَّ مراكش ٢ / ٣٨٤، وقد نقل عن نفح الطيب أن ركن الدين بيبرس ذكر في كتابه "زبدة الفكر" أن ابن باجه وهو يعرِّفه بابن الصائغ، كان قد استوزره يحيى بن يوسف بن تاشفين عشرين سنة بالمغرب، أي بعد خروجه من الأندلس، ونقل أيضاً عن الإحاطة لابن الخطيب ما خلاصته: أن ابن باجه كان آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس، وأنه نشأت بينه وبين صاحب القلائد معاداة، فهجاه وجعل ترجمته آخر ترجمة فيها. وأن ابن باجه كان يزدري الفتح ابن خاقان، ويكذبه في مجلس إقرائه" . **انظر**: هامش الأعلام ٧ / ١٣٧ .

٣ : **انظر**: عيون الأنباء - ٥١٥ .

٤ : ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط الأصل استكمل من عيون الأنباء ٥١٥ .

وقال ابن الإمام [1] : " كان ذا ثقابة الذهن، ولطف الغوص على تلك المعاني الشريفة الدقيقة أعجوبة دهره، ونادرة الفلك في زمانه" .

"وكان من أجلِّ نُظَّار وقته، ثم أضرب عن النظر ظاهراً لما لحقه من المطالبات في دمه بسببه، وأقبل على العلوم الشرعية، فرأس فيها وزاحم، لكنه لم يلُحْ عليه ضياء هذه المعارف، ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم، فإذا قرنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والغزالي – وهما اللذان فتح عليها بعد أبي نصر بالمشرق في فهم تلك العلوم، ودوَّنا فيها، بان لك الرجحان في أقاويله، وحسن فهمه، والثلاثة أئمة دون ريب" .

وأنشد له الفتح في "القلائد" [2] قوله :[**البسيط**]

يا شائقي حيث لا أسطيع أدركه ... ولا أقول غداً أغدو فألقاه
أما النهار : فليلي ضمَّ شملته ... على الصباح فأولاه كأخراه
أغرُّ نفسي بآمالٍ مزخرفةٍ ... منها لقاؤك ، والأيام تأباه

وقوله [3] :[**الكامل**]

خفِّض عليك فما الزمان وريبه ... شيء يدوم ولا الحياة تدومُ
واذهب بنفسٍ لم تُضَعْ لتُحِلَّها ... حيث احتللت بها وأنت عليمُ
يا صاحبي لفظاً ومعنىً خلته ... من قبلُ حتى بيَّن التقسيم
دع عنك من معنى الإخاء ثقيله ... وانبذ بذاك العبء وهو ذميمُ

---

١ : في صدر المجموع الذي نقله من أقاويل أبي بكر محمد بن الصائغ بن باجة في العلوم الفلسفية .

٢ : **انظر** : قلائد العقيان ٧٢٦ .

٣ : انظر : قلائد العقيان ٧٣٣–٧٣٤، والأبيات الستة الأولى منها ناقصة من الأصل المخطوط .

واسمح وطارحني الحديث فإنه ... ليلٌ كأحداث الزمان بهيمُ
خذني على أثر الزمان فقد مضى ... بؤس على أبنائه ونعيمُ
فعسى أرى ذاك النعيم وربه ... مرحٌ وربُّ البؤس وهو سقيمُ
هيهات ساوت بينهم أجداثهم ... وتشابه المحسود والمرحومُ

وقوله[١]: [**الطويل**]

أقول لنفسي حين قابلها الردى ... فراغت فراراً منه يسرى إلى يمنى
قري تحمدي بعض الذي تكرهينه ... فقد طال ما اعتدتِ الفرار إلى الأهنى

وقوله[٢]: [**الطويل**]

أسكّان نعمان الأراك تيقنوا ... بأنكم في ربع قلبي سكّانُ
ودوموا على حفظ الوداد فطالما ... بلينا بأقوامٍ إذا استؤمنوا خانوا
سلوا الليل عني مذ تناءت دياركم ... هل اكتحلت لي فيه بالنوم أجفانُ
وهل جرَّدت أسياف برق سماؤكم ... فكانت لها إلا جفوني أجفانُ[٣]

---

١ : **انظر**: قلائد العقيان ٧٣٧ .

٢ : هذه الأبيات لم أجدها في القلائد – المطبوع – وإنما وردت في "وفيات الأعيان" ٤ / ٤٣٠ .

٣ : **قال ابن خلّكان**: " وكان قد أنشدني هذه الأبيات بعض أشياخ المغاربة الفضلاء بمدينة حلب منسوبة إلى ابن الصائغ المذكور، ثم وجدتها بعد ذلك بعينها في "ديوان أبي الفتيان محمد بن حيّوس" فبقيت شاكًّا فيما أنشدني ذلك الشيخ، وقلت: لعله وهم في نسبتها إلى ابن الصائغ!، إلى أن وجدتها في كتابه: "مطمح الأنفس" أيضاً منسوبة إلى ابن الصائغ المذكور، والله أعلم لمن هي منهما.

وتوفي في شهر رمضان المعظّم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وقيل: سنة خمس وعشرين وخمسمائة مسموماً في باذنجان بمدينة فاس. انظر: وفيات الأعيان ٤ / ٤٣٠–٤٣١ .

ومنهم:

٤٥- المُبَشِّرُ بنُ فَاتِك: وهو: الأَميرُ مَحمودُ الدَّولَةِ أَبو الوَفَاء الآمِريُّ*

طبيبٌ لو جسَّ نبض البرق لما اختلف، أو لاطف ما ينافر من الطبائع لائتلف، أعرف باختلاف الفروق من الخيال بالطروق، وأهدى إلى معالجة الدَّاء الدويّ(١) من الطفل إلى الثدي، لو عالج النار لخمدها، أو البحار لجمدها، أو شكت إليه الفراقد(٢) طول السهر لردَّ عليها غمضها، أو السحب المتصبِّبة من الرحضاء(٣) لأزال ممضَّها(٤).

تيسَّرت على يديه الممتنعات، وأمنت بحسن طبه التبعات، إلا أن أدواء المنية أعيته، وطوارق الأجل بيَّتته، فلم يجد لداء منيَّته طِبًّا، ولا لرجاء أمنيَّته طَبًّا، هذا مع ما كان له من أسلاف وإمره، وبيت كم لمعتقيه من طواف به وعمره، لكنه لم يدافع عنه زُمره، ولا تجلَّت عنه غمره.

ذكره ابن أبي أصيبعة، قال(٥): " كان من أعيان [أمراء](٦) مصر، وأفاضل

*(ت نحو ٥٠٠هـ) ينظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٥/٢٧٣، وأخبار الحكماء للقفطي ١٧٦، وفيه: " كان في آخر المائة الخامسة للهجرة"، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٦٠-٥٦١، وكشف الظنون ٢/١٦٢٢، وإرشاد الأريب المسمى بمعجم الأدباء لياقوت الحموي ٦/٢٩٦.

١ : **الدواء الدوي**: الدواء ما داويت به، والدوي المرض. القاموس مادة دوي.

٢ : **الفراقد**: جمع فرقد وهو النجم الذي يهتدى به.

٣ : **الرُّحضاء**: العرق إثر الحمَّى.

٤ : **مُمِضّها**: أي محرقها ومحزنها. القاموس مادة مضَّ.

٥ : عيون الأنباء ٥٦٠ .

٦ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط.

علمائها، [دائم الاشتغال] محبٌّ للفضائل، والاجتماع بأهلها، واجتمع بجُلَّة من الحكماء وأهل الطب، وأخذ عنهم، وكانت له خزائن كتب، وكان في أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يفارقها، وليس له دأب إلا المطالعة والتعليق، يرى أن ذلك أهم ما عنده. فلما مات عمدت زوجته(١) إلى الكتب فألقتها في بركة ماء كبيرة كانت في وسط الدار.

ثم شِيلت(٢) الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها، وإنما فعلت ذلك لحنقها على الكتب، لكونه كان يتشاغل بها عنها(٣).

١ : وكانت زوجته كبيرة القدر أيضاً من أرباب الدولة، فلما توفي رحمه الله تعالى نهضت هي وجواريها إلى خزائن كتبه وفي قلبها من الكتب وأنه كان يشتغل بها عنها، فجعلت تندبه وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة الماء!.

٢ : **شيلت**: أي أخرجت من الماء.

٣ : قال ابن أبي أصيبعة: " وللمبشر بن فاتك تصانيف جليلة في المنطق وغيره من أجزاء الحكمة، وهي مشهورة فيما بين الحكماء، وكان كثير الكتابة، وقد وجدت بخطه كتباً كثيرة من تصانيف المتقدمين، وكان المبشر بن فاتك قد اقتنى كتباً كثيرة جداً. ومن كتبه : كتاب الوصايا والأمثال، والموجز في محكم الأقوال، وكتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم، وكتاب البداية في المنطق، وكتاب في الطب، وكثير منها يوجد وقد تغيرت ألوان الورق الذي له بغرق أصابه - يقصد ما فعلته زوجته الغيور من إغراق لكتبه بعد وفاته انتقاماً منها - أي من الكتب - لتشاغله عنها!!.
انظر: عيون الأنباء ٥٦٠-٥٦١ .

ومنهم:

٤٦ - الحفيدُ أبو بكرٍ مُحمَّدُ بنُ [أبي مَروانَ عبدِ المَلِكِ بنِ أبي العَلاءِ] (١) زُهر [بنِ أبي مروانَ عبدِ المَلِكِ بنِ أبي بَكرٍ محُمَدِ بنِ مروانَ بنِ زُهْرِ الإيادِيُّ الأندَلُسِيُّ الإشبيلِيُّ]*

فاضل متميِّز، وكامل إلى الأطباء متحيِّز، أخذ من كل علمٍ بحظٍ وافر، وحقٍ ما الفائز به إلا ذو حظ وافر، وكان يقيس الأمور بأنظارها(٢)، ويحوزها من سائر الأطراف باستحضارها، فأطلَّ على ربواتها، واطَّلع على هفواتها، حتى كاد يعرف نبض البرق في اختلافه، ويحيط علماً بكل موافق وخلافه، هذا إلى آدابٍ ترقُّ، ويهب لطفها النسيم ويسترقُّ، ومات وفي يده أزمَّة الطب، وذهب هو والمستطب، ولم يدفع عن حوبائه تلك المعارف، ولا ذادت من حَينه الأجل المشارف، فاستوطن التُّرب مخلياً للتّرب، ومخلياً للسرب، فآهاً ثم آها(٣)، وويلاه لحسرات لا تتناهى، كيف يأفل مثل قمره؟، وكيف ينقضي طيب سمره؟، وكيف يذهب مثله من العلماء، ويذهب من بين نجوم السماء، وطالما

---

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من عيون الأطباء استكمل من مصادر المترجم .

*(٥٠٧-٥٩٥هـ) **ينظر ترجمته في**: بغية الوعاة ١ / ٢٤١، ومعجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب ١٨ / ٢١٦-٢٢٥، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٥٢١-٥٢٨، والوافي بالوفيات ٤ / ٣٩-٤٣ رقم ١٤٩٧، ونفح الطيب ١ / ٦٢٥، وتاريخ الأدب العربي ١ / ٦٤٢، والمطرب لابن دحية ٢٠٧، والمعجب للمراكشي ١٤٥، وتكملة الصلة ٢ / ٢٥٥، ووفيات الأعيان ٤ / ٤٣٤-٤٣٧، والعبر ٤ / ٢٨٨، وسير أعلام النبلاء ٢١ / ٣٢٥-٣٢٧ رقم ١٧١، والمختار من تاريخ ابن الجزري ٧١-٧٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٢ / ٢٠٢-٢٠٥، وإنسان العيون ٨١، والمختصر في أخبار البشر ٣ / ١٢٧، وشذرات الذهب ٤ / ٣٢٠، والكنى والألقاب للقمي ١ / ٢٩٣-٢٩٤، وزاد المسافر ٧١ .

٢ : **بأنظارها**: يريد بنظائرها.

٣ : آه: اسم فعل مضارع بمعنى أتوجع، تقال للتحسر وإظهار الحزن .

جلا الدجى، وأنهج طرق الحجى، وامتدَّت نحوه أيادي الخلفا، واعتدَّت له بحسن الوفا، وثنت العلياء له الوسائد، وأخدمته الأيام والليالي ولائد.

قال ابن أبي أصيبعة[١] فيه: " هو الإمام، الوزير، الحكيم، الأديب، الحسيب، الأصيل.

مولده بمدينة إشبيلية، ونشأ بها، وتميَّز في العلوم ، وأخذ [صناعة] الطب عن أبيه، وباشر أعمالها، وكبر، ولم يتغير عليه سوى ثقل السمع.

حفظ القرآن الكريم، وسمع الحديث الشريف، واشتغل بالأدب، وأتقن اللغة، وقال الشعر وأجاد في الموشحات، وكان متين الدين، ملازماً للأمور الشرعية، قويَّ النفس، له جرأة في الكلام، ولم يكن في زمانه أعلم منه بالطب.

لازم عبد الملك الباجي سبع سنين يشتغل عليه، **وقرأ** "المدونة" لسحنون[٢] في مذهب مالك، ومسند ابن أبي شيبة، و[حدثني أيضاً القاضي أبو مروان الباجي عن أبي بكر بن زهر أنه كان شديد البأس][٣]يجذب قوساً وزنه مائة وخمسون رطلاً بالإشبيلي، ورطلها مائة وستون درهماً. وكان جيد اللعب بالشطرنج.

---

١ : عيون الأنباء ٥٢١ .

٢ : سحنون: هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون: قاض، فقيه ، انتهت إليه رياسة العلم في اللمغرب، كان زاهداً لا يهاب سلطاناً في حق يقوله. أصله شامي من حمص، ومولده في القيروان سنة ١٦٠ هجرية، ولي القضاء في القيروان سنة ٢٣٤هجرية واستمر بها حتى وفاته سنة ٢٤٠هجرية. من مصنفاته: المدونة: في فروع المالكية، عن عبد الرحمن بن قاسم، عن الإمام مالك. انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢/ ٤٩، وقضاة الأندلس ٢٨، والأعلام للزركلي ٤/ ٥ .

٣ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الأصلية استكمل من "عيون الأنباء" ٥٢١ .

وخدم الملثمين، والموحِّدين[١]، وبقي إلى أيام عبد الله الناصر بن المنصور يعقوب[٢]، ومات بمراكش[٣].

وحكي أنه كان له صديق يلاعبه الشطرنج، فرآه يوماً منقبضاً؛ فسأله عما به، فأخبره أن له بنتاً زوَّجها من رجل، وأنه يحتاج في جهازها إلى ثلاث مائة دينار. فقال له: العب، وما عليك، فإن عندي ثلاثمائة دينار إلا خمسة، واستدعى بها[٤] فأعطاها له، فلما كان غير بعيد أتاه الرجل بالذهب، فقال له الحفيد ابن زهر: ما هذا؟. قال: بعت زيتوناً لي بسبعمائة دينار، وقد أتيتك منها بثلاثمائة إلا خمسة، عوض ما أقرضتني. وقد بقيت عندي البقية. فقال الحفيد: خذه إليك فإني ما أعطيتكه على أني أعود فيه.

فقال له الرجل: لا تفعل فإنني في سعة. وترادَّا[٥]. فقال له ابن زهر: أنت عدوِّي أو صديقي؟. قال: بل صديقك، وأحب الناس فيك. فقال: إن الصديقين مالهما واحد، فخذه، فإن لم تفعل عاديتك بسببه. فأخذه وشكر له.

قال القاضي أبو مروان الباجي: وكان المنصور قد قصد أن لا يترك شيئاً من كتب المنطق والحكمة باقياً في بلاده، وأباد كثيراً منها بإحراقها بالنار، وشدَّد في أن لا يرجع أحدٌ يشتغل بشيء منها، وأنه متى وجد أحداً ينظر في هذا العلم،

---

١ : **دولة الموحدين**: سلالة من ملوك البربر في المغرب أسسها المهدي بن تومرت، تغلبت على المرابطين في المغرب والأندلس، واستولت على الملك ٤٤٦ - ٦٦٧هجرية.

٢ : **الناصر بن منصور**، أبو عبد الله: رابع سلاطين الموحدين في المغرب، حكم من سنة ٥٩٥- ٦٠٩هجرية، وحارب الإسبان، والناصر: لقب شرف، لأبي عبد الله محمد.

٣ : وذلك في سنة ست وتسعين وخمسمائة من الهجرة. انظر: عيون الأنباء ٥٢٢ .

٤ : **أي**: بالذهب.

٥ : **أي**: تفاوضا في ذلك.

أو وجد عنده شيئاً من الكتب المصنفة فيه فإنه يلحقه ضررٌ عليه. ولما شرع في ذلك جعل أمره مفوّضاً إلى الحفيد أبي بكر بن زهر، وأنه الذي ينظر. وأراد الخليفة أنه إن كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة لم يظهر، ولا يقال عنه إنه يشتغل بها، ولا يناله مكروه بسببها. ولما نظر ابن زهر في ذلك وامتثل أمر المنصور في جمع الكتب من عند الكتبيين، وغيرهم، وأن لا يبقى شيء منها، وإهانة المشتغلين بها.

وكان بإشبيلية رجلٌ من أعيانها يعادي الحفيد ويحسده، وعنده شرٌّ عظيم، فعمل محضراً في أن ابن زهر دائم الاشتغال بهذا الفن والنظر فيه، وأن عنده شيئاً كثيراً من كتبه. وجمع فيه شهادات كثيرة، وبعث إلى المنصور. وكان المنصور حينئذ في حصن الفرح، وهو موضع بناه قريباً من إشبيلية، عن ميلين منها، صحيح الهواء، بحيث بقيت الحنطة فيه ثمانين سنة لم تتغير من صحته. وكان أبو بكر بن زهر هو الذي أشار أن يبنيه المنصور في ذلك الموضع، ويقيم فيه في بعض الأوقات، فلما كان المنصور به، وقد أتاه المحضر نظر إليه، ثم أمر أن يقبض على الذي عمله، وأن يودع السجن، ففعل به ذلك وانهزم جميع الشهود الذين وضعوا خطوطهم فيه. ثم قال المنصور: إنني لم أترك ابن زهر في هذا إلاّ[1] حتى لا ينسبه أحدٌ إلى شيء منه، ولا يقال عنه. والله لو أن جميع أهل الأندلس وقفوا قدامي وشهدوا على ابن زهر بما في هذا المحضر لم أقبل قولهم، لما أعرفه في ابن زهر من متانة دينه، وعقله.

وحدثني أبو العباس أحمد بن محمد الإشبيلي قال: كان قد أتى إلى الحفيد اثنان يشتغلان عليه بصناعة الطب، فدخلا عليه يوماً وبيد أحدهما كتاب صغير في المنطق، فلما نظر إليه نهض حافياً ليضربهما، وانهزما، وهو يتبعهما، ولم

---

١ : إلاّ: عهداً

يرجع إلا من مسافة بعيدة، وانقطعا عنه أياماً، ثم توسَّلا إليه، واعتذرا، وأظهرا التوبة مما فعلاه، فقبل عذرهما، وأذن لهما في الدخول عليه مستمرّين في قراءة الطب على عادتهما، ثم بعد مدة أمرهما بحفظ القرآن، وقراءة التفسير، والحديث، والفقه، وأمرهما بمواظبة الأمور الشرعية، وآدابها وسننها، وعدم الإخلال بذلك حتى بقي ذلك لهما سجية وطبعاً، وعادة قد ألفوها. ثم بعد ذلك أخرج لهما الكتاب بعينه،وقال لهما: الآن صلحتما لقراءة هذا الكتاب،وغيره من أمثاله، وابتدأ في إشغالهما فيه، فتعجبا من فعله – رحمه الله تعالى – وهذا يدل على كمال عقله، وتوفُّر مروءته.

وحدَّثني القاضي أبو مروان الباجي قال: كان أبو زيد عبد الرحمن بن برجان – وزير المنصور – يعادي الحفيد ، ويحسده لما يرى من علوٍّ منزلته، وعلمه، فاحتال عليه في سمٍّ قدمه إلى الحفيد في بيض وكانت عنده بنت أخته، وكانت أخته وابنتها هذه عالمتين بصناعة الطب، والمداواة، ولهما خبرة جيدة بمداواة النساء، وكانتا تدخلان على نساء المنصور، ولا يقبل للمنصور وأهله ولداً إلا أخت الحفيد أو ابنتها، لما توفيت أمها. فلما أكل الحفيد وبنت أخته ذلك البيض ماتا جميعاً، ولم ينفع فيهما علاج.

قال: ولم يمت أبو زيد عبد الرحمن بن برجان إلا مقتولاً ، قتله بعض أقربائه.

ومن شعره يتشوق إلى ولده[1]:[**المتقارب**]

ولي واحدٌ مثل فرخ القطا صغيرٌ تخلَّف قلبي لديه
نأت عنه داري فيا وحشتي لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوَّقني وتشوَّقته فيبكي عليَّ وأبكي عليه

١ : وفيات الأعيان ٤ / ٤٣٥، وعيون الأنباء ٥٢٤، وتاريخ الإسلام ٤٢ / ٢٠٢–٢٠٣ .

ومنهم:

٤٧- محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف، ركن الدين، أبو عبد الله، ابن القَوبع [١] القرشي، الهاشمي، الجعفري، المالكي، التونسي*

الإمام، العلاَّمة، المتقن، جامع أشتات الفضائل.

لبيبٌ مبصر، لا يخاف منه التخبيط، وطبيبٌ مكثر لا يؤتى عليه من التخليط، أتقن العلم إتقاناً، ودرب العمل إذ كان لا يُغِبُّ له إتيانا. هذا إلى فضلٍ متَّسع، وسبقٍ وراه[٢] كل متَّبع.

جدَّ في الطلب حتى كان جذيله المحكَّك[٣]، وعذيقه المرجَّب لا يُشكَّك.

---

١ : **القَوبع**: بفتح القاف فيما اشتهر على الألسنة، وقيل: هو بضمها: ذكر عن بعض المغاربة أن القوبع: طائر. أعيان العصر ٥ /١٤٨ .

* (٦٦٤- ٧٣٨هـ) **ينظر ترجمته في**: بغية الوعاة ١ /٢٢٦-٢٢٨، والدرر الكامنة ٤ /١٨١-١٨٤، والوافي بالوفيات ١ /٢٣٨-٢٤٧، ووفيات ابن رافع ١ /٦٢، والنجوم الزاهرة ٩ /٣١٥، وأعيان العصر ٥ /١٤٨-١٦٣ .

٢ : أي وراءه.

٣ : **جذيله المحكَّك وعذيقه المرجب**: **الجذل**: أصل الشجرة، وعود ينصب لتحتك به الجربى من الإبل، فتستشفى به، والعذق: النخلة بحملها. ومنه قول الحباب بن المنذر يوم السقيفة: " أنا جذيلها المحكَّك **وعذيقها المرجَّب**": مثل يضرب لمن يستشفى برأيه ويعتمد عليه، أي: قد جرَّبتني الأمور ولي رأي وعلم يستشفى بهما كما تستشفى هذه الإبل بهذه الجذل، وصغره على جهة المدح وصغر العذق على جهة المدح أو التعظيم، والترجيب: أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها لئلا تنكسر أغصانها، وقيل: ترجيبها هو أن يوضع الشوك حوالي الأعذاق لئلا يصل إليها فتسرق، وقد أراد بالترجيب التعظيم.

وكان حين وخط[١] المشيب عارضه، وأسكت معارضه، أشدَّ مما كان عارضة، وأشدَّ معارضة. فلم يمتدَّ معه لُمجادلٍ نَفَس، ولا رفع رأسه نحو مناظرٍ إلا نُكس لثاقب فكرة حُطَّ عنها قناعها، وكثر لكل قريع الحزم قراعها، فتقهقر كل متقدِّمٍ عن مكانه، وعلم أن دونه ما في إمكانه.

لم أرَ له نظيراً في مجموعه وإتقانه، واستحضاره، واطِّلاعه.

كان مجيداً في الأصول، والحديث، والفقه، والأدب، واللغة، والنحو،والعروض، وأسماء الرجال، والتاريخ، والشعر. يحفظ للعرب، والمولَّدين[٢]، والمتأخرين.

غاية في الطب والحكمة، ومعرفة الخطوط - خصوصاً خطوط المغاربة - قد مهر في ذلك وبرع، وإذا تحدَّث الناس في شيء من ذلك كله، تكلَّم على دقائقه وغوامضه، ونُكَته، حتى يظنَّ سامعه إنما أفنى عمره في ذلك الفن!.

قال شيخنا العلاَّمة قاضي القضاة أبو الحسن السبكي[٣] - وهو ما هو -: ما أعرف أحداً مثل الشيخ ركن الدين. أو كما قال. وقد رأى جماعةً ما أتى الزمان لهم بنظير بعدهم مثل الشيخ.

---

١ : **وخط المشيب**: أي خالطه وفشا شيبه، والعارض: من اللحية: ما ينبت على عرض اللحى فوق الذقن، وقيل: عارضا الإنسان صفحتا خديه.

٢ : **الشاعر المولَّد**: هو شاعر من الطبقة التي جاءت بعد الجاهليين والمخضرمين كالفرزدق وجرير.

٣ : **أبو الحسن السبكي**: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي: أبو الحسن، تقي الدين، شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفَّاظ المفسرين، المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات. ولد سنة ٦٨٣هجرية، في سبك من أعمال المنوفية في مصر،وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام، وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩هجرية، واعتل فعاد إلى القاهرة فتوفي فيها سنة ٧٥٦هجرية. **انظر ترجمته في**: طبقات الشافعية ٦ / ١٤٦،والأعلام للزركلي ٤ / ٣٠٢، والدرر الكامنة ٣ / ٦٣ .

وحكى أبو الفتح ابن سيد الناس[١]: أنه لما قدم إلى الديار المصرية وهو شابٌّ، حضر سوق الكتب،وابن النحاس شيخ العربية حاضر، وكان مع المنادي ديوان ابن هانئ المغربي، فأخذه الشيخ ركن الدين، وأخذ يترنَّم بقول ابن هانيء:[**الكامل**]

فـتكات لحظك أم سـيوف أبيكِ وكؤوس خمركِ أم مراشف فيكِ[٢]

وكسر التاء، وفتح الفاء والسين والفاء، فالتفت إليه ابن النحاس، وقال له: ما ذا إلا نصبٌ كثير.

فقال له الشيخ ركن الدين – بتلك الحدة المعروفة منه والنفرة[٣] –: أنا ما أعرف الذي تريده أنت من رفع هذه الأشياء، على أنها أخبارٌ لمبتدآت مقدَّرة، أي: أهذه فتكات لحظك، أم كذا، أم كذا؟. وأنا الذي أقوله أغزلُ وأمدحُ، وتقديره: أأقاسي فتكات لحظك، أم أقاسي سيوف أبيكِ، وأرشف كؤوس خمركِ، أم مراشف فيكِ. فأخجل ابن النحاس، وقال: يا مولانا! فلم لا تتصدَّر وتُشغل الناس؟.

فقال – استخفافاً بالنحو، واحتقاراً له–: وأيش هو النحو في الدنيا؟. أو كما قال.

---

١ : **ابن سيد الناس**: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس، اليعمري، الربعي، أبو الفتح، فتح الدين: مؤرخ، عالم بالأدب، من حفَّاظ الحديث، له شعر رقيق، أصله من إشبيلية، مولده في القاهرة سنة ٦٧١هجرية، ووفاته فيها سنة ٧٣٤هجرية.

من تصانيفه : عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير، وبشرى اللبيب في ذكرى الحبيب، وغيرها

انظر ترجمته في: فوات الوفيات ٢ / ١٦٩، والوافي بالوفيات ١ / ٢٨٩، والأعلام ٧ / ٣٥ .

٢ : أعيان العصر١٩٨١ .

٣ : في الأصل المخطوط: " والمعرفة" ، والتصويب من " أعيان العصر" .

وحكى أيضاً قال: كنت أنا و [شمس الدين ابن] الأكفاني[١]، نأخذ عليه في "المباحث المشرقية"[٢]، فأبيت ليلتي أفكر في الدرس الذي نصبح نأخذه عنه، وأجهد قريحتي، وأعمل بعقلي وفهمي إلى أن يظهر لي فيه شيء أجزم بأن المراد به هذا، فإذا تكلَّم الشيخ ركن الدين كنت أنا في وادٍ وهو في واد!؛ أو كما قال[٣].

وحكى المراكشي قال: قال لي الشيخ ركن الدين: لما أوقفني ابن سيد الناس على "السيرة"[٤] التي عملها علَّمت فيها على مائة وأربعين موضعاً، أو مائة وعشرين – السهو مني – أو كما قال. ولقد رأيته مرات يواقف ابن سيد الناس في أسماء الرجال، ويكشف عليها، فيظهر معه الصواب.

قال أبو الصفاء[٥]: " وكنت يوماً أنا وهو عند ابن سيد الناس، فقال: قال

---

١ : محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، السنجاري، ابن الأكفاني: طبيب، باحث، عالم بالحكمة والرياضيات، ولد في سنجار ونشأ في القاهرة، فزاول صناعة الطب، وتوفي في القاهرة سنة ٧٤٩هجرية. **انظر ترجمته في**: الدرر الكامنة ٣ / ٢٧٩، والبدر الطالع ٢ / ٧٩، وستأتي ترجمته لا حقاً.

٢ : **المباحث المشرقية**: في العلم الإلهي، والطبيعي، كتاب كبير للإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هجرية، جمع فيه آراء الحكماء السالفين، ونتائج أقوالهم، وأجاب عنهم. وذكر في خطبته أنه أهداه إلى خزانة كتب الصاحب، قوام الدين، ملك الوزراء أبي المعالي سهيل بن عبد العزيز المستوفي.

انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة ٢ /١٥٧٧–١٥٧٨ .

٣ : **انظر**: أعيان العصر ٥ / ١٥٢ .

٤ : المسماة بـ" **عيون الأثر**" في مجلدات عدة، وهو مطبوع.

٥ : أي العلامة المؤرخ **خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي**، المعروف بصلاح الدين الصفدي ، صاحب أعيان العصر وأعوان النصر ، ولد ي صفد سنة ٦٩٦هجرية، بصفد بفلسطين، وإليها نسبته، وتعلم في دمشق ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان، وتولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر=

الشيخ تقي الدين ابن تيمية : عمل ابن الخطيب أصولاً في الدين. الأصول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ فنفر الشيخ ركن الدين،وقال له: يا عُرَّة![1] عمل الناس وصنعوا و أفكروا فيك،ونهض قائماً، وولى مغضباً.

قال: "وأخبرني الشيخ فتح الدين[2] قال: جاء إليه إنسان يصحِّح عليه في "أمالي القالي" فأخذ الشيخ ركن الدين يسابقه إلى ألفاظ الكتاب، فبهت ذلك الرجل، فقال:[3] لي نحو عشرين سنة ما كرَّرت عليها".

وكان إذا أنشده أحدٌ شيئاً في أي معنىً كان أنشد فيه جملةً للمتقدِّمين والمتأخرين، كأنه كان يكرر عليه تلك الليلة![4]".

وتولى "نيابة الحكم"[5] للقاضي المالكي بالقاهرة، ثم تركها تديُّناً منه.

=وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، وتوفي فيها سنة ٧٦٤هجرية. وله زهاء مائتي مصنف، من أشهرها الوافي بالوفيات، وأعيان العصر، ونكت الهميان، وألحان السواجع، وغيرها كثير.

انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٢ / ٨٧، وطبقات الشافعية ٦ / ٩٤، والأعلام ٢ / ٣١٥-٣١٦ .

١ : **العُرَّة**: يقال: فلانٌ عُرَّة: بالضم والتشديد، أي: قذر، وهو يعرُّ قومَه: أي يدخل عليهم مكروهاً يلطخهم به.

٢ : أي ابن سيد الناس المار ذكره.

٣ : أي ابن القوبع.

٤ : في أعيان العصر: " كأن الجميع كان يكرر عليه البارحة" .

٥ : **نيابة الحكم**: كان لكل قاضي قضاة أعوان ينوبون عنه في مصر والقاهرة، يسمون: "النواب من الحكام" فكان لكلٍ منهم أن يستنيب من يشاء ولكن بأمر السلطان، وقد كان أغلب النواب في عهد الأيوبيين وفي أوائل حكم المماليك من الشافعية، وأقلهم من المذاهب الأخرى، لأن قاضي القضاة الشافعي هو الذي كان يعينهم جميعاً، فلما عين القضاة الأربعة أصبح لكل قاضي قضاة أن يعين نوابه من مذهبه. انظر: نظم دولة سلاطين المماليك ١ / ٩٩ د. عبد المنعم ماجد، و"التعريف بمصطلحات صبح الأعشى" ٣٥٣ .

وقال: يتعذّر فيها براءة الذمة. وكانت سيرته فيها حسنة مرضيَّة. وكان يدرِّس في "المدرسة المنكدمرية"[١] بالقاهرة، ويدرِّس الطب بالبيمارستان المنصوري، وينام أول الليل، ثم يستفيق وقد أخذ راحة، وقد أخذ كتاب "الشفاء" لابن سينا ينظر فيه، لا يكاد يُخلُّ بذلك.

قال الشيخ فتح الدين: "قلت له يوماً: يا شيخ ركن الدين! إلى متى تنظر في هذا الكتاب؟. فقال: إنما أريد أهتدي".

وكان فيه سآمة وملل حتى في لعب الشطرنج، يكون في وسط الدست وقد نفضه وقطع لذة صاحبه، ويقول: سئمت سئمت. وكذلك في بعض الأوقات [يكون] في بحث وقد حرَّر لك المسألة، وكادت تنضج، فيترك الكلام ويمضي!.

وكان حسن التودُّد يتودَّدُ[٢] إلى الناس ويهنِّيهم بالشهور والمواسم من غير حاجة إلى أحد، لأنه كان معه مالٌ له صورة ما يقارب الخمسين ألف درهم. وكان يتصدَّق سراً على أناسٍ مخصوصين، [وكان مع هذه العلوم][٣] لثغته بالراء قبيحة، يجعلها همزة!.

وكان إذا رأى أحداً يضر كلباً أو يؤذيه يخاصمه وينهره، ويقول له: لم تفعل هذا؟ أما هو شريكك في الحيوانية؟.

وكان خطه على وضع المغاربة، وليس بحسن.

وسمع بدمشق سنة إحدى وتسعين وستمائة على المسند تقي الدين ابن

١: للسادة الشافعية في القاهرة.

٢: كذا في الأصل المخطوط، وفي "أعيان العصر" يتردَّد".

٣: ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط، استكمل من أعيان العصر ١٥٤.

الواسطي[١]، واستجزته سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، بالقاهرة، باستدعاء فيه نثر ونظم، فأجاب وأجاز، وأجاد نثراً ونظماً.

أنشدني لنفسه إجازةً: [**الطويل**]

جوى يتلظّى في الفؤاد استعاره ... ودمعٌ هتون لا يكف انهماره
يحاول هذا بردَ ذاك بصوبه ... وليس بماء العين تطفأ ناره
وُلوعاً بمن حاز الجمال بأسره ... فحاز الفؤادُ المستهام إسارُه
كلفت به بدريّ ما فوق طوقه ... ودعصيّ[٢] ما يثني عليه إزاره
غزالٌ له صدري كناسٌ ومرتعٌ ... ومن حب قلبي شيحه[٣] وعراره
[من السمر يبدي عدمي الصبر خده ... إذا ما بدا ياقوته ونضاره][٤]
جرى سابحاً ماء الشباب بروضه ... فأزهر فيه ورده وبهاره[٥]
يشبُّ ضراماً في حشاي نعيمه ... فيبدو بأنفاس الصعاد شراره
وينثر دمعي منه نظمٌ مؤشَّرٌ ... كنَور الأقاحي[٦] حفَّه جُلَّناره[٧]

١ : ابراهيم بن علي بن أحمد ، أبو إسحاق، المعروف بابن عبد الحق الواسطي، ويقال له: ابن قاضي الحصن. فقيه حنفي محدّث دمشقي، وهو سبط عبد الحق بن خلف الواسطي، نسب إليه، أشخص إلى القاهرة من دمشق سنة ٧٢٨هجرية، فولي قضاء الحنفية بالديار المصرية، عشر سنين، وعزل، فعاد إلى دمشق فدرّس وأفتى، وتوفي بها سنة ٧٤٤هجرية. **انظر ترجمته في**: الدارس للنعيمي ١ /٦٠٦، والأعلام ١ /٥١، والدرر الكامنة ١ /٤٦ .

٢ : **الدِّعصي**: القطعة من الرمل، والكثيب، وتشبه به أرداف النساء.

٣ : **الشيح**: بالكسر: نَبْتٌ.

٤ : هذا البيت ساقط من المخطوط الأصل استكمل من : "الوافي" و"أعيان العصر"

٥ : **البهار**: نَبْتٌ طَيِّبُ الريح.

٦ : **الأقاحي**: الأُقْحوان: نبت معروفٌ تُشَبَّه به الأسنان، وهو نبت طيب الريح، ووزنه أفْعُلان، والهمزة والنون زائدتان، ويجمع على أقاحٍ.

٧ : **الجُلَّنارُ**، بضم الجيم وفتح اللامِ المُشَدَّدَة: زَهْرُ الرُّمَّانِ، مُعَرَّبُ: كُلْنار.

يُعَلُّ[١] بعذبٍ من برود رضابه ... تفاوح فيه مسكه وعُقاره
ويسهد أجفاني بوسنان أدعج ... يحيِّرُ فكري غنجه واحوواره
حكاني ضعفاً أو حكى منه موثقاً ... وخصراً نحيلاً عال صبري اختصاره
معنًّى بردف لا ينوء بثقله ... فيا شدَّ ما يلقى من الجار جاره
على أن ذا مُثرٍ وذلك معسرٌ ... ومن محنتي إعساره وإيساره
تألَّف من هذا وذا غُصن بانه ... توافت به أزهاره وثماره
تجمع فيه كل حسنٍ مفرق ... فصار له قطباً عليه مداره
زلالٌ ولكن أين مني وروده ... وغصنٌ ولكن أين مني اهتصاره؟
وسلسال راحٍ صُدَّ عني كاسه ... وغودر عندي سكره وغماره
دنا ونأى فالدار غير بعيدة ... ولكنَّ بُعداً صدُّه ونفاره
وحين درى إن شدّ أسري حبُّه ... أحلَّ بي البلوى وساء اقتداره

ومنها:

حكت ليلتي من فقدي النوم يومها ... كما قد حكى ليلي ظلاماً نهاره
كتمت الهوى لكن بدمعي وزفرتي ... وسقمي تساوى سره وجهاره
ثلاث سجلات عليَّ بأنني ... أمام غرامٍ قلَّ فيك استتاره
أورِّي بنظمي في العذار وتارةً ... بمن إن تفنَّى القرط أسفى سواره
وجلَّ الذي أهوى عن الحلي زينة ... ولَمّا يقارب أن يدب عذاره
أراحة نفسي كيف منك عذابها ... وجنة قلبي كيف منك استعاره؟

وتوفي الشيخ ركن الدين المذكور – بالقاهرة، في تاسع ذي الحجة ، سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، واعتلَّ يومين ومضى إلى رحمة ربه الرحيم، **ومولده**

١ : **يعل**: العَلُّ والعَلَلُ محرَّكةً: الشَّرْبَةُ الثانيةُ، أو الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْب تباعاً.

سنة أربع وستين[١] ، بتونس[٢].

وله من التصانيف التي دوّنها: " تفسير سورة ق" ، في مجلّدة[٣]. ولما تولى الإعادة في المدرسة الناصرية عمل درساً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً ﴾[٤]، وعلّق عليه ما أملاه في ذلك.

وكان – رحمه الله تعالى – قد قرأ النحو: على يحيى بن الفرج بن زيتون. والأصول: على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس.

وقدم مصر عام تسعين وسمع بدمشق من ابن الواسطي، وابن القواس، وبحماة من [المحدِّث] ابن مزيز[٥].

ومنهم:

٤٨ – محمد بن إبراهيم المتطبب صلاح الدين المعروف بابن البرهان الجرائحي

عالمٌ لا يحصر بأمد، ولا يجيء البحر عنده غير ثمد[٦]، نظر في علوم الأوائل ووجهه ما تلثم بعذاره[٧] ، ولا بعد عهده بزمان إعذاره، ففتح أطباق تلك النواويس، حتى استل علومها وسأل عليمها، ونقل إلى حفظه خبايا

١ : أي وستمائة.

٢ : الوافي بالوفيات ١ /٢٤٧ .

٣ : وذكر الزركلي في اعلامه: " تعليق على ديوان المتنبي" . **انظر** : الأعلام ٧ /٣٥ .

٤ : سورة آل عمران – الآية ٩٦ .

٥ : الوافي بالوفيات ١ /٢٤٧ .

٦ : **الثمد** بالتحريك: الماء القليل.

٧ : **عِذَارُ الرجل**: شعره النابت في موضع العذار، أي اللحية.

أسرارها، وخفايا أسفارها، وحييَ به ما مات في لحود رممها، وفات بجمود هممها، واستقل بتلك الأعباء، فحصَّل ما كان طالبا، وحسَّن بإنفاقه ما جاء جالبا.

قرأ الطب على ابن النفيس، وغيره. وقرأ الحكمة ، وآخر ما قرأ كتاب" الشفاء" لابن سينا على شيخنا الأصفهاني. كان يتردد إليه من القاهرة إلى الخانقاه القوصونية بالقرافة، لا يعنيه إلا القراءة عليه، ولم يزل حتى أكمله قراءة وبحثاً، واستشراحاً.

وكان طبيباً حكيماً، فاضلاً، متفلسفاً، قائلاً بالروحانيات، له ميل إلى النجامة، ومخاطبات الكواكب، وتطلعٌ إلى الكيمياء، يتحدَّث فيه، ويصحح قول المتقدمين في صحتها. وحكي لي أنه كان يصحب ابن أمير يعرف بابن سنقر الرومي، وأنه كان يعملها، وصحَّت معه طرف منها.

وكان يحكى عن هذا ابن سنقر الرومي عجائب وغرائب منها أنه عمل له فسقية[١] معقودة في تربة له بالقرافة، لها منافس للهواء. فلما نجزت اتخذ له غذاء مركَّباً مما يخف مقداره، وتكثر تغذيته، ونزل إلى تلك الفسقية، وأمره بتعهُّده في كل أسبوع،ويجدِّد له الماء، وأنه بقي يتعهَّده كذلك. ولكَّما أتاه بعد أسبوع ، وجده قد تزايد ضعفه عما فارقه عليه، حتى كان رابع أسبوع – قال: أو خامسه، الشك مني – أتيته فوجدته قد غارت عيناه، وخفت حسُّه، حتى ظننت أنه قد مات، فحملته أنا وآخر كان قد أطلعه على حاله معي، وأخرجناه،

١ : **الفسقية**: مجمع الماء، جمعه فساقي، قال الشهاب الخفاجي : هي عامية صرفة، وقال غيره: اشتهرت في الاستعمال وعبارات الفقهاء، ولا أدري لها أصلاً. والفسقية في عرف المصريين : اسمٌ للقبر الكبير يدفن فيه كثير، وأهل الشام تسميه الخشخاشة.

ونقَّطنا في فمه نُقَطاً من الشراب، وأذكينا عنده [. . .][1] لنغذوه بها، ثم لم نزل نتعهَّده إلى أن نقطنا مرقة فرُّوج في فمه، فأفاق ولم يكلِّمنا، ودمنا على هذا حتى كلَّمنا، وقال لي: لا جزاك الله خيراً!، حُلت بيني وبين ما حاولته من الانتقال إلى ما كنت أريد الانتقال إليه إلى خير من هذا العالم، ثم قال: أدركني بفاصد[2]. فقلت: والله لا أفعل. فقال: يا أخي! لا تفعل، أدركني به، ولا تدع ينزل من دمي إلا ما قلَّ لترى العجب.

فأتيته بفاصد، ففصده، ولم أدعه ينزل من دمه إلا ما قلَّ، ثم شددت يده. فقال: احفظ هذا الدم في زجاجة، وسدَّ رأسها لا يفسد بالهواء. ففعلت، ثم قال: ائتني بقرعة وإنبيق، فأتيته به، فأداره ثم سكب ذلك الماء عليه، فاستحال فضة بيضاء! فتركه عندي إلى أن عاد إلى معهود صحته، وقويت قواه، ثم خرجنا إلى جهة الخارقانية، وكان له بها تعلق، ثم أمرني أن أذهب إلى بلبيس[3] لأبيع تلك الفضة، وآتيه من عَرَضها بمأكل، فذهبت بها إلى صائغ فأريته إياها وأنا خائف وجِل، لا يظهر له منها عيب، فأخذها واعتبرها، فلما صحَّت معه سارع إلى مشتراها مني، فأخذت من الثمن شواءً وحُلواً وفاكهةً، وغير ذلك، وفضل معي ثمان مائة وثلاثون درهماً - أو كما قال -، فأتيته بذلك فأكلنا، ثم قال: خذ الدراهم، ولا جزاك الله خيراً لكونك تسببت في عودتي إلى تعب هذا العالم!.

قلت: وكان هذا الطبيب عارفاً بالطبِّ علماً لا عملاً، لا يحسن العلاج، ولا

---

١ : ما بين المعقوفتين كلمة لم أتبينها.

٢ : **الفاصد**: الذي يقوم بعملية الفَصْدُ وهي قطع العرق.

٣ : **بلبيس**: بكسر البائين وسكون اللام. مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. فتحت سنة ١٨ أو ١٩ هجرية، على يد عمرو بن العاص. انظر: معجم البلدان ١ /٤٧٩ .

يطول روحه على العليل، كثير النزاقة[١]، عديم التلطُّف، كارهاً لأطباء زمانه، لا يذكر أحداً منهم ولا يُذكر له إلا وذمَّه، وأطلق لسانه في معايبه. وكان يقول: هؤلاء اليهود قد ارتفع رأسهم، وامتلؤوا فوق وسعهم على جهلهم، وقلة حاصلهم، يعني: "السديد الدمياطي" و"فرج الله ابن صغير" ولا يزال يتوقَّد منهما غيظاً وحسداً لرغبة السلطان والأمراء والكبراء فيهما أكثر منه، وما كان يحصل لهما من الخِلَع والإطلاقات[٢]، ويصل إليهما من دور السلطان والأمراء لإفراط ميل النساء إلى طبهما، وملاطفتهما. ثم كان إذ ذمَّهما يقول لمن يثق به: "وهذا إبراهيم ابن المغربي هو مادَّة عزِّ هؤلاء اليهود، وكنز غناهم، وبه طاروا وحلَّقوا". وهذه ألفاظه بعينها.

وكان لا يأكل في اليوم والليلة إلا أكلة واحدة، مؤقتة من الظهر إلى الظهر. وكان يحب لبن الضأن، ويكثر أكله. صحبناه مرة في بلاد الصعيد وكان هو قد تقدم مع "طقزدمر"[٣]، وأخبرني أنه لم يأتدم في تلك السفرة على طول أيامها بشيء غير اللبن إلا مرَّات يسيرة، وقال: هو غذاء صالح، وللجسم به إلفٌ من أول زمان الرضاع. وكان أنه ينشِّفه ويلقي فيه طاقات من النعنع والملح ويأكله.

وكان واسع النعمة كثير المال، ومات أخوه وورث منه مالاً كثيراً، فازداد ماله

---

١ : **النـزاقة**: حِدَّةُ الطّبع.

٢ : **الإطلاقات السلطانية**: هي إما تقرير يوافق عليه السلطان أو الملك لما قرره من سبقه من الملوك أو السلطان. وإما ابتداء لتقرير ما لم يكن مقرراً من قبل. وإما زيادة على ما هو مقرر، ومن ذلك ما أقره السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب للعمريين أعصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.
انظر: صبح الأعشى للقلقشندي ١٣ / ٤١، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٣٦ .

٣ : **طقزدمر**: الأمير ، نائب قوصون أتابك العساكر في سلطنة المنصور أبي بكر بن الناصر محمد بن قلاوون سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من الهجرة. انظر: صبح الأعشى ٤ / ١٨٠ .

ضعفاً على ضعفه، وكانت له متاجر إلى إخميم[١]، وقوص[٢]، وأسوان، وسائر بلاد الصعيد. وكان يرى في نفسه الغضاضة لتقدم ابن المغربي عليه في رياسة الطب، ويتشكَّى هذا إلى أصحابه، وسأل السلطان في الإعفاء من قطعه الخدمة فقال: لا، ما نعفيك، أنت عندنا عزيزٌ كريم، ونعرف أنه أفضل من إبراهيم – يعني: ابن المغربي –، وأحق، ولكن إبراهيم صاحبنا، وله علينا حق خدمة، وطيِّب قلبه، فاستمرّ، ورأى أنه لم يبق له إلا مصافاة ابن المغربي، فخطب إليه أخته فتزوَّج بها لقصد الاستصلاح له، لا للزواج.

وكان رجلاً مسِّيكاً، مفرط البخل، مقتّراً على نفسه، مضيِّقاً عليها مع عظيم القدرة والإمكان، وكان لا يأكل إلا من الظهر إلى الظهر، كما ذكرناه، أسوأ أكل، ويلبس أردأ ملبوس، ويركب حمير الكراء، ومع هذا كان من المعدّلين، يجلس مع الشهود الموقعين تحشُّماً لا تكسُّباً، وله وجاهة عند الأمراء والوزراء والكبراء، والحكَّام، معظَّماً في الصدور ويشار إليه بالأنامل، ولم يصنِّف مصنَّفاً، ولا طلع له تلميذ، ولا عرف بغرابة في طبِّه. وعرَّف الدولة بما له قبل موته، وخلَّف أموالاً جمَّةً ورثها السلطان عنه.

قلت: وقد كان – رحمه الله – لنا صديقاً صدوقاً، وصاحباً ملاطفاً، وكان يحدِّثني بدقيق أمره وجليله، ويطلعني على ما عنده من تقديم الرئيس جمال الدين إبراهيم ابن المغربي عليه، وينسبه إلى أنه يتقصَّد قتله واغتياله بالسم، والأمر خلاف ما ظنه، وضدّ ما توهَّمه.

ولم يكن جمال الدين ممن يخافه لمكانة جمال الدين المكينة عند السلطان،

١ : **إخميم**: بلد قديم على شاطيء النيل بالصعيد. معجم البلدان ١ /١٢٣ .

٢ : **قُوص**: بالضم ثم السكون وهي قبطية، مدينة كبيرة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً، وهي شرقي النيل. **انظر** : معجم البلدان ٤ /٤١٣ .

ولكرم خلائقه وبُعده من تقلُّدِ دمٍ حرام لا سيما دم مثله. وقد كنت أقول له ليرجع عن سوء رأيه فيه وأوهامه فلا يرجع، ولا يفيد القول، ثم تزوج في آخر عمره بأخت جمال الدين على عدم حاجته بالنساء - كما يقال -، وأظهر الصفاء وباطنه على كدره. وأعتقد أنه لم يزل على هذا إلى انتهاء عمره.

قلت: وحكي لي أنه جلس يوماً على حانوت العطار الذي كان يجلس عنده، وطلب منه شراباً يشربه، فناوله شراباً مسموماً. قال: فلما شربته أحسست بالسم، وبدت فيَّ علاماته، فأسرعت القيام إلى داري، وأخذت خرزة بازهر[١] حيواني كانت عندي، وسحلتها، ثم أذبت السحالة بماء ورد على مسنٍّ ثم لعقتها، فزالت تلك الأعراض لوقتها، ولم يمض بياض ذلك النهار حتى أكلت طعامي، ولم يعيِّن من دسَّ ذلك عليه، وما أراد - والله أعلم - إلا جمال الدين ابن المغربي. وقد تقدم القول في بعد جمال الدين من ذلك.

قلت: وقد كان ابن البرهان دخل اليمن، واتصل بصاحبها الملك المؤيد داود - رحمه الله - وخدمه مدة، وحصَّل من جهته مالاً طائلاً، كان منه أصل نعمته، ورأس ماليته، ثم فارقه وعاد إلى مصر، وكانت كتبه لا تنقطع عنه، وصِلاته تصل إليه، وكان يعرض الكتب التي ترد عليه على السلطان فيأمره بقضاء حوائجه، وكانت الكتب تتضمن طلب كتب طبية، وعقاقير مصرية ومغربية، مما يجل السلطان عن طلب ذلك منه، ويجهِّز إلى ابن البرهان ذهباً لمشتراه، فكان يتولى ذلك ويقوم في هذه الخدمة بنفسه.

قلت: ولقد قرأت كتاباً منها كله بالخط المؤيدي، ومضمونه بعد البسملة:

---

١ : **البازهر**: معرَّب" باكزهر" قاله داود في التذكرة ، وأضاف: إنه فارسي معناه : ذو الخاصية والترياقية، وتحذف كافه العرب، انظر: التذكرة ١ / ٦٠، وقصد السبيل للمحبي ١ / ٢٤٤، وحواشيه.

"كتابنا هذا إلى ولينا العبد الشكور، الحكيم، الجليل، الفاضل، المعتمد، الثقة، صلاح الدين معتمد الملوك والسلاطين، أدام الله توفيقه ومراشده، وأسعد مقاصده. نأمره عنا بتسليم عادة إنعامه من حامله، ومعها مائتا دينار مصرية مع ما معها برسم مشترى الحوائج المطلوبة من الديار المصرية، وهو ثلاثمائة دينار، وقد اشتملت التذكرة المجهَّزة طيها على ذكره فيقف عليها وينجز المطلوب ويتخيَّره، ولا يقطع مطالعاته عن أبوابنا المعمورة – إن شاء الله – " .

هذه صورة الكتاب ولفظه بنصِّه، وعليه اسمه: داود بن يوسف.

وقد ذكرت ذلك ليعلم، فقد لا يخلو من فائدة.

ومنهم:

٤٩ – ابنُ الأَكفَاني: محمدُ بنُ إبراهيمَ بن سَاعدٍ الأَنصَارِيُّ، شمسُ الدِّينِ أبو عبدِ الله السِّنْجَارِيُّ المولد والأصل، المصري الدار*

حكيم تكلم في الجوهر والعرض، وعرف أسباب الصحة والمرض، وبرهن على الطب وموضوعاته، والعلاج وتبعاته. دقَّق في العلم حتى أوضح معالمه الوضعية، وبيَّن الفرق في القوى الطبيعية، وجال نظراً في التشريح، وقال فيه بالصريح، وذكر ترتيب الشريان على المنازل، ومكان الصاعد والنازل، بكلام جلاه، وكمالٍ مكَّن علاه، ولهذا ساد في أهل عصره، وعاد بالظفر من قام بنصره،

*(ت٧٤٩هـ) **ينظر ترجمته في**: الوافي بالوفيات ١/٢٥–٢٧، والدرر الكامنة ٣/٢٧٩، والبدر الطالع ٢/٧٩، والفهرس التمهيدي ٥٣٣، والأعلام للزركلي ٥/٢٩٩ .

وأهل مصر يظنون أنه لو لامس الماء لالتهب، أو لمس التراب لأحاله إلى الذهب.

يدعي أن له علماً يقلب الأعيان أسرع من إدراك العيان، لعلومٍ لم يضرب دونها ستراً، وبيانٍ أتقنه و: (إن من البيان لسحرا)[1].

ذكره الفاضل أبو الصفاء الصفدي وقال[2]: "فاضل جمع أشتات العلوم، وبرع في علوم الحكمة، خصوصاً الرياضي، فإنه في الهيئة والهندسة والحساب له في ذلك تصانيف وأوضاع مفيدة".

وقال: "قرأت عليه قطعة جيدة من كتاب "إقليدس" وكان يحلُّ لي فيه ما أقرؤه عليه بلا كلفة كأنما هو مُمَثَّلٌ بين عينيه، فإذا ابتدأت في الشكل شرع هو فيسرد باقي الكلام سرداً، وأخذ المِيلَ، ووضع الشكل في حروفه في الرَّمل على التختج[3]، وعبَّر عنه بعبارة جزلة فصيحة بيِّنة واضحة، كأنه ما يعرف شيئاً غير ذلك الشكل.

وقرأت عليه مقدمة في وضع الأوفاق؛ فشرحها لي أحسن شرح. وقرأت عليه أول الإشارات، فكان يحل شرح نصير الدين الطوسي بأجلِّ عبارة، وأجلى إشارة، وما سألته عن شيء في وقت من الأوقات مما يتعلق بالحكمة من المنطق والطبيعي، والرياضي، والإلهي، إلا وأجاب بأحسن جواب، كأنما كان البارحة

---

١ : حديث : "**إن من البيان لسحرا**" رواه البخاري في صحيحه، والإمام أحمد في المسند، والإمام مالك في الموطأ، وأبو داود، والترمذي في سننيهما، عن ابن عمر رضي الله عنهما.
انظر: الجامع الصغير الحديث رقم ٢٤٥٦ .

٢ : **انظر**: الصفدي – الوافي بالوفيات ١ / ٢٥ .

٣ : **التختج**: معرَّب تخته، وقد أهمله اللسان والقاموس، وفي الفارسية: تسمى قطعة الخشب العريضة المسطحة: "تخته"، ومنه يطلق على لوح المدرسة ومحل النوم، والجنازة، وغيرها.
انظر: قصد السبيل للمحبي ١ / ٣٣٠، والمعجم الذهبي ١٨٤ .

يطالع تلك المسألة طول الليل!".

وأما **الطب**: فإنه إمام عصره، وغالب طبِّه بخواصّ ومفردات يأتي بها وما يعرفها أحدٌ لأنه يغيِّر كيفيتها وصورتها، حتى لا تُعلم، وله إصابات غريبة في علاجه.

وأما **الأدب**: فإنه فريد فيه، يفهم نُكَتَهُ، ويذوق غوامضه، ويستحضر من الأخبار والوقائع والوفيات للناس قاطبة جملةً كبيرةً، ويحفظ من الشعر شيئاً كثيراً إلى الغاية من شعر العرب، والمولَّدين، والمُحدَثين، والمتأخرين، وله في الأدب تصانيف، ويعرف العروض والبديع جيداً، وما رأيت مثل ذهنه توقد ذكاء بسرعة ما لها رويَّة، وما رأيت فيمن رأيت – أصحَّ منه ذهناً، ولا أذكرَ[١].

وأما عبارته الفصيحة الموجزة، الخالية من الفضول، فما رأيت مثلها. كان ابن سيد الناس يقول: ما رأيت من يعبِّر عما في ضميره بعبارة موجزة مثله، انتهى.

قال أبو الصفاء[٢]: "لم أر أمتع منه، ولا أفكه من محاضرته، ولا أكثر اطِّلاعاً منه على أحوال الناس وتراجمهم، ووقائعهم، ممن تقدَّمه، وممن عاصره.

وأما أحوال الشرق ومتجدِّدات التتار في بلادهم في أوقاتها: فكأنما كانت القُصَّاد تجيء إليه، والملطَّفات تتلى عليه، بحيث إنني كنت أسمع منه ما لم أطَّلع عليه من الديوان[٣].

---

١ : في الأصل المخطوط: "ولا أذكر" والصواب من الوافي ١/ ٢٦، وأعيان العصر ٤/ ٢٢٩: كلاهما للصلاح الصفدي.

٢ : **انظر**: أعيان العصر ٤/ ٢٢٨.

٣ : **أي**: "في ديوان الإنشاء عند كاتب السر"، كما في فوات الوفيات ١/ ٢٦.

وأما الرُّقى(١) والعزائم(٢): فيحفظ منها جملاً كثيرة، وله اليد الطولى في الروحانيات، والطلاسم، وما يدخل في هذا الباب.

قال: وقرأت عليه من تصانيفه: "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد"(٣)، و"اللباب في الحساب"(٤)، و"نخب الذخائر في معرفة الجواهر"(٥)، و"غُنية اللبيب عند غيبة الطبيب"(٦).

ومما لم أقرأه عليه من تصانيفه: "كشف الرين في أمراض العين"(٧).

قال: وأنشدني لنفسه: [**الكامل**]

ولقد عجبت لعاكسِ الكيمياء | في طِبِّه قد جاء بالشنعاءِ
يلقي على العين النحاس يحيلها | في لمحة كالفضة البيضاءِ

١: **الرُّقى**: جمع رقية، والرُّقْيَةُ: العوذة والجمع رقى و اسْتَرْقاهُ فَرَقَاهُ يرقيه رُقْيَةً بالضم فهو رَاقٍ.

٢: **العَزائم**، أي: الرُّقى، أو هي آياتٌ من القُرْآنِ تُقْرَأُ على ذَوي الآفاتِ رَجاء البُرْء.

٣: إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد: قال عنه في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مختصر. أوله: (الحمد لله الذي خلق الإنسان وفضَّله... الخ). ذكر فيه: أنواع العلوم، وأصنافها. وهو مأخذ: (مفتاح السعادة)، لطاشكبري زاده. وجملة ما فيه: ستون علما: منها: عشرة أصلية. سبعة نظرية: وهي: المنطق، والإلهي، والطبيعي، والرياضي بأقسامه. وثلاثة عملية، وهي: السياسة، والأخلاق، وتدبير المنزل. وذكر في جملة العلوم: أربعمائة تصنيف. وهو مطبوع، انظر: كشف الظنون ١/٥٧، والأعلام للزركلي ٥/٢٩٩.

٤: ذكره حاجي خليفة في الكشف ٢/١٥٤٢.

٥: ذكره حاجي خليفة في الكشف ٢/١٩٣٥، وهو مطبوع كما في الأعلام ٥/٢٩٩.

٦: ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/١٢١٢، وترتيبه على: أربعة أركان: الأول: في حفظ الصحة. الثاني: في تدبير المرض. الثالث: في وصايا نافعة. الرابع: في خواص مختبرة. قال: وهي: رسالة لطيفة تشتمل على ما لابد منه من علم الطب.

٧: ذكره حاجي خليفة في الكشف: بعنوان: "كشف الرين في أحوال العين" ٢/١٤٩٠، ولا يزال مخطوطاً كما في الأعلام للزركلي ٥/٢٩٩.

وله تجمُّلٌ في بيته وملبسه، ومركوبه من الخيل المسوَّمة، والبزَّة الفاخرة، ثم إنه اقتصر وترك الخيل، وآلى على نفسه أن لا يُطِبَّ أحداً إلا ببيته، أو في المارستان، أو في الطريق، وهو غاية[١] في معرفة الأصناف من الجواهر، والقماش، والآلات، والعقاقير، والحيوانات، وما يحتاج إليه البيمارستان [المنصوري بالقاهرة][٢]، ولا يشترى، ولا يُدخَل إليه إلا بعد عرضه عليه، فإن أجازه اشتراه الناظر، وإن لم يُجِزْه لم يُشتَرَ البتة، وهذا اطِّلاعٌ كثيرٌ وخبرة تامَّة، لأن البيمارستان يريد كل ما في الوجود مما يدخل في الطب، والكحل، والجراح، وغير ذلك.

وأما معرفة الرقيق من المماليك والجواري: فإليه المآل[٣] في ذلك، ورأيت المولَعين بالصنعة يحضرون إليه ويذكرون له ما وقع لهم من الخلل في أثناء أعمالهم، فيرشدهم إلى الصواب، ويدلهم على إصلاح ذلك الفساد. ولم أره يُعْوِزُ[٤] شيئاً من كمال الأدوات، غير أن عربيَّته كانت ضعيفة، وخطّه أضعف من مرضى مارستانه، ومع ذلك فله كلامٌ حسنٌ، ومعرفةٌ [جيدةٌ] بأصول الخط المنسوب، والكلام على ذلك، انتهى ما ذكره أبو الصفاء"[٥].

قلت: هذا رجلٌ اجتمع بي، وتردَّد إليَّ غير مرة، وجارَيْتُه الحديث كرَّةً على كرَّه، وهو كما ذكره، من الحديث الممتع، والكلام المطمع، وقرأت عليه: [..][٦]

ولقد كنت ألتقط من أثناء كلامه ثمرات الحكم، وأستدلُّ له بمجاراته على

---

١ : أي: له اليد الطولى في ذلك.

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من الوافي للصفدي١ / ٢٦ .

٣ : أي أنه كان مرجعاً في ذلك الأمر لخبرته وإتقانه ودقة نظره.

٤ : **يعوز**: أي يحتاج.

٥ : انظر: فوات الوفيات ١ /٢٧، وأعيان العصر وأعوان النصر ٤ / ٢٢٩، وكلاهما للصفدي.

٦ : ما بين المعقوفتين بياض ، لم يذكر المصنف رحمه الله تعالى ما قرأه عليه من كتب.

سعة الاطلاع، ووفور مدد. ورأيت له في هذا ما لم أرَ لأحد.

وكان يستجهل الأطباء، ويستبعد طرق معالجاتهم، ويستبشع كريه وصفاتهم، ويقول: أنا أعالج المرضى بما لا يُستكره، كهذه الأدوية الكريهة التي يصفها الأطباء، وأعطي القدر اليسير مما يستطاب، فيقوم مقام الكثير مما يعطونه مما لا يستطاب، ويكون ما أعطيه من نوع الغذاء وهو يقوم مقام الدواء.

وحكى لي القاضي ضياء الدين يوسف بن الخطيب أنه احتاج إلى استفراغ[١]؛ فعرض ما به على الأطباء واستوصفهم[٢]، فقالوا: هذا يحتاج إلى خمسة أيام تتقدَّم قبل استعمال دواء. وشرعوا في وصف دواء يشتمل على عقاقير كثيرة كريهة، فلم أجد لي قابلية على ما قالوه. فقلت لابن الأكفاني، فقال: ما يحصل القصد، ثم أتاني ببرنية[٣] فيها شراب حماض، وقال: كلما أردت قيام مجلس العق من هذا الشراب لعقة. قال: فلعقت منه تسع لعقات، فقمت تسعة مجالس، وزال ما كنت أشكوه، ثم كنت في كل حين ألعق من ذلك الشراب، وكلما لعقت لعقة قمت مجالساً لا يخالف عدد القيام عدد اللعقات، ولم يخرم معي هذا.

وحكى لي الصدر مجد الدين السلامي نحو ذلك، ومع هذا كله، وما لا يجحد من فضله لا يقول أطباء مصر إلا أنه طُرَقيٌّ لا طبيب!، وأيُّ حُسْنٍ ما له من يعيب؟!.

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً إنه لذميم[٤]

١ : الاسْتِفْرَاغ: التَقَيّؤ.

٢ : أي: طلب منهم الوصفة الطبية لعلاج ما به.

٣ : البَرْنِيَّةُ: إناءٌ من خَزَف.

٤ : البيت لابن الرومي الشاعر. انظر ديوان ابن الرومي.

فأما أول من استخرج الطب فرجُلان:

لم يعد بعد معهما كارع في لجام، ولا بعدهما إلا خالع الألجام، جلّيا كل مُبهَم، وتجليا كغُرَّة الأدهم. فالأول:

٥٠ - اسقليبيوس بن ريوس*

متطبِّبٌ لا يُقرن بأهل الجدّ إلا إذا هزل، ولا يقرب من مطمح النجم إلا إذا نزل، يجله من تعقَّله، ويجهله من ظنَّ أنه مع البحار الزاخرة قد تمقَّله.

عزت إليه الحكماء طبها، وأعزت خطبها، لما أخذ عنه من علم جليل، كم أعاذ من مندم، وصان من دم، وبصَّر أعمى، وأثر نُعْمَى، وأخمد من نار سوء المزاج العائث ما تضرَّم، حتى لم يبقَ جسمٌ نحيلٌ يتوجَّع، ولا أم عليل تتفجَّع. ترفوا به الأعلاَّء[١] ملابس صحتها، وترفل بطبِّه الأصحَّاء في مجرور ذيل فسحتها.

قد اتفق كثير من قدماء الفلاسفة والمتطبِّبين على أنه أول من ذكر من الأطباء، وأول من تكلَّم في الطب على طريق التجربة.

وكان يونانياً، ولليونان جزيرة كانت للحكماء من الروم ينزلونها، فنسبوا إليها.

وقال أبو معشر[٢]: " إن بلدة من المغرب كانت تسمى: أرغس، وكان أهلها يسمون أرغيزا، ثم سميت: أيونيا، وسمي أهلها: اليونان. وكان ملكها أحد ملوك الطوائف، وأول من اجتمع له ملك أنونيا، من ملوك اليونانين كان اسمه

* **انظر**: طبقات الأطباء ٢٩ وما بعدها.

١ : **الأعلاَّء**: جمع عليل، وهو المريض. ولم أجده بهذا الجمع فيما لدي من مصادر.

٢ : في المقالة الثانية من كتاب: "الألوف" له. على ما ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٢٩ .

أيوليوس، وكان لقبه: دقطاطر، ووضع لهم سنناً كثيرة مستعملة عندهم" .

وقال أبو سليمان السجستاني[١] : " هو إمام الطب، وأبو أكثر الفلاسفة" قال: وينسب إليه إقليدس، وأفلاطون، وأرسطو، وأبقراط، وأكثر اليونانية. قال: وكان أبقراط هو السادس عشر من أولاده، يعني البطن السادس عشر.

وقال: " سولون[٢] أخوه هو أبو واضعي النواميس" .

ويقال: إن اسقليبيوس انكشف له أمور عجيبة من أحوال العلاج بإلهام إلهي. ويحكى أنه وجد علم الطب في هيكل كان لهم برومِيَّة، يعرف بهيكل ابلق، ثم عرف به، وكان بيتاً يحجُّون إليه، وحجَّ إليه جالينوس، [ومما يحقِّق ذلك أن جالينوس قال في كتابه في فينكس: إن الله عز اسمه لما خلَّصني من دبيلة قتالة كانت عرضت لي" .

حكى صاحب تاريخ الأطباء[٣] : إنه كانت فيه صورة تكلِّمهم عندما يسألونه.

وقال جالينوس: إن طب اسقليبيوس كان طباً إلهياً. وقال: إن قياس الطب الإلهي إلى طبنا قياس طبنا إلى طب الطرقات.

وقال أبقراط: إن اسقليبيوس رُفع في عمود من نور. وقيل: إنه كان يستشفى

---

١ : مرت ترجمته أول الكتاب.

٢ : **سولون الحكيم**: جد أفلاطون لأمه، وكان عند الفلاسفة من الأنبياء العظام بعد هرمس، قبل سقراط، وأجمعوا على تقديمه والقول بفضائله، قال لتلميذه: لأن تتزود من الخير وأنت مقبل خير لك من أن تتزود وأنت مدبر. وقال ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء: هو مشترع أثينا، وأحد حكماء اليونانية السبعة (٦٤٠–٥٥٨ ق.م.) تعالى بالفكر الوطني عند الأثينيين.

انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ / ١٦ .

٣ : **انظر** : أخبار الحكاء لابن القفطي ٧ .

بقبره. وكان يسرج[١] عليه كل يوم وليلة ألف قنديل، وكان الملوك من نسله، وتدّعي له النبوة، وكان أولاده عالمين بالطب.

وقال أبو الوفاء [المبشر] بن فاتك[٢]: إن اسقليبيوس كان تلميذ هرمس، ويزعم أن هرمس هو إدريس عليه السلام. وقيل: بل كان اسقليبيوس تلميذ أغاثاديمون المصري[٣]، ومعنى اسمه: السعيد الجد، ويزعم أنه أحد أنبياء اليونانيين. ويقال: إن اسقليبيوس هو البادئ بصناعة الطب في اليونان، وعلما بنيه، وحظر عليهم أن يعلّموها الغرباء.

وقد خالف أبو معشر أهل هذا القول، وقال: إنه لم يكن بالمتألّه الأول في صناعة الطب، ولا المبتدئ بها، بل إنه عن غيره أخذ، ولمنهج من قبله سلك. وكان يعلّم الطب مشافهة، فلما تضعضع الأمر على أبقراط، وقلّ أهل بيته، لم يأمن أن تتعرض الصناعة، فابتدأ في تأليف الكتب على جهة الإيجاز.

ومن كلامه:

قوله: " من عرف الأيام لم يمهل الاستعداد".

وقوله: " [كم من دهرٍ ذممتموه، فلما صرتم إلى غيره حمدتموه، وكم من أمر أبغضت أوائله وبُكي عند أواخره عليه".

وقوله: " المتعبِّد بغير معرفة كحمار الطاحون يدور ولا يبرح [ولا يدري ما هو فاعل].

---

١ : **يسرج**: أي يوقد.

٢ : مرت ترجمته سابقاً.

٣ : قال المحبي في قصد السبيل: "أغانا ديمون: ومعناه السعيد الجد، حكيم مصري، أستاذ اسقليبيوس وقيل إنه من الأنبياء للمصريين من أهل اليونان". انظر: قصد السبيل ١ /١٩٨ .

وقوله : " فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها .

وقوله : " إني لأعجب ممن يحتمي من المآكل الرديئة مخافة الضرر ولا يدع الذنوب مخافة الآخرة" .

وقوله : " أكثروا من الصمت فإنه سلامة من المقت[١]، واستعملوا الصدق فإنه زين النطق" .

وقيل له : " صف لنا الدنيا . فقال : أمس أجل، واليوم عمل، وغداً أمل" .

وأما الثاني فهو :

٥١-أيلـــق*

ويقال له : " أيلة" ، وهو تِلو[٢] صاحبه، وصنو صوائبه، ومدرك وفاته، ومستدرك فواته، كم منَّعا[٣] جسوماً، وقطَّعا الأدواء حسوما، ولا يلقى في المجامع بشر تألَّق وذكر بالمسامع يتعلَّق، ولم يقصر به دون رجاء ياس، ولا ضاق به مدى فترٍ[٤]في قياس .

قال ابن جلجل : إنه أول حكيم تكلَّم في الطب ببلد الروم والفرس، وهو أول من استنبط كتاب الإغريقي لهيامس الملك، وتكلم في الطب، وقاسه، وعمل به، وكان بعد موسى عليه السلام، في زمان بذاق الحاكم، وله آثار عظيمة، [وأخبار] شنيعة، وهو يُعَدُّ في كثرة العجائب مثل اسقليبيوس" .

١ : **المَقْتُ** : أشَدُّ الإِبْغاض .

* **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ,٣٨

٢ : **تلو** : أي تالي صاحبه ومن أتى بعده يقصد اسقليبيوس .

٣ : **منَّعا** : من المناعة،وهي حماية الجسم من الأدواء .

٤ :**الفِتْرُ**، بالكسر : ما بَيْنَ طَرَفِ الإِبْهامِ وطَرَفِ المُشيرَة .

ومن هنا نذكر ما وقع عليه قسم كل قسم

فأما أهل الجانب المشرقي فمنهم حكماء العرب، والسريان، والعراق، وما معه، والعجم، والهند، والشام، ونبدأ بحكماء العرب:

أطباء العرب ممن كانوا في أول ظهور الإسلام ومن بعدهم

فمنهم:

٥٢- الحَارثُ بنُ كَلَـدَةَ الثَّقَفِيُّ *

طبيب العرب، وكانت له معرفة بما يحتاج إليه من مداواتها، وخبرة في طبٍّ أمراضها وأدواتها، أينع من نبعة البادية غصنه الفينان، وجمع إلى فصاحة العرب حكمة اليونان، ولخصت به تلك العبارات التي لا تفهم، وخلصت خلاص ابن المهلب من الأدهم.

وأخذ يعالج سكان البادية بما لا يبعد من أمزجتها، ولا يعد منه خروج عن محجَّتها[١]، بما تعهده في ديارها، وتتعهَّد به ملابس غيارها.

*(ت نحو ٥٠ هجرية) **ينظر ترجمته في**: سيرة ابن هشام ١/٢٠٢، و٢/١٢٢، و٣٠٦، و٣٤٨، و٣/٣١١، و٤/١٣٢، والأخبار الطوال ٢١٩، ومروج الذهب – طبعة الجامعة اللبنانية – ١٥١٨، ١٧٧٨و١٧٨١و٢٠٥٢و٢٠٥٣، والمعارف لابن قتيبة ٢٨٨، وفتوح البلدان ٣٤٣، وطبقات الأمم لصاعد ٩٩، ومعجم الشعراء للمرزباني ١٧٢، وطبقات الأطباء لابن جلجل ٥٤، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١٦١ وما بعدها، وأخبار الحكماء للقفطي ١١١، والطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٥٠٧، والعقد الفريد ٤/٢٦٣، و٥/٤، و٦/١٨٤، و٢٧٦، و٣٠٤، و٣٠٥، و٣٧٣، وتاريخ الطبري ٣/٤١٩، والمغازي للواقدي ٩٣١–٩٣٢، و١١١٦، والاستيعاب " في ترجمة ابنه" ٢٨٩، والجرح والتعديل ٣/٨٧ رقم ٤٠١، وأنساب الأشراف ١/١٥٧و٣٦٧و٤٨٩و٤٩٠، وجمهرة أنساب العرب ٢٦٨، وعيون الأخبار ٢/٦٥و٣/٢١٨و٢٧٢و٤/١٣٢، وأسد الغابة ١/٣٤٥، والمعارف ٩١و٢٥٦و٢٨٨، ووفيات الأعيان ٢/٢٩و٣٠و٦/٣٤٧و٣٥٦و٣٦٢–٣٦٤، والكامل في التاريخ ٢/٤٠٩و٣/٤٤٣، وربيع الأبرار ٤/١٠٢و٢١١، والوافي بالوفيات ١١/٢٤٥–٢٤٧، ومعجم البلدان ٢/٢٨٩، والإصابة ١/٢٨٨ رقم ١٤٧٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤/١٩٢–١٩٣، والأعلام للزركلي ٢/١٥٧ .

١ : **المَحَجَّةُ** بفتحتين: جادة الطريق.

وعُمِّر مدَّة في صدر الإسلام، وسطر عدة تحفظ له من حُرِّ الكلام. وهو الذي تعدُّه أمَّة العرب سابق أطبائها، وسابق أبنائها، وكفاه شكراً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجرى له ذكرا.

قال ابن أبي أصيبعة(١): " كان من الطائف، وسافر في البلاد وتعلَّم الطب بناحية فارس، وتمرَّن هناك، وعرف الداء والدواء. وكان يضرب بالعود، تعلَّمه بفارس واليمن، وبقي أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – وأدرك سلطان معاوية. وقال له معاوية: ما الطبّ؟. قال: "الأزم". يعني: الجوع.

وفي الحديث: " إن عمر – رضي الله عنه – سأل الحارث بن كلدة: ما الدواء؟. قال: الأزم – يعني الحمية –.

وروي عن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – أنه مرض بمكة مرضاً، فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – وقال: (ادعوا له الحارث بن كلدة فإنه رجلٌ يطبِّب)(٢). فلما نظر إليه الحرث قال: " ليس عليه بأس، اتَّخذوا له فريقةً(٣) بشيء من تمر عجوة، وحلبة(٤)، يطبخان". فتحسَّاها، فبرئ.

وفد على كسرى أنوشروان، فلما وقف بين يديه قال له: من أنت؟.

قال: الحارث بن كلدة الثقفي.

قال: ما صناعتك؟.

---

١ : عيون الأنباء ١٦١ .

٢ : في سنن أبي داود: عن سعد قال مرضت مرضا فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي إنك رجل مفؤود، فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فإنه رجل يُطَبِّبُ. الحديث. صفحة ١٣٤.

٣ : **الفَرِيقَةُ**: حُلْبَة تُضَمُّ إلى اللَبَنِ والتَّمْرِ وتُقدَّمُ إلى المَرِيض والنُّفَسَاء. قاله في القاموس.

٤ : **الحلبة**: بالضم: نَبتٌ نافعٌ للصَّدْر والسُّعالِ والرَّبْوِ والبَلْغَمِ والبَواسير والظَّهْرِ والكَبِدِ والمَثانَةِ والباءَة.

قال: الطب.

قال: أعرابي أنت؟.

قال: نعم.

قال: فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها، وضعف عقولها، وسوء أغذيتها؟.

قال: أيها الملك! إذا كانت هذه صفتها كانت أحوج إلى من يصلح جهلها، ويقيم عِوَجَها، ويسوس أبدانها، ويعدل أمشاجها[١]، فإن العاقل يعرف [ذلك من نفسه، ويميز] موضع دائه، ويحترز عن الأدواء [كلها بحسن سياسته لنفسه].

قال كسرى: فكيف تعرف ما تورده عليها؟. ولو عرفت الحلم لم تنسب إلى الجهل.

قال الحارث: الطفل يناغي فيداوى، والحيَّة ترقى فتحاوى، ثم قال: أيها الملك! العقل من قِسَم الله تعالى، قسَمه بين عباده كقسمه الرزق فيهم، [فكلٌّ من قسمته أصاب، وخص بها قوم وزاد]، فمنهم مثر ومعدم، وجاهل وعالم، وعاجز وحازم، وذلك تقدير العزيز العليم.

فأعجب كسرى من كلامه، ثم قال: فما الذي تحمد من أخلاقها، ويعجبك من مذاهبها وسجاياها[٢]؟.

قال الحارث: أيها الملك!، لها أنفس سخية، وقلوبٌ جريَّة، ولغة فصيحة،

١ : **الأمشاج**: جمع مَشيجُ: المختلطُ من كلِّ شيء مخلوطٍ.

٢ : **السجايا**: جمع سجية وهي الخلق. وفي الأصل المخطوط: " سخائها "، والمثبت من عيون الأنباء.

وألسنٌ بليغة، وأنساب صحيحة، وأحسابٌ شريفة، يمرق من أفواههم الكلام مروق السهم من نبعة[١] الرام، أعذب من هواء الربيع، وألين من السلسبيل المعين، مطعمو الطعام في الجدب[٢]، وضاربو الهامّ[٣] في الحرب، لا يرام عزمهم، ولا يضام[٤] جارهم، ولا يستباح حريمهم، ولا يذلُّ كريمهم، ولا يقرُّون بفضلٍ للأنام إلا للملك الهمام الذي لا يقاس به أحدٌ ولا يوازيه سُوَقَة[٥] ولا ملك.

قال: فاستوى كسرى جالساً، وجرى ماء رياضة الحلم في وجهه، وقال لجلسائه: إني وجدته راجحا، ولقومه مادحا، وبفضلهم ناطقا، [وبما يورده من لفظه] صادقا، وكذلك العاقل الذي أحكمته التجارب.

ثم أمره بالجلوس، فجلس. ثم قال: كيف بصرك بالطب؟. قال: ناهيك[٦].

قال: فما أصل الطب؟.

قال: الأزم.

قال: فما الأزم؟.

---

١ : **النَّبْعُ** : شجر يُتخذ منه القِسيُّ وتُتخذ من أغصانه السهام الواحدة نَبْعَةٌ .

٢ : **الجَدْبُ**: المَحْل نَقِيضُ الخِصْبِ. وفي حديث الاسْتِسْقاءِ: هَلَكَتِ المَواشِي وأَجْدَبَتِ البِلادُ، أي قَحِطَتْ وغَلَتِ الأَسْعار.

٣ :**الهام**: جمع هامة، وهي: الرأس.

٤ : **ضامَهُ** حَقَّهُ يضيمُه واستَضامَه: انْتَقَصَه، فهو مَضِيمٌ ومُسْتَضام.

٥ : **السُّوقَة**: بمنزلة الرعية التي تَسُوسُها الملوك، سُمُّوا سُوقة لأن الملوك يسوقونهم فينساقون لهم، يقال للواحد سُوقة وللجماعة سُوقة. الجوهري: والسُّوقة خلاف المَلِك.

٦ : **ناهيك**: من قولهم: "وناهيك من رجل" كقولك: حسبك، ومعناه: أنه غاية فيما تطلبه، وينهاك عن تطلب غيره.

قال: ضبط الشفتين، والرفق باليدين.

قال: أصبت. قال: فما الداء الدويّ[١]؟.

قال: إدخال الطعام على الطعام، هو الذي يفني البريَّةَ، ويهلك السباع في البرِّيَّة.

قال: أصبت.

قال: فما العلَّة التي تصطلم[٢] منها الأدواء؟.

قال: هي التخمة. إن بقيت في الجوف قتلت، وإن تحللت أسقمت.

قال: فما تقول في الحجامة؟.

قال: في نقصان الهلال في يوم صحوٍ لا غيم فيه، والنفس طيبة، والعروق ساكنة، لسرورٍ يفاجئك، وهمٍّ يباعدك.

قال: فما تقول في دخول الحمَّام؟.

قال: لا تدخلْه شبعانا، ولا تغشَ[٣] أهلك سكرانا، ولا تقم بالليل عريانا، ولا تقعد على الطعام غضبانا، وارفق بنفسك يكن أرخى لبالك، وقلِّلْ من مطعمك يكن أهنأ لنومك.

قال: فما تقول في الدواء؟.

قال: ما لزمتك الصحة فاجتنبه، فإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه، فإن البدن بمنزلة الأرض إن أصلحتها عمرت، وإن تركتها خربت.

---

١ : **الداء الدويّ**: أي أعضل الداء، أو المرض العضال.

٢ : **تصطلم**: من صَلَمَ: بَتَرَ، اِستَأصَلَ.

٣ : أي لا تجامع أهلك في حال السكر.

قال: فما تقول في الشراب.

قال: أطيبه أهناه، وأرقُّه[١] أمرؤه[٢]، وأعذبه أشهاه، لا تشربه صرفاً[٣] فيورثك صداعا، ويثير عليك من الأدواء أنواعا.

قال: فأي اللُّحمان[٤] أفضل؟.

قال: الجداء الرضع الفتي، والقديد[٥] المالح مهلك للآكل. واجتنب لحم الجزور[٦] والبقر.

قال: فما تقول في الفواكه؟.

قال: كلها في إقبالها، وحين أوانها، واتركها إذا أدبرت وولَّت، وانقضى زمانها. وأفضل الفاكهة الرمَّان والأترج[٧]، وأفضل الرياحين الورد والبنفسج، وأفضل البقول الهندباء[٨] والخس.

قال: فما تقول في شرب الماء؟.

قال: هو حياة البدن، وبه قوامه، ينفع ما شرب منه بقدر، وشربه بعد النوم

---

١ : أرقُّه: أي أعذبه، أصلحه وأحسنه.

٢ : **قوله**: أمرؤه: أي أكثره استساغة في الحلق.

٣ : **صرفاً :الصِّرْف**: الخالص من كل شيء، ومن الشراب الخالص غير الممزوج.

٤ : **اللحمان** : أي اللحوم، وجمعه أيضاً: " أَلْحُمٌ ولُحُومٌ ولِحامٌ ".

٥ : **القَديدُ**: اللحم المُقَدَّد المعالج بالتوابل.

٦ : الجَزُورُ من الإبل يقع على الذكر والأنثى وهي تؤنث والجمع الجُزُر بضمتين.

٧ : **الأترج والأترجَّة**: بالضم وشد الجيم، ثمر معروف، قال ابن قتيبة: والعامة تسقط همزته، فهي مولَّدة، وهو شجر مرتفع معمر ثمره كالليمون الكبار حامض الماء. انظر: قصد السبيل للمحبي ١/١٥٩ .

٨ : **الهِنْدَباءُ**: بَقْلَةٌ من أَحْرارِ البُقُول، يُمَدُّ ويُقْصر. واحده: هِنْدِباءة.

ضرر. لأفضله أمرؤه، وأرقُّه أصفاه، ومن عظام أنهار البارد الزلال، لا يختلط بماء الآجام[١]، والآكام، ينزل من صرادح[٢] المسطان، ويتسلسل عن الرضراض[٣] وعظام الحصبا في الإيفاع[٤].

قال: فما طعمه؟.

قال: لا يوصف له طعم، إلا أنه مشتق من الحياة.

قال: فما لونه؟.

قال: اشتبه على الأبصار لونه، لأنه يجلو كل لون يكون فيه.

قال: فأخبرني عن أصل الإنسان ما هو؟.

قال: أصله من حيث شرب الماء، يعني رأسه.

قال: فما هذا النور الذي في العينين؟.

قال: مركَّبٌ من ثلاثة أشياء؛ فالبياض شحم، والسواد: ماء، والنظر: ريح.

قال: فعلى كم جِبِلٍّ[٥] وطَبْعٍ هذا البدن؟.

قال: على أربعة طبائع؛ المرة السوداء: وهي باردة يابسة. والمرّة الصفراء: وهي حارَّة يابسة. والدَّم: وهو حارٌّ رطب. والبلغم: وهو باردٌ رطب.

---

١ : **الآجام**: جمع أجَمَة، محرَّكةً: الشَّجَرُ الكثيرُ المُلْتَفُ وتجمع أيضاً على: أُجْمٌ، وآجامٌ وإجامٌ وأجَمات.

٢ : **الصَّرادِحُ**: واحدتها صَرْدَحة، وهي الصحراء التي لا شجر بها ولا نبت، وهي غَلْظٌ من الأرض، وهي مستوية.

٣ : **الرَّضْراضُ**: الحَصَى، أو صِغَارُها.

٤ : أي ما دقَّ من الحصا.

٥ : **الجِبْلَةُ**: الخلقة.

قال: فلمَ لم يكن من طبع واحد؟.

قال: لو خُلِق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب، ولم يمرض، ولم يهلك.

قال: فمن طبيعتين، لو كان اقتصر عليهما؟.

قال: لم يجز، لأنهما ضدان يقتتلان.

قال: فمن ثلاث؟.

قال: لم يصلح!، موفقان ومخالف!. فالأربع هو الاعتدال والقيام.

قال: فأجمِلْ لي الحارّ والبارد في أحرفٍ جامعة.

قال: كل حلوٍ حار، وكل حامض بارد، وكل حريف حار، وكل مُرٍّ معتدل، وفي المرِّ حارٌّ وبارد.

قال: فأفضل ما عولج به المرة الصفراء؟.

قال: كل بارد ليِّن.

قال: فالمرَّة السوداء؟.

قال: كل حارٍّ لين.

قال: والبلغم؟.

قال: كل حارٍّ يابس.

قال: والدم؟.

قال: إخراجه إذا زاد، وتطفئته إذا سخن، بالأشياء الباردة اليابسة.

قال: فالرياح؟.

قال: بالحقن اللينة، والأدهان الحارَّة اللينة.

قال: أفتأمر بالحقنة؟.

قال: نعم. قرأت في بعض كتب الحكماء: أن الحقنة تنقي الجوف، وتكسح الأدواء عنه، والعجب لمن احتقن كيف يهرم! أو يعدم الولد!. وإن الجهل كل الجهل من أكل ما قد عرف مضرَّته، ويؤثر شهوته على راحة[١] بدنه!.

قال: فما الحمية؟.

قال: الاقتصاد في كل شيء، فإن الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها، ويسدُّ مسامَّها.

قال: فما تقول في النساء، وإتيانهنّ؟.

قال: كثرة غشيانهنّ رديء، وإياك وإتيان المرأة المسنَّة، فإنها كالشَّنِّ[٢] البالي، تجذب قوتك، وتسقم بدنك، ماؤها سُمٌّ قاتل، ونفسها موتٌ عاجل، تأخذ منك الكل، ولا تعطيك البعض، والشابَّة ماؤها عذبٌ زلال، وعناقها غنج[٣] ودلال، فوها[٤] بارد، وريقها عذب، وريحها طيب، وهنها ضيِّق، تزيدك قوةً إلى قوتك، ونشاطاً إلى نشاطك.

قال: فأيهنَّ القلب إليها أميل، والعين برؤيتها أسرّ؟.

قال: إذا أصبتها!!: المديدة القامة، العظيمة الهامة، واسعة الجبين، أقناة

---

١ : في الأصل المخطوط: "نهك" والصواب ما أثبت من عيون الأنباء.

٢ : **الشَّنُّ**: القِرْبَةُ البَالية.

٣ : **الغنج**: جاء في حديث البخاري "في تفسير العَرِبة هي: الغَنِجَة" الغَنج في الجارية: تَكَسُّر وتَدَلُّل. وقد غَنِجَتْ وتَغَنَّجَت.

٤ : **فوها**: أي فمها.

العرنين(١)، كحلاء، لعساء(٢)، صافية الخد، عريضة الصدر، مليحة النحر، في خدِّها رقَّة، وفي شفتيها لعس، مقرونة الحاجبين، ناهدة الثديين، لطيفة الخصر والقدمين، بيضاء، فرعاء(٣)، جعدة(٤)، غضَّة بضَّة(٥)، تخالها في الظلمة بدراً زاهراً تبسَّم عن أقحوان(٦)، وعن مبسم كالأرجوان(٧)، كأنها بيضة مكنونة(٨)، ألين من الزبد، وأحلى من الشُّهد، وأنزه من الفردوس والخلد، وأذكى ريحاً من الياسمين والورد، تفرح بقربك، وتسرُّك الخلوة معها.

قال: فاستضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه.

قال: ففي أي الأوقات إتيانهنَّ أفضل؟.

قال: عند إدبار الليل يكون الجوف أخلى، والنفس أهدأ، والقلب أشهى، والرحم أدفأ، فإن أردت الاستمتاع بها نهاراً تسرح عينيك في جمال وجهها،

---

١ : **العِرْنِينُ**، بالكسر: الأنْفُ كُلُّهُ، أو ما صَلُبَ من عَظْمه.

٢ : **اللَّعَسُ**، كالمَنْع: العَضُّ، وبالتحريك: سَوادٌ مُسْتَحْسَنٌ في الشَّفَةِ. لَعِسَ، كفرحَ. والنَّعْتُ: ألْعَسُ ولَعْساءُ، من لُعْسٍ. وجاريةٌ لَعْساءُ: في لَوْنِها أدْنى سوادٍ، مُشْرَبَةٌ من الحُمْرَة.

٣ : **الفَرْعاء**: التامُّ الشَّعَر.

٤ : **الجعْدة**: أي مُجْتَمِعة الخَلْق شديدة.

٥ : **البضُّ**: الرَّخْصُ الجَسَد، الرقيقُ الجِلْد، المُمْتَلِئُ، وهي: بهاءٍ، وجاريةٌ بَضيضَةٌ وباضَةٌ وبَضْباضَةٌ: بَضَّة.

٦ : **الأُقْحوان**: نبت معروفٌ تُشَبَّه به الأسنان، وهو نبت طيب الريح، ووزنه أفْعُلان، والهمزة والنون زائدتان، ويجمع على أقاحٍ.

٧ : **الأرْجُوانُ**: صبغ أحمر شديد الحمرة قال أبو عبيد هو الذي يقال له النشاستج قال والبهرمان دونه وقيل إن الأرجوان معرب وهو بالفارسية أرغوان وهو شجر له نَوْر أحمر أحسن ما يكون وكل لون يشبهه فهو أرجوان .

٨ : **بيْضٌ مكْنُونٌ**: اللُّؤْلُؤُ المَكْنُون.

ويجتني فوك من ثمرات حسنها، ويعي سمعك من حلاوة لفظها، وتسكن الجوارح كلها إليها.

قال كسرى: لله درُّك من أعرابي!، لقد أعطيت علماً، وخصصت فطنة وفهما.

وأحسن صِلَتَه، وأمر بتدوين ما نطق به.

وقال الواثق بالله في كتابه المسمى: "البستان": إن الحرث بن كلدة مرَّ بقومٍ وهم في الشمس، فقال: عليكم بالظلّ، فإن الشمس تنهج الثوب[1]، وتنقل الريح، وتشحب اللون، وتهيِّج الداء الدفين".

ومن كلام الحارث: " البطنة بيت الداء، والحمية رأس الدواء، وعوّدوا كل جسد بما اعتاد". وقيل: هو من كلام عبد الملك بن أبجر. وقد نسب قومٌ هذا الكلام إلى رسول الله ﷺ وأوله: (المعدة بيت الداء)[2] وهو أبلغ من لفظ

---

١ : **نَهجَ الثَّوْبُ**، مُثَلَّثَةَ الهاء: بلي، كأَنْهَجَ أي تبليه.

٢ :**قال العجلوني في كشف الخفاء**: عند الحديث رقم: ٢٣٢٠ – "المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء". قال في المقاصد لا يصلح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل هو من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب أو غيره. نعم، روى ابن أبي الدنيا في الصمت عن وهب بن منبه قال: اجتمعت [لعله "أجمعت"، كما يدل عليه سياق الكلام. دار الحديث] ـ الأطباء على أن رأس الطب الحمية، وأجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت. وللخلال عن عائشة: "الأزمة دواء"، وفي لفظ "الأزم" وهو بفتح الهمزة وسكون الزاي: الحمية؛ وتتمته: "والمعدة داء، وعودوا بدنا ما اعتاد". وأورد في الإحياء من المرفوع: البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد. قال مخرجه لم أجد له أصلا. وللطبراني في الأوسط عن أبي هريرة مرفوعا: المعدة حوض البدن، والعروق إليها واردة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم. وذكره الدارقطني في العلل، وقال اختلف فيه على الزهري، ثم قال لا يصح ولا يعرف من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن الحرث. ومثله في اللآلئ، وزاد: ولم يرو هذا مسندا عن إبراهيم ابن جريج وكان طبيبا، فجعل له=

"البطنة".

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وكرَّم وجهه - قال: "من أراد البقاء - ولا بقاء - فليجوِّد الغذاء، وليأكل على نقاء[١]، وليشرب على ظماء، وليقلَّ من شرب الماء، ويتمدَّد بعد الغداء، ويتمشَّى بعد العشاء، ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء، ودخول الحمَّام على البطنة من شرٍّ الداء، ودخلةٌ إلى الحمَّام في الصيف خيرٌ من عشرة في الشتاء، وأكل القديد اليابس في الليل معينٌ على الفناء، ومجامعة العجوز تهدم أعمار الأحياء".

وروى حرب بن محمد قال: حدثنا أبي، قال: قال لي الحارث بن كلدة: " أربعة اشياء تهدم البدن: الغشيان على البطنة، ودخول الحمَّام على الامتلاء، وأكل القديد، ومجامعة العجوز".

وروى داود بن رشيد عن عمرو بن عوف قال: لما احتُضر الحارث بن كلدة اجتمع إليه الناس فقالوا له: مُرنا بأمر ننتهي إليه من بعدك. فقال: " لا تتزوجوا من النساء إلا شابَّة، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في أوان نضوجها، ولا يتعالجنَّ

=إسناداً، ولم يسند غير هذا الحديث انتهى. وفي الكشاف: يحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين ابن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان. فقال له: قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابه. قال: وما هي؟ قال: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ فقال النصراني: ولا يُؤثَر عن رسولكم شيء في الطب. فقال: قد جمع رسولُنا صلى الله عليه وسلم الطبَّ في الفاظ يسيرة قال: وما هي؟ قال: قوله صلى الله عليه وسلم "المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عَوَّدْتَه". فقال: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا. انتهى. واقتصر البيضاوي على قول الحسين: قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابه، قوله ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ قال الخفاجي: لأن في ثبوت هذا الحديث كلاما للمحدثين انتهى. فاعرفه.

١ : **قوله**: " وليأكل على نقاء" أي على طهارة ونظافة.

أحدكم ما احتمل بدنه الداء، وعليكم بالنَّورة[١] في كل شهر؛ فإنها مذهبة للبلغم، مهلكةٌ للمرَّة، منبتة للَّحم، وإذا تغدى أحدكم فلينم على أثر غدائه، وإذا تعشَّى فليَخْطُ أربعين خطوة.

ومن كلام الحارث أيضاً: " دافع بالدواء ما وجدت مدفعاً، ولا تشربه إلا من ضرورة، فإنه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله".

وقال سليمان بن جلجل: أخبرنا الحسن بن الحسين الأزدي، قال: أخبرنا محمد بن سعيد الأموي، عن عبد الملك بن عمير قال: " كان أخوان من ثقيف من بني كنّه، يتحابَّان، لم يرَ قط أحسن أُلفةً منهما، فخرج الأكبر إلى سفر فأوصى الأصغر بامرأته، فوقعت عينه عليها يوماً، ولم يتعمَّد لرؤيتها، فهويها، وضني، وقدم أخوه فجاءه بالأطباء، فلم يعرفوا ما به. إلى أن جاءه بالحارث بن كلدة، فقال: أرى عينين محتجبتين، وما أدري ما هذا الوجع؟ وسأجرب، فاسقوه نبيذاً.

فلما عمل[٢] النبيذ فيه قال: [**الهزج**]

ألا رفـــقـــاً ألا رفـــقـــاً ... قـليـــــلاً مـــا أكـــونَنَّهْ
ألَّما[٣] بـي إلـى الأبـيـــا ... ت بـالخـيـف أَزُرْهُـنَّـه
غـــزالاً مـــا رأيت اليـــو ... مَ فـــي دور بـــنـــي كُـنَّـهْ
أسـيـل[٤] الخـــدِّ مـــربوب ... وفـي مـنـطـقـه غُـنَّـه[٥]

١ : **قال في المصباح**: **والنُّورة**، بضم النون: حَجَر الكِلْس، ثم غَلبتْ على أخلاطٍ تضاف إلى الكِلْس من زِرْنيخ وغيره، وتُستعمل لإزالة الشَّعَر.

٢ : أي لما أثر النبيذ في عقله، فَسَكِر.

٣ : **أَلِمَّا**: أي ائتوا بي، أو: خذوني.

٤ : **أسيلَ الخد**: الأسالة في الخدّ: الاستطالة وأن لا يكون مُرْتَفِعَ الوجنة.

٥ : **الغُنَّة**: صوت في الخَيْشُوم، وقيل: صوت فيه ترخيمٌ نحوَ الخياشيم تكون من نفس الأنف، وقيل:=

فقالوا له: أنت أطبُّ العرب .

ثم قال: ردّوا النبيذ عليه. فلما عمل فيه قال:[**مجزوء الخفيف**]

أيهــا الجــيــرة اسلمــوا   وقــفــوا كي تـكلّمــوا
وتـقـضـوا لبـانـة(١)   وتحـبـروا وتـنعـمـوا
خـرجت مُـزنةٌ(٢) من   البـحـر ريًا تحـمـحـم(٣)
هـي مـا كنَّتي(٤) وتز   عُـمُ أنـي لهـا حَـمُ(٥)

قال: فطلّقها أخوه، ثم قال له: تزوّج بها يا أخي!. فقال: لا والله! لا تزوّجتها. فمات وما تزوّجها(٦).

ومنهم:

٥٣- النَّضرُ بنُ الحَارث بـنِ كَلَدَةَ *

وهو ابن خالة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –.

=الغُنَّة أن يجري الكلامُ في اللَّهاة، وهي أقل من الخُنَّة.

١ : **اللبانة**: حاجة النفس، وجمعها لبانات.

٢ : **تحمحم**: الحمحَمة: ترديد الصوت، وهي في الأصل :صوت الفرس دون الصَّهيل.

٣ : **المُزْنَةُ**، بالضم: المطْرَة.

٤ : **الكَنَّة**: بالفتح: امرأةُ الابنِ أو الأخ.

٥ : **الحمو**: حَمْوُ المرأةِ وحَمُوها وحَماها وحَمُها وحَمْؤُها: أبو زَوْجِها.

٦ : **انظر**: عيون الأنباء ١٦٦-١٦٧ .

*(توفي في السنة الثانية من الهجرة) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ١٦٧-١٧٠، والأعلام للزركلي ٨ /٣٣، والكامل لابن الأثير ٢ /٢٦، وزهر الآداب – الطبعة الثالثة – ١ /٣٣-٣٤، ومعجم البلدان ١ /١١٢، ومطالع البدور ١ /٢٣٢، وجمهرة الأنساب ١١٧، ونسب قريش=

طبيبٌ أثرت به تلك البلاد المقفرة، وأثَّر بطبِّه في أمزجة تلك الحمر المستنفرة[١]. تبع طريق أبيه، وأضاف إلى تالد[٢] والده طريف تأتِّيه، ودرب العلاج حتى كاد يبرئ الأكمه[٣]، وكان يعرف بضياء الحس، ودرس الحكمه. ولم ينفعه من جهة الأمومة الشريفة النبوية قربه، ولم يمنعه وقد قضى عليه بالبُعد ربُّه قتل بسيف النبوة صبرا، وعجّل له مثوى في جهنَّم يسمَّى قبرا.

قال ابن أبي أصيبعة[٤]: "كان النضر قد سافر البلاد كأبيه، واجتمع مع الأفاضل والعلماء بمكة وغيرها، وعاشر الأحبار والكَهَنة، واشتغل، وحصَّل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر، واطَّلع على علوم الفلسفة، وأجزاء الحكمة، وتعلَّم من أبيه أيضاً ما كان تعلَّمه من الطب وغيره.

وكان النضر يؤاتي أبا سفيان في عداوة النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – لكونه كان ثقفياً، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "قريش والأنصار حليفان، وبنو أمية وثقيف حليفان"[٥].

وكان النضر كثير الأذى والحسد للنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ويتكلم فيه بأشياء كثيرة، كما يحطُّ من قدره عند أهل مكَّة، ويُبطل ما أتى به

=٢٥٥، والبيان والتبيين تحقيق محمد عبد السلام هارون ٤ / ٤٣–٤٤، ونهاية الأرب للنويري ١٦ / ٢١٩–٢٢٠، و٢٧١ والمحبَّر ١٦٠–١٦١؛ والجمحي ٢١٣–٢١٤، وانظر ترجمة "قتيلة" في الإصابة – كتاب النساء – رقم ٨٨٩ .

١ : أي حمرٌ وحشية فرَّت من رماتها.

٢ : **التالد**: القديم من كل شيء.

٣ : **الأكمه**: الكَمَهُ: العَمَى. وقد كَمِه. وقد كَمِه يَكْمَه فهو أكْمَهُ، إذا عَمِيَ. وقيل: هو الذي يُولَد أعْمَى.

٤ : عيون الأنباء ١٦٧ .

٥ : لم أجد حديثاً بهذا اللفظ فيما لدي من مصادر.

- بزعمه -، ولم يعلم - بشقاوته - أن النبوة أعظم؛ والسعادة أقدر؛ والعناية الإلهية أجلُّ؛ والأمور المقدرة أثبت. وإنما النضر اعتقد أن بمعلوماته وفضائله وحكمته يقاوم النبوة، وأين الثرى من الثريا، والحضيض من الأوج،والشقي من السعيد!. وما أحسن ما وجدت حكاية ذكرها أفلاطون في كتاب النواميس، في أن النبي وما يأتي به لا يصل إليه الحكيم بحكمته، ولا العالم بعلمه".

قال أفلاطون: "وقد كان مارينوس ملك اليونانيين الذي يذكره أوميرس الشاعر باسمه وجبروته، وما تهيَّأ لليونانيين في سلطانه، رمي بشدائد في زمانه، وخوارج في سلطانه، ففزع إلى فلاسفة عصره، فتأملوا مصادر أموره ومواردها، وقالوا له: قد تأمَّلنا أمرك فلم نجد فيه من جهتك شيئاً يدعو إلى ما لحقك، وإنما يعلم الفيلسوف الإفراطات وسوء النظام الواقعَين في الجزء. فأما ما خرج عنه فليس تبحث عنه الفلسفة، وإنما يوقف عليه من جهة النبوة، وأشاروا عليه أن يطلب نبيَّ عصره ليجتمع معهم مع علمهم ما ينبئ به، وقالوا: إنه لا يسكن في البلدان العامرة، وإنما يكون في الأقاصي المقفرة، بين فقراء ذلك العصر. فسألهم ما يجب أن يكون عليه رسله إليه. وما يكون دليلاً لهم عليه؟. فقالوا: اجعل رسلك إليه من لانت سجيته، وظهرت قناعته، وصدقت لهجته، وكان رجوعه إلى الحق أحبَّ إليه من الظفر به، فإن بين من استولى عليه هذا الوصف وبينه وصلة تدلهم عليه.

أقول: ولما كان يوم بدر والتقى المسلمون ومشركو قريش، وكان عدَّتهم ما بين التسعمائة والألف، والمسلمون يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر، وأيَّد الله الإسلام، ونصر نبيه عليه الصلاة والسلام، ووقعت الكسرة على المشركين، وقتل من جملتهم صناديد قريش، وأسر جماعة من المشركين، فبعضهم استفكُّوا[١]

١ : أي طلبوا فكاك أنفسهم من الأسر، ودفعوا الفدية.

أنفسهم،وبعضهم أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتلهم، وكان في جملة المأسورين النضر بن الحرث بن كلدة، فقتله عليه الصلاة والسلام بعد منصرفه من بدر[١].

ومنهم:

٥٤- عَبدُ المَلِك بنُ أبجَرَ الكِنَانيُّ *

وهو من أفاضل الأطباء، وأماثل الألبَّاء[٢]، وأهل العلم النافع، والتمييز بين المضارِّ والمنافع. لقي حكماء المدن الممصَّرة، واستضاء بتلك الفطن المبصّرة، وأقام بين أهل الكتاب الأول، ثم خالط النصارى، وخالل منهم أنصارا. وقدِّم بينهم في شرائف الرتب ووظائف الحكمة التي عنها يكتتب، ولازم الطلب حتى مهر،

---

١ : حيث كان – لعنه الله ولعن كل كافر إلى يوم الدين – صاحب لواء المشركين ببدر، وكان من شياطين المشركين – كما يقول ابن إسحاق – وكن من إذايته أنه إذا جلس رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم مجلساً للتذكير بالله تعالى والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله تعالى، جلس النضر بعده فحدَّث قريشاً بأخبار ملوك فارس ورستم وإسفنديار، ويقول: أنا أحسن حديثاً منه!!. إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين!. وهو أبو قتيلة صاحبة الأبيات المشهورة التي منها:

ما كان ضرك لو مننت وربما ... منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق

رثته بها قبل إسلامها، وقد عرضت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يطوف بالبيت واستوقفته، وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه الشريف – صلى الله عليه وآله وسلم –، وأنشدته أبياتها هذه، فرقَّ لها، حتى دمعت عيناه، وقال: " لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لوهبته لها" . انظر: البيان والتبيين ٤ /٤٣X٤٤ تحقيق محمد عبد السلام هارون.

* ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١٧١ .

٢ : **الألباء**: جمع "لبيب" وهو العاقل.

وداوم الاكتنان ببيت التدريس حتى ظهر.

قال ابن أبي أصيبعة – وقد ذكره –: " كان طبيباً، عالماً، ما هراً. وكان أولَ أمره مقيماً بالاسكندرية، لأنه كان المتولّي على التدريس بها من بعد الاسكندرانيين الذين تقدَّم ذكرهم. وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى، ثم إن المسلمين لما استولوا على البلاد، وملكوا الاسكندرية، أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبد العزيز، وكان حينئذ أميراً قبل أن تصل إليه الخلافة، وصحبه، فلما أفضت الخلافة إلى عمر – وذلك في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة – نقل التدريس إلى أنطاكية، وحرَّان، وتفرّق في البلاد، وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر، ويعتمد عليه في صناعة الطب.

وروي عن ابن أبجر قال: " دع الدواء ما احتمل بدنك الداء". وهذا من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم –: (سر بدائك ما حملك)(١).

ومنهم:

٥٥- ابنُ أثال *

كتابيٌّ ضيَّع أمانته، وباع بدنياه ديانته، كان لا يهاب اغتيال النفوس، واختتال(٢) مهج الرؤوس، طريقةً خالف فيها شروط الأطباء، وخال أنه يخفيها عن آذان الأنباء، حتى قيلت فيه مُلَح الأشعار، ووسمت صيته بشنع العار، وبقيت عليه قبائحها، وذهب المعار.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان طبيباً من الأطباء المتقدّمين في دمشق، نصراني

---

١ : لم اجده فيما لدي من مصادر، والله أعلم بصحته.

* ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء – لابن أبي أصيبعة ١٧١-١٧٢ .

٢ : **الاختتال**: الخداع، يقال خَتَله يَخْتِله إذا خَدعه وراوَغَه. وخَتَل الذئب الصَّيْد إذا تَخفَّى له.

الدِّين، ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه، وأحسن إليه، وكان كثير الانقياد[١] له، والاعتقاد فيه، والمحادثة معه ليلاً ونهاراً.

وكان ابن أثال خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة[٢]، وقواها، وما منهما سموم قواتل، وكان معاوية يقرِّبه لذلك كثيراً، ومات في أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس، والأمراء بالسم![٣].

ومن ذلك: ما حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي: أن معاوية لما أراد أن يظهر العقد ليزيد، قال لأهل الشام: إن أمير المؤمنين قد كبرت سنه، ورقَّ جلده، ودقَّ عظمه، واقترب أجله، يريد أن يستخلف عليكم، فمن ترون؟. فقالوا: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. فسكت، وأضمرها، ودسَّ ابن أثال النصراني الطبيب إليه فسقاه سُمّاً، فمات.

وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة، وكان اسوأ الناس رأياً في عمه، لأن أباه المهاجر كان مع عليٍّ - رضي الله عنه وكرَّم وجهه - بصفِّين، وكان عبد الرحمن بن خالد مع معاوية. وكان خالد بن المهاجر

---

١ : كذا في الأصل المخطوط، وفي عيون الأنباء: "الافتقاد".

٢ : **قال التهانوي**: "الدواء إما مفرد: وهو الدواء الواحد، وإما مركّب: وهو ما يكون مركّبا من دواءين أو أكثر". انظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي ١ / ٨٠١.

٣ : نلحظ في هذه العبارات غمزاً بسيدنا معاوية رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكاتب الوحي، وصاحب الفضائل الكثيرة، ولا مجال لتعدادها، ولعل المؤلف رحمه الله تعالى قد تأثر بروايات الشيعة ومن لف لفّهم في ذلك، وما كان ينبغي له، فاحذر يا أخي من الوقوع في أعراض الصحابة أيا كان ذلك الصحابي، ونزّه قلبك ولسانك من ذلك، واعتقد ما ذكره علماء أهل السنة أن جميع الصحابة عدول ثقات، وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، رضي الله عنهم أجمعين وعنا بهم بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

على رأي أبيه، هاشمي المذهب. فلما قتل عمه عبد الرحمن مرَّ به عروة بن الزبير، فقال له: يا خالد! أتدع لابن أثال نقي[١] أوصال عمك بالشام، وأنت بمكة مسبل إزارك تجرّه وتخطر فيه متخايلاً؟.

فحمي خالد، ودعا مولى له، يقال له: نافع، فأعلمه الخبر، وقال له: " لا بدَّ من قتل ابن أثال" . وكان نافع جلْداً شهماً. فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أثال يتمسَّى[٢] عند معاوية، فجلس له في مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى حتى خرج.

فقال خالد لنافع: إياك أن تعرض له أنت ، فإني أضربه. ولكن احفظ ظهري،واكفني مَن ورائي. [فإن رأيت شيئاً يريدني من ورائي][٣]فشأنك" .

فلما حاذاه وثب إليه خالدٌ فقتله. وثار إليه من كان معه، فصاح بهم نافع فانفرجوا. ومضى خالدٌ ونافع وتبعهما من كان معه، فلما غشوهما حملا عليهم فتفرقوا، حتى دخل خالدٌ ونافع زقاقاً ضيِّقاً ففاتا الناس.

وبلغ الخبر معاوية – رضي الله عنه – فقال: هذا خالد بن المهاجر ، انظروا الزقاق الذي دخل فيه. ففتش عليه وأتي به، فقال له: لا جزاك الله من زائرٍ خيراً! قتلت طبيبي؟.

فقال: قتلتُ المأمور، وبقي الآمر!.

فقال: عليك لعنة الله ، أما والله لو كان تشهَّد مرة واحدة لقتلتك به. أمعك نافع؟ قال: لا . قال: بلى – والله – ما اجترأت إلا به. ثم أمر بطلبه

---

١ : **النقي**: مخ العظام وشحمها.

٢ : **يتمسَّى**: أي يقضي عند ساعات المساء.

٣ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من عيون الأنباء ١٧٢ .

فوجد، فأتي به، فضُرِبَ مائة سوط، ولم يهج خالداً بشيء أكثر من أن حبسه، وألزم بني مخزوم دية ابن أثال، اثني عشر ألف درهم، أدخل بيت المال منها ستة آلاف، وأخذ ستة آلف، فلم يزل ذلك يجري في دية المعاهَد حتى ولي عمر بن عبد العزيز فأبطل الذي يأخذه السلطان، وأثبت الذي يدخل بيت المال.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي(١)، في كتاب "الأمثال" : إن معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - كان خاف أن يميل الناس إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فاشتكى عبد الرحمن فسقاه الطبيب شربة عسل فيها سم! فأحرقته.

فعند ذلك قال معاوية - رضي الله عنه - لا جدّ إلا ما أقعص عنك ما تكره(٢).

---

١ : **القاسم بن سلاّم** الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني، البغدادي، أبو عبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، من أهل هراة ولد سنة ١٥٧ هجرية = ٧٧٤م ، وتعلم بها وكان مؤدّباً، ورحل إلى بغداد فولي القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة، ورحل إلى مصر سنة ٢١٣هجرية وإلى بغداد، فسمع الناس من كتبه، وحجَّ فتوفي بمكة سنة ٢٢٤هجرية = ٨٣٨م ، وكان منقطعاً للأمير عبد الله بن طاهر، كلما ألّف كتاباً أهداه إليه، وأجرى له عشرة آلاف درهم، من مصنفاته: "الغريب المصنف" مجلدان، في غريب الحديث، ألفه في نحو أربعين سنة، وهو أول من صنف في هذا الفن، و"الأمثال" وهو مطبوع، و"الأموال"، وغيرها ، قال الجاحظ: "لم يكتب الناس أصح من كتبه، ولا أكثر فائدة ".

انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٢ / ٥، ووفيات الأعيان ١ /٤١٨، والأعلام للزركلي ٥ /١٧٦ .

٢ : قال الميداني في "مجمع الأمثال" الجزء الثاني، الباب الثالث والعشرون فيما أوله لام" في الفصل: ٣٥٠٨- لا جَدَّ إلاَّ ما أَقْعَصَ عَنْكَ مَا تكْرَهُ. يُقَال: ضَرَبه فأقْعَصَه، أي: قتله مكانه. يقول: جَدُّكَ الحقيقي ما دَفَع عنك المكروه وهو أن يقتل عدوك دونك، قَاله معاويةُ حين خاف أن يَميل الناسُ إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فاشتكى عبدَ الرحمن، فسقاه الطبيبُ شربةَ عسلٍ فيها سم فأحرقته فعند ذلك قَال معاوية هذا القول.

قال: وقال معاوية – رضي الله عنه – أيضاً حين بلغه أن الأشتر سقي شربة عسل فيها سمٌّ، فمات. : "إن لله جنوداً منها العسل"[١].

ونقلت من تاريخ أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي قال: " لما كان في سنة ثمانٍ وثلاثين، بعث علي بن أبي طالب – رضي الله عنه وكرم الله وجهه – الأشتر والياً على مصر بعد قتل محمد بن أبي بكر، وبلغ معاوية – رضي الله عنه – مسيره، فدسَّ إلى دهقان[٢] بالعريش، فقال: إن قتلت الأشتر فلك خراجك عشرين سنة.

فلطف له الدهقان، فقال: أيُّ الشراب أحبُّ إليه؟.

فقيل: العسل.

فقال: عندي عسل من عسل برقة[٣]، فسمَّه وأتاه به، فشربه، فمات.

فبلغ ذلك معاوية، فقال: لليدين وللفم[٤].

وفي تاريخ الطبري : " أن الحسن بن علي رضي الله عنهما، مات مسموماً في أيام معاوية – رضي الله عنه –. وكان عند معاوية – كما قيل – دهاء، فدسَّ إلى

---

١ : قال في "مجمع الأمثال" الجزء الأول، الباب الأول فيما أوله همزة. في الفصل: ١٥– إن للّه جُنُوداً مِنْهَا العَسَلُ" قاله معاوية لما سمع أن الأشْتَر سُقِيَ عسلاً فيه سم فمات. يضرب عند الشَّماتة بما يصيب العدو.

٢ : **الدِّهْقانُ**، بالكسر والضم: القَوِيُّ على التَّصَرُّفِ معَ حِدَّةٍ، والتاجِرُ، وزَعيمُ فَلاَّحِي العَجَمِ، ورَئِيسُ الإِقْلِيمِ، مُعَرَّبٌ ج: دَهَاقِنَةٌ ودَهاقِينُ، والاسمُ: الدِّهْقَنَةُ، وهي: بهاء، وقد تَدَهْقَنَ.

٣ : **برقة**: اسم قرية بقُمّ في إيران من بلاد فارس.

٤ : قال في "مجمع الأمثال" الجزء الأول الباب الثالث فيما أوله تاء. في الفصل: ٦٦٠– تَعْساً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ. كلمة يقولها الشامت بعَدُوه، يقال: تَعِسَ يَتْعَسُ تَعْساً إذا عثر، وأتعسه اللّه، و "لليدين" معناه على اليدين.

جعدة بنت الأشعث - وكانت زوجة الحسن رضي الله عنه - شربةً، وقال لها: إن قتلت الحسن زوَّجتكِ يزيد!. فلما توفي الحسن، بعثت إلى معاوية تطلب قوله!. فقال لها في الجواب: أنا أضنُّ بيزيد![1].

وقال كثير يرثي الحسن رضي الله عنه:[**السريع**]

يا جعد[2]! بكِّيه ولا تسأمي ... بكاء حقٍّ ليس بالباطل

لن تستري البيت على مثله ... في الناس من حافٍ ومن ناعل[3]

ومنهم:

٥٦- أبُو الحَكَم *

وكان من حذّاق الحكماء، وسُبَّاق أهل الطبّ القدماء، وله في علمه حقائق، وفي فهمه ما ينفد مدد الأعمار وما ينتهي منه إلى دقائق، وله في دمشق بقيَّةٌ ورثوا ما خلَّف من علمه، وحلى لبنيه لا يظلم أحد منهم في قسمه.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان طبيباً نصرانياً، عالماً بأنواع العلاج والأدوية، وله أعمال كثيرة مذكورة، وصفات مشهورة.

وكان يستطبه معاوية بن أبي سفيان، ويعتمد عليه في تركيبات أدويته

١ : قال الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام بعد قوله:" وقالت طائفة: كان ذلك بتدسيس معاوية إليها، وبذل لها على ذلك ، وكان لها ضرائر" **قال الذهبي:** "**قلت: هذا شيء لا يصح فمن الذي اطَّلع عليه؟**".

انظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٤ / ٤٠ .

٢ : **جعد**: ترخيم "جِعدة" اسم امرأة الإمام الحسن رضي الله عنه وعن أبيه وأمه وأخيه.

٣ : **الناعل**: الذي ينتعل الحذاء. يقول: إن تستري من مات قلبه حباً على مثله، فإن في الناس حافياً ميتاً من حبه، ومنهم السليم السعيد بحبه،والأبيات في ديوان كثير ص،٢٦٩طبعة دار صادر.

* ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١٧٥ .

لأغراض قصدها منه.

وعُمِّر أبو حكم هذا عمراً طويلاً حتى تجاوز المائة سنة.

قال يوسف بن إبراهيم[١]: " وحدَّثني عيسى بن حكم عن أبيه، أن جده أعلمه أنه كان حمى عبد الملك بن مروان من شرب الماء من علّته التي توفي فيها، وأعلمه أنه متى شرب الماء قبل نضج علّته توفي. قال: فاحتمى عن الماء يومين وبعض الثالث. قال: فإني عنده لجالس، وعنده بناته، إذ دخل عليه الوليد ابنه، فسأله عن حاله، وهو يتبين في وجه الوليد السرور بموته، فأجابه بأن قال: [**الطويل**]

ومستخبراً عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والدموع سواجم!

وكان استفتاحه النصف الأول وهو مواجه للوليد، ثم واجه البنات عند قوله النصف الثاني، ثم دعا بالماء فشربه، فقضى من ساعته.

ومنهم:

٥٧- حَكَم الدِّمَشقِيُّ*

ممن نَمّى وراثة أبيه، ودمَّى[٢] بفضله قلوب حاسديه، وأمسى على من

١ : **يوسف بن إبراهيم أبو الحسن بن الداية**: من الحُسَّاب، الكُتَّاب، بغدادي، من موالي إبراهيم بن المهدي، كان ابن دايته، ونشأ في خدمته، ومات ابن المهدي فرحل يوسف إلى دمشق سنة ٢٢٥هجرية، ومنها إلى مصر، فكان من جُلّة كُتَّابها، ومن أهل الثراء والنعمة فيها. من مصنفاته: " أخبار الأطباء" نقل عنه ابن أبي أصيبعة جملة في التعريف بموضع جالينوس ومسكنه، وكتاب آخر في أخبار ابن المهدي. توفي نحو سنة ٢٦٥هجرية = ٨٧٨م.

انظر ترجمته في: معجم الأدباء لياقوت ٢/١٥٧-١٥٩، والأعلام للزركلي ٨/٢١٢.

* ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١٧٦-١٧٧.

٢ : أي: أدمى قلوب حاسديه غيظاً وحنقاً.

ناوأه(1) شديد الشكيم(2)، وأضحى وهو لا يدعى إلا الحكم الحكيم.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان يلحق بأبيه في معرفته بالمداواة والأعمال الطبِّيَّة، والصفات البديعة، وكان مقيماً بدمشق، وعُمِّر أيضاً عمراً طويلاً كأبيه" .

قال يوسف بن إبراهيم: حدثني عيسى بن حكم أن والده توفي وكان عبد الله بن طاهر(3) بدمشق ، في سنة عشرين ومائتين، وأن عبد الله سأله عن مبلغ عمر أبيه، فأعلمه أنه عُمِّر مائة وخمس سنين، لم يتغير عقله، ولم ينقص عمله!.

فقال عبد الله: عاش حكم نصف التاريخ!(4).

قال يوسف: وحدَّثني عيسى أنه ركب مع أبيه حكم بمدينة دمشق، إذ اجتازوا بحانوت حجَّام، قد وقف عليه بشرٌ كثير، فلما بصُر بنا بعض الوقوف، قال: افرجوا، هذا حكم المتطبِّب، وعيسى ابنه.

وأفرج القوم، فإذا رجلٌ قد فصده الحجَّام في العرق الباسليق(5)، وقد فصده

---

١ : **ناوأه**: أي عاداه.

٢ : **الشكيمُ والشَّكِيمةُ** في اللجام الحديدةُ المُعْتَرِضة في فم الفرس التي فيها الفأس.

٣ : **عبد الله بن طاهر** بن الحسين بن مصعب ابن زريق الخزاعي، بالولاء، أبو العباس، أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي، أصله من "باذغيس" بخراسان، وكان جده الأعلى زريق من موالي طلحة بن عبد الله المعروف بطلحة الطلحات، وولي إمرة الشام مدة، ونقل إلى مصر سنة ٢١١هجرية، فأقام سنة، ثم ولاه المأمون خراسان، واستمر إلى أن توفي بنيسابور سنة ٢٣٠هجرية.
انظر ترجمته في: الطبري ١١ /١٣، وفيات الأعيان ١ / ٢٦٠، والأعلام للزركلي ٤ /٩٣-٩٤ .

٤ : أي أنه إذا كانت السنة التي سأله فيها عن عمر أبيه سنة ٢١٠ هجرية، وأبوه عاش مائة وخمس سنين فيكون أبوه عاش نصف ذلك التاريخ.

٥ : **الباسليق**: عرق في الذراع، ذكره الثعالبي، وهو مما عرِّبه. وذكره الخفاجي في النص وفيه: " وهو مما عرَّبه المولّدون" . انظر: شفاء الغليل ٦٨، وقصد السبيل للمحبي ١ /٢٤٥ .

فصداً واسعاً، وكان الباسليق على الشريان، فلم يحسن الحجَّام تعليق العرق، فأصاب الشريان، ولم يكن عند الحجَّام حيلة في قطع الدم. واستعملنا الحيلة في قطعه بالرفائد(١) ونسج العنكبوت والوبر، فلم ينقطع بذلك. فسألني والدي عن حيلة ، فأعلمته أنه لا حيلة عندي، فدعا بفستقة، فشقَّها وطرح ما فيها وأخذ أحد نصفي القشر فجعله على موضع الفصد،ثم أخذ حاشية من ثوب كان غليظ ، فلفَّ بها موضع الفصد على قشر الفستقة لفّاً شديداً، حتى كان يستغيث المفتصد من شدته، ثم شدّ ذلك بعد اللف شدّاً شديداً، وأمر بحمل الرجل إلى نهر بردى، وأدخل يده في الماء ووطّأ له على شاطئ النهر(٢) ونوَّمه عليه، وأمر فحسي مُحَّات(٣) بيض نمرشت(٤)، ووكَّل به تلميذاً من تلامذته، وأمره بمنعه من إخراج يده من موضع الفصد من الماء إلا عند وقت الصلاة، أو يتخوَّف عليه الموت من شدة البرد، فإن تخوَّف ذلك أذن له في إخراج يده هنيهةً(٥)،ثم أمره بردِّها.

ففعل ذلك إلى الليل، ثم أمر بحمله إلى منزله، ونهاه عن تغطية موضع الفصد، وعن حلِّ الشدّ قبل استمام خمسة أيام ففعل ذلك، إلا أنه صار إليه في اليوم الثالث وقد ورم عضده وذراعه ورماً شديداً، فنفَّس من الشدِّ شيئاً يسيراً، وقال للرجل: الورح أسهل من الموت.

١ : **جمع رفادة**: والرِّفَادةُ بالكسر خرقة يرفد بها الجرح وغيره.

٢ : أي فرش له وطاء، ومهَّد له مكاناً للنوم.

٣ : **مُحَّات**: جمع "مُحّ" والمُحُّ والمُحَّةُ: صُفْرة البيض، قال ابن سيده: وإنما يريدون فَصَّ البيضة لأن المُحَّ جوهر والصفرة عرض، ولا يعبر بالعرض عن الجوهر، اللهم إلا أن تكون العرب قد سمَّت مُحَّ البيضة صُفْرَةً.

٤ : **نيمْبِرِشْت**: نيمرِشْت (بَيْض برِشْت).

٥ : **الهنيهة**: أي قليلا من الزَّمان، وهو تَصْغِير هَنَةٍ. ويقال. هُنَيْهَة، أيضا.

فلما كان في اليوم الخامس حلَّ الشداد، فوجدنا قشر الفستقة ملتصقاً بلحم الرجل. فقال والدي للرجل: "بهذا القشر نجوتَ من الموت، فإن خلعت هذا القشر قبل انخلاعه وسقوطه من غير فعلٍ منك، تلفت نفسك".

قال عيسى: فسقط القشر في اليوم السابع، وبقي في مكانه دمٌ يابس في خلقة الفستقة، فنهاه والدي عن العبث به، أو حكٍّ ما حوله، أو حتٍّ شيء من ذلك الدم، فلم يزل الدم يتحاتّ حتَّى انكشف موضع الفصد في أكثر من أربعين ليلة، وبرئ الرجل"(١).

ومنهم:

٥٨- عِيسَى بنُ حَكَم الدِّمَشقِيُّ المعروف بالمَسِيح*

عرف بهذا لما ظهرت من الآثار المسيحيَّة على يديه العيسوية، ونقلت العجائب إلا أنها غير النبوية، وكان من فضلاء الأطبَّاء، ونبلاء ذوي الأنباء.

قال ابن أبي أصيبعة: "وهو صاحب "الكناش(٢) الكبير" الذي يعرف به ويُنسب إليه".

---

١ : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ١٧٦-١٧٧ .

*(من القرن الثاني الهجري) **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١٧٧-١٧٨، ومعجم العلماء العرب، باقر أمين الورد ٢ ١٠٢ رقم ١٢٦ . .

٢ : **الكنّاش:** بضم الكاف وتخفيف النون،وآخره شين معجمة: بزنة "غُراب"، لفظ سرياني معناه: المجموعة، والتذكرة، والكنش : الجماعة، قال في شفاء الغليل: "كما أخبرني به بعض الثقات من الأجناد". وقد وقع هذا اللفظ كثيراًفي كلام الحكماء، وسَمَّوا به بعض كتبهم، كما يعرفه من طالع كتب الحكمة. انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ / ٤٠٤، شفاء الغليل ٢٣١ .

قال يوسف بن إبراهيم: وحدّثني عيسى بن حكم أنه عرض لغضيض أم ولد الرشيد قولنج[١]، فأحضرته، وأحضرت الأبح[٢]،والطبري الحاسبين. وسألت عيسى عما يرى معالجتها به؟.

قال عيسى: فأعلمتها أن القولنج قد استحكم بها استحكاماً إن لم تبادره بالحقنة لم يؤمن عليها التلف.

فقالت للأبح والطبري: اختارا لي وقتاً أتعالج فيه.

فقال لها الأبح: علّتُك هذه ليست من العلل التي يمكن أن يؤخر لها العلاج إلى وقت يحمده المنجّمون. وأنا أرى أن تبادري بالعلاج قبل أن تعملي عملاً؛ وكذلك يرى عيسى بن حكم. فسألتني، فأعلمتها أن الأبحَّ قد صدقها.

فسألت الطبري عن رأيه؟.

فقال: القمر اليوم مع زُحل، وهو في غدٍ مع المشتري، وأنا أرى لكِ أن تؤخِّري العلاج إلى مقارنة القمر مع المشتري.

فقال الأبحُّ: أنا أخاف أن يصير القمر مع المشتري،وقد عمل القولنج عملاً لا يحتاج معه إلى علاج. فتطيّرت من ذلك غضيض وابنتها أم محمد، وأمرتا بإخراجه من الدار، وقبلت قول الطبري. فماتت غضيض قبل موافاة القمر المشتري، فلما وافى القمر المشتري قال الأبح لأمِّ محمد هذا وقت اختيار الطبري للعلاج؛ فأين العليل حتى نعالجه؟.

---

١ : **القُولَنْجُ**، وقَدْ تُكْسَرُ لامُهُ، أو هو مكسورُ اللامِ، ويُفْتَحُ القافُ ويُضَمُّ: مَرَضٌ مِعَوِيٌّ مُؤْلِمٌ، يَعْسُرُ معه خُروجُ الثُّفْلِ والرِّيح.

٢ : الحسن بن إبراهيم البغدادي الشهير **بالأبح**: من علماء الرياضة في زمن المأمون العباسي، له من الكتب: "الاختيارات" و"المطر"و"المواليد"، توفي سنة ٢٣٠هجرية = ٨٤٥م.

انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٢ / ١٧٨ .

فزادتها رسالته غيظاً عليه، ولم تزل سيِّئة الرأي فيه حتى توفّيت.

قال يوسف: نزلت على عيسى بن حكم في منزله بدمشق سنة خمس وعشرين ومائتين، وبي نزلةٌ(١) صعبة، فكان يغذوني بأغذية طيبة، ويسقيني الثلج، فكنت أنكر ذلك، وأُعلِمه أن تلك الأغذية مضرَّة بالنزلة. [فيعتلُّ عليَّ](٢) بالهواء ويقول: " أنا أعلم بهواء بلدي منك، هذه الأشياء مضرةٌ بالعراق، نافعة بالشام".

فكنت أغتذي بما يغذوني به، فلما خرجت عن البلد خرج مشيِّعاً لي حتى صرنا إلى الموضع المعروف بالراهب، وهو الموضع الذي فارقني فيه، فقال [لي] قد أعددتُ لك طعاماً يُحمل معك، يخالف الأطعمة التي كنت تأكلها، وأنا آمرك أن لا تشرب ماءً بارداً، ولا تأكل من مثل الأغذية التي كنت تأكلها في منزلي شيئاً".

فلُمته على ما كان يغذوني به، فقال: إنه لا يحسن بالعاقل أن يلزم قوانين الطب مع ضيفه في منزله.

قال يوسف: وتجاريت وعيسى يوماً بدمشق ذكرَ البصل، فأفرط في ذمِّه، ووصفِ معايبه. وكان عيسى وسَلْمَويه بن بنان(٣) يسلكان طريق الرُّهبان، ولا يحمدان شيئاً مما يزيد في الباه، ويذكران أن ذلك مما يتلف الأبدان، ويذهب الأنفس. فلم أستجز الاحتجاج عليه بزيادة البصل في الباه. فقلت له: قد رأيت

١ : **النَزْلَة**: اِلْتِهَابُ القَنَاةِ التَنَفّسِيّة .

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من عيون الأبناء.

٣ : **سلمويه بن بنان**: طبيب فاضل، اختاره المعتصم العباسي لنفسه سنة ٢١٨هجرية، وخص به، وله معه أخبار، كان عاقلاً مدبِّراً، اكتسب من خدمة الخلفاء معرفة بالسياسة، توفي سنة ٢٢٥ هجرية.

انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٣ / ١١٤ .

له في سفري هذا – أعني فيما بين سُرَّ من رأى ودمشق – منفعة.

فسأل عنها، فأعلمته: أني كنت أذوق الماء في بعض المناهل، فأصبته مالحاً، فآكل البصل النَّيء ثم أعاود شرب الماء، فأجد ملوحته قد نقصت.

وكان عيسى قليل الضحك، فاستضحك من قولي، ثم رجع إلى إظهار جزع منه، ثم قال: يعزُّ عليَّ أن يغلط مثلك هذا الغلط، لأنك صرت إلى أسمج نكتة في البصل، وأعيب عيب فيه، فجعلتها مدحاً ثم قال: أليس متى حدث في الدماغ فسادٌ فسدت الحواس حتى ينقص حسُّ الشمِّ والذوق والسمع والبصر؟. فأعلمته أن الأمر كذلك.

فقال لي: إن خاصّيَّة البصل إحداث فساد في الدماغ، فإنما قلَّل حسَّك بملوحة الماء ما أحدث البصل في دماغك من الفساد!.

قال يوسف: وقال لي عيسى وقد شيَّعني إلى الراهب وهو آخر كلام دار بيني وبينه: أن والدي توفي وهو ابن مائة سنة وخمس سنين، لم يتشنَّج له وجه، ولم ينقص من ما وجهه، لأشياء كان يفعلها، وأنا الآن مزوّدكها فاعمل بها، وهي: " لا تذق القديد، ولا تغسل يديك ورجليك عند خروجك من الحمام أبداً إلا بماء بارد أبرد ما يمكنك، والزم ذلك فإنه ينفعك".

فلزمت ما أمرني به، [من هذا الباب إلا أني ربما مصصت القطعة الصغيرة من القديد في السنة، وفي الأكثر من ذلك][١].

---

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الأصل استكمل من "عيون الأنباء" وزاد فيه: " ولعيسى بن حكم من الكتب: كناش، وكتاب منافع الحيوان".

ومنهم:

٥٩- تياذوق*

حكيمٌ ماهر، وعليمٌ عِلمه ماهر، وحميم لا تبل به عين صديق، ولا يعل السلسل إلا صفو رحيق، ولم يزل يقمع سلطان المرض علاجُه، ويمنع وجهه الندي مناظراً يثور عجاجه.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان طبيباً فاضلاً، وله نوادر وألفاظ مستحسنة في صناعة الطب، وعُمِّر. وكان في أول دولة بني أميَّةَ، ومشهوراً عندهم بالطب، وصحب أيضاً الحجاج بن يوسف الثقفي، المتولى من جهة عبد الملك بن مروان، وخدمه بصناعة الطب، وكان يعتمد عليه، ويثق بمداواته، وكان له الجامكية(١) الوافرة، والافتقاد الكثير.

ومن كلام تياذوق للحجّاج قال:

"لا تنكح إلا شابَّة، ولا تأكل من اللحم إلا فتيّاً، ولا تشرب الدواء إلا من علَّة، ولا تأكل الفاكهة إلا في أوان نضجها، وأجِدْ مضغ الطعام، وإذا أكلت نهاراً فلا بأس أن تنام، وإذا أكلت ليلاً فلا تنم حتى تمشي، ولو خمسين خطوة".

---

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ١٧٩-١٨١، موسوعة علماء الطب ١١٨-١١٩، معجم العلماء العرب ٨٧-٨٨، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ١٠٥، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/٩٦، وعلماء النصرانية في الإسلام، لويس شيخو ١٣٩، والطب عند العرب والمسلمين تاليف محمود الحاج قاسم محمد ٦٢.

١ : **الجامكية**: من الفارسية: "كلمة" بمعنى اللباس، والجامكية في الاصطلاح: الجراية الشهرية تعطى من غلة الوقف، فهي من ناحية أجر، ومن ناحية أخرى منحة.

انظر: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى صفحة ٥٩.

فقال له بعض من حضر: إذا كان الأمر كما تقول، فلِمَ هلك بقراط؟. ولمَ هلك جالينوس وغيرهما؟. ولم أرَ واحداً منهم فعل ذلك.

قال: يا بني! قد احتججتَ فاسمع!. إن القوم دبَّروا أنفسهم بما يملكون، وغلبهم ما لا يملكون – يعني الموت – وما يردُ من خارج كالحر والبرد، والوقوع، والغرق، والجراح،والغمّ، وما أشبه ذلك.

وأوصى تياذوق أيضاً الحجَّاج فقال:" لا تأكلَنَّ حتى تجوع، ولا تتكارهنَّ على الجماع، ولا تحبس البول، وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك"(١).

وقال أيضاً للحجَّاج :" أربعة تهدم العمر، – وربَّما قَتَلْنَ –: دخول الحمَّام على البطنة(٢)، والمجامعة على الامتلاء، وأكل القديد الجاف، وشرب الباء البارد على الريق، وما مجامعة العجوز ببعيدة منهنّ".

ووجد الحجَّاج في رأسه صُداعاً، فبعث إلى تياذوق، وأحضره، فقال:" اغسل رجليك بماء حارّ، وادهنهما. وخصيّ الحجَّاج قائم على راسه، فقال: والله ما رأيت طبيباً أقلَّ معرفة بالطب منك!. شكا الأمير الصداع في رأسه، فتصف له دواء في رجليه!.

فقال له: إن علامة ما قلت فيك بيِّنة!.

قال الخَصيُّ: وما هي؟.

قال: نُزعت خصيتاك ، فذهب شعر لحيتك!. فضحك الحجَّاج ومن حضر.

وشكا الحجَّاج ضعفاً في معدته، وقصوراً في الهضم إلى تياذوق.

---

١ : عيون الأنباء ١٧٩ .

٢ : أي: على شبع.

فقال: " يكون الأمير يحضر بين يديه الفستق الأحمر، القشر البرَّاني، ويكسر ويأكل من لبه؛ فإن ذلك يقوِّي المعدة.

فلما أمسى الحجَّاج بعث إلى حظاياه، وقال: إن تياذوق وصف لي الفستق، فبعثت إليه كل واحدة منهنَّ صينيَّةً فيها قلوب فستق، فأكل من ذلك حتى امتلأ، وأصابته بعقبه هيضة[١] كادت تأتي على نفسه. فشكا حاله إلى تياذوق، وقال: وصفت لي شيئاً أضرَّني، وذكر له ما تناول.

فقال له: إنما قلت لك أن تحضر عندك الفستق بقشره البراني، فتكسر الواحدة بعد الواحدة، وتلوك قشرها البراني وفيه العطرية والقبض. فيكون بذلك تقوية المعدة. وأنت فقد عملت غير ما قلت لك!. وداواه مما عرض له.

قيل: ومن أخباره مع الحجَّاج: أنه دخل عليه يوماً؛ فقال له الحجَّاج: أي شيء دواء أكل الطين؟.

فقال: عزيمة مثلك أيها الأمير!.

فرمى الحجَّاج بالطين ولم يعد إليه أبداً.

وقيل: إن بعض الملوك لما رأى تياذوق، وقد شاخ وكبر سنه، وخشي أن يموت ولا يُعتاض عنه، لأنه كان أعلمَ الناس، وأحذق الأمَّة في وقته بالطب.

فقال له: صِفْ لي ما أعتمد عليه فأسوس به نفسي، وأعمل به أيام حياتي، فلست آمن أن يحدث عليك حدث الموت، ولا أجد مثلك!.

فقال تياذوق: " أيها الملك بالخيرات!. أقول لك عشرة أبواب، إن عملت بها واجتنبتها لم تعتلَّ مدة حياتك، وهذه عشر كلمات:

---

١ : يقال بالرجل هَيْضَةٌ أي به قُيَاءٌ وقِيَامٌ والله سبحانه وتعالى أعلم.

– لا تأكل طعاماً وفي معدتك طعام.

– ولا تأكل ما تضعف أسنانك عن مضغه، فتضعف معدتك عن هضمه.

– ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين، فإن أصل الداء التخمة، وأصل التخمة الماء على الطعام.

– وعليك بدخول الحمام في كل يومين مرة واحدة، فإنه يخرج من جسدك ما يصل إليه الدواء.

– وأكثر الدم في بدنك تحرس به نفسك.

– وعليك في كل فصل قيئة ومسهّلة.

– ولا تحبس البول وإن كنت راكباً.

– واعرض نفسك على الخلاء قبل نومك.

– ولا تكثر الجماع فإنه يقتبس من نار الحياة فليكثر أو يقل.

– ولا تجامع العجوز فإنه يورث الموت فجأة.

فلما سمع الملك أمر كاتبه أن يكتب هذه الألفاظ بالذهب الأحمر، ويضعه في صندوق من ذهب مرصّع، وبقي ينظر إليه في كل يوم ويعمل به، فلم يعتلَّ مدة حياته، حتى جاءه الموت الذي لا بدَّ منه،ولا محيص عنه.

وذكر إبراهيم بن القاسم الكاتب قال: قال الحجّاج لابنه: يا بني! إن تياذوق الطبيب كان قد أوصاني في تدبير الصحة بوصية كنت أستعملها، فلم أرَ إلا خيراً.

ولما حضرته الوفاة دخلت عليه أعوده، فقال: الزم ما كنت وصيتك به، وما نسيت منها فلا تنس: " لا تشربن دواء حتى تحتاج إليه، ولا تأكلن طعاماً وفي

جوفك طعام ، وإذا أكلت فامش أربعين خطوة، وإذا امتلأت من الطعام فنم على جنبك الأيسر، ولا تأكلنَّ الفاكهة وهي مولِّية، ولا تأكلنَّ من اللحم إلا فتيًّا، ولا تنكحنَّ عجوزاً، وعليك بالسواك، ولا تتبعنَّ اللحم اللحم، فإن إدخال اللحم على اللحم يقتل الأسود في الفلوات" .

وقال أيضاً إبراهيم بن القاسم الكاتب، في كتاب " أخبار الحجَّاج" : إن الحجَّاج لما قتل سعيد بن جبير - رحمه الله تعالى - وكان من خيار التابعين، وجرى بينهما كلام كثير، وأمر به فذبح بين يديه، وخرج منه دمٌ كثير، استكثره وهاله.

فقال الحجَّاج لتياذوق طبيبه: " ما هذا؟.

قال : لاجتماع نفسه، وإنه لم يجزع من الموت، ولا هاب ما فعلته به، وغيره تقتله وهو مفترق النفس، فيقل دمه لذلك" .

ومات تياذوق بعد ما أسنَّ وكبر، وكانت وفاته بواسط في نحو سنة تسعين للهجرة(١) .

ومنهم:

٦٠ - زينب طبيبة بني أود*

وكانت طبيبةً عارفةً، لا كما زعم ابن أبي ربيعة: عالمةً حليمة، ولا كما قال

١ : قال ابن أبي أصيبعة: ولتياذوق من الكتب كناش كبير ألفه لابنه، وكتاب إبدال الأدوية، وكيفية دقها، وإيقاعها، وإذابتها، وشيء من تفسير أسماء الأدوية. و"الإبدال" إما من أدل، أدلا، أو من ودل، و"دلا اللبن:نمخضه، وهي بهذا المعنى أي مخض الأدوية، وهو مزجها بالماء وتحريكها. كذا ذكرفي عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١٨١ .

* **ينظر ترجمتها في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١٨١ .

ابن سناء الملك[١] في موشحته البديعة: مُتِّعت بالعلم فلم تخس فوتا، ونفعت بطبِّها الأحياء، وكادت تنعش الموتى، ما عرفها إلا من شكر، ولا أنصفها من قاسها من الحكماء برجل ولا الصارم الذكر.

قال ابن أبي أصيبعة[٢]: "كانت عارفة بالأعمال الطبية، خبيرةً بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات، مشهورة بين العرب بذلك".

قال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب "الأغاني" الكبير، قال: "أخبرنا [محمد بن خلف المرزبان قال: حدثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه، عن جده، قال: أتيت امرأة من بني أود لتكحلني من رمد كان أصابني، فكحَّلتني ثم قالت لي: اضطجع قليلاً حتى يذوب الدواء في عينيك، فاضطجعت، ثم تمثَّلت قول الشاعر: [**الطويل**]

أمخترمي ريب المنون ولم أزر   طبيب بني أود على النأي زينبا[٣]

فضحكت ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟. قلت: لا. قالت: فيَّ - والله - قيل. أنا زينب التي عناها، وأنا طبيبة بني أود، أفتدري من الشاعر؟. قلت: لا. قالت: عمك أبو سماك الأسدي[٤].

---

١ : **ابن سناء الملك**: هبة الله بن جعفر بن سناء الملك، أبي عبد الله محمد بن هبة الله السعدي، أبو القاسم، القاضي السعيد: شاعر من النبلاء، مصري المولد والوفاة، كان وافر الفضل، رحب النادي، جيد الشعر، بديع الإنشاء، كتب في ديوان الإنشاء بمصر مدة، وولاه الملك الكامل ديوان الجيش سنة٦٠٦هجرية. توفي سنة ٦٠٨هجرية = ١٢١٢م. =

= **انظر ترجمته في**: وفيات الأعيان ٢ / ١٨٨، والأعلام للزركلي ٨ / ٧١ .

٢ : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ١٨١ .

٣ : الشاعر مجهول.

٤ : انظر : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٣ / ٣٤٤ .

أطبّاء السّريان الكائنين في ابتداء الدولة العباسية :

منهم :

٦١- جورجيس بن جبريل [بن بختيشوع]*

طبيب طالما أصلح بين الصحة والمزاج، وأصبح وعليلُه لا يحتاج إلى العلاج، رزق من أبي جعفر المنصور إقبال على تجهُّمه، وصادف علاجه منه قبولٌ على توهُّمه، وحظي منه بحظوة على قلة من حظي بطائل، وحبي منه بالجزيل - على بخله - بالنائل، وحمي من نزغات(١) غضبه، وما قال هذا عنه سواه قائل.

قال ابن أبي أصيبعة(٢) : " كانت له خبرة بصناعة الطب، ومعرفةٌ بالمداواة وأنواع العلاج، وخدم [بصناعة الطب] المنصور، وكان حظيّاً عنده، ونال من جهته أموالاً جزيلة، ونقل له كثيراً من كتب اليونان إلى العربي" .

قال فثيون(٣) الترجمان : كان المنصور قد فسدت معدته، وانقطعت شهوته،

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة - صفحة ١٨٣-١٨٦، و د. محمود الحاج قاسم محمد : "الطب عند العرب والمسلمين ٦٥-٦٦،و الفهرست لابن النديم ٢٩٦،وتاريخ الحكماء للقفطي ١٥٨-١٦٠، والأعلام للزركلي ٢ /١٤٦،و علماء النصرانية في الإسلام - لويس شيخو ١٢٧-١٢٩ .

١ : **النَّزْغ**: وهو الطَّعْن والفساد. يقال: نَزَغ الشيطانُ بينهم يَنْزِغُ نَزْغاً أي أفسد وأغْرَى. ونَزَغه بكلمة سُوء: أي رماه بها، وطعن فيه.

٢ : عيون الأنباء ١٨٣ .

٣ : **فثيون** : هو فثيون بن أيوب ، ترجمانٌ نقل إلى العربية بعض الأسفار المقدسة،وأرَّخ سير الأطباء السريانيين مع خلفاء بني العباس في القرن التاسع.

وبقي كلما عول ازداد مرضاً، فتقدَّم إلى الربيع[١] بأن يجمع الأطباء لمشاورتهم، فجمعهم، فسألهم عن طبيب ماهر؟. فقالوا: ليس أحدٌ مثل جورجيس رئيس أطباء "جُندَي سابور"[٢]، فأنفذ لإحضاره، فاستمهله، فاعتقله، فأتاه المطران، ورؤساء المدينة، وأشاروا عليه بالخروج بعد أن أوصى ابنه بختيشوع بأمر البيمارستان، وسائر أموره.

فلما أتى حضرة المنصور، أجلسه، وسأله عن أشياء أجابه عنها بسكون. فقال له: قد ظفرت منك بما كنت أحبه، وخلع عليه، وأمر له بمنزل ونفقة، وحدَّثه بعلَّته، ثم نظر إلى قارورة الماء، وأشار عليه بتخفيف الغذاء، ولاطفه حتى عوفي.

ثم لما دنا أجله مرض مرضاً مثقلاً، وأمر به المنصور فحمل إليه حتى رآه، وعرض عليه الإسلام، فأبى!![٣]، وسأل أن يحمل إلى بلده ليدفن عند آبائه،

١ : **الربيع** : وزير المنصور وكاتم سرّه.

٢ : **جندا سابور**: بضم أوله وإسكان ثانيه، مثنى مضاف إلى سابور، مدينة من بلاد فارس ، وهي تجري مجرى المثنى، يقال : هذا جندا سابور، ودخلت جندي سابور، وهي من عمل خوزستان في نشز من الأرض، حسنة حصينة، منيعة، تميز من جاورها بخيرها، وبها نخل كثير، وزروع، ومياه، وعمارات وخصب، وفواكه وأسواق جامعة لضروب من الصنائع، وبينها وبين السوس مرحلة. انظر: الروض المعطار ر٢٩١

٣ : **قال ابن أصيبعة**:" ولما كان في سنة مائة واثنتين وخمسين ، مرض جورجيس مرضاً صعباً، وكان الخليفة يرسل إليه في كل يوم الخدم حتى يعرف خبره، ولما اشتد مرض جورجيوس أمر به الخليفة فحمل على سرير إلى دار العامة، وخرج إليه الخليفة ماشياً وراءه، وسأله عن خبره، فبكى جورجيوس بكاء شديداً وقال له: إن رأى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، أن يأذن لي في المسير إلى بلدي لأنظر إلى أهلي وولدي. وإن متُّ قبرت مع آبائي. فقال الخليفة: "ياجورجيوس! اتق الله وأسلم، وأنا أضمن لك الجنة". قال جورجيوس:" أنا على دين آبائي أموت، وحيث يكون آبائي أحب أن أكون، إما في الجنة أو في جهنم!!" فضحك الخليفة من قوله وقال له:" وجدت راحة=

فأعطاه عشرة آلاف دينار ، وردَّه بعد أن استخلف لديه تلميذه عيسى بن سهل؛ فأساء السيرة، وبسط يده في المطارنة[١]، والأساقفة[٢]، يأخذ أموالهم لنفسه، حتى إنه كتب لمطران نصيبي[٣] يلتمس منه من آلات البيعة أشياء جليلة المقدار. وقال في كتابه إلى المطران: ألست تعلم أن أمر الملك بيدي إن شئت أمرضته وإن شئت عافيته؟!.

فتلطَّف المطران في الصلة بالربيع، وأقرأه كتاب عيسى بن سهل، فأعلم الربيع المنصور به، فسلبه ما كان حصَّله ، ثم أمر بنفيه وكتب: "إن كان جرجس حياً يحضر، وإن كان قد مات يحضر ابنه" ، فصادف جرجيوس وقد وقع من السطح، وضعف ضعفاً عظيماً، فقيل له، فأبى أن يجهّز إلا إبراهيم تلميذه، فلما أتى المنصور استخلصه ، ولم يزل معه حتى مات المنصور[٤].

=عظيمة في جسمي منذ رأيتك وإلى هذه الغاية. وقد تخلصت من الأمراض التي كانت تلاحقني" . انظر: عيون الأنباء ,١٨٥

١ : **المطارنة**: جمع مطران، ويكسر، وهو عابد النصاري،وكبيرهم، قال أبو منصور : ليس بعربي محض.

انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ /٤٧٧، والمعرب ٣٦٣، عن ابن دريد في الجمهرة ٢ / ٣٧٥ .

٢ : **الأسقف**: نعت من نعوت أكابر النصارى.

٣ : **نصيبين**: مدينة في ديار ربيعة العظمى، وهي من بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات، وهي قديمة عظيمة كثيرة الأنهار والجنات والبساتين،افتتحها عياض بن غنم الفهري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سنة ثمان عشرة، وكانت مدينة رومية، فلما افتتحها أسكنها المسلمين. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ٩٣٢ .

٤ : **ومن مؤلفاته الطبية**: كناشه المشهورة ، وقد نقله حنين بن إسحاق من السرياني إلى العربية. وكتاب" الأخلاط" .

ومنهم:

٦٢- بُخْتيشُوع (١) بنُ جُرجُس النَّصرانيّ *

كان لا يكفَّف له ألمعية(٢)، ولا تلوذ بعيٌّ له لوذعية(٣)، ولا تزال إلى نهاره مبصرة، وسحائب مدده معصره، ودنا من الخلفاء بحيث لا ترفع الستور، ولا ترتع اللحظات في غابة الليث الهصور(٤)، ورأسَ على أقرانه، وانبجس(٥) نهراً لا يضرب الليل دونه بجرانه(٦).

١ : [توفي نحو سنة ١٨٤ هجرية]**ومعنى بختيشوع**: عبد المسيح، لأن "البخت" في السريانية: العبد، و"يشوع": عيسى عليه السلام.

* **ينظر ترجمته في**: الفهرست لابن النديم ٢٩٦، وثمار القلوب للثعالبي، ٤٠٦، ص ٦٧٢ رقم ١١٥٤،و تاريخ الحكماء للقفطي ١٠٠ بتحقيق جوليوس ليبرت، ليبسك ١٩٠٣، والعقد الفريد ١/ ٨٥-٨٦، وتاريخ الزمان ١٧-١٨، وتاريخ مختصر الدول ١٣٠-١٣١، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١٨٦-١٨٧، والوافي بالوفيات ١٠/ ٨٩ رقم ٤٥٣٣، وزهر الآداب للحصري ١/ ٢٣٢، طبعة الأزهرية،و المحاسن والمساويء للبيهقي ٥٨٩، وتاريخ الإسلام ١٢/ ٨٢ . و"بختيشوع" ثلاثة أطباء نصارى هم: بختيشوع بن جرجس، وبختيشوع بن جبريل، وبختيشوع بن يوحنا.

٢ : **الألمعية** : شدة الذكاء، وفلانٌ أَلمعيٌّ، وهو الرجل المُتَوَقِّد.

٣ : **اللَّوْذَعُ واللَّوْذَعِيُّ**: الخفيفُ الذَّكِيُّ، الظريفُ الذِّهنُ، الحديدُ الفُؤاد، واللَّسِنُ الفصيحُ، كأنه يَلْذَعُ بالنارِ من ذَكائِه.

٤ : أي الأسَدُ الشديد الذي يَفْتَرِسُ ويَكْسِر ويُجْمَع على هَوَاصِرَ.

٥ : **انْبَجَسَ** الماءُ وتَبَجَّسَ أي تفجر.

٦ : **الجِرانُ**: باطن العُنُق، وقيل: مُقدَّم العنق من مذبح البعير إلى منحره، فإذا برَك البعيرُ ومدّ عنُقَه على الأرض قيل :ألقى جرانَه بالأرض. وفي حديث عائشة، رضي الله عنها: حتى ضرَب الحقُّ بجِرانِه، أرادت أن الحقَّ استقام وقرَّ في قَراره، كما أن البعير إذا بَرَك واستراح مدّ جِرانَه على الأرض أي عُنُقَه.

وناظر الكبراء، ونافر[1] حتى الأمراء، وسار إماماً في الأطباء، ولولاه لما ركبوا وراء.

قال ابن أبي أصيبعة : " كان يلحق بأبيه في معرفته بالطب، وخدم الرشيد، وتميز في أيامه" .

قال فثيون الترجمان: لما مرض الرشيد أحضر بختيشوع من " جندَي سابور" وأحضر الأطباء لمناظرته، فقال أبو قريش – وكان رأس الأطباء ببغداد –: يا أمير المؤمنين! ليس في الجماعة من يقدر على الكلام مع هذا، لأنه هو وأبوه وأهل جنسه فلاسفة!.

فقال الرشيد لبعض الخدم: أحضر له ماء دابة لنختبره؛ فأتاه به.

فقال: ليس هذا بول إنسان!.

فقال له أبو قريش: كذبت، هذا بول حظيَّة الخليفة.

فقال له بختيشوع: أيها الشيخ الكريم! إنه لم يبُلْ هذا إنسان البتة! وإن كان على ما قلت، فلعلها قد صارت بهيمة!.

فقال له الرشيد: من أين علمت هذا؟.

قال: لأنه ليس فيه قوام بول الإنسان، ولا لونه، ولا ريحه.

فقال له: فما ترى أن يطعم صاحب هذا الماء؟ .

قال: الشعير!.

فضحك الرشيد ضحكاً شديداً، وخلع عليه ، ووهبه مالاً وافراً، وقال: ليكن

---

١ : **نَافَرَ**: فَاخَرَهُ في النَّسَب .

رئيس الأطباء، ومروهم فليسمعوا له ويطيعوا"[١].

ومنهم:

٦٣- جبريل بن بختيشوع بن جورجيس

يُجَلُّ أن يقاس بالأُلَفاء، وأن يقال اسمه إلا مع الخلفاء، عظُم ثراؤه، وعمَّ جداه أن يماثل به أرسطو ونظراؤه، وخلف ما يتجاوز الحد، ويداني العد، مع نفقاته الموسّعة، وصدقاته التي رفلت[٢] الأيام في حللها الموشّعة[٣]، حتى شرقت[٤] دونه النفوس بحسراتها، واختنقت القلوب بزفراتها، حتى كانت الخلفاء تركب إلى منزله، وترغب في إكرام نُزُله، وهو بشمم لا يخضع عرنينه[٥]، ولا يخشع أنينه، ولا يطلع زهر الروض الجني إلا جنينه.

قال ابن أبي أصيبعة [٦]: " كان مشهوراً بالفضل، جيّد التصرُّف في المداواة،

---

١ : **انظر**: عيون الأنباء لابن أبي أيبعة ١٨٧، وتاريخ الزمان لابن العبري ١٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٢/ ٨٢.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١٨٧-٢٠٢،و عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ٣/ ٢٣، وتاريخ الحكماء للقفطي ١٣٢-١٤٦، وعلماء النصرانية في الإسلام – لويس شيخو ١٢٧-١٢٨، والأعلام لخير الدين الزركلي ٢ / ١١١،و معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣ / ١١٣، وموسوعة علماء الطب – هيكل نعمة الله ١٢.

٢ : يقال: "رَفَلَ في ثيابه" أطالها وجرها متبخترا من باب نصر فهو رَفِلٌ وكذا أرْفَلَ في ثيابه.

٣ : **تَوْشيعُ الثوبِ**: إعلامُه.

٤ : الشَّرَقُ بفتحتين الشجا والغُصة وقد شَرِقَ من باب طرب أي غص وفي الحديث [يؤخرون الصلاة إلى شَرَق الموتى]أي إلى أن يبقى من الشمس مقدار ما يبقى من حياة من شَرِق بريقه عند الموت.

٥ : العِرْنينُ، بالكسرِ: الأَنْفُ كُلُّهُ، أو ما صَلُبَ من عَظْمِه.

٦ : عيون الأنباء ١٨٧.

عالي الهمَّة، سعيد الجد، حظيّاً عند الخلفاء، وحصَّل بهم من الأموال ما لم يحصِّله أحدٌ من الأطباء".

قال الترجمان: "إن أباه أفرده لجعفر بن يحيى(١)، وكان قد اعتلَّ؛ فعالجه، فبرئ في ثلاثة أيام، فأحبَّه جعفر مثل حب نفسه، وكان لا يصبر عنه.

ثم تمطَّت(٢) حظية(٣) الرشيد [ورفعت يدها، فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها]، ولم يفد فيها طب الأطباء، فدلَّ جعفرُ الرشيدَ على ابن بختيشوع، فأحضره وقال له: ما تعرف من الطب؟.

قال: أبرِّد الحارّ، وأسخِّن البارد، وأرطِّب اليابس، وأيبس الرطب.

فضحك الرشيد وقال: هذا غاية ما تحتاج إليه [..](٤) الجارية.

فقال جبرائيل: لها عندي حيلة إن لم يسخط عليَّ أمير المؤمنين.

قال: وما هي؟.

قال: تخرج الجارية إلى ههنا بحضرة الجمع، حتى أعمل ما أريده، ويمهل عليَّ ولا يعجل بالسخط.

---

١ : **جعفر بن يحيى** بن خالد البرمكي، وزير الرشيد العباسي، وأحد مشهوري البرامكة، ومقدَّميهم، ولد سنة ١٥٠ من الهجرة، ونشأ في بغداد، واستوزره هارون الرشيد، إلى أن نقم على البرامكة فقتله معهم، ثم أحرق جثته بعد سنة، وكان جعفر أحد الموصوفين بفصاحة المنطق، وبلاغة القول، وكرم اليد.

انظر ترجمته في: تاريخ الطبري – حوادث سنة ١٨٧هجرية، و" البداية والنهاية" ١٠/١٨٩–١٩٠، والأعلام للزركلي ٢/١٣٠.

٢ : **تمطَّت**: أي تمددت، واتسعت علتها.

٣ : **الحظية**: أي الجارية التي كانت في حظوة الرشيد.

٤ : ما بين المعقوفتين كلمة مطموسة لم أتبينها.

فأمر بها، فأخرجت، فحين رآها جبرائيل مشى إليها ونكس رأسها ، وأمسك ذيلها، كأنه يريد سراويلها. فانزعجت الجارية؛ فاسترسلت أعضاؤها، وبسطت يدها إلى أسفل، وأمسكت ذيلها.

فقال جبرائيل: قد برئت يا أمير المؤمنين!.

فقال الرشيد للجارية: ابسطي يديك يمنةً ويسرة؛ ففعلت.

فعجب الرشيد ومن حضر، وأمر له بخمس مائة ألف درهم، وعظمت منزلته عنده، وجعله رئيساً على سائر الأطباء.

وسئل عن سبب العلة؟. فقال: هذه الجارية انصبَّ على أعضائها وقت الحركة خلط رقيق بالحركة وانتشار الحرارة، ولأجل سكون الجماع تكون بغتة جمدت الفضلة في بطون جميع الأعصاب، وما كان يحلُّها إلا حركة مثلها؛ فاحتلت حتى انبسطت حرارتها، وانحلَّت الفضلة.

ولم يزدد مكانه من الرشيد إلى أن مرض الرشيد بـ"طوس"[١] مرضَ موته، حبسه، واستطبَّ أسقف فارس، فقال له: مرضك كان من خطأ طبيبك – كذباً عليه–.

فأمر الرشيد بقتل جبرائيل؛ فلم يقبل منه الفضل بن الربيع، لأنه كان يئس من حياته.

وأصاب تلك الأيام الفضلَ قولنجٌ شديدٌ، فكان جبرائيل يعالجه، فأفاق. ثم لما صار الأمر إلى الأمين زاد تقريبه، وضاعف مواهبه، وكان لا يأكل ولا يشرب إلا بإذنه.

١ : **طوس**: ناحية بخراسان، تشتمل على مدينتين تسمى إحداهما طابران، بفتح الطاء المهملة، وبعد الألف باء موحدة، ثم راء مفتوحة، وبعد الألف الثانية نون، والأخرى :نوقان، بفتح النون، وسكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون، ولهما ما يزيد على ألف قرية. انظر: وفيات الأعيان ١ /٩٨.

ثم لما ملك المأمون كتب إلى الحسن بن سهل[1] بأن يقبض عليه لكونه بعد الرشيد أتى الأمين ببغداد، ولم يأته بخراسان. فحبسه ابن سهل. ثم لما مرض ابن سهل فعالجه الأطباء، فلم ينتفع بذلك، فأخرج جبرائيل من الحبس؛ فعالجه في أيام يسيرة، فبريء، فوهب له مالاً وافراً، وتلطَّف له مع المأمون، فصفح عنه، واتخذ ميخائيل صهر جبرائيل بدلاً منه، وأكرمه كياداً لجبرائيل.

فمرض المأمون مرضاً صعباً، أعيا الأطباء علاجه، فقال أبو عيسى – ابن الرشيد – للمأمون: يا أمير المؤمنين! أحضِرْ جبرائيل، فإنه يعرف أمزجتنا منذ الصِّبا.

فتغافل عنه، وأحضر يوحنَّا بن ماسويه[2]، فلما ضعفت قوة المأمون ذكَّر بجبرائيل، فأمر بإحضاره، فلما حضر غيَّر تدبيره كله. فانصلح بعد يوم، واستقل بعد ثلاثة أيام، ثم بعد أيام يسيرة صلح صلاحاً تاماً، فسرَّ به المأمون،وأمر له بألف ألف درهم، وألف كُرّ[3] حنطة، وردَّ عليه ما كان قبض له، وصار إذا خاطبه يُكَنِّيه. ثم انتهى إلى أن كان لا يخرج عاملٌ إلى عمله إلا بعد أن يلقى

---

١ : **الحسن** بن سهل بن عبد الله السرخسي، وزير المأمون العباسي، وأحد كبار القادة والولاة في عصره، اشتهر بالذكاء المفرط، والأدب والفصاحة، وحسن التوقيعات، والكرم، وهو والد بوران زوجة المأمون، وكان المأمون يجامله ويبالغ في أكرامه، أصيب بمرض السويداء سنة ٢٠٣هجرية، فتغير عقله حتى شُدَّ في الحديد، ثم شفي منه قبل زواج المأمون بابنته، وتوفي بسرخس سنة ٢٣٦هجرية = ٨٥١م. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١ / ١٤١، وتاريخ بغداد ٧ / ٣١، وتاريخ ابن الوردي ١ /٢١٧.

٢ : **يوحنا** بن ما سويه: كان طبيباً ذكياً، فاضلاً، خبيراً بصناعة الطب، وله تصانيف مشهورة، وكان مبجلاً حظيّاً عند الخلفاء، أخباره كثيرة في كتب التراجم. انظر : القفطي أخبار العلماء ٢٤٨، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢٤.

٣ : الكُرُّ – بالضم– : مِكْيالٌ لِلعراقِ، وستَّةُ أوقارِ حِمارٍ، أو هو ستُّونَ قَفيزاً، أو أربعون إرْدَبّاً.

جبرائيل ويكرمه. وعلا محلُّه، وانحطَّ مَن سواه.

وقال إسحاق بن علي الرهاوي[١]: إن يوحنا بن ماسويه أخبر أن الرشيد قال لجبرائيل بن بختيشوع وهو حاجٌّ بمكة: يا جبرائيل! أعلمتَ أني دعوت لك – واللهِ – في الموقف دعاءً كثيراً؟.

ثم التفت إلى بني هاشم[٢] فقال: هل أنكرتم قولي؟.

فقالوا: ذمِّيٌّ هو! . فقال: نعم، ولكن صلاح بدني وقوامه به، وصلاح المسلمين بصلاحي.

فقالوا: صدقت يا أمير المؤمنين" [٣]

وقال ابن بختيشوع: اشتريت ضيعة بسبعمائة ألف درهم، فنقدت بعض الثمن، وتعذَّر عليَّ بعضه، فدخلت على يحيى بن خالد، وعنده ولده، وأنا أفكر. فقال: ما لي أراك مفكِّراً؟.

فأخبرته. فدعا بالدواة، وكتب: " يعطى جبرائيل سبعمائة ألف درهم" . ثم دفع إلى كل واحد من ولده، فوقَّع فيه ثلاثمائة ألف درهم. قال: فقلت: جُعِلت فداك! قد أدَّيتُ عامَّة الثمن، وإنما بقي أقلُّه.

قال: اصرف ذلك فيما ينوبك.

ثم صرت إلى دار الرشيد، فلما رآني قال: ما أبطأ بك؟.

فقلت: كنت يا أمير المؤمنين عند أبيك وإخوتك، ففعلوا بي كذا وكذا

---

١ : **إسحاق** بن علي الرهاوي: أحد الأطباء العراقيين، وكان من الأطباء المتميزين بكلام جالينوس. وله أعمال جيدة في صناعة الطب. انظر ترجمته في : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٣٤٢.

٢ : يقصد أهله وعشيرته.

٣ : **انظر** : أدب الطبيب لإسحاق بن علي الرهاوي – ص ٢٢٠ .

لخدمتي لك.

قال: فما حالي أنا؟. ثم دعا بدابَّته، فركب إلى يحيى، ثم قال: يا أبه! أخبرني جبرائيل بما كان، فما كان حالي أنا من بين ولدك؟.

فقال: مُرْ له يا أمير المؤمنين بما شئت يُحمل إليه.

فأمر لي بخمسمائة ألف درهم.

وحكى سعيد بن إسحاق النصراني قال: كنت مع الرشيد بالرقة[١]، ومعه ولداه: الأمين والمأمون، وكان رجلاً كثير الأكل والشرب، فأكل في بعض الأيام أشياء خلط فيها ودخل المستراح، فغشي عليه، وأخرج، فقوي عليه الغشي، حتى لم يُشَكَّ في موته. وأرسل إليّ ، فحضرت، وجسست عرقه، فوجدت نبضه خفياً، وكان قبل ذلك بأيام يشكو امتلاءً، وحركة الدم.

فقلت لهم: يموت! إن لم يحتجم الساعة.

فأجاب المأمون إليه، وتقدَّم الحجَّام، وتقدَّمت بإقعاده، فلما وضع المحاجم عليه ومصَّها، رأيت الموضع قد احمرَّ.

فطابت نفسي، وعلمت أنه حيّ. فقلت للحجَّام: اشرُطْ. فشرطَ ، فخرج الدم؛ فسجدت شكراً لله. وجعل كلَّما خرج الدم يحرِّك رأسه ويَسفُرُ[٢] لونه. إلى أن تكلَّم، وقال: أين أنا؟. فطيَّبنا نفسه،وغذَّيناه بصدر دُرَّاج[٣]، وسقيناه

---

١ : **الرقة** : مدينة مشهورة على الفرات ، معدودة من بلاد الجزيرة، وهي اليوم إحدى محافظات سوريا. ذكرها ياقوت في معجم البلدان ٣ / ٥٨.

٢ : من قولهم: أسْفَرَ الصبح إذا أضاء.

٣ : الدُّرَّاجُ و الدُّرَّاجَةُ بالضم والتشديد ضرب من الطير ذكرا كان أو أنثى، وقال ابن البيطار: هو طائر معروف طيب اللحم، ذكره في جامع مفردات الأغذية ٢ / ٩٢، ومختار الصحاح مادة درج.

شراباً، وما زلنانُشِمُّه الروائح الطيبة، ونجعل في أنفه الطيب حتى تراجعت قوّته، ودخل الناس عليه، ثم وهب الله له عافيته.

فلما كان بعد أيام، دعا صاحب حرسه، فسأله عن غلّته في السنة، فعرّفه أنها ثلاث مائة ألف درهم. فسأل صاحب شرطته؟، فقال: خمسمائة ألف درهم. فسأل حاجبه؟. فقال: ألف ألف درهم.

فقال لي: ما أنصفناك، حيث غَلاَّت هؤلاء وهم يحرسونني من الناس على ما ذكروا، وأنت تحرسني من الأمراض، وتكون غلَّتُك دونهم!. ثم أمر بإقطاعي ألف ألف درهم.

فقلت: يا سيدي! ما لي حاجة إلى الإقطاع، ولكن تهب لي ما أشتري لي به ضياعاً غلّتها ألف ألف درهم؛ فجميع ضياعي أملاك لي، لا إقطاع.

والذي صار إليه في أيام خدمته للخلفاء وهي نحو ثلاثين سنة، جُملٌ كثيرة،وجدته مدرجاً بخط كاتبه، وفيه إصلاحات بخطِّه.

فأما ما صرفه منه في مدة حياته في نفقاته تقرياً، فهو: سبعة وعشرون ألف ألف درهم، وستمائة ألف درهم.

وفي ثمن دُورٍ وبساتين ومنتزهات ، ورقيق، ودوابّ: سبعون ألف ألف درهم.

وفي عمائر: ثمانية آلاف ألف درهم.

وفي ثمن ضياع: اثنا عشر ألف ألف درهم.

وفي ثمن جواهر، وما أعدَّه للذخائر: خمسمائة ألف دينار، وخمسون ألف ألف درهم.

وفي وجوه القُرَب وما كفله عن المصادَرين: ثلاثة آلاف ألف درهم.

وما جحده أرباب الودائع له: ثلاثة آلاف ألف درهم.

ثم الذي خلّفه بعد هذا عند وفاته لابنه بختيشوع، وجعل المأمون الوصيَّ فيه فسلّمه إليه عن آخره، ولم يتعرّض إلى شيء منه: فتسعمائة ألف دينار.

وهذا جبرائيل هو الذي عناه أبو نواس بقوله:[**مجزوء الوافر**]

سألت أخي أبا عيسى	وجبريل له عقل
فقلت الراح تعجبني	فقال: كثيرها قتلُ
فقلت له: فقدِّرْ لي	فقال، وقوله فصل
وجدت طبائع الإنسا	ن أربعة هي الأصلُ
فأربعةٌ لأربعةٍ	لكل طبيعةٍ رطلُ[1]

وذكر أبو الفرج الأصفهاني[2] في المأمون شعراً قاله في جبرائيل، هو:على الإسلام والملّه[**الهزج**]

ألا قل للذي ليس	على الإسلام والملّهْ
لجبريل أبي عيسى	أخي الأنذال والسفله
أفي طبك يا جبري	ل ما يشفي دوا العله
غزالٌ قد سبى عقلي	بلا جرمٍ ولا زلّه

قال[أبو الفرج: والشعر للمأمون في جبرائيل بن بختيشوع المتطبب]، والغناء لمتيّم، خفيف الرمل.

ومن كلام جبرائيل:" أربعة تهدم العمر: إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام، والشرب على الريق، ونكاح العجوز، والتمتع في الحمّام"[3]

١ : ديوان أبي نواس ٤٨٥ ط دار صادر.

٢ : في كتاب المجرد من الأغاني، على ما ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء نقلاً عنه – ص ٢٠١.

٣ : ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء ٢٠١.

ومنهم:

٦٤- بختيشوع بن جبريل بن بختيشوع*

عادى الكبار، وعادل البحار، وعادّ النجوم في الأقطار، وأناف رتبة على أبيه، وكانت تزاحم الأطواد، وتزاح بها أعذار حُسَّاده ابن الزيات[١] ابن أبي دؤاد[٢]،

*(ت:٢٥٦هـ) **ينظر ترجمته في**: تاريخ الطبري ٨/٢٨٧، و٩/٢١١، و٢١٨، و٤٣٩، ومروج الذهب ١٣٦٨، و٢٧٨١، و٢٨٥٧، و٣٣١، وثمار القلوب ٤٠٦، ٦٧٢، والعقد الفريد لابن عبد ربه ١/٨٥ - ٨٦، و٦/٢٤٥، وعيون الأخبار ١/٣٠٩، و٢/١٠٣، و٤/٩٤، وأخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ٧٢-٧٣، وتاريخ الزمان ٣٩-٤٠، ٤٣، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٣١-١٣٢، ١٤٣-١٤٤، والفخري ٢٠٨-٢١٠، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢٠١-٢٠٩، والفهرست لابن النديم ١/٢٩٦، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢/٣٩، وديوان الإسلام للغزي ١/٢٠٧ رقم ١٤، وهدية العارفين للبغدادي ١/٢٣١، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٩/٩١ رقم ١٢٢، والأعلام لخير الدين الزركلي ٢/٤٤.

١ : محمد بن عبد الملك بن الزيات، بن أبان، بن حمزة، أبو جعفر المعروف بابن الزيات، وزير المعتصم، والواثق العباسيين، وعالم باللغة والأدب، من بلغاء الكتاب والشعراء، نشأ في بيت تجارة قرب بغداد وتقدم حتى بلغ رتبة الوزارة، وعوَّل عليه المعتصم في مهام دولته، وكذلك ابنه الواثق، ولما مرض الواثق عمل ابن الزيات على تولية ابنه وحرمان المتوكل، فلم يفلح، وولي المتوكل فنكبه، وعذبه إلى أن مات، ببغداد سنة ٢٣٣هجرية. وكان من العقلاء الدهاة، وفي سيرته قوة وحزم. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/٥٤، وأمراء البيان ١/٢٧٨، وتاريخ بغداد ٢/٣٤٢.

٢ : **أحمد** بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي، أبو عبد الله: أحد القضاة المشهورين من المعتزلة، ورأس فتنة القول بخلق القرآن، قدم أبوه وهو حدث، من قنسرين، بين حلب ومعرة النعمان، إلى دمشق، فنشأ فيها ونبغ، ومنها رحل إلى العراق، وقيل: ولد بالبصرة سنة ١٦٠هجرية، وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء، وكان شديد الدهاء، اتصل أولاً بالمأمون، ثم اتصل بالمعتصم بوصية من المأمون، فجعله قاضي قضاته، ولما مات المعتصم اعتمد الواثق على رأيه، ومات الواثق راضياً عنه، وتولى المتوكل ففلج ابن أبي دؤاد في أول خلافته سنة ٢٣٣هجرية،وتوفي مفلوجاً سنة=

فلهذا قصد مرات بالغوائل[١]، وأرصد تارات لغلق الحبايل، فلو لم تتذكر له سوابق المساعي، ويتدارك بالدرياق به سم الأفاعي، لما امتدَّ به طلق نفسه، ولا نُفِّس عنه حلق حبسه، ثم صلح حاله، وقوي محاله، ونطق في مجالس الخلفاء لسانه، وصدق إحسانه، واستعاد أيامه الأُوَل أترابا، وأياماه الحسان – وطالما هزَّته – إطرابا.

ذكره ابن أبي أصيبعة[٢] وقال فيه: " كان سريانياً نبيل القدر، وبلغ من عظم المنزلة والحال، وكثرة المال، مال لم يبلغه أحدٌ من سائر الناس، الذين كانوا في عصره، وكان يضاهي المتوكل في اللباس والفرش" .

قال [فيثون] الترجمان: وكان ابن أبي دؤاد وابن الزيات يعاديانه، ويغريان به الواثق، فسخط عليه وقبض على أمواله وضياعه، ونفاه إلى " جُندَ يسَابُور" فلما اعتلَّ الواثق بالاستسقاء بعث لإحضاره، ثم عاجل الواثقَ الموتُ قبل وصوله، ثم صلحت أيام المتوكل حاله، إلى أن بلغ مبلغاً حسده عليه المتوكِّل وقبض عليه" .

قال: " إن بختيشوع كان عظيم المنزلة عند المتوكل، فأفرط في الإدلال عليه، فنكبه، وقبض على أملاكه، ونفاه إلى مدينة إسلام. ثم عرض للمتوكل قولنج، فاستحضره، واعتذر إليه وعالجه، فبرئ، فأنعم عليه ورضي عنه، وأعاد عليه ما كان له، ثم جرت على بختيشوع مكيدة أخرى، فنكب، ووجَّه به إلى البصرة!.

ثم ردَّه المستعين إلى وظيفة الخدمة وأحسن إليه إحساناً كثيراً. فلما ولي المهتدي جرى مجرى المتوكل في أنسه بالأطباء، وكان بختيشوع لطيف المحل

=٢٤٠هجرية ببغداد. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان ١/١٧٩-١٨١، وتاريخ بغداد ١٤١-١٥٦، والأعلام للزركلي ١/١٢٤.

١ : **الغَوَائِل**: أي المهالِكَ، جَمْع غَائِلة.

٢ : عيون الأنباء ٢٠١.

منه، وشكا إليه بختيشوع ما أخذ منه أيام التوكل، فأمر بأن يدخل الخزائن فكل ما عرفه رُدَّ إليه، فلم يبق له شيء إلا أخذه ، وأطلق له كل ما فاته، وكتب برعاية أسبابه" .

وقال بختيشوع للمهتدي في آخر أمره: يا أمير المؤمنين! لي أربعون سنة لم أفتصد، ولا شربت دواء، وقد حكم المنجِّمون بأني أموت في هذه السنة. ولست أغتمُّ لموتي، وإنما أغتمُّ لمفارقتكم.

فكلَّمه المهتدي بجميل وقال: قلَّ أن يصدق المنجِّم . فلما انصرف كان آخر العهد به.

وقال [إبراهيم بن علي الحصري[١] في كتاب: " نور الطرف ونور الظرف"][٢] "تنازع إبراهيم بن المهدي وبختيشوع، بين يدي أحمد بن أبي دؤاد في عقار بالسواد[٣]، فأغلظ عليه إبراهيم فغضب ابن أبي دؤاد وقال: يا إبراهيم! إذا تنازعت في مجلس الحكم بحضرتنا أمراً فليكن قصدك أمما[٤]، وطريقك نهجا، وريحك ساكنة، وكلامك معتدلا، ووفِّ مجالس الخلافة حقوقها، فإن هذا أليق بك، وأجمل بحسن مذهبك،وشريف محتدك[٥]، ولا تعجلنَّ ، فرُبَّ

١ : ابراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري، المتوفى سنة ٤٥٣ هجرية. أديب نقَّاد، من أهل القيروان، نسبته إلى عمل الحصر، له كتاب "نور الطرف ونَور الظرف" - ما زال مخطوطاً - وهو ابن خالة الشاعر أبي الحسن الحصري الحصري ناظم: "يا ليل الصب" .

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١ / ١٣، ومعجم الأدباء ١ /٣٥٨، والأعلام للزركلي ١ / ٥٠.

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة، استكمل من عيون الأنباء ٢٠٣.

٣ : أي بناحية السواد من العراق.

٤ : الأَمَم: الوسط ما بين القريب والبعيد، أو هو الطريق الواضح البين.

٥ : المَحْتِدُ: الأَصل والطبع.

عجلة تورث رثيا[١]،والله يعصمك من الزلل، وخَطَل[٢] القول والعمل، ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم.

فقال إبراهيم: أمرت – أصلحك الله – بسداد، وحضضت على الرشاد، ولست بعائد إلى ما يثلم قدري عندك، [ويسقطني من عينك]، ويخرجني من مقدار الواجب إلى الاعتذار، فها أنا معتذر إليك من هذه البادرة اعتذار مقرٍّ بذنبه، لأن الغضب لا يزال يستفزُّني بمراده، فيردّني مثلك بحلمه، وتلك عادة الله عندك وعندنا فيك، – وهو حسبنا ونعم الوكيل – ، وقد جعلت حظي من هذا العقار لبختيشوع، وليت ذلك يقي بأرش[٣] الجناية عليه، ولن يتلف مالٌ أفاد موعظةً".

قال أبو محمد، بدر بن أبي الإصبع الكاتب: حدثني جدي قال: " دخلت على بختيشوع في يوم شديد الحر، وهو جالسٌ في مجلس مخيّش عنده طاقات من الخيش ، طاقان ريح بينهما طاق أسود، وفي وسطها قبة عليها جِلالٌ أسود من قصب مطهّر بدبيقي[٤]، قد صبغ بماء الورد والكافور[٥] والصندل[٦] وعليه جبة يماني سعيدي مثقلة، ومطرف[٧] قد التحف به، فعجبت من زيه.

فحين حصلت معه في القبة نالني من البرد أمرٌ عظيم. فضحك وأمر لي بجُبَّة ومطرف، وقال: يا غلام!، اكشف جوانب القبة.

---

١ : **الرثي** : الحُمْق. قاله في القاموس.

٢ : **الخَطَلُ**، محرَّكةً: خِفَّةٌ وسُرْعَةٌ، والكلامُ الفاسدُ الكثير.

٣ : **الأرْشُ**: الدِّيَةُ.

٤ : **الدَّبيقيُّ**: من دقِّ ثياب مصر معروفة تنسب إلى دَبيق.

٥ : **الكافُورُ**: نَبْتٌ طَيِّبٌ، نَوْرُهُ كنَوْرِ الأُقْحُوَانِ، والطَّلْعُ، أو وِعاؤُه.

٦ : **الصَّنْدَل** شجر طَيِّب الريح.

٧ : **المُطْرَفُ** بضم الميم وكسرها واحد المَطارِفُ وهي أردية من خز مربعة لها أعلام وأصله الضم.

فكُشِفت، فإذا أبوابٌ مفتوحة من جوانب الإيوان إلى مواضع مكبوسة بالثلج، [وغلمان يروِّحون ذلك الثلج](١)؛ فيخرج منه البرد الذي لحقني. ثم دعا بطعامه، فأتي بمائدة في غاية الحُسن، عليها كل شيء حسنٌ ظريف، ثم أتي بفراريج مشوية في غاية الحمرة. وجاء الطبَّاخ فنفضها كلها فانتفضت، وقال: هذه فراريج تعلف اللوز والبزر قطونا(٢)، وتسقى بماء الرمان.

ولما كان في صلب الشتاء، دخلت عليه يوماً والبرد شديد، وعليه جُبَّةٌ محشوَّة، وكساء، وهو جالس في طارمة(٣)، في الدار على بستان في غاية الحسن، وعليها سَمُّور(٤) قد ظهرت به وفوقه جلالٌ(٥)حرير مصبَّغ، ولبود مغربية، وأنطاع(٦) أدم يمانية وبين يديه كانون(٧) فضة مذهب مخرق، وخادم

١: ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من عيون الأنباء ٢٠٤.

٢: بزر **قطونا**: بالعجمية: " اشقيوس"، واليونانية: " تسليون"، أي شبيه البراغيث، معرَّب وهو باردٌ، رطب، يطفئ الحرارة، والعطش، ويسكن الصفراء. وفي تكملة المعاجم العربية: هو اليتم، وهو نبات اسمه العلمي plantagpo afra، وبالانجليزية: " flea - wort. انظر: قصد السبيل للمحبي ١/٢٧٧، وتكملة المعاجم العربية ١/٢٩٧.

٣: **الطارمة**: بيت من خشب كالقبَّة، أعجميٌّ معرَّب، ومنه: "الطارمة" الحمل الذي في المركب، عامية، قاله المحبي في قصد السبيل ٢/٢٤٦، وذكر ابن دريد في الجمهرة ٢/٣٧٤ أنه من كلام المولّدين، وفي الفارسية: "طارم" انظر أيضاً: المعجم الذهبي ٣٩٥.

٤: **السَّمُّور**: كتنور، دابة يتخذ من جلدها فرو يلبسه الأكابر، قال مجاهد: رأيت على الشعبي سموراً، قال المحبي: ومن عجيب ما قال في التهذيب: إن السمور طائر. وقد نبه الدميري في حياة الحيوان الكبرى، واعتذر على ذلك بأنه قد يكون سبق قلم. وانظر: قصد السبيل للمحبي ٢/١٥٤.

٥: **الجلال**: أراد به ما يُلْبَس من الدروع.

٦: **الأنطاع**: جمع "نطع" و"النِّطْع"، بالكسر وبالفتح وبالتحريك، وكعِنَبٍ: بساطٌ من الأديمِ

٧: **الكانون**: الموقد، كالكانونة، وبلا لام شهران في الشتاء، قاله في يالقاموس، والمحبي في قصد السبيل ٢/٣٨٤.

يوقد العود الهندي، وعليه غلال[1] قصب في نهاية الرفعة، فلما حصلت معه في الطارمة، وجدت من الحرِّ أمراً عظيماً، فضحك وأمر لي بغلالة قصب ، وتقدَّم بكشف جوانب الطارمة، فإذا مواضع لها شبابيك خشب بعد شبابيك حديد، وكوانين فيها فحم الغضا[2]، وغلمان ينفخون ذلك الفحم بالزقاق[3]، كما يكون للحدادين.

ثم دعا بطعامه، فأحضروا ماجرت به العادة من السرور والنظافة، وأحضرت فراريج بيض، شديدة البياض، فبشعتها[4]، وخفت أن تكون غير نضيجة، ووافى الطباخ فنفضها فانتفضت، فسألته عنها؟ فقال: هذه تعلف الجوز المقشر، وتسقى اللبن الحليب.

وكان بختيشوع بن جبرائيل يهدي البخور في درج، ومعه درج آخر فيه فحم، يتخذ له من قضبان الأترج، والصفصاف[5]، وشنس[6] الكرم المرشوش عليه عند إحراقه ماء الورد المخلوط بالمسك والكافور، وماء الخلاف[7]، والشراب العتيق. ويقول: أنا أكره أن أهدي بخوراً بغير فحم [فيفسده فحم][8] العامة، ويقال: هذا عمل بختيشوع!".

قال أبو محمد بدر بن أبي الإصبغ عن أبيه عن أبي عبد الله محمد بن

١ : **الغلالَةُ**: ثَوْبٌ رَقيقٌ يُلبَسُ تَحْتَ ثَوْب صَفيق.

٢ : **الغضا**: شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفيء.

٣ : **الزقاق**: واحدها "زق" وهو جلد يجز ولا ينتف.

٤ : **بشعتها**: أي استقبحتها، خشية أن تكون نيئة لا تؤكل.

٥ : **الصفصاف**: شامية أو عبرانية، شجر الخلاف، وهو شجر حرجي مائي، ذكره في قصد السبيل ٢ / ٢٢٩.

٦ : **الشنس**: قضبان الشجر، أعجمي.

٧ : **الخلاف**: طيب يستخرج من دم الحيوان يدعى غزال المسك.

٨ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة استكملناه من عيون الأنباء ٢٠٤.

الجرَّاح، عن أبيه أن المتوكل قال يوماً لبختيشوع: ادعني.

فقال: السمع والطاعة.

فقال: أريد أن يكون ذلك غداً.

قال: نعم وكرامة. وكان الوقت صائفاً، وحرُّه شديد.

فقال بختيشوع لأنسابه وأصحابه: " أمرنا كله مستقيم إلا الخيش[١]، فإنه ليس لنا منه ما يكفي!.

فأحضر وكلاءه وأمرهم بابتياع كل ما يوجد من الخيش بـ" سُرَّ من رأى"، ففعلوا ذلك وأحضروا كل من وجدوه من النجَّادين[٢]، والصُّنَّاع، فقطع لداره كلها صحونها وحُجرها، ومجالسها، وبيوتها، ومستراحاتها خيشاً حتى لا يجتاز الخليفة في موضع غير مخيَّش!، وأنه فكر في روائحه التي لا تزول إلا بعد استعماله مدة، فأمر بابتياع كل ما يقد عليه بسر من رأى من البطيخ، وأحضر حشمه وغلمانه، وأجلسهم يدلكون الخيش بذلك البطيخ ليلتهم كلها، وأصبح وقد انقطعت روائحه، فتقدم إلى فرَّاشيه فعلقوا جميعه في المواضع المذكورة، وأمر طبَّاخيه بأن يعملوا خمسة آلاف جونة [٣] ، في كل جونة باب خبز سميد، ودست رقاق وزن الجميع عشرون رطلاً، وحمل مشوي، وجَديٌ بارد، وفائقة،

---

١ :الخَيْشُ: ثيابٌ في نَسْجِها رِقَّةٌ، وخُيوطُها غِلاظٌ، من مُشاقَةِ الكَتَّانِ، أو من أغْلَظِ العَصْبِ.

٢ : أي المنجِّدين.

٣ : الجونة: القِدْر، وسُلَيْلَةٌ مُغَشَّاةٌ أدَماً تكونُ مع العَطَّارِينَ، أو هي الخابية الكبيرة المطلية. ذكره في القاموس.

ودجاجتان مصدرتان، وفرخان، ومصوصان(١)،وثلاثة ألوان، وجام(٢) حلواء.

فلما وافاه المتوكل، رأى كثرة الخيش وجِدَّته، فقال: أي شيء ذهب برائحته؟، فأعاد عليه حديث البطِّيخ، فعجب من ذلك، فأكل هو وبنو عمه، والفتح بن خاقان(٣)، على مائدة واحدة، وأجلس الأمراء والحُجَّاب على سماطين(٤) عظيمين لم يُرَ مثلهمالأمثاله، وفرَّق الجُوَن على الغلمان، والخدم، والنقباء(٥)، والركابية(٦)،

---

١ : **المصوص**: قال في أدب الكاتب: باب ما جاء مفتوحاً والعامة تضمه: وهو طعام من لحم يطبخ وينقع في الخل، أو يكون من لحم الطير خاصة.

انظر القاموس مادة مصص. وقصد السبيل ٢ / ٤٧٦. وأدب الكاتب ٣٩٣.

٢ : **الجام**: إناء، وطبق أبيض من زجاج أو فضة. ذكره في قصد السبيل ١ / ٣٦٥، وذكر ابن منظور أن الجام عربي فصيح صحيح اللسان، مادة "جوم" وجمعه أجؤم، وأجوام، وجامات، وجوم، وفي الفارسية الحديثة: "جام" أي كأس أو قدح من زجاج أو فضة. المعجم الذهبي ١٩٨.

٣ : **الفتح** بن خاقان: بن أحمد بن غرطوج، أبو محمد: أديب شاعر،فصيح، كان في نهاية الفطنة والذكاء، فارسي الأصل، من أبناء الملوك، اتخذه المتوكل العباسي أخاً له، واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه، وكان يقدمه على جميع أهله وولده، واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن، توفي سنة ٢٤٧هجرية = ٨٦١م.

انظر ترجمته في: فوات الوفيات ٢ /١٢٣، والأعلام للزركلي ٥ /١٣٣.

٤ : **سِماطُ** القومِ: صَفُّهُم. ويقال: قامَ القومُ حولَه سِماطَيْنِ أي صفَّين، وكلُّ صفٌّ من الرجال سِماطٌ." ذكره في لسان العرب".

٥ : **النقباء**: جمع نقيب، وكل عمل صاحب تلك الوظيفة، عند السلطان، أو الأمير القيام بتأدية الخدمات الصغيرة لسيِّده. ذكره القلقشندي في "صبح الأعشى ٤ / ٢١-٢٢.

٦ : **الركابية**: هذه التسمية من العصر الفاطمي وهم الذين يحملون السلاح حول الخليفة عند ركوبه في المواكب، ولهم زيٌّ خاص بهم، وكانوا يسمون أيضاً: صبيان الركاب الخاص، وعرفوا في عصر المماليك بالسلاحدارية، والطبردارية، وكانت عدّتهم تزيد على ألفي رجل، ولهم اثنا عشر مقدَّماً، وهم أصحاب ركاب الخليفة، ولهم نقباء موكلون بمعرفتهم، وكبار هؤلاء الركابية تندب في الأشغال السلطانية، وإذا دخلوا عملاً كان لهم فيه الصيت الذائع. انظر: القلقشندي – صبح الأعشى ٣ / ٤٨٠.

والفرّاشين[١]، والملاّحين وغيرهم من الحاشية، لكلٍّ واحدٍ جُونة، وقال: " قد أمنت ذمَّهم، لأنني ما كنت [آمن] لو أطعموا على موائد أن يرضى هذا، ويغضب الآخر، ويقول: شبعت، ويقول آخر: لم أشبع. فإذا أعطي كل إنسان جونة من هذه الجون، كفته.

واستشرف المتوكل على الطعام فاستعظمه جداً، وأراد النوم، فقال لبختيشوع: أريد أن تنوِّمني في موضع مضيء لا ذباب فيه، وظنَّ أنه يتعنَّته بذلك، وقد كان بختيشوع تقدَّم بأن تجعل أجاجين[٢] الدبس في سطوح الدار، ليجتمع الذباب عليه، فلم يقرب أسافل الدور ذبابة واحدة.

ثم أدخل المتوكل إلى بيت مرتفع كبير، سقفه كله بكواء فيها جامات يضيء البيت منها، وهو مخيَّش مظهَّر بعد الخيش بالدبيقي المصبوغ بماء الورد والصندل والكافور.

فلما اضطجع للنوم، أقبل يشم روائح في نهاية الطيب، لا يدري ما هي؟ لأنه لم يرَ في البيت شيئاً من الروائح والفاكهة والأنوار، ولا خلف الخيش، لا طاقات ولا موضع يجعل فيه شيء من ذلك.

---

١ : **الفرّاشون**: هم الذين يقومون بخدمة الخليفة الفاطمي، وخدمة قصوره، وتنظيفها، خارجاً وداخلاً وعليهم نصب الستائر التي يحتاج إليها والمناظر الخارجة عن القصر ويكونون في حراسة أبواب القصر ليلاً إذا أغلقت الأبواب، ولكل منهم في الشهر ثلاثون ديناراً أو ما يقرب من ذلك. انظر: صبح الأعشى ٣/٥١٨و٥٢٢.

٢ : **الأجاجين**: جمع إجانة: بالكسر والتشديد، والعامة تخففها، فهي مولَّدة، وهي: لقن يغسل فيه الثياب، والجمع أجاجين، فارسي معرَّب"إكَّانة" . وقال في اللسان: الإجّانة، والإنجانة، والأجانة، والأخيرة طائية عن اللحياني: المركن، وأفصحها إجّانة، واحدة الأجاجين، وهو بالفارسية :إكانة، قال الجوهري: ولا تقل إنجانة.

انظر: اللسان – مادة أجن، وأدب الكاتب ٢٩٠، وقصد السبيل للمحبي ١/١٦١.

فتعجَّب وأمر الفتح بن خاقان أن يتتبع حال تلك الروائح، حتى يعرف صورتها.

فخرج يطوف، فوجد حول البيت من خارجه ومن سائر نواحيه وجوانبه أبواباً صغاراً لطافاً كالطاقات محشوّةً بصنوف الرياحين والفواكه، واللخالخ، والمشامّ التي فيها التفاح والبطيخ المستخرج ما فيها المحشوة بالنمَّام(١)، والحماحم اليماني(٢)، المعمول بماء الورد والخلاّف، والكافور، والشراب العتيق، والزعفران(٣) الشعر.

ورأى الفتح غلماناً قد وكِّلوا بتلك الطاقات، مع كل غلام مجمرة فيها نَدٌّ يسجره(٤)، ويبخِّر به البيت من داخله إزار من اسفيداج(٥) مخرَّم خروماً صغاراً لا تبين، يخرج منها تلك الروائح الطيبة العجيبة إلى البيت.

فلما عاد الفتح وشرح للمتوكِّل صورة ما شاهده، كثر تعجُّبه منه، وحسد بختيشوع على ما رآه من نعمته، وكمال مروءته، وانصرف من داره قبل أن يستتمَّ يومه، وادَّعى شيئاً وجده من التياث(٦) بدنه. وحقد عليه ذلك، فنكبه بعد أيام يسيرة، وأخذ له مالاً كثيراً لا يقدَّر، ووجد له في جملة كسوته أربعة

---

١ : **النَّمَّامُ**: نَبْتٌ طَيِّبٌ، مُدِرٌّ، مُخْرِجُ الجَنينِ المَيِّتِ والدودِ، ويَقْتُلُ القَمْلَ، وخاصِّيَّتُهُ النَّفْعُ من لَسْعِ الزَّنابيرِ شُرْباً مِثْقالاً بِسَكَنْجَبينٍ. قاله في القاموس مادة نمّ.

٢ : **الحَماحِم**: رَيْحانة معروفة، الواحدة حَماحِمَةٌ. وقال مرة: الحَماحِم بأطراف اليمن كثيرة وليست بَبرِّية وتَعْظُم عندهم. قاله في لسان العرب.

٣ : **الزعفران** :شَجَرٌ تُصْبَغُ به الثياب

٤ : **النَّدُّ**: طيبٌ ، ويُكْسَرُ، أو العَنْبَر. ذكره في القاموس. وقوله: " يسجره " أي يحرقه بالمجمرة.

٥ : **الاسفيداج**، بالكسر: هو رماد الرصاص. قاله في اللسان.

٦ : **الالْتياثُ**: الاخْتلاط، التلويث.

آلاف سروال دبيقي سفري، في جميعها تِكَكُ(١) إبريسم(٢) أرميني.

وحضر الحسين بن محمد؛ فختم على خزائنه، وحمل إلى دار المتوكل ما صلح منها، وباع شيئاً كثيراً، وبقي بعد ذلك حطبٌ وفحمٌ ونبيذ، وتوابل، فاشتراها الحسين بن مخلد بستة آلاف دينار.

وذكر أنه باع من جملته بمبلغ ثمانية آلاف دينار، ثم حسده حمدون، ووشى إلى المتوكل، وبذل فيما بقي في يده ستة آلاف دينار، فأجيب إلى ذلك، وسلّم إليه فباعه بأكثر من الضعف، وكان هذا في سنة أربع وأربعين ومائتين.

قال فيثون الترجمان: كان المعتزُّ بالله قد اعتلَّ في أيام المتوكّل علّة من حرارة، وامتنع منها من أخذ شيء من الأغذية والأدوية. فشقَّ ذلك على المتوكِّل كثيراً، واغتمَّ به وصار إلى بختيشوع، والأطباء عنده، وهو على حاله في الامتناع، فمازحه وحادثه. فأدخل المعتزُّ يده في كُمِّ جُبَّة وشيٍ يماني مثقلة كانت على بختيشوع، وقال: ما أحسن هذا الثوب!.

فقال له بختيشوع: يا سيدي! والله ما له نظير في الحسن، وثمنه عليَّ ألف دينار، فكُلْ لي تفاحتين، وخُذِ الجبة. فدعا بتفاح، فأكل اثنتين، ثم قال له: تحتاج الجبة إلى ثوب يكون معها!. وعندي ثوب هو أخٌ لهذا، فاشرب لي شربة سكنجبين(٣)، وخذه.

فشرب شربة سكنجبين، ووافق ذلك اندفاع طبيعته، فبرأ المعتزُّ، وأخذ الجبة

١: **التِّكَّةُ**، بالكسر: رِباطُ السَّراويلِ،ج: تِكَكٌ.

٢: **الإِبْرِيسَمُ**، بفتح السينِ وضَمِّها: الحَريرُ.

٣: **السكنجبين**: معروف، معرَّب" سكنكبين" وقيل: معرب:" سركا انكبين" معناه: خلٌّ وعسل. ذكره في قصد السبيل ٢/١٤٣.

والثوب، وصلح من مرضه، فكان المتوكل يشكر هذا الفعل أبداً لبختيشوع.

قال ثابت بن قرَّة بن سنان بن ثابت[١]: إن المتوكل اشتهى في بعض الأوقات الحارَّة أن يأكل مع طعامه خردلاً[٢] فمنعه من ذلك الأطبَّاء لحدَّة مزاجه، وحرارة كبده، وغائلة الخردل.

فقال بختيشوع: أنا أطعمك إياه، وإن ضرَّك عليّ!.

فقال: افعل. فأمر بإحضار قرعة[٣]، وجعل عليها طيناً، وتركها في تنُّور، واستخرج ماءها، وأمر بأن يقشر الخردل ويضرب بماء القرع، وقال: إن الخردل في الدرجة الرابعة من الحرارة، والقرع في الدرجة الرابعة من الرطوبة، فيعتدلان! فكل شهوتَك.

وبات تلك الليلة، ولم يحسَّ بشيء من الأذى، وأصبح كذلك، فأمر بأن يحمل إليه ثلاث مائة ألف درهم، وثلاثون تختاً[٤] من أصناف الثياب.

---

١ : **ثابت** بن قرَّة بن زهرون الحراني أبو الحسن: طبيبٌ حاسب، فيلسوف، ولد ونشأ بحرَّان، بين دجلة والفرات، وحدثت له مع أهل مذهبه أشياء أنكروها عليه في المذهب، فحرم عليه رئيسهم دخول الهيكل، فخرج من حران، وقصد بغداد، فاشتغل بالفلسفة والطب، فبرع واتصل بالمعتضد الخليفة العباسي فكانت له عنده منزلة رفيعة. توفي سنة ٢٨٨هجرية في بغداد.

انظر ترجمته في: حكماء الإسلام ٢٠، ووفيات الأعيان ١ / ١٠٠، والأعلام ٢ / ٩٨.

٢ : **الخَرْدَلُ**: حَبُّ شجرٍ، مُسَخِّنٌ مُلَطِّفٌ جاذبٌ، قالعٌ للبَلْغَمِ، مُلَيِّنٌ هاضمٌ، نافعٌ طلاؤُهُ للنِقْرِسِ والنَّسا والبَرَصِ، ودُخانُه يَطْرُدُ الحيَّات، وماؤُهُ يُسَكِّنُ وجَعَ الآذانِ تَقْطيراً، ومَسْحوقُهُ على الضِرْسِ الوَجِعِ غايَةٌ. والخَرْدَلُ الفارسِيُّ: نَباتٌ بِمصْرَ يُعْرَفُ بحَشيشَةِ السُّلْطان.

٣ : **القَرْعُ**: حَمْلُ اليَقْطِين، واحدتُه: بهاءٍ. قاله في القاموس.

٤ : **التَّخْتُ**: وِعاءٌ يُصانُ فيه الثِّيابُ.

قال إسحاق بن علي الرهاوي عن عيسى بن ماسة قال: رأيت بختيشوع بن جبرئيل وقد اعتلّ فأمر أمير المؤمنين المتوكلُ المعتزَّ أن يعوده وهو إذ ذاك وليّ عهد. فعاده ومعه محمد بن عبد الله بن طاهر، ووصيف التركي.

قال: وأخبرني إبراهيم بن محمد المعروف بابن المدبِّر أن المتوكِّل أمر الوزير شفاهاً، وقال: اكتب في ضياع بختيشوع فإنها ضياعي، وملكي، ومحلُّه منا محل أرواحنا من أبداننا.

قال عبيد الله بن جبرائيل هذا المذكور: مما يدلُّ على منزلة بختيشوع عند المتوكل وانبساطه [معه]، قال: من ذلك؛ ما حدَّثنا به بعض شيوخنا، أنه دخل بختيشوع يوماً إلى المتوكل وهو جالس على سُدَّة[1] في وسط دار الخاصة.

فجلس بختيشوع على عادته معه على السدة، وكان عليه درَّاعة ديباج رومي، وقد انفتق ذيلها قليلاً، فجعل المتوكل يحادث بختيشوع ويعبث بذلك الفتق، إلى أن بلغ إلى حد النيفق[2]

ودار بينهما كلامٌ اقتضى أن سأل المتوكل بختيشوع: بماذا يعلم أن المشوش يحتاج إلى الشدِّ والقيادة والوثاق؟.

قال: إذا بلغ في فتق درَّاعة طبيبه إلى حدِّ النيفق، شددناه.

فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره، وأمر له في الحال بخِلَعٍ سنيَّة، ومالٍ جزيل.

---

١ : السُّدة: كالظُّلة على الباب لتقى البابَ من المطر. وقيل هي البابُ نفسُه. وقيل هي الساحَة بين يدَيْه. قاله في النهاية.

٢ : نَيْفَقُ السراويلِ، بالفتح: الموضعُ المُتَّسِعُ منه، قاله في القاموس.

وقال أبو الريحان البيروني[١] في كتاب: "الجماهر في [معرفة] الجواهر" : إن المتوكل جلس يوماً لهدايا النيروز[٢]، فقدَّم إليه كل عِلْقٍ[٣] نفيس، وكل ظريف فاخر. وأن طبيبه بختيشوع بن جبرائيل دخل، وكان يأنس به، فقال له: ما ترى في هذا اليوم؟.

فقال: مثل [. . .][٤] الشحاذين، إذ ليس قدر، وأقبل على ما معي. ثم أخرج من كُمِّه درج آبنوس[٥] مطلياً بالفضة، وفتحه عن حرير أخضر، انكشف عن ملعقة كبيرة جوهر، لمع منها شهاب، وضعها بين يديه.

فرأى المتوكل ما لا عهد له بمثله، وقال: من أين هذا؟.

قال: من الناس الكرام. ثم حدث أنه صار إلى أبي من أم جعفر زبيدة ، في ثلاث مرات، ثلاث مائة ألف دينار، بثلاث شكايات عالجها فيها:

واحدتها: أنها شكت عارضاً في حلقها، منذرة بالخناق، فأشار عليها بالفصد والتطفية، والتغذي بحشوٍ وَصَفَهُ، فأُحضر على نسخته في غضارة

١ : أبو الريحان البيروني: محمد بن أحمد ، أبو الريحان: فيلسوف رياضي، مؤرخ، من أهل خوارزم، أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده ، اطّلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره، وصنف كتباً جيدة وكثيرة جداً، متقنة، رأى ياقوت فهرستها بمرو في ستين ورقة، بخط مكتنف، وياقوت مكثر من النقل عنه في كتبه. توفي سنة ٤٤٠هجرية. انظر ترجمته في: حكماء الإسلام ٧٢، واللباب ١ / ١٦٠، والأعلام للزركلي ٥ / ٣١٤.

٢ : النَّيْـرُوزُ: أوَّلُ يومٍ من السنة، مُعَرَّبُ نَوْرُوز، قُدِّمَ إلى عليٍّ شيءٌ من الحَلاوَى، فسألَ عنه، فقالوا: للنَّيروزِ. فقال: نَيْرِزُونا كلَّ يوم. قاله في القاموس.

٣ : العِلْقُ، بالكسر: النَّفيسُ من كلِّ شيءٍ، ج: أعْلاقٌ وعُلوقٌ. ذكره في القاموس.

٤ : ما بين المعقوفتين كلمة لم أتبينها.

٥ : الآبنوس: بضم الباء والواو، خشبٌ معروفٌ يُجلبُ من الهند. قاله المحبي في قصد السبيل ١ / ١٣٦.

صينية عجيبة الصفة، وفيها هذه الملعقة، فغمزني أبي على رفعها؛ففعلت، ولففتها في طيلساني، وجاذبنيها الخادم.

فقالت له: "لا طفه، ومره بردِّها، وعوِّضه منها عشرة آلاف دينار"، فامتنعت.

وقال أبي: " يا ستي![١] إن ابني لم يسرق قط، فلا تفضحيه في أول كرَّاته، لئلا ينكسر قلبه. فضحكت، ووهبتها له.

وسئل عن الأخريين؟ فقال: إنها اشتكت إليه تغيُّرَ النكهة[٢]، بإخبار إحدى بطانتها إياها، وذكرت أن الموت أسهل عليها من ذلك.

فجوَّعها إلى العصر وأطعمها سمكاً ممقوراً[٣]، وأسقاها دردي نبيذ[٤] دقل[٥] بإكراه، فغثيت نفسها، وقذفت، فكرَّر ذلك عليها ثلاثة أيام.

ثم قال لها: تنكَّهي في وجه من أخبرك بذلك، واستخبريه: هل زال؟.

والثالثة: أنها أشرفت على التلف من فواق[٦] شديد، كان يسمع من خارج الحجرة.

فأمر الخادم بإصعاد خوابي إلى سطح الصحن، وتصفيفها حوله على الشفير،

---

١ : أي : يا سيدتي!.

٢ : النَّكْهَةُ: رَائِحَة الفَم ، طَيِّبَةً كَانَتْ أَو كَرِيهة.

٣ : الممقور من السمك: هو الذي يُنقع في الخل والملح فيصير صِباغاً بارِداً يُؤتَدَمُ به. وقال ابن الأعرابي: سمك مَمْقُورٌ أي حامض. ويقال: سمك مَليحٌ ومَمْلوحٌ، ومالح لغة أيضاً. وقال الجوهري: سمك مَمْقُورٌ يُمْقَرُ في ماء وملح، ولا تقل مَنْقُورٌ. ذكره في لسان العرب.

٤ : دُرْدِيُّ النبيذ: ما يَبْقَى أَسْفَلَه، قاله في القاموس.

٥ : الدقل: أَرْدَأُ التَّمْر.

٦ : الفُواقِ، بالواوِ، لِلرِّيحِ التي تَخْرُجُ من المَعِدَةِ، وقد فاقَ، كَمَنَعَ، فُؤاقاً. قاله في القاموس.

وملأها ماءً، وجلس خلف كل حُبٍّ خادم، حتى إذا صفَّق بيده على الأخرى دفعوها دفعةً إلى وسط الدار، ففعلوا، وارتفع لذلك صوت شديد أرعبها وزايلها الفواق.

قال أبو علي القياني[١]: حدثني أبي قال: دخلت يوماً إلى بختيشوع وكان من أيام الصيف، وجلست فإن هو قد رفع طرفه إلى خادمه، وقال له: هات!. فجاء بقدح فيه نحو نصف رطل شراب عتيق، وعلى طرف خلاله[٢] ذهب، وشيء أسود، فمضغه، ثم شرب الشراب عليه، وصبر ساعة، فرأيت وجهه يتَّقدُ كالنار، ثم دعا بأطباقٍ فيها خوخٌ جبلي في نهاية الحسن، فأقبل يقطِّع ويأكل، حتى انتهى وسكن تلهُّبه،وعاد وجهه إلى حاله.

فقلت له: حدثني بخبرك.

فقال: اشتهيت الخوخ شهوة، وخفت ضرره، فاستعملت الترياق والشراب، حتى نقرت الحجر ليجيد الطحن.

ونقلت من بعض الكتب أن بختيشوع كان يأمر بالحقن والقمر متصل بالذنب، فيحل القولنج من ساعته، ويأمر بشرب الدواء والقمر على مناظرة الزهرة، فيصلح العليل من يومه.

ولما توفي بختيشوع خلف عبيد الله ولده، وخلف معه ثلاث بنات، وكانت الوزراء والنظار[٣] يصادرونهم ويطالبونهم بالأموال، فتفرَّقوا واختلفوا.

١: هكذا في الأصل المخطوط، وفي عيون الأنباء، ولم نعثر له على ترجمة.

٢: الخِلاَلُ العود الذي يُتَخَلَّلُ به.

٣: **النُّظَّار**: جمع ناظر، وهو من ينظر في الأموال، وينفذ تصرفاتها ويرفع إليها حسابها لينظر فيه ويتأمله فيمضي ما يمضي ويرد ما يرد، وهو مأخوذ إما من النظر الذي هو رأي العين لأنه يدير نظره في أمور ما ينظره فيه. وإما من النظر الذي هو بمعنى الفكر لأنه يفكر في المصلحة من ذلك، ثم هو يختلف باختلاف ما يضاف إليه. وهو كما يدل عليه اسمه هو الرئيس المسئول الأول عن كل=

وكان موته يوم الأحد لثمان بقين من صفر، سنة ست وخمسين ومائتين.

ومن كلام بختيشوع ابن جبرائيل:

"الشرب على الجوع رديء، والأكل على الشبع أردأ منه".

وقال: "أكل القليل مما يضر أصلح من أكل الكثير مما ينفع".

ولبختيشوع من الكتب كتاب: "الحجامة" على طريق المسألة والجواب.

ومنهم:

٦٥- جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع *

عالم أتقن علم الطبيعة، وأيقن في برء السقام ربيعه، بخاطرٍ يجري عذبه سلسالا، وتجيء سحبه أرسالا، لا تلبث العلل معه، ولا تتشبَّث منه ببارقه مطمعه.

قال ابن أبي أصيبعة(١): "كان فاضلاً، عالماً، متقناً لصناعة الطب، جيداً في

= ما يجري في الديوان، ويرجع إليه جميع الموظفين، ولا بد من توقيعه الرسمي على جميع ما يخرج من الديوان من أوراق ديوانية خارجية، وكان الناظر هو المشرف الرسمي على الإيراد والمنصرف في الديوان، ولديه جميع البيانات الخاصة بالمتحصّلات والمصروفات والبواقي والفوائض والمتأخرات. **انظر**: نهاية الأرب للنويري ٣/ ٢٩٩.

*(٣١١- ٣٩٦هـ) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢٠٩-٢١٤، وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٢/ ١٨٨-١٨٩، وتاريخ الحكماء للقفطي ١٤٦-١٥١، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/ ١١٥، والأعلام للزركلي ٢/ ١١١، وعلماء النصرانية في الإسلام ١٢٤-١٢٦ تأليف لويس شيخو، وموسوعة علماء الطب هيكل نعمه ١٢١-١٢٢.

١ : عيون الأنباء ٢٠٩.

أعمالها، حسن الدراية لها، وله تصانيف جليلة في صناعة الطب، وكانت أجداده في هذه الصناعة كل منهم أوحد زمانه، وعلاَّمة وقته".

قال عبيد الله بن جبريل: كان جدي عبيد الله بن بختيشوع متصرِّفياً [١]، ولما ولي المقتدر استكتبه بحضرته، ثم مات، فقبض المقتدر على ماله، ثم تقلَّبت بمخلِّفيه الأمور إلى أن دخل جبرئيل بغداد وما معه إلا النزر اليسير، فقصد طبيباً يعرف بـ"ترمرة" وقرأ عليه وكان من أطباء المقتدر وخواصِّه، وقرأ على يوسف الواسطي، ولازم المارستان، ثم اتصل برسول صاحب فارس، فطار ذكره إلى فارس وكرمان[٢]، وكان سبب خروجه إلى شيراز[٣]، واتصل بعضد الدولة، وأهدى إليه رسالة في عصب العين، تكلم فيها بكلام حسن، فحسن موقعه عندهن فقرَّر له جارياً عليه، ثم تعرَّض لروح خالة عضد الدولة مرضٌ فأنفذ إليه فشفى على يده فأجزل عطاءه وردَّه مكرَّماً ثم صحبه إلى بغداد وأجرى عليه رزقين في البيمارستان غير الجراية، ثم عرض لابن عباد مرضٌ صعبٌ في معدته، فجهَّز له عضد الدولة بما يحتاج إليه، ثم بعث به إليه، فلما أتى الريّ[٤] أحسن ابن عباد ملتقاه، وأكرم نُزُله، ثم امتحنه، فظهر له فضله، فخلع عليه خلعاً سنية، ثم أمره

---

١ : المتصرفي: من ألقاب الوزراء ومن في معناهم، والمراد من ينفذ تصرفه في الأمور، ولم يستعمل مجرّداً عن ياء النسب. انظر: صبح الأعشى للقلقشندي ٦ / ٢٦.

٢ : كَرْمانُ، وقد يُكْسَرُ أو لَحْنٌ: إقْليمٌ بين فارِسَ وسجِسْتان. قاله في القاموس.

٣ : شيراز: بكسر الشين في أوله – وزاي في آخره – بلد عظيم مشهور، وهو قصبة بلاد فارس،وسطها. وصفها البشاري بضيق الدروب والقذارة، على طيب الماء، وصحة الهواء، وكثرة الخيرات. انظر معجم البلدان ٣ / ٣٤٨–٣٥٠.

٤ : الريّ: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، مدينة مشهورة، من أمهات مدن فارس، وأعلام البلاد. كانت قصبة الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً فتحها عروة بن زيد الخيل الطائي، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سنة عشرين من الهجرة. انظر: معجم البلدان لياقوت ٢ / ٨٩٢ – ٩٠١ .

بعمل كُنَّاش يذكر فيه الأمراض التي تعرض من الرأس إلى القدم، فعمل كناشه الصغير، فحسن موقعه عنده، ثم وصله بما قيمته ألف دينار، ورفع أمره إلى عضد الدولة فزاد موضعه عنده، فلما عاد من الري دخل بغداد بزي جميل وأمر مطاع وغلمان وحشم، وخدم، وصادف من عضد الدولة ما يسرُّه، واستدعاه حسام الدولة(١) إلى الموصل، وكانت له امرأة عليلة بمرض حاد، فأخذ في علاجها، وأشار بحفظ القارورة، فاتفق أن كان عنده وإذا بالجارية قد جاءت بالقارورة، فنظر إلى الماء، وقال لحسام الدولة: هذه المرأة تموت!. فانزعج لذلك وصرخت الجارية، فقال لها: جرى في أمر هذه الامرأة شيء لا أعلمه؟. فحلفت الجارية أنها لم تجاوز التدبير. فقال: لعلكم خضبتموها بالحناء.

قالت: قد كان ذلك، فحرد وقال لحسام الدولة: أبشر بعد ثلاثة أيام تبرأ. فكان كما قال.

ومنهم:

٦٦- خُصَيب النصراني *

خصيب لا يرتعي بكنفه المهزول،وطبيبٌ لا يتوقَّى طبه إلا من هو عن الحياة معزول، عرف باختيان(٢) النفوس، وبيع غوالي المهج برخاص الفلوس.

كم اجتثَّ شجرة لو تركت لطالت سمراتها(٣)، وطابت ثمراتها، لا جرم أن

١: حسام الدولة المقلد أبو حسان بن المسيت بن رافع بن المقلد العقيلي، أول أصحاب الموصل من العقيليين، تولى سنة ٣٨٦هجرية = ٩٩٦م. وقتل في صفر سنة ٣٩١هجرية. انظر: الكامل في التاريخ ٧/ ٢٠٩، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٦٠، والأعلام للزركلي ٨/ ٢١٠.

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢١٤-٢١٥.

٢: الاختيان: مراودة الخيانة، أو تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة. ذكر الراغب في معجمه.

٣: السَّمُرَةُ، بضم الميم: من شجر الطَّلْح، والجمع سَمُرٌ وسَمُرات.

جرمه أوبقه وجرَّه إلى محبسه، ثم ما فتح إلى غير قرارة القبر مطبقه.

ذكره ابن أبي أصيبعة وقال فيه(١): " [كان نصرانياً] من أهل البصرة، ومقامه بها، وكان فاضلاً في صناعة الطب، جيد المعالجة".

قال محمد بن سلام الجمحي: " مرض الحكم بن محمد المازني، فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه، فقال فيه: [مجزوء الرمل]

ولقد قلت لأهلي إذ أتوني بخصيب
ليس والله خصيب للذي بي بطبيب
إنما يعرف دائي من به مثل الذي بي

وقال ابن سلام: " كان خصيبٌ نصرانياً نبيلاً، فسقى محمد بن أبي العباس السفاح شربة دواء، وهو على البصرة، فمرض بها، وحمل إلى بغداد، فمات بها، فاتُّهم به خصيب، فحبس حتى مات، فنظر في علته إلى مائه، وكان عالماً، فقال: قال جالينوس: إن صاحب هذه العلة إذا صار ماؤه هكذا لا يعيش.

فقيل له: إن جالينوس ربما أخطأ.

فقال: ما كنت إلى خطئه قط أحوج مني الآن!. ومات من علته.

ومنهم:

٦٧- عيسى المعروف بأبي قريش *

عارفٌ لا يعادل في طبه ولا يعادى معه السقم لخطبه، ولا يؤخر في جدل، ولا يؤرخ زمان به عدل، وكان يرجع إليه فيما التبس، ويكاد يستطلق بتطبيبه

١: عيون الأنباء ٢١٤-٢١٥.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢١٥-٢١٩.

السحاب إذا احتبس، هذا بالدربة في معرفة قوى العقاقير، ولما سبق له به سعد المقادير.

ذكره ابن أبي أصيبعة، وقال: " قال إسحق بن علي الرهاوي – فيما نقله – أن أبا قريش كان صيدلانياً يجلس على موضع بباب قصر الخلافة، وكان ديِّناً صالحاً، وأن الخيزران(١) وجَّهت بمائها مع جارية لها إلى الطبيب.

فلما خرجت، رأت أبا قريش، فأرته الماء، فقال لها: هذا ماء امرأة حبلى بغلام!.

فرجعت بالبشارة، فقالت لها الخيزران: ارجعي إليه واستقصي المسألة.

فرجعت، فقال لها: ما قلت إلا الحق. فلما كان بعد أربعين يوماً أحسَّت الخيزران بالحمل؛ فوجَّهت إليه ببدرة(٢) دراهم، وكتمت الخبر عن المهدي، فلمّا مضت الأيام ولدت موسى الهادي ، فأعلمت المهدي، وقالت له: إن طبيباً على الباب أخبر بهذا منذ تسعة أشهر ، وبعثت إليه بتُحَفٍ كثيرة، وبلغ هذا جرجس فأكذبه، ثم حبلت بأخيه هارون الرشيد، فقال جرجس للمهدي: جرِّب أنت هذا الطبيب، فوجِّه إليه بالماء، فلما رآه قال: هذا ماء ابنتي أم موسى، وهي حبلى

١ : الخيزران: زوجة المهدي العباسي، وأم ابنيه الهادي وهارون الرشيد، ملكة حازمة، متفقهة، يمانية الأصل، أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي، وكانت من جواري المهدي، وأعتقها وتزوجها، ولما مات وولي ابنها الهادي انفردت بكبار الأمور، وأخذت المواكب تغدو وتروح إلى بابها، وحاول الهادي منعها من ذلك ، ولما علمت عزمه على قتل الرشيد أرسلت إليه بعض الجواري وهو مريض فجلسن فوقه حتى مات خنقاً. ولما توفيت ببغداد سنة ١٧٣هجرية مشى الرشيد في جنازتها، وعليه طيلسان أزرق شد وسطه بحزام، وأخذ بقائمة التابوت ، حافياً يخب في الطين، حتى أتى مقابر قريش فغسل رجليه وصلى عليها ودخل قبرها، وتصدق عنها بمال كثير. انظر الطبري ١٠ / ٥٢، وتاريخ بغداد ١٤ / ٤٣٠.

٢ : البَدْرَةُ عشرة آلاف درهم. قاله في المختار.

بغلام آخر!.

فرجعت الرسالة بذلك إلى المهدي، وأثبت اليوم عنده، فلما مضت الأيام،ولدت هارون. فأحضره المهدي ولم يزل يطرح عليه الخلع، وبدر الدراهم والدنانير، حتى علت رأسه، وصير موسى وهارون في حجره، وكناه أبا قريش – أي: أبا العرب –، وقال لجورجيس: هذا شيءٌ أنا بنفسي جربته. ثم صار نظير جرجس في الرتبة، ومات أبو قريش وخلف اثنين وعشرين ألف دينار، مع نعمة سنية.

[قال يوسف: وحدثني إبراهيم بن المهدي أن لحم عيسى بن جعفر بن المنصور كثر عليه حتى كاد أن يأتي على نفسه. وإن الرشيد اغتمَّ لذلك غماً شديداً أضرَّ به في بدنه، ومنعه لذة المطعم والمشرب، وأمر جميع المتطبِّبين بمعالجته. فكلهم دفع أن يكون عنده في ذلك حيلة. فزادوا الرشيد غماً إلى ما كان عليه منه. وأن عيسى المعروف بأبي قريش صار إلى الرشيد سراً، فقال له: " يا أمير المؤمنين! إن أخاك عيسى بن جعفر](1) رزق معدة صحيحة، وبدناً قابلاً، ودهراً مسالماً، [والأبدان] ما لم تختلط على أصحابها طبائعهم وأحوالهم،[فتنالهم العلل في بعض الأوقات، والصحة في بعضها، والغموم في بعضها، والسرور في بعضها، ورؤية المكاره في بعضها، والمحابّ في بعضها، وتدخلها الروعة أحياناً، والفرح أحياناً](2)، لا يؤمن عليهم منها التلف، [لأن لحمه يزداد حتى تضعف عن حمله العظام، وحتى يغمر فعل النَّفَس، وتبطل قوى الدماغ والكبد، ومتى كان هذا عدمت الحياة، وأخوك هذا إن لم تظهر]

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة، استكمل من عيون الأنباء ٢١٧.

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من عيون الأنباء ٢١٧.

موجدة تجدها عليه، أو عزيز عيه من حرمه، لم تأمن عليه.

فقال: لا حيلة عندي في الموجدة عليه، ولكن احتل أنت.

فذهب إليه ثم جس عرقه، وأعلمه أنه يضطر إلى محنته ثلاثة أيام قبل العلاج، فأمره بذلك، فلما فرغ منه في اليوم رأى الأمير أن يعهد، فإن لم يحدث حادث قبل أربعين يوماً عالجته في ذلك بعلاج لا يمضي عليه ثلاثة أيام حتى يبرأ. ونهض وقد امتلأ قلب الرجل[من الخوف]، فانحطَّ كثير من لحمه، واستتر أبو قريش خوفاً من إفشاء الخبر، فلما كان يوم الأربعين صار إلى الرشيد وقال: لا شك في نقصان بدن عيسى، فركب إليه الرشيد، ودخل عليه، ومعه أبو قريش، فوجدوا لحمه قد نقص نقصاً كبيراً، فقال له عيسى بن جعفر: أطلق لي يا أمير المؤمنين قتل هذا الكافر، فقد قتلني بما أدخل علي من الروع.

فقال له: يا أخي! متعتُ بك[١] بأبي قريش – ردت إليه الحياة بعد الموت، فاشكر الله ، فنعم الحيلة احتال لك، وقد أمرت له بعشرة آلاف دينار، فأوصل أنت إليه مثلها. ففعل، وانصرف أبو قريش إلى منزله بالمال ولم يرجع إلى أبي عيسى بن جعفر الشحم إلى أن فارق الدنيا.

١ : يقال: متعت بفلان إذا كاذبه.

ومنهم:

٦٨- ابن اللجلاج *

عارفٌ بالأسباب والعلامات، درب العلاج حتى عرف بغلبة الظن إلى أن تتناهى الأعمار، وتتمادى مدد البقاء في هذه الدار، وزاد في التقريب، وكان كل شيء منه عنده بمقدار.

قال ابن أبي أصيبعة: " قال إسماعيل بن أبي سهل الطبيب، عن أبيه، قال: ترافقت أنا وابن اللجلاج أيام المنصور في حجته التي حجَّ فيها، فكان إذا نام المنصور تنادمنا. فسألني ابن اللجلاج – وقد عمل فيه[١] النبيذ، عما بقي من عمر المنصور؟.

فأعظم أبي ذلك، وقطع النبيذ،وجعل على نفسه أن لا ينادمه،[وهجره ثلاثة أيام].

ثم اصطلحا، فلما جلسا على نبيذهما قال ابن اللجلاج لابن أبي سهل: سألتك عن علمك ببعض الأمور، فبخلت به، وهجرتني، ولست أبخل عليك بعلمي، فاسمعه.

ثم قال: إن المنصور رجلٌ محرور[٢]، وتزداد يبوسة بدنه كلما أسنَّ[٣]. وقد حلق رأسه، وجعل مكان الشعر غالية[٤]، وهو في هذا الحجاز يداوم الغالية، وما

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢١٩.

١ : في الأصل المخطوط "فيَّ"، والتصويب من عيون الأنباء.

٢ : **مَحْرور**: مُصَابٌ بالحُمّى، مَحْمُوم .

٣ : **أسَنّ**: شَاخَ، تَقَدّمَ في السّن.

٤ : **الغالية**: أخلاط من أنفس الطيب.

يقبل قولي في تركها، ولا أحسبه يبلغ إلى فيد [١] حتى يحدث في دماغه اليبس ما لا يكون عندي ولا عند أحد من المتطبِّبين حيلة في ترطيبه. فليس يبلغ "فيد" – إن بلغها – إلا مريضاً. ولا يبلغ مكة – إن بلغها – وبه حياة!.

قال إسماعيل بن أبي سهل: قال لي أبي: فو الله! ما بلغ المنصور "فيد" إلا وهو عليلٌ، ولا وافى مكة إلا وهو ميت، ودفن ببئر ميمون[٢].

ومنهم:

٦٩- عبد الله الطيفوري*

هبت له رياح ثم سكنت، وتنبَّهت له عيون رباح ثم وسنت[٣]،وانتعش جدّه الخامل، ثم غلب عليه الخمول، ورنح[٤] غصنه المائل ثم عاجله

---

١ : **فَيْد** : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة، يودع الحجاج فيها أزوادهم وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها، فإذا رجعوا أخذوا أزوادهم، ووهبوا لمن أودعوها شيئاً من ذلك.
انظر : ياقوت في معجم البلدان ٤ / ٢٨٢.

٢ : **بئر ميمون** : بفتح أوله ، اسم رجل: بئر بمكة بين البيت والحجون، بأبطح مكة، وهي منسوبة إلى ميمون بن الحضرمي، أخي العلاء بن الحضرمي، وهم حلفاء بني أمية، كان ميمون حفرها في الجاهلية،وعندها توفي أبو جعفر المنصور.
انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري الأندلسي ٤ /١٢٨٥.

* **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢٢٠-٢٢٤، ومختصر تاريخ الطب العربي للدكتور كمال السامرائي ١ /٣٥٩.

٣ : **الوَسَنُ**، محرَّكةً وبهاء، والوَسْنَةُ والسِّنَةُ، كعِدَةٍ: شِدَّةُ النَّوْمِ، أو أوَّلُهُ، أو النُّعَاسُ.ووسِنَ، كفرِحَ، فهو وَسِنٌ ووَسْنانُ وميسانٌ، كميزانٍ، وهي وَسِنَةٌ وَوَسْنَى وميسانٌ: كثُرَ نُعاسُه

٤ : **ترَنَّحَ**: تمايَلَ سُكْراً أو غيرَه.

الذبول،وظنَّ أن بارقته[١] ممطرة وقد رأى ركامها[٢]، وأمَّل رهامها[٣]، فما سقته إلا رشاشا، ولا أقامته إلا وسقط يتغاشى.

قال ابن أبي أصيبعة[٤]: " كان حسن العقل، طيِّب الحديث، على لكنة سواديَّة[٥] كانت في لسانه شديدة.

وكان مولده في بعض قرى " كسكر"[٦] ، وكان أحظى خلق الله عند الهادي[٧].

قيل: إنه كان مولى الخيزران، والأصح: أنه كان مطبّباً لأخيها طيفور، فنسب إليه. ولما وجَّه المنصور المهديَّ إلى الري لمحاربة مَن بها، حمل معه الخيزران، وهي حاملٌ بموسى، وخرج معها طيفور، والطيفوري معه، ولم تكن الخيزران شعرت بالحمل، فبعثت قارورة لها تريها الأطباء، فأتت الجارية بها أبا قريش الصَّيدلاني،

١ : **البارِقَة**: سَحَابَةٌ ذَاتُ بَرْقٍ ورَعْد .

٢ : **الرُّكام**: السَّحاب المُتراكِب بعضُه فوق بعض.

٣ : **الرِّهام**: هي الأمطارُ الضعيفة، واحدتُها رِهْمة. وقيل الرِهمة أشدُّ وَقْعا من الديمة.

٤ : عيون الأنباء ٢٢٠.

٥ : **السوادية**: لغة أو لهجة تميل إلى لكنة العجم، نسبة إلى سواد العراق، وكان من ينسب إلى هذه اللكنة أنه غير فصيح، فهي صفة ذم لا مدح.

٦ : **كسكر**: بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده كاف مفتوحة، وراء مهملة: وهو بلد بالعراق معروف، قال محمد بن سهل الأحول: معنى كسكر: أرض الشعير. قال الجرجاني: إنما هو كشتكر. فعرِّب، ومعناه: عامل الزرع. انظر: معجم ما استعجم للبكري ٢/١١٢٨.

٧ : **الهادي**: موسى ، أبو محمد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، رابع الخلفاء العباسيين، ولد سنة ١٤٤هجرية، وتولى الخلافة سنة ١٦٩هجرية، وخنق سنة ١٧٠هجرية، ولم تستمر خلافته أكثر من سنة وثلاثة أشهر. انظر: الأعلام للزركلي ٧/١٩٤.

فقال: هذه قارورة حامل بغلام. فأدَّت قوله إلى الخيزران، فسُرَّت وأعتقت عدة رقاب. وأعلمت المهدي فأحضره، وسأله، فقال ذلك. فسُرَّ أكثر من سرورها، ووصله كلٌّ منهما بمالٍ جزيل، وأمره بلزوم الخدمة، وترك خيمته وما كان فيها من متاع الصيادلة.

قال: فأراد طيفورأن ينفعني، فبعث بي إلى الخيزران،وقال: هذا طبيبي، ماهرٌ في الطب، فابعثي إليه بالماء ليراه.

ففعلت ذلك. فقال لي: قل لها كما قال أبو قريش. فقلت: ذلك ما لا أقول! لأنني لا أكتسب بالمخرقة![1] .ولكن هذه قارورة حامل، فأمرت لي بألف درهم، فلما وافت الري ولدت الهادي، فضممت إليه ودُعيت بطبيبه وهو رضيع وفطيم، ثم ولدت أخاه الرشيد، فكان مولده شؤماً على الهادي، لأنه فاز بالحظوة دونه، فأضرَّني ذلك في جاهي، فلما أدرك الهادي الخلافة رفع من شأني.

ومنهم:

٧٠- إسرائيل بن زكريا الطيفوري*

طبيب الفتح بن خاقان.

كان يدل بتقدّمه في فنه، ويدل على هذا غضبه على ملكه، وقد احتجم بغير إذنه لاشتداد أسر معرفته بقوى الأمزجة، وقدر فاقة الأبدان المليَّة والمحوجة.

---

١ : من التَّخَرُّقُ وهو لغة في التخلق من الكذب، وأما المَخْرَقةُ فكلمة مولدة.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢٢٥، ومعجم تاريخ الطب العربي ١ /٣٦٢.

ذكره ابن أبي أصيبعة وقال فيه: " كان مقدَّماً في صناعة الطب، جليل القدر عند الخلفاء والملوك، وكان مختصاً بابن خاقان، وله من الإنعام الوافر، وكان المتوكل يعتمد عليه، وصار عنده إلى منزلة بختيشوع، وكان متى ركب إلى دار المتوكل في مثل مراكب الأمراء الأجلاَّء القوَّاد، وأمر المتوكِّل صقلاب وابن الخيبري بالركوب معه، ثم أقطعه قطيعة بـ" سُرّ من رأى "(١)، ركب فاختارها لنفسه خمسين ألف ذراع، وأعطاه ثلاث مائة ألف درهم لينفقها عليه، فحازها، وضرب المناور(٢) عليه.

وحكى الرهاوي أن إسرائيل بن الطيفوري وجد(٣) على المتوكل إذ احتجم بغير إذنه فافتدى غضبه بثلاثة آلاف دينار، وضَيعة تغلُّ له في السنة خمسين ألف درهم، وهبها له، وسجَّل له عليها.

وحكى ابن ما سويه قال: رأيت المتوكل وقد عاد إسرائيل وهو مريض قد غشي عليه، فجعل يده تحت رأسه مخدَّة له، ثم قال للوزير: حياتي معلَّقة بحياته إن عدمته لا أعيش!. ثم كان يبعث سعيد بن صالح – حاجبه – وموسى ابن عبد الملك – كاتبه – يعودانه عنه.

---

١ : **سر من رأى**: مؤنثة، وهي المدينة التي بناها المعتصم بالعراق سنة عشرين ومائتين، ونزلها بأتراكه.
انظر: معجم ما استعجم للبكري ٢ / ٧٣٤.

٢ : **المناور**: مواضع رفع النار في الليل، والدخان في النهار للإعلام بحركات العدو، إذا قصد البلاد للدخول لحرب أو للإغارة، ولما يرفع من هذه النيران، أو يدخن من هذا الدخان، أدلة تعرف فيها اختلاف حالات رؤية العدو والمخبر به، باختلاف حالاتها تارة في العدد، وتارة في غير ذلك،وقد أرصد في كل منور الديادب والنظارة لرؤية ما وراءهم، وكشف ما أمامهم، ولهم على ذلك جوامك – أي جرايات – مقررة. على أن هذه المناور تكون فوق أبنية عالية، أو جبال شاهقة.
انظر: التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري ١٩٩–٢٠٠.

٣ : قوله" وجد" أي غضب.

ومنهم:

٧١- يزيد بن [زيد] بن يوحنّا*

ابن أبي خالد.

كان لا يخطئ له صواب، ولا يبطئ به جواب، وكان في طبه [جدّ المأمون، خدم به . . .][١] ابن المهدي والمأمون، لأنه كان لا يتهم، ولا تسري وتدلج إليه التهم، لعلم يقين منه عقد عليه الأنامل، وأقعد لديه كل آمل.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان جيد العلم، حسن المعالجة، موصوفاً بالفضل، خدم المأمون وابن المهدي، وكان له منه العناية الظاهرة، وله عليه الجامكية[٢] الوافرة" .

قال ابن المهدي: إن أبا عثمان ثمامة العبسي صاحب الجبار اعتلّ علةً تطاولت به، وكان شيخاً كبيراً.

قال ابن المهدي: فسألني الرشيد عن علته، وأين بلغت به؟. فأعلمته، أني لا أعلم له خبراً، فأظهر إنكار القول، ثم قال: رجلٌ غريب من أهل الشرف قد رغب في مصاهرة أهله عبد الملك بن مروان، وقد ولدت أخته خليفتين: الوليد، وسليمان ابني عبد الملك. وقد رغب أبوك في مصاهرته، فتزوّج أخته، ورغبت أنا وأخوك في مثل ذلك منه فتزوجت ابنته، وهو مع ذلك صحابي لجدِّك وأبيك، ولأختك وأخيك، فلا توجب على نفسك عيادته؟.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢٢٦.

١ : ما بين المعقوفتين جملة غير واضحة تنتهي بكلمة لم أتبينها، والله أعلم.

٢ : **الجامكية**: الجمع جوامك، وهي الرواتب عامة، ونص القلقشندي " أن نفقة مماليك السلطان كانت عبارة عن جامكيات وعليف وكسوة، وغير ذلك" . **انظر**: صبح الأعشى ٣ / ٤٥٧.

ثم أمرني بالمصير إليه لعيادته، فنهضت، وأخذت معي متطبّبي يزيد، وصرت إليه، فدخلت على رجل توهّمت أنه في آخر حشاشة[١] بقيت في نفسه، ولم أرَ فيه للمسألة موعاً، فأمر يزيد متطبّبي بإحضار متطبّبه. فحضر. فسأله عن حاله؟. فأخبر أنه يقوم في اليوم والليلة مائة مجلس.

وأقبل يزيد يسأل المتطبّب عن بابٍ بابٍ من الأدوية التي تُشرب، والسفوفات[٢]، والحقن؟.

فلم يذكر لذلك المتطبّب شيئاً إلا أعلمه أنه قد عالجه به، فلم ينجع فيه، فوجم[٣] عند ذلك يزيد مقدار ساعة، وقال: قد بقي شيء واحد أن أعمل به، رجوت أن ينتفع به، وإن لم ينجع فلا علاج له.

قال أبو إسحاق: فرأيت ثمامة قد قويت نفسه عندما سمع من يزيد ما سمع، ثم قال: وما ذلك الشيء الذي بقي - مُتعتُ بك[٤] -؟.

قال: شربة "الاصطمخيقون"[٥].

فقال ثمامة: أحبُّ أن أرى هذه الشربة حتى أشمَّ رائحتها.

فأخرج يزيد من كمِّه منديلاً فيه أدوية، وفيه شربة "أصطمخيقون" فأمر بها

١ : **الحُشَاشَةُ**، بِضَمِّهما: بَقِيَّةُ الرُّوحِ في المَرِيضِ والجَرِيحِ.

٢ : قال الثعالبي في "فقه اللغة": كلُّ دواءٍ يُؤخذُ غيرَ معجونٍ فهو سَفُوف.

٣ : في الأصل المخطوط "فوجد" بالدال، والصواب من عيون الأنباء.

٤ : هو على سبيل الدعاء بطول العمر، والسلامة، والإمتاع بالعافية.

٥ : **الأصطماخيقون**: باليونانية "اكسوماكسيكون" وتجمع بالألف والتاء: نوع من الأدوية المسهلة، ففي ابن البيطار ١ /٤٢٨ : وأهل الهند يخلطونه بأدويتهم الكبار المعجونات، المسهلة، والاصطماخيقونات وغيرها من الأدوية المسهلة" . **انظر**: تكملة المعاجم العربية - تأليف رينهارت دوزي، ١ /١٤٩. طبع وزارة الثقافة العراقية. ترجمة د. محمد سليم النعيمي.

ثمامة فحُلَّت، ثم أتي بها فرمى بها في فيه، وابتلعها، فوالله ما وصلت إلى جوفه حتى سمعت منه أصواتاً لم أشك في أني لم أبلغ باب داره إلا وقد مات!.

فنهضت ومتطبِّبي معي، وما أعقل غماً. وأمرت خادماً لي يكون يحمل معي الاسطرلاب إذا ركبت بالمقام في داره، وتعرُّف خبر ما كان يكون منه، فتخلَّف. فوافاني كتاب الخادم بعد الزوال يعلمني أنه قام بعد طلوع الشمس إلى زوالها خمسين مرة.

فقلت: تلفت والله نفس ثمامة. ثم وافى كتاب الخادم بعد غروب الشمس أنه قام منذ زوال الشمس إلى غروبها عشرين مجلساً. ثم صار إليَّ الغلام مع طلوع الشمس فذكر أنه لم يكن منه منذ غروب الشمس إلى انتصاف الليل إلا ثلاثة مجالس!، ولم يكن منه إلى وقت طلوع الفجر شيء.

فركبت إليه بعد أن صليت الغداة، فوجدته نائماً، وكان لا ينام، فانتبه لي، وسألته عن خبره؟.

فأخبرني أنه لم يزل في وجع من جوفه مانعٌ له من النوم والقرار منذ أكثر من أربعين ليلة، حتى أخذ تلك الشربة، فلما انقطع فعل الشربة انقطع عنه ذلك الوجع، وأنه لم يشته طعاماً منذ ذلك الوقت، وأنه ما يصبر في وقته من غلبة الجوع عليه، وسأل الإذن في الأكل. فأذن له يزيد في أكل "اسفيذاج"(١) قد طبخ في فروج كسكري سمين، ثم إتباعها "زيرباجة"(٢) ، ففعل ذلك.

١ : **الاسفيذاج**: هو القنبيط عند أهل مصر، ولا شك أنه سمي بذلك لأن لونه يشبه في بياضه مسحوق التجميل، ففي المستعيني مادة كرنب شامي: وأهل مصر يسمونه الاسفيذاج. انظر تكملة المعاجم العربية ١ / ١٣٤.

٢ : **الزيرباج**: تعني بالفارسية قصعة الكمون، ثم عنت فيما بعد: طعاماً يتخذ من السكر واللوز والخل. – كما في المعجم المنصوري – . انظر: تكملة المعاجم العربية – ٥ / ٣٩٩.

وصرت إلى الرشيد فأخبرته بما كان من أمر ثمامة!. فأحضر المتطبِّب، وقال له: ويحك! كيف أقدمت على إسقائه حب الاصطمخيقون؟.

فقال: يا أمير المؤمنين! هذا رجلٌ كان في جوفه [كيموس[١] فاسد، فلم يكن يدخل في جوفه][٢]دواء ولا غذاء إلا أفسده الكيموس، وكان كلما فسد من تلك الأدوية والأغذية صار مادة لذلك الفساد، فكانت العلة لهذا السبب تزداد. فعلمت أنه لا علاج له إلا بدواء قوي على فعل الكيموس. وكانت أقوى الأشياء التي يمكن أن يسقاها: "الاصطمخيقون". فقلت له فيه الذي قلت، ولم أقدم أيضاً على القول إنه يبرئه لا محالة. وإنما قلت: بقي شيء واحد، فإن هو لم ينفعه فلا علاج له. وإنما قلت ذلك لأني رأيت الرجل عليلاً قد أضعفته العلة، وأذهبت أكثر قواه، فلم آمن عليه التلف إن شربه، وكنت أرجو له العافية بشربه إياه، وكنت أعلم أنه إن لم يشربه أيضاً تلف.

فاستحسن الرشيد ما كان من قوله، ووصله بعشرة آلاف درهم، ثم عاد الرشيد ثمامة، وقال: لقد أقدمتَ من شرب ذلك الدواء على أمر عظيم، وخاصة إذا كان المتطبِّب لم يصرِّحْ لك بأن في شربه العافية.

فقال ثمامة: يا أمير المؤمنين! كنت قد يئست من نفسي، وسمعت المتطبِّب يقول: إن شربت هذا الدواء رجوت أن ينفعه، فاخترت المقام على الرجاء ولو لحظة على اليأس من الحياة، فشربته، وكان في ذلك خيرة من الله عظيمة[٣].

---

١ : **الكَيْمُوس** في عبارة الأطِبَّاء: هو الطعام إذا انْهَضَم في المَعِدة قبل أن يَنْصرف عنها ويَصير دَماً، ويُسَمُّونه أيضاً: الكَيْلُوس.

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة استكمل من عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢٢٧.

٣ : **انظر**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢٢٧.

ومنهم:

٧٢- عبدوس بن زيد*

وكان طبيباً حاذقاً، ومصيباً لا يزال برأيه موافقا، وله فضل من السحاب لو جر ذلاذله[١]، ونبلٌ يتمنى لو كان فيه نقص يشغل عواذله.

قال أبو علي القباني، عن أبيه، أن القاسم بن عبيد الله[٢] مرض في حياة أبيه مرضاً حاداً في تموز، وحلَّ به القولنج الصعب، فانفرد بعلاجه عبدوس بن زيد، وسقاه ماء أصول قد طبخ، وطرح فيه أصل الكرفس، والرازيانج[٣]، ودهن

*(توفي نحو ٣٠٠ هـ) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء ٢٢٨، والأعلام للزركلي ٤/ ١٧٩، وعلماء النصرانية في الإسلام – لويس شيخو ١٧٨–١٨٨، ومعجم المؤلفين ٦/ ٢٣٣، وموسوعة علماء الطب – لهيكل نعمة الله ١٩٧.

١ : **الذَّلاذِلُ** والذَّلْذِلُ والذَّلْذِلَةُ، بفتح ذالِهما الأولى ولامِهما، وكعُلَبِطٍ وعُلَبِطَةٍ وهُدْهُدٍ وزِبْرِجٍ وزِبْرِجَةٍ: أسافِلُ القَميصِ الطويل. قاله في القاموس.

٢ : **القاسم** بن عبيد الله بن سلمان بن وهب الحارثي: وزير من الكتاب الشعراء، له غزلٌ رقيق، استوزره المعتضد العباسي بعد أبيه عبيد الله، سنة ٢٨٨هجرية، ولما مات المعتضد سنة ٢٨٩هجرية قام القاسم بأعباء الخلافة وعقد البيعة للمكتفي في غيبته بالرقة، ووزر له وتزوج ابنه محمد بنتاً للمكتفي، ولقب القاسم بولي الدولة، وعظمت مكانته. توفي سنة ٢٩١هجرية. انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٥/ ١٧٧.

٣ : **الرازيانج**: هو الآنيسون، ويسمى "الشمار" بالشام ومصر، و"الشمرة" بحلب، و"البسباس" بالمغرب، ويقيّده صيادلة مصر الآن بالعريض، وكأنه احتراز من الآنيسون، معرَّب "رازيانة" نقل في التجارب أن استعمال نصف درهم منه مع السكر كل يوم من رأس الحمَل إلى أول السرطان كل عام، أمن من سائر الأمراض. قاله المحبي في "قصد السبيل ٢/ ٥٦، وانظر أيضاً: تذكرة داود ١/ ١٥١.

الخروع، وجعل فيه شيئاً من "أيارج فيقرا[١]" فحين شربه سكن وجعه، وأجاب طبعه مجلسين، فأفاق ثم أعطاه من غد ذلك اليوم ماء شعير، فاستطرف هذا منه.

وقال أبو علي القباني أيضاً: إن أخاه إسحاق بن علي مرض، وغلبت الحرارة على مزاجه، والنحول على بدنه، حتى أدَّاه إلى الضعف، وردٍّ ما يأكله، فسقاه عبدوس بن زيد هذه الأصول [بالأيارج]، ودهن الخروع، في حزيران أربعة عشر يوماً، فعوفي، وصلحت معدته. وقال: في مثل هذه الأيام تحمُّ حُمَّى حادَّة، فإن كنتُ حياً خلَّصتك بإذن الله، وإن كنتُ ميتاً فعلامة عافيتك له دائر سنة، أن تنطلق طبيعتك في اليوم السابع، فإن انطلقت عوفيت، ومع هذا فقد تقوَّت معدتك بقوى لو طرحت فيها الحجارة لطحنتها.

فلما انقضت السنة، مرض عبدوس، وحمي أخي كما قال، وكان مرضهما في يوم واحد، فما زال عبدوس يراعي أخي، ويسأل عن خبره إلى أن قيل له: انطلقت طبيعته، فقال: قد تخلَّص. ومات عبدوس في الغد من ذلك اليوم.

ولعبدوس بن زيد من الكتب: كتاب" التذكرة في الطب".

---

١ : **الأيارج**: جمع "أيارجة" بالكسر وفتح الراء، معجون مسهل معروف، و"إيارة" معناه: الدواء الإلهي. ذكره المحبي في قصد السبيل ١ /٢٢٧، وابن منظور في اللسان مادة "أرج"، وفي القاموس "يرج"، وهو في الفارسية "أيارة" بفتح الهمزة، المعجم الذهبي ٨٤.

ومنهم:

٧٣- ماسرجويه «طبيب البصرة» *

هو أول من ترجم، وعرَّب ما أعجم، وكان صلب العود، صعب الجلمود[١]، لا ينقل إلا ما حرَّره، وفصَّل كلِمَه على قدر المعنى وقدَّره، لا يتجوَّز في كلمة يعبر بها عن معنى ما لم يكن دالة عليها بالمطابقة، مقابلة في اللغة الأخرى، لما نظرت به موافقة، وهو على هذا ظريف العبارة، لطيف الحديث إذا سمعت أخباره.

قال ابن أبي أصيبعة[٢]: " هو الذي نقل كناش "اهرن" من السرياني إلى العربي، وكان سريانياً يهودي الدين، وهو الذي يعنيه الرازي بقوله: "قال اليهودي" .

قال ابن جلجل: " كان ماسرجويه أيام بني أمية، وعرف كناش أهرن لهم، كان في خزائنهم، فلما ولي عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – أخرجه فوضعه على مصلاه، واستخار الله فيه أربعين يوماً، ثم أخرجه إلى المسلمين للانتفاع به" .

---

* (كان حياً قبل ١٠١ هجرية) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢٣٢-٢٣٤، والفهرست لابن النديم ١/٢٩٧، وتاريخ الحكماء للقفطي ٣٢٤-٣٢٦، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٤/٢٦٧-٢٦٨، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة ٢٤٠.

١ : **الجُلْمود**: الصخر، وفي المحكم: الصخرة: وقيل: الجَلْمَد والجُلْمُود أصغر من الجَنْدل قدر ما يرمى بالقَذّاف؛ قال الشاعر:وَسْط رِجامِ الجَنْدَلِ الجُلْمود. قاله في لسان العرب – مادة "جلمد" .

٢ : عيون الأنباء ٢٣٢.

قال الكسروي[1] : كان أبو نواس يعشق جارية لامرأة من ثقيف تسكن موضعاً يعرف بحكمان، من أرض البصرة، يقال لها "جيّان" . وكان أبو عثمان وأبو أمية الثقفيان من أقارب مولاتها، فكان أبو نواس يخرج كل يوم من البصرة يتلقّى من يرد من ناحية "حكمان" يسألهم عن أخبار "جيان" قال: فخرج يوماً وخرجت معه، فكان أول قادم عليه ماسرجويه، فقال له أبو نواس: كيف خلّفت أبا عثمان وأبا أمية؟.

فقال له ماسرجويه: جيان صالحة الحال كما تحب!. فقال :[**الخفيف**]

أسائل القادمين من حكمان	كيف خلّفتمُ أبا عثمان؟
وأبا أميةَ المهذّبَ والمأ	مول والمرتجى لريب الزمان
فيقولون لي: جنانٌ كما	سرَّك في حالها، فسل عن جنان
مالهم؟ لا يبارك الله فيهم!	كيف لم يغنِ عنهمُ كتماني؟

وقال: " كنت جالساً عند ماسرجويه إذ أتاه رجلٌ فقال: إني بليت بمرض عظيم أصبح وبصري عليَّ مظلم،وأنا أجد مثل لحس الكلاب في معدتي. ولا أزال هكذا حتى آكل، فإذا أكلت سكن عني ما أجد إلى وقت الظهر، ثم يعاودني ما كنت فيه، فإذا عاودت الأكل سكن ما بي إلى وقت العشاء، ثم يعاودني ما كنت فيه حتى آكل !.

فقال له ماسرجويه: " على هذا المرض غضبُ الله، فإنه أساء لنفسه الاختيار، إذ لم يكن إلا لسفَلَة مثلك!.ووددت لو ابتليت أنا وبَنيَّ به عوضك، ولو أنه بنصف ما أملك!.

---

١ : قال ابن أبي أصيبعة: هو أيوب بن الحكم البصري، المعروف بالكسروي، صاحب محمد بن طاهر بن الحسين، وكان ذا أدب ومروءة، وعلم بأيام الناس وأخبارهم. **انظر**: عيون الأنباء ٢٣٢.

فقال له: ما أفهم ما تقول!.

فقال له ماسرجويه: هذه صحةٌ لا تستحقها، أسأل الله تعالى نقلها عنك إليَّ فإني أحق بها منك!.

وقال: شكوت إلى ماسرجويه تعذُّر الطبيعة؟. فقال لي: أي شيء من الأنبذة تشرب؟.

فقلت: الدوشاب[1] البستاني الكثير الداذي[2].

فأمرني أن آكل في كل يوم من أيام الصيف على الريق قثاءة صغيرة، فآكل منه الخمس والست والسبع، فكثر عليَّ الإسهال، فشكوت إليه، فلم يكلِّمني حتى حقنني بحقنة كثيرة الشحوم، والصموغ، والخطمي[3]، والأرز الفارسي،

---

١ : **الدوشاب**: نبيذ التمر، معرَّب، وفي الفارسية يطلق على عصير العنب، أو الفاكهة المغلي على النار، "دوشاب" ، قال ابن المعتز:

لا تخلطوا الدوشاب في قدحٍ … بصفاء ماءٍ طيب البرد

وقال ابن الرومي في مطلع قصيدته في النبيذ الأسود :

علَّمني أحمدُ من الدوشاب … شربةً نغَّصت عليَّ شبابي

وفسر في شرحه بالنبيذ الأسود، وقال السمعاني: إنه الدبس بالعربية. **انظر**: شفاء الغليل ١٢٥، وقصد السبيل ٢ /٣٧.

٢ : **الداذي**: شراب للفساق" فارسي معرَّب. وقال في القاموس: دوذ: الدَّاذِيُّ: نبت، وقيل: هو شيء له عُنْقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل في الفَرَق فَتَعْبَقُ رائحته ويجود إسكاره؛ قال:

شَربنا من الدَّاذيِّ حتى كأننا … مُلوكٌ، لنا بَرُّ العِراقَيْنِ والبحر

انظر: قصد السبيل للمحبي ٢ /٦، والقاموس مادة "دوذ" وكذا "اللسان".

٣ : **الخِطْميُّ** : بالكسر الذي يُغسل به الرأس قلت ذكر في الديوان أن في الخطمي لغتين فتح الخاء وكسرها .

ثم قال لي: كدت تقتل نفسك بإكثارك من القثاء على الريق، لأنه كان يحدر من الصفراء ما يزيد عن الأمعاء من الرطوبات اللاصقة بها ما يمنع الصفراء من سحجها وإحداث "الدوسنطاريا" [١].

ومنهم:

٧٤- سلمويه بن بنان «متطبِّب المعتصم»*

جلّ[٢] في العيان، وحلَّ في الأعيان، وكان له شان لا تغص به المآقي، ولا يغضُّ الأيام على لياليه البواقي، وسعد به أخوه، وصعد رتب النظراء ولم يواخوه!.

ذكره ابن أبي أصيبعة وقال فيه: " لما استخلف المعتصم[٣] اختاره لنفسه، وقرَّبه حتى كانت التواقيع[٤] في السجلات وغيرها تصدر عن المعتصم بخطه، وولى أخاه بيوت الأموال، وسلَّمه خاتمه، وكان سلمويه نصرانياً محمود السيرة، وافر العقل.

١ : **الدوسنطاريا**: هي الزَّحيرُ والزُّحارُ والزُّحارَةُ، بضمِّهما: وهي اسْتِطْلاقُ البَطْنِ بِشِدَّةٍ، وتَقْطِيعٌ في البطنِ يُمَشِّي دَماً. ذكره في القاموس – مادة زحر –.

* **انظر ترجمته في**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢٣٤–٢٤٠.

٢ : أي عظم مقداره وعلت رتبته.

٣ : وذلك في سنة ثمان عشرة ومائتين من الهجرة.

٤ : جمع توقيع: وقد جاءت التسمية من التوقيع على حواشي القصص، وظهورها، كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان، أو الوزير، أو صاحب الدست، أو من جرى مجراهم بما يعتمد في القضية التي رفعت القصة بسببها. ذكره القلقشندي في صبح الأعشى ٥ /١٢، و٦ /٣٠.

قال اسحق بن حنين عن أبيه أنه كان أعلم أهل زمانه بصناعة الطب. ولما اعتلَّ عاده المعتصم، وبكى عنده، واستشاره فيمن يكون بعده، وكان المعتصم قد أرصده لعرض الحوائج إبراهيم بن المهدي أوقات خلواته.

ومنهم:

٧٥- إبراهيم بن فزارون*

كان موقراً لا يحل له حبوة، ولا تحطُّ له ربوة، ولا تبارى به الثريا إذا لاحت، ولا الحُمَيَّا(١) إذا فاحت.

وكان مقدَّماً لتطبيب الأرواح، وتطييب الأوقات بالأفراح، لا يزال ينشر ألوية المدام،ويؤثر أندية النُّدَّام،ويسيرها كؤوساً تجول أشعتها حول أوانيها، وتحول أقاصي البلاد أدانيها.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان شيخ بني فزارون الكتاب. قد خرج مع غسان بن عباد(٢) إلى السند، فحدَّثني أن غسان بن عباد مكث بأرض السند من يوم

* **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢٤٠-٢٤١.

١ : الحميا في الأصل : الخمر، ومنه قولهم: " حُمَيَّا الكاس" أول سورتها. قاله في مختار الصحاح.

٢ : **غسان بن عباد** بن أبي الفرج، والٍ، من رجال المأمون العباسي، وهو ابن عم الفضل بن سهل، ولي "خراسان" من قبل الحسن بن سهل، ثم ولاه المأمون "السند" سنة ٢١٣هجرية، وكان العامل عليها بشر بن داود المهلبي، قد عصى المأمون ولم يحمل إليه خراجها، فلما دخلها غسان استأمن إليه بشر، وأقام نحو ثلاث سنوات أصلح فيها شؤون الإمارة، ثم استعمل عليها عمران بن موسى البرمكي، وعاد إلى بغداد سنة ٢١٦هجرية، وتوفي فيها تلك السنة. انظر ترجمته في: نزهة الخواطر ١/ ٥٩، ولباب الآداب ١١٥، والأعلام للزركلي ٥/ ١١٩.

النيروز إلى يوم المهرجان[1]، يشتهي أن يأكل قطعة لحم باردة، فما قدر على ذلك. فسألته عن السبب؟. فقال: كنا نطبخه فلا يبرد حتى يُروِح، فنرمي به.

قال يوسف: وأخبرني إبراهيم بن فزارون أنه ما أكل بأرض السند لحماً استطابه إلا لحوم الطواويس، وأنه لم يأكل لحماً قط أطيب من لحم الطواويس ببلاد السند.

قال يوسف: وحدَّثني إبراهيم بن فزارون أنه رفع إلى غسان بن عباد، أن في النهر المعروف بمهران بأرض السند سمكة تشبه الجدي، وأنها تصاد ثم يطيّن رأسها وجميع بدنها إلى موضع مخرج الثفل[2]، ثم يجعل ما لم يطيَّن منها على الجمر، ويمسكها ممسك بيده حتى يستوي منها ما كان موضوعاً على الجمر، وينضج ثم يؤكل ما نضج، أو يرمى به، وتلقى السمكة في الماء ما لم ينكسر العظم الذي هو صلب السمكة، فتعيش السمكة، وينبت على عظمها اللحم!!. وأن غسان أمر بحفر بركة في داره، وملأها ماءً وأمر بامتحان ما بلغه.

قال إبراهيم: فكنا نؤتى كل يوم بعدَّةٍ من هذا السمك، فنشويه على الحكاية التي ذكرت لنا، ونكسر من بعض عظمه الصلب، ونترك بعضه لا نكسره، فكان ما يكسر عظمه يموت، وما لم يكسر عظمه يسلم، وينبت عليه اللحم، ويستوي الجلد، إلا أن جلدة تلك السمكة تشبه جلدة الجدي الأسود، وما قشرناه من لحوم السمك التي شويناها ورددناها إلى الماء تكون على غير لون الجلدة الأولى، لأنه يضرب إلى البياض.

---

١ : **يوم المهرجان**: أعظم عيد عند الفرس القدماء بعد يوم النيروز، وهو عيد المرجان، أي الخريف.

انظر: قاموس الفارسية للدكتور عبد المنعم محمد حسين - صفحة ٧٠٥.

٢ : **الثُّفْل**: ما سَفَل من كلِّ شيء. والثافل: الرَّجيع. قاله في القاموس.

قال يوسف: وسألت إبراهيم بن فزارون عن قول من يزعم أن نهر مهران [هو نهر النيل، فقال لي: رأيت نهر مهران][1]، وهو يصب في النهر الملح، إلا أن علماء الهند والسند أعلموني أن مخرج النيل ومخرج نهر مهران من عين واحدة عظيمة، فنهر مهران يشق أرض السند، حتى يصب في بحرها المالح، والنهر الآخر يشق أرض الهند وجميع أرض السودان حتى يخرج إلى أرض النوبة، ثم يصب باقيه في أرض مصر فيرويها، ثم يصب باقيه في بحر الروم.

ومنهم:

٧٦- إبراهيم بن أيوب الأبرش*

كان يعرف كيف تصاد الدراهم، ويعالج جراح الفقر من ضمادات أكياسها المراهم، بصيراً بتعديل المزاج بشربها، خبيراً بهذا العلاج بطبِّها، وصادف وقتاً قابلاً وملكاً يهب، وشفيعاً قائلا، فجمع ما لم يجمع، ومصَّل من المال ما لا يرى مثله ولا يسمع.

قال عيسى بن ماسة[2]: " رأيت الأبرش وقد عالج إسماعيل[3] - أخا المعتز - فلما بريء كلَّمَتْ "قبيحة"[4] - أمُّه - المتوكل ليهبه؟.

---

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة، استكمل من عيون الأنباء ٢٤٠.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢٤١.

٢ : كما رواه الرهاوي في "أدب الطبيب" ٢٢٢.

٣ : إسماعيل بن جعفر بن محمد المتوكل، وكان شقيقاً للمعتز، وأمهما : "قبيحة".

٤ : **قبيحة**: من ربات السياسة والدهاء، والنفوذ السلطاني، رومية الأصل، سماها المتوكل: "قبيحة" لجمال صورتها، و"قبيحة" من أسماء الأضداد، توفيت سنة ٢٦٤هجرية = ٨٧٧م.

فقال لها: مهما أعطيتيه، أعطيته مثله!.

فأمرت له "قبيحة" ببدرة، فأمر له المتوكل بمثلها.

فأمرت ببدرة أخرى، فأمر له المتوكل بمثلها، فما زالا يحضران البدر حتى أحضر كل منهما ست عشرة بدرة.

ثم أومأت إلى جاريتها :أن تمسك.

فقال الأبرش: لا تقطعي، وأنا أرد عليك.

فقالت له: خذ ما حضر، فإنه لا يملأ عينك شيء.

فقال المتوكل: والله! لو أعطيتيه إلى الصباح لأعطيته مثل ذلك.

ثم لما أفضت الخلافة إلى المعتز، كان أخصَّ الأطباء عنده، لمكانه من أمه "قبيحة" ، فلما خلع المعتز قبض عليه صالح بن وصيف(١)

ومنهم:

٧٧- ماسويه أبو(٢) يوحنَّا*

دخل على الملك من بابه، وتوصَّل إلى الفلك بأسبابه، وانتقل من خاصَّة الكحل، إلى عامة تدبير الجسد، وتقرير إصلاح ما فسد. ثم لم يزل في مزيد في الصناعة، وتجديد ما ينمي مكاسب البضاعة، إلى أن صار لا يمترى في نفاقه، ولا

١ : وذلك يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، وحبسه خمسة أيام، ثم قتل وقت العصر من يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان من السنة المذكورة، وله ثلاث وعشرون سنة. انظر: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢٤١.

٢ : جاء في الأصل المخطوط: "ابن " ماسويه، والتصويب من عيون الأنباء، وأدب الطبيب.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢٤٢-٢٤٦، وأدب الطبيب لإسحاق بن علي الرهاوي ٢٢٤ومابعدها.

يمتار[١] إلا من فواضل أسواقه، ولا يتطبّب عليلٌ بألطف من شمائل أخلاقه.

ذكره الترجمان كيف تنقّل وآخر أمره أنه عالج عين خادم الفضل بن الربيع[٢]، فشكا الفضل عينه، فأوصله إليه، فلم يزل يكحِّله إلى ثلث الليل، ثم سقاه دواء مسهلاً فصلح به، فأجرى عليه رزقاً.

فما مضت إلا أيام حتى اشتكت عين الرشيد. فقال له الفضل: يا أمير المؤمنين! طبيبي ماسويه من أحذق الناس بالكحل.

فأمر بإحضاره ثم قال له: هل تحسن شيئاً من الطب سوى الكحل؟.

فقال: نعم يا أمير المؤمنين!، وكيف لا أحسن وقد خدمت المرضى بالبيمارستان؟!.

فأدناه منه، فنظر في عينيه، فحجمه في ساقيه، وقطر في عينيه، فبرأ بعد يومين، فأمر بأن يُجرى عليه في الشهر ألفا درهم، وعلوفه[٣]، ومعونته في السنة عشرون ألف درهم.

ثم اعتلّت أخت الرشيد . فعالجها جبرئيل بأنواع العلاج فلم تنتفع، فاغتمّ بها، فقال الرشيد ذات يوم: قد كان ماسويه ذكر أنه خدم المرضى بالمارستان،

---

١ : **يمتار**: من المِيرَةُ، بالكسر: جَلَبُ الطَّعامِ. مارَ عِيالَهُ يَمِيرُ مَيْراً، وأمارَهُمْ، وامْتارَ لَهُمْ.

٢ : **الفضل بن الربيع**: أبو العباس بن يونس بن محمد بن أبي عبد الله ، استوزره الرشيد بعد أن أوغر صدره على البرامكة، ثم من بعده لابنه الأمين، توفي سنة ٢٠٨هجرية = ٨٢٣م .
انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢ /٣٤٣، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٤ /٣٧.

٣ : **العلوفة**: لفظ عربي، وهي المواد الغذائية اللازمة للحيوان، ثم صارت للإنسان والحيوان، ثم صارت للراتب، وفي الإدارة العثمانية رواتب العسكريين والمدنيين، وكانت تحسب على أساس الأجر اليومي، ثم صارت تحسب على كل ثلاثة أشهر. انظر: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي تأليف محمد أحمد دهمان رحمة الله عليه .

وعالج الطبايع، فليدخل إلى عليلتنا لعلَّ عنده فرجاً؟.

فأحضر جبرائيل وماسويه، فقال له ماسويه: عرِّفني حالها، وجميع ما دبَّرتها به إلى وقتنا هذا؟.

فقصَّ عليه. فقال ماسويه: التدبير صالح، والعلاج مستقيم، ولكن أحتاج إلى أن أراها.

فأمر الرشيد بأن يدخل إليها. فلما تأمَّلها، وجسَّ عرقها بحضرة الرشيد، وخرجوا من عندها.

وقال ماسويه للرشيد: يكون لك طول العمر والبقاء!. هذه تقضي بعد غدٍ ما بين ثلاث ساعات إلى نصف الليل.

فقال جبرائيل: كذب يا أمير المؤمنين!، إنها تبرأ وتعيش.

فأمر الرشيد بحبس ماسويه ليسبر[١] ما قاله. وقال: ما رأينا بعلم الشيخ بأساً.

فلما كان الوقت الذي وقَّته ماسويه ماتت. فأمر الرشيد بإخراجه، وصيَّره نظير جبرائيل في رزقه، ونُزُله، وعلوفته، ومعونته، ومرتَّبه، ومرتبته.

ومنهم:

٧٨- يوحنّا بن ماسويه*

طبيبٌ على يده الشفاء، ولديه الوفاء، ما جال رأيه إلا فل أفلاطون، وجال فكر جالينوس لعله مثله يكون، وود ابن أثال لو نحت من إبلته، وتشوق الحرث

---

١ : **السَّبْرُ**: امْتِحانُ غَوْرِ الجُرْحِ وغيره. قاله في القاموس مادة "سبر".

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢٤٦-٢٥٥.

للمقيل تحت نخلته، وسُرَّ السريان إذ كان منهم معدودا، وآن لليونان أن يساؤوا إذ لم يكن منهم له ولودا، ولا منه لهم ودودا.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان طبيباً ذكياً، فاضلاً، خبيراً بصناعة الطب، وله كلامٌ حسنٌ وتصانيف مشهورة، وكان مبجَّلاً، وكان حظيَّاً عند الخلفاء والملوك".

قال إسحاق بن علي الرهاوي في كتاب "أدب الطبيب" عن عيسى بن ماسه[١] الطبيب، قال: أخبرني أبو زكريا يوحنا بن ماسويه أنه اكتسب من صناعة الطب ألف ألف درهم، وعاش بعد قوله هذا ثلاث سنين أُخَر، وكان الواثق[٢] مشغوفاً، ضنيناً به. فشرب يوماً عنده، فسقاه الساقي شراباً غير صافٍ ولا لذيذ، على ما جرت به العادة، وهذا من عادة السقاة إذا قصَّر في برِّهم، فلما شرب القدح الأول، قال: يا أمير المؤمنين! أما المذاقات فقد عرفتها وأعددتها، ومذاقة هذا الشراب خارجة عن طبع المذاقات كلها!.

فوجد أمير المؤمنين على السقاة، وقال: تسقون أطبائي وفي مجلسي بمثل هذا الشراب؟!. وأمر ليوحنَّا بهذا السبب وفي ذلك الوقت بمائة ألف درهم، ودعا بسمانة الخادم، وقال له: احمل إليه المال الساعة. فلما كان وقت العصر سأل سمانة: هل حمل مال الطبيب أم لا؟. فقال: لا بعدُ. فقال: يحمل إليه مائتا ألف درهم الساعة.

---

١ : **عيسى بن ماسه**: من الأطباء الفضلاء في وقته، وكان أحد المتميزين في هذه الصناعة، له مجموعة من المصنفات الطبية، روى الرهاوي كثيراً في أدب الطبيب.

انظر: تاريخ الحكماء للقفطي ١٦٤، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢٥٧.

٢ : **الواثق هارون** بن إسحاق ، تولى الخلافة سنة ٢٢٧هجرية = ٨٤١م، وتوفي سنة ٢٣٢هجرية = ٨٤٦م.

فلما صلّوا العشاء سأل عن حمل المال؟. فقيل له: لم يحمل بعد!. فدعا سمانه، وقال له: احمل إليه ثلاثمائة ألف درهم، فقال سمانة لخازن بيت المال: احملوا مال يوحنا، وإلا لم يبق في بيت المال شيء، فحمل إليه من ساعته![1].

وقال سليمان بن حسان: كان يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب، سريانياً. قلّده الرشيد ترجمة الكتب القديمة، مما وجد بأنقره، وعمّورية[2]، وبلاد الروم، حين سباها المسلمون، ووضعه أميناً على الترجمة،وخدم هارون، والأمين، والمأمون،وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل.

قال: وكانت ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضرته، وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني[3] بالجوارشنات[4] الهاضمة المسخنة، الطابخة، المقوية للحرارة الغريزية في الشتاء، وفي الصيف بالأشربة الباردة والجوارشنات.

قال ابن النديم البغدادي الكاتب : إن يوحنا بن ماسويه خدم بصناعة الطب المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل.

---

١ : **انظر**: أدب الطبيب لعلي بن عيسى الرهاوي ٢٢٠- ٢٢١.

٢ : **عمورية** بفتح أوله وتشديد ثانيه. بلد في بلاد الروم فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ هجرية.

٣ : **البراني**: جمع برنيّ، وهي إناء من خزف. قاله المحبي في قصد السبيل ١ / ٢٧٥.

٤ :**الجُوارشنات**: جمع "جُوارش" وهو معجون معروف، فارسي معرَّب "كُوارش" وقيل: مولّد من كلام الأطباء، معناه: المسخِّن اللطيف، قيل: وهي لغة قديمة، والجديدة عندهم: المقطِّع للاخلاط، وعربيته: "الهاضوم" لأنه يستعمل لإصلاح المعدة والأطعمة، وتحليل الرياح، ولم ينسب إلى اليونان، ولا إلى الأقباط بحال،وهو من خواص الفرس الذي افتتحه البخاشعة – نسبة إلى بختيشوع – للعباسيين، ثم فشا، وبعض الأطباء لا يراه.

انظر: قصد السبيل للمحبي ١ /٤٠٢. والمعجم الذهبي ٥١٤، وتذكرة داود ١ /١٠٣.

قال يوسف بن إبراهيم: كان مجلس يوحنا بن ماسويه أعمر مجلس كنت أراه بمدينة السلام لمتطبِّب أو متكلِّم، أو متفلسف، لأنه كان يجتمع به كل صنف من أصناف أهل الأدب، وكان في يوحنا دعابة شديدة، يحضر بعض من يحضر لأجلها، وكان من ضيق الصدر، وشدة الحدَّة على أكثر مما كان عليه جبريل بن بختيشوع، وكانت الحدة تُخرج منه ألفاظاً مُضحكة، وكان أطيب مجلسه في وقت نظره في قوارير الماء، وكنت وابن حمدون بن عبد الصمد بن علي الملقَّب بأبي العيرطرد، وإسحاق بن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الملقب ببيض البغل، قد توكلنا به نحفظ نوادره، وأظهرت له التلمذة [في قراءة كتب المنطق عليه، وأظهرا له التلمذة][1] بقراءتهما كتب جالينوس عليه في الطب.

قال يوسف: مما حفظت من نوادره في وقت نظره: أن امرأة أتته فقالت له: إن فلانة وفلانة وفلانة يقرؤون عليك السلام!.

فقال لها: أنا بأسماء أهل سطنطينية، وعمُّورية، أعلم مني بأسماء الذين أسميتيهم، فأظهري بولك حتى أنظر لك فيه!.

قال يوسف: وحفظت عليه أن رجلاً شكا إليه علة كان شفاؤه منها الفصد، فأشار به عليه.

فقال له: لم أعتد الفصد!.

فقال له: ولا أحسب أحداً اعتاده في بطن أمه، وكذلك لم يعتد العلة قبل أن يعتل، وقد حدثت بك، فاختر ما شئت من الصبر على ما أحدثت لك الطبيعة من العلة، أواعتياد الفصد لتسلم منها.

---

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة استكمل من "عيون الأنباء" ٢٤٧.

قال يوسف: وشكا إليه رجلٌ بحضرتي "جرَباً"[١] قد أضرَّ به. فأمره بفصد الأكحل من يده اليسرى، فأخبره أنه قد فعل. فأمره بشرب المطبوخ. فقال: قد فعلت. فأمره بشرب الأصطمخيقون. فأعلمه أنه قد فعل!. فأمره بشرب ماء الجبن أسبوعاً، وشرب مخيض البقر أسبوعين. فأعلمه أنه قد فعل!.

فقال له: إنه لم يبق شيء مما أمر به المتطبِّبون إلا وقد ذكرت أنك قد عملته، وقد بقي شيء لم يذكره بقراط ولا جالينوس، وقد رأيناه يعلم على التجربة كثيراً، فاستعمله؛ فإني أرجو أن ينجح علاجك إن شاء الله. فسأله ما هو؟.

فقال: ابتع زوجي قراطيس، وقطعهما رقاعاً صغاراً، واكتب في كل رقعة: "رحم الله من دعا لمبتلىً بالعافية" وألقِ نصفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام، والنصف الآخر في المسجد الغربي، وفرقها في المجالس يوم الجمعة؛ فإني أرجو أن ينفعك الله بالدعاء إذ لم ينفعك العلاج.!

قال يوسف: وصار إليه – وأنا حاضر – قسِّيس الكنيسة التي يتقرَّب فيها يوحنَّا، وقال له: فسدت عليَّ معدتي!.

فقال له: استعمل جوارشن الخوزبي. فقال: قد فعلت. فقال: استعمل الكمُّوني. قال: قد أكلت منه أرطالاً. فأمره باستعمال المقداذيقون. فقال: قد شربت منه جرَّة. فقال: فاستعمل المروسيا. فقال: قد فعلت، وأكثرت. فغضب وقال له: إن أردت أن تبرأ فأسلِمْ فإن الإسلام يصلح المعدة!.

قال يوسف: واشتدَّت على يوحنَّا علَّةٌ كان فيها حتى يئس منه أهله. ومن عادة النصارى إحضار من يئس منه أهله جماعة من الرهبان والقسِّيسين[٢]،

١ : **الجرَبُ**: داء جلدي. قال في مختار الصحاح.

٢ : **القسيسون**: مفرد قسيس: وهو القارئ الذي يقرأ على النصارى الإنجيل والمزامير وغيرها. انظر: القلقشندي صبح الأعشى ٥ / ٤٧٣.

والشمامسة[١] يقرؤون حوله. ففعل مثل ذلك بيوحنَّا.

فأفاق والرهبان حوله يقرؤون فقال لهم: يا أولاد الفسَّق! ما تصنعون في بيتي؟. فقالوا: كنا ندعو ربنا ليتفضل عليك بالعافية.

فقال لهم يوحنَّا: قرص ورد أفضل من صلوات جميع أهل النصرانية منذ كانت إلى يوم القيامة!، اخرجوا من منزلي فخرجوا.

قال يوسف: وشكا – بحضرتي – إلى يوحنا رجلٌ من التجَّار جرباً به في أيام الشتاء.

فقال: ليست هذه من أيام علاج ما تجد، وإنما علاج دائك هذا في أيام الربيع، فتنكَّب أكل المعفَّنات كلها، وطريَّ السمك، ومالحه، صغار ذلك وكباره، وكل حرّيف[٢] من الأبزار والبقول، وما يخرج من الضرع.

فقال له الرجل: هذه الأشياء ما أطيق عنها صبراً.

فقال يوحنا: فإن كان الأمر على ما ذكرت فأدمن أكلها، وحكَّ بجنك!، فلو نزل المسيح لك خاصَّة لما انتفعت بدعائه لما تصف به نفسك من الشر.

قال يوسف : وعاتبه النصارى على اتخاذ الجواري، وقالوا له: خالفت ديننا وكنت شمَّاساً لنا!. وإما أخرجت نفسك من الشماسة، وأخذت ما بدا لك من الجواري.

فقال: إنما أمرنا في موضع واحد أن لا نتخذ امرأتين، ولا ثوبين، فمن جعل

---

١ : **الشمامسة**: مفرد شماس بشين معجمة في الأول، وسين مهملة في الآخر، وميم مشددة : وهو قيِّم الكنيسة. انظر: صبح الأعشى للقلقشندي ٥ / ٤٧٤.

٢ : **الحرِّيف**، بالتشديد، للذي يَلْذَعُ اللسانَ بحَرافَتِه.

"الجاثليق[1]" العاضّ بظر أمه، أولى أن يتخذ عشرين ثوباً من يوحنا الشقي في اتخاذ أربع جوارٍ، فقولوا لجاثليقكم أن يلزم قانون دينه، حتى نلزمه معه، وإن خالفه خالفناه!.

قال يوسف: وكان بختيشوع بن جبرائيل يداعب يوحنّا كثيراً، فقال له يوماً في مجلس أبي إسحاق – ونحن في عسكر المعتصم بالمدائن سنة عشرين ومائتين –: أنت يا زكرياء! أخي لأبي.

فقال يوحنا لأبي إسحاق: اشهد أيها الأمير على إقراره، فو الله لأقاسمنَّه ميراثه من أبيه.

فقال له بختيشوع: إن أولاد الزنا لا يرثون، ولا يورّثون، وقد حكم دين الإسلام للعاهر بالحجر. فانقطع يوحنا ولم يحر جواباً.

قال يوسف: " وكانت دار الطيفوري في دار الروم من الجانب الشرقي من مدينة السلام لصيقة دار يوحنّا بن ماسويه، وكان للطيفوري ابنٌ قد علم الطب علماً، يقال له: دانييل. ثم ترهَّب بعد ذلك فكان يدخل مدينة السلام عند تأدّي الخبر إليه بعلَّة والده، أو ما أشبه ذلك. وكان ليوحنَّا طاووس كان يقف على الحائط الذي فيما بين داره ودار الطيفوري. فقدم دانييل مدينة السلام ليلاً في الشهر المعروف بـ"آب" وهو شهر شديد الحر، كثير الرمد، فكان الطاووس كلما اشتد عليه الحرُّ صاح!؛ فأنبه دانييل، وهو في ثياب صوف من ثياب

---

١ : **الجاثَليق**: بفتح الثاء،" رئيس النصارى في بلاد الإسلام بمدينة السلام، ويكون تحت يد بطريق أنطاكية، ثم"المطران" تحت يده، ثم"الأسقف" يكون في كل بلدة من تحت يد المطران، ثم القسيس، ثم الشمَّاس.

انظر: القاموس مادة:"جثلق"، وقصد السبيل للمحبي ١ /٣٦٢.

الرهبان، فطرده مرات، فلم ينفع ذلك، ثم رفع مرزبته[١] فضرب بها رأس الطاووس! فوقع ميتاً.

واستتر الخبر عن يوحنّا إلى أن ركب ورجع، فصادف عند منصرفه طاووسه ميتاً على باب داره، فأقبل يقذف بالجدود[٢] من قتله، فخرج إليه دانييل فقال: لا تشتم من قتله، فإني قتلته، ولك عليَّ مكانه عدة طواويس.

فقال له يوحنا - بحضرتي -: ليس يعجبني راهبٌ له سنام، وطول ذكر! - إلا أنه قال ذلك بفحش -.

فقال له دانييل: وكذلك ليس يعجبني شماس له عدة نساء، واسم رئيسة نسائه: "قراطيس"، وهو اسم رومي لا عربي! ومعنى "القراطيس" عند الروم: قرنانة!، وليس تكون المرأة قرنانة حتى تنكح غير بعلها. فخرج يوحنّا، ودخل منزله مفعولاً.

قال يوسف: وحدَّثني بمصر أحمد بن هارون الشرابي: أن المتوكل على الله حدَّثه في خلافة الواثق أن يوحنّا بن ماسويه كان مع الواثق على دكانٍ كان للواثق في دجلة، ومع الواثق قصبةٌ فيها شِصٌ[٣]، وقد ألقاها في دجلة ليصيد بها السمك، فحرم الصيد، فالتفتَ إلى يوحنا - وكان على يمينه - فقال: قم يا مشؤوم عن يميني. فقال له يوحنا: يا أمير المؤمنين! لا تتكلّم بمحال. يوحنا بن ماسويه الخوزي، وأمه: رسالة الصقلّبية، المبتاعة بثمانمائة درهم، أقبلت به السعادة إلى أن صار نديم الخلفاء، وسميرَهم، وعشيرَهم، وحتى غمرته الدنيا

---

١ : **المِرْزَبَة** بالتخفيف: المِطْرَقة الكبيرة التي تكون للحَدّاد.

٢ : كناية عن الشتم بأغلظ الشتائم للآباء والجدود.

٣ : **الشِصُّ**، بالكسر: حَديدةٌ عَقْفَاءُ يُصادُ بها السَّمَكُ، ويُفْتَحُ. ذكره في القاموس.

فنال منها ما لم يبلغه أمله. فمن أعظم المحال أن يكون هذا مشؤوماً، ولكن إن أحبَّ أمير المؤمنين أن أخبره بالمشؤوم من هو؟ أخبرته.

فقال: ومن هو؟.

فقال: من ولدته أربع خلفاء، ثم ساق الله إليه الخلافة، فترك الخلافة وقصورها، وبساتينها، وقعد في دكان مقدار عشرين ذراعاً في مثلها، في وسط دجلة، لا يأمن عصف الريح عليه فيغرقه ثم يتشبَّه بأفقر قوم في الدنيا وشرِّهم، وهم صيادو السمك!.

قال لي أحمد بن هارون: قال لي المتوكل: فرأيت الكلام قد أنجع فيه، إلا أنه أمسك لمكاني.

قال يوسف: وحدثني أحمد بن هارون أن الواثق قال في هذا اليوم ليوحنَّا وهو على هذه الدكان: يا يوحنا! ألا أعجبك من خلة؟. قال وما هي؟ .

قال: إن الصيَّاد ليطلب السمك مقدار ساعة فيصيد السمكة تساوي الدينار أو ما أشبه ذلك، وأنا أقعد منذ غدوة إلى الليل فلا أصيد ما يساوي درهماً!.

فقال له يوحنا: وضع أمير المؤمنين التعجب في غير موضعه. إن الله تعالى جعل رزق الصياد من صيد السمك، فرزقه يأتيه لأنه قوته وقوت عياله، ورزق أمير المؤمنين بالخلافة، فهي غني عن أن يرزق بشيء من السمك، ولو كان رزقه جعل في الصيد لوافاه رزقه منه مثل ما يوافي الصياد.

قال يوسف: وحدَّثني إبراهيم بن علي متطبِّب أحمد بن طولون: إنه كان في دهليز[1] يوحنا بن ماسويه ينتظر رجوع يوحنا من دار السلطان، فانصرف وقد

---

١ : **الدِّهْلِيز**: الدِّلِّيج، فارسي معرب. والدِّهْلِيز، بالكسر: ما بين الباب والدار، فارسي معرب، والجمع الدَّهالِيز.

أسلم في ذلك اليوم عيسى بن إبراهيم بن نوح كاتب الفتح بن خاقان.

قال إبراهيم: فقمت إليه وجماعة من الرهبان، فقال لنا: اخرجوا يا أولاد الزنا من داري، واذهبوا وأسلموا، فقد أسلم المسيح الساعة على يدي المتوكل!.

قال يوسف: وقدم جرجة بن زكريا عظيم النوبة[١]، في شهر رمضان سنة إحدى وعشرين ومائتين إلى سرَّ من رأى، وأهدى إلى المعتصم هدايا فيها قردة!. فإني عند يوحنا في اليوم الثاني من شوال من هذه السنة، وأنا أعاتبه على تخلُّفه عن حضور الدار في ذلك الوقت، لأني رأيت سلمويه وبختيشوع والحريش المتطببين، وقد وصلوا إذ دخل علينا غلامٌ من الأتراك الخاصة، ومعه قردٌ من القرود التي أهداها ملك النوبة، لا أذكر أني رأيت أكبر منه جثة. وقال له: يقول لك أمير المؤمنين: زوِّج هذا القرد من "حماحم" قردتك!. وكان ليوحنا قردة يسميها "حماحم" كان لا يصبر عنها ساعة!.

فوجم لذلك، ثم قال للرسول: قل لأمير المؤمنين: اتخاذي لهذه القردة غير ما توهّمه أمير المؤمنين، وإنما دبرت تشريحها لأجل وضع كتاب على ما وضع جالينوس في التشريح، يكون وضعي إياه لأمير المؤمنين!، وكان في جسمها ضعفٌ فخفت أن تكون العروق فيها والأوراد والعصب دقاقاً، فلا أطيق في إيضاح الأمر فيها مثل إيضاحها فيما عظم جسمه، فتركتها لتكبر ويغلظ جسمها، فأما إذ قد وافى هذا القرد فسيعلم أمير المؤمنين أني سأضع له كتاباً لم يوضع في الإسلام مثله.

ثم فعل ذلك بالقرد، فظهر له منه كتابٌ حسنٌ استحسنه أعداؤه فضلاً عن أصدقائه.

---

١ : أي : ملك النوبة. وهي بالضمّ: بِلادٌ واسعةٌ للسُّودان بِجَنوبِ الصَّعيد، منها: بِلالٌ الحَبَشِيُّ. قاله في القاموس.

قال يوسف: واعتلَّ محمد بن سليمان بن الهادي المعروف بأبي مشغوف، علةً تطاولت به، وكان أبو العباس ابن الرشيد يلزم يوحنّا تعاهده، وكان محمد بن سليمان ربما يزيد في الحديث أشياء لا يخيل باطلها على سامعها، فدخل إليه يوماً وأنا عنده، فاستشاره فيما يأخذه؟.

فقال يوحنا: قد كنت أشير عليك بما تأخذ في كل يوم، وأنا أحسبك تحب الصحة والعافية، فأما إذا صحَّ عندي أنك تكره العافية وتحب العلة!.

فقال له يوحنا: أنت والبرهان على ذلك، أن العافية في العالم تشبه الحق، والسقم يشبه الكذب، وأنت تتكلم أكثر دهرك بالكذب!، فيكون كذبك مادة لسقمك، فمتى تبرأ أنت من علة متطاولة، وأنت تمدها أكثر دهرك بالكذب الزائد فيها!. فالزم الصدق ثلاثة أيام ولا تكذب فيها، فيوحنّا بريء من المسيح إن لم تخرج من هذه العلة قبل ثلاثة أيام!.

ونقلت من كتاب الهدايا والتحف لأبي بكر وأبي عثمان الخالديين قالا: حدثنا أبو يحيى قال: افتصد المتوكل فقال لخاصّته وندمائه: أهدوا إليّ يوم فصدي.

فاحتفل كل واحد منهم في هديته، وأهدى إليه الفتح بن خاقان جارية لميرَ الراؤون مثلها حسناً وظرفاً وكمالا.

فدخلت إليه ومعها جام[1] ذهب في نهاية الحسن، ودنّ[2] بلّور لم يرَ مثله،

---

١ : **الجامّ**: إناءٌ وطبق أبيض من زجاج أو فضة. قال الشاعر:

وبهطةٍ تعجز عن وصفها ... يا مدَّعي الأوصاف بالزور

كأنها وهي على جامها ... لآلئ في جام كافور

والبيتان لأبي شجاع عضد الدولة فنا خسرو بن ركن الدولة المتوفى سنة ٣٧٢هجرية، من ملوك آل بويه، وقد ذكر البيتين الثعالبي في يتيمة الدهر ٢ /٢١٧. وانظر: قصد السبيل ١ /٣٦٥.

٢ : **الدَّنُّ**: الراقودُ العظيمُ، والجرة العظيمة، وهو أطْوَلُ من الحُبِّ، أو أصْغَرَ، له عُسْعُسٌ لا يَقْعُدُ إلا أن يُحْفَرَ له.

فيه شراب يتجاوز الوصف، ورقعة فيها مكتوب :[**الوافر**]

إذا خــرج الإمــام من الدواء ... وأعـقب بالسـلامـة والشـفـاء

فليس لـه دواء غـيـر شـرب ... بهـذا الجـام من هذا الطلاء

وفض الخـاتم المهـدى إليـه ... فـهـذا صـالحٌ بعـد الدواء

فاستطرف المتوكل ذلك، واستحسنه، وكان بحضرته يوحنا بن ماسويه، فقال: يا أمير المؤمنين! الفتح – والله! – أطبُّ مني، فلا تخالف ما أشار به.

قال: ومن نوادر يوحنَّا بن ماسويه: أن المتوكِّل قال له يوماً: بعت بيتي بقصرين. فقال له آخر: الغداء يا أمير المؤمنين! – أراد المتوكل تعشّيت فضرَّني لأنه تصحيفها – فأجابه ابن ماسويه بما تضمن العلاج.

وعتب ابن حمدون النديم ابن ماسويه بحضرة المتوكل، فقال له ابن ماسويه: لو أن مكان ما فيك من الجهل عقلاً، ثم قسم على مائة خنفساء لكانت كل واحدة منها أعقل من أرسطوطاليس!.

ووجدت في كتاب: "جراب الدولة" قال: دخل ماسويه الطبيب إلى المتوكل فقال المتوكل لخادم له: خذ بول فلان في قارورة، وأتِ به إليّ بين يدي ابن ماسويه. فأتى به، فلما نظر إليه قال: هذا بول بغلٍ لا محالة!. فقال المتوكل: كيف علمت أنه بغلٌ؟.

قال ابن ماسويه: أحضر لي صاحبه حتى أراه، ويتبين كذبي من صدقي.

فقال المتوكل: هاتوا الغلام. فلما مثل بين يديه، قال له ابن ماسويه: أيش أكلت البارحة؟. قال: خبز شعير، وماء قراح. فقال ابن ماسويه: هذا والله! طعام حماري اليوم.

نقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان[١]، أن أبا عثمان الجاحظ، ويوحنا بن ماسويه قال: اجتمعا – بغالب ظني – على مائدة إسماعيل بن بلبل الوزير، وكان من جملة ما قدم مضيرة[٢] بعد سمك. فامتنع يوحنا من الجمع بينهما.

قال له أبو عثمان: أيها الشيخ! لا يخلو أن يكون السمك من طبع اللبن، أو مضاد له، فإن كان أحدهما ضد الآخر فهو دواءٌ له، وإن كانا طبعاً واحداً فلنحسب أنّا قد أكلنا من أحدهما إلى أن اكتفينا. فقال يوحنا: والله ما لي خبرة بالكلام، ولكن كل يا أبا عثمان، وانظر ما يكون في غد؟.

فأكل أبو عثمان – نصرةً لدعواه – ففلج في ليلته!. فقال: "هذه – والله – نتيجة المحال من القياس". والذي ضلّل أبا عثمان اعتقاده أن السمك من طبع اللبن، ولو سامحناه في أنهما من طبع واحد لكان امتزاجهما قوة ليست في أحدهما.

وحدّث الصولي[٣] في كتاب "الأوراق" قال: كان المأمون نازلاً "بذندون" –

---

١ : المختار بن الحسن بن عبدون ابن بطلان، أبو الحسن: طبيب باحث، من أهل بغداد، سافر يريد مصر سنة ٤٣٩هجرية، ومر بحلب فأكرمه معز الدولة ثمال بن صالح. ودخل مصر سنة ٤٤١هجرية، فأقام ثلاث سنوات، ورحل إلى القسطنطينية، ثم إلى أنطاكية، فترهب – وكان مسيحياً – ومات فيها سنة ٤٥٨هجرية، وكان مشوه الخلقة. **انظر** ترجمته في: أخبار الحكماء ١٩٢ – ٢٠٧، والأعلام للزركلي ٧ / ١٩١.

٢ : **المَضِيرَةُ**: مُرَيْقَةٌ تُطْبَخُ باللَّبَنِ المضير، وربَّما خُلِطَ بالحَليب.

٣ : محمد بن يحيى بن عبد الله، أبو بكر الصولي، وقد يعرف بالشطرنجي: نديم من أكابر علماء الأدب، نادم ثلاثة خلفاء من بني العباس، هم الراضي، والمكتفي، والمقتدر، وله تصانيف منها وأشهرها: "الأوراق". مطبوع، وهو في أخبار آل العباس وأشعارهم، وغيره من الكتب. توفي سنة ٣٣٠هجرية.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١ / ٥٠٨، والنجوم الزاهرة ٣ / ٢٩٦، والأعلام للزركلي ٧ / ١٣٦.

نهرٌ من أعمال طرسوس ، فجلس يوماً وأخوه المعتصم عليه، وجعلا أرجلهما فيه استبراداً له، وكان أبرد الماء وأرقَّه وألذّه. فقال المأمون للمعتصم: أحببت الساعة من أزاذ[١] العراق آكله، وأشرب عليه من هذا الماء البارد.

وسمع صوت حلقة البريد وأجراسه، فقيل: هذا يزيد بن مقبل بريد[٢] العراق؛ فأحضر طبقاً من فضة فيه رطب أزاذ! ، فعجب من تمنيه، وما تم له، فأكلا وشربا من الماء ونهضا، وتودع المأمون وأقال، ثم نهض محموماً ، وفصد فظهرت في رقبته نفخة كانت تعتاده، ويراعيها الطبيب إلى أن تنضج، وتفتح، فتبرا.

فقال المعتصم للطبيب – وهو ابن ماسويه –: ما أطرف ما نحن فيه!، تكون الطبيب المفرد المتوحِّد في صناعتك، وهذه النفخة تعتاد أمير المؤمنين، ولا تزيلها عنه! وتتلطَّف في حسم مادتها حتى لا ترجع إليه؟. والله لئن عادت هذه العلة عليه لأضربنَّ عنقك.

فاستطرق ابن ماسويه لقول المعتصم، وانصرف، فحدّث به بعض من يثق به ويأنس منه، فقال: تدري ما قصد المعتصم؟. قال: لا. قال: قد أمرك بقتله! حتى لا تعود النفخة إليه،وإلا فهو يعلم أن الطبيب لا يقدر على دفع الأمراض عن الأجسام، وإنما قال: لاتدعه يعيش ليعود المرض عليه.!

فتعالل ابن ماسويه، وأمر تلميذاً له بمشاهدة النفخة، والتردُّد إلى المأمون نيابة عنه، والتلميذ يجيئه كل يوم، ويعرف حال المأمون، وما تجدَّد له.

---

١ : الأَزاذُ: نَوْعٌ من التَّمْرِ.

٢ : **صاحب البريد** قد أَبْرَدَ إلى الأمير فهو مُبْرِدٌ والرسول بَرِيدٌ قلت قال الأزهري قيل لدابة البريد بريد لسيره في البريد وقال غيره البريد البغلة المرتبة في الرباط تعريب بريده دم ثم سمي به الرسول المحمول عليها ثم سميت به المسافة. انظر: مختار الصحاح.

فأمره بفتح النفخة. فقال: أعيذك بالله؛ ما احمرَّت ولا بلغت حد الجرح!.

فقال له: امضِ وافتحها كما أقول لك، ولا تراجعني. فمضى وفتحها، ومات المأمون، رحمة الله عليه.

أقول[١]: " إنما فعل ابن ماسويه ذلك لكونه كان عديم المروءة، عديم الدين والأمانة، وكان على غير ملة الإسلام، ولا له تمسك بدينه أيضاً - كما حكى عنه يوسف بن إبراهيم في أخباره المتقدمة. ومن ليس له دين يتمسك به، ويعتقد فيه فالواجب أن لا يدانيه عاقل، ولا يركن إليه حازم.

وكانت وفاة يوحنا بن ماسويه بسرَّ من رأى، يوم الاثنين، لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ومائتين، في خلافة المتوكل.

ومن كلام يوحنا بن ماسويه: "سئل عن الخير الذي لا شرَّ معه؟. فقال: القليل من الشراب الصافي".

ثم سئل عن الشر الذي لا خير معه؟. فقال: "نكاح العجوز".

وقال: "أكل التفاح يرد النفس.

فقال: "عليك من الطعام بما حدث، ومن الشراب بما عتق".

---

١ : والقول لابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٢٥٤-٢٥٥.

ومنهم:

٧٩- ميخائيل بن ماسويه*

طبيب المأمون[١] وربيب ذلك الفضل الممنون، نفق على ذلك الفاضل، ودفع كل مناضل، لا يكذب يقينه منية الصدوق، ولا يلزّ جواده السبوق فطماً مع ذلك البحر المحيط، وحجَّ إليه الوفد وأول ما نزع المخيط.

قال يوسف بن إبراهيم مولى إبراهيم بن المهدي: " حضر ابن ماسويه دار ابن المهدي مع جماعة من وجوه الأطباء، وكانت أمه " شكلة " عليلة، فنظروا إلى مائها، وجسُّوا عرقها، ثم عادوا في اليوم الثاني، فقالوا كلهم: "إنها أصبحت صالحة لا يشكُّون في إفراقها"؛ فلما نهضوا اتبعتهم، فسألت واحداً واحداً عما عنده فيها؟. فكلهم قال مثل مقالته، إلا ابن سلمويه فإنه قال: "هي اليوم أصعب حالاً من أمس!".

وقال لي ميخائيل: إنه قد ظهر بالأمس بالقرب من قلبها مرضٌ ورم لم نره في يومنا هذا، أفترى ذلك الورم ساخ في الأرض، أو ارتفع إلى السماء؟. انصرف فأعِدَّ لهذه المرأة جهازها، فليست تبيت من الأحياء!. فتوفيت وقت صلاة العشاء.

---

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢٥٥-٢٥٧، وأخبار الحكماء للقفطي ٣٢٨-٣٣٠، ومختصر تاريخ الطب العربي للدكتور كمال السامرائي ١ / ٣٧٤.

١ : وهو أخو يوحنا بن ماسويه، برع في ممارسة صناعة الطب على الطريقة اليونانية، وفي معرفة الأدوية وصيدليتها، فاعتمده الخليفة المأمون طبيباً خاصاً به، فلا يتناول دواء إلا من صنع يده، وصار لا يثق بالأطباء الآخرين إلا بعد استشارته، وكان يجلُّه ولا يخاطبه إلا بكنيته، كما كان طبيباً محترماً من لدن أطباء بغداد، وشهيراً بممارسة الصنعة فيما بين الناس، ومحبوباً منهم لما كان عليه من علو النفس والتعاطف مع المرضى، وجودة المعالجة، ويبدو أنه لم يهتم بتسجيل خبرته إذ لم يعثر على كتاب من عمله، وجلُّ معلوماته تعتمد على الطب القديم.

ومنهم:

٨٠- حنين بن إسحاق العبادي *

أبو زيد، والعباد - بفتح العين وتخفيف الباء، والعَباد: بالفتح قبائل شتى، من بطون العرب، اجتمعوا على النصرانية بالحيرة.

كان من أبناء الصيارف(١)، تعلق بالعلم يطلب تحصيله، وتيقن تأصيله، يغادي إليه أيامه ويبكّر، ويهاجر منامه ولا يهجر، وكان لا يرفع له علم قدر، ولا يوسع له أكرم صدر، لمهنة آبائه الوضيعة، وأهنة أماناتهم المضيعة، ونفسه تأنف له أن يُرَى بعينٍ هضيمة، أو يراقب بمعاملة مضيمة، فنهض نهضة ثائر، وقام قومة سائر،ودخل بلاد الروم فتخلّق بأخلاقهم، وجاء على وفاقهم، حتى كان كأحد علمائهم، وأوحد حكمائهم.

---

* **ينظر ترجمته في**: فهرست ابن النديم ٢٥٠-٢٥٣، وصوان الحكمة للسجستاني ١١٢-١١٣، وطبقات ابن جلجل ٦٨-٧٢، وأخبار ابن القفطي ١٧١-١٧٧، والعيون لابن أبي أصيبعة ٢٥٧-٢٧٤، وفيه تقرأ "العبادي" بفتح العين وتخفيف الباء، أما الفيروز آبادي في القاموس، فيقرأها بالكسر، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١ /٢٠٩-٢١٠، وتاريخ حكماء الإسلام ١٦. ويذكر فيه أنه بغدادي المولد وشامي النشأة والثقافة، وفي مجلة المجمع العلمي الدمشقي ٢٢ /٢٧٧ يذكر اغناطيوس أفرام الأول أن حنيناً تعلم في بلاد الروم لا في بلاد الشام. والوافي بالوفيات للصفدي ١١ /١٥٥، وكتاب الوفيات لابن قنفذ تحقيق عادل نويهض ١٨٢، ومروج الذهب للمسعودي ٧ /١٨٠-١٨٦، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢٥٠-٢٥٣، والبداية والنهاية لابن كثير ١١ /٣٢، والمنتظم لابن الجوزي ٢ /٢٤، وكشف الظنون لحاجي خليفة صفحات ٢١٧و١٤٦٨و١٥١٣و١٧٨٣و١٩٨٩، والمخطوطات العربية لشيخو ٩٢، وعقود الجوهر الجميل العظم ٩٤-٩٩، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤ /١٠٣-١١٥، ودائرة المعارف الإسلامية ١٨ /١٣٥-١٣٦، والأعلام لخير الدين الزركلي ٢ /١١٢.

١ : جمع **صَرَّافُ** وصيْرَفُ، والصَّيْرَفيُّ: النقّادُ من المُصارفة وهو التَّصَرُّفِ، والجمع صَيارِفُ وصَيارِفة.

ثم خرج متنكِّراً لا يعرف من الأعياص عيصه[١]، ولا من أي المصايد قنيصه[٢]، حتى أجلَّه من كان لا يُجلِّه، وقلَّ لديه من كان يستقله.

ذكره يوسف بن إبراهيم [٣] في سبب ظهوره ما مختصره: " أن حنين العبادي كان يقرأ على ابن ماسويه، ورهط ابن ماسويه من أهل "جندي سابور" ويكرهون أهل الحيرة، فكره ذات يوم من العبادي كثرة سؤاله، فطرده، وقال له: شأنك أن تكون صيرفيّاً!.

فخرج من عنده، وآلى أن يتعلم لغة يونان كأحسن ما يكون. فجمعني به مجلسٌ فإذا بإنسان له شعرة قد جلَّلته، وقد ستر وجهه عني ببعضها، وطفق ينشد شعراً بالرومية، لـ"أميروس " رئيس شعراء الروم، فعرفته بنغمته، وكان عهدي به بعيداً، فاستكتمني حاله، وسألني الستر عليه، فبقيت أكثر من ثلاث سنين أو أربعاً لم أره، ثم إني دخلت على ابن بختيشوع وقد انحدر من معسكر المأمون، فوجدته عنده، وقد ترجم له أقساماً قسمها بعض الروم في كتاب من

---

١ : **العيصُ**: الأَصلُ، وفي المثل: عِيصُكَ مِنْكَ وإن كان أَشِباً؛ معناه أَصْلُك منك وإن كان غير صحيح. وما أَكْرَمَ عِيصَه، وهم آباؤه وأعمامه وأَخواله وأَهلُ بيته. ذكره في القاموس.

٢ : **القَنيصُ** والقنَصُ، محركةً: المَصيدُ.

٣ : **يوسف بن إبراهيم** أبو الحسن ابن الداية، من الحسَّاب الكُتَّاب، بغدادي. من موالي إبراهيم بن المهدي، كان ابن دايته، ونشأ في خدمته، ومات ابن المهدي سنة ٢٢٤هجرية، فرحل يوسف إلى دمشق سنة ٢٢٥هجرية، ومنها إلى مصر فكان من جُلَّة كتَّابها، ومن أهل الثراء والنعمة فيها. وكانت له حسناتٌ مستورة كبيرة، وعطايا يجري بها على من قعد بهم الدهر. وفي أيامه ولي مصر أحمد بن طولون، وحبسه مرة في دانب من داره، فاجتمع نحو ثلاثين رجلاً ودخلوا على ابن طولون يسألونه إن أراد قتله أن يقتلهم معه!، وذكروا أنهم يعيشون من بره منذ ثلاثين سنة، وعجوا بالبكاء فاطلقه. من مؤلفاته: " أخبار الأطباء" كتاب جليل نقل عنه ابن أبي أصيبعة الكثير، وكانت وفاته بمصر سنة ٢٦٥هجرية. انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٨/ ٢١٢، والكامل لابن الأثير ٦/ ١٥، والمحبر ٤٨٧.

كتاب جالينوس، وهو يخاطبه بالإنجيل ويقول له: يازين حنين، يعني: أيها المعلم!. فأعظمت ما رأيت، وتبين ذلك جبرائيل في وجهي، فقال: لا تستنكرنَّ ما ترى من تبجيلي هذا الفتى، فو الله إن مُدَّ له في العمر ليفضحنَّ الأُول، ثم خرج حنين وتبعته، فوجدته ينتظرني، فسلم عليَّ، وقال: كنت سألتك ستر خبري، والآن أسألك إظهاره، وإظهار ما سمعت جبرائيل يقوله فيّ. فقلت: إني مسوّدٌ وجه ابن ماسويه بما سمعته. فقال: تمام سواد وجهه أن تدفع إليه هذه النسخة، ولا تعلمه من نقلها. فإذا اشتد عجبه بها أعلمه أنها إخراجي. ففعلت ذلك من يومي وقبل انتهائي إلى منزلي.

فلما قرأ ابن ماسويه تلك الفصول، وهي التي يسميها اليونان: "الفاعلات"، قال: "أترى المسيح أوحى في دهرنا هذا إلى أحد؟". فقلت له: ما أوحى المسيح في هذا الدهر ولا في غيره إلى أحد، ولا كان المسيح إلا أحد من يوحى إليه". فقال له: دعني ليس هذا الإخراج إلا إخراج مؤيد بروح القدس. فقلت له: هذا إخراج حنين بن إسحق الذي طردته، وأمرته أن يعمل صناعة الصيارف. فقال: هذا محالٌ. ثم صدَّق القول، وسألني التلطُّفَ في إصلاح ما بينهما، ففعلت. وأفضل عليه أفضالاً كثيرة، ثم لم يزل له مبجِّلاً. ثم لازم ابن ماسويه وأخذ عنه صناعة الطب، ونقل له كتباً كثيرة. ثم لما رأى المأمون في منامه كان شيخاً بهيّاً، جالساً على منبر وهو يخطب ويقول: "أنا أرسطوطاليس"، أحضر حنين بن إسحاق، وسأله عنه؟. فأخبره. فأمره بنقل كتب الحكماء إلى اللغة العربية، وبذل له أموالاً جمَّة، وقيل للخليفة إن ملك الروم ربَّما دسَّه عليك، فكان لا يأخذ بقوله بمفرده. ثم أراد اختباره، فخلع عليه وأعطاه خمسين ألف درهم، ثم قال له: إني أريدك تصف لي دواء أقتل به عدوّاً لي سرّاً. فقال: إنّي لم أتعلَّم إلا الأدوية النافعة، وما علمت أمير المؤمنين يطلب مني غيرها، فإن أحبَّ أن أمضي

وأتعلم، فعلتُ ذلك.

فقال: هذا شيءٌ يطول، ورغَّبه ورهَّبه، وهو لا يزيد على قوله، فحبسه في بعض القلاع، ووكَّل من يأتيه بأخباره. فمكث سنةً غير مكترث بما هو فيه، دأبه النقل والتفسير والتصنيف، ثم أحضره، وأحضر له أموالاً وغيها، وسيفاً، ونطعاً يرهبه به، وهو على قوله. فقال له: إني أقتلك!. فقال: إن لي ربّاً يأخذ بحقي، فإن اختار أمير المؤمنين أن يظلم نفسه فليفعل، فتبسّم له، وقال: طِب نفساً، فإنما أردت أن أمتحنك لننتفع بعلمك. فقبَّل حنين الأرض، وشكر له، فقال له الخليفة: ما منعك يا حنين من الإجابة مع ما رأيت منا في الحالين؟. فقال: شيئان .قال: ما هما؟. قال: الدين والصناعة. فخلع عليه، وحمل المال بين يديه، وخرج وهو أحسن عنده حالاً.

قال الصِّقلِّي: كان حنين من رفقة سيبويه في الاشتغال في النحو على الخليل بن أحمد.

وخدم حنينٌ المتوكل، وحظي في أيامه، وكان يلبس زنّاراً!.

قال القباني: كان حنين في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام يصبُّ عليه الماء، ويخرج، فيلتف بقطيفة، وقد أعد له هناب من فضة، فيه رطلٌ من شراب، وكعكة مثرودة فيه، فيأكلها ويشرب الشراب ويطرح نفسه حتى يستوفي عرقه. وربما نام، ثم يقوم ويتبخَّر، ويقدَّم له طعامه، وهو فرُّوج كبير مسمَّن، قد طبخ بزيرباج[1]، ورغيف فيه مائتا درهم، فيحسو المرق، ثم يأكل

١ : **الزيرباج**: طعامٌ معروف ، معرَّب "زيروا" ، ذكر أدي شير انه مركب من "زيرا" وهو الكمون، ومن "با" أي : طبيخ، وهو يصنع من لحم طير سمين مع الكمُّون و الخل. انظر: الألفاظ الفارسية ٨٢، وقصد السبيل ٢ / ١٠٤.

الفرّوج والخبز، ثم ينام فإذا انتبه شرب أربعة أرطال شراباً عتيقاً، ولم يذق غير هذا طول عمره، فإذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي، والرمان، والسفرجل.

وعمل عليه أعداؤه حتى مات غماً في ليلة واحدة(١).

ومنهم:

٨١- إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي أبو يعقوب*

رجلٌ ما نهنه في طلب، ولا نبّه له جفناً من طرب، ولم يضع نصيبه من كل صالحة، وتصويبه إلى صوت كل صائحة، حتى لا يخلّ تقييده لشاردة، ولا تعديده لواردة، إلا أنه كان أميل إلى الحكمة المطلقة من مفرد الطب، وهي لديه آثر ما يحب، ولم يخلُ من أدبٍ راح يسوقه، وأرض يسوقه.

---

١ : قال ابن أبي أصيبعة: وكان مولد حنين في سنة مائة وأربع وتسعين للهجرة، وتوفي في زمان المعتمد على الله الخليفة العباسي، وذلك في يوم الثلاثاء لست خلون من صفر سنة مائتين وأربع وستين للهجرة، وكانت مدة حياته سبعين سنة، وقيل إنه مات بالذرب وهو داء في المعدة يفسد فيها الطعام ولا تمسكه. انتظر: عيون الأنباء ٢٦٣.

* **ينظر ترجمته في**: ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء ٢٧٤-٢٧٥ ،وعمر رضا كحالة معجم المؤلفين – ٢ /٢٣٣، والأعلام لخير الدين الزركلي ١ /٢٩٤، والدكتور فؤاد البستاني دائرة المعارف البستانية ١٢ /٢٢٨-٢٣١، والفهرست لابن النديم – طهران – ص ٢٥٦، وتاريخ الحكماء للقفطي ٨٠، والعيون لابن أبي أصيبعة ٢٧٤، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١ /٨٥، ونصارى بغداد لبابو إسحاق ١٩٤-١٩٨، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤ /١١٥-١١٧، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ١٨-١٩، ويوسف حبي مجلة مجمع اللغة السريانية ٣ /١٩٧٧، ص ١٢٣-١٤٥، ومختصر تاريخ الطب العربي ١ /٤٠١-٤٠٣.

قال ابن أبي أصيبعة[١] : " كان يلحق بأبيه في النقل ومعرفة اللغات، إلا أن نقله لكتب الطب قليلٌ جداً بالنسبة إلى نقله لكتب أرسطو. وخدم إسحاق من خدم أبوه من الخلفاء والرؤساء. وكان منقطعاً إلى القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد[٢]، وخصيصاً به، ومتقدِّماً عنده، يفضي إليه بأسراره، وله حكايات مستطرفة، ونوادر. وتوفي أيام المقتدر[٣].

ومن كلامه:

"قليل الراح صديق الروح؛ وكثيرها عدو الجسم"[٤].

وشرب دواء مسهلاً، فكتب إليه القاسم بن عبيد الله الوزير مداعباً: [**الهزج**]

---

١ : عيون الأنباء ٢٧٤.

٢ : مرت ترجمته سابقاً.

٣ : **وله من المؤلفات**: كتاب الأدوية المفردة، كناش لطيف، ويعرف بكناش الخف،و كتاب ذكر فيه ابتداء صناعة الطب، وكتاب الأدوية الموجودة بكل مكان، وكتاب إصلاح الأدوية المسهلة، واختصار كتاب إقليدس،و كتاب المقولات، وكتاب إيساغوجي، وهو المدخل إلى صناعة الطب، ومقالة في الأشياء التي تفيد الصحة والحفظ، وتمنع من النسيان، ألفها لعبد الله بن شمعون، وغير ذلك من المؤلفات النافعة. **انظر**: عيون الأنباء ٢٧٥.

٤ : والخمر في ديننا الحنيف قليلها وكثيرها حرام، وهي أم الخبائث، ومما أجمعت الأديان الصحيحة على تحريمه، إلا المحرفة منها أباحت القليل منها زوراً وبهتاناً على الله تعالى وأنبيائه، فإياك يا أخي ثم إياك من الإصغاء امثال تلك المقالة الخبيثة، فليست من الحكمة في شيء، واسمع قول الله تعالى حيث قال في محكم تنزيله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم، حيث قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾سورة المائدة – الآيتان ٩٠–٩١وكذلك قول نبيك المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال: " الخمر أم الخبائث" .

أبِنْ لي كيف أمسيت؟ وكم كان من الحالِ؟
وكم سارت بك الناقة نحو المنزل الخالي؟

فكتب إليه حنين بن إسحاق :[**الهزج**]

بخيرٍ كنت مسروراً رضيَّ الحال والبالِ
فأما السير والناقة نحو المنزل الخالي
فإجلالك أنسانيه يا غاية آمالي

ومنهم:

٨٢- يوحنا بن بختيشوع*

كان له جاهُه شفيعا، وعلمه يُحِلُّه محلاً رفيعا، حتى كان بدراً في منازل الخلافة طالعا، ونديماً دواعي السلافة طائعا.

قال ابن أبي أصيبعة(١): " كان طبيباً متميزاً ، خبيراً باليونانية والسريانية، ونقل كتباً كثيرة، وخدم الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل، وكان يعتمد عليه، ويسمِّيه "مفرِّج كربي" .

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢٧٦-٢٧٧، وعلماء النصرانية في الإسلام ١٣١-١٣٢، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٤ /٢٦٧، والأعلام لخير الدين الزركلي ٨ /٢٠٩، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٣ /٢٥٨، وموسوعة علماء الطب ٣٠٦.

١ : عيون الأنباء ٢٧٦.

قال ابن طومار: كان الموفَّق إذا جلس للشرب تقدم بين يديه صينية من ذهب، ومغسل من ذهب، و"خرداذي" بلَّور، وكوز بلَّور، ويجلس يوحنا بن بختيشوع عن يمينه، ويقدم إليه مثل ذلك، وكذلك بين يدي أبي غالب الطبيب، ويقدم إلى جميع الجلساء صواني مدهون، وقناني زجاج، وغير ذلك . وكان ابنه بختيشوع بمكانة من المقتدر بالله، وإقطاعات، ثم كان عند الراضي[١] كذلك[٢].

ومنهم:

٨٣- ثابت بن قرة الحرّاني، أبو الحسن*

سماءٌ لا تصدأ مرآتها، وورقاء لا تزال تُطرب ملهاتها، وكوكبٌ ذريٌّ كيف تسير الثواقب، وتصير المناقب، وتسوّر خود الثريا بالهلال، ويخسأ رقيب العوّاء المراقب.

---

١ : المتوفى سنة ٣٢٩هجرية.

٢ : عيون الأنباء ٢٧٧، وتاريخ الكماء ١٠٤، ومختصر تاريخ الطب العربي ١ /٣٤٨.

* **ينظر ترجمته في**: مروج الذهب للمسعودي ٨٣٥، ١٣٢٨، ١٣٨٢، والفهرست لابن النديم ٢٧٢، ولاكامل في التاريخ ٧ /٥١٠، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٣٧و٢٨٦، والمنتظم لابن الجوزي ٦ /٢٩ رقم ٣٧، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢٩٥-٣٠٠، وتاريخ الزمان لابن العبري ٤٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان ١ /٣١٣-٣١٥، وسير أعلام النبلاء ١٣ /٤٨٥-٤٨٦ رقم ٢٣٢، والبداية والنهاية لابن كثير ١١ /٨٥، وشذرات الذهب لابن العماد ٢ /١٩٦-١٩٨، والوفيات لابن قنفذ ١٩٣ رقم ٢٨٨، وتاريخ الحكماء للقفطي ١١٥،١٢٢، وطبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ٧٥، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسي ٣٧، والملل والنحل للشهرستاني ٢ /٢٠٢-٢٥١، ودائرة المعارف الإسلامية ٦ /١٨٩-١٩١، ونهاية الأرب للنويري ٢٢ /٣٥٩، ومرآة الجنان ٢ /٢١٥-٢١٦ والوافي بالوفيات ١٠ /٤٦٦-٤٦٧ رقم ٤٩٧٣، ومعجم المؤلفين ٣ /١٠١-١٠٢، وتاريخ الإسلام ٢١ /١٣٧-١٣٨ رقم ١٦٧.

ظهر له من قوة الحدس ما كاد يعدّ كرامة، ويرد به البقاء وقد كان الهُلكُ رامه.

قال ابن أبي أصيبعة(١) : " كان من الصابئين المقيمين بحرّان، وتعلم على محمد بن موسى بن شاكر فوصله بالمعتضد، فأدخله في جملة المنجِّمين، وهو أصل من كان ببغداد من الصابئة، ولم يكن في زمانه من يماثله في الطب، ولا في غيره من أجزاء الفلسفة، وله تصانيف مشهورة بالجودة، وكذلك جاء جماعة من ذريته، وله أرصاد حسانٌ للشمس، تولاّها ببغداد، وكان يدخل إلى المعتضد إلى الحبس في كل يوم ثلاث مرات يحدّثه، ويؤنسه، ويسليه، فشغف به، فلما خرج من معتقله قال لغلامه بدر: يا بدر! أي رجلٍ أفدنا بعدك؟. فقال: من هو يا سيدي؟. قال: ثابت بن قرة.

ثم أقطعه إقطاعاً(٢) جليلاً، وكان يجلسه بين يديه، [كثيراً بحضرة العام والخاص، ويكون بدر غلام الأمير قائماً والوزير، وهو جالس بين يدي الخليفة].

وحكى أبو إسحاق الصابيء أن ثابت بن قرَّة بينما هو ماشٍ مع المعتضد في الفردوس(٣)، وقد اتكأ المعتضد على يده، إذ نتر يده بشدة!، ففزع ثابت لأن

---

١ : عيون الأنباء ٢٩٥.

٢ : **الإقطاع** في العصر المملوكي وفي عرف الدولة الإسلامية جميعاً: كان امراً شخصياً بحتاً، لا دخل لحقوق الملكية أو لأحكام الوراثة فيه، فكان المقطع يحل في الإقطاع محل السلطان، يتمتع بغلاَّته وإيراداته فحسب، ثم يؤول جميعه إلى السلطان بمجرَّد انتهاء مدة الإقطاع المتفق عليها، أو بسبب وفاة المقطع إذا كان الإقطاع لمدة الحياة، أو بسبب إخلال المقطع بشروط العقد القائم، وسواء ذلك في ما يسمى باسم إقطاع التمليك وهو الإقطاع العادي، أو إقطاع الاستغلال وهو إقطاع شخص ما خراج جهة معينة. **انظر**: صبح الأعشى ١٣ / ١٠٤–١١٧.

٣ : **الفردوس** : بستان في دار الخليفة للرياضة، كما ذكر في عيون الأنباء.

المعتضد كان مهيباً، ثم لما نترها قال له: يا أبا الحسن! وكان يكنّيه في الخلوة [وفي الملأ يسميه]- سهوت ووضعت يدي على يدك وما هكذا يجب، لأن العلماء يَعلُون ولا يُعلَون.

وحكي أنه اجتاز يوماً إلى دار الخلافة، فسمع صياحاً وعويلاً، فقال: من هذا؟ قالوا: مات القصّاب الذي كان هنا فجأة. فأتى إليه وأمر النساء بالسكوت وأن يعملوا مزوّرة[١]، وأمر بعض غلمانه أن يضرب القصّاب على كعبه بالعصا. وجعل يده مجسَّةً، وما زال ذلك يضرب كعبه إلى أن قال: حسبك. ثم استدعى بقدحٍ وأخرج من كُمِّه دواءً، فذافه[٢] في القدح بقليل ماء، وفتح فم القصّاب وسقاه إياه فأساغه، ووقعت الصيحة في الدار والشارع بأن الطبيب قد أحيا الميّت!. فتقدَّم ثابت يغلق الباب، وفتح القصاب عينه، وأطعمه المزوَّرة، وأجلسه، وقعد عنده ساعة، وإذا برسل الخليفة يدعونه. فلما مثل بين يديه قال له: يا ثابت! ما هذه المسيحية التي بلغتنا عنك؟.

فقال: يا مولاي! كنت أجتاز بهذا القصاب وأراه يشرّح الكبد، ويطرح عليها الملح، ويأكلها. وكنت أعلم أن سيلحقه سكتة. فأعددت له هذا الدواء، فلما قيل لي اليوم إنه مات فجأة البارحة، علمت أن السكتة قد لحقته، فدخلت إليه فلم أجد له نبضاً، فضربته إلى أن حركت نبضه، وسقيته الدواء ففتح عينيه، وأطعمته مزوَّرة، والليلة يأكل رغيفاً بدرَّاج، وفي غدٍ يخرج من بيته.

---

١ : **المزوَّرة**: بوزن المفعول – مرقة يطعمها المريض، مولَّدة، وقال الفقهاء في الإيمان: هي ما يطبخ خالياً من الأدهان، قاله الخفاجي في شفاء الغليل ٢٣١، ٢٤٢، وكذا انظر: قصد السبيل للمحبي ٢/ ٤٦٥-٤٦٦.

٢ : **الذّفافُ**:البَلَلُ، وفي الصحاح: الماءُ القليل،وجاء في اللسان:وذُفْتُ:خلطتُ، فيكون بمعنى خلط أي خلط بماء قليل.

ومن كلامه: " ليس على الشيخ أضرّ من أن يكون له طبَّاخٌ حاذق، وجارية حسناء، فيستكثر من الطعام، فيسقم، ومن الجماع فيهرم" .

ولما مات ابن قرَّة[١] رثاه ابن المنجم النديم[٢] بقصيدة منها: [**الطويل**]

نعينا العلوم الفلسفيات كلها ... خبا نورها إذ قيل قد مات ثابتُ
ولما أتاه الموت لم يغنِ طبُّهُ ... ولا ناطقٌ مما حواه وصامتُ
فلو أنه يسطاع للموت مدفعٌ ... لدافعه عنه حماة مصالت[٣]
آمل أن تجلى عن الحق شبهة ... وشخصك مقبور وصوتك خافتُ
وقد كان يجلو حسنُ تبيينك العمى ... وكلُّ قؤولٍ حين تنطق ساكتُ
كأنك مسؤول غارفٌ ... ومستبدئاً نطقاً من الصخر ناحتُ
فلم يتفقَّني من العلم واحدٌ ... هراق[٤] إناء العلم بعدك كائت
عجبت لأرضٍ غيَّبتك ولم يكن ... ليثبت فيها مثلك الدهرَ ثابت
ولا يك لما اغتالك الموتُ شامتٌ ... وأحسنتَ حتى لم يكن لك مبغضٌ

١ : وذلك في سنة ثمان وثمانين ومائتين من الهجرة وله من العمر سبع وسبعون سنة، وكان مولده سنة إحدى عشرة ومائتين بحرّان ، يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر الخير. انظر: عيون الأنباء ٢٩٧.

٢ : يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور، أبو أحمد، المعروف بابن المنجّم، أديب شاعر مطبوع، أشعر أهل زمانه وأحسنهم أدباً، وأكثرهم افتناناً في علوم العرب والعجم، ونادم المعتضد والمكتفي من بعده، وهو من أشجار الأدب الناضرة، وأنجمه الزاهرة، ولد سنة إحدى وأربعين ومائتين من الهجرة، وتوفي سنة ثلاثمائة، وله شعر كثير وتصانيف منها "الباهر في أخبار الشعراء" وكتاب "الإجماع على مذهب أبي جعفر الطبري" ، و"المدخل إلى مذهب الطبري" وكتاب"الأوقات" وغير ذلك.
انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٦ / ١٩٨، وتاريخ بغداد ١٤ / ٢٣٠، وسير الذهبي ١٣ / ٤٠٥، ونزهة الألباء ١٦٢.

٣ : أي شجعان ماضون في الحوائج.

٤ : **هراق**: أي أراق.

مضى علم العلم الذي كان مقنعاً   فلم يبقَ إلا مخطئ متهافتُ

ومنهم:

٨٤- سنان بن ثابت بن قرة*

أبو سعيد؛ مقرب كل بعيد، ما صحب صعباً إلا دمَّث(١) شيمته، وليَّن شكيمته(٢)، ودلَّه على كرم الأخلاق، ودلَّ عليه وثوب عرضه لا يمزقه إلا خرَّاق(٣) **قال ابن أبي أصيبعة**(٤): " كان يلحق بأبيه في معرفته بالعلوم، وله قوة بالغة في علم الهيئة. وخدم المقتدر والراضي، وأراده القاهر على الإسلام فهرب إلى خراسان، ثم عاد وتوفي ببغداد مسلماً، وكان على البيمارستان، وكانت تواقيع الوزير عيسى بن علي تأتيه بقرب فينفذها، منها: تفقُّد المحابيس وأهل السواد بالأطباء، والأدوية والأغذية، حتى كتب يستأذنه في أهل الذمة، فكتب إليه الوزير: أكرمك الله! ليس بيننا خلاف في أن معالجة أهل الذمة والبهائم صواب،

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٣٠٠-٣٠٤، والأعلام للزركلي ١٤١/٣

١: أصله من الدَّمْث، وهو الأرض السَّهلةُ الرِّخْوةُ، والرَّملُ الذي ليس بمُتَلبِّد. يقال دَمِثَ المكانُ دَمَثاً إذا لانَ وسَهُلَ. فهو دَمِثٌ ودَمْثٌ.

٢: **الشَّكِيمةُ** في اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس والجمع شَكائِمُ وفلان شديد الشَّكِيمَةِ إذا كان شديد النفس أنفا أبيا.

٣: **الخرَّاق** اي العيَّاب كثير الغيبة، والوقوع في أعراض الناس.

٤: عيون الأنباء ٣٠٠.

ولكن الذي يجب تقديمه والعمل عليه معالجة الناس قبل البهائم، والمسلمين قبل أهل الذمة، فاعمل على ذلك، واكتب إلى أصحابك به، ووصِّهم بالتنقُّل في القرى والمواضع التي فيها الأوباء الكثيرة، والأمراض الفاشية، واستجدّ في زمانه بيمارستان السيدة(١) بسوق يحيى، والمارستان المقتدري(٢).

ثم خدم بعد الراضي: "بَحْكم"(٣) ، فريَّض أخلاقه، وسكَّن سورة غضبه، وكان قد شكا إليه ما يجده من ذلك، فقال له كلاماً زبدته: " أنت قادرٌ متى شئت على الانتقام، فإذا أردت إيقاع نقمة بأحد، أخِّرها إلى الغد، لوثوقك بقدرتك، فالغضب كالسُّكْر إذا بات زال"(٤).

---

١ : **بيمارستان السيدة**: أسسته أم الخليفة المقتدر – واسمها شغب زوجة الخليفة المعتضد، المتوفاة سنة ٣١٢هجرية – وكان تأسيسها له سنة ٣٠٦ من الهجرة = ٩١٨م، في محلَّة سوق يحيى بالجانب الشرقي من بغداد، وعمل في هذا المارستان سنان بن ثابت بن قرة المذكور. انظر: مختصر تاريخ الطب ١/ ٥٤٠.

٢ : **البيمارستان المقتدري**: أسسه الخليفة المقتدر سنة ٣٠٦هجرية = ٩١٨م،في باب الشام من الجانب الغربي من بغداد، واشتغل فيه يوسف الواسطي ، وجبرائيل بن بختيشوع، وربما كان معهم سنان بن ثابت بن قرة.

انظر: مختصر تاريخ الطب ١/ ٥٤١.

٣ : هو أبو الحسين "بَحْكَم" وكان أميراً بعد الراضي.

٤ : وجملة ما قال له هو كلام مفيد جداً رأيت أن أنتفع به أنا وأخي القارئ الكريم وهو قوله: " اعلم أيها الأمير! أنك قد أصبحت وليس فوق يدك يد لأحد من المخلوقين، وإنك مالك لكل ما تريده، قادر على أن تفعله أي وقت أردته، لا يتهيَّأ لأحد من المخلوقين منعك منه، ولا لأن يحول بينك وبين ما تهواه أي وقت أردته، وأنك متى أردت شيئاً بلغته، أي وقت شئت، لا يفوتك أمر تريده. واعلم أن الغضب والغيظ والحرد تحدث في الإنسان سُكراً أشدَّ من سكر النبيذ بكثير، فكما أن الإنسان يعمل في وقت السكر من النبيذ ما لا يعقل به، ولا يذكره إذا صحا، ويندم عليه =

=إذا حدث به، ويستحيي منه، كذلك يحدث له وقت السكر من الحرد والغيظ، بل أشد. فلما يبتدئ بك الغضب وتحس بأنه قد ابتدأ يسكرك، قبل أن يشتد ويقوى ويتفاقم ويخرج الأمر من يدك، فضع في نفسك أن تؤخر العقوبة عليه إلى غد، واثقاً بأن ما تريد أن تعمله في الوقت لا يفوتك عمله في غد، وقد قيل: من لم يخف فوتاً حلم. فإنك إذا فعلت ذلك وبت ليلتك وسكنت فورة غضبك، فإنه لا بد لفورة الغضب من أن تبوخ وتسكن، وأن تصحو من السكر الذي أحدثه لك الغضب، وقد قيل: إن أصح ما يكون الإنسان رأياً إذا استدبر ليله واستقبل نهاره. فإذا صحوت من سكرك فتأمل الأمر الذي أغضبك، وقدم أمر الله عز وجلّ أولاً والخوف منه، وترك التعرض لسخطه، ولا تشف غيظك بما يؤثمك، فقد قيل: "ما شفى غيظه من أثم بربه" واذكر قدرة الله عليك وأنك محتاج إلى رحمته، وإلى أخذه بيدك في أوقات شدائدك، وهو وقت لا تملك لنفسك فيه شراً ولا نفعاً، ولا يقدر لك عليه أحدٌ من المخلوقين، ولا يكشف ما قد أظلّك غيره عز وجل. واعلم أن البشر يغلطون ويخطئون، وأنك مثلهم تغلط وتخطئ، وإن كان لا يجسر أحدٌ على أن لا يوافقك على ذلك. فكما تحب أن يغفر الله لك، كذلك غيرك يؤمّل عطفك وعفوك. وفكّر بأي ليلة بات المذنب قلقاً لخوفه منك، وما يتوقّعه من عقوبتك، ويخافه من سطوتك، واعرف مقدار ما يصل إليه من السرور وزوال الرعب عنه بعفوك، ومقدار الثواب الذي يحصل لك من ذلك. واذكر قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة النور – الآية ٢٢، فإن كان ما أغضبك مما يجوز فيه العفو، ويكفي فيه العتاب والتوبيخ، والعذل، والتهديد متى وقعت معاودة، فلا تتجاوز ذلك. واعف، واصفح، فإنه أحسن بك، وأقرب إلى الله تعالى، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ - المائدة – الآية ٢٣٧ . وليس يظن بك المذنب ولا غيره أنك عجزت عن التقويم والعقوبة، ولا قصرت بك القدرة. وإن كان مما لا يحتمل العفو عاقبت حينئذ على قدر الذنب، ولم تتجاوزه إلى ما يوقع الدين، ويفسد به أمرك، ويقبح عند الناس ذكرك، فإنما يشتد عليك تكلف ذلك أول دفعة وثانية وثالثة، ثم يصير عادة لك وخلقاً وسجية، ويسهل عليك" .

انظر: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٣٠٢-٣٠٣.

ومنهم:

٨٥- ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني*

كان يتكلم بالحديث الصحيح على كل مغيَّب، ويتقدَّم عند ملوك قريش على كل أحْلافيّ ومطيِّب[١]، لم يبالغ في وصفه من تعدّى، ولا ذكر معجز عجائبه إلا من ظنَّ أنه بها يتحدَّى.

ذكره ابن أبي أصيبعة فقال[٢]: " كان طبيباً فاضلاً كثير الدراية، وافر العلم، بارعاً في الصناعة، موفقاً في المعالجة، مطَّلعاً على أسرار الطب، وكان مع ذلك ضنيناً بما يحسن" .

نقلت من خط ابن بطلان[٣] قال: كان قد أُسكِتَ[٤] أبو طاهر ابن بقية في داره الشاطئة على الجسر ببغداد، وقد حضر الأمير معز الدولة بختيار، والأطباء مجمعون على أنه قد مات، فتقدم أبو الحسن الحرّاني، وكنت أصحبه يومئذ،

---

*(ت ٣٦٩ هجرية) **ينظر ترجمته في**: تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٧٣-١٧٤، وفيه وفاته سنة ٣٦٩هجرية، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٣٠٧- ٣١١، وأخبار الحكماء ١١١، والفهرست لابن النديم ٣٠٣، والوافي بالوفيات للصفدي ١٠/ ٤٦٥ رقم ٤٧٩٠، والأعلام للزركلي ٢/ ٩٧. وحكماء الإسلام ٢٠، ووفيات الأعيان ١/ ١٠٠.

١ :قال في القاموس- مادة طيب: "حِلْفُ المُطيَّبين:سُمُّوا به، لمَّا أرادت بنو عبد مناف أخذ مافي أيدي بني عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء والسقاية،وابت بنو عبد الدار، عقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا، ثم خلطوا أطياباً، وغمسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً، فسموا المُطَيَّبين، وتعاقدت بنو عبد الدار وحُلفاؤها حلفاً آخر مؤكداً، فسموا:الأحلاف، وكان النبيﷺ من المُطيبين" .

٢ : **انظر**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٣٠٧.

٣ : في مقالته في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد.

٤ : أي أنه أصيب بالسكتة القلبية.

فقال: أيها الأمير! إذا كان قد مات فلن يضرّه الفصاد، فهل تأذن لي في فصده؟. قال له: افعل يا أبا الحسن!. ففصده، فرشح منه دمٌ يسير، ثم لم يزل يقوى الرشح إلى أن صار الدَّم يجري، فأفاق الوزير!.

فلما خلوت به سألته عن الحال – وكان ضنيناً بما يقول –؟.

فقال: إن من عادة الوزير أن يستفرغ في كل فصل ربيعٍ دماً كثيراً من عروق المعدة، وفي هذا الفصل انقطع عنه، فلما فصدته ثابت القوة من خناقها.

قال عبيد الله بن جبرائيل: لما دخل عضد الدولة – رحمه الله – إلى بغداد، إذ كان أول من لقيه من الأطباء أبو الحسن الحراني، وكان شيخاً مسنّاً، وسنان، وكان أصغر من أبي الحسن، وكانا عالمين فاضلين، وكانا جميعاً يسعران[1] المرضى، ويمضيان إلى دار السلطان، فحسن ثناؤه عليهم، ولما دخلا على عضد الدولة قال: من هؤلاء؟. قالوا: الأطباء. قال: نحن في عافية، وما بنا حاجة إليهم. فانصرفا خجلين، فلما خرجا إلى الدهليز قال سنان لأبي الحسن: يجمل أن ندخل إلى هذا الأسد ونحن شيخان فيفترسنا؟.

قال له أبو الحسن: فما الحيلة؟. قال: نرجع إليه، وأنا أقول ما عندي، وننظر أيش الجواب؟. قال: افعل. فاستأذنا، ودخلا. فقال سنان: أطال الله بقاء مولانا، موضوع صناعتنا حفظ الصحة لا مداواة الأمراض، والملك أحوج الناس إليه.

فقال له عضد الدولة: صدقت. وقرر لهما الجاري السني، وصارا ينوبان مع أطبائه.

قال عبيد الله بن جبرائيل: ولهما أحاديث كثيرة حسنة، منها: حديث قلاء الكبود: وذلك أنه كان بباب الأزج إنسان يقلي الكبود، فكانا إذا اجتازا عليه دعا لهما وشكرهما، وقام لهما حتى ينصرفا.

---

١ : قوله يسعران: أي يطوفان على المرضى.

فلما كان في بعض الأيام اجتازا، فلم يرياه، فظنا أنه قد شغل عنهما، ومن غد سألا عنه؟ فقيل لهما: إنه الآن قد مات!. فعجبا من ذلك، وقال أحدهما للآخر: له علينا حقٌ يوجب علينا قصده ومشاهدته، فمضيا جميعاً وشاهداه، فلما نظراه، تشاورا في فصده، وسألا أهله أن يؤخروه ساعة واحدة، ليفكروا في أمره، ففعلوا ذلك، وأحضروا فاصداً ففصده فصدة واسعة، فخرج منها دمٌ غليظ، وكان كلما خرج الدم خفَّ عنه، حتى تكلّم وسقياه ما يصلح، وانصرفا عنه.

ولما كان في اليوم الثالث خرج إلى دكانه، فكان هذا من المعجز لهما، فسئلا عن ذلك؟ فقالا: سببه أنه كان إذا قلى الكبد يأكل منها، وبدنه يمتلئ دماً غليظاً وهو لا يُحس، حتى فاض من العروق إلى الأوعية، وغمر الحرارة الغريزية، وخنقها كما يخنق الزيت الكثير الفتيلة التي تكون في السراج، فلما بدروه بالفصد نقص الدم، وخف عن القوة الحمل الثقيل، وانتشرت الحرارة وعاد الجسم إلى الصحة، وهذا الامتلاء قد يكون من البلغم أيضاً، وقد ذكر أسبابه الفاضل "جالينوس" في كتابه في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة.

قال عبيد الله بن جبرائيل: ومن أحسن ما سمعت عن أبي الحسن الحرّاني: أنه دخل إلى قرابة الشريف الجليل محمد بن عمر - رحمه الله تعالى - وكان إنساناً نبيل القدر، قد عارضه ضيق نفس شديد، صعب، فأخذ نبضه، وأشار بما يستعمله، فشاوره في الفصد، فقال له: لا أراه وإن كان يخفف المرض تخفيفاً بيِّناً، وانصرف، وجاءه أبو موسى المعروف ببقّة الطبيب، وأبصر نبضه وقارورته، وأشار بالفصد، فقال له الشريف: قد كان عندي أبو الحسن الحرّاني الساعة، وشاورته في الفصد فذكر أنه لا يراه صواباً.

فقال بقّة: أبو الحسن أعرف!. وانصرف، فجاءه بعض الأطباء الذين هم دون

هذه الطبقة، فقال: يفصده سيدنا الساعة، فإنه في الحال يسكن، وقوي عزمه على الفصد، ولم يبرح حتى فصده، فعندما فصده خفَّ عنه ما كان يجده خفاً بيِّناً، ونام وسكن عنه، واغتذى وهو في عافية، فعاد إليه أبو الحسن الحرَّاني آخر النهار فوجده ساكناً قارّاً، فلما رآه على تلك الحال قال له: قد فصدت؟.

فقال: كيف كنت أفعل ما لم تأمرني به؟.

قال: ما هو هذا السكون إلا للفصد!.

فقال له الشريف: لمّا علمت بهذا لم لا فصدتني؟.

فقال له أبو الحسن الحرّاني: إذ قد فُصِد سيدنا فليبشر بحمّى ربع سبعين دور، ولو أن بقراط وجالينوس عنده ما تخلّص إلا بعد انقضائها.

واستدعى دواةً، ودرْجاً، ورتَّب تدبيره لسبعين نوبة، ودفعه إليه، وقال: هذا تدبيرك، فإذا انقضى ذلك جئت إليك. وانصرف، فما مضى أيام حتى جاءت الحمّى وبقيت كما قال، فما خالف تدبيره حتى برأ.

قال عبيد الله بن جبريل: ومن أخباره أنه كان للحاجب الكبير غلامٌ، وكان مشغوفاً به، واتفق أن الحاجب صنع دعوة كبيرة كان فيها أجلاَّء الدولة، ولما اشتغل بأمر الدعوة حُمَّ الغلام حمى حادة، فورد على قلب الحاجب من ذلك موردًا عظيماً، وقلق قلقاً كثيراً، واستدعى أبا الحسن الحرّاني، فقال له: يا أبا الحسن! أريد الغلام يخدمني في غداة، اعمل كل ما تقدر عليه، وأنا أكافئك بما يضاهي فعلك. فقال له: يا حاجب! إن تركت الغلام يستوفي أيام مرضه عاش، وإلا فيمكنني من ملازمته أن يقوم في غدٍ لخدمتك، ولكن إذا كان العام المقبل في مثل هذا اليوم يُحَمّ حُمّى حادَّة، ولو كان من كان عنده من الأطباء لم ينجع فيه مداواته، ويموت إما في البُحران الأول، أو الثاني، فانظر أيهما أحب إليك؟.

فقال له الحاجب: أريد أن يخدمني في غدٍ،وإلى العام المقبل فرج - ظنّاً منه أن هذا القول من الأحاديث المدفوعة -. ولا زمه أبو الحسن. ولما كان في غدٍ أفاق، وأقام في الخدمة، وأعطى الحاجب لأبي الحسن خلعة سنية، ومالاً كثيراً، وصار يكرمه غاية الإكرام.

فلما كان في العام المقبل في مثل اليوم الذي حُمَّ فيه الغلام، عاودته الحمى، فأقام محموماً سبعة أيام، ومات. فعظم في نفس الحاجب وجماعة من الناس قوله، وكبر لديهم محلُّه، وكان هذا منه كالمعجز[١]

ومنهم:

٨٦- ابن وصيف الصابئ*

كان يصبو إليه كلُّ حكيم، ويصيب لديه غرضه كل عليم، لا تُرَضّ له صخره، ولا يرضى لغيره فَخْره، ولا يزال بعده كل عليل لصعب الأدواء ذخره.

قال ابن أبي أصيبعة فيه: " كان طبيباً عالماً بعلاج أمراض العين، ولم يكن في زمانه أعلم منه في ذلك، ولا أكثر مزاولة .

قال سليمان[٢] : حدَّثني أحمد بن يونس الحرّاني، قال: حضرت بين يدي أحمد بن وصيف الحراني، وقد أحضر سبعة أنفس لقدح أعينهم، وفي جملتهم رجل من أهل خراسان، أقعده بين يديه، ونظر إلى عينيه فرأى ماءً متهيّأً للقدح ،

---

١ : **انظر**: عيون الأنباء ٣٠٨-٣٠٩.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٣١١.

٢ : أي سليمان بن حسان - كما في عيون الأنباء -.

فسامه على ذلك، فطلب إليه فيه، واتفق معه على ثمانين درهماً، وحلف أنه لا يملك غيرها. فلما حلف له الرجل اطمأنَّ وضمَّه إلى نفسه، ورفع يديه على عضده، فوجد بها نطاقاً صغيراً فيه دنانير، فقال له ابن وصيف: [ما هذا؟ ، فتلون الخراساني، فقال ابن وصيف:][1]حلفت بالله حانثاً وأنت ترجو رجوع بصرك إليك؟!. واللهِ لا عالجتك إذ خادعت ربك[2]، فطلب إليه فأبى أن يقدحه، وصرف إليه الثمانين درهماً، ولم يقدح عينه.

ومنهم:

٨٧- غالب «طبيب المعتضد»*

ما عاد مريضاً فعاد مهيضا[3]، ولا زار عليلاً فشكا غليلا[4]، ولا أتى لقى بقلبه الضنى إلا نهض من مضجعه، ونهى عن الضراء به توجّعه، نفق في مثل سوق المعتضد، ووافق منه ظنّ المعتقد، وكان منه حيث لا يقر قرار المعتمد.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان يخدم الموفق[5] أيام أبيه المتوكل، وخوَّله، ونوَّله، وكان يغلفه بيده، وينادمه، ثم خدم المعتضد بعد أبيه الموفق، وعالج الموفق من سهم أصابه فبرأ، فأعطاه مالاً كثيراً، وقال لغلمانه: من أراد إكرامي فليكرمه، فبعث إليه مسرورٌ بعشرة آلاف دينار، ومائة ثوب، وبعث إليه سائرُ الغلمان ما لا يحصى، وأقطعه مرة زيادة على رزقه ضياعاً تغلُّ سبعة آلاف دينار، وأتى

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوط استكمل من عيون الأنباء ٣١١.

٢ : في الأصل المخطوط: " خدعتك بك" . والتصويب من عيون الأنباء.

* **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٣١١-٣١٢.

٣ : **الهَيْضةُ**: مُعاوَدَةُ الهَمِّ والحُزْنِ، والمَرْضةُ بعدَ المَرْضةِ.

٤ : **الغَليلُ** حرارة العطش.

٥ : **الموفق** بن طلحة بن المتوكل ، لانه خدمه منذ أيام المتوكل واختص به .

المعتضد وهو بآمد(١) خبر موته، فكان هو المبتدئ لابنه سعيد بالعزاء فيه، ثم بعث إليه الوزير وسائر أرباب الدولة لتعزيته، وبعث إليه بخون(٢) الطعام ، ثم خلع عليه،وأجرى عليه كل ما كان لأبيه.

ومنهم:

٨٨- صاعد بن بشر بن عبدوس أبو منصور*

فطِنَ لكثير من الغلط، وبيَّن في أمور منها ما اختلط، حتى تلافى تلف الأبدان، ووافى بما لم يكن للحكماء القدماء به يدان، ونقل الأمزجة إلى ما يلائمها، وأجمع على هذا آراءه وقد كثر لائمها، ثم قفَّى من بعده على آثاره الحكماء، وحفظ تدبيره ونسيت القدماء.

ذكره ابن أبي أصيبعة(٣)، وقال: " كان قاصداً بالبيمارستان [ببغداد]، ثم اشتغل بصناعة الطب، حتى صار من أكابر أهلها. قال: وهو أول من فطن لنقل أكثر الأمراض التي كانت تداوى بالأدوية الحارَّة إلى التدبير المبرِّد، كالفالج،

---

١ : **آمد**: مدينة بديار بكر، غربي دجلة، ذات عيون وبساتين وسور من حجارة سود لا يعمل بها الحديد، ولا تضرها النار. انظر: قصد السبيل للمحبي ١ /١٤٤، ومعجم ما استعجم للبكري ١ /٩٣.

٢ : جمع: "**خِوَان**" بالكسر الذي يؤكل عليه معرب والضم لغة فيه نقلها الفارابي وقال: والكسر أفصح وثلاثة أخْوِنةٍ والكثير خُونٌ ساكن الواو.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٣١٣-٣١٥، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٤ /٣١٧، وعلماء النصرانية في الإسلام تأليف لويس شيخو ١٧٧، وموسوعة علماء الطب - هيكل نعمة الله ومليحة ٥٢-٥٣.

٣ : عيون الأنباء ٣١٣.

والاسترخاء، واللقوة، وخالف مسطور القدماء، أخذ المرضى بالفصد والتبريد، ومنع المرضى من الغذاء فأنجح تدبيره، وتقدّم، وانتهت الرياسة إليه، وعوّل الملوك عليه، فرفع عن البيمارستان المعاجين الحارة، والأدوية الحادة، ونقل تدبير المرضى إلى ماء الشعير، ومياه البزور، فأظهر من المداواة عجائب. من ذلك: ما حكاه لي "بميافارقين" الرئيس أبو يحيى ولد الوزير أبي القاسم المغربي، قال: عرض للوزير بالأنبار(١) قولنج صعب، أقام لأجله في الحمام، واحتقن عدة حقن، وشرب عدة شربات، فلم ير صلاحاً . فأنفذنا رسولاً إلى صاعد، فلما جاء ورآه على تلك الحال، ولسانه قد قصر من العطش، وشرب الماء الحار والسكر،وجسمه يتوقّد من ملازمة الحمّام، ومداومة المعاجين الحارة، والحقن الحارة، استدعى كوز ماء مثلوج، فأعطاه الوزير، فتوقف عن شربه، ثم إنه جمع بين الشهوة وترك المخالفة، وشربه، فرويت في الحال نفسه. ثم استدعى فاصداً ففصده، وأخرج له دماً كثير المقدار، وسقاه ماء البزور، ولعاباً ، وسكنجبين، ونقله من حجرة الحمام إلى الخيش، وقال له: إن الوزير – أدام الله عافيته – سينام بعد الفصد، ويعرق وينتبه، فيقوم عدة مجالس، وقد تفضّل الله بعافيته. ثم تقدّم بصرف الخدم لينام. فقام الوزير إلى مرقده، وقد وجد خفّة بعد الفصد، فنام مقدار خمس ساعات، وانتبه يصيح بالفراشين. فقال صاعد للفرّاش: إذا قام من الصبيحة، فقل له يعاود النوم حتى لا ينقطع العرق، فلما خرج الفراش من عنده قال: وجدت ثيابه كأنها قد صبغت بماء الزعفران، وقد قام مجلساً ونام ، ثم لا زال الوزير يتبرّد دفعات إلى آخر النهار مجالس عدة، ومن بعد هذا غذّاه بمزورة، وسقاه

---

١ : **الأنبار**: ثلاثة مواضع: الأول بلدة قديمة من نواحي بغداد، على شاطئ الفرات، والثاني: الأنبار قرية من نواحي "جوز جانان" من نواحي" بلخ"، والثالث: سكة الأنبار بأعلى مرو. ذكر ذلك صاحب القاموس، مادة"نبر" كما ذكر ذلك ياقوت في معجم البلدان ١ /٢٥٣-٢٥٨.

ثلاثة أيام ماء الشعير، فبرأ بُرءاً تاماً، فكان الوزير أبداً يقول: طوبى لمن سكن بغداد داراً شاطئة، وكان طبيبه أبو منصور، وكاتبه أبو علي بن موصلايا، فبلغه الله أمانيه فيما طلب".

ونقلت أيضاً من خط ابن بطلان: أن صاعد الطبيب عالج الأجلَّ المرتضى[١] – رضي الله عنه – من لسب[٢] عقرب، بأن ضمّد [المكان] بكافور. فسكن عنه الألم في الحال.

ونقلت من خط أبي سعيد الحسن بن أحمد بن علي في كتاب "ورطة الأجلاء من هفوة الأطباء" قال: كان الوزير علي بن بلبل ببغداد وكان له ابن أخت، فلحقته سكتة دموية، وخفي حاله على جميع الأطباء، وكان بينهم صاعد بن بشر حاضراً، فسكت حتى أقرَّ جميع الأطباء بموته، ووقع اليأس من حياته، وتقدم الوزير في تجهيزه،واجتمع الخلق في العزاء، والناس في اللطم والنياح، ولم يبرح صاعد بن بشر من مجلس الوزير، فعند ذلك قال الوزير لصاعد بن بشر الطبيب: هل لك حاجة؟. فقال له: نعم يا مولانا!، إن رسمت وأذنتَ لي ذكرت. فقال: تقدَّم وقل ما يلج في صدرك. فقال صاعد: هذه سكتة دموية، ولا مضرَّة في إرسال مبضع واحد، وننظر، فإن نجح كان المراد، وإن تكن الأخرى فلا مضرَّة فيه.

---

١ : علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم، أبو القاسم ، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهو نقيب الطالبيين وأوحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، ولد ببغداد سنة ٣٥٥هجرية، وفيها توفي سنة ٤٣٦هجرية. انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٤ /٢٧٨ وروضات الجنات ٣٨٣، وإرشاد الأريب ٥ /١٧٣.

٢ : **اللَّسْب** واللَّسْع واللَّدْغ بِمَعْنىً.قاله في القاموس.

ففرح الوزير وتقدَّم بإبعاد النساء، وأحضر ما وجب من التمريخ[١] والنطول[٢]، والبخور، والنشوق، واستعمل ما يجب من شد عضد المريض، وأقعده في حضن بعض الحاضرين، وأرسل المبضع بعد التعليق على الواجب من حاله، فخرج الدم، ووقعت البشائر في الدار، ولم يزل يخرج الدم حتى استتم ثلاث مائة درهم من الدم، فانفتحت العين، ولم ينطق، فشدَّ اليد الأخرى، ونشَّقه ما وجب تنشيقه، ثم فصده ثانياً، وأخرج مثلها من الدم وأكثر، فتكلم، ثم أسقي وأطعم ما وجب، فبرئ من ذلك، وصحَّ جسمه،وركب في الرابع إلى الجامع، ومنه إلى ديوان الخليفة، فدعا له، ونثر عليه من الدراهم والدنانير الكثيرة، وحصل لصاعد بن بشر الطبيب مالٌ عظيم، وحشَّمه الخليفة والوزير، وقدَّمه، وزكَّاه، وتقدَّم على جميع من كان في زمانه.

ووجدت صاعد بن بشر قد ذكر في مقالته في مرض المراقيا ما عاينه في ذلك الزمان من أهوال وجدها، ومخاوف شاهدها، ما هذا نصه: " وإنه عرض لنا من تضايق الزمان علينا والتشاغل بالتماس الأمر الضروري، ولما قد شملنا من الخوف والحذر والفزع، واختلاف السلاطين، وما قد بلينا به مع ذلك من التنقل في المواضع غربيِّها وشرقيِّها، ولما قد أظلَّنا من الأمور المذعرة المخوفة، التي لا نرجو في كشفها إلا الله تقدَّس اسمه" .هذا ما ذكره، وما كان في أيامه إلا اختلاف ملوك الإسلام بعضهم مع بعض،وكان الناس سالمين في أنفسهم، آمنين من القتل والسبي، فكيف لو شاهد ما شاهدنا ، ونظر ما نظرنا في زماننا من التتر الذين أهلكوا العباد، وخرَّبوا البلاد، وكونهم إذا أتوا إلى مدينة فما لهم إلا قتل جميع

١ : **التمريخ** : نوع من أنواع الرياضات " المساج " في وقتنا. ذكره الرهاوي في أدب الطبيب ٨١.

٢ : **النطول** : ماء تغلى فيه الأدوية ويصب فاتراً على العضو المصاب.

من فيها من الرجال، وسبي الأولاد والنساء، ونهب الأموال، وتخريب القلاع والمدن، لكان استصغر ما ذكره، واستقلَّ ما عاينه وحقره، ولكن ما طامَّة إلا وفوقها طامَّة أعظم منها، ولا حادثة إلا وغيرها يكبر عنها، ولله الحمد على الإسلام والعافية(١).

ومنهم:

٨٩- ديلـــــم*

وكان من الأطباء المهرة، والألبَّاء أهل المخبرة، تقدَّم في جيله، وقُدِّم لتبجيله، وحبي بحب لم يمح من الضمائر، ولم يلح عليه آمر ليدٍ لم يقصر به باعها، ولم تمدّ لجس نبض إلا وأيدي الأطباء أتباعها.

ذكره ابن أبي أصيبعة وقال: " كان من الأطباء المذكورين ببغداد، المتقدمين في

---

١ : **أقول**: وكيف بهم جميعاً ومن أتى قبلهم ومن أتى بعدهم لو رأوا زماننا وقد تنكَّر أهل الإسلام لإسلامهم، وحارب بعضهم بعضاً وتفرقت الأمة شذر مذر، ولعن آخرُ هذه الأمة أولَها، وصار الدين غريباً بين أهله، بل صار التدين تهمة في بعض البلدان الإسلامية ولا حول ولا قوة إلا بالله، وخرجت النساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، وأحدقت الأعداء حول المسلمين من كل حدب وصوب، ضاع في زماننا الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ولهث أبناء جلدتنا وراء يهود أبناء القردة والخنازير يستجدون منهم سلاماً بأي ثمن، إلى غير ذلك مما أصابنا من مصائب في الدين والدنيا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نسأله سبحانه السلامة والعافية، وأن ينصر دينه وشريعته، ويرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً، وينصرهم نصراً عزيزاً، ويوفق حكامهم إلى العمل بشريعته وتحكيم كتابه. ويختم لنا وللمسلمين بخاتمة الحسنى على أحسن حال وخير وعافية بحق مولانا رسول الله صلى الله عليه آله وسلم، ومن قال آمين.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣١٥.

صناعة الطب، وكان يتردَّد إلى الحسن بن مخلد، وزير المعتمد، ويخدمه، ووجدت في بعض التواريخ أن المعتمد على الله وهو أحمد بن المتوكل أراد أن يفتصد، فقال للحسن بن مخلد: اكتب لي جميع من في خدمتنا من الأطباء حتى نتقدَّم بأن تصل كل واحد منهم على قدره.

فكتب الأسماء وأدخل فيها اسم :ديلم" المتطبب، وكان "ديلم" يخدم الحسن بن مخلد، فوقع تحت الأسماء بالصِّلات. فقال ديلم: إني جالسٌ في منزلي، وقد وافى رسول بيت المال، ومعه كيس فيه ألف دينار، فسلَّمه إليَّ، وانصرف. فلم أدرِ ما السبب فيه. فبادرت بالركوب إلى الحسن بن مخلد وهو حينئذ الوزير، فعرَّفته ذلك، فقال: افتصد أمير المؤمنين، وأمر أن أكتب أسماء الأطباء ليتقدم بصلاتهم، فأدخلت اسمك معهم، فخرج لك ألف دينار.

ومنهم:

٩٠- فنُّون المتطبِّب*

طبيب بختيار(١)، ولبيبٌ عُرف بحسن الاختيار. أتقن الحكمة علماً وعملاً، وعزماً وأملاً، وحاز الفضائل معرفة ما ونت، ومعالجة ما دعت صحة إلا دنت.

قال ابن جبريل: ومن أخباره مع بختيار : أنه رمدت عين بختيار في بعض

* **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٣٢١.

١ : **بختيار**، أبو منصور ، عز الدولة ابن معز الدولة أحمد بن بويه، أحد سلاطين العراق من بني بويه، ديلمي الأصل، مولده بالأهواز، سنة ٣٣٢هجرية، وكان شديد البأس يمسك الثور بقرنيه ويصرعه، تسلطن بعد أبيه سنة ٣٥٦هجرية، ونشبت معرك بينه وبين ابن عمه عضد الدولة، انتهت بمقتله سنة ٣٦٧هجرية، في قصر الجص، وكانت له عناية بالأدب. انظر ترجمته في: يتيمة الدهر ٢ / ٤، وأعلام الزركلي ٢ / ٤٤.

الأوقات ، فقال له : يا أبا نصر! ليس والله! تبرح من عندي، أو تبري عيني. وأريدها تبرأ إلى يوم واحد، وأبرمه. قال: فسمعت أبا نصر يتحدَّثُ أنه قال له: إن[١] أردت أن تبرأ فتقدم إلى الغلمان والفراشين أن يأتمروني دونك في هذا اليوم، وما منهم من يخالفني في أمري إلا قتلته، ففعل بختيار ذلك؛ فأمر أبو نصر أن يحضر إجَّانة[٢] مملوءة عسل الطبرزد[٣]، فلما حضر غمس يدي بختيار فيه، ثم بدأ يداوي عينيه بالشياف[٤] الأبيض، وما يصلح الرمد، وجعل بختيار يصيح بالغلمان ، فلا يجيبه أحد، ولم يزل كذلك يكحله إلى آخر النهار فبريء، وكان هو السفير بين بختيار والخليفة، وإذا خرجت الخِلَع فعلى يديه تخرج، وله منها النصيب الأوفر.

ومنهم:

٩١- نظيف - القسُّ الرُّومي -*

كان كريم العلاج إلا أنه يتلاءم، مبارك اليد إلا من رآه يتشاءم، لو رأى إبليس

---

١ : في الأصل المخطوط "أنت" والصواب من عيون الأنباء٣٢١.

٢ : **الإجانة**: بالكسر والتشديد، والعامة تخففها، فهي مولَّدة، لقِنٌ يغسل فيه الثياب. وقال في اللسان: الإجانة، والأنجانة، والأجَّانة، والأخيرة طائية عن اللحياني: المِركَن وأفصحها: إجَّانة واحدة الأجاجين، وهو بالفارسية : إكانة. انظر: اللسان مادة أجن.

٣ : **الطبرزد** : كسفرجل، السكر، أو الأبلوج، معرب "تبرزد" معناه: " ضرب الفأس" قيل: كأنه نحت من جوانبه بالفأس، فعلى هذا يكون طبرزد صفة سكر، فيقال: سكر طبرزد، وبه سمي نوع من التمر لحلاوته. انظر: قصد السبل للمحبي ٢ / ٢٥٢.والمعرب ٢٧٦.

٤ : **الشِّيافُ**، ككِتابٍ: أَدْوِيَةٌ للعَيْنِ ونحوِها. قاله في القاموس.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٣٢٢.

طلعة وجهه قال: فديت من لا يفلح، أو أرسطوطاليس لأفسد كل ما كان يُصلح، طار عليه طائر هذه السمعة القبيحة، والشنعة التي لبس منها ثوب الفضيحة، وكان فاضلاً لا يعوز، ويتضاءل لديه البحر الذي يعجز.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان خبيراً باللغات والنقل، فاضلاً في الطب، وكان عضد الدولة يتطيَّر[١] منه، وكان [الناس][٢] يولعون به إذا دخل إلى مريض. حتى حكي في بعض الأوقات أن عضد الدولة أنفذه إلى بعض القوّاد في مرض كان عرض لهن فلما خرج من عند القائد استدعى ثقته وأنفذه إلى حاجب عضد الدولة، يستعلم منه نية الملك فيه؟. ويقول: إن كان ثَمَّ تغير نية فليأخذ له الإذن في الانصراف والبعد، فقد قلق لما جرى!. فسأل الحاجب عن ذلك، وسببه، فقال الغلام: ما أعرف أكثر من أنه جاءه نظيف الطبيب، وقال له: يا مولانا الملك! أنفذني لعيادتك. فمضى الحاجب؛ وأعاد بحضرة الملك عضد الدولة هذا الحديث. فضحك وأمره أن يمضي إليه، ويعلمه بحسن نيته فيه، وإن ذلك لشغل قلبه به أنفذه إليه ليعوده، وحملت إليه خِلَعٌ سنيَّةٌ، سكنت بها نفسه، وزال عنه ما كان أضمره من شغل القلب، وكان دائماً يولع به بسببها.

---

١ : **يتطيَّر**: أي يتشاءم، من الطِّيَرة.

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط الأصل، استكمل من عيون الأنباء.

ومنهم:

٩٢- ابن بطلان ، أبو الحسن المختار بن عبدون بن سعدون ابن بطلان النصراني*

طبيبٌ مكَمَّل، وأريبٌ مؤمَّل، وأديبٌ يدل عليه شعره من يتأمَّل رشق الكلام، شرق الضياء في الظلام، شرق عدوه بمائه وصفق وما أفاق إلا بأسمائه ، وكان على إصراره على نصرانيته التي انتصر لخذلانها، وهصر غصون الإخاء لخلانها، معروفاً بمروءة طال به جلبابها، واتسع لكل طالب علم وندىً بابها.

قال ابن أبي أصيبعة فيه(١) : " كان قد اشتغل على ابن الطَّيِّب(٢)، وقرأ عليه كثيراً من كتب الحكمة وغيرها، ولازم ابن زهرون، واشتغل عليه، وكان معاصراً لابن رضوان الطبيب [المصري]، وكانت بينهما مراسلات عجيبة، وكتب غريبة، ولم يؤلف واحدٌ منهما كتاباً ولا ابتدع رأياً إلا ردَّ الآخر عليه وسفَّه رأيه فيه!.

وسافر ابن بطلان يريد مصر ليرى ابن رضوان(٣)، فمرَّ في طريقه بحلب،

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٣٢٥-٣٢٨، وآداب اللغة ٣/١٠٥، والحلل السندسية ١/٣٥٤، ودائرة المعارف الإسلامية ١/٩٨، وأخبار الحكماء ١٩٢-٢٠٧، وفيه: " توفي سنة ٤٤٤هجرية" ومثله في مختصر الدول لابن العبري ٣٣١.وانظر الأعلام للزركلي ٧/١٩١.

١ : عيون الأنباء ٣٢٥.

٢ : أبو الفرج عبد الله بن الطيب.

٣ : وكان سفره من بغداد في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة من الهجرة، على ما ذكره ابن أبي أصيبعة ٣٢٦.

فأكرمه صاحبها معز الدولة ثمال بن صالح، ثم أتى دولة مصر في دولة المستنصر[1]، وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثيرة، ونوادر ظريفة.

قال: وألف كل منهما كتاباً في الردِّ على الآخر، وكلام ابن بطلان أعذب ألفاظاً وأكثر ظرفاً، وأميز بالأدب، ومما يدلُّ على ذلك تسميته له بتمساح الجن!.

وكان ابن رضوان أسود قبيح الصورة، وفيه يقول: [الطويل]

ولما تبدَّى للقوابل وجهُه نكصنَ على أعقابهنَّ من الندم

وقُلْنَ وأخفينَ الكلام تستُّراً: ألا ليتنا كنا تركناه في الرحم

ثم سافر ابن بطلان من مصر إلى القسطنطينية وعرضت في زمانه أوباء كثيرة، وله في هذا رسالة معروفة، وله أشعارٌ كثيرة جداً.

ومنهم:

٩٣- أحمد بن أبي الأشعث*

طبيب يلمُّ الشعث، ويضم السقام من تفاريق الأعضاء إذا انبعث، لا يغالب طبه النافع، ولا يغالط دواؤه بمدافع، تخال هيئة اسقليبيوس صفته، وتخطي

---

١ : في مستهل جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٣٣١-٣٣٢، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢/١٤٨، وكشف الظنون الصفحات رقم :٥١، ٤٠١، ١٣٨٩، ٤٠٢، ١٤٠٨، ١٤١٣، ١٤٢٤، ١٤٣٢. ود. محمود الحاج قاسم محمد: الطب عند العرب والمسلمين ٧٥-٧٦، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة ٧١-٧٢، ود. فؤاد بستاني : دائرة المعارف ٢/١٩٦.

معالجة جالينوس ولا تخطيء وصفته.

ذكره ابن أبي أصيبعة[١] وقال: " كان وافر العقل، كثير السكينة والوقار، متفقهاً في الدين، وعُمِّر عمراً طويلاً، وكان لا يفعل إلا جميلا، وكان فاضلاً في العلوم[٢] الحكمية، وله تصانيف كثيرة مفضّلة، تدلُّ على العلم، وعلو المنزلة، ومصنّفاً في الطب لا نظير له في الجودة.

وكان أصله من فارس، وكان متصرِّفاً ثم صودر، فخرج من بلده هارباً ودخل الموصل بحالٍ سيئة، ووافق أن كان لصاحبها ناصر الدولة ولدٌ عليلٌ بقيام الدم، لا يزداد بمعالجة الأطباء إلا مرضاً، فقال لأمه: أنا أعالجه، وأراها غلط الأطباء في التدبير؛ فسكنت إليه. فعالجه، فبرأ فأجزل عطاؤه، وأحسن إليه، وأقام بالموصل إلى آخر عمره".

ومنهم:

٩٤- أبو سهل النيلي. وهو: سعيد بن عبد العزيز*

طبيب حاذق في العلاج، صادق الحدس في معرفة المزاج، لم يزُرْ مريضاً إلا أخذ بيده من الفراش، واستوقف السقم وقد جرى في المشاش[٣]، وطرد عنه

١: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣٣١.

٢: في الأصل المخطوط: "الأمور الأمور" هكذا، والتصويب من عيون الأنباء.

*(ت ٤٢٠هـ) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٣٤١-٣٤٢، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١١/ ٢١٨، وبغية الوعاة للسيوطي ٢٥٥، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٦٦٨، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ١٠٨، ويتيمة الدهر للثعالبي ٤/ ٣٠٨، والأعلام لخير الدين الزركلي ٣/ ٩٧.

٣: **المشاش**: هو عظيم رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين والكتد الكاهل وما يليه من الجسد.

وسواس حمى تتهافت به في النار تهافت الفراش.

قال ابن أبي أصيبعة فيه[١] : " مشهور بالفضل، عالم الطب ، جيد التصنيف، متفنٍّن في الأدب، بارع في الشعر، ومنه قوله :[**الخفيف**]

اسقني الراح، تشف لوعة قلب   بات مذ بِتّ للهموم سميرا
هي في الكأس خمرة فإذا ما   أفرغت في الحشا استحالت سرورا

ومنهم:

٩٥- ابن الواسطي «طبيب المستظهر» *

كان مقبول الكلمة، مأمول الشفاعة عند الظلمة، مع نفس متَّسعه، وفضل ينفق منه من سعه، وكرم يكر على أمواله ليشتتها، وعلى آماله ليثبتها، وكانت له من المستظهر كرامة لايهان قدرها، ولا يهاب إلا إذا ضاق في مرماها الفسيح فقرها.

قال ابن أبي أصيبعة : " كان رفيع المنزلة ، وكان ابن المموّج صاحب الديوان قد استقرت عليه قرية بثلاثة آلاف دينار، قام منها بألفين، وسأل إنظاره بالألف المتأخرة إلى أوان الغلّة، فلم يتحصَّل فأشار عليه حاجبه ابن الداوتي[٢] أن يأتي ابن الواسطي[٣] ليستمهل له المستظهر ، فأتاه فأكبر مجيئه، وأخلى له المجلس،

١ : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣٤١-٣٤٢.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣٤٤-٣٤٥.

٢ : مظفر ابن الدواتي.

٣ : الطبيب. كما في عيون الأنباء ٣٤٤.

فعرَّفه الصورة، وأنه قد رهن كتب داره على خمسمائة دينار، فلما كان من الغد بعث حاجبه يتقاضاه ، فأعطاه خط الخليفة بالخمسمائة دينار، وكتب ملكه، واستقبل له من ماله ، وألبس الحاجب خلعة ، وبعث معه إلى ابن المعوج دست ثياب فاخر، وخمسمائة دينار للنفقة، فقبل ذلك منه وشكره" .

ومنهم:

٩٦- أبو طاهر البرخشي، أحمد بن محمد بن العباس*

من أهل واسط، وطبيب فيما أُهِّل له من العلم قاسط، قاس على ما صحَّ من قديم التجريب، وعميم النظر الذي يحقق رأي الأريب.

ذكره ابن أبي أصيبعة وقال: " فاضلٌ في الصناعة الطبية، كامل في الأدب، كان في أيام المسترشد بالله(١) . قال: وكان يعالج بواسط مريضاً به أحد أنواع الاستسقاء ولم ينجع فيه علاج، وتجاوز حد الحمية، فسهَّل له في أكل ما أراد. فاجتاز به رجلٌ يبيع الجراد مسلوقاً فاشترى منه وأكل ، فعرض له منه إسهالٌ مفرط، ثم انقطع الإسهال، وأخذ مزاجه في الصلاح إلى أن عوفي، فلما علم أبو طاهر بعافيته وكان قد يئس منه، أتاه وسأله : بم وجد الراحة؟ فقصَّ عليه خبر

* ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣٤٥-٣٤٧.

١ : الفضل بن أحمد ابن المقتدي عبد الله بن محمد الهاشمي العباسي. المسترشد بالله: أبو منصور، من خلفاء الدولة العباسية بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه، سنة ٥١٢هجرية، وكان عالي الهمة شجاعاً فصيحاً بليغ التوقيعات، له شعر جيد، قتل سة ٥٢٩هجرية، ودفن في مراغة العراق. انظر ترجمته في: فوات الوفيات ٢ /١٢٤، وتاريخ ابن الأثير ١٠ /١٨٩، ثم ١١ /١٠، وتواريخ آل سلجوق ١٧٨، والأعلام للزركلي ٥ /١٤٧.

الجراد، فأفكر وقال: ليس هذا من فعل الجراد ولا خاصيته. فتقصَّى عن بائعه حتى عرفه، فقال له: أتعرف الموضع الذي صدت منه الجراد الذي أكله هذا؟ قال: نعم. قال: فامض بنا إليه. فلما أتاه رأى حشيشة هناك يرعاها الجراد، فكان يداوي بها من الاستسقاء، وأبرأ بها جماعة من هذا المرض".

قال ابن أبي أصيبعة: "وهذه حكاية قديمة قد جرى ذكرها، وأن تلك الحشيشة هي المازريون. وقد ذكرها التنوخي في كتاب: "الفرج بعد الشدة" وأنشد له قوله في غلام ناوله خلالاً: [**الطويل**]

وناولني من كفه مثل خصره ... ومثل محب ذاب من طول هجره
وقال: خلالي؟ قلت: كل حميدة ... سوى قتل صب حار فيك بأسره(١)

ومنهم:

٩٧- أبو غالب ابن صفية *

النصراني. أسقطته ديانته، وأرهقته خيانته، وأترع بيده كأس الموت لنفسه، وهيَّأ لمصرعه حفرة رمسه(٢)، وأتى عليه من حيث ظن أنه ينتفع، وسقط من يديه من حيث توهَّم أنه يرتفع، ومن حاول قتل الأسد الضرغامه، وختل الصل الهامه، ودرأ بكفِّه متنَ الهندواني(٣)، وفلَّ بإصبعه باب اليماني، لا يعجب له من إسراع التلف، ولا من إسراف ما ينفق من عمره الذاهب بلا خلف.

---

١ : عيون الأنباء ٣٤٦.

* **انظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣٤٧-٣٤٩.

٢ : **الرمس** : القبر.

٣ : يقال: سَيْفٌ مُهَنَّدٌ وهِنْدِيٌّ و**هُنْدُوانيٌّ** إذا عُمِلَ ببلاد الهند وأُحْكِمَ عملُه. قاله في اللسان.

حكي أنه كان يشي بأسرار المستنجد[١] إلى قايماز[٢] مقدَّم الأمراء إذ ذاك، وكان المستنجد يريد قبض قايماز فاعتلَّ المستنجد فدسوه عليه حتى وصف له الحمَّام، وكان لا يصلح له، وعرف المستنجد أن قوته لا تقوى على الحمام، فدخل عليه قايماز والأمراء حوله، وألزموه بدخوله، وكانوا قد سجّروه ثلاثة أيام بلياليهنّ، فلما دخلوا إليه ردُّوا عيه بابه ساعة، فمات. وبايعوا ابنه المستضيء[٣]

١ : **المستنجد بالله يوسف** ، أبو المظفر بن محمد المقتفي لأمر الله بن أحمد المستظهر بالله، الخليفة العباسي الثاني والثلاثون. ولد سنة ٥١٠هجرية. وتولى الخلافة سنة ٥٥٥هجرية. وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٥هجرية فأزال المكوس ورفع الضرائب عن الناس، وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع رعيته، لولا ما قيل من أنه أحرق مكتبة قاض يعرف بابن المرخم، ثبت للخليفة أنه أخذ أموالاً كثيرة من الناس بالباطل، فحبسه وصادره في ماله، وأحرق كتبه، توفي في بغداد مخنوقاً في الحمام، سنة ٥٦٦هجرية.

انظر ترجمته في: الأعلام ٥/ ٢٤٧، تاريخ ابن الأثير ١١/ ٩٦-١٣٤، ومرآة الجنان ٣/ ٣٧٩..

٢ : **قايماز بن عبد الله الزيني**، أبو منصور، الملقب بمجاهد الدين، أمير من المماليك ، أصله من سجستان، أخذ منها صغيراً واسترق، وأعتقه والد الملك المعظم صاحب إربل، وجعله أتابك أولاده وفوض إليه أمور إربل سنة ٥٥٩هجرية، كان يحب الأدب والشعر، وكان المبارك ابن الأثير كاتباً بين يديه، توي بقلعة الموصل سنة ٥٩٥هجرية. **انظر ترجمته في**: وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٤٢٦، والأعلام ٥/ ١٨٨.

٣ : **المستضيء بأمر الله**: الحسن أبو محمد بن يوسف المستنجد بالله بن محمد المقتفي لأمر الله، الخليفة العباسي الثالث والثلاثون . ولد سنة ٥٣٦هجرية. وكان جواداً حليماً، محباً للعفو، قليل المعاقبة على الذنوب، كريم اليد، بويع بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة ٥٦٦هجرية، وصفت له الخلافة تسع سنين وسبعة أشهر، وكانت أيامه مشرقة بالعطاء والعدل، قال ابن شاكر: " لما تولى المستضيء بالله نادى برفع المكوس ورد المظالم الكبيرة، وفرق مالاً عظيماً، ثم احتجب عن الناس، ولم يركب إلا مع الخدم، وفي أيامه زالت الدولة العبيدية بمصر، وضربت السكة باسمه، وجاء البشير إلى بغداد، وغلقت الأسواق وعملت القباب. ودانت الملوك لطاعته. توفي سنة ٥٧٥هجرية.

انظر ترجمته في: الأعلام ٢/ ٢٢٧، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١/ ١٣٧، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٢٨.

بعد أيمانٍ حلفوه عليها. فأقام مدة وفي نفسه من فعلتهم بأبيه، فشرع في العمل عليهم، وابن صفية على ما هو عليه من نقل خبره، فطلبه المستضيء ليلاً وطلب منه ترتيب دواء قتَّال ليقتل به عدوّاً له، فعمله واجتهد فيه، فلما أحضره قال له: استفّ منه حتى نجرّب فعله!. فتلوَّى من ذلك وقال: الله الله فيّ. فقال له: الطبيب مَن تجاوز حدَّه فليس له إلا هذا أو السيف. فاستفَّ ذلك الدواء، ففرَّ من الهلاك إلى الهلاك. ثم خرج من الدار وكتب إلى قايماز بما كان، وقال له: "والانتقال من أمري إلى أمركم". ثم هلك. وعزم قايماز على الإيقاع بالخليفة فردَّه الله، وهرب إلى الموصل، فمرض في الطريق ثم دخل الموصل فمات بها.

ومنهم:

٩٨- أمين الدولة ابن التلميذ*

كان فرد قرانه، وندَّ أقرانه، وبلغ بعلمه مبالغ الأشراف، ووصل في فهمه إلى حدِّ الإشراف، وكان يتكلَّم في مجالس الخلفاء متبسِّطاً، ويتقدَّم في مجال السؤال للضعفاء متوسِّطا، لسابقة خدمه، وباسقة صنعه في بيت الإمامة دون باقي خدمه، ولما تحلَّت به شيمه من مآثر، وحلت باديه مما لا يقدر عليه مكاثر، حتى كان يناظر جُلَّة الفقهاء، وجملة أهل العلم سوى السفهاء، ويفترس الأدباء، ويفترش لمواطيه الأطباء، ويضرب بقلمه عصا ابن البوَّاب[1]، ويطرف طرف

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٣٤٩-٣٧١، وسماه هبة الله ابن صاعد بن إبراهيم، خلافاً للمصادر التالية، ومعجم الأدباء ٧/ ٢٤٣، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ١٩١، وفيه: "توفي في صفر وقد ناهز المائة". ومجلة المجمع العلمي العربي ٥/ ٣٢١، وحكماء الإسلام ١٤٤، وابن العبري ١٤٤.

١ : **علي بن هلال**، أبو الحسن المعروف بابن البواب: خطَّاطٌ مشهور من أهل بغداد، هذب طريقة ابن مقلة وكساها رونقاً وبهجة. وفي رثائه قال الشريف المرتضى قصيدته التي مطلعها:=

طرسه مقلة ابن مقلة(١)، وهو على دينه المخالف، وتعود ملته في الخوالف، يكره الصدور، وتخبر خبره البدور.

قال ابن أبي أصيبعة(٢): " هو الأجلُّ موفق الملك أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن إبراهيم بن التلميذ، أوحد زمانه في صناعة الطب، ومباشرة أعمالها، وكان في أول أمره قد سافر إلى بلاد العجم، وبقي بها سنين كثيرة في الخدمة، وكان جيِّد الخطّ، يكتب المنسوب في نهاية الحسن والصّحّة، وكان عارفاً بالسرياني والفارسي، متبحِّراً في العربية، وله شعر مستظرف، وهو من بيت كتابة، وكان هو وأوحد الزمان [أبو البركات] يخدمان المستضيء، وكان أوحد الزمان أبصر بالحكمة ، وابن التلميذ أبصر بالطب، وكان بينهما شنآن(٣)، إلا أن ابن التلميذ كان أعقلهما،وخيرهما فعلاً، وسعى أوحد الزمان عليه حتى كاد يرديه، ثم رد عليه كيده فوهب ماله ودمه لابن التلميذ، فعفا

من مثلها كنت تخشى أيها الحذر والدهر إن همَّ لا يبقي ولا يذر

نسخ القرآن بيده أربعاً وستين مرة، إحداها بالخط الريحاني، لا تزال محفوظة في مكتبة "لا له لي" باستنابول. **انظر ترجمته في**: وفيات الأعيان ١ /٣٤٥، ومفتاح السعادة ١ /٧٧، والأعلام للزركلي ٥ /٣٠-٣١.

١ : **محمد بن علي بن الحسين بن مقلة**: وزير من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل، ولد في بغداد سنة ٢٧٢هجرية، وولي جباية الخراج في بعض أعمال فارس، ثم استوزره المقتدر العباسي سنة ٣١٦هجرية، ولم يلبث أن غضب عليه، ثم استوزره القاهر بالله سنة ٣٢٠هجرية، ثم اتهمه بالمؤامرة على قتله، فاختبا، ثم استوزره الراضي بالله سنة ٣٢٢هجرية، ثم نقم عليه فسجنه ثم قطع يده اليمنى، ولسانه، ومات في سجنه سنة ٣٢٨هجرية.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢ /٦١، والأعلام للزركلي ٦ /٢٧٣، وثمار القلوب ١٦٧.

٢ : عيون الأنباء في طبقات الأطباء – ٣٤٩.

٣ : **الشنآن** : العداوة والبغضاء.

عنه. وإن مما قال فيه:[**البسيط**]

لنا صديق يهودي حماقته إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه

وقد قيل فيهما:[**الوافر**]

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه أبو البركات في طرفي نقيض
فهذا بالتواضع في الثريا وهذا بالتكبر في الحضيض

قال عبد اللطيف البغدادي :" كان أمين الدولة حسن العشرة كريم الأخلاق، وعنده سخاء ومروءة، وأعمالٌ في الطب مشهورة، وحدوس صائبة، منها: أنه أحضرت إليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها في الحياة هي أم في الممات؟ وكان الزمان شتاءً، فأمر بتجريدها ، وصب الماء المبَّرد عليها صباً متتابعاً كثيراً، ثم بنقلها إلى مجلس دافئ قد بُخِّر بالعود والنِّدّ، ودثِّرت بأصناف الفراء ساعة، فعطست وقعدت، وخرجت ماشية مع أهلها إلى منزلها" .

قال:" ودخل إليه رجل مترف، يعرق دماً في زمن الصيف، فسأل تلاميذه وكانوا خمسين نفساً، فلم يعرفوا المرض. فأمره أن يأكل خبز شعير مع باذنجان مشوي. ففعل ذلك ثلاثة أيام ، فبرأ ، فسأله أصحابه عن العلة؟ فقال: إن دمه قد رقّ، ومسامّه قد تفتَّحت، وهذا الدواء من شأنه تغليظ الدم، وتكثيف المسام" .

قال:" ومن مروءته أن ظهر داره كان يلي النظامية، فإذا مرض فقيه نقله إليه، وقام في مرضه عليه، فإذا برأ وهب له دينارين وصرفه" .

ومما حكاه أيضاً عن أمين الدولة ، وكان قد تجاوز في هذه الحكاية، قال:" وكان أمين الدولة لا يقبل عطية إلا من خليفة أو سلطان، فعرض لبعض الملوك

النائية داره مرضٌ مزمنٌ، فقيل له: ليس لك إلا ابن التلميذ. وهو لا يقصد أحداً. فقال: أنا أتوجَّه إليه!. فلما وصل أفرد له ولغلمانه دُوراًوأفاض عليه من الجرايات قدر الكفاية،ولبث مدة، فبرئ الملك وتوجَّه إلى بلاده وأرسل إليه مع بعض التجار أربعة آلاف دينار، وأربعة تخوت عتابي، وأربعة مماليك، وأربعة أفراس، فامتنع من قبولها، وقال: إن عليَّ يميناً لا أقبل من أحد شيئاً. فقال التاجر: هذا مقدار كثير. قال: لما حلفت ما استثنيت. وأقام شهراً يراوده ولا يزداد إلا إباءً. فقال له عند الوداع: ها أنا أسافر ولا ارجع إلى صاحبي، وأتمتع بالمال، فتتقلَّد منَّته وتفوتك منفعته، ولا يعلم أحدٌ بأنك رددته!. فقال: ألست أعلم في نفسي أني لم أقبله؟ فنفسي تشرف بذلك، علم الناس أو جهلوا".

وحدَّثنا الحكيم مهذَّب الدين عبد الرحيم بن علي قال: حدَّثني الشيخ موفق الدين أسعد بن إلياس بن المطران، قال: حدَّثني أبي قال: حدثني أبو الفرج بن توما، وأبو الفرج المسيحي قالا: "كان الأجلُّ أمين الدولة ابن التلميذ جالساً ونحن بين يديه -: استأذنت عليه امرأة ومعها صبيٌّ صغير، فأُدخلت عليه فحين رآها بدرها فقال: إن صبيّك هذا به حرقة البول، وهو يبول الرمل!. فقالت: نعم. فقال: فيستعمل كذا وكذا، وانصرفت. قالا: فسألناه عن العلامة الدالَّة على أنَّ به ذلك، وأنه لو أن الآفة في الكبد أو الطحال لكان اللون من الاستدلال مطابقاً. فقال: حين دخل رأيته يولع بإحليله ويحكّه ووجدت أنامل يديه مشقَّقة قاحلة. فعلمت أن الحكة من الرمل، وإن تلك المادة الحادَّة الموجبة للحكة والحرقة، ربما لا مست أنامله عند ولوعه بالقضيب فتقحَّل وتشقّق، فحكمت بذلك. وكان موافقاً".

ومن نوادر أمين الدولة وحسن إشاراته، أنه كان يوماً عند المستضيء بالله وقد أسنَّ أمين الدولة، فلما نهض للقيام توكَّأ على ركبتيه، فقال له الخليفة:

كبرت يا أمين الدولة. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، وتكسَّرت قواريري. ففكَّر الخليفة في قول أمين الدولة،وعلم أنه لم يقله إلا لمعنى قد قصده، وسأل عن ذلك، فقيل له: إن الإمام المستنجد بالله كان قد وهبه ضيعة تسمى قوارير وبقيت في يده زماناً، ثم من مدة ثلاث سنين حط الوزير يده عليها، فتعجَّب الخليفة من حسن أدب أمين الدولة، وأنه لم ينه أمرها إليه ولا عرض بطلبها ، ثم أمر الخليفة بإعادة الضيعة إلى أمين الدولة وأن لا يعارض في شيء من ملكه.

ومن شعره قوله في ولده وكان غاية في الدين:[المنسرح]

أشكو إلى الله صاحباً شكساً تسعفه النفس وهو يسعفها
فنحن كالشمس والهلال معاً تكسبه النور وهو يكسفها

وقوله:[المتقارب]

إذا وجد الشيخ في نفسه نشاطاً ، فذلك موت خفي
ألست ترى أن ضوء السراج له لهبٌ قبل أن ينطفي

وقوله:[مجزوء الكامل]

قال الأنام، وقد رأوه مع الحداثة ، قد تصدَّر:
من ذا المجاوز قدره؟ قلت: المقدَّم بالمؤخَّر

وقوله : [مجزوء الكامل]

قد قلت للشيخ الجليل الأريحي أبي المظفر:
ذكِّرْ فلان الدين بي قال: لا يذكَّرْ

وقوله: [الكامل]

العلم للرجل اللبيب زيادة ونقيصة للأحمق الطيَّاش

مثل النهار يزيد أبصار الورى نوراً، ويغشي أعين الخفَّاش

وقوله: [الوافر]

أجدَّك، إن من شيم الليالي العنيفة أن تجور على اللهيف
كمثل اللحظ أغلب ما تراه يصب أذاه في العضو الضعيف

وقوله: [البسيط]

لا تحسبنَّ سواد الخال عن خلل من الطبيعة، أو إحداثه غلطا
وإنما قلم التصوير حين جرى بنون حاجبه، في خده نقطا

وقوله: [الطويل]

براني الهوى بري المدى فأذابني صدودك، حتى صرت أنحل من أمسِ
ولست أرى حتى أراك، وإنما يبين هباء الذر في أفق الشمس

وقوله مما يكتب على حصير: [الكامل]

أفرشت خدي للضيوف ولم يزل خلقي التواضع للبيب الأكيس
فتواضعي أعلا مكاني بينهم طوراً، فصرت أحل صدر المجلس

وقوله: [المتقارب][(١)]

وحقك إني مذ بنتُ عنك قلبي حزين ودمعي هتون
فلله أيامنا الخاليات لو رد سالف الدهر حنين
وإني لأرعى عهود الصفا ويكلؤها لك ود دفين
ولم لا يكون، ونحن اليدا ن، أنت بفضلك منها اليمين

---

١ : وقد ذكر ابن أبي أصيبعة هذه الأبيات أنها من نظم أمين الدولة في جوابه على أبيات أرسلها إليه المترجَم. انظر ابن أبي أصيبعة – عيون الأنباء – ٣٧٠.

ومنهم:

٩٩- معتمد الملك أبو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ*

بحر حكمة تطفو لآليه[١]، وتغفو مقل النجوم في كرى لياليه، مع ملاطفة في العلاج ملأ طيفها الجفون، إلى دأب بلل الطلل طررها، وأثل الفضل سررها.

قال ابن أبي أصيبعة[٢]: " كان متعيّناً في العلوم الحكمية، متفنناً في صناعة الطب، متحلياً بالأدب، بالغاً فيه أعلى الرتب.

وله شعر؛ منه – ملغزاً في الإبرة – قوله:[الوافر]

وفاغرة فماً في الرجل منها ... ولكن لا تسيغ به طعاما

ومخطفة الحشا في الرأس منها ... لسان لا تطيق به كلاما

تصول بشوكة تبدو وسم، ... وما من ذاقه يرد الحماما

تجرُّ وراءها رسناً طويلاً[٣] ... كما قادت يد الحادي الزماما

منيعاً ذا قوى لكن تراه ... بقبضتها ذليلاً مستضاما

فتلقيه بمحبسها مقيما ... طوال الدهر لا يأبى المقاما

أيا عجباً لها سوداء خلقاً ... تريك خلائقاً بيضاً كراما

غدت عريانة من كل لبس ... وفاضل ذيلها يكسو الأناما

وقوله – في دار جديدة[٤] وقعت فيها نار يوم فراغها-:[الكامل]

---

* ينظر ترجمته في: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٣٧١ – ٣٧٤.

١ : أي لآلئه، بتسهيل الهمزة.

٢ : عيون الأنباء – ٣٧١.

٣ : عند ابن أبي أصيبعة: " تجر وراءها أبداً أسيراً ".

٤ : وهي الدار التي بناها سيف الدولة صدقة، وقعت فيها نار يوم الفراغ منها. " عيون الأنباء ٣٧٣.

يا بانيـــاً دار العلى مــــلأتهـــا لتـــزيدها شــرفــاً على كـــيـــوان
علمت بأنك إنما شـــيـــدتهـــا للمـجـد والإفـضـار والإحـســان
فـقـفـت عـوائدك الكرام وسابقت تسـتـقـبل الأضـيـاف بالنيـران

وقال أيضاً :[**الكامل**]

علق الفـؤاد على خلو حـبـهـا علق الذبالة[1] في الحشا المصباح
لا يستطاع الدهرَ فـرقـة بينهم إلا لحين تفـرّق الشـبـاح

وقوله : [**المتقارب**]

فـراقك عندي فـراق الحـيـاة فـلا تجـهـزن على مـدنف[2]
علقـتك كـالنار في شـمـعـهـا فـمـا إن تفـارق أو تنطفي

وقوله :[**السريع**]

بـدا إلـينـا أرج القــادم فـبـرَّد الغلّة من حـائم
روَّح عـن قـلـبـي عـلـى نـأيـه وقـد يلـذ الطيـف للحـالم

---

١ : **الذُّبَالةُ**: الفتيلة والجمع الذُّبَالُ.

٢ : **الدَّنَفُ**: المَرَضُ اللازِمُ المُخامِرُ، وقيل: هو المرض ما كان. ورجل دَنَفٌ ودَنِفٌ ومُدْنِفٌ ومُدْنَفٌ: براه المرضُ حتى أَشْفى على الموت. قاله في لسان العرب ، مادة "دنف".

ومنهم:

١٠٠- أوحد الزمان وهو أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي ثم البغدادي*

طبيبٌ لو رام الصخر الجلمد لتفجَّر، أو إمساك الماء السائل لتحجَّر، بمداومة نظرٍ لو صابرت الزمان لتضجَّر، أو فرَّعت حصا الدهناء[١] لتشجَّر. بعلمٍ أوسع امتداداً من المشرقين، وأجمع مدىً مما بين الخافقين. كان يصون وديعة العلم ويحفظها، ويغيظ بكتمانها صدور الرجال ويخفضها، ونسيمه تهبُّ خافقته، وشميمه تفتت عنبر الغمام بارقته.

قال ابن أبي أصيبعة[٢]: " كان يهودياً وأسلم، وخدم المستنجد. وتصانيفه في النهاية [٣]، وكان له اهتمام بالغ في العلوم، ونظره فائق فيها.

بدأ بالطب على أبي الحسن سعيد بن هبة الله[٤]، وكان لا يقرئ يهودياً ولا نصرانياً، فثقل عليه أبو البركات بالناس، ليقرئه فلم يفعل، فصحب بوَّاب داره، ليتوصل به إلى غرضه، وكان يقعد في الدهليز فيسمع جميع ما يُقرأ عليه، وما يجري معه من البحث، وهو كلما فهم شيئاً وتعقَّله علَّقه عنده.

ينظر ترجمته في: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٣٧٤-٣٧٦، وسير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ١٢/ ٢٤٤، والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي ٢٧/ ١٢٥-١٢٦، وتاريخ الحكماء للقفطي ٣٤٣-٣٤٦، والأعلام لخير الدين الزركلي ٨/ ٧٤، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٣/ ١٤٢-١٤٣، وموسوعة علماء الطب- ٢٩١-٢٩٢.

١: **الدَّهْناءُ**: الفلاةُ،

٢: عيون الأنباء ٣٧٤.

٣: أي كانت تصانيفه في غاية الجودة.

٤: ابن الحسين، وكان من المشايخ المتميزين بصناعة الطب.

فلما مضت سنة أو نحوها، جرت مسألة عند الشيخ وبحثوا فيها فلم يتَّجه لهم عنها جواب، فدخل أبو البركات، وخدم ، وقال للشيخ: عن أمر مولانا أتكلَّم في هذه المسألة؟.

فقال: قل . فأجاب عنها بشيء من كلام جالينوس. ثم قال: وهذا كان بحثكم في اليوم الفلاني، في ميعاد فلان!!.

فعجب الشيخ منه، ومن حرصه، فقال: من يكون هكذا ما يستحل أن نمنعه، فصار من أجلِّ تلامذته.

ومن نوادره أن مريضاً عرض له الماليخوليا، وكان يعتقد أن على رأسه دَنّاً، وأنه لا يفارقه أبدا، وكان كلَّما مشى يتحايد المواضع التي سقوفها قصيرة، ويمشي برفق ولا يترك أحداً يدنو منه، حتى لا يميل الدَّن، أو يقع على رأسه، وبقي هذا المرض مدَّة طويلة وهو في شدَّة منه، وعالجته جماعة من الأطبَّاء، ولم يحصل بمعالجتهم تأثير ينتفع به، وأنهي أمره إلى أوحد الزمان، ففكَّر أنه ما بقي شيء يمكنه أن يبرأ به إلا بالأمور الوهمية.

فقال لأهله: إذا كنتُ في الدار فأتوني به.

ثم إن أوحد الزمان أمر أحد غلمانه بأن ذلك المريض إذا دخل عليهم وشرع في الكلام، وأشار إلى الغلام بعلامة بينهما، أنه يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بُعدٍ منه، كأنه يريد كسر الدنّ الذي يزعم أنه على راسه . وأوصى غلاماً آخر ، وكان قد أعدَّ معه دنّاً في أعلى السطح، أنه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس صاحب الماليخوليا أن يرمي الدنّ الذي معه بسرعة إلى الأرض.

ولما كان أوحد الزمان في داره وأتاه من غير علم المريض، فأقبل عليه، وقال:

لا بدّ أن أكسر هذا الدّنّ، وأريحك منه.

ثم أدار تلك الخشبة التي معه، وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع، وعند ذلك رمى الغلام الدَّنَّ من أعلى السطح، فكانت له وجبةٌ[1] عظيمة، وكسر قطعاً كبيراً. فلمّا عاين المريض ما فعل به، ورأى الدَّنّ المتكسِّر، تأوَّه لكسرهم إياه، ولم يشكّ أنه هو الذي كان على رأسه بزعمه، وأثَّر فيه الوهم أثراً بريء به من علَّته تلك!.

وهذا بابٌ عظيمٌ في المداواة، وقد جرى أمثال ذلك لجماعة من المتقدِّمين مثل جالينوس وغيره[2] في مداواتهم بالأمور الوهمية.

وحكى أبو الفضل تلميذ أبي البركات المعروف بأوحد الزمان، قال: كنا في خدمة أبي الزمان في عسكر السلطان، ففي بعض الأيام جاءه رجل به داحس[3]، إلا أن الورم كان ناقصاً، وكان يسيل منه صديد، قال: فحين رأى ذلك أوحد الزمان بادر إلى سُلامية[4] إصبعه فقطعها!.

قال: فقلنا له: يا سيدي! لقد أجحفت في المداواة، وكان يغنيك أن تداويه بما يداوي به غيرك، وتبقي عليه إصبعه، ولُمناه، وهو لا ينطق بحرف!.

قال: ومضى ذلك اليوم، وجاءه في اليوم الثاني رجلٌ آخر، مثل ذلك سواء، فأومأ إلينا بمداواته، وقال: افعلوا في هذا ما ترونه صواباً.

قال: فداويناه بما يداوى به الدَّاحس، فاتَّسَع المكان، وذهب الظفر، وتعدَّى

---

١ : **الوَجْبَةُ**: السَّقْطة مع الهدَّة، أو صوت الساقط القاموس (مادة و ج ب).

٢ : في النسخة الأصلية المخطوطة: "وغيرهم".

٣ : ا **لدَّاحسُ**: وَرَم يَأْخُذُ بالأظْفَارِ وَيظْهَرُ عَلَيْها، شديدُ الضَّرَبَانِ ، وَأَصْلُهُ منَ الدَّحَسِ، وَهُوَ وَرَم يكونُ في اطْرَة حافرِ الدَّابَة والشَرَى داء يَأْخُذُ في الجِلْدِ أَحْمَرُ كَهَيْئَة الدَّراهِم. قاله الثعالبي في "فقه اللغة".

٤ : **السُلامِيَة** :هي الأُنْمُلَة من أنامِل الأصَبع. وجمعها: " السُلامَى" .قاله في النهاية.

الأمر إلى ذهاب السلامية الأولى من سلاميات الأصابع، وما تركنا دواءً إلا داويناه به، ولا علاجاً إلا عالجناه، ولا لطوخاً إلا لطخناه به(١)، ولا مسهلاً إلا وسقيناه، وهو مع ذلك يزيد، ويأكل الإصبع أسرع أكل، وآل أمره إلى القطع، فعلمنا أن﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾(٢)

قال: فشاع هذه المرض في تلك السنة، وغفل جماعة منهم عن القطع، فتأدَّى أمر بعضهم إلى هلاك اليد، وبعضهم إلى هلاك أنفسهم.

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي(٣) ، فيما ذكره عن ابن الدَّهان المنجم، قال: كان أبو البركات قد عمي في آخر عمره، وكان يملي على جمال الدين بن فضلان، وعلى ابن الدَّهَّان المنجِّم، وعلى يوسف والد الشيخ موفق الدين عبد اللطيف، وعلى المهذب ابن النقَّاش كتاب "المعتبر(٤)" .

---

١ : قال في القاموس: **واللَّطُوخُ**: ما يُلْطَخُ به الشيء.

٢ : سورة يوسف – الآية ٧٦.

٣ : سبقت ترجمته أول الكتاب.

(٤) **قال العلامة القنوجي في "أبجد العلوم"** : عند ترجمة أبي الحسن، هبة الله بن أبي الغنائم بن التلميذ الطبيب، البغدادي: ذكره العماد الأصفهاني في الخريدة، فقال: سلطان الحكماء، ومقصد العالم في علم الطب، بقراط عصره، وجالينوس زمانه، وختم به هذا العلم، ولم يكن في الماضين من بلغ مداه في الطب، عمّر طويلا، وعاش نبيلا جليلا، رأيته وهو شيخ بهي المنظر، حسن الرُّواء، عذب المجتلى والمجتنى، لطيف الروح، ظريف الشخص، بعيد الهم، عالي الهمة، ذكي الخاطر، مصيب الفكر، حازم الرأي، شيخ النصارى وقسيسهم، ورأسهم ورئيسهم، وله في النظم كلمات رائقة، وحلاوة جنية، وغزارة بهية، وكان بينه وبين أبي البركات: هبة الله بن علي – **الحكيم المشهور، صاحب كتاب: المعتبر في الحكمة** – تنافر وتنافس، كما جرت العادة بمثله، بين أهل كل فضيلة وصنعة، ولهما في ذلك أمور، ومجالس مشهورة، وكان يهوديا، ثم أسلم في آخر عمره، وأصابه الجذام، فعالج نفسه بتسليط الأفاعي على جسده، بعد أن جوَّعها، فبالغت في نهشه، فبرئ من الجذام، وعمي، وقصته مشهورة.

وقيل: إن أوحد الزمان كان سبب إسلامه أنه دخل يوماً إلى الخليفة فقام جميع من حضر إلا القاضي، فإنه كان حاضراً ولم ير أنه يقوم مع الجماعة لذمّيٍّ. فقال أوحد الزمان: يا أمير المؤمنين! كأنَّ القاضي لم يقم مع الجماعة لكونه يرى أنه على غير ملّته. فأنا أُسلم بين يدي مولانا، ولا أتركه ينتقصني بهذا ..!، وأسلم.

قال: وكان لأوحد الزمان ثلاث بنات، ولم يخلّف ولداً ذكراً. وعاش نحو ثمانين سنة.

قال: وكان بين أوحد الزمان وأمين الدولة ابن التلميذ معاداة، وكان أوحد الزمان لما أسلم يتنصَّل كثيراً من اليهود، ويلعنهم، ويسبُّهم، فلما كان في بعض الأيام، في مجلس بعض الأعيان الأكابر، وعنده جماعة وفيهم أمين الدولة ابن التلميذ ، وجرى ذكر اليهود ، فقال أوحد الزمان: لعن الله اليهود.

فقال أمين الدولة: نعم! وأبناء اليهود.

فوجم لها أوحد الزمان، وعرف أنه أشار إليه، وعناه، ولم يتكلم!!.

ومنهم:

١٠١- أبو القاسم هبة الله بن الفضل البغدادي*

علم طب وبيان، وإمام فضل ملء سمعٍ وعيان، فأتى بما غلا، ومات مديحاً وغزلا، وجاء بضريب الضرب، وغريب الحكمة التي ...[1] اليونان وألسنة العرب، وكان الطب عليه أغلب ، والسبب إليه أجلب، فكان به ارتفاقه، ومنه

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء لابن أبي اصيبعة ٣٨٠-٣٨٩، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة٢٩٤.

١ : كلمة مطموسة لم أتبينها.

إنفاقه، وكان له هجوٌ يجرِّع المهجوّ سُمَّ الأساود[١]، وسقماً كلما قيل برأ منه يعاود.

هذا إلى مُلَحٍ أظرف من غرائب البحار،وألطف من النسيم، إذا عبث بأعطاف الأشجار.

قال ابن أبي أصيبعة[٢]: " كان يعاني صناعة الطب، ويباشر أعمالها، ويعدُّ من الموصوفين فيها، إلا أن الشعر غلب عليه، وكان كثير النوادر وبينه وبين الحيص بيص[٣] شنآن وتهاتر، وكانا قد يصطلحان وقتاً، ثم يعودان إلى ما كانا عليه، وهو الذي ألصق بالحيص بيص هذا اللقب، وذلك لأن السلطان السلجوقي لما قصد بغداد في أيام المقتفي ، وهمَّ عسكرها بالخروج إليه، وكان الناس من ذلك في حديث كثير وحركة زائدة، فقال: مالي أرى الناس في حيص بيص؟. فألصق به هذا اللقب.

قلت: كان الحيص بيص على ما هو منه معروف؛ فخرج يتمشَّى ليلاً حيث لا يقدم إلا الأبطال، ولا يمشي إلا من قصُر عنده باع الخوف وطال، فمرَّ بكلبةٍ

---

١ :جمع أسود، والأَسْوَدُ هو : العظيم من الحيات وفيه سوادٌ والجمع الأساوِدُ. قاله في مختار الصحاح.

٢ : عيون الأنباء – ٣٨٠ .

٣ : الأمير شهاب الدين أبو الفوارس ، سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي، من ولد أكثم بن الصيفي، من أهل بغداد، شاعر جزل الشعر ، قرأ عليه الأصفهاني ديوان شعره، وله ابتداءات حسنة مخترعة، ومخالص مستطرفة مبتدعة، أورد له صاحب الخريدة شعراً رتَّبه حسب القوافي في المديح، والافتخار، والمراثي، ولم ير الأصفهاني شيئاً من أهاجيه لأنه نزَّه ديوانه عنها، وله رسائل ومكاتبات وهو فقيه. توفي ببغداد سنة ٥٧٤هجرية = ١١٧٩م، عن سن ٨٢ سنة. له ديوان شعر، ورسائل. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١ / ٢٠٢، والمنتظم ١٠ / ٢٨٨، والأعلام للزركلي ٣ / ٨٧ .

مُجرِية (١)، رآها فما خافها، وهي تسطو بأنيابٍ وأظفار، وتهول مثل الليل بلا أسفار؛ فنبحت عليه نباحاً ظُنَّ به أن الجبال عليه قد أطبقت، أو الجيوش به قد أحدقت، فامتشق سيفه وخطا إليها وقدَّم قدمه، وأقدم عليها ، ثم دهش للخوف من بأسها، فأضلَّها، وإنما أصاب بالسيف جرواً لها.

فقال أبو القاسم :[**البسيط**]

يا معشر النَّاسِ إن الحيص بيص أتى ... بفعلةٍ أورثته الخزي في البلدِ
هو الجبان الذي أبدى شجاعته ... على جريٍّ ضعيفِ البطش والجَلَدِ
فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت: ... دم الأبيلق عند الواحد الصَّمدِ
أقول للنفس تأساءً وتعزيةً ... إحدى يديَّ أصابتني ولم تردِ
كلاهما خلفٌ من فقد صاحبه ... هذا أخي حين أدعوه، وذا ولدي

وكان المقتفي حين بويع شيخاً قد علت سِنُّه واحدودب غصنه، ووزيره ابن الهبيرة مَن عُلِم زهاده ، ومداومة درس، وعباده. وكان أبو القاسم يستطيل مدتهما، ويكره بأسهما الذي لا يلين، وشدَّتهما؛ فجلس يوماً المقتفي وابن هبيرة واقف أمامه ، ومصرف زمانه هذا، وقد استقل أبو القاسم طول ايامهما ، وامتداد دوامهما، فقال :[السريع]

يا معشر الناس!، النفيرَالنفير ... قد جلس الهردب (٢) فوق السرير
وصار فينا آمراً ناهياً ... وكنت أرجو أنه لا يصير
فكلَّما قلت: قذىً ينجلي ... وظلمةٌ عما قليل تنير

---

١ : قوله "**مجرية**" أي لها جراء، وهي صغار الكلاب.

٢ : **الـهِرْدَبُ** والـهِرْدَبَّةُ: الجَبانُ الضَّخْمُ، الـمُنْتَفِخُ الجوفِ الذي لا فُؤَاد له؛ وقيل: هو الجَبانُ الضَّخْمُ، القليلُ العَقْلِ. والـهِرْدَبَّةُ: العجوزُ.أ

فتحت عيني فإذا الدولة　　الدولة والشيخ الوزير الوزير

وقال يهجو البديع الإسطرلابي، وكان قد حجَّ: [**مجزوء الكامل**]

لا غرو أن دهى الحجيج　　وإن رموا منه بنكبة

حج البديع وعرسه[1]　　وفتاه فانظر أي عصبه؟

فثلاثة من منزلٍ　　علق[2]، وقوَّادٌ، وقحبه!

وقال: [**السريع**]

يا خائف الهجو على نفسه　　كن في أمان الله من مسِّه

أنت بهذا العرض بين الورى　　مثل الخرا يمنع من نفسه!!

وقال: [**السريع**]

أمدحه طوراً، وأهذي به　　طوراً، ولا أطمع في رفده

مثل إمامٍ بين أهل القرى　　صلَّى بهم والزيت من عنده!

وأورد له ابن سعيد، ومن ذا الذي يسمع الحسن ولا يستعيد؟، وذلك قوله: [**الكامل**]

خطرت فكاد الوُرق يسجع فوقها　　إن الحمام لمغرمٌ بالبان

من معشرٍ نشروا على هام الربى　　للطارقين ذوائب النيران

١ : **عرسه**: زوجته.

٢ : **العلق**: هو في أصل اللغة من كل شيء، أو هو الخمر، ويطلق على الجراب، ولعله استعمله هنا على سبيل الشتم والذم.

ومنهم:

١٠٢- فخر الدين المارديني*

الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد الساتر الأنصاري.

رجلٌ من أسرة الأنصار، ومن سُرَّة أهل المدينة إذا عُدَّت بيوت الأمصار، في مزايا ذوي الهبات في المنن، وبقيايا ذوي الهيئات من يمن.

وكان من علماء الحكماء، ونبلاء الفضلاء، وأحبار الأنام، وأخيار من لا يرى مثله إلا في المنام.

قال ابن أبي أصيبعة(١): " كان علاَّمة وقته في الحكمة، قويَّ الذكاء، فاضل النفس، محبّاً للخير، متقناً للُّغة والنحو.

وأجداده من أهل القدس، قرأ الطب على ابن التلميذ، وقرأ ابن التلميذ عليه المنطق، وقدم دمشق وأقرأ بها الطب، وكان لن مجلس عامٌّ للتدريس. وممن قرأ عليه : المهذَّب عبد الرحيم بن علي، وطلب منه الملك الظاهر أن يقيم عنده بحلب ، وأنعم عليه بمالٍ طائل، فأقام عنده سنتين ثم عاد إلى ماردين، ووقف كتبه في المدرسة بها، وآخر ما قاله عند موته: " اللهمَّ إني آمنت بك وبرسولك

---

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٠٢-٤٠٣، والوافي بالوفيات للصفدي ٣/٢٥٥، وابن العبري - تاريخ مختصر الدول ٤١٧، والأعلام لخير الدين الزركلي ٦/٢٠٥، وهدية العارفين للبغدادي ٢/١٠٤، وإيضاح المكنون للبغدادي ٢/٢٣٢، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠/١٧٠.

١ : عيون الأنباء ٤٠٢.

الصادق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إن الله يستحي من عذاب الشيخ (١)

ومنهم:

١٠٣- أبو نصر المسيحي*

وهو سعيد بن أبي الحسن بن [أبي الخير] بن عيسى.

١: جاء إن الله يستحي أن يعذب شيبةً شابت في الإسلام. هكذا ذكره الغزالي في الدرة الفاخرة، ورواه السيوطي في الجامع الكبير عن ابن النجار بسند ضعيف بلفظين آخرين: أحدهما: (إن الله ليستحي من عبده وأمته يشيبان في الإسلام يعذبهما).
ثانيهما: (إن الله عز وجل يستحيي من ذي الشيبة إذا كان مسدَّدا كروما للسنة أن يسأله فلا يعطه) انتهى.
وذكر الغزالي في الدرة الفاخرة لذلك حكاية، قال فيها روي عن يحيى بن أكثم القاضي أنه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال: أوقفني بين يديه الكريمتين، ثم قال: يا شيخ السَوْء فعلت كذا وفعلت كذا وفعلتَ وفعلت؟، فقلت: يا رب ما بهذا حُدِّثت عنك، فقال بم حُدِّثتَ عني يا يحيى ؟ فقلت: حدثني معمر عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، عن نبيك صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام، عنك يا ذا الجلال والإكرام أنك قلت: (إني أستحي أن أعذب ذا شيبة شابت في الإسلام، فقال: يا يحيى صدقت، وصدق الزهري، وصدق معمر، وصدق عروة، وصدقت عائشة، وصدق نبيي، وصدق جبريل، وصدقت، اذهب فقد غفرت لك. انظر: كشف الخفاء ١ / ٢٤٤. فليس يراد به انقباض النفس، إذ هو تعالى منزه عن الوصف بذلك وإنما المراد به ترك تعذيبه، وعلى هذا ما روي: (إن الله حيي) (الحديث عن سلمان عن النبي قال: (إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم. قال البغوي: هذا حديث حسن غريب. وقال ابن حجر: سنده جيد. راجع: فتح الباري ١١ /١٤٣؛ وشرح السنة ٥ / ١٨٥؛ وسنن ابن ماجه ٢ / ١٢٧١؛ وسنن أبي داود برقم (١٤٨٨) كتاب الصلاة، باب الدعاء؛ وعارضة الأحوذي ١٣ /٦٨؛ والحاكم ١ /٤٩٧؛ وانظر: الفتح الكبير ١ / ٣٣٣.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٠٣-٤٠٥، ولويس شيخو - علماء النصرانية في الإسلام ١٦٨-١٦٩، وموسوعة علماء الطب ٦٩.

طبيبٌ عرَّف به علمه، وفرَّع كل علاج لم يحظ فيه حكمه، طالما أبرات العلل هذه المسيحية بمسحها، وأبدلت ببياض ثوب العافية سواد مسحها، واحتاج إليه كل متطبِّب، وكان طبه الباعث للصحَّة أو المسبِّب.

قال ابن أبي أصيبعة[١] : " من المتميزين في صناعة الطب، والأفاضل من أهلها، والأعيان من أربابها.

ومرض الناصر لدين الله [٢] بالرَّمل، وعرضت له في المثانة حصاة كبيرة، مفرطة في الكبر، واشتدَّ به الألم، وطال المرض، وضجر من العلاج، فأشير عليه بأن يشق المثانة لإخراج الحصاة، فسأل عن جرائحي حاذق؟ فقيل له: ابن عكاشة؛ فأُحضِر، وشاهد العضو العليل، وأمره ببطِّه[٣] فقال: أحتاج أن أشاور مشايخ الأطبَّاء في هذا.

فقال له: فمن تعرف من صالحيهم؟.

قال: أبو نصر المسيحي، فإنه ليس في البلاد بأسرها من يماثله. فطلبه، فلما حضر قال له: اجلس. فجلس ساعة ولم يكلِّمه، [ولم يأمره بشيء حتى سكن روعه].

ثم قال له الناصر: يا أبا نصر! مثِّل نفسك أنك دخلت إلى البيمارستان وأنت تباشر به مريضاً قد ورد من بعض الضياع، وأريد أن تباشر مداواتي، وتعالجني من هذا المرض كما تفعل بمن هذه صفته.

---

١ : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٠٣.

٢ : **الناصر لدين الله،** احمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد ، أبو العباس ، الناصر لدين الله خليفة عباسي بويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة ٥٧٥ هجرية، وطالت أيامه حتى إنه لم يل الخلافة من بني العباس أطول مدة منه، يوصف بالدهاء على ما في أطواره من تقلُّب، وكانت ولادته سنة ٥٥٣هجرية، ووفاته ٦٢٢هجرية.

انظر ترجمته في: ابن الأثير ١١ / ١٧٣، وتاريخ الخميس ٢ / ٣٦٦، والأعلام للزركلي ١ / ١١٠.

٣ : بَطَّ الجُرْحَ والصُّرَّةَ: شَقَّه. القاموس مادة بطّ.

فقال: السمع والطاعة؛ ولكني أريد أن أعرف مِن هذا الطبيبِ المتقدِّم مبادي المرض، وأحواله، وتغيراته، وما عالج به منذ أول المرض وإلى الآن.

فأحضر الشيخ أبو الخير، وأخذ يذكر ابتداءات المرض، وتغيّر أحواله، وما عالج به من أول المرض وإلى آخر وقت.

فقال: التدبير صالح، والعلاج مستقيم.

فقال الخليفة: هذا الشيخ اخطأ، ولا بدَّ لي من صلبه!.

فقام أبو نصر المسيحي، وقبَّل الأرض، وقال: يا مولاي! بحقٍّ الله عليك وبمن مضى من أسلافك الطاهرين، لا تسُنَّ على الأطبَّاء هذه السُّنَّة. وأما الرجل فلم يخطىء في التدبير، ولكن بسوء حظه لم ينته المرض.

فقال: قد عفوت عنه، ولكن لا يعود يدخل عليَّ؛ فانصرف.

ثم أخذ أبو نصر في مداواته، فسقاه ودهن العضو بالأدهان والملينات، وقال له: إن أمكن أنا نلاطف الأمر بحيث تخرج هذه الحصاة من غير بطٍّ؛ فهو المراد. وإن لم تخرج، فذلك لا يفوتنا.

ولم يزل كذلك يومين، وفي ليلة اليوم الثالث رمى الحصاة، فقيل إنه كان وزنها سبعة مثاقيل(١)، وقيل: خمس، وقيل: إنها كانت على مقدار أكبر من نواة تكون من نوى الزيتون.

١: جمع مثقال: وهو اسم لما له ثقل سواء كبر أو صغر. وغلب عرفه على الصغير، وصار في عرف الناس اسماً على الدينار، ويرجع إطلاق المثقال على الدينار في العصر الإسلامي إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٧٦هجرية، بعد إصلاحه نظام النقد في الدولة الأموية، إذ جعل المثقال وحدة الذهب، وقرر أن يكون وزن الدينار مثقالاً واحداً كما كان قبلاً، أي ٥ر٦٥ حبة، أو ٢٥ر٤ غراماً، وقد حدث مثل ذلك أكثر من مرة في عهد المماليك في مصر. هذا وكان المثقال يطلق أيضاً على الدرهم من الفضة عامة الأوزان في بلاد العرب زمن الجاهلية على ثلاثة أوزان ومن بينها واحد=

وتتابع الشفاء، ودخل الحمَّام فأمر بأن يدخل أبو نصر إلى دار الضرب[1]، ويحمل من الذهب ما يقدر عليه. ففعل به ذلك، ثم أتته الخِلع، والدنانير من أم الخليفة، ومن ولديه الأميرين محمد وعلي، والوزير نصير الدين بن مهدي العلوي الرازي، ومن سائر كبار الأمراء بالدولة، فأما أم الخليفة وأولاده، والوزير، والشرابي نجاح[2]، فكانت الدنانير من كل واحد ألف دينار، وكذلك من أكابر الأمراء، والباقين على قدر أحوالهم، فأخبرتُ أنه حصَّل من الذهب العين: عشرين ألف دينار، ومن الثياب والخلع: جملة وافرة. وألزم الخدمة، وأفرطوا له الجامكية اسنيَّة، والراتب، والإقامة، ولم يزل مستمراً في الخدمة إلى أن مات الناصر لدين الله.

قال: وحدَّثني بعض الأطباء أن ابن عكاشة الجرائحي كان نذر عليه أن يتصدَّق في بيعة سوق الثلاثاء بالربع مما يحصل له، وأنه حمل إلى البيعة مائتين

= فقط على وزن المثقال. **انظر**: صبح الأعشى للقلقشندي ٣ / ٤٤٠-٤٤٤. والماوردي - كتاب الأحكام السلطانية ١٤٧.

١: **دار الضرب**: كانت من منشآت الفاطميين، بناها المأمون بن البطائحي وزير الآمر سنة ٣١٥هجرية، بجهة القشاشين وسميت بالدار الآمرية، نسبة إلى الخليفة الآمر بالله، وقرر المأمون البطائحي دور الضرب بالإسكندرية، وقوص، وعسقلان، ثم لما بنى الناصر محمد بن قلاون قصره المعروف به جعل دار الضرب في وسطه. انظر: صبح الأعشى للقلقشندي ٣ /٣٤٨-٣٤٩، و٤ / ٣٥. والخطط للمقريزي ١ /٤٠٦.

٢: **نجاح الشرابي**، الأمير نجم الدولة مولى الناصر لدين الله، كان كبير القدر، معظَّماً، ملازماً لأمير المؤمنين الناصر، لا يكاد يغيب عنه، ويعتمد عليه، وهو الكل، وكان ديِّناً، سمحاً، جواداً، عاقلاً، رئيساً، يحب المساكين ويؤثرهم، ويأخذ للضعيف من القوي، وكان يسمى سلمان دار الخلافة، وكان أسمر اللون. لما مات سنة ٦١٥هجرية، حزن عليه الخليفة حزناً شديداً، وتصدق عنه من ماله بعشرة آلاف دينار، وكانت له جنازة مشهودة. انظر ترجمته في: الكامل للتاريخ ١٢ /٣٥٣، والتكملة لوفيات النقلة ٢ / ٤٤٠، رقم ١٦٢٠، وذيل الروضتين ١١٣-١١٤، والبداية والنهاية ١٣ / ٨٢.

وخمسين ديناراً . وصرف أبو الخير المسيحي من الخدمة، وقد كانت منزلته قبل ذلك جليلةً عنده، ومحلُّه مرتفعاً، ووصله هبات وصلات عظيمة، فمن جملتها أنه أعطاه خزانة كتب الأجل أمين الدولة ابن التلميذ، وكان قد مرض الناصر مراراً وبرأ على يديه ، فحصل له جملة وافرة.

ثم توفي الشيخ أبو الخير في أيام الناصر فقيل له: إنه قد توفي وترك ولداً متخلفاً ، وعنده جملة عظيمة من المال.

فقال: لا يعترض ولده فيما ورثه من أبيه، فما خرج من عندنا لا يعود إلينا.

ومنهم:

١٠٤- أبو الفرج ابن توما *

وهو: صاعد بن [يحيى بن][١]هبة الله بن توما النصراني[أبو الكرم] البغدادي.

توصَّل بنجاح فنجح، ومتَّ بصلاح عمله فبجح، وعدل بالآباء فرجح، وملك رياسة الأطبَّاء فنجح، وورث ببلاد العراق بخت بختيشوعها، وحاز ما جرّ جرجيس إليه من مدد ينبوعها، وأبقى له يعقوب بن أسحاق أخو كندة ما كان أبقاه ليوسفه، وخلّى له أحمد بن الطيب فتى سرخس ما خصَّ نصيبه من طيب مخلفه.

*(ت٦٢٠هـ) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة ٤٠٥-٤٠٦،و فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١ / ١٩١، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ٤٢١، والأعلام لخير الدين الزركلي ٣ /١٨٧، وعلماء النصرانية في الإسلام – لويس شيخو ١٧٧-١٨٠، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة ١٧٨.

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط الأصل استكمل من "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" للقفطي ص ١٤٤.

قال ابن أبي أصيبعة[١]: " كان من أكابر الأطباء، وخدم نجاح الشرابي[٢]، ثم صار وزيره وكاتبه، ثم دخل إلى الناصر وكان يشارك أطباءه في معالجته، ثم حظي عنده الحظوة التامة، وسلَّم إليه عدَّة جهات يخدم بها، وكان فيها عدَّة دواوين وكتاب.

وقتله بعض الجند المرتزقين تحت يده، وقيل الخليفة، فنكبه وأبقى أملاكه وعروضه لولده، وحمل ما خلفه من المال العين إلى الخزانة، وكان ثمانمائة ألف وثلاثة عشر ألف دينارا".

قال ابن القفطي – وقد ذكره وأثنى عليه –[٣]: " إنه كان قد تقدَّم في أيام الناصر إلى أن كان بمنزلة الوزراء، والأمراء، واستوثقه على حفظ أمواله وأموال خواصِّه، وكان يودعها ، وكان يظهر له في كل وقت، ويرسله في أمور خفية إلى وزرائه، وكان جميل المحضر، حسن التوسط، قضيت على يده حوائج ، وكفيت شرور، ولم ير له غير شاكر ناشر".

---

١ : عيون الأنباء ٤٠٥.

٢ : سبقت ترجمته .

٣ : أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ١٤٤–١٤٥.

طبقات الأطباء ببلاد العجم

منهم:

١٠٥ - تياذورس*

إمام الحكماء في دولة الفرس، والماضي فيهم زمانه، المضيء كأنه ليلة العرس، وكان على كونه ذمَّة فيهم وموالياً أمةً تنافيهم تكرمه ملوك آل ساسان، وتطعمه من جني جنايتهم ثمر الإحسان، وكان يتقرَّب إليهم بما يلائم، ويقرب لديهم كل منىً كان لا يطمع بها منهم نائم.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان نصرانياً، وله معرفة جيدةٌ بصناعة الطب، وبنى له سابور ذو الأكتاف البِيَعَ في بلاده، وكان عالماً بالصناعة، موسوماً بها، متميزاً في زمانه، فاضلاً في علوم الفرس والهند، وهو الذي جلب كتاب كليلة ودمنة إلى أنوشروان، وترجمه له" .

ومنهم

١٠٦ - ربن الطبري*

لاءم الفرسَ طِبُّه، وقاوم حبَّ أنفسهم حبَّه، وكانوا يرونه زين مجالسهم وعين مجانسهم، هذا وما هو من أهل معتقدهم، ولا ممن يحلّ مثله في معهدهم، ولم يحاول عملاً إلا كان به بصيرا، ولا علماً إلا وانقلب الطرفُ إليه لا خاسئاً ولا حسيرا.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان يهودياً، طبيباً، منجماً، من أهل طبرستان، وكان

---

* **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء - ٤١٣.

* **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤١٤، وأخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي ١٢٨.

متميزاً في الطب، عالماً بالهندسة وأنواع الرياضة، وحلَّ كتباً حكمية من لغة إلى لغة أخرى. وكان له تقدُّمٌ في علم اليهود - والربن والربين والراب -[1] أسماء لمقدّمي اليهود".

ومنهم:

١٠٧- علي بن سهل بن ربن الطبري أبو الحسين*

قوي المشاركة، قويم الجدد في الطرق السالكة، يجلي نوره الظلم، ويطفي تدبيره الضَّرَم، ويقوم الأبدان، ويقوم طبُّه مقام الشمس في بُرء البلدان ولم يعدم ومضه، إلى أدبٍ بدت له تضيء لمعانها، ويجيء بمسود اللمم ريعانها، ويدنو مداها ويبعد مكانها.

قال ابن النديم: " علي بن ربل - باللام -، كان يكتب للمازيار بن قارن، فلما أسلم على يد المعتصم قرَّبه، وظهر فضله، وأدخله المتوكِّلُ في ندمائه، وكان بموضعٍ من الأدب وهو الذي علَّم الرازي صناعة الطب، وكان مولده ومنشؤه بطبرستان.

١: ذكر في تكملة المعاجم العربية ٥ /٨٢: " لفظة لا تينية معناها: " قشرة المقرحة أو الجرح، وجب، ومعني رَبْيَن الجرح: صارت عليه قشرة ، فتَرَبْيَن، أي: علته قشرة.

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤١٤، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٤ / ٢٦١-٢٦٣، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة٧ / ١٠٦، والطب عند العرب والمسلمين لمحمود الحاج قاسم محمد، وتاريخ الكحماء للقفطي ٢٣١، والوافي بالوفيات للصفدي ١٢ / ٧٦، والفهرست لابن النديم ١ / ٢٩٦، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ٢٢-٢٣، وكنوز الأجداد لمحمد كرد علي ٧١-٧٣، وهدية العارفين للبغدادي ١ / ٦٦٩، وموسوعة أطباء العرب ٢٠٤ .

ومن كلامه: " الطبيب الجاهل مستحث الموت" .

ومنهم:

١٠٨ - أحمد بن محمد الطبري *

أبو الحسن. تقدَّم بتقديم المعرفة، وتقدَّم إلى الدَّاء فصرفه، مع إتقان لتشريح الأعضاء، واتِّقاءٍ لغير صريح الارتضاء، بفهمٍ يحسن الاستنباط، وعلمٍ يحسب في معرفة ما بين القصب والرباط، هذا إلى استقصاء الأعراض والدلائل والأمراض بسبب من خارج أو داخل، لم يعد الصواب حدسه، ولا عُدَّ في ذوي الخطأ حسُّه، حتى قيل إنه لو أراد لأطال شعر الأجفان، وأقام الأموات من الأكفان بتلطُّفٍ يكاد يمسك به رمق النهار، ويرم في الصباح صبغة الليل الشايب.

قال ابن أبي أصيبعة: " فاضلٌ عالمٌ بصناعة الطب، وكان طبيب ركن الدولة، وله الكُنَّاش" المعروف بـ"المعالجات البقراطية" وهو من أجلِّ الكتب، وأنفعها، يحتوي على مقالات كثيرة، وقد استقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها على أتمِّ ما يكون" .

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٢٧، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢ / ١١٢، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٨١.

ومنهم:

١٠٩- أبو منصور: الحَسَنُ بنُ نُوحٍ القُمْرِيُّ*

قمر سماءٍ، ورقم عذار ظلٍّ في وجنة ماء، ونَوء حكمة ما تقشع سحابها، ولا توشع بغير مطرف الفضائل سحابها، أتى مجلس الرئيس ابن سينا وحضره، وشاهد سيما سمته ونظره، وكان يعدّه فيمن أدركه ويعدُّ من العلم له ما تركه، ويطوي في حفظه من علمه البارع ما نشره، ويأخذ منه إلا أنه أخذ شره ولم يكن مثله في تعديل قوي ممتزجة، وملاطفة بعلاج موافق لا تنفر منه الأمزجة.

قال ابن أبي أصيبعة: "كان سيد وقته وأوحد زمانه، مشهوراً بالجودة في صناعة الطب، محمود الطريقة في أعمالها، فاضلاً فيها، حسن المعالجة، جيد المداواة، متميزاً عند الملوك.

وحكي عن الخسروشاهي أن ابن سينا لحق أبا منصور وهو شيخ كبير، وكان يحضر مجلسه ويلازم دروسه، وانتفع به في علم الطب.

---

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٣٥-٤٣٦، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١٧٥٠، وإيضاح المكنون للبغدادي ٥٦-٥٧، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/ ٢٩٩، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٣٤-١٣٥.

ومنهم:

١١٠- أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني *

له في الطب يدٌ بيضاء كليميَّة(١)، وفي إطفاء نار الحمَّى آية غرَّاء إبراهيمية، مسحت بطبِّه الأدواء، وصلحت اللأواء(٢)، وصحَّت الأجسام، وصحت الأسقام، وسحَّت السحب بمطر الإنعاش، وتهلَّلت وجوه البرق الوسام، وحسبه أن ابن سيناء من جملة علمه إذا زخر ومن حمدة عزمه إذا فخر.

وكان من بعض فضلاء المتأخرين المتبحِّرين يفضِّله على ابن سيناء، ويجعل له عليه أسناء، ويثني عليهما، وإنما يوفر له الثناء.

قال ابن أبي أصيبعة(٣): " هو طبيب فاضل، بارع في صناعة الطب، علمها وعملها، فصيح العبارة، جيد التصنيف، صحيح الكتابة، متقناً للعربية".

قال: "وقد رأيت بخطِّه كتابه في "إظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان"(٤)، وهو في نهاية الصحة والإتقان، والإعراب والضبط، وهو يدلُّ على

*(ت سنة ٤٠١هـ) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٣٦-٤٣٧، وهدية العارفين للبغدادي ١/ ٨٠٦، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ٩٥، وعلماء النصرانية في الإسلام للويس شيخو ٩٤-٩٦، ودائرة معارف البستاني للدكتور فؤاد بطرس البستاني ٤/ ٣٧٢، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٤/ ٢٩٤، والأعلام لخير الدين زركلي ٥/ ١١٠، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨/ ٣٥، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٦٤-٦٥.

١ : نسبة إلى كليم الله سيدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات.

٢ : **اللأواء**: الشِّدة وَضيق المَعيشة.

٣ : عيون الأنباء ٤٣٦.

(٤) : أجمل فيه ما ذكره جالينوس عن منافع الأعضاء مع زيادات نفيسة .

فضلٍ باهر، وعلمٍ غزير".

قال: " وقيل: إن المسيحي هو معلم ابن سينا صناعة الطب. وقال عبيد الله بن جبريل: إن المسيحي كان بخراسان، وكان مقدَّماً عند سلطانها، وإنه مات عن أربعين سنة".

ومن كلامه: " نومةٌ بالنهار بعد أكلةٍ خير من شربة دواء نافع"، انتهى(١).

ومنهم:

١١١- السيد أبو عبد الله محمد بن [يوسف] الإيلاقي*

رجع بنسبه إلى والدٍ شريف، وبحسبه إلى تالد (٢) وطريف، فقيل في ظل علم متكاثف الشجر، متراكم السحب، هطَّال المطر، سرت النوافح بأعطافه، وسرَّت بألطافه، وصيّرت ثمره في أوان قطافه.

قال ابن أبي أصيبعة: " هو شريف النسب، فاضلٌ في نفسه، خبيرٌ بصناعة الطب والعلوم الحكمية، وهو ممن أخذ عن الرئيس ابن سينا، واختصر "القانون" وأجاد في تأليفه، وله كتاب: "الأسباب والعلامات" - في الطب -.

١: وله من الكتب: كتاب "المائة في الطب" أو "ديوان الطب"، وهو من أجود كتبه وأشهرها، ولأمين الدولة ابن التلميذ حاشية عليها، ويقع في مجلدين ضخمين، ومن كتبه: "الطب الكلي"، و"أصول علم النبض"، و"أصول الطب"، و"المسائل في الطب"، و"مقالة في الجدري"، و"العلم الطبيعي"، و"كتاب الوباء"، و"مختصر المجسطي".

*(ت ٤٨٥ هجرية) **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٥٩، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١٢٦٦، وهدية العارفين للبغدادي ٢/ ٧١، والأعلام لخير الدين الزركلي ٧/ ١٤٨، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٢/ ١٢٣، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٢٤٢- ٢٤٣.

٢: **التالد**: المال القديم الأَصليُّ الذي وُلد عندك، وهو نقيض الطارف.

ومنهم:

١١٢- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني*

ذكي يفوح عبق ريحانه، ويكرم أرج عنبره بامتحانه.

تكلّم على الكواكب ورسومها وحدودها، والنجوم ونحوسها وسعودها، وناظر الفحول، وناضل النصول(١)، وله حكمةٌ تلمع مشارق أنوارها، وتصدع حصباء الفجر سابق نوارها.

قال ابن أصيبعة: " هو منسوب إلى بيرون، من مدن السند، وكان مشتغلاً بالعلوم الحكمية، فاضلاً في الهيئة والنجوم، وكان معاصراً للرئيس ابن سينا، وبينهما بحوث ومراسلات، وقد ذكر الرئيس أجوبة مسائل سأله البيروني عنها، مفيدة في الحكمة"(٢).

---

*(٣٦٢- ٤٤٠هـ) **ينظر ترجمته في**: الأنساب للسمعاني ٢/٣٦٣، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٥٩، والمشترك وضعاً ١٠١، ومعجم الأدباء ١٧/ ١٨٠-١٩٠، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨٦ - ١٨٧، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ٧٢-٧٤، وروضات الجنات ١٧٩-١٨٠، وبغية الوعاة ١/ ٢٠-٢١، وهدية العارفين للبغدادي ٢/ ٦٥-٦٦، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨/ ٢٤١-٢٤٢، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين ٤/ ٥٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٩/ ٣١٣ - ٣١٤.

١ : **النصول**: جمع نصل؛ والنَّصْلُ والنَّصْلانُ: حديدةُ السَّهْم والرُّمْحِ والسيفِ ما لم يكنْ له مَقْبِضٌ، ج: أنْصُلٌ ونِصالٌ ونُصولٌ. ذكره في القاموس" مادة نصل".

٢ : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٥٩. وله من الكتب: " الجماهر في الجواهر"، وكتاب "الصيدلة في الطب"، وكتاب "مقاليد الهيئة"، وكتاب "تسطيح الهيئة"، مقالة في استعمال الإصطرلاب، وكتاب "الزيج المسعودي"، صنفه للملك مسعود بن السلطان محمود بن سبكتكين، وتصانيف أخرى.

ومنهم:

١١٣- أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه الأصبهاني، أبو علي*

من دار ملك لا يقعد به بلده، وابن أبٍ لا يستحي به ولده، تحلَّل بالمناقب التي ما ضاقت به ملابسها، ولا دنت لغيره ملامسها، وفاضت به ينابيع الحكم، وسهلت له صعابها التي كم رامها غيره وكم.

قال ابن أبي أصيبعة: " هو من الأطباء المذكورين في بلاد العجم، وخدم جماعةً من ملوكها ورؤسائها(١)، وكانت له أعمال مشهورة في صناعة الطب، وكان من ذوي البيوتات الأجلاَّء بأصبهان، وكان أبوه فاضلاً في علم الأدب، وأمر الدين، وله أشعار حسنة منها: [**الوافر**]

ويمسي المرء ذا أجل قريب   وفي الدنيا له أملٌ طويلُ
ويعجل بالرحيل وليس يدري   إلى ماذا يقرُّ به الرحيلُ

ولأبي عليٍّ هذا كتب كثيرةٌ (٢) ذكرها ابن أبي أصيبعة في كتابه " بغية

*(ت ٤١٠هـ) **ينظر ترجمته في**: عيون الانباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٥٩، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٤ /٢٩٣، والوافي بالوفيات للصفدي ٦ /٣٦-٣٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٥٧٣، ٨٤٩ – ٨٥٣، وتاريخ الحكماء للقفطي ٤٣٨، وإيضاح المكنون للبغدادي ٢ /٢٥٩، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١ /٢٦٩، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٧٧.

١: استدعاه عضد الدولة فنا خسرو – المتوفى سنة ٣٧٢ هجرية = ٩٨٢ م – للعمل في البيمارستان الذي أنشأه ببغداد.

٢: منها: أربعون رسالة مشهورة إلى جماعة من أصحابه في الطب، و"رسالة إلى يعباد بن عباس في تدبير الجسد"، و"رسالة في تركيب طبقات العين"، و"رسالة في وصف المعدة والقصد لعلاجها"، و"رسالة في القولنج"، و"رسالة في علاج وجع الركبة"، وغيرها من الرسائل ذكرها ابن أبي أصيبعة فانظرها ثمة.

الألباء في تاريخ الأطباء"[١]

ومنهم:

١١٤- أبو القاسم عبد الرحمن بن علي
ابن أحمد بن أبي صادق النيسابوري*

وكان صادق الطلب، صادع الليل، سرى بحسن المتطلب منقبا عن الحكمة يستثيرها من أماكنها، ويستديرها سُرُجاً من مساكنها، ويستميرها أقواتا، ويستميلها قصباً تميل إليه انعطافا، وظباء تحسن إليه التفاتا.

قال ابن أبي أصيبعة: " هو طبيب فاضلٌ بارع في العلوم الحكمية، كثير الدراية في الصناعة الطبية، له حرصٌ بالغٌ في التطلُّع إلى كتب جالينوس، وما أودعه فيها من غوامض الطب وأسرار العلم، شديد الفحص عنها، وكان فصيحاً، بليغ الكلام، وما فسَّره من كتب جالينوس في نهاية الجودة والإتقان، كما فعل في كتاب: "منافع الأعضاء" لجالينوس، فإنه أجهد نفسه فيه، وأجاد في تلخيص معانيه.

وقد قال في أوله: " وأما نحن فقد حرَّرنا معاني هذا الكتاب شرحاً للعويص، وحذفاً للزائد ، ونظماً للتشتيت، وإضافة إليه" .

قال صاحب"بغية الألبَّاء "[٢]: وحدَّثني بعض الأطباء أن ابن أبي صادق

١ : انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٦٠.

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٦١، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ١١٤ - ١١٦، وإيضاح المكنون للبغدادي ٢/ ٢٧٩، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١٨٣٤، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥/ ١٥٤، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٨٣.

٢ : يقصد كتاب: "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة ، انظر صفحة ٤٦١.

اجتمع بابن سينا وقرأ عليه، وكان ممن تتلمذ له وأخذ عنه، قال: وكان هذا لا أستبعده بل هو أقرب إلى الصحة، لأن [ابن] أبي صادق لحق زمانه – أي زمان ابن سينا – وكان ببلاد العجم ، ولا شكّ أنه سمع بسمعة ابن سينا ، وكانت عظيمة، وكان أكبر من ابن أبي صادق قدراً" . ثم ذكر تأليفاته(١).

ومنهم:

١١٥– السّموأل بن يحيى بن عباس *

المغربي الأصل، البغدادي الدار، العادي حيث السحاب الهطّال دار، المادّ يد البدار ، الماد يد الاقتدار، ذو الذكاء الذي يضيء للمقتدح، ويضع في مهامه مهام الطلب منه المقترح، طلاّع كل نية، وطلاّب كل حنية، خرق العادة في ذكائه الفرط، ووقائه بالعلم الذي لا يقبل الغلط، على أنه لم يخل بإبداع فن، ولا أبدع حفظه علم يعرف بحقيقة أو ظنّ.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان فاضلاً في العلوم الرياضية، عالماً بصناعة الطبّ. وأصله من بلاد المغرب، وسكن بغداد مدةً، ثم انتقل إلى بلاد العجم، ولم يزل بها إلى آخر عمره.

---

١ : ومنها: شرح كتاب المسائل في الطب لحنين بن إسحاق، و" شرح كتاب الفصول" لأبي قراط، و" شرح كتاب منافع الأعضاء لجالينوس" ، وغيرها . انظر: عيون الأنباء ٤٦١.

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٧١–٤٧٢، والأعلام لخير الدين الزركلي ٣ / ١٤٠، وموسوعة علماء الطب لنهيكل نعمة الله ١٦٦ رقم ١٨٧.

قال عبد اللطيف البغدادي: هذا السَّموأل شابٌّ بغدادي، كان يهودياً، وأسلم [١]، ومات شاباً بمراغة[٢]، وبلغ في العدديات مبلغاً لم يصله أحدٌ في زمانه، وكان حادَّ الذهن جداً، بلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى، وأقام بديار بكر وأذربيجان، وله رسائل في الجبر والمقابلة، ردَّ فيها على ابن الخشاب النحوي، وكان معاصره، وكانت له في هذا العلم يد".

ومنهم:

١١٦- الشريف شرف الدين إسماعيل *

كمل شرف قديمه بحديثه،ووصل واني سراه بخبيثه، وعرف بأكمل أدوات العلوم ومداواة العموم وتحلّى بمفاخر الطلب لعلمٍ يبقيه، وجسم بصالح الطب يقيه.

وصل من الدولة الخوارزمية العظيمة الشان ما عُدَّ مثله لها من عظمتها، وامتدَّ ثرى ماله من نعمتها، وجرى في طلق آماله إلى غاية همتها.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان طبيباً عالي القدر، وافر العلم، وجيهاً في الدولة، وكان في خدمة السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، وله منه الأنعام الوافرة، والمرتبة المكينة، وكان له مقرَّرٌ على السلطان مبلغه ألف دينار في كل شهر،

---

١ : **قال**: وحسن إسلامه، وصنف كتاباً في إظهار معايب اليهود، وكذب دعاويهم في التوراة، ومواضع الدليل على تبديلها، وأحكم ما جمعه في ذلك". عيون الأنباء ٤٧١.

٢ : **مراغة**: بالفتح والغين المعجمة: بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان – غربي تبريز –.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٥ /٩٣-٩٤.

* **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٧٢.

وكانت له معالجات بديعة، وآثار حسنة في صناعة الطب.

وتوفي في أيام خوارزم شاه بعد أن عُمِّر، وله عدَّة مصنَّفات كلها بالفارسي [1].

١ : ذكر ابن أبي أصيبعة منها: "كتاب الذخيرة الخوارزم شاهية" في الطب، بالفارسي، اثنا عشر مجلداً. و"كتاب الأغراض" في الطب، بالفارسي، مجلدان. و"كتاب يادكار" في الطب، بالفارسي، مجلد، ألفه لخوارزم شاه. **انظر**: عيون الأنباء ٤٧٢.

أطبّاء الهند

منهم:

١١٧- شاناق الهندي*

هو ذو الحكم اللَّوامع، والكَلِم الجوامع، والتنبيهات الموقظة، والتمويهات المحفظة، والتشبيهات التي أخذت بأطراف الموعظة، نطق بها عن خاطرٍ صفا فلم يكدر، ووفى فلم يغدر، فجاءت سوانح، وجادت موانح، وحلَّت من القلوب محلاً، منذ دخلته سكنت به وأخلته.

قال ابن أبي أصيبعة: "كانت له معالجات وتجارب كثيرة في الطب، وتفنُّنٌ في العلوم الحكمية، ومما قاله في كتابه الذي سمَّاه: (منتحل الجوهر) :

"أيها الوالي!! اتَّقِ عثرات الزمان، واخش تسلُّط الأيام، ولوعة الدَّهر، واعلم أن للأعمال جزاءً فاتَّقِ العواقب، فإن لها غدرات، فكن منها على حذر، والأقدار

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٧٤. ويقول الدكتور كمال السامرائي في كتاب "مختصر تاريخ الطب العربي": إن هناك اختلافاً جذرياً بين ما ورد في التراثيات العربية وبين بحوث المستشرقين ي تراجم بعض الأطباء الهنود، فقد ذكر ابن النديم شاناق، وألحق باسمه كتاب "التدابير" وكتاب "الأدب" - الفهرس لابن النديم ٣٠٥-٣١٦ - وذكر طبيباً آخر باسم "كنكه" ونسب إليه أربعة كتب في المواليد والقرانات والأعمار" انظر الفهرست لابن النديم صفحة ٢٧٠" ، وذكر ابن القفطي نصَّ ما كتبه ابن النديم عن كنكة ومؤلفاته" تاريخ الحكماء صفحة ٢٦٥-٢٦٧" ، وذكر ابن أبي أصيبعة كنكة بمثل ما كتبه القفطي عن هذا الطبيب وأضاف إليه كتاباً واحداً في الطب باسم : كناش. كما ذكر ابن أبي أصيبعة شاناق ونسب إليه كتاباً في السموم، وكتاباً بعلم النجوم، وكتاب منتحل الجوهر ، وكتاب البيطرة، - انظر :العيون صفحة ٤٧٤ - ونلاحظ أن ليس لكنكة ذكر في كتاب ابن القفطي أما المستشرقون فذكروا طبيباً هندياً باسم "cankya"والترجمة الحرفية هي كاناكيا، وتلفظ هذه أيضاً هكذا شناكيا، وشاناقيا، ونسبوا إليه الكتب الأربعة التي نسبها ابن أبي أصيبعة إلى شاناق، كما نسبوا إليه كتابي التدبير والأدب اللذين نسبهما ابن النديم إلى شاناق، فهل كنكة هو شاناق نفسه؟ والتفريق بينهما كان من صنع ابن النديم؟.

مغيبات فاستعدَّ لها، والزمان متقلِّبٌ فاحذر دولته، لئيم الكرَّة فخفْ سطوتَه، سريع الغِرَّة فلا تأمن سطوته.

واعلم أنه من لم يداوِ نفسه من سقام الآثام في أيام حياته، فما أبعده من الشفاء في دارٍ لا دواء لها، ومن أذلَّ حواسَّه واستعبدها فيما يقدم من خير بان فضله، وظهر نبله، ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسَّه وهي خمس، فإذا لم يضبط حواسَّه مع قلَّتِها، ونفسه مع ذلَّتِها صعُب عليه ضبط الأعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم، وكان عامَّة الرعيَّة في أقاصي البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط[١]

ومنهم:

١١٨- منكه الهندي*

طبيبٌ توقى به الأجسام، وتوفى بسببه خير الأقسام، لو عاد الهَرِمَ لأعاد عليه ثوب شبابه، وبدَّل كفن المشيب بجلبابه، فأقرَّ الأرواح في أجسادها، وعاد بالصَّلاح على فسادها فقرَّت استقرارا، وأزالت ضرارا، وصالحت الأبدان فلم تعد إلى منافرتها، ولم تبعد من مضافرتها، فأماطت عقابيل السقم[٢]، وجذبت بأعقاب الداء العياء، وقد التقم فوجدت به الصحة، وقد عزَّ لقياها، وطالت المدة وقد يئس من بقياها.

١: **وذكر ابن أبي أصيبعة** من مصنفاته: كتاب السموم، خمس مقالات فسره من اللسان الهندي إلى اللسان الفارسي، وكتاب البيطرة، وكتاب في علم النجوم، وكتاب المنتحل الجوهر، وألفه لبعض ملوك زمانه، وكان يقال لذلك الملك ابن قانص الهندي. انظر: عيون الأنباء ٤٧٤.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٧٥.

٢: **العَقَابِيلُ**: بَقايا العِلَّة والعَداوةِ والعِشْقِ، وقيل: هو الذي يخرج على الشَّفَتَين غِبَّ الحُمَّى، الواحدة منهما جميعاً عُقْبُولة وعُقْبُول، والجمع العَقَابيل.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان علاماً بالطب، حسن المعالجة لطيف التدبير، فيلسوفاً من المشار إليهم في العلم، متقناً للغة الهند، ولغة الفرس، وهو الذي نقل كتاب "شاناق" في السموم – إلى الفارسية، وكان في زمان الرشيد، وأتى العراق في أيامه، ثم عرف العربية فكان ينقل إليها.

ومن أخبار الخلفاء أن الرشيد اعتلَّ علَّةً صعبة لم يجد فيها طب الأطباء، فقال له أبو عمر الأعجمي: يا أمير المؤمنين!، بالهند طبيب يقال له: منكه هو أوحد عبَّادهم وفلاسفتهم، فلو بعثت إليه لعلَّ الله يهبك الشفاء على يده.

فجهَّز من وصله صِلةً تعينه على سفره، وحمله إليه، فعالجه فبرأ فأجرى عليه رزقاً واسعاً، وأموالاً كافية، ثم بينما هو مارٌّ بالخُلد(١)، إذا هو برجلٍ قد بسط كساءه وألقى عليه عقاقير كثيرة، وقام يصف دواءً معجوناً. فقال: هذا دواء لكذا وكذا، وعدَّد أسقاماً كثيرة، وأدواءً مختلفة، حتى لم يدع عارضاً إلا ذكر أن ذلك الدواء شفاؤه. فتبسَّم منكة ثم قال: على كل حال ملك العرب جاهل، لأنه إن كان الأمر على ما يقول هذا فما الذي حمله على أن حملني من بلادي إليه، وأبعدني عن أهلي، وتكلَّف الكثير من مؤونتي، وهو يجد هذا نصب عينيه، وإزاء ناظره؟.

وإن كان على غير ما يقول فلم لا يقتله لأن الشريعة قد أباحت دم هذا ومن أشبهه لأنه إن قتل إنما هي نفس يحيا بموتها أنفس، وإن تُرك وهذا الجهل قتل كل يوم أنفساً، وهذا فساد في الذهن، ووهنٌ في الملك.

---

١ : **الخُلْد**: بضم أوله وتسكين ثانيه: قصرٌ بناه المنصور أمير المؤمنين ببغداد بعد فراغه من مدينته على شاطىء دجلة في سنة ١٥٩هجرية، وكان موضع البيمارستان العضدي أو جنوبيه، وبنيت حواليه منازل فصارت محلة كبرى عرفت بالخلد، والأصل فيها القصر المذكور، وكان موضع الخلد قديماً ديراً فيه راهب، وإنما اختار المنصور نزوله وبني قصره فيه لعلة البق، وكان عذباً طيب الهواء لأنه أشرف المواضع التي ببغداد كلها.

انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢ / ٣٨٢.

ومنهم:

١١٩- صالح بن بهلة الهندي*

طبيبٌ بيَّن الانحراف والاعتدال، والصحةوالاعتلال، حدس ما حدث، وبرَّ وما حنث، اطَّلع على كل سبب من الأسباب، وجمع بين طرفي الإيجاز والإسهاب، ورتَّب لكلِّ ذي سنٍّ ما يليق به من المداواة وما لا يطيق معرفته سواه، وشفع هذا بفضائل أخرى جتال بها فخرا، فحوى محاسن لا تعدّ كثره، ولا يزول لها أثره، وطالما حكيت عن طبِّه عجائب ومحاسن ما فيها قولٌ لعائب.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان من علماء الهند، خبيراً بالمعالجات التي لهم ، وله قوةٌ وإنذارات في تقدم المعرفة، وكان بالعراق على عهد الرشيد.

قال يوسف الحاسب المعروف بابن الداية[١]، عن مولى سلام الأبرش: أن مولاه حدَّثه أن الموائد قدمت بين يدي الرشيد يوماً، وابن بختيشوع غائب ، فطلبه في كل مكان فلم يجده، فطفق يلعنه، وإذا به قد دخل والرشيد يلعنه، فقال: لو اشتغل أمير المؤمنين بالبكاء على ابن عمه إبراهيم بن صالح كان أشبه به من تناولي[٢].

فقال له: وما خبره؟. فأعلمه أنه خلفه ومعه رمق ينقضي آخره وقت صلاة العتمة[٣].

---

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٧٥-٤٧٧.

١ : سبقت ترجمته.

٢ : أي تناولي بالشتم واللعن.

٣ : صلاة العتمة: أي صلاة العشاء.

فاشتدَّ جزع الرشيد عليه، وأمر برفع الموائد . فقال جعفر بن يحيى : إن طبَّ بختيشوع رومي، وطب ابن بهلة هندي؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضاره ليعرف ما عنده؟ . فأمر بمصيره إليه، فجسَّ عرقه، ثم قال : لا أخبر الخبر إلا أمير المؤمنين . فأخبر الرشيد، فأدخل عليه ابن بهلة، فلما مثل بين يديه قال : يا أمير المؤمنين! أنت الإمام وعاقد ألوية القضاء للحكام، ومهما حكمت به لم يجز لحاكم فسخه، ولا لمعقِّب بعدك نسخه، وأنا أشهدك عليَّ، وأشهد من حضرك أن إبراهيم بن صالح إن مات في هذه الليلة بل في هذه العلَّة يكون كل مملوك لصالح بن بهلة حرّاً لوجه الله ، وكل دابّةٍ له تكون حبساً[1] في سبيل الله، ويكون كل ما يملكه صدقة على الفقراء، وتكون كل امرأة له طالقاً ثلاثاً بتاتاً .

فقال الرشيد : حلفت ويلك! يا صالح على غيب .

فقال صالح : كلا يا أمير المؤمنين! . إنما الغيب ما لا علم لأحدٍ به، ولا دليل عليه، ولم أقل ما قلت إلا بدليل واضح، وعلامات بينة .

قال : فسُرَّ الرشيد بقوله، وأحضر الطعام، فأكل وشرب، فلما كان وقت صلاة العتمة أتى الخبر بوفاة إبراهيم بن صالح!؛ فاستقبل الرشيد ورجع يلعن ابن بهلة وطب الهند، ثم بكَّر إلى دار إبراهيم فأتى ابن بهلة فوقف بين يديه، فلم يناطقه إلى أن سطعت روائح المجامر وقد غسل إبراهيم وكُفِّن، فصاح به ابن بهلة عند ذلك : يا أمير المؤمنين! اللهَ اللهَ أن تحكم عليَّ بطلاق زوجتي وخروجي من نعمتي، وتدفن ابن عمك حياً، فو الله ما مات! . فأطلق له الدخول عليه، والنظر إليه ، ثم خرج وهو يكبِّر ، ثم قال : قم يا أمير المؤمنين حتى أريك عجباً .

فقام معه، ثم أخرج ابن بهلة إبرة كانت معه ، فأدخلها بين ظفر إبهام يد

---

١ : قوله "حبساً" : من التحبيس ، أي وقفاً في سبيل الله تعالى .

إبراهيم اليسرى ولحمه، فجذب إبراهيم يده!، فقال ابن بهلة: يا أمير المؤمنين! هل يحسُّ الميتُ بالوجع؟. فقال له: لا. فقال ابن بهلة: لو شئت أن أعده يكلم أمير المؤمنين الساعة لفعلت، ولكن أخاف إن عالجته وأفاق وهو في كفنٍ فيه رائحة الحنوط أن ينصدع قلبه فيموت موتاً حقيقياً، ولكن يأمر أمير المؤمنين بتجريده من الكفن، وردِّه إلى المغتسل، وإعادة الغسل عليه حتى تزول رائحة الحنوط عنه، ثم يلبس مثل ثيابه التي كانت عليه، ويحوّل إلى فراشٍ من فرشه التي كان يجلس عليها حت أعالجه، فيكلِّمه من ساعته.

فأمر بذلك، ففعل، ثم دعا ابن بهلة بكُنْدُس[1] ومنفحة، ونفخ الكندس في أنفه، فمكث قدر سدس ساعة ثم اضطرب جسده وعطس، وجلس قُدَّام الرشيد، وقبَّل يده، فسأله الرشيد عن حاله؟ فذكر أنه كان نائماً نوماً لا يذكر أنه نام مثله قط طيباً، إلا أنه رأى في منامه كلباً عضَّ إبهام يده اليسرى عضَّةً يجد وجعها، وأراه إبهامه الذي أدخل فيه الإبرة، وعاش بعد ذلك دهراً طويلاً، ثم تزوَّج بالعباسة بنت المهدي، وولي مصر وفلسطين، وتوفي بمصر وقُبِر بها.

---

١ : **الكُنْدُسُ**: عُرُوقُ نَبَاتٍ داخِلُهُ أصْفَرُ وخارِجُهُ أسْوَدُ، مُقَيِّئٌ مُسْهِلٌ، جَلاَّءٌ للبَهَقِ، وإذا سُحِقَ ونُفِخَ في الأنْفِ، عَطَّسَ، وأنارَ البَصَرَ الكَليلَ، وأزالَ العَشَا." القاموس مادة كدس".

أطبَّـــاء الشَّـــام

منهم:

١٢٠- أبو الفرج جرجس بن توما بن سهل بن إبراهيم اليبرودي *

من النصارى اليعاقبة، رجلٌ اهتم لسعادته، وتكلّم فأصاب فما خرج عن عادته، شُكر بين الأطباء، وذكر ذكر الألبّاء، انتقل إلى الحاضرة[١]، واشتغل بالمعالجة الحاضرة، وكان إذا دعي لتطبيب العلل طبّبها بما يقلُّ لبثها، ويقلل بثَّها[٢]، ويعجل للأجسام بإعادة صحتها، ويرخص لها ما يسام من عادة منحتها، فينهض من جدها العاثر، ويؤثر فيها ما يشاء الآثر، ولم يتعوَّد طول العيادة، ولا غرابة الدواء خلاف العادة.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان فاضلاً في صناعة الطب، عالماً بأصولها وفروعها، معدوداً من جملة الأكابر من أهلها، والمتميزين في أربابها، دائم الاشتغال، محباً للعلم، مؤثراً للفضيلة.

حدَّثني شرف الدين ابن عنين[٣] - رحمه الله تعالى - أن اليبرودي كان لا يمل من الاشتغال ولا يسأم منه. قال: وكان أبداً في سائر أوقاته لا يوجد إلا ومعه كتاب ينظر فيه.

---

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦١٠-٦١٣.

١ : **الحاضرةُ**: ضد البادية وهي المدن والقرى والريف والبادية ضدها يقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية وفلان حَضَرِيٌّ وفلان بدوي وفلان حاضِرٌ بموضع كذا أي مقيم به. ذكره في القاموس مادة حضر.

٢ : **البَثّ**: في الأصل أشَدّ الحزن والمرضُ الشديد ومنه قوله تعالى حاكياً عن سيدنا يعقوب في قصته مع إخوة يوسف، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، كأنه من شدّته يَبُثّه صاحبهُ. قاله في النهاية - مادة بث.

٣ : سبقت ترجمته.

وحدَّثني بعض النصارى بدمشق – وهو السني البعلبكي الطبيب – قال: كان مولد اليبرودي ومنشؤه بيبرود، وهي ضيعة كبيرة من صيدنايا، وبها نصارى كثيرون، وكان اليبرودي بها كسائر أهلها النصارى من معاناتهم الفلاحة، وما يصنعه الفلاحون، وكان أيضاً يجمع الشيح[1] من نواحي دمشق القريبة من جهته، ويحمله على دابَّةٍ، ويأتي به إلى داخل دمشق يبيعه للذين يَقِدُونَه بالأفران وغيرها، وإنه لما كان في بعض المرَّات وقد عبر من باب توما، ومعه حِمْلُ شِيحٍ، رأى شيخاً من المتطبِّبين وهو يفصد إنساناً قد حصل له رعافٌ شديد من الناحية المسامتة للموضع الذي ينبعث منه الدم، فوقف ينظر إليه وقال له: لم تفصد هذا ودمه يجري بأكثر مما يحتاج إليه؟.

فعرفه أنه إنما فعله لينقطع عنه الدم الذي ينبعث من أنفه لكونه يجذبه إلى مسامتة الجهة التي ينبعث منها.

فقال له: إذا كان الأمر هكذا فإننا في مواضعنا قد اعتدنا أنه متى كان نهرٌ جارٍ، وأردنا أن نقطع الماء عنه، فإنا نجعل له مسيلاً إلى ناحية أخرى غير مسامتة، فينقطع من ذلك الموضع ويعود إلى الموضع الآخر. فأنت لم لا تفعل هكذا، وتفصده من الناحية الأخرى؟.

ففعل ذلك وانقطع الرعاف عن الرجل، وقال ذلك الطبيب لليبرودي: لو أنك تشتغل بصناعة الطب جاء منك طبيب حاذق.

فمال اليبرودي إلى قوله، وتاقت نفسه إلى العلم، وبقي متردِّداً إلى الشيخ في أوقات وهو يعرفه، ويريه أشياء من المداواة، ثم إنه ترك يبرود وما كان يعانيه وأقام بدمشق يتعلَّم أشياء من المداواة، وصناعة الطب، فلما تبصَّر في أشياء

---

١ : قال في مختار الصحاح: الشِّيحُ نبت و المَشْيُوحاءُ بالمد وسكون الشين الأرض التي تنبت الشيح .

منها، وصارت له معرفة بالقوانين العلمية، حاول مداواة المرضى، ورأى اختلاف الأمراض وأسبابها، وعاماتها، وتيقّن علاجاتها، سأل عمّن هو إمامٌ في وقته بمعرفة صناعة الطب جيداً؟.

فذكروا له أنَّ ببغداد أبا الفرج ابن الطيِّب كاتب الجاثليق، وإنه فيلسوف متفنِّن، وله خبرة وفضل في صناعة الطب، وفي غيرها من الصنائع الحكمية. فتأهَّب للسفر، وأخذ سواراً كان لأمِّه لينفقه ، وتوجَّه إلى بغداد، وصار ينفق عليه ما يقوم بأوده، ويشتغل على ابن الطيب إلى أن مهر في صناعته، وصارت له مباحثات جيدة، ودربة فاضلة في هذه الصناعة، واشتغل أيضاً بشيء من المنطق والعلوم الحكمية، ثم عاد إلى دمشق وأقام بها.

ونقلت هذه الحكاية المتقدمة أو قريباً منها، وإن كانت الرواية مختلفة عن شيخنا الحكيم مهذَّب الدين أسعد بن إلياس ابن المطران، قال: حدَّثني أبي، قال: حدثني أبو الفرج ابن الحديد، قال: كان بدمشق فاصداً يقال له: أبو الخير ، ولم يكن من المهرة، وكان من أمره أنه فصد شاباً، فوقعت الفصدة في الشريان، فتحير وتبلَّد، وطلب قطع الدم، فلم يقدر على ذلك، فاجتمع الناس عليه، ففي أثناء ذلك طلع صبيٌّ عليه وقال: يا عماه! افصده في اليد الأخرى!.

فقال: شُدَّ الفصد الأول. فشدَّه ووضع عليه لازوقاً كان عنده، وشدَّه. فوقف الدم وانقطع الجميع.

ووجد الصبي بالسوق معه دابةً عليها حمل شيح، فتشبَّث به، وقال: من أين لك ما أعلمتني به؟.

قال: إن أبي في وقت سقي الكرم إذا انفتح شق من النهر وخرج الماء منه بحدَّةٍ لا يقدر على إمساكه دون أن يفتح فتحاً آخر ينقص منه الماء الأول الواصل

إلى ذلك الشق، ثم يسده بعد ذلك.

قال: فمنعه الجرائحي من بيع الشيح واقتطعه، وعلَّمه الطب، وكان منه اليبرودي، وهو من مشاهير الأطباء الفضلاء.

وكان لليبرودي مراسلات إلى ابن رضوان بمصر، وإلى غيره من الأطباء المصريين، وله إليهم مسائل عدة طبية، ومباحث دقيقة، وكتب بخطه شيئاً كثيراً من الطب، ولا سيما من كتب جالينوس، وشروحها، وجوامعها.

وحدَّثني السني البعلبكي: أن اليبرودي عبر يوماً في سوق جيرون بدمشق(١)، فرأى إنساناً وقد بايع على أن يأكل أرطالاً من لحم الفرس مسلوقة، مما يباع في السوق، فلما رآه وقد أمعن في أكله بأكثر مما تحمله قوته، ثم شرب بعده فقاعاًكثيراً (٢)، وماءً بثلج، واضطربت أحواله، فتفرَّس فيه أنه لا بدَّ أن يغمى عليه، وأن يكون في حالة أقرب إلى الموت، إن لم يتلاحق، فتبعه إلى المنزل الذي له، واستشرف إلى ماذا يؤول أمره، فلم يكن إلا أيسر وقت وأهله يصيحون ويضجُّون بالبكاء، ويزعمون أنه قد مات فأتى إليهم، وقال: أنا أبريه، وما عليه بأس. ثم إنه أخذه إلى حمَّامٍ قريب من ذلك، وفتح فكيه كرهاً، ثم سكب في حلقه ماءً حاراً، وقد أضاف إليه أدوية مقوية للقيء، وقيَّأه برفق، ثم عاله، وتلطَّف في مداواته حتى أفاق وعاد إلى صحته، فتعجَّب الناس منه في ذلك الفعل، وحسن تأنِّيه إلى مداواة ذلك الرجل، واشتهرت عنه هذه القضية، وتميَّز بعدها.

١: قال في **القاموس**: **وجَيْرُونُ**، بالفتح: دِمَشْقُ، أو بابُها الذي بِقُرْبِ الجامعِ، عن المُطَرِّزِيِّ، أو منسوبٌ إلى المَلِكِ جَيْرَونَ، لأنَّهُ كان حِصْناً له، وبابُ الحِصْنِ باقٍ هائلٌ.

٢: قال في القاموس: **فُقَّاع**: كرُمَّانٍ: هذا الذي يُشْرَبُ، سُمِّيَ به لِما يَرْتَفِعُ في رأسه من الزَّبَدِ، ونباتٌ إذا يَبِسَ صَلُبَ فصارَ كأنه قُرُونٌ. والفَقاقيعُ: نُفَّاخاتُ الماءِ.

وهذه الحكاية التي قصد اليبرودي أن يتتبّع أحوال الرجل فيها، ويشاهد ما يكون من أمره أن يكون عنده معرفة بالأعراض التي تحدث له، وأن ينقذه أيضاً مما وقع فيه إن أمكنه معالجته.

ومثل ذلك أيضاً ما حكاه أبو جعفر أحمد بن محمد بن الأشعث في كتاب "الغاذي والمغتذي" وذلك أنه قال: إن إنساناً رأيته يوماً وقد بايع أن يأكل جزر قدّره بحدّ ما، فحضرت أكله لأرى ما يكون من حاله لا رغبة مني لمجالسة من هذه حاله، ولا لي بذلك عادة والحمد لله، بل لأرى إيراد الغذاء على المعدة قسراً إلى ماذا يكون هذا الفعل، فرأيته يأكل من حائط ليري من حوله ويضاحكهم، حتى إذا مرَّ على الكثير مما كان بين يديه، فرأيت الجزر ممضوغاً قد خرج من حلقه، ملتفاً، متحبلاً، متعجناً بريقه، وقد جحظت عيناه، وانقطع نفسه، واحمرَّ لونه، ودرّت أوداجه وعروق رأسه، وأزبد، وكمد وجهه، وعرض له من التهوّع[١] أكثر مما عرض له من القذف، حتى رمى من ذلك الذي أكله شيئاً كثيراً، فركنتُ[٢] أن انقطاع نفسه لدفع المعدة حجابه إلى نحو الفم، ومنعها إياه من الرجوع إلى الانبساط إلى النفس، وأما ما عرض إلى لونه من الاحمرار، ودرور وداجيه وعروقه، فزكنت[٣] أنه لإقبال الطبيعة نحو رأسه، كما يعرض لمن شدَّ يده للفصد، أن تقبل الطبيعة نحو الجهة التي استنهضت نحوها.

---

١ : قال في القاموس: " **تهوَّع**: تَكَلَّف القَيءَ. وهَوَّعَه: قَيّأه. **والتهوّع**: التقيؤُ. يقال: لأُهَوِّعَنَّه ما أكَلَ أي لأُقَيِّئَنَّه ولأَسْتَخْرِجَنَّه من حَلْقه. وفي الحديث كان إذا تسوَّك قال أُعْ أُعْ، كأنه يَتَهوَّع أي يَتَقَيّأُ؛ والهُواعُ: القَيءُ؛ ومنه حديث علقمة: الصائمُ إذا ذَرَعَه القيءُ فليُتِمَّ صومَه وإذا تَهَوَّع فعَلَيْه القضاء أي إذا اسْتَقاءَ.

٢ : قوله " **ركنت** " أي اطمأننتُ.

٣ : **الزَّكْنُ**: ظَنٌّ بمنزلةِ اليقينِ عندَكَ، أو طَرَفٌ من الظَّنِّ. وأزْكَنَه: أعْلَمَهُ، وأفْهَمَه. قاله في القاموس.

فأما ما عرض لوجهه من الاربداد[١] والكهوبة[٢]، فرأيت أيضاً أنه لسوء مزاج قلبه، وأنه لو لم يخرج ما خرج ، ودافعت المعدة حجابه هذه المدافعة التي قد عاقته آلته من التنفس، عرض له الموت بالاختناق، كما قد رأينا ذلك في عدد كثير ماتوا بعقب القذف، فزكنت من ذلك أن التهوُّعَ لشدة اضطراب في ذلك الفصل، وحسن تأتيه، ونقي المعدة.

قال ابن أبي الأشعث بعد ذلك : إن الغذاء إذا حصل في المعدة وهو كثير الكمية تمدَّدت تمدُّداً يبسط سائر غضونها، كما رأيت ذلك في سبع شرَّحته حياً بحضرة الأمير الغضنفر، وقد استصغر بعض الحاضرين معدته، فتقدمت بصب الماء في فيه، فما زلنا نصب الماء في حلقه دورقاً[٣] بعد أخرى، حتى عددنا من الدواريق عدداً كان مقدار ما حَوَت معدته نحو أربعين رطلاً ماءً، فنظرت إذ ذاك إلى الطبقة الداخلة وقد امتدت حتى صارت له سطحاً مستوياً ليس بدون استواء الخارج، ثم شققتها، فعندما اجتمعت عند خروج الماء منها عاد غضون الداخلة والبواب يشهد الله في جميع ذلك، لا يرسل نفسه.

وحدثني الشيخ مهذَّب الدين عبد الرحيم بن علي قال: حدثني موفق الدين ابن أسعد بن إلياس ابن المطران قال: حدثني أبي عن خالي أبي الفرج بن حيان، قال: حدثني أبو الكرم الطبيب قال: كنت يوماً أساير الشيخ أبا الفرج اليبرودي،

---

١ :قال في اللسان: " الرُّبْدَةُ: الغُبرة؛ وقيل: لون إلى الغبرة، وقيل: الرُّبْدَةُ، والرُّبْدُ في النعام سواد مختلط، وقيل هو أن يكون لونها كله سواداً؛ .... وقد ارْبَدَّ ارْبداداً.

٢ : **الكُهْبَةُ**: غُبرة مُشْرَبَةٌ سواداً في ألوان الإبل، وبعير أكْهَبُ: بَيِّن الكَهَب، وناقة كَهْباء. الجوهري: الكُهْبة لونٌ مثل القُهبة. قال أبو عمرو: الكُهبة لون ليس بخالصٍ في الحُمرة، وهو في الحُمْرة خاصَّةً.

٣ : **الدَّوْرَقُ**: الجَرَّةُ ذاتُ العُرْوَةِ.

إذ اعترضه رجلٌ فقال: ياسيدي!، كنت في صناعتي هذه في الحمام، وحلقت رأسي، وأجد الآن في وجهي كله انتفاخاً وحرارةً عظيمة. قال: فنظرنا إلى وجهه يربو وينتفخ، وتزيد حمرته بغير توقف ولا تدريج.

قال: فأمره أن يكشف رأسه ويلقى به الماء الجاري من قناة كانت بين يديه، وكان الزمان إذ ذاك صميم الشتاء، وغاية البرد، ثم لم يزل واقفاً حتى بلغ ما أراد مما أمر به، ثم أمر الرجل بالانصراف، وأشار إليه بالأوفق، وهو تلطيف التدبير واستعمال النقوع الحامض مبرداً، وقطع الزَّفر، قال: فامتنع أن يحدث له شرٌّ ما.

وقال الطرطوشي في كتاب" سراج الملوك" [١]: حدثني بعض الشاميّين، أن رجلاً خبازاً بينما هو يخبز في تنُّوره بدمشق، إذ عبر عليه رجل يبيع المشمش، فاشترى منه، وجعل يأكله بالخبز الحار. فلما فرغ سقط مغشياً عليه ، فنظروا ، فإذا هو ميت!؛ فجعلوا يتربصون به، ويحملون له الأطباء، فيلتمسون دلائله، ومواضع الحياة منه، فلم يجدوا؛ فقضوا بموته، فغسل وكُفِّن، وصلِّي عليه، وخرجوا به إلى الجبانة، فبينما هم في الطريق على باب البلد إذ استقبلهم رجلٌ طبيبٌ يقال له اليبرودي، وكان طبيباً ماهراً حاذقاً، فاضلاً عارفاً بالطب، فسمع الناس يلهجون بقضيته، فقال: حطُّوه حتى أراه!.

فوضعوه، فجعل يقلبه، وينظر في أمارات الحياة التي يعرفها، ثم فتح فمه وسقاه شيئاً، أو قال: حقنه، فاندفع هناك ، فإذا الرجل قد فتح عينيه، وتكلم، وعاد إلى حانوته كما كان!!.

وحدَّثني الشيخ مهذَّب الدين عبد الرحيم بن علي عن موفق الدين أسعد بن

---

١ : "سراج الملوك" لأبي بكر: محمد بن الوليد القرشي، الفهري، المالكي، الطرطوشي. ولد سنة ٤٥١ هجرية وتوفي سنة ٥٢٠ هجرية.

إلياس بن المطران قال: حدثني أبي قال: حدثني عبد الله بن رجاء بن يعقوب، قال: بلغني أن أبا الفرج جرجس بن يوحنا أن اليبرودي لما توفي ظهر في تركته ثلاث مائة مقطع رومي، وخمس مائة قطعة فضة، ألطفها ثلاث مائة درهم.

قال موفق الدين بن المطران: وليس ذلك بكثير، لأن الشخص متى تحقَّقت أعماله، وصفت نيته، وطلب الحق، وعامل بالصحيح، واجتهد في معرفة صناعته، كان حقاً على الله أن يرزقه، ومتى كان بالضد عاش فقيراً، ومات بائساً(١).

ومنهم:

١٢١- ظافر بن جابر السكري أبو حكيم*

حظيٌّ كان معانده يتلظّى، وحاسده يتشظّى(٢)، نهض للطلب أول ما قام على ساق، وتم لهلاله اتِّساق، ولم يملَّ سعياً ولا أخلَّ وعياً، ولا خلَّى زمانه سقياً له ورعيا، حتى شذا من كل علم يتعلمه منه طرفاً، وخلف من كان يتقدَّمه وراء القفا، فصفت مناهله، وصَمَتَ مُبَاهِلُه(٣)،ولم يستتم غصنه الورِق، ولا اشتدَّ

١ : ولليبرودي من **الكتب**: " مقالة في ان الفرخ أبرد من الفروج"، " نقض كلام ابن الموفقي في مسائل ترددت فيما بينهم في النبض". انظر: عيون الأنباء ٦١٣.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦١٤.

٢ : قال في القاموس: تَشَظَّى العُودُ: تَطايَرَ شَظَايا.

٣ : من "**المُبَاهَلَةُ**" وهي: الملاعنة و الابْتِهَالُ التضرع وقيل في قوله تعالى ﴿ثم نبتهل﴾ أي نخلص في الدعاء. قاله في المختار.

مجلسه بالكلبة وانتطق، حتى عُدَّ من العلامات، وتأكَّدت الأسباب له بالعلامات.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان مسلماً فاضلاً في الصناعة الطبية، متقناً للعلوم الحكمية، متحلياً بالفضائل وعلم الأدب، محباً في الاشتغال والتطلُّع في العلوم، وكان قد لقي أبا الفرج ابن الطيِّب ببغداد، واجتمع به واشتغل عليه، ومعه، وكان ظافر بن جابر موجوداً في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، وهو موصلي، وإنما انتقل من الموصل إلى مدينة حلب، وأقام بها إلى آخر عمره.

ومن شعره :[**الكامل**]

مـــــازلت أعلم أولاً في أولٍ	حـــتى علمت بأنني لا علم لي
ومن العجائب أن أكون جاهلاً	من حيث كوني أنني لا أجهل

ومنهم:

١٢٢- أبو الحكم عبيد الله بن المظفربن عبد الله الباهلي *

أبو الحكم، وأخو الحكم.

عَلَم الفضلاء، وعصم أهل الولاء، إلا أنه كان للأعداء سماما، وللإعداء

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦١٤-٦٢٨، وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ٣٤٤-٣٤٥، ونفح الطيب للمقري ٢/ ١٧، ٧/ ١٥-٢١، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٤/ ١٥٣، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٧٧١و١٩٩٣، وهدية العارفين للبغدادي ١/ ٤٥٦، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦/ ٢٤٦-٢٤٧، والأعلام للزركلي ٤/ ١٩٨، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٩٨-١٩٩.

هماما، وكان كثيراً ما يهيج للمباهلة، ويهاجي ولا يخاف ، ونسبه من باهلة .

أتى دمشق فرتع في جنانها، وغاص في غياض أفنانها، وبات قري جفونها المراض وجفانها، وآب إلى أندية سيادتها، فأناخ في ذلك الذرى واستطاب المناخ والقِرا.

قال ابن أبي أصيبعة : " كان فاضلاً في الحكمة والطب، معتنياً بالأدب ، كثير المجون، محباً للشراب، فإذا طرب خرج في بابة[١] الخيال، وكان يضرب بالعود، وله مدائح في أبق[٢] ، وبني الصوفي، وكان يهاجي الشعراء، وفي هجائه يقول عرقلة[٣]:[**السريع**]

لنا طبيبٌ شاعرٌ أشتر[٤] ... أراحنا من شخصه الله
ما عاد في صبحة يوم فتى ... إلا وفي باقيه رثاه

ومن شعره قوله [الوافر]

ألا يا من لصبٍّ مستهام ... مُعَنّىً لا يفيق من الغرام
وكيف يفيق محزونٌ كئيب ... أضرَّ بجسمه طول السقام؟!

وقوله: [المنسرح]

ويح المحبِّين ليت لا خُلِقُوا ... ما برحوا في العذاب مذ عشقوا
ولا رجوا راحةً ولا فرحا ... إلا وسُدَّت عليهمُ الطرقُ

---

١ : **البابةُ** : في الحسابِ والحُدود: الغايةُ.

٢ : هو محمد بن بوري بن أتابك طغتكين: آخر من حكم دمشق من أسرة بنو بوري، وكان أفرادها يلقبون "أتابك".

٣ : **عرقلة**: هو أبو الندا حسان بن نمير الكلبي توفي سنة ٥٦٧هجرية.

٤ : **الأشتر**: من كان جفن عينه منقلباً أو منشقاً، أو مسترخياً من أسفله.

ومنهم:

١٢٣- ابنه: أبو المجد [محمد] بن أبي الحكم؛ أفضل الدولة*

متقنٌ لكل رياضي، وممعنٌ في كل سماء وأرضي. رمى كل أفق بنظره، وغلب كل شارقٍ بنيره، وخلّف وراءه الأقران، وألقى في ذروة السؤدد الجران(١).

والتفت إليه السلطان بوجه الإقبال، وحباه حتى أمن الإقلال، فتأخَّر نظراؤه، وتقدَّم إماما، وردَّ نوءهم وسحَّ غماما، وجدَّل ذوي الجدال إذ جدَّ اهتماما.

قال ابن أبي أصيبعة: " من الحكماء المشهورين، والعلماء المذكورين، والأفاضل في الطب، والهندسة، والنجوم، والموسيقى. ويجيد الغناء والإيقاع، والزمر، وسائر الآلات، وعمل الأرغن، وبالغ في إتقانه، وكان العادل نور الدين محمود زنكي يرى له ويحترمه، وجعل له الأمر في مارستانه بدمشق، وكان يقرأ عليه الطب في إيوان المارستان(٢)، وتقدَّم في زمانه".

---

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء - لابن أبي أصيبعة ٦٢٨.

١ : **الجِرانُ**: باطن العُنُق، وقيل: مُقدَّم العنق من مذبح البعير إلى منحره، فإذا برَك البعيرُ ومدّ عنُقَه على الأَرض قيل: أَلقى جِرانَه، بالأَرض. وفي حديث عائشة، رضي الله عنها: حتى ضرَب الحقُّ بجِرانِه، أَرادت أَن الحقَّ استقام وقَرَّ في قَراره، كما أَن البعير إذا بَرَك واستراح. مدّ جِرانَه على الأَرض أَي عُنُقَه. قاله ابن منظور في اللسان.

٢ : **البيمارستان**: لفظة فارسية استعملها العرب، ومعناه: " مجمع المرضى". لأن: "بيمار" معناه: المرض. و"ستان": هو الموضع. وأول من صنعه أبو قراط، وسماه: "اخشندوكين"، قال الخفاجي: تنطقه العرب: المارستان.

انظر: قصد السبيل للمحبي ١ / ٣٢٠، ومختصر تاريخ الطب العربي ١ / ٥٤٢، وشفاء الغليل للخفاجي ٧٩، والمعجم الذهبي ١٣٠ / ٣٣٣.

ومنهم:

١٢٤- ابن البذوخ: أبو جعفر بن موسى بن علي القلعي*

كان من أعلام أهل الفضائل، وأواخر من لحقه السلف من الأوائل، جنى بيده الأدوية وركَّبها، وعرف مقادير رُتَبِها ورتَّبها، إلى سوى هذا مما قضى فيه أيام عمره، وذهب وقد أبقى للناس من ثمره، وكان كأنه ما مات، ولا أكلت أنواره الظلمات، ومضى وهذا أثره، وبقي ذباب[١] السيف وهو أكثره.

قال ابن أبي أصيبعة: "كان عارفاً بالأدوية المفردة والمركبة، وله حواشٍ على كتاب "القانون"[٢] ، وله اعتناء بعلم الحديث، والشعر، وعُمِّر عمراً طويلاً، وضعف عن الحركة، ثم عمي في آخر عمره بماءٍ نزل في عينيه".

---

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء – ٦٢٨-٦٣٠.

١ : **ذبابُ السَّيْفِ**: حَدُّ طَرَفِه الذي بين شَفْرَتَيْهِ؛ وما حَوْلَه من حَدَّيْهِ: ظُبَتَاه؛ وقيل: ذُبابُ السَّيفِ طَرَفُه المُتَطَرِّفُ الذي يُضْرَبُ به، وقيل حَدُّه. قاله ابن منظور في اللسان.

٢ : في الطب لابن سينا، وقد مرّ.

ومنهم:

١٢٥- حكيم الزمان أبو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني الجلياني*

حسنةٌ من إحسان، وبقيةٌ من آل غسان، طلع من المغرب، وسمع منه المطرب، ولا عجب أن سمي حكيم الزمان، ولقط منه نظيم. وتلقّته الملوك واصطفته، وناصفته في مجالسها وأنصفته، ومذ أنس بفطنه لم يستوحش لوطنه، ولا ظهر عليه قشف[١] البين، ولا عرف له في بشر إلا حسن أثر وعين.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان علامة زمانه في الطب والكحل، بارعاً في الأدب والشعر، أتى من الأندلس إلى الشام، وأقام بدمشق، وعُمِّر عمراً طويلا، وله في السلطان صلاح الدين مدايح كثيرة، وصنَّف له كتباً، وكان له منه الإحسان الجزيل، والإنعام الكثير.

ثم خدم بصناعة الكحل الملك الأشرف أبا الفتح موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وتوفي بالرّها سنة نيف وعشرين وستمائة .

ومن شعره قوله [الطويل]

---

* (ت٦٠٢هـ) **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦٣٠-٦٣٥،و تكملة الصلة لابن بشكوال ٢/٦٥٢-٦٥٣، ونفح الطيب للمقري ٢/٥و ١٥-١٦، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢/١٦،و معجم البلدان ٢/١٠٩، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٣٥٧و٧٨٠و٧٨٥و٨٠٠و٨٠٤و٨٠٩و٨١٤،و إيضاح المكنون للبغدادي ١/٣٥١، والأعلام لخير الدين الزركلي ٤/١٦٧، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٦/١٩٥،.

١ : القَشَفُ، مُحرَّكةً: قَذَرُ الجِلْدِ، ورَثاثَةُ الهَيْئَةِ، وسُوءُ الحالِ، وضيقُ العَيْش. قاله في القاموس.

على فرط شوقي تستقل الركائب وعن صون دمعي تستهلّ السحائب
وما البرق إلا من حنيني نابضٌ وما الرعد إلا من أنيني نادبُ
نأيتم فلا صبرٌ من القلب حاضر لديَّ ولا قلبٌ عن الذكر غائبُ
فيا ليت شعري بعدنا من صحبتم فما بعدكم غير الهوى لي صاحب

وقوله[البسيط]

قالوا نرى نفراً عند الملوك سموا وما لهم همةٌ تسمو ولا ورع
قد يكرم القرد إعجاباً بخسّته وقد يهانُ لفرط النخوة السَّبُعُ

ومنهم:

١٢٦- المهذّب ابن النقاش*

أبو الحسن علي بن عيسى بن هبة الله.

طبيبٌ لو أخذ عن جالينوس لأتاه العلم بمنصوصه، أو لزم ابن سيناء لأقبل عليه على خصوصه، أو سبق ابن عربي لاستبقى بقية من نقشه لفصوصه[١].

*(ت٥٧٤هـ) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء – لابن أبي أصيبعة ٦٣٥-٦٣٧، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة ٢٧٩-٢٨٠. ومنامات الوهراني ١٤٢، والوافي بالوفيات ٢١/ ٣٧٧-٣٧٨ رقم ٢٤٨، والأعلام للزركلي ٤/ ٣١٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٠/ ١٥١-١٥٢.

١: **فصوص الحكم**. للشيخ، محيي الدين، أبي عبد الله: محمد بن علي، المعروف: بابن عربي الطائي، الحاتمي، الأندلسي. المتوفى: سنة ٦٣٨، ثمان وثلاثين وستمائة. قال في خطبته: أما بعد: فإني رأيت رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – في مبشرة، أريتها في العشر الآخر، من المحرم، لسنة ٦٢٧، سبع وعشرين وستمائة، بدمشق، وبيده كتاب. فقال لي: هذا كتاب: (فصوص الحكم)، خذه، واخرج به إلى الناس ينتفعون به. فقلت: السمع، والطاعة. انتهى.=

وكان لا يقصر في طلب، ولا يقص النسر له جناحاً إذا طلع أوغرَّب، فلم يلمَّ به ملل، ولا كان له في العلم أمل.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان مولده ومنشؤه ببغداد، وكان عالماً بالعربية والأدب، وقرأ الطب على – أمين الدولة – ابن التلميذ، ولازمه مدة، واشتغل بعلم الحديث على ابن الحصين[١]، وحدث معه، وسمع منه القاضي عمر بن القرشي[٢].

وقال الأصفهاني في الخريدة : أنشدني مهذب الدين ابن النقاش لوالده :[**المتقارب**]

إذا وجد الشيخ في نفسه ... نشاطاً فذلك موت خفي
ألست ترى أن ضوء السراج ... له لهبٌ عندما ينطفي؟!

قال ابن أبي أصيبعة: " لما وصل المهذب ابن النقاش إلى دمشق، دبَّ بها، وكان له مجلسٌ عامٌّ للمشتغلين عليه، ثم توجه إلى مصر ، وأقام بالقاهرة مدةً، ثم رجْع إلى دمشق وخدم نور الدين – أي الشهيد – بالطب، وكان له منه إحسانٌ، وتوفي يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة، ودفن بجبل قاسيون.

=**واختلف الناس فيه، ردا، وقبولا**. فبعضهم: أثنى عليه، وتلقاه بحسن القبول، وشرحه. قال صاحب كشف الظنون: أقول: ثم إن الفصوص تعدد فيه: القيل والقال، وكثر النزاع والجدال. فالأولى: ترك النظر فيه، وعدم الالتفات إليه، تأسيا بقوله – عليه الصلاة والسلام –: (دع ما يريبك، إلى ما لا يريبك). فإنك لو نظرت إلى كتب التواريخ، والطبقات، لرأيت الناس فريقين: في حق الشيخ، وتآليفه. وأحسن ما قرأت في حقه ما ذكره الإمام السيوطي رضي الله عنه عند سؤاله عن الشيخ قدس الله سره العزيز فقال: القول الفصل فيه اعتقاد ولايته، وتحريم قراءة كتبه. وهذا هو الصواب، فالزمه يا أخي وإياك والوقيعة في أعراض العارفين وأولياء الله تعالى من عباده الصالحين – كما حصل لكثير من الناس في وقتنا – فتهلك، ولعن الله من كذب عليك.

١ : أبو القاسم عمر بن الحصين.

٢ : وروى عنه حديثاً في معجمه. انظر: ابن أبي أصيبعة ٦٣٥.

ومنهم:

١٢٧- سكرة اليهودي الحلبي*

حكيم فضائله غير منكرة، وطبيبٌ حلا وصفه فقيل سكّره، وكانت له هممٌ تواتيه، وله شممٌ ما خرج به من التيه، انقاد له الحظ، وأتاه بأدنى فكرة ولفظ، وأنجبت له ذرّيّة أسلموا بعده وسُلِّموا ولايات عدة، وذلك بعد أن رفع عليهم علم الإسلام ،ودان لهم قلم الكتابة بسلام.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان له دربةٌ بالعلاج، وتصرُّفٌ في المداواة. حكي أنه كان لنور الدين بقلعة حلب حظيَّةٌ يميل إليها، فمرضت مرضةً أعيت على الأطباء، فأُحضر إليها سُكَّرة الحكيم، فوجدها قليلة الأكل، متغيرة المزاج، فسألها عن جنسها؟ فأخبرته بأنها علاَّنية(١)، ثم سألها عما كانت تأكل في بلادهم؟. فقالت: لحم البقر. فسألها عما كانت تشرب؟. فقالت: الخمر.

فقال لها: أبشري بالعافية. ثم ذهب فاشترى عجلاً وسلق من لحمه، ثم عمل معه شيئاً من لبن وثوم، وأخذ معه خمراً، وأتى به إليها، فأطعمها، وأكلت منه بنهمة كبيرة، ثم سقاها، فطلبت النوم، فنامت وغطيت بدثار، فعرقت عرقاً كثيراً، وأصبحت في عافية، ولازمها بمثل ما عالجها به، حتى برئت، فبعثت إليه بصينية مملوءة من الحلي، ثم كتبت إلى نور الدين تعلمه بعجز الأطباء عنها، وإن عافيتها كانت على يده. فلما قرأ الكتاب، طلبه وعرَّفه بما قالت، ثم منّاه، فسأله

---

* **انظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦٣٧-٦٣٨.

١ : وتسمى أيضاً أللان، أو الآسن، وهي قبيلة فارسية تدين بالنصرانية، وغلبهم المغول فتفرقوا في آسيا الوسطى حتى الصين.

عشرة أفدنة في قريتي " صمع، وعيدان" ؛ فكتبها له مِلكاً ثم عاد إلى حلب، وكثرت أمواله، ولم يزل في نعمة طائلة هو وبنوه.

ومنهم:

١٢٨-أسعد بن [إلياس بن جرجس - موفق الدين][١] ابن المطران*

طبيبٌ على نصرانيته[٢] وتدينه بدنيَّته، قد تحلَّى بمحاسن الشيم، وحلَّ الغاية لولا الشمم، ودنا من الملوك مجلسا، وترك حاسده المضنوك مُبلسا، وأطالت النعم رياشه، ونفضت على فائض النوء رشاشه، وأثري بالحضرة الصلاحية[٣] حتى ابتلَّ عوده في الثرى، وشمخ هرم ماله إلى الذرا، وكان على هذا الوفر والحظ الذي ما ذُهِّبَ بمثله سفر، يتجنّى على السلطان والذنب ذنبه، ويتناوم عليه ولا يهدأ جنبه.

قال ابن أبي أصيبعة[٤]: " كان للسلطان صلاح الدين - رحمه الله تعالى -

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦٥١-٦٥٩، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٢٤٣و١٣٨٨، ومعجم الأطباء لأحمد عيسى ١٣٥-١٣٦، وأعيان الشيعة للعاملي ١١ /١٨٨-١٩٤، والأعلام لخير الدين الزركلي ١ / ٣٠٠، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢ / ٢٤٥، وعلماء النصرانية في الإسلام للويس شيخو ٨٤-٨٦، والفتح القَسي ٥٧٦، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١ / ٤١١-٤١٢، وتاريخ ابن الفرات ج٤ ق ٢ / ٤٦، وشذرات الذهب ٤ /٢٨٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤١ /٢٦٣-٢٦٤.

١ : ليست في الأصل.

٢ : قال الذهبي في تاريخ الإسلام: " وفقه الله في بدايته للإسلام، ونال الحشمة والاحترام" . **انظر**: تاريخ الإسلام ٤١ /٢٦٣.

٣ : حيث كان يعمل طبيباً للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه.

٤ : عيون الأنباء ٦٥٢.

فيه اعتقاد ، وأسلم في أيامه، وكان يغلب على ابن المطران الكبرياء، حتى على الملوك، وكان يعلم صلاح الدين ذلك منه.

حكى عنه من كان معه في بعض غزواته أن صلاح الدين كان ينصب له في أوقات حروبه خيمة حمراء، بدهليز أحمر، وميضأة حمراء؛ فبينا هو راكبٌ وإذا به قد نظر إلى خيمة حمراء ظنَّها خيمته؛ فسأل: لمن هي؟. فقيل له: لابن المطران الطبيب. فضحك وقال: والله قد عرفت هذا من حماقته .ثم قال: ما بنا إلا أن يعبر أحدٌ من الرسل، فيعتقد أنها خيمة أحد الملوك، وإذا كان لا بد، فليغير ميضأتها.

فصعب هذا على ابن المطران، وبقي يومين لا يأتي الخدمة حتى ترضَّاه صلاح الدين، وأعطاه مالاً" .

وشكا أبو الفرج النظروي الطبيب إلى صلاح الدين ضرره ببنات له يريد تجهيزهنَّ. فأمره أن يكتب ورقة بما يحتاج إليه، فكتب شيئاً بنحو ثلاثين ألف درهم، فأمر له بما تضمَّنته ورقته، فبلغ ذلك ابن المطران، فقصر في الخدمة، وتبين لصلاح الدين هذا من تغير وجهه، فأمر بأن يحسب جملة ثمن ما اشترى به جهاز بنات أبي الفرج، ويعطى ابن المطران نظيره.

وحكى المهذب عبد الرحيم بن علي أن أسد الدين شيركوه صاحب حمص طلب ابن المطران، قال: فتوجَّه وأنا معه، فبينما نحن في بعض الطريق، وإذا رجلٌ مجذوم قد استقبله، وكان المرض قد قوي به حتى تغيرت خلقته، وتشوَّهت صورته، فاستوصف منه ما يتناوله، ويتداوى به، فبقي كالمتبرِّم به، ثم قال له: كل لحوم الأفاعي، فعاوده، فقال: كل لحوم الأفاعي، فإنك تبرأ ، يكررها عليه، ثم مضينا إلى حمص، وأقمنا بها نعالج المريض الذي طلب لأجله، إلى أن صلح،

ثم رجعنا فلما كنا في الطريق وإذا شابٌّ حسن الصورة، كامل الصحة، قد سلَّم عليه، وقبَّل يده، فقال له: من أنت؟. فقال له: أنا صاحب ذلك المرض الذي كنت شكوت إليك، وإنني استعملت ما وصفت لي، فصلحتُ من غير أن أحتاج معه إلى دواء آخر.

وتوفي ابن المطران في ربيع الأول سنة تسعٍ وخمسمائة، بدمشق[1].

ومنهم:

١٢٩- ابن اللبُّودي: يحيى بن محمد بن عبدان بن عبد الواحد *

الصاحب نجم الدين، أبو زكريا.

مشيِّد بيت، ومحيي فضل غير ميت، وإلى الآن بقيته، وكان وما هانت بليته.

وترقَّى إلى أن وزر، واتَّشح برداء الكبرياء واتَّزر، إلا أنه لدى ملك لم يفخر لديه خديم ولا أثرى بندى يديه عديم، لضيق نطاقه، وعدم رواج الفضل عنده ونفاقه، لصغر بلده، وقلَّة ذات يده.

---

١ : هكذا ورد في الأصل المخطوط، وهو لا شك خطأ نسخي، وصوابه كما في جميع المصادر سنة: ٥٨٧ هجرية. انظر المصادر أول الترجمة.

*(ت٦٦١هـ) **ينظر ترجمته في**: المقتفي للبرزالي ١ / ورقة ٣٠ ب، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦٦٣-٦٦٨، وتالي كتاب وفيات الأعيان ١٧٠ رقم ٢٨١، وتاريخ الملك الظاهر ٤٩-٥٠، وعيون التواريخ ٢٠ / ٤٢٩، والبداية والنهاية ٩٣ / ٢٦٢، وعقد الجمان ٢ / ٩٨ - وفيه يحيى بن عبد الواحد - والدارس ٢ / ١٣٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٩ / ٣٢١ رقم ٣٦٨، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة ٣٠٢، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٢٠٩و٣٨٢و٨٧٣و٨٨٥، وتراث العرب العلمي لطوقان ٣٥٤.

قال ابن أبي أصيبعة: " أوحدٌ في الطب، قدوة في الحكم، مفرط الذكاء، فصيح اللفظ، شديد الحرص في العلوم، متقنٌ في الآداب، فما يدانيه في شعره لبيد، ولا في ترسُّله عبد الحميد[1].[**الطويل**]

ولما رأيت الناس دون محلِّه تيقَّنت أن الدهر للناس ناقدُ[2]

مولده بحلب سنة سبع وستمائة، وأتى دمشق وقرأ على المهذب عبد الرحيم، وخدم المنصور إبراهيم صاحب حمص، وكان يعتمد عليه، وأحواله تزداد لديه حتى استوزره واعتمد عليه بكليَّته، فلما توفي المنصور بعد كسره الخوارزميَّة[3]، توجَّه إلى الخدمة الصالحية النجميَّة[4] بمصر، فأكرم وجعل له كل شهر ثلاثة آلاف درهم، وبقي على ذلك مدة، ثم وجه إلى الشام ناظراً على الديوان، بجميع الممالك الشامية".

وله نثر؛ منه قوله وقف الخادم على المشرفة الكريمة: " أدام الله نعمة المنعم بما

---

١ : **أي عبد الحميد الكاتب** : المعروف بأسلوب الترسل، وهو عالم بالأدب، ومن أئمة الكتَّاب، ويضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسِّلون، سكن الشام، ويقال: " فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد" وله رسائل تقع في نحو ألف ورقة طبع بعضها، مات مقتولاً سنة ١٣٢ هجرية = ٧٥٠ ميلادية.

انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٣٠٧، والوزراء والكتاب ٧٢/٧٣، وثمار القلوب ١٥٥ ، والأعلام للزركلي ٣/٢٨٩-٢٩٠.

٢ : من قصيدة لابن نباتة المصري رحمه الله تعالى، قال فيها:

نظرت وقد قام الخطيب وراقني على درج بدر العلى وهو صاعد

ولما رأيت الناس دون محله تيقَّنت أن الدهر للناس ناقدُ

٣ : هي الدولة التي ملكت في إيران بعد انقراض دولة سلجوق إيران.

٤ : أي دولة نجم الدين أيوب – الملك الصالح – ابن الملك الكامل في الديار المصرية.

أودعها من النعم الجسام، واقتضته من الأريحية[1] التي أربى فيها على كل من تقدَّمه من الكرام، وأبان فيها عما يقضي على الخادم بالاسترقاق، وللدولة – خلَّدها الله تعالى – بمزايا الاستحقاق، وكلما أشار المولى إليه هو كما نص عليه، لكنه يعلم بسعادته أن الفرص تمر مرَّ السحاب، [وأن الأمور المعينة في الأوقات المحدودة تحتاج إلى تلافي الأسباب][2]، وقد ضاق الوقت بحيث لا يحتمل التأخير، والمولى يعلم أن المصلحة تقديم النظر في هذا المهم على جميع أنواع التدبير. وما الخادم مع المولى في هذا إلا كسهمٍ: والمولى مسدِّده، والسيف: والمولى مجرِّده، فاللهَ اللهَ في العجلة، والبدار البدار ، فقد ظهرت مخايل السعادة والانتصار، والحذر الحذر من التأخير والإهمال، فيفوت – والعياذ بالله – الأوقات التي ترجو فيها بلوغ الآمال، والمسؤول من كرم الله تعالى أن ينهض المملوك في خدمة السلطان بما يبيِّض وجه أمله، ويكون ذلك على يد المولى وبقوله وعمله" .

ومن شعره قوله يمدح سيدنا – على نبينا وعليه الصلاة والسلام –:[**الكامل**]

هذي المهابة والجلال الهائل ... بهرا، فماذا أن يقول القائل؟
وبك اقتدى جُلُّ النبيين الألى ... ولديك أضحت حجة ودلائلُ
أظهرت إبراهيم أعلام الهدى ... والخير والمعروف جودك عامل
شيدت أركان الشريعة معلناً ... ومقرِّراً أن الإله الفاعلُ
ما زلت تنقل للنبوة سرها ... حتى غدا بمحمدٍ هو واصلُ
وقد التجأت إلى جنابك خاضعاً ... متوسِّلاً وأنا الفقير السائلُ

---

١ : الأَرْيَحِيُّ: الواسعُ الخُلُق، المنبسطُ إلى المعروف، والعرب تحمل كثيراً من النعت على أَفْعَليٌّ كأَرْيَحِيٍّ وأَحْمَرِيّ، والاسم **الأَرْيَحِيَّةُ**.

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من عيون الأنباء.

ومنهم:

١٣٠- الرضي الرحبي، يوسف بن حيدرة بن الحسن أبو الحجاج*

حكيم لو استجارت به الأرواح لكلأها، أو أملى المسامع لملأها، كم شكيت إليه الأسقام فأبرأها، وتواثبت الأيام فردَّ أجرأها، مذ وكِّلت به رعاية الأبدان حرست، ومذ أترست به الأعضاء رأست. شدَّ البناء وشدَّد الأبناء، فقامت به الأجسام، وكانت تئن سقما، وتدافع ضعفاً فتح لها فمه ملتقما، فتمَّت به محاسن الوجوه الوسام، وترضى الأرواح للأجسام فخصَّ بالحباء(١) وزيادة الاحتباء، فأقبل المال يتدفَّق عليه تدفُّق السيل، ويفيض عنده على الميزان والكيل.

قال ابن أبي أصيبعة فيه: " من الأكابر في صناعة الطب، والمتقدِّمين من أهلها، وله الذكر الشائع، ولم يزل مبجَّلاً عند الملوك. وكان عالي الهمَّة كبير النفس، كثير التحقيق، شديد الاجتهاد في مداواة المرضى، ما عرف منه أنه آذى أحداً ، ولا تكلَّم فيه بسوء. وكان لابنه نظرٌ في الطب، إلا أن صناعة الكحل

*(ت٦٣١هـ) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦٧٢-٦٧٥، والعبر للذهبي ٥/ ١٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٣٧١-٣٧٢ رقم ٢٣٧، وشذرات الذهب ٥ / ١٤٧ وفيه تصحَّفت النسبة إلى "الرَّخّي" بتشديد الخاء المعجمة، " ، وقال: نسبة إلى الرخ ناحية بنيسابور، وذكر أن أبا الحجاج يوسف بن حيدرة. وفي تاريخ الإسلام: " كان أبوه من الرحبة كحالاً، فولد له رضي الدين بجزيرة ابن عمر، وأقام بنصيبين مدة، وبالرحبة" – تاريخ الإسلام للذهبي ٤٦ / ٩٠ رقم ٧٥.

١ : **الحِباءُ**: ما يَحْبُو به الرجلُ صاحبَه ويكرمه به. والحِباءُ: من الاحْتباءِ؛ وحَبَا الرجلَ حَبْوةً أي أعطاه. والاسم الحَبْوَة والحِبُوَة والحِباءُ، وقيل: الحِباءُ العَطاء بلا مَنٍّ ولا جَزاءٍ.

كانت أغلب عليه، وبها عرف، وولد ابنه الرضي بالجزيرة في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، ونشأ بها، وأقام بنصيبين، ثم الرحبة، ثم سافر إلى بغداد وغيرها، واشتغل في علم الطب، وتميز فيه ، ثم أتى مصر واجتمع بالموفق بن جُمَيع المصري، وانتفع به، وكان قدومه دمشق في الأيام النورية، فرأى ابن النقاش وأخذ عنه، ولزمه، فنوَّه بذكره، وقدر له بالمثول الحضرة الصلاحية، فحسن موقعه إليها، ورتب في المارستان النوري، وأطلق له إدرار سلطاني ودام إلى أيام المعظم، وأشغل خلقاً كثيراً صاروا شيوخ إقراء، حتى كان لو اعتبر أطباء الشام لم يوجد منهم إلا من قرأ عليه أو على من قرأ عليه. وممن قرأ عليه "المهذب" : عبد الرحيم بن علي، وكان لا يرى أن يقرئ ذمياً ولا عادم أهلية.

وكان يلازم في طبه قوانين حفظ الصحة الموجودة ، وكان يتوقى صعود السلالم، ويقول: السلم منشار العمر.

ومن نوادره في طبه: أن ابن مرزوق ذكر أن الصاحب ابن شكر كان يلازم أكل الدجاج، فلحقه شحوب، فشكاه إلى الأطباء، فوصفوا له أنواعاً من الأشربة وغيرها، فلما شكا إلى الرحبي قال: يحضر الجواب، ثم نهض فأحضر له قطعة من صدر دجاجة، وقطعة حمراء من لحم ضأن، ثم قال له: أنت تلازم أكل لحم الدجاج، فلا يأتي الدم المتولِّد منه إلا شبهه، ولو أكلت من لحم الضأن لأتى الدم المتولد منه يشبهه، فاترك لحم الدجاج، ولازم لحم الضأن، وما تحتاج إلى علاج. ففعل ذلك، فزال شحوبه، وصلح لونه.

وتوفي يوم عاشوراء سنة إحدى وثلاثين وستمائة، ودفن بقاسيون.

ومنهم ابنه:

١٣١- الشرف علي شرف الدين أبو الحسن*

حكيمٌ أينع في جرثومة[١] الطبِّ عذقه[٢]، وصحَّ في نظر المستطب حذقه، لم تخطِ تجاربه، ولم تخفَ مآربُه، أحسنَ طبُّه علاج الأمراض، وقوَّم مزاج الأعراض، وعرف منه ما لم يخف على أحد، ولا عرف أن أحداً له جحد، وكان طبه شافياً للأسقام، وكافياً في الداء العقام، ولم تمسَّ يده مريضاً إلا مسح بيده سقمه، وسلَّه من قم دائه الذي التقمه، فكان لهذا يُرغب في تطبيبه، ويرى من استطب غيره سقامه من طبيبه.

قال ابن أبي أصيبعة فيه: " سلك حذو أبيه، واقتفى ما كان يقتفيه، وأشبهه خَلْقاً وخُلُقاً، وطريقة وحذقا، ولم يزل منذ نشأ متوفراً على قراءة الكتب وتحصيلها، ونفسه تشرئبُّ إلى طلب جمل الفضائل وتفصيلها.

قرأ على أبيه ، وعلى الموفق عبد اللطيف البغدادي، وأخذ عن السَّخاوي

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٦٧٥-٦٨٢ ، والوافي بالوفيات ٢٢ / ٣٥١ رقم ٢٤٥ ، والبداية والنهاية ١٣ / ٢٥٥ ، والسلوك ١ /ق ٢ /٥٨٣، والدارس في أخبار المدارس ١ / ١٣٠ ، وشذرات الذهب ٥ /٣٢٧ وبه وفاته سنة ٦٦٨هجرية، وعقد الجمان ٢ /٥٢-٥٣، وعيون التواريخ ٢٠ /٣٨٩-٣٩١، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٧٢٣، وإيضاح المكنون للبغدادي ١ /٤٣٩ ، وهدية العارفين للبغدادي ١ / ٧١١، ومعجم المؤلفين ٧ / ٢٦٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٩ / ٢٤٤-٢٤٥.

١ : **جُرْثومَةُ** الشيءِ، بالضم: أصْلُه.

٢ : **العَذْقُ**: النَّخْلَةُ بحَمْلِها، ج: أعْذُقٌ وعِذاقٌ، وبالكسر: القِنْوُ منها، والعُنْقُودُ من العِنَبِ، أو إذا أُكِلَ ما عليه، ج: أعْذَاقٌ وعُذوقٌ. قاله الفيروزابادي في "القاموس".

وغيره، وأجاد إتقان الأدب، وكان يحب التخلي للقراءة والدرس، والاطلاع على آثار القدماء، والانتفاع بتصانيف الحكماء.

ولد بدمشق سنة ثلاثٍ وثمانين وخمسمائة.

وحكي أنه قبل مرض موته بمدة كان يخبر أنه بعد قليل يموت، ويقول: وذلك عند قران الكوكبين، ثم يقول: قولوا هذا للناس حتى يعرفوا مقدار علمي في حياتي، وفي وقت موتي، فكان كما قال.

وتوفي بذات الجنب[1]، حادي عشر المحرم، سنة سبع وستين وست مائة. ودفن بقاسيون.

ومن شعره قوله:[الطويل]

سهام المنايا في الورى ليس تمنع ... فكلٌ له يوماً - وإن عاش - مصرعُ
فقل للذي قد عاش بعد قرينه ... إلى مثلها عما قليل ستدفع
فتباً لدنيا ما تزال تعلّنا ... أفاويق كأس مرّة ليس تقنع
أفق وانظر الدنيا بعين بصيرة ... تجد كل ما فيها ودائع رُجَّعُ

وقوله:[الطويل]

تُساق بنو الدنيا إلى الحتف سرعة ... ولا يشعر الباقي بحالة من يمضي
كأنهمُ الأنعام في جهل بعضها ... بما تم من سفك الدماء على بعض

---

١ :ذات الجنب: ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأخذ من سيء الأمراض وأخوفها.

ومنهم:

١٣٢- عمران [بن صدقة] الإسرائيلي *

واسم أبيه: صدقة، ويلقَّب بالأوحد.

حكيمٌ حكم له على نظرائه، وحتم بصواب آرائه، لنظرٍ كان له أثقب من نظر الغراب، وأحدُّ من السيف عند الضراب، حتى ظهر ظهور الشمس، واشتهر اشتهار ما كان في أمس، فاستدعته الملوك إلى مجالسها، وأدنته إدناء مُجالِسِها، فأخذ منها بحظ أزلف له الغدف[1]، وأشرف له على أبعد مشترف، وقدّمه لديهم لفضلٍ طار به محلِّقا، وأطال باعه محقّقا، وعرف بحسن التدريب، وصحة التجريب، فأُجزلت له الجوائز حتى كان يأخذها آلافا، ويعجل لها إتلافا وإخلافا، وهلك بعد السرف، وكثرة ما صرف، وأمواله قد زادت على القياس.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان أبوه طبيباً مشهوراً، واشتغل هو على الرضي الرحبي، وتميَّز في الطب، وحظي عند الملوك، واعتمدوا عليه في المداواة والمعالجة، ونال من جهتهم الأموال الجسيمة والنعم ما يفوق الوصف، وحصَّل من الكتب الطبية وغيرها ما لا يكاد يوجد عند غيره، ولم يخدم عند أحدٍ من الملوك في الصحبة، ولا تقيَّد معهم في سفر، وإنما كان كل منهم إذا عرض له مرضٌ أو لم يعز عليه طلبه ، ولم يزل يعالجه ويطبِّبه بألطف علاج وأحسن تدبير إلى أن يفرغ من مداواته، ولقد حرص به الملك العادل أبو بكر بن أيوب بأن

---

*(٥٦١- ٦٣٧هـ) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦٩٦-٦٩٧، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٢١٦-٢١٧.

١ : يقال: "هُمْ في **غدَفٍ**: مُحَرَّكةً، أي: نَعْمَةٍ وخِصْبٍ وَسَعَةٍ.

يستخدمه في الصحبة فأبى، وكذلك غيره من الملوك.

وحدَّثني الأمير صارم الدين التبنيني رحمه الله : أنه لما كان بالكرك وصاحبه الملك الناصر داود بن الملك المعظم ، وكان الملك الناصر قد توعَّك[١] مزاجه، واستدعى الحكيم عمران إليه من دمشق، فأقام عنده مديدة، وعالجه، حتى صلح، فخلع عليه، ووهب له مالاً كثيراً، ورتب له جامكية[٢] في كل شهر ألف وخمسمائة درهم ناصرية، ويكون في خدمته، وأن يسلف منها عن سنة ونصف: سبعة وعشرين ألف درهم.

أقول[٣] : وكان السلطان الملك العادل لا يزال يصله بالأنعام الكثير، وله منه الجامكية الوافرة، والجراية ، وهو مقيم بدمشق، ويتردَّد إلى خدمة الدور السلطانية، والقلعة، وكذلك في أيام الملك المعظم، وكان قد أطلق له أيضاً جامكية وجراية تصل إليه، ويتردَّد إلى البيمارستان الكبير ، ويعالج المرضى به، وكان به أيضاً في ذلك الوقت شيخنا مهذَّب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ، وكان يظهر من اجتماعهما كل فضيلةويتهيًّأ للمرضى من المداواة كل خير، وكنت في ذلك الوقت أتدرب معهما في أعمال الطب،ولقد رأيت من حسن تأتِّي عمران في المعالجة وتحقيقه للأمراض ما يتعجَّب منه، ومن ذلك أنه كان يوماً قد أتى إلى البيمارستان وبه مفلوج، والأطباء قد ألحُّوا عليه باستعمال المغالي وغيرها من صفاتهم، فلما رآه وصف له في ذلك اليوم تدبيراً يستعمله ، ثم بعد ذلك أمر بفصده، ولما فصد، وعالجه، صلح وبرئ برءاً تامًّا، وكذلك

---

١ : في الأصل المخطوط: "توغل" ولا معنى لها، وصوابه من " عيون الأنباء في طبقات الأطباء – ٦٩٧" .

٢ : **الجامكية**: الجمع جوامك، وهي الرواتب عامة، ونص القلقشندي " أن نفقة مماليك السلطان كانت عبارة عن جامكيات وعليف وكسوة، وغير ذلك" . انظر: صبح الأعشى ٣/٤٥٧.

٣ : والقول هنا لابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء، وليس لابن فضل الله كما يتوهم.

رأيت له أشياء كثيرة من صفات مزاوير، وألوان كان يصفها للمرضى على سبيل شهواتهم، ولا يخرج عن مقتضى المداواة، فينتفعون بها، وهذا باب عظيم في العلاج، ورأيته أيضاً وقد عالج أمراضاً كثيرة مزمنة، كان أصحابها قد سئموا الحياة ، ويئس الأطبّاء من برئهم، فبرؤوا على يديه، بأدوية غريبة يصفها، ومعالجات بديعة قد عرفها، وقد ذكرت من ذلك جملاً في كتاب "التجارب والفوائد" .

توفي الحكيم المذكور في مدينة حمص، في جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وست مائة، وقد استدعاه صاحبها لمداواته.

ومنهم:

١٣٣- [موفق الدين] يعقوب بن صقلاب النصراني*

حكيم أطاح طبه رداء السقم، وأطار عن الأعضاء لوثة السأم، فقامت به الأجسام كأنما نشطت من عقال، أو حودثت بعد صدأ الأسقام بصقال، فحظي عند الملوك حظوة زادت في أنسه، وقضى بها يعقوبه حاجةً كانت في نفسه. هذا إلى علم بصناعة الطب حفظت له فيه دروس، ونشأت له به غروس، وكان كأنما خلق من طينة أفلاطون، وجالس جالينوس، حتى اخترمته المنون.

قال ابن أبي أصيبعة : " كان أعلم أهل زمانه بكتب جالينوس ومعرفتها، دائم الاستحضار لها، كأنها مصورة بين عينيه، لا ينقل إلا عنه، وكان يشرح كتب أبقراط، ويورد نص ما قاله جالينوس في شرحه، وكان يجتمع هو والمهذب عبد الرحيم بدمشق، بدار السلطان ، ويجري بينهما مباحث، وكان المهذب أفصح

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦٩٧-٦٩٩.

عبارة، وأقوى براعة، وأحسن بحثاً، وابن صقلاب أكثر سكينة، وأبين قولاً، وأوسع نقلاً.

وكان في معالجاته غاية في الجودة والنجح، لأنه كان لا يداوي حتى يجيد تحقيق المرض، وكان المعظَّم يشكر هذا من فعله، ويصفه به، ويقول: لو لم يكن في الحكيم يعقوب إلا استقصاء الأمراض ليعالجها على الصواب ولا يشتبه عليه شيءٌ من أمرها لكفاه.

وكان متقناً للسان الرومي، ونقل كتاب " حيلة البرء" وغير ذلك من كتب جالينوس، منها إلى العربي.

قال: كان مولده بالقدس، وأخذ الطبيعي والهندسة والحساب والنجوم عن فيلسوف كان قد ترهَّب بها في دير السيق. قال: وكانت له في النجامة أحكامٌ صحيحة، وإنذارات عجيبة، وعلت مكانته عند المعظم حتى أراد أن يوليه بعض تدبير دولته، فامتنع، وكان قد عرض له نقرس في رجليه، فكان المعظم إذا سافر أخذه معه في محفَّةٍ. وقال له يوماً: يا حكيم، لم لا تداوي هذا المرض الذي في رجليك؟. فقال له: الخشب إذا سوَّس ما يبقى في إصلاحه حيلة. وأدرك الناصر داود بعد أبيه.

وولد بدمشق[١] سنة إحدى وستين وخمسمائة، وتوفي بها يوم فصح النصارى سنة خمس وعشرين وستمائة.

١: سبق أن ذكر أن مولده بالقدس وهو الصواب كما في عيون الأنباء. والمذكور أعلاه خطأ نسخي.

ومنهم:

١٣٤- رشيد الدين الصوري أبو المنصور ابن أبي الفضل بن علي*

رجلٌ تهادته الملوك، وهادنته الأيام لحسن السلوك، وكان الحظُّ معه حيثما خيم، والسعد قرينه أينما يمَّم، وهو من بيت تعد معه رجال، وتمتع الدهر بهم إلى آجال، وطالما زهت بهم الأيام الخوالي، وحسنت بهم الليالي الحوالي، وكان هو آخرهم، الذي كان لمسكهم ختاما، وضرب لهم حول قباب الجوزاء خياما.

قال ابن أبي أصيبعة: " اشتمل على جملة من الصناعة الطبية، واطلع على محاسنها الجلية والخفية، وكان فريداً في الأدوية المفردة وماهياتها، واختلاف أسمائها وصفاتها، وتحقيق خواصِّها وتأثيراتها. اشتغل على عبد اللطيف البغدادي بالقدس سنتين، وصحب الجياني، وكان عارفاً بالأدوية المفردة، فانتفع به، واشتغل بها مع ما هو عليه من المروءة التي لا مزيد عليها، والعصبية التي لم يسبق إليها، والمعرفة المذكورة ، والشجاعة المشهورة .وخدم بالطب: العادل[١]، ثم صار إلى المعظَّم[٢]، وحضر معه دمياط. ثم صار إلى الناصر داود، فلما توجه إلى الكرك أقام الرشيد بدمشق ، وكان يشتغل بها.

ولأبي نصر المهذب الحلبي [٣] فيه مديح ، منه:[**الطويل**]

*٥٧٣ - ٦٣٩ هجرية ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٦٩٩-٧٠٣،و الأعلام لخير الدين الزركلي ٣ / ٢، وهدية العارفين للبغدادي ١ /٣٦٨، ومعجم المؤلفين لكحالة ٤ / ١٦١، وإيضاح المكنون للبغدادي ١ /٥٥، ودائرة المعارف للبستاني ٣ / ٢٩٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٦ /٣٩٩-٤٠٠، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٥٢.

١ : الملك العادل أبو بكر بن أيوب توفي سنة اثنتي عشرة وستمائة من الهجرة.

٢ : الملك المعظم عيسى بن أبي بكر ، وكان وجيهاً عنده في أيامه.

٣ : مهذب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخضر الحلبي .

سرى طيفها والكاشحون[١] هجود[٢] فبات قريباً والمزار بعيد
وتالله ما عاد الخيال وإنما تخيله الأفكار لي فيعود
فيا لائمي كف الملام ولا تزد فما فوق وجدي والغرام مزيد
ألا في سبيل الحب من مات صبوة ومن قتلته الغيد فهو شهيد
ولم تر عيني مثل أسماء حلة تضنُّ بوصلي والخيال يجود
وبتُّ وجنح الليل مرخٍ سدوله أضمُّ غصون البان وهي تذود
إلى أن تبدّى الصبح غير مذمّم وزال ظلام الليل وهو خميد
وكيف أذم الصبح أو لا أودّه وإن ريع مودودٌ به وودود
وكل صباح فيه للعين حظوة بوجه رشيد الدين وهو سعيد
فقل لبني الصوري قد سدتم الورى وما الناس إلا سيد ومسود
وما حزتم إرث العلى عن كلالة كذلك آباء لكم وجدود
ومن بأبي المنصور أصبح لائذاً فقد قاربته بالنجاح سعود
فيا كعبة الآمال يا ديمة الندى ويا من به روض الرجاء مجود
ومن عنده يوم السماحة حاتمٌ كما عند مدحي في علاه عبيد
أياديك عندي لا أقوم بشكرها فما فوق ما أولت يداك مزيد

ولد سنة: ثلاث وتسعين وخمسمائة بصور، ونشأ بها، وتوفي بدمشق يوم الأحد غرة رجب سنة تسع وثلاثين وستمائة[٣].

---

١ : جمع "كاشح" والكاشح: العَدُوُّ الذي يُضْمِر عَداوَته ويَطْوي عليها كَشْحَه: أي باطِنَه.

٢ : هجود: أي نائمون.

٣ : في الأصل المخطوط "وخمسمائة" وهو خطأ نسخي واضح.

ومنهم:

١٣٥- سديد الدين بن رقيقة[١]، أبو الثناء، محمود بن عمر بن محمد بن إبراهيم، ابن شجاع الحانوي، الشيباني*

طبيبٌ كان كالنسيم في لطف العلاج، والصباح الوسيم عند الانبلاج، وكان لا يبارى في خفة يد، ولعب أنامل في جد، مهما تقدم له مما تقدم به في ذوي الحظوظ، فما قاوى جدول تياره، ولا طاولت الحباحب[٢] ناره، وكان يستحق هذا من أيامه الذاهبة، وفي زمانه وعطايا إنعامه الواهبة.

ذكره ابن أبي أصيبعة فقال: " ذو النفس الفاضلة، والمروءة الكاملة، جمع من الطب ما فاق به أقوال المتقدمين، وتميز على جميع نظرائه من الحكماء والمتطبِّبين، هذا مع الفطرة الفائقة ، والألفاظ الرائقة، والنظم البليغ، والترسل البديع.

ولازم ابن عبد السلام الماrديني[٣]، وأخذ عنه الطب والحكمة، وكانت لابن

١ : قيده الإمام الذهبي – رحمه الله تعالى – في المشتبه ١ / ٣٢٢ بابن رُقيقة – الزاي. وكذا في "تاريخ الإسلام" ٤٦ / ٢٦٤-٢٦٥.

*٥٦٤- ٦٣٥ هجرية ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧٠٣-٧١٧، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٥ /١٧٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٦٣و١٢٠٢و١٢٥٩و١٥٠٧و١٥٥٥و١٩٠٥،و إيضاح المكنون للبغدادي ٢ /١٤٦و١٨٩و٢١٩و٣٨٠و٤٠٦، وهدية العارفين ٢ /٤٠٥، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٢ /١٨٥-١٨٦، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٢٧١-٢٧٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٦ /٢٦٤-٢٦٥ برقم ٣٧٣.

٢ : الحَبَاحِبُ: السَّرِيعَةُ الخَفِيفَةُ، والصِّغَارُ، جَمْعُ الحَبْحَابِ، و دُويبة. بالضم: ذُبابٌ يَطيرُ باللَّيْلِ له شُعاعٌ كالسِّراجِ، ومنه: نارُ الحُباحِبِ، أو هي ما اقْتَدَحَ من شَرَرِ النار في الهَواءِ من تَصادُمِ الحجارَةِ.

٣ : هو الإمام الفاضل فخر الدين محمد بن عبد السلام المقدسي ثم الماrديني. انظر: عيون الأنباء ٧٠٤.

رقيقة يد طولى في الكحل والجراح، وعمل الحديد، وداوى أمراض العين، وقدح الماء النازل ، وأنجب عمله، وكان المقدح الذي له مجوّفاً، وله عطفة ليتمكن وقت القدح من امتصاص الماء، ويكون العلاج به أبلغ.

واشتغل بعلم النجوم، ونظر في حيل بني موسى، وعمل فيها أشياء مستظرفة.

ولد الحانوي (١) سنة أربع وستين وخمس مائة، وعالج صاحبها الأرتقي (٢) من مرض في عينيه، فرأى سريعاً، وكان إذ ذاك دون العشرين، فاستخدمه عنده . ثم خدم المنصور صاحب "حماه" مدة، ثم سافر إلى "خلاط"(٣) ، وكان صاحبها الأوحد أيوب ابن العادل(٤) ، فخدمه، وخدم صهره صلاح الدين ابن ياغيسان(٥) ، وكان زوج ابنة الأوحد، وكانت بنت الأوحد محسنة إليه، ثم خدم بعده الأشرف ملكشاه أرمن، ثم أتى إليه إلى دمشق، فأكرمه، واستخدمه لحرم، وفي البيمارستان، ولم يزل بها إلى أن توفي سنةخمس وثلاثين وست مائة.

وله شعر منه:[الكامل]

يا ملبسي بالنطق ثوب كرامة	ومكمّلي وداً به ومقوِّمي
خذني إذا أجلي تناهى وانقضى	عمري على خطٍّ إليك مقومِ
فقد اجتويت ثواي ثم ومن يكن	دار الغرور له محلاً يسأم

---

١ : في مدينة "حيني" ويقال: " حيني" و"حاني" وهي من مدن ديار بكر.

٢ : نور الدين بن جمال الدين بن أرتق.

٣ : مدينة بأرمينيا.

٤ : الملك الأوحد نجم الدين أيوب بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب.

٥ : كان ولده ياغيسان من الأمراء السلجوقيين، حكم أنطاكية من قبل ملكشاه.

دار يغادر بؤسها وشقاءها … من حلَّها وكأنه لم ينعم
لا ترتضي الدنيا الدنية موطناً … تعلى على رتب السواري الأنجم
فتشاهدي ما ليس تدرك كنهه … بالفكر أو يتوهم المتوهم
وتجاوري الأبرار في مستوطن … لا داثر البقيا ولا متهدم
يا أيها المغرور شبت ولم تعد … عما لهجت به ولم تتندَّم
لا تحسبنَّ الشيب فيك لعلَّةٍ … عرضت ولا لتلزجٍ في البلغم
لكن شبابك كان شيطاناً ومن … يك مارداً بالشهب حقاً يرجم
والشيب إشراق الحجا وضياؤه … فأهن هواك وإن شيبك يكرم
يا جابر العظم الكسير وغافر … الجرم الكبير لكل عبد مجرم
ما لي إليك وسيلة وذريعة … أنجو بها إلا اعتقاد المسلم

وقوله: [الخفيف]

لا تكن ناظراً إلى قائل القو … ل بل انظر إليه ماذا يقول
وخذ القول حين تلقيه معقو … لاً ولو قاله غبيٌّ جهولُ
فنباح الكلاب مع خسة فيها … على منزل الكريم دليل
وكذاك النضار معدنه الأر … ضُ ولكنه الخطير الجليلُ

ومنهم:

١٣٦- صدقة بن منجا بن صدقة السامري*

رأس حكمة وأدب، وحلف همة لم يقصِّر في دأب، لم يلفَ مثله سامريا، ولا مضطلعاً سام ريا، ورد على الغمام حياضها، وراد في جنبات المجرةرياضها، طالما سهر الليالي الطوال، وأكثر في طلب العلم السؤال، إلى أن جمع على الفضائل ردنه، واتخذ كرم الفعائل خدنه، إلا أنه لم ينزع حب دينه، ولا جفا ما جفّ في طينه.

قال ابن أبي أصيبعة(١) **فيه**: " من الأكابر في صناعة الطب، والمتميزين من أهلها، والأماثل من أربابها، وافر العلم، جيد الفهم، قوياً في الفلسفة، وكان يدرس في الطب وله فيه وفي الحكمة تصانيف، وخدم الأشرف شاه أرمن، وكان يحترمه غاية الاحترام، ويكرمه كل الإكرام، ويعتمد عليه، وتوفي بحرَّان فيما ينيف على سنة عشرين وستمائة، وخلَّف مالاً جزيلاً، ولم يخلِّف ولداً.

ومن كلامه قوله: " الصوم منع البدن [من الغذاء] وكف الحواس عن الخطاء، والجوارح عن الآثام، [وهو كف الجميع عما يلهي عن ذكر الله](٢) ."

---

*(ت ٦٢٠ هجرية) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧١٧-٧٢١، والوافي بالوفيات للصفدي ١٤/ ١٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٥٠٦و١٢٦٩و١٤٦٧و١٥١٩، والأعلام لخير الدين الزركلي ٣/ ٢٠٣، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥/ ١٩، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٨٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٥/ ٤٢٢.

١ : عيون الأنباء ٧١٧.

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط، استكمل من عيون الأنباء.

وقال: "[اعلم أن جميع الطاعات ترى إلا الصوم لا يراه إلا الله، فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد]، وللصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وهو كف البطن والفرج. وصوم الخصوص، وهو كف السمع والبصر واللسان، وصوم خصوص الخصوص، فصوم القلب [عن الهمم الدنية]، والأفكار [الدنياوية]"[1].

وقوله: " ما كان من الرطوبات الخارجة من الباطن ليس مستحيلاً [2]ولا له مقر فهو طاهر، كالدمع والعرق، واللعاب، والمخاط. وأما ما له مقر وهو مستحيل فهو نجس كالبول، والروث".

ومن شعره قوله[مخلع البسيط]

يا وارثاً عن أب وجدٌ ... فضيلة الطب والسداد
وضامناً رد كل روح ... همت عن الجسم بالبعاد
أقسم لو كان طب دهراً ... لعاد كوناً بلا فساد[3]

وقوله:[السريع]

مهندسٌ في طول أيامه ... مع قصره يبتلع الساريه
مثلثٌ يدعمه قائمٌ ... لأنه منفرج الزاويه

---

١ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من المرجع السابق.

٢ : مستحيل أي متحول من حالة إلى حالة.

٣ : فضَّ الله فاه، فهذا الكلام كفر بواح فيه، فقائله كافر كافر كافر إن لم يتب ويرجع.

ومنهم:

١٣٧- المهذب يوسف بن أبي سعيد بن خلف السامري *

سامري لم يخفر ذمته، ولم تقصر في طلب العلياء همته، حتى دانى الغاية على قلة ناصريه، وكثرة حسّاده في معاصريه، ولم تزل العداوة تشب اللهب، وتجلل الرماد الذهب، فألصقت به العيوب، وخرّقت إليه أستار الغيوب، ولم تزل تزعزعه العواصف إلى أن زحزح، وتكشف غماره حتى صحصح.

قال ابن أبي أصيبعة(١): " أتقن الطب والحكمة، واشتغل بعلم الأدب، وبلغ في الفضائل أعلى الرتب، وكان كثير الإحسان، غزير الامتنان، فاضل النفس، صائب الحدس، قرأ في الخدمة الصلاحية(٢)، على شمس الحكماء إبراهيم السامري، وعلى إسماعيل بن أبي الوقار الطبيب، وعلى أبي اليمن الكندي، والمهذّب ابن النقاش، وتميَّز في الطب، واشتهر بحسن العلاج، وعالج ست الشام بنت أيوب من دوسنطاريا كبدية، بالكافور القيصوري(٣)، بحليب بزر بقلة محمصة، وشراب رمان، وصندل، فسارعها الدم ، ثم لاطفها، حتى برأت.

وخدم فرخشاه بن أيوب، ثم خدم ابنه الملك الأمجد، وأقام عنده ببعلبك،

*(ت سنة ٦٢٤ هجرية) ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧٢١-٧٢٣، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٥٠٦، و معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٣ / ٣٠٢، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٣٠٧-٣٠٨.

١ : عيون الأنباء ٧٢١.

٢ : أي في خدمة الناصر صلاح الدين يوسف.

٣ : **الكافُورُ**: نَبْتٌ طَيِّبٌ، نَوْرُهُ كنَوْرِ الأُقْحُوَانِ، والطَّلْعُ، أو وِعاؤُه. وهو أصناف منها: القيصوري، والرياحي، ثم الأزاد، والاسفرل، والأزرق . ذكره ابن البيطار في جامعه ٢ / ١٦٨.

وحظي عنده، وكان يستشيره، ويعتمد عليه ، ثم استوزره، وحصَّل بسببه الأموال.

وقال فيه فتيان[1]: [المنسرح]

الملك الأمجد الذي شهدت　　له جميع الملوك بالفضل
أصبح في السامري معتقداً　　ما اعتقد السامري في العجل

قال ابن أبي أصيبعة[2]: " ولم يزل المهذّب على علو منزلته، حتى كثرت الشكاوى من أقاربه السامرة، وما كثر منهم من العسف والظلم، وأكل الأموال، وإفساد الحريم، ولامت الملوك الملك الأمجد عليه، فقبضه، وقبض على أقاربه، واستصفى منهم أموالاً كثيرة، واعتقله ثم أطلقه، فأتى دمشق ، وأقام بها في داره.

ومن شعره قوله: [المجتث]

إن ساءني الدهر يوماً　　فإنه سرَّ دهراً
وإن دهاني بمالٍ　　فقد تعوَّضت أجرا
الله أغنى وأقنى　　والحمد لله شكرا

ومنهم:

١٣٨ - أمين الدولة أبو الحسن بن غزال بن أبي سعيد السامري *

وزير الصالح إسماعيل. كان سامرياً وأسلم، ولقب كمال الدين، وكان

١ : أي الشيخ شهاب الدين فتيان، كما في عيون الأنباء ٧٢٢.

٢ : عيون الأنباء ٧٢٢.

* **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧٢٣-٧٢٨.

المهذب السامري عمه، وكان لا يطمع في معاضلته، ولا يقدر على مناضلته، إلا أنه قتل نفسه بحمقه، وتبرد بالنار من حرقه، ولم يزل منذ أخذ في الطلب يترقى ويبرِّز بين المعامل ولا يتوقى، حتى تسنَّم ذرى الوزارة، وغلط طيفها في غفلة الحلم وزاره، فتصدى للأموال حتى صادها، وأقام على الأعيان أرصادها، إلا أنها فرَّت من شباكه، وأنفت أن تستقر في أملاكه، ثم كان آخر ما حمله عليه الهوج(١)، وطلب به استقامة حاله من العوج، أنه أقيم من الدست الذي لم يقدِّمه أحدٌ إلى صدره، ولا جزي به بعد طول الحبس على عاقبة صبره، ثم أخذ وشنق ، وكان قد أبرم بيده حبل سعادته فخنق.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان له الذكاء الذي لا مزيد عليه،والعلم الذي لا يصل سواه إليه، والإنعام العام والإحسان التام، والهمم العالية، والآلاء المتوالية. قد بلغ من صناعة الطب إلى غاياتها، وانتهى إلى نهاياتها، وفاز بمحصولها، وأتقن علم فروعها وأصولها، حتى قلَّ له المماثل، وقصر عن معانيه كل فاضل.

كان أولاً عند الأمجد(٢) صاحب بعلبك طبيباً، فلما توفي بدمشق ، استقلَّ أمين الدولة بالوزارة العمادية، فساس أحسن السياسة، وبلغ في التدبير نهاية الرياسة، وثبت قواعد الملك، وأبَّدها، ورفع مباني الفضل وأيدها، وجدَّد معالم العلم والعلماء، وأوجد من الفضائل ما لم يكن لأحدٍ من القدماء، ولم يزل عالي القدر نافذ الأمر، مطاع الكلمة، كثير العظمة، إلى أن ملك دمشق الملك الصالح أيوب، وجعل نائبه بها [معين الدين] ابن شيخ الشيوخ، وأعطى الصالح إسماعيل بعلبك، فانتقل إليها، وبقي وزيره بدمشق، وقد جمع له ولصاحبه أموالاً عظيمة جداً، أخذها من أهل دمشق، بموافقة القاضي الرفيع الجيلي، فاتَّفق

---

١ : الهَوَجُ، محركةً: طُولٌ في حُمْقٍ وطَيْشٍ وتَسَرُّعٍ.

٢ : مجد الدين بهرام شاه ابن عز الدين فرخشاه بن أيوب.

ابن شيخ الشيوخ والصاحب ابن مطروح[١] على مكيدة عملت، وهو أنهما طلبا أمين الدولة ، فلما أتى قاما له، وقالا له: إن أردت الإقامة بدمشق فابق على حالك، وإن أردت أن تلحق صاحبك فتقيم عنده فافعل. فقال: لا والله بل ألحق مخدومي، وأكون عنده. ثم إنه خرج بجميع أمواله وذخائره، وأحواله، وخواصّه، وجميع ما يملكه حتى أثاث بيته، وحصر دوره . فلما صار ظاهر دمشق بما معه قبض عليه وأخذ جميع ما كان قد جمعه، وأحيط على أملاكه، واعتقل ، ثم حمل إلى القاهرة، فأودع السجن بقلعة الجبل مع جماعة أخر من الحاشية العمادية، فلما أتى الملك الناصر يوسف ابن العزيز من حلب إلى دمشق، وملكها، صار معه الصالح إسماعيل وسائر ملوك الشام، ثم توجه يريد مصر، فخرجت إليه عساكر المعز أيبك، وكان قد ملك بعد مولاه الصالح أيوب، فلما التقوا كانت الكسرة أولاً على العسكر المصري، ثم دارت الدائرة لهم على العسكر الشامي، وقبض الصالح إسماعيل، وجماعة من الملوك والأمراء، وحبسوا بمصر، ثم أطلق بعضهم. وأما الصالح إسماعيل فكان آخر العهد به.

وحكي أن أمين الدولة لما سمع بما كان من ظهور العسكر الشامي على المصريين، على ما كان أولاً وعد المتحدث في القلعة عند طلوع الملوك بمواعيد أطمعته، فأخرج من كان عنده وكانوا ثلاثة : أمين الدولة، وناصر الدين ابن يغمور، وأمير كردي[٢]، فقال الكردي: يا قوم، لا تستعجلوا واقعدوا مكانكم، فإن كان الأمر صحيحاً، فأستاذنا يخرجنا، ويحسن إلينا، وإن كان غير صحيح، فقعودنا أصلح لنا.

فلم يلتفت أمين الدولة وابن يغمور إليه، وخرجوا، وتأخر هو، وقعد الوزير

١ : الوزير جمال الدين بن مطروح ناظر الخزانة في مصر ، ووزير في دمشق.

٢ : يقال له : سيف الدين.

أمين الدولة وابن يغمور في القلعة، وأمروا، ونهوا، فلما جاءت الأخبار المؤكدة بعكس ما طار إليهم به أول الخبر، أمر المعز بقتل ابن يغمور، وشنق أمين الدولة، وإطلاق الكردي، فأُطلق الكردي، وقتل ابن يغمور، وشنق أمين الدولة.

قال ابن أبي أصيبعة: " وحكى لي من رآه لما شنق وعليه قندورة(١) عتابي خضراء، وفي رجله سرموزة(٢) . قال: ومن العجائب أن أمين الدولة لما حبس أرسل إلى منجم بمصر كانت له إصابات لا تخرم، وسأله عما كان وما يكون من حاله؟!(٣)، فأخذ طالع الوقت، ورسمه، ثم قال: يخلص هذا من الحبس، ويخرج منه فرحاً مسروراً، ويبقى له أمر مطاع، يمتثل فيه أمره ونهيه. ففرح، فلما جاءه ذلك الخبر ظنَّ أنه يبقى وزيراً بمصر، فتمَّ له ما ذكره المنجِّمُ في يوم خروجه، ثم لم يعلم ما يجري له بعده. وكان ذلك في الكتاب مسطورا.

ومنهم:

١٣٩- المهذَّب الدَّخوار: أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد*

---

١ : **القندورة**: فارسية: فوطة. انظر: المعجم الفارسي الكبير ٢/٢٢٩٣.

٢ : **السرموزة**: نعل معروف، فارسي، معناه: "رأس الخف"، وفي الفارسية: سرموز، وسر بمعنى رأس، و"موزه" بمعنة خف. انظر" قصد السبيل للمحبي ٢/١٣٣.

٣ : وكذب المنجمون ولو صدقوا، وقد ورد التهديد والنهي الشديد عن إتيان العرافين والمنجمين، كما هو معلوم. ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى أو من ارتضى من رسول.

*(٥٦٥- ٦٢٨ هجرية) **ينظر ترجمته في**: عيون النباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧٢٨-٧٣٦، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١٤١٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٣/١٩٨-١٩٩،و شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٥/١٢٧-١٢٨،و الدارس للنعميمي ٢/١٢٧-١٢٨،و مرآة=

طبيبٌ نهض به طيب العناصر، ونهى علمه أن تعقد على غيره الخناصر. كان في الحكماء علماً، وفي إثبات الحكم قلما، عزَّ وجوده وقلّ ما، فاض إناؤه، وآض[1] اجتناؤه، وكان لفروع الطب شجرة يكاد زيتها يضيء، ويقال[2] في ظلها ويُفيء. كأنما جالس أرسطوطاليس، وجال مع تلك الجماعة في تقرير تلك النوامس[3]، ولهذا اشتهر، وملأ العيون وبهر. وكان ممن يستصحُّ برأيه، ويستصبح بذكائه. هذا إلى خطٍّ أوتيه، وحظٍّ كان يواتيه.

قال ابن أبي أصيبعة[4]: " إليه انتهت رياسة صناعة الطب ومعرفتها على ما ينبغي، ولم يكن في اجتهاده من يجاريه، ولا في علمه من يماثله، أتعب نفسه في الاشتغال وكدٌّ خاطره في تحصيل العلم حتى فاق أهل زمانه، وحظي عند الملوك، ونال من جهتهم من المال والجاه ما لم ينله غيره من الأطباء، وكان في مبدأ أمره كحَّالاً، وكذلك كان أخوه حامد بن علي، وكان الدَّخوار يكتب خطاً منسوباً، ونسخ الكثير، وقرأ النحو على الكندي، والطب على الرضي الرحبي، ثم لازم الموفق ابن المطران، ثم أخذ عن الفخر المارديني، لما قدم دمشق ، وخدم الملك العادل بن أيوب، ثم لم يزل تسمو منزلته عنده حتى صار جليسه، وصاحب مشورته، وظهرت له منه نوادر في تقدم المعرفة، منها: أن العادل عرض له مرضٌ وأشار الدخوار عليه بالفصد، فلم يوافقه بقية الأطباء على ذلك، فقال

=الجنان لليافعي ٤ /٦٥-٦٦،= =ود. محمود الحاج قاسم محمد : الطب عند العرب والمسلمين ٨٦، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥ /٢٠٩، والأعلام لخير الدين الزركلي ٣ /٣٤٧، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٨٥-١٨٦.

١ : يقال: **آضَ يَئِيضُ** أيضاً: سارَ وعادَ. وآضَ إلى أهله: رجع إليهم.

٢ : من **القيلولة**: وهي نَوْمَةُ الظَّهِيرَة.

٣ : **الناموس**: الشَرِيعَة، أو القَانُون .

٤ : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٧٢٨.

لهم: والله إن لم يخرج دماً وإلا خرج الدم من غير اختياره، فما مضى أيسر وقت حتى طفر الدم من أنفه، ورعف رعافاً كثيراً، وصلح ، فعلم أنه ليس في الكل مثله.

ومنه: أنه كان يوماً على باب دار السلطان في جماعة من الأطباء، إذ خرج خادمٌ ومعه قارورة جارية يستوصف لها لشيء شكت منه، فلما رأوها، وصفوا لها ما حضرهم. فقال الدخوار : إن هذا الذي شكت منه ما يوجب صبغ الماء هكذا، ويوشك أنه من حناء اختضبت به. فقال له الخادم: نعم، تخضَّبت بحناء. فأخبر العادل بذلك، فتزايد حسن اعتقاده فيه.

ومن أحسن ما يؤثر عنه أن الملك العادل كان قد غضب على قاضي القضاة محيي الدين ابن الزكي لأمرٍ نقمه عليه، وأمر باعتقاله بقلعة دمشق، إلى أن يزن عشرة آلاف دينار مصرية، وشدَّد عليه، فأقام في السجن والمطالبة، ووزن البعض، وعجز عن البقية، وقال السلطان: إن لم يزن وإلا عذَّبته. فتحيَّر القاضي وباع جميع موجوده وأثاث بيته، حتى الكتب التي له، وتوسَّل إلى السلطان بكثير من الأمراء والخواص في المسامحة أو التقسيط، فلم يقبل ، فأتى الدخوار إليه ليتفقده لمودة قديمة بينهما، فشكا إليه حاله، وما قد تم عليه، فوعده بالمساعدة بحسب الطاقة، ثم قام فدخل على أم الصالح إسماعيل ابن العادل، وكانت ممرضة، فلما دخل عليها عرَّفها بحديث القاضي وأنه مظلوم، وسألها في أمره، فقال: كيف أحدِّث السلطان في أمر من لا أعرفه؟ ولو كان طبيباً يدخل علينا أو تاجراً نعامله لأمكن الكلام فيه. فقال لها: فثمَّ طريق آخر يحصل به القصد. قالت: وما هو؟. قال: في وقت يكون السلطان نائماً عندك تظهرين له أنك رأيت مناماً يقتضي أن القاضي مظلوم، وعرَّفها ما تقول. فقالت: هذا يمكن. فلما عوفيت أتاها الملك العادل، فنام عندها وهي إلى جانبه، فلما كان آخر الليل انتبهت وأظهرت

أنها مرعوبة، وأمسكت فؤادها وبقيت ترتعد وتتباكى. فانتبه السلطان وقال لها: مالكِ؟ وكان يحبها حباً كثيراً، ثم جعل يرشُّ عليها من ماء الورد وقال لها: ما الذي بك؟ فقالت: رأيت مناماً عظيماً هالني، وكدت أموت منه، وهو أنني رأيت كأن القيامة قد قامت في بهو عظيم، وبها خلق عظيم، ونيران كثيرة تشعل، وناسٌ يقولون: هذه للملك العادل لكونه ظلم القاضي!!. ثم قالت: هل فعلت قط بالقاضي شيئاً؟ فما شك في قولها، وانزعج ثم قام لوقته، وطلب الخدام، وقال: امضوا إلى القاضي وطيبوا قلبه، وسلموا عليه عني وقولوا له يجعلني في حل مما تمَّ له، وإن جميع ما وزنه يعود إليه، وما أطالبه بشيء. ثم لماأصبح أمر له بخلعة كاملة، وبغلة، وأعاده إلى رتبته وأعاد إليه جميع ما وزنه، واستردَّ له ما باعه.

وقال: مرض العادل بالشرق مرضاً صعباً، وولي علاجه الدخوار، إلى أن برئ، فلما عوفي حصل له نحو سبعة آلاف دينار، وبعث له أولاد العادل وسائر ملوك الشرق، وأكابر الأمراء الخلعَ والبغال بأطواق الذهب، وغير ذلك.

ومرض الكامل[١] فعالجه، فلما برأ حصل له نحو اثني عشر ألف دينار، وأربع عشرة بغلة بأطواق الذهب، وخلع كثيرة من الأطلس وغيره، وولي ذلك الوقت رئاسة الأطباء.

وخدم مرةً الأشرف، وأعطاه إقطاعاً جليلاً، ووقف داره بدمشق بالمناخليين مدرسة على الطب، ووقف عليها عقارات له[٢].

١ : ابن الملك العادل.

٢ : وكانت وفاته رحمه الله تعالى صبيحة يوم الاثنين خامس عشر صفر سنة ثمان وعشرين وستمائة، ودفن بجبل قاسيون، ولم يخلف ولداً.

ومنهم:

١٤٠- الرشيد علي بن حليقة بن يونس بن أبي القاسم بن خليقة الأنصاري الخزرجي*

من ولد سعد بن عبادة رضي الله عنه.

طبيبٌ لو شكا إليه البرق اختلاف نبضه لأبراه، أو حاول منه الرعد ما في صحف النهر لأقراه.

من أسرة سارت بهم الأمثال، وسراة أسفاً على عقدهم كيف انثال، أراق الكرى عن كؤوس أجفانه، وجعل طوارق السهاد[١] من ضيفانه، همه يقظ، وعزمه حتفظ، حلَّ بها أجلَّ الرتب، وجلا بها عن الجسوم الريب، وكان لا يفقد السبات، ولا يخرج إلى حدِّ الإعنات، لعلاجه بالملائم، واحتجاجه بما يكفي الملاوم، هذا إلى تفنُّنٍ في علوم أخر، وفضائل كأنها البحر إذا زخر، ومحاسن لو أراد بها لفخر.

قال ابن أبي أصيبعة[٢]: " إنه عمه، وأنه ولد بحلب سنة تسع وتسعين وخسمائة، وقال: إن جدَّه معروف بابن أبي أصيبعة، وكان قد توجه إلى مصر إذ استقلت بها الدولة الصلاحية، وإن الشهاب يوسف الكحال، وابن أبي الحوافر

---

*(٥٧ - ٦١٦ هجرية) **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧٣٦-٧٥٠، الصفدي - الوافي بالوفيات ١٢/ ٥٧، وروضات الجنات للخوانساري ٤٨٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١٨٩٩،، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٢٠٣.

١ : **السُّهادُ**: الأَرَقُ. والسُّهُدُ، بضم السين والهاء: القليل من النوم.

٢ : عيون الأنباء ٧٣٦.

كانا من أصدقائه، فلما أتيا مصر أشارا عليه بإشغال ولديه في الطب، يعني المؤرخ عمه هذا وأباه، فأمرهما بملازمة ذينك الرجلين، وأن أباه أكثر الأخذ عن الشهاب يوسف ، ثم قرأ على الرئيس موسى وأهل طبقته، وأن همّه كان أو اشتغاله على أبي التقى صالح بن أحمد المقدسي، ثم لازم ابن أبي الحوافر، وكان إذ ذاك رئيس الأطباء في أيام العزيز، ثم باشر المرضى بالمارستان، ثم أخذ صناعة الكحل عن النفيس بن الزبير، وقرأ على عبد اللطيف البغدادي، وكان يشتغل بالسديد المنطيقي، واشتغل بعلم النجوم، وأخذ الموسيقى عن ابن الديجور المصري، وعلي ابن التبان[١] ، ثم اجتمع بأعيان المصنفين فيه، ثم لما عاد أبوه إلى الشام انتقل معه واجتمع بمن به من المتعينين، وباشر المارستان النوري، ثم خدم الأمجد صاحب بعلبك، ثم خدم العادل ثم المعظم، ثم الناصر ابنه، وتوفي في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة ، ودفن بمقبرة باب الفراديس .

ومن كلامه قوله: " ما أحسن الصبر لولا أن النفقة عليه من العمر" .

وقوله: " الأصدقاء كنفس واحدة في أجساد متفرقة" .

وقوله: " المال مغناطيس أنفس الجهلاء، والعلم مغناطيس أنفس العقلاء" .

وقوله: " القانع مساعد على بلوغ مآربه" .

ومن شعره:[**الكامل**]

يا صاحبيّ سلا الهوى وذراني ... كُفَّا الملام عن المحب العاني
لا تسألاه عن الفراق وطعمه ... إن الفراق هو الممات الثاني

---

١ : صفي الدين أبو علي بن التبان. " عيون الأنباء ٧٣٧" .

نادى الحداة دنا الرحيل فودعوا ... ففجعت في قلبي وفي خلاني
وبكيت وجداً بعد ذاك فلم يفد ... أني وقد صار اللقاء أماني

وقوله:[الكامل]

أرأيتما يا صاحبي فتى تذل ... له الأسود تذلة الغزلان
ما كنت ممن يسترق فؤاده ... عشق ولكن الهوى سلطان

ومنهم:

١٤١- ابن قاضي بعلبك: المظفر بن عبد الرحمن بن إبراهيم*

الحكيم الفاضل الملاطف بدر الدين أبو التأييد.

فاق في علم وقراءة، ، وفهم تقدم به والناس وراءه، قدَّمه فضله واستحقاقه، ونبله الذي ضرب على ربى المجرّة رواقه، ولحق في أوانه بجلَّة الرؤساء، وحلَّ من أئمة زمانه محلة الجلساء، وسبق أهل جيله حيث لا يلحقه إحضار، وخلق مع أبناء جنسه إلا أن طينته جبلت من معدن النضار(١)، ولم يعالج عليلاً ثم أصبح ببقائه ليس ينتفع، ولا دافع مطل إلا ثم أضحى بملاطفته لا ينتفع، وكان لا يطبِّب إلا بالأهون على العليل، والأحب إليه وإن كان النفع به من القليل، على أنه البحر الذي لا يشق له عباب، والوقوف عليه إذا لم يوجد باب. وألقيت عليه من الله محبة لم يره إلا من شغف بحبه، وشغل بطبه، وفضله على كل نكرة

---

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧٥١-٧٥٥، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٥٥-٥٦، ودائرة معارف البستاني ٣/ ٤٤٥.

١ : **النُّضارُ**، بالضم: الجَوْهَرُ الخالصُ من التِّبْرِ.

ومعروف، وكل ذي طب يسرح نظراً بإحسان ويمسك يداً بمعروف، ولم ألحق أحداً من الكبراء وأهل العلم إلا من كان يحسن عليه الثناء، ويحلو بأوصافه الحسناء.

قال لي عمي الصاحب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب – رحمه الله تعالى –: هو آخر الأطباء الذين رأتهم عيني.

وسألت عنه شيخنا شهاب الدين أبا الثناء الحلبي فقال: كان يقال هو جالينوس وقته. ثم أخذ في وصفه، وذكر ما كان عليه من حسن الملاطفة وإحسان العلاج.

قال ابن أبي أصيبعة[١]: " كان أبو مجد الدين قاضياً ببعلبك، ونشأ هو بدمشق، واشتغل بها في الطب على المهذب عبد الرحيم بن علي، وجمع له العلم الغزير، والذكاء المفرط، والمروءة التامة، وكانت له همة عالية في الاشتغال، ونفس جامعة لمحاسن الخلال، وكان لا يخلو له وقت من التزيد في العلم، والعناية بالمطالعة والفهم، وكان قد توجه صحبة المهذب لما طلبه الملك الأشرف، وخدم بالمارستان بالرقة، وصنَّف مقالة حسنةً في "الرقة"، واشتغل بها في الحكمة على الزين الأعمى رحمه الله، وكان إماماً في العلوم الحكمية.

ثم عاد ابن قاضي بعلبك إلى دمشق، فلما طلبها الجواد يونس[٢]، حظي عنده وتمكن في دولته، واعتمد عليه في صناعته، وولأه، الرياسة على الأطباء والكحالين، والجرائحية، وكتب له توقيعاً[٣] بذلك، فجدَّد من محاسن الطب

---

١ : عيون الأنباء ٧٥١.

٢ : هو الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل.

٣ : أي أصدر قراراً بذلك.

مادرس، وأعاد من الفضائل ما دثر، ولم يزل مجتهداً حتى اشترى أدراراً كثيرة جوار المارستان النوري، وهدمها وبناها، وأضافها إليه.

ثم خدم الصالح أيوب، وأرصد لمعالجة الحرم ، وجدد له توقيعاً بالرئاسة على أطباء الشام، ثم خدم من بعده من الملوك ولم يغير عليه عادة مستمرة له، ثم تجرَّد لعلم الفقه، وسكن بيتاً بمدرسة ابن قليج[١]، وكانت جوار داره، وتصدى لحفظ القرآن الكريم، ومعرفة القراءات والتفسير، وقراءة الفقه، وفنون الأدب، ولازم أبا شامة ، ودأب في العبادة والدين.

قلت: قال لي والدي رحمه الله : كان ابن قاضي بعلبك مختصاً بصحبتنا ، وكان يعود من مرض منا، ويتولى معالجته،وكان لا يرى التعمق في الوصف ولا المداواة بالكريه.

ويقول: ما ينتفع المريض بالكريه بقدر ما يتضرر به، لكراهيته له.

ويقول: ما لم يكن من المريض إقبال على الدواء لا تقبله أعضاؤه.

ويقول :ربما صار الدرياق سُماً والدواء داءً بإفراط كراهيةالمريض.

قال والدي رحمه الله تعالى ، وقد ذكره يوماً: رحم الله ابن قاضي بعلبك، لم يكن في زمانه مثله في حسن شكله وسمته، وحسن حديثه وصحة صحبته، ولطف علاجه، وتبرُّك الأعلاَّء[٢] بمقدمه لرفقه بهم، وعدم إكراهه لهم على الكريه.

وقال: دخل علينا يوماً ونحن نأكل طعاماً فيه باذنجان قد قلي بدهن

١ : المدرسة القليجية التي بناها ووقفها الأمير سيف الدين علي بن قليج رحمه الله تعالى ذكرها النعيمي في الدارس في تاريخ المدارس.

٢ : جمع عليل وهو المريض.

الإلية[1]، فقعد فأكل، وكان أكثر أكله منه، فقلت له: يا حكيم.... الباذنجان مولد للأخلاط السوداوية، كما يقال.

فقال: ذلك الباذنجان الأسود الشديد الحرافة، فأما هذا الأبيض باذنجان دمشق المقلو بدهن الإلية فلو رآه جالينوس لجعله دواءً للسوداء.

ومنهم:

١٤٢- العماد الدُّنَيسري: محمد بن العباس بن أحمد بن عبيد الربعي أبو عبد الله*

رجلٌ يرجع إلى كرم خيم، وينفع فيه كثرة التفخيم، تفنّن في فضائل، وتيقن أن كل عظيم عنده متضائل، بعزمٍ أطلَّ على النجوم في آفاقها، وعلم استخدم السعود بأوفاقها، ولطف ذات، وظرف أدوات، وكمال محاس بجدِّه بلغها، وأخذ مع توسُّع حظِّه بُلغَها، وقد كان للزمان رُوحا، وإلى الغايات طموحا، وكانت به الأيام سوافر، ومنه حظ للناس وافر، إلى أن عشّشت المنايا في هامته، وصرعته من قامته، ووسَّدته التراب، وأفسدته على الأتراب، وخرس منه لسان كان يجادل، وسكن منه محركٌ تحت حصى وجنادل.

ذكره ابن أبي أصيبعة : ولقَّب أباه بالقاضي الخطيب تقي الدين، وقال في

١ : أي إلية الخروف، وهي مجتمع الدهن من مؤخرته.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧٦١-٧٦٧، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢ / ٢٢١، والوافي بالوفيات للصفدي ٢ / ٢٠٢، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٥ / ٣٩٧-٣٩٨، والدارس للنعيمي ٢ / ١٣٣-١٣٤، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١٧٨٤، وهدية العارفين للبغدادي ٢ / ١٣٦، وإيضاح المكنون للبغدادي ٢ / ٣٢٨، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠ / ١١٨-١١٩، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٢٥٧.

عماد الدين: هو ذو الأريحية التامة، والعوارف العامة، مولده بدُنَيسَر[١]، سنة خمس وستمائة، ونشأ بها، واشتغل بالطب إشغالاً برع به.

قال: واجتمعت به فوجدت له نفساً حاتمية، وشنشنة أخزمية، وخُلُقاً ألطف من النسيم، ولفظاً أحلى من مزاج التسنيم، وأسمعني من شعره البديع معناه، والبعيد مرماه، وهو في علم الطب قد تميَّز على الأوائل والأواخر، وفي الأدب قد عجَّز كل ناظم وناثر، وكان قد سافر من دنيسر إلى مصر، ثم رجع إلى الشام، وأقام بدمشق، وخدم الآدر الناصرية اليوسفية بقلعة دمشق، والمارستان النوري.

ومن شعره: [**الطويل**]

نعم فليقل من شاء عني فإنني ... كلفت بذاك الخال والمقلة الكحلا
فلا تعذلوني في هواه فإنني ... حلفت بذاك الوجه لا أسمع العذلا

وقوله: [**السريع**]

عذارك المخضر يا منيتي ... لما بدا في الخد ثم استدار
فكان في ذاك لنا آية ... إذ جمع الليل معاً والنهار

وقوله: [الطويل]

حلفت له لا حلت عن ولهي به ... وقلبي على ما قد حلفت له حلف
إذا باعني منه الوصال لمهجتي ... شريت، وها قلبي أقدِّمه سلف

وقوله: [**الكامل**]

---

١ : **دُنَيسَر**: بضم الدال المهملة، وفتح النون، وسكون الياء المثناة من تحتها، وفتح السين المهملة وبعدها راء: وهي مدينة بالجزيرة الفراتية بين نصيبين ورأس عين، تطرقها التجار من جميع الجهات، وهي مجمع الطرقات، ولهذا قيل لها: دنيسر، وهي لفظ مركب أعجمي، وأصله: دنياسر، ومعناها: رأس الدنيا، وعادة العجم في الأسماء المضافة أن يؤخروا المضاف عن المضاف إليه ، وسر بالعجمي رأس. ذكره ابن خلكان في الوفيات ٥ /١٤٧.

وحـــيــاة ناظره وعــامل قــدِّه ... روحي بعــارض خــدِّه مــتــململه
هب أنَّني مــتــجنِّنٌ في حــبــه ... فــعــذاره فـي خـــدِّه من سلسله

وقوله: [**المتقارب**]

إذا رفع الـعـــود تـكـبـــيـــره ... ونـادى على الراح داعـي الفـــرح
رأيت ســجــودي لهــا دائمــاً ... ولـكن عــقــيـب ركــوب القــدح

ومنهم:

١٤٣- العز السويدي: إبراهيم بن محمد الأنصاري الأوسي، عز الدين أبو إسحق*

من ولد سعد بن معاذ رضي الله عنه.

طبيبٌ تؤخذ عنه الصناعة، وإمام يقدَّم على الجماعة.

تقدم في عصره تقدم استحقاق، وعرف علم الطب والطبيعة وما ناسبه معها، ولم يكن مثله في علا، ولا شبهه فيمن خلا، فشفيت به الأجساد، وأمنت مما يعرض للكون من الفساد، ورأيت من خطه ما كأنه ريش الطاووس، أو عذار الغلام وسالفة العروس، لا يقاس به خط قابوس ولا على صحائف النهر أشعة الشموس.

قال ابن أبي أصيبعة(١): " مولده سنة ستمائة بدمشق، ونشأ بها، وهو علاَّمة أوانه، وأوحد زمانه، مجموع الفضائل، كريم الأبوة، غزير الفتوة، وافر السخاء، حافظ الإخاء، اشتغل بالطب حتى أتقنه، ولم يصل أحدٌ من أربابه إلى ما وصل إليه. أخذ عن أكابر الحكماء كالمهذب عبد الرحيم،وغيره، وقرأ في علم الأدب

* ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧٥٩-٧٦١، والوافي بالوفيات للصفدي ٥/ ٨١-٨٢، والمنهل الصافي لابن تغري بردي ١/ ١٢٤-١٢٧، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٣٢٥، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ٢/ ١٣٠، ومرآة الجنان لليافعي ٢١٦، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٢١٩و٣٨٦و٨٢٤و١٩٠٠، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١/ ٩٧-٩٨، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٣٣-٣٤.

١: عيون الأنباء ٧٥٩.

وهو أسرع الناس بديهة، وكان أبوه تاجراً من السويداء بحوران، حسن الأخلاق، طيب الأعراق.

وقال الحكيم عز الدين: هو أجلُّ الأطباء قدراً، وأفضلهم ذكراً، وأعرف مداراة، وأنجح علاجا، وأوضح منهاجا، ودرَّس بالدخوارية[1]، وخدم السلطان والمارستان، وكتب خطاً منسوباً لطريقة ابن البواب، وخطّاً يشبه مولّد الكوفين وكل خط أحسن من الرياض المونقة، وأنور من الشموس المشرقة.

ومن شعره قوله:[السريع]

وناسك باطنه فاتك	يا ويح من يصغي إلى مينه
منزله أحرج من صدره	وخلقه أضيق من عينه

وتوفي بدمشق في [سنة ٦٩٠ هجرية][2] ودفن جوار الشبلية بالسهم الأعلى، بتربة أعدها لنفسه.

ومنهم:

١٤٤- موفق الدين يعقوب السامري أبو يوسف يعقوب بن غنائم*

بحرُ طبٍّ لم يبق إلا من ملأ من قليبه[3]، ولم يبعد يداً من قريبه، وأتته

١ : المدرسة الدخوارية: المدرسة التي وقفها في بيته مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار.

٢ : ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط، استكمل من موسوعة علماء الطب.

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧٦٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١٦٤٢، والأعلام لخير الدين الزركلي ٨/ ٢١٠، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٣/ ٢٥٢.

٣ : القليب : البئر.

الطلبة حتى ملأ كل سقاءه، وأمَّل بقاءه، وكان لا يعدم منتابا، ولا يدع مرتابا، ولا يسمح أن يكون أحدٌ عند مغناه، فسعد بمحضره جلساؤه، ووضح الصباح وجلاؤه، وكان في مثل هذا موفقا، وفي نقل الطب موثَّقا.

قال ابن أبي أصيبعة فيه: " رئيس زمانه، وعلاَّمة أوانه، مولده ومنشؤه بدمشق، بارع في الصناعة الطبية، جامعاً لعلوم الحكمة، قد أتقن صناعة الطب علماً وعملاً، واحتوى على معرفتها تفصيلاً وجُمَلا، وكان محمود المداواة، مشكور المداراة، متعيناً عند الأعيان، متميزاً في كل مكان، مؤيداً في اجتلاب الصحة، وحفظها على الأبدان، واشتغل عليه جماعة المتطبِّبين، وانتفعوا بفضله المبين، وله التصانيف الصحيحة العبارة، الفصيحة الإشارة، قوية المباني، بليغة المعاني، وعَدَّدَهَا.

ومنهم:

١٤٥- أبو الفرج يعقوب بن إسحاق بن القف النصراني*

بيعة قوم توقَّد نبراسها، ودوحة علم مثمرة غفل حراسها، فاق بطبٍّ له بالأبدان امتزاج، ويدان في تعديل كل مزاج، فطبَّب كل داء، ولاطف لطف الأدواء، وكان ذا فهم كأنما كشفت له السجف[1]، وعلمٍ هو البئر الذي لا ينزح،

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧٦٧ – ٧٦٨،و الأعلام للزركلي ٨/٩٦، ودائرة معارف البستاني ٣/٤٦٤، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٥٦٥و١٠٢٣و١١٦٦، وإيضاح المكنون للبغدادي ٢/١٢٠و١٩٣، وهدية العارفين للبغدادي ٢/٥٤٥–٥٤٦، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٣/٢٤٥، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٣٠٣.

١: **السَّجف**: السِّتر. وأسجَفَه إذا أرْسَله وأسْبَله. وقيل لا يُسَمى سِجْفا إلا أن يكون مَشقُوق الوَسَط كالمِصْرَاعين. قاله في القاموس.

وأبوه القف ولم يزل على وثبات تقدمه وثبات قدمه، حتى قيَّدت الحتوف خطاه، وأثقلت المنون مطاه، فما استقلت له قدم، ولا شبع للموت به قرم.

ذكره ابن أبي أصيبعة وقال(١): " مولده بالكرك، لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاثين وستمائة، وكان أبوه الموفق يعقوب صديقاً لي، مستمراً على أكيد مودَّته، حافظاً لها طول أيامه ودهره، يستحلى نفائس مجالسته، وتستجلى عرائس مؤانسته، ألمغيّ أوانه، وأصمعي زمانه، مجيداً في حفظ الأشعار، علاَّمة في نقل التواريخ والأخبار، متقدِّماً في علم العربية، فاضلاً في الفنون الأدبية، اشتمل في الكتابة على أصولها وفروعها، وبلغ الغاية من بعيدها وبديعها، وله الخط المنسوب الذي هو نزهة الأبصار، والعنايةالتي لا تلحق في جميع الأقطار والأمصار، وكان في أيام العزيز كاتباً بصرخد، والنجابة تلوح على ولده أبي الفرج من صغره كما تحقق منه في كبره، وافر الذكاء ، محباً للعلماء، فسألني أبوه في تعليمه، فقرأ عليّ ما عرف به أقسام الأسقام وحسم العلل، ثم انتقل أبوه إلى دمشق وخدم بها ، وسافر معه ولده، ولقي العلماء، ولازم الفضلاء، وقرأ الحكمة على الخسروشاهي، والغنوي الضرير، وقرأ الطب على علي بن المنفاخ، والموفق السامري، وقرأ أقليدس على المؤيدي العرضي، وفهمه فهماً فتح به مقفل أقفاله، وحلَّ به مشكل إشكاله، ثم خدم بقلعة عجلون، ثم عاد إلى دمشق، وخدم السلطان بها.

وذكر الجزري في تاريخه قال: سألت أبا الفرج ابن القف عن مرض قاضي القضاة عز الدين ابن الصايغ، فقال: يموت بعد مدة عيَّنها، وعن نفسه أنه يموت بعده بمدة عينها، فقلت له: أيش سبب ذلك؟.

١: عيون الأنباء ٧٦٧ وما بعدها.

فقال: القاضي كذب عليه فحصل له مراقيا[1] سوداوية، غارت إلى قلبه فقتلته سريعاً. غير أني أشرب الخمر فأظهره الشراب إلى ظاهري، فأورثني الصفرة في جميع البدن، فأنا أبقى بعده مدة عينها، فاعتبرت قوله، فكان كما قال، وقلت له: أنت من كبار الفضلاء، ولك تصانيف في الطب ما تدفع عنك!، فقال: علة الموت ما لها دواء. وكان يتحسَّر على نفسه.

قلت: وأنشدني القاسم بن المظفر بن محمود بن عساكر لنفسه إجازة في مرض الحكيم ابن القف المذكور: [**الخفيف**]

قيل إن ابن القف أشفى على المو ... ت ولم يبق منه غير رسيس
ما نرى طبه أفاد ولا رد ... دَ الردى عنه قول جالينوس
قلت كفوا أما سمعتم بما قيل ... وسارت به حداة العيس
لو نجا الطب فاضلاً كان بقراط ... ولم يعبث الردا بالرئيس
إنما غاية الطبيب مع العلَّـ ... ـةِ تخفيف ضرها المحسوس

قال الجزري: توفي أبو الفرج ابن القف في سنة خمس وثمانين وستمائة.

ومنهم:

١٤٦- المهذب يوسف كاتب الزردكاش

والناس فيه وفي النفيس على خلاف، ولكل واحد منهما فريق يتعصب له، ويقطع بتفضيله، والإنصاف أن النفيس كان أقعد بالعمليات، والمهذب كان أقعد بالعلميات، لكونه كان يشغله خدمة الأمراء عن المباشرة، وكان رأس أهل زمانه في التعليم والتقريب إلى الأفهام، وكان جامعاً للطب، بارعاً في فنونه،

١: وهو ما يسمى بالريقان، مرض يصبغ البدن بالصفرة.

مفترعاً لأبكاره وعونه، وكان يربأ بنفسه عن التمحض للاسترزاق بالطب، وكانت له بلة[١] من الرزق تعلّه، وقليل من متاع الدنيا يغنيه قله، ونشأت له عدة وافرة من التلاميذ ، وتقدّموا واشتهروا باسمه وبانتسابهم إليه، وإلى اشتغالهم عليه ,وهو والد الحكيم الفاضل غنائم الآتي ذكره والوافي كما يجب شكره.

ومنهم:

١٤٧- النفيس أبو الفرج ابن إسحاق بن أبي الخير السامري

طبيب جرى في مجالس جالينوس وتقدم، وإن جاء بعد اسفلنيوس ، لو رآه الدخوار لخار، أو الرئيس صاحب الدلالة لحار، وابن التلميذ لتتلمذ لطبِّه ، أو الرحبي لرحَّب به، وفقد حاسة بصره لا بصيرته، وحناه الكبر وهو على وثيرته، ولم يبق في وقته من أكابر الأطباء، إلا من كان يحسده على فضله، ولا يسعه إلا الاعتراف، فإذا أراد التنقُّص به لا يجد سبيلا أكثر من أنه يقول إنه فقد حاسة البصر، وبها كان يرى السحنة التي يستدل بها، ويرى بها العلامات، وكان جل زمانه للإقراء والاشتغال في علم الطب وفروعه، والتوقيف على دقائقه، والإجادة في حسن التعليم والتفهيم، والتوقيف والتثقيف، فأنشأ أهل ذلك الجيل، وتخرَّجوا عليه حتى تأهَّلوا وبرعوا في الطب، وزكوا، وأذن لهم في الطب والتصرف وكلهم من عذبه الزلال استقوا، ومن شعبه ذي الأطلال ارتقوا. وكان النفيس ريِّض الأخلاق، طويل الروح، كثير الاحتمال، كان للأمين سليمان رئيس الأطباء بمصر لفتات عليه، ويتنقَّص به ويسمعه القبيح ويفاجئه بالصريح وهو لا يتأثَّر، ولا يتقلَّل بكلامه، ولا يتكثَّر، وعلماء الدهر ، وفضلاء العصر، كلهم

---

١ : البِلَّةُ، بالكسرِ: الخَيْرُ والرِزْق.

على خلاف قول الأمين سليمان فيه، ويصفه بالفضل كل طبيب فاضل وفقيه، ولما كبر انحنى ظهره، وتأطَّر رمحه، فلما احدودب ، كان يقال له: صندوق العلم، يسميه بهذا عامة الناس ، ويعتقد فيه الفضل ويشهد له جمهور الخلق من عرفه منهم ومن لم يعرفه بالتقدم في الطب، والتبريز على كل معاصر، وكان له تفقُّه في الطب، وآراء في المداواة، وتفنُّنٌ في العلاج، ولم يزل مشاراً إليه إلى أن هلك، ومتبوعاً في الطب أين سلك.

ومنهم:

١٤٨- الأمين سليمان الحكيم وهو سليمان بن داود*

أمين الدين أبو الربيع ، رئيس الأطباء بالشام . لحق بالأوائل، وعرف العلم بالدلائل، لو عالج المعتذر لأزاح علله، أو شاء إصلاح ما بين الأفقين لسدَّ خلله، لم يتقدَّمه جالينوس إلا بالزمان، ولا ابن سينا إلا بكثرة الإدمان، نسي به كل من تقدَّم، ونسب إليهم من الفضل ما قدَّم.

قرأ على العماد الدنيسري، والعز السويدي، والموفق السامري(١)، وأخذ عن تلك الطبقة، إلا أنه كان إلى الدنيسري أشدّ انقطاعاً ، وإليه صارت كتبه وعليه وقف أملاكه، وكان وارث علمه وماله، وخلفه في كل أحواله، وكان منه أصل ثروته، وما حصَّله وأثره وأثله.

وحكى لي من رآه في حال صباه، وغصنه رطيب، ومفرقه كله مسك

---

* ينظر ترجمته في: ذيول العبر ١٧٤، والدرر الكامنة ٢/١٥١، والدارس في تاريخ المدارس ٢/١٣٢، وشذرات الذهب ٨/١٧٥ تحقيق الأرناؤوط.

١: مرت ترجمتهم قريباً.

وطيب، وخده مصقول السوالف، وطرفه إما ساحر أو سائف، ولأهل بلده به فتون، وفي كمده فتون، والدنيسري قد اعتلقه، وخيل إليه دوام الحياة بقربه، فاعتنقه. قال: وكان على هذا لا يخلو منه للحكماء ملعب، ولا للعلماء ندي فضل به يستوعب ، فلما صارت إليه الرياسة وسارت به النفاسة قال بعض حسَّاده :[**الكامل**]

يا معشر الحكماء لا تتسخَّطوا	لعظيم ما قد تمَّ في ذا العالم
هذا سليمان بن داود الذي	نال الرياسة دونكم بالخاتم

قلت: وإنما نبح القمر وعارض أدنى البحر، وهيهات أن تغطي السماء بالسحاء، أو يضارّ في رؤيته ذو نظر، فلقد كان فرداً في الزمان منقطع القرين، معدوم النظير، شارك في الحكمة، وبرَّز في علم الطب، وصار عَلَماً فيه، وتقدَّم باستحقاق وألقي عليه القبول، ومال إليه الحقير والجليل، واقتصرت على طبه الأكابر، ومالت إليه العلماء وأثنى عيه شيخنا ابن الزملكاني، وحصلت بينه وبين ابن الوكيل منافرة، ثم اتفق لابن الوكيل أن ركَّب للأفرم نائب الشام سفوفاً(١) يعينه على الهضم، ويسهله، فلما أخذ منه الأفرم أفرط به الإسهال، ووثب مماليك الأفرم بابن الوكيل ليقتلوه، فأتى الأمين سليمان وكفهم عنه ثم دخل على الأفرم ، واعتبر إعراضه، ثم أعطاه أمراق الفراريج، وشرع في إعطاء المسهلات له، واستفرغه حتى كمل إخراج تلك المادة التي اندفعت، ثم أعطاه المقبِّضات والممسكات، فبرأ وأفاق.

قلت: إنما أعطاه أولاً المسهِّلات مع وجود الإسهال، لأنه رأى السفوف قد هيج مادَّة رديّة، ولم يتم اندفاعها، وإن انحباس بقيتها مفسد للبدن، فاستعمل

١ : كل دَواء يؤخذ غير معجون فهو سَفُوفٌ، بفتح السين، مثل سَفُوف حبّ الرُّمان ونحوه، والاسم السُّفَّةُ والسَّفُوفُ. واقْتماحُ كل شيء يابس سَفٌّ؛ والسَّفوفُ: اسم لما يُسْتَفُّ.

استفراغ تلك المادة الردية، ثم أمسك ما سواها، وهذا من محاسن العلاج، وله غير هذا من الغرائب والعجائب في صناعة الطب .منها: أن بعض بني صصري كان يشكو نزلة متقدمة به، لا تزال تعاوده، ويلتاث جسمه ببقاياها، فشكا إليه ما يجده منها، فأمره بالحمية، وتعهُّد الحمَّام، حتى لطف أخلاطه، ثم أخرجه من الحمام وكشف رأسه عقيب خروجه منه حتى نزلت به نزلة أخرى، ثم استمر به على الحمية، وشرع في معالجته، وأعطاه المسهلات حتى استفرغ مواد تلك النزلة، واندفعت معها مواد النزلة القديمة، وبرأ الرجل وأفاق.

ومنها: ما حكاه لي الشيخ أحمد بن براق قال: كنت عند الأمين سليمان فأتى رجل قد حصل له ورمٌ في وجهه، وقد تلوَّن بالحمرة والزرقة، فلما رمى عمامته عن رأسه، وكانت عمامة كبيرة، وبقي الرجل يخاف من البرد، وسليمان يقول له ارمها بلا فشار، ثم أمر بسطل من الماء البارد فصبَّه على رأسه، وكان الفصل شتاء، ثم نقله إلى المارستان، وشرع في معالجته، وسئل عن هذا فقال: كانت قد تحركت مادة في دماغه أردت أن أجمِّدها قبل أن تنصبَّ جملةً واحدة.

قلت: وقد تقدم مثل هذا عمن تقدم، وله كل معالجة طائلة ، وحدس صحيح، وتجربة محققة. ولما مرض الكرجي وهو في نيابة طرابلس ، حارت فيه الأطباء فاستدعاه واستطبَّه، فبرأ بقدرة الله على يده، فغمره بالإحسان، وحصل له منه ومن حاشيته نحو أربعين ألف درهم، ، ما هو دراهم وقماش وغير ذلك، ثم عاوده المرض فاستدعاه وطبَّبه، وبرأ فحصل له منه نحو عشرين ألف درهم.

وحكي لي : أنه كان أقل ما يدَّخر في كل يوم دينارٌ من الذهب، بعد كُلَفه وسائر نفقته، وإنه على هذا منذ بلغ عشرين سنة من العمر، وإلى آخر وقت.

وكان صحيح الإسلام، حسن المعتقد، جميل اليقين، وحجَّ مرات إلى البيت

الحرام، وزار النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وكان إذا أتى المدينة الشريفة لزم المسجد وأكثر الصلاة.

ولم يزل على رتبته ومكانته حتى سعي عليه عند تنكيز نائب الشام، وغير عليه خاطره، هذا إلى ما كرهه منه من قوة النفس، وكثرة الجرأة والإقدام، فعزله عن الرياسة، وحطَّه عن رتبته، وأغري بذمته، والتنقُّص به، وقام عبد المولى اليهودي لعناده ورماه سليمان بالبرص ، وكشف فلم يصح قوله فيه، وولي عوضه جمال الدين محمد ابن الشهاب الكحال، فجرت بينهم عواصف ، وتمت بينهم مع تعمُّد الظلم مناصف ونامت على بغضاء تنكز له الأيام والليالي، ثم عطفته عليه عاطفة الرضا، فأقبل عليه كل الإقبال، واستصحبه في سفرةٍ كنت فيها إلى جهة غزة، وأتينا بأنواع من الطعام فيها من السمك واللبن، فقلنا له من أيهما نأكل؟. فقال: أنا طبيبكم وكلوا مما آكل. ثم أكل من السمك، وأكلنا معه حتى كاد يشبع، ثم ترَّد خبزاً في اللبن، وأكل منه بالملاعق ، وأكلنا معه، ثم قال: علينا بالمصلح. فقلنا: ما هو؟. فقال: العسل. فأتينا به ، فلعق منه لعقاً كثيراً، ولعقنا معه، ثم مكث ساعات، ثم أمر فعملنا شراباً من السكر والليمون، فشرب وشربنا معه، ثم قال: علمنا اليوم بطب الهند. قالوا: أما أن يكون أحدهما أبرد من الآخر أو هما سواء في الدرجة، فإن كان أحدهما أبرد من الآخر فالآخر مصلح له، فإن كانا سواء في الدرجة كنا كمن أكل من شيء واحد، واستكثر منه.... ثم طلب الأمين سليمان إلى باب السلطان ولحق به لتطبيب القاضي علاء الدين ابن الأثير كاتب السر - رحمه الله تعالى - من فالج أصابه، فجاء وطبَّبه فلم ينجع، وسعى لأمر فما أنجع، ولم يقع من السلطان بموقع، ولا لقي أطباء الحضرة، بما يجب ، فتقهقر وذمَّ وأعيد إلى دمشق مبرقع الوجه بالخجل، خائب الظنة والأمل. ثم عقد له مجلس بحضرة تنكز لدواء وصفه

لابنه، وكان قد جمد اللبن في معدنه، فوصف له أنفحة الجداي، فأنكرت الأطباء ذلك ، فادَّعى الصواب، وحضر المجلس المعقود له أعيان الفقهاء والحكماء، وطولب بالنقل، فأحضره ، فلم ينهض بصدق دعواه، وعلى هذا فلم ينقم عليه تنكز كراهيته له، وتوفي في.... (١).

ومنهم:

١٤٩- أحمد بن شهاب الدين أبو محمد الكحال الجرائحي*

ذو يدٍ في صناعته ولسان، وأسىً لأعمال يديه وإحسان، جرى ممتد الأرسان، واتخذ يداً عند كل يد وصنيعة عند كل إنسان، وكان رب علم يدرس وينسخ، وعمل يقطع لأجل ميل منه مائة فرسخ، فطالما بصَّر من عمي، وحقن دماً إذ أراق دما، بعلاج كم جبر من كسر، وأطلق من أسر، وظهر بأشتات من المحاسن جمع منها عديداً، وجعل سيف النظر بالجلاء مجوهراً وكان حديدا، هذا إلى خبرة بمفردات الأكحال وترتيبها، ومجمعات أجزائها وتركيبها، فكم سوّى منها ما خلق، وداوى رمد العين وقد خلق الإنسان من علق.

ومنهم:

١٥٠- الفتح السامري: هو ابن يوسف بن إسحق بن مسلم *

من سبط يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وهو آخر من بقي في

١: بياض في الأصل المخطوط، وذكر في شذرات الذهب أنه توفي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة من الهجرة. انظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٥.

* **ينظر ترجمته في**: معجم الأطباء ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء - تأليف أحمد عيسى ١٠٧-١٠٨ نقلاً عن المسالك نفسه.

* **ينظر ترجمته في** : معجم الأطباء ذيل عيون الأنباء لأحمد عيسى ٣٣٥-٣٣٦.

الإقليمين، وصلح للتعليمين، برع في الحكمة على إطلاقها، وأعرف عن بدائع اخلاقها، وأتقن فروع الطب حتى أصبحت به فروعها مثمرة، وأغصانها على أصول الحكمة نضرة، وقرأ جانباً من النحو أقام به أود لسانه، وقام به في جدد الإحسان ، وكتب خطاً كما حشي عنبر الأصداغ، وسلك طرقاً من العبارة لها من نطف القلوب مساغ.

قرأ الطب على النفيس السامري، وغيره، وتخرَّج مع سلف الأطباء ، وزاحم بقايا تلك القنن، وطبَّب وعالج ،وظهر حسن أثره ، وعرف يمن علاجه، وأثنى عليه الأفاضل، وشهدت له الأطباء بالإجادة، وكان شيخنا ابن الزملكاني يقول: ما رأيت في المسلمين أصح من ذهن البرهان الزرعي، وفي غير المسلمين من أبي الفتح السامري، قلت له مرة: فأيهما أصح ذهناً؟. قال : أبو الفتح. وكان رحمه الله يدع مشاهير الأطباء في زمانه ، ومنهم الأمين سليمان، وهو أصدق صديق له، وأصحب صاحب يعتمد عليه، ويطلب الحكيم أبا الفتح ويستطبّه، وإذا حضر هو وغيره من الأطباء وهم كهول، وهو شاب ، ترك أقوالهم واتبع قوله، وجعل عمدة طبه عليه.

وحكى لي ولده تقي الدين عبد الرحمن قال: مرض أبي مرضةً استشعر في مباديها أنها ستطول به مدتها، وتثقل عليه، فطلبني وقال: يا بني، أنا ما أعتمد في الطب إلا على أبي الفتح السامري، فإن ثقل بي المرض وغاب ذهني عني بالحمى أو غير ذلك لا تعدل بي عن طبه ومعالجته، وإياك أن تغتر وتميل إلى قول سواه، فإن أبا الفتح صحيح الحدس في معرفة المرض، وعليه رتب المداواة.

قال: وكان كثير الثناء عليه، ولما كنا بحلب كان يقول إذا ذكر دمشق وحسنها يقول: كيف لا أتأسف على دمشق وفيها ربيت ونشأت؟ وفيها مثل

أبي الفتح ، وكان لا يزال يشتاق إليه ويتأسف عليه .

قلت : والحكيم أبو الفتح هو اليوم واحد زمانه، منقطع القرين، ما له نظير في معرفة علم الطب، وحسن العلاج، ولطف المداواة، إلى حسن الوجه،والشكل، والعبارة، والخط، وما عليه من القبول مع إذعان كل حكماء زمانه وأطباء دهره له بالتقدم والتفرد وحده في الرتبة والمكان، وما خلا الوقت ومثله موجود في الزمان .

ومنهم :

١٥١ – غنائم السامري، وهو ابن المهذب يوسف كاتب الزردكاش*

ملاطف ملأ طيف كل جفن من كرى، وعدل مزاج الزمان لم يدع منكرا . أبطل ذكر ابن بطلان، وأسخط علي بن رضوان، وأتى بما لو رآه ابن ماسويه لمسَّه الإعجاب، أو حنين بن إسحاق لما وسعه إلا أن يتستَّر بما طال من الثياب .

قرأ على أبيه المهذَّب، وأخذ عن النفيس، وأذن له في الطب، وتصرَّف وطبَّب، واشتهر بالعلم والاستحضار للنقل والمفردات، والعلاج الحسن، والملاطفة التامة، وغرائب المداواة، وهو ممن تزهو به دمشق، وتستطيل في الفخار، مع ما طبع عليه من أناة ورفق، وتودُّدٍ، وحسن تبصُّر، ومعرفة لا تقصر ، ورأيت من يرجِّحه على أبيه، ويصفه ويبالغ فيه، والناس فيه وفي الحكيم أبي الفتح على قولين، وعلى الجملة فأين مثلهما أين؟ .

* **ينظر ترجمته في**: ذيل عيون الأنباء لأحمد عيسى ٣٢٣–٣٣٣.

فأما أطباء الغرب بما وقع في جانبه من مصر والاسكندرية ، فمنهم:

١٥٢- إسحق بن عمران*

حلّق تحليق العُقاب، وحلَّ حيث لا يعاب. وافى ديار مصر فكان زلالا ، وأتى المغرب فكان هلالا، فطاب به الواديان، وكان كقاب قوسين منه الواليان، واستوطن أفق المغرب وشمسه ما أذنت بأفول، وشهبه ما آن لقلائصها قفول، ثم كان يتشوق العراق، وبرد نسيمه، وورد تسنيمه، ولكن لم تدن له الأماني، ولم تدن لسعيه المتواني، ولم يتمناها إلا حين لا أوان وحيث دنت وقد حيل بين العير والنزوان.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان طبيباً مشهوراً، وعالماً مذكورا، ويعرف بسم ساعة، قال ابن جلجل: كان مسلمَ الدين، بغدادي الأصل، بعث إليه ابن الأغلب[١] ألف دينار وراحلة، وكتاب أمان بخط يده أنه متى أحب الانصراف إلى وطنه انصرف، واستجلبه، حتى دخل أفريقية على شروط ثلاثة، لم يف له بواحد منها.

قال: وبه ظهر الطب في الغرب، وعرفت الفلسفة، وكان خبيراً بتأليف الأدوية المركبة، بصيراً بتفرقة العلل، أشبه الأوائل في علمه وجودة قريحته. استوطن القيروان حيناً، وألف سكنه، وألّف فيه كتباً منها: كتابه في داء

---

*توفي سنة ٢٩٤ هجرية , ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٧٨-٤٧٩،و كشف الظنون لحاجي خليفة ٥١و٤٠٣و١٩٤٩،و إيضاح المكنون للبغدادي ٢/ ٢٦٥و٢٧١و٢٧٩و٣١٥و٣١٩و٣٢٦و٣٤٢، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٤/ ٢٦٨، والأعلام لخير الدين زركلي ١/ ٢٩٥، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢/ ٢٣٦، والطب عند العرب والمسلمين لمحمود الحاج قاسم محمد ٢١٨-٢١٩،و موسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٥٣-٥٤.

١: زيادة الله بن الأغلب التميمي من ملوك الأغالبة، قاعدة حكمه القيروان، وهو الذي قام ببناء جامع القيروان الشهير، وغزا مرات عدة شواطيء أوربا.

الماليخوليا، لم يسبق إليه، ثم توحَّش له ابن الأغلب، وكان نهماً، وكان إسحق يمنعه من كثير من المآكل ، فقدم عليه حدث يهودي من الأندلس، فكان يخالف إسحاق فيما يشير به على ابن الأغلب، فقُدِّم إليه يوماً لبن، وكان يشكو ضيق نفس، فنهاه إسحق عن أكله، وهوَّنه اليهودي عليه، فأكله، فعرض له في الليل ما أشرف منه على الهلاك، فأرسل يقول لإسحاق : هل عندك علاج؟. فقال: لا. فقيل له: هذه خمس مائة دينار، وعالجه. فأبى ، فلم يزل حتى أوصل إلى ألف دينار، فأخذها، وأطعمه الثلج حتى امتلأ ، ثم قيَّأه، فخرج جميع اللبن، وقد تجبَّن ببرد الثلج، فقال له إسحاق: أيها الأمير، لو دخل هذا اللبن أنابيب رئتيك ولج فيها أهلكك بضيق النفس، لكنني أجهدته وأخرجته قبل وصوله، فقال ابن الأغلب: باع والله إسحق روحي في البدء اقطعوا رزقه. فخرج إسحق إلى مكان من رحاب القيروان، وصار يكتب الصفات[1] كل يوم بدنانير كثيرة، فقيل لابن الأغلب : طردت إسحاق أو دللته على الغنى؟ فسجنه، فتبعه الناس إلى السجن يستوصفونه، فأخرجه ليلاً ثم كانت له معه حكايات ومعاتبات أحنقته عليه، ففصده في ذراعيه حتى مات، ومكث حتى عشَّش في جوفه الطير.

ومنهم :

١٥٣- إسحق بن سليمان الإسرائيلي أبو يعقوب*

المعروف المشهور، والمألوف طبه المشكور، طالما وهب الكواكب أيقاظ نومه،

---

١ : أي صار يكتب الوصفات الطبية للمرضى، يصف لهم الأدوية، ويتقاضى على ذلك الأجر حتى جمع مالاً.

*توفي سنة ٣٢٠ هجرية،**ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٧٩-٤٨١ ،وكشف الظنون لحاجي خليفة ٢٤٣و١٣٩٠و١٣٩٤و١٤١١و١٤١٤و١٤٦٦، وإيضاح المكنون للبغدادي ٢ / ٢٧٥و٢٨٩و٤٥٤، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٤ / ٢٨٦-٢٨٨، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢ / ٢٣٤، موسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٨٦-٨٧.

ومنح الغياهب[١] أنقاض يومه، ودانى العلياء لو حفظ لسانه، ولفظ إلا إحسانه، لم يسلم من عثرات لا تقال، وتحفظ ولا تقال[٢]، لعجلة كانت له خُلُقا، وكالت بالمكاييل عليه الشقا، فلم يخل من ملام، وكلام مثل كلام[٣].

قال ابن أبي أصيبعة: " كان طبيباً فاضلاً، بليغاً عالماً، مشهوراً بالحذق والمعرفة، جيد التصنيف، عالي الهمة، وهو الذي شاع ذكره وانتشرت معرفته بالإسرائيلي، وهو من أهل مصر، وكان يكحِّل في أوليته، ثم سكن القيروان، ولازم إسحاق بن عمرن ، وتتلمذ له، وخدم المهدي عبيد الله[٤] بالطب، وعمِّر إلى أن نيّف على مائة سنة، ولم يتزوج امرأة ,ولا ولد ولداً، وقيل له: أيسرك أن تخلف ولداً؟. فقال: أما إذا بقي بعدي كتاب "الحميّات" فلا!. يعني: أن بقاء ذكره بهذا الكتاب الذي صنفه أكثر من بقاء ذكره بالولد.

ويروى أنه قال: لي أربعة كتب تحيي ذكري أكثر من الولد[٥].

وحكى قال: لما قدمت من مصر على ابن الأغلب، بعث إليَّ بخمس مائة دينار، قويت بها على السفر ، فلما وصلت أُدخلت عليه ساعة وصولي، فسلمت عليه بالإمرة، وفعلت ما يجب أن يفعل للملوك من التعبد، فرأيت

---

١ : جمع "غيهب" والغَيْهَب: الظلام. ولَيْلٌ غَيْهب: أي مُظلِم.

٢ : "لا تقال" الأولى من الإقالة وهي قبول العذر بعد العثرة، وتقال الثانية من "القول".

٣ : الكلام الأولى المراد به المقال، و"الكلام" الثانية بكسر الكاف فهو التجريح والملام.

٤ : الإمام أبو محمد عبيد الله المهدي: أول الخلفاء الفاطميين، هاجر من سلمية حمص إلى المغرب، وأعلن عن نفسه أنه المهدي، وطرد منها الأغالبة ، وفتح مصر والشام ومراكش، وغزا مالطة، وصقلية وسردينية، وهو الذي أسس القيروان عاصمته المهدية.

٥ : ذكرها ابن أبي أصيبعة وهي: كتاب الحميات، وكتاب الأغذية والأدوية، وكتاب البول، وكتاب الاسطقسات. انظر: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٨٠.

مجلسه قليل الوقار، والغالب عليه حب اللهو، فابتدأني بالكلام، فقال ابن حبيش [١] المعروف باليوناني: تقول: إن الملوحة تحلو؟. قلت: نعم. قال: فالحلاوة إذاً هي الملوحة، والملوحة هي الحلاوة، فقلت : إن الحلاوة تحلو بلطف وملائمة ، والملوحة تحلو بعنف. وتمادى على المكابرة، وأحب المغالطة، فلما رأيت ذلك منه قلت له: أنت حيٌّ؟. قال: نعم. قلت: والكلب حي. قال: نعم. قلت: فأنت الكلب، والكلب أنت!. فضحك ضحكاً شديداً ، فعلمت أن رغبته في الهزل أكثر من الجد.

قال: فلما وصل داعي المهدي[٢] إلى "رقادة"[٣] أدناني وقرَّبني، وكانت به حصاة في الكلى، فعالجته بدواء فيه العقارب المحرقة، فجلست ذات يوم مع قوم من كنانة، فسألوني عن صنوف من العلل، وبقيت كلما أجبتهم لا يفقهون قولي، فقلت لهم: إنما أنتم بقر!، فبلغ الخبر داعي المهدي، فقال لي: أتقابل إخواننا المؤمنين بما لا يجب! وتالله الكريم لولا أنني أعذرك بأنك جاهل بحقهم، وبما صار إليهم من معرفة الحق وأهله لأضربنَّ عنقك.

---

١ : في عيون الأنباء: " ابن خنيس".

٢ : أبو عبد الله داعي المهدي: المحتسب، أو الشيعي، ولد في صنعاء وقيل إنه كان محتسباً في العراق، سار من مكة مع الحجاج البربر إلى بلادهم، وأعلن فيها ظهور المهدي عبيد الله، قتل سنة ٣١٠هجرية = ٩١١م.

٣ : **رقادة**: قاعدة الأمراء الأغالبة في أفريقية، كائنة جنوب القيروان.

ومنهم:

١٥٤- أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المعروف : بابن الجزار القيرواني أبو جعفر*

طبيبٌ كان في فعله محمودا، وعلى فضله محسودا، يكاد طبُّه يدافع الآجال، ويضيِّق على جالينوس المجال، إلى دقائق أخرى، وحقائق أبقت له إلى الأخرى، مع رتبةٍ لو أنها للنجوم لتقرَّطت بأشنافها[١]، أو بالعلوم لما كانت إلا لأشرافها. وكان لا يشمخ الكبر بعرنينه[٢]، ولا يطمع الببر[٣] في دخول عرينه، وإنما كان يتحلى بالاتِّضاع، ولا يروّع بفصال له من رضاع، ثم سكن الترب مضجعاً، وساء شامتاً ومتوجِّعا، وأمسى رهين عمله، وضمين اليأس لانقطاع أمله.

قال ابن أبي أصيبعة: " طبيب ابن طبيب ابن طبيب، ممن أخذ عن إسحق بن سليمان، وكان من أهل الحفظ والتطلع، والدراسة في الطب وسائر العلوم، حسن الفهم لها .

*توفي سنة ٣٩٥ هجرية، **ينظر ترجمته في**: عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٢/١٢٥-١٢٦، والوافي بالوفيات للصفدي ٥/١١٠-١١١، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ٢/١٣٦-١٣٧، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٤٨٠-٤٨٢، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٤/٢٩٦-٢٩٨، والأعلام لخير الدين الزركلي ١/٨٥، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١/١٣٧، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٤٣.

١ : **الأشناف**: جمع شنف: والشَّنْفُ، وبالضم لحنٌ: القُرْطُ الأعْلَى، أو مِعْلاقٌ في قُوفِ الأُذُن، أو ما عُلِّقَ في أعْلاها، وأمَّا ماعُلِّقَ في أسْفَلِها فَقُرْطٌ. ذكره في المختار.

٢ : العِرْنِينُ، بالكسر: الأَنْفُ كُلُّهُ، أو ما صَلُبَ من عَظْمِه. قاله في القاموس.

٣ : **البَبْرُ**: واحدُ البُبُور، وهو الفُرانِقُ الذي يعادي الأَسد. قاله في اللسان.

قال ابن جلجل: كان قد أخذ لنفسه مأخذاً في سمته وهديه وتعدُّده، ولم تحفظ له زلة، ولا أخلد إلى لذة، وكان يشهد الجنائز والأعراس، ولا يركب إلا إلى المهدي عبيد الله، وإلى عمه أبي طالب، فإنه كان له صديقاً حميما، وأليفاً قديما، وكان يأتيه في كل يوم جمعة، وكان ينهض في كل عام إلى رباط البحر فيكون طول مدة القيظ ، وعالج ولد النعمان القاضي(١)، فبعث إليه بمنديل مملوءة بكسوة وثلاثمائة دينار، فلم يأخذ شيئاً ، فقيل له: رزق ساقه الله إليك. فقال: والله لا كان لرجال معد قبلي نعمة.

وعاش نيفاً وثمانين سنة، وترك أربعة وعشرين ألف دينار، وخمسة وعشرين قنطاراً، من كتب طبية وغيرها.

ومنهم:

١٥٥ - حمدون أثا*

شفى المرض بطبه، وهوَّن عن المريض همَّ خطبه، وأحسن علاجا، وأحسن في ليل المساءة انبلاجا، وسلك من طرق القدماء أحصنها، وأحلَّ من رمق الذماء(٢) أحسنها، وكان لا يُكرِه على مُرِّ الدواء، ولا يضيق في علاج الداء، لمعرفته بالأبدال، وقدرته إذا جد الجدال، فلم يزل محظيا، ولم يبرح في قومه رضيا.

---

١ : القاضي ابن النعمان: من فقهاء الاسماعيلية ، ومن أوائل أنصار الخلفاء الفاطميين في مصر، تولى القضاء، وانصرف إلى درس التاريخ والفلسفة، والفقه، توفي بمصر العتيقة سنة ٣٧٢ هجرية = ٩٧٢ م.

* **ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٨٥، وفيه اسمه: [حمدين بن أبان].**

٢ : الذَّماءُ، ممدودٌ: بقيَّةُ الروحِ في المَذْبوح، وقيل: الذَّمَاءُ قوَّةُ القلْبِ . قاله في اللسان.

قال ابن أبي أصيبعة : " كان في أيام محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وكان حاذقاً مجرباً، وكان صهر بني خالد ، وله بقرطبة أصول ومكاسب، وكان لا يركب الدواب إلا من نتاجه، ولا يأكل إلا من زرعه، ولا يلبس إلا من كتان ضيعته، ولا يستخدم ببلاده إلا من أبناء عبيده" .

ومنهم:

١٥٦- يحيى بن إسحاق*

حكيم لم يكذب صدق حدسه، ولا خفي غامض على حسِّه. كان بصره منوّرا، ونظره لخفايا البواطن متصورا، ولهذا قرطس سهمه، وقرّط بالثريا اسمه، وسبق اسمه النجوم وقطعها، وسار في جميع الأرض كأنه أقطعها[١]، وكان أهل زمانها يتهادونه الرياحين، ويظنون أنهم يحيون به إلى حين، وهيهات فيم يفخرون، وهيهات إذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون.

ذكره ابن أبي أصيبعة وقال: " كان طبيباً بصيراً بالعلاج، صانعاً بيده، وكان في صدر دولة عبد الرحمن الناصر،بمكان الثقة، وكان يطلعه على الكرائم والخدم، وكان قد أسلم.

قال ابن جلجل عن رجل كان بباب داره إذ أتى بدوي على حمار وهو

*توفي نحو سنة ٣٢٥ هجرية ، **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٨٨-٤٨٩، وتاريخ الحكماء للقفطي ٣٥٩-٣٦٠، وجذوة المقتبس للحميدي ٣٥، والأعلام لخير الدين الزركلي ٨/ ١٣٧، وطبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ١٠٠، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لابن عميرة الضبي ٤٨٣، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٣/ ١٨٦، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٣٠٠.

١ : أي كأنه ملك الأرض فهي مقطوعة له من مالكها.

يصيح، فخرج إليه وقال له: ما بالك يا هذا؟ فقال: أيها الوزير، ورمٌ في إحليلي منعني من النوم منذ أيام كثيرة، فقال له: اكشف عنه. فكشف فإذا هو وارم، فقال لرجل كان مع العليل: اطلب له حجراً أملس، فأتاه به، فقال: ضعه على كفك، وضع عليه الإحليل، ففعل، فلما تمكن إحليل الرجل من الحجر، جمع الوزير يده وضرب على الإحليل ضربة غشي على الرجل منها، وجرى من الإحليل صديد الدم إلى أن نزف، ثم فتح عينيه، وبال البول، فقال له: اذهب فقد برئت، وأنت كنت قد عيَّثت فأتيت بهيمة في دبرها! فصادفت شعيرة من علفها، فلجّت في عين الإحليل، فورم لها، وقد خرجت الآن في الصديد!!.

فقال الرجل: قد كان ذلك مني، وأقرَّ بفعلته.

ومنهم:

١٥٧- أبو داود بن جلجل: وهو سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل الحكيم*

فاض بحره التيار، وفات سرى الكواكب ذكره السيَّار، وحام على المجرَّة وردها، وجفا بطبه بنات نعش ووأدها، ولجَّ على عارض الحرارة وأطفأ موقدها، وحلَّ مجالس الملوك وحل عقدها، وخزي به المرض واكتأب، وحصَّل بصناعته الأموال واكتسب، ولم يكن ممن يتهوَّر في إقدام، ولا يتصور أن ينقل إلى ذي سفالة أقدام، فكان مدة حياته موقرا، لا يطأ إخمصه إلا حريراً وعبقرا.

---

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٩٣-٤٩٥،و الدكتور أحمد عيسى: معجم الأطباء ٢٠٧، وتاريخ الحكماء للقفطي ١٩٠، وجذوة المقتبس للحميدي ٢١٩، وإيضاح المكنون للبغدادي ١/ ٥٦١، ومجلة المجمع العلمي العربي ٣١/ ٤٨٠-٤٨٢، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٤/ ٢٥٨، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٤/ ٢٨٩.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان خبيراً بالمعالجات ، جيد الصرف في صناعة الطب، وكان في أيام هشام المؤيد، وخدمه، وله اعتناء بقوى الأدوية ، وفسَّر أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس العين زربي، وأفصح عن مكنونها، وأوضح مستغلق مضمونها، وهذا الكتاب ترجمه اسطفان(١) أيام المتوكل، وفسَّر من مفرداته ما عرف له اسم في اللغة العربية ، وأبقى اسم ما لم يعرف له اسم.

قال: وأهدى أومانون صاحب القسطنطينية إلى عبد الرحمن الناصر هدايا جليلة عظيمة المقدار، منها كتاب ديسقوريدس مكتوباً بالإغريقي، وهو اليوناني، مصوراً بالتصوير الرومي العجيب، وكتب إلى الناصر يقول له: إن هذا الكتاب لا يجتنى فائدته إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني، ويعرف أشخاص الأدوية. فإن كان في بلدك من يحسن هذا، فزت بفائدة هذا الكتاب؛ فبقي في خزانة الناصر ، ثم بعث أرمانوس إلى الناصر راهباً اسمه نقولا، ففسَّر من أسماء عقاقير ما كان مجهولاً، وهو أول من عمل بقرطبة درياق الفاروق.

قال ابن جلجل: واجتمع أطباء قرطبة مع نقولا على معرفة أشخاص الأدوية المذكورة في كتاب ديسقوريدس قال: وأدركت نقولا الراهب ومن اجتمع معه في أيام المستنصر الحكم، في صدر دولته، وصحبتهم فصحَّ ببحث هؤلاء الوقوف على أشخاص هذه العقاقير بمدينة قرطبة، وتصحيح أسمائها إلا القليل الذي لا بال به ولا خطر له، وذلك يكون في مثل عشرة أدوية.

١ : اسطفان بن بسيل ترجم الكتاب من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي وتصفح ذلك حنين بن إسحق المترجم، فصحح الترجمة وأجازها. ذكره ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء ٤٩٣.

ومنهم:

١٥٨- أبو جعفر يوسف بن أحمد[١] بن حسداي*

حكيم جلَّ قدره، وجلا الظلماء بدره، تصدى طبه للأدواء فحسمها، وشدَّ بها بناء الأعضاء وقد حطمها، وسرى علاجه في العلل الجسام، سريالأرواح في الأجسام، وبهذا ثبت زلزالها وردَّها إلى مصاحبة الجسوم وقد نوت اعتزالها، وفعل في هذا الغاية بلطف مداراته، وكف ما لم يقدر الثوب على مواراته، ثم لم يغن عنه طبه إذ حان حَينه[٢]، وقرب ما بينه وبين الموت بينه.

قال ابن أبي أصيبعة فيه: " من الفضلاء في صناعة الطب، وله اعتناء بالغ بالاطلاع على كتب أبقراط، وجالينوس، وفهمهما، وكان قد سافر من الأندلس إلى مصر، واشتهر بها ذكره في أيام الآمر[٣]، وكان خصيصاً بالمأمون الآمري الوزير، وكان قد أمره المأمون بشرح كتاب الإيمان لأبقراط، فشرحه. وكان مدمناً للشراب، وعنده دعابة ونوادر. حكي أنه كان قد رافق بعض الصوفية في سفرة سافرها من الإسكندرية إلى القاهرة، فقال له الصوفي: أين تنزل في القاهرة حتى أكون أراك؟. فقال: ما في نيَّتي أنزل إلا في الخمارة، وأشرب!. فغضب الصوفي عليه. فلما أتيا القاهرة تفرَّقا، فلما كان في بعض الأيام مر ابن حسداي في السوق، وإذا بأفواج

١: في الأصل المخطوط: "ابن محمد". والصواب من عيون الأنباء وغيره.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٤٩٩-٥٠٠، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٣٠٧.

٢: الحَين: بفتح الحاء الهلاك والموت.

٣: أبو علي الآمر بأحكام الله المنصور: عاشر الخلفاء الفاطميين بمصر.

الناس مزدحمة ، وبينهم صوفي يعزِّر، فنظر إليه فإذا هو صاحبه قد أمسك وهو سكران، فقال له ابن حسداي: والله ما قتلك إلا الناموس(١).

ومنهم:

١٥٩- الغافقي: وهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سند*

رسا في العلم ورسخ، وأنسى ما في كتب القدماء ونسخ، وطلع في هالات الأهلّه، وأراع عُلالات العله، وناسب ما يلائم النفوس وصفا، وورد مثل زرق النطاق وأصفى، ولم يَعُدْ مريضاً إلا كشف غمَّاء المرض، وكف إيماء المرض، وكان يتبرّك بعيادته، ويتيمن تيمناً كان سبباً لسيادته، إلا أنه بمعرفة قوى الأدوية أدرب، وحدسه فيها أأرب، وكلامه فيها كلام من رأى وجرَّب.

قال ابن أبي أصيبعة فيه: " إمامٌ فاضل، وحكيم عالم، ويُعَدُّ من الأكابر، وكان أعرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة، [وكتابه في الأدوية المفردة] (٢)لا نظير له في الجودة، ولا شبيه له وقد استقصى فيه ما ذكره ديسقوريدس والفاضل

١: ولنا ملاحظة على هذه القصة فلا يعتبر هذا الكلام حجة، ولا يؤخذ على عواهله، حيث إن الراوي غير ثقة، ساقط العدالة حيث كان مدمناً للشرب، فكلامه ساقط جملة وتفصيلا، وحاشا السادة الصوفية رضي الله عنهم أن يكون بينهم من يهم بمعصية فضلاً عن أن يقترفها، إذ الغالب عليهم الحفظ من الله تعالى ولا أقول العصمة، وكيف يشرب صوفي الخمر وما سمي صوفياً حتى صوفي لتطليقه الدنيا وشهواتها؟، ومع هذا فالعصمة لا تكون إلا للملائكة والأنبياء والرسل دون خلق الله، وقد قيل للإمام الجنيد رضي الله عنه: أيزني الولي؟ فأطرق هنيهة ثم قال: وكان أمر الله قدراً مقدورا.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٠٠-٥٠١، والأعلام لخير الدين الزركلي ١/ ٢١٥، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٨٢.

٢: ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الأصل ولا يتم المعنى إلا بما ذكرنا من عيون الأنباء ٥٠٠.

جالينوس بأوجز لفظ، وأتم معنى، ثم ذكر ما تجدَّد للمتأخرين فيها من الكلام، وما ألمَّ به كل واحد منهم، فجاء كتابه جامعاً لما قاله الأفاضل فيها ودستوراً يرجع إليه فيما يحتاج إلى تصحيحه منها.

ومنهم:

١٦٠- أبو بكر عتيق بن تمام ابن أبي النوق (١) الأزدي*

طبيبٌ أبرأ الأسقام، وأريت له من الفضل أوفر الأقسام، جرى في طلق الوفا، وجرب منه مطلق الشفا، هذا وهو شاعر لا يذعر(٢) له جنان، ولا يشعر إلا وفي فيه سنان، يبعث سمام الأرقم، ويجرع الحمام في كأس العلقم.

قال ابن رشيق: " غلب عليه اسم الطب، فعرف به لحذقه، ومكان أبيه منه، وهو شاعرٌ حاذق، مفتوق اللسان، حاضر الخاطر، لم أر قط أسهل من الشعر عليه، يكاد لا يتكلم إلا به، وأكثر تأدبه بالأندلس، لقي بها ناساً وملوكاً، وأخذ الجوائز، وقارع فحول الشعراء.

ومما أنشده له قوله:[الطويل]

فلم أنسها كالشمس أسبل فوقها   من الشعر الوحف (٣) الأثيث (٤) عذوق
فلو ذاب ذا أو سال جريال (٥) خدها   جرى سيح (٦) منه وسال عقيق

١: في الأصل المخطوط: "البون". وصوابه ما أثبتناه من أنموذج الزمان في شعراء القيروان.

* ينظر ترجمته في: أنموذج الزمان في شعراء القيروان تأليف حسن بن رشيق القيرواني ٢٤١-٢٤٤.

٢: الذُّعْرُ، بالضم: الخوفُ، ذُعِرَ كعُنِيَ، فهو مَذْعورٌ، وبالفتح: التخويفُ.

٣: **الوَحْفُ**: الشَّعَرُ الكثيرُ الأَسْوَدُ، ويُحَرَّكُ، والجَناحُ الكثيرُ الرِّيشِ، كالواحِف.

٤: يقال: **أثَّ** النَّباتُ يَئُثُّ، يَئِثُّ، مُثَلَّثَةً، أثاثَةً وأَثاثاً وأُثوثاً: كَثُرَ والْتَفَّ.

٥: **السَّيْح**: هو الماءُ الجاري المُنْبَسِطُ على وجْه الأرض.

٦: **الجِرْيالُ**: الخمر وهو دون السلاف في الجودة وقيل جريال الخمر لونها كما أن جريال الذهب حمرته. قاله في القاموس.

قال : فأنت ترى الطبع كيف حمل هذا المعنى، كما تحمل الأرواح الأجسام، ولو وضع بين فسطاط المحرزين، وحمل على مذاهب المتعصبين، لرأيته أثقل من العذل، وأقتل من الجهل، لأن التصنع تكلُّف، والتكلُّف مغصوب مكره، غير أن القسم الآخر منقول بذاته من شعر ابن هانيء في وصف فرس.

ومن أبيات ابن أبي البوق :[الطويل]

فمت تسترح يا قلب إن كنت عاشقاً ... فإنك فيها بالممات خليق
ومن لم يمت في إثر إلف مودع ... فليس له بالعاشقين لحوق

ومما أنشد له أيضاً قوله[1] :[البسيط]

يحمِّل المرهقين الطائعين له ... في منتهى الحط أو في منتهى الفتن
حتى إذا انكشفت عن عارض حسن ... سحبٌ تصدى لها بالمنصل الخشن
أراه ضرباً يريه أهله معه ... ويقدح النار بين الرأس والبدن
تركت أهلي وأوطاني لقصد فتى ... يداه أخصب من أهلي ومن وطني
علي[2] الماجد الحرّ الجواد ومن ... في حزمه جمع الأشتات للحسن
ومن إذا استمطر العافون راحته ... سقتهم فوق سقي الوابل الهتن
ومن حوى رتباً لم يحوها بشرٌ ... إلا الذي ولدوه معدن المنن
والفرع عن جده ينمي ومحتده ... والخير والشر مشروبان في اللبن
تجري النجابة طبعاً في شمائله ... والمجد والبِشْرُ جريَ الماء في الغصن

---

١ : أنموذج الزمان ٢٤٢.

٢ : لعلّه علي بن حمود المستولي على قرطبة، قتل سنة ٤٠٨هجرية، ويرجحه ما ورد في ترجمته من أنه ذهب إلى الأندلس ، ولقي بها ناساً وملوكاً. انظر : أعمال الأعلام لابن الخطيب – قسم الأندلس – صفحة ١٢٨–١٢٩.

وقوله :[السريع]

يا قائداً ما مثله قائد يشكره القائم والقاعد
وواحداً ما إن له مشبه وماجدٌ ما فوقه ماجد
ومن غدا بأبيه والداً براً لمن ليس له والدُ
إن قلت : كالبحر عطاءً فإ نَّ البحر لا يشكره الوارد
أو قلت كالقطر سماحاً فإ نّ القطر مَعْ كثرته نافذ
أو قلت كالبدر فقد ينـ ـقص البدر وهذا أبداً زائد
هذا عليٌّ واحدٌ للعلى أو حده في عصره الواحدُ
أنا الفتى الشاكر إحسانه والله والله أبداً شاكد[(١)]

ومنهم :

١٦١- أبو محمد المصري *

الحكيم لا يقصر في حكمه، ولا يعجز أن ينطق من تمادى في بكمه، جرى الأدب بقلمه، وسرى نفس في كلمه،وحظي بقبول كان يتلقاه حيث حل،

١ : في الأصل هكذا شاكد، والشكد : العطاء والشكر، معاجم اللغة : شكد .

* هو عبد الله بن خليفة القرطبي المعروف بالمصري، قال ابن سعيد : لطول إقامته بمصر، وأنكر ابن حيان أن يكون ابن خليفة" وكان ابن جار له" قد تعدى في رحلته العدوة، وأنحى عليه بالذم عند الحديث عن الشعراء الذين أنشدوا قصائدهم في الأعذار. وقد دافع عنه الحجازي في المسهب، وذمه ابن اللبانة في كتابه" سقيط الدرر" لأنه لم يكن وفياً للمعتمد بعد خلعه.

ينظر ترجمته في: المغرب ١ /١٢٨، وفيها اعتماد كثير على الذخيرة، وراجع أيضاً الخريدة ٢ /١٩٣، والقلائد ٦، والمطمح ١٥، وله أشعار في نفح الطيب، وذكره ابن بسام بتوسع في الذخيرة القسم الرابع – المجلد الأول صفحة ٣٤٢-٣٥٩.

ويحله أكرم محل، ويتحفه بحباء الملوك بما ينعم به بالاً، ويعم حساده وبالا، قد أوثقته الحدق النجل جراحا، وأوبقته الذوائب فلا يجد سراحا، وكان كالخمر في سلب العقول، وكالسحر في الخلب بما يقول، حاذقاً بصيد الدراهم، واستخراج خبايا الحبوب، ولو زُرِّرت بحدق الأراقم.

قال ابن بسام فيه: " شيخ الفتيان، وآبدة الزمان، [وخاتمة أصحاب السلطان] وكان رحل إلى مصر واسمه خامل، وسماؤه عاطل، فلم ينشب أن طرأ على الأندلس، وقد نشأ خلقاً جديداً، وأجرى إلى النباهة طلقاً بعيدا، فتهادته الدول، وانتهت إليه التفاصيل والجمل، وكلما طرأ على ملك فكأنه معه وُلد، وإياه قصد، فجرى مع كل أحد، وتموَّل في كل بلد، وتلوَّن في العلوم بلون الزمان، وتلاعب بالملوك بأفقها تلاعب الريح بالأغصان، حتى ظفر به ابن ذي النون ، فشد عليه يد الضنين، فوجد كنفاً سهلاً، وسلطاناً غفلا، فسرّ وساء، وارتسم في أي الدواوين شاء.

وكان بالطب أكلف، وعليه أوقف، فتعلَّق بسببه حتى اشتهر به. وكان حسن البيان، مليح المجلس، حاضر الجواب، كثير النادر، راوية للشعر والمثل السائر، نسَّابة للمفاخر، عارفاً بالمثالب والمناقب، وكان بالجملة روضة أدب، وهيهات أن يأتي الدهر بمثله. وتحيز إلى إشبيلية فأنس المعتمد بمكانه، وجعل له حظاً من سلطانه، ثم بقي بعده على حاله مشتملاً بفضل إقباله، ممتعاً مقبلاً على لذاته.

ومما أنشد له قوله: [**البسيط**]

قال الوشاة ودمع العين منحدر ... ودمعه فوق روض الورد قد حارا
النار يحرقها قلبي بزفرته ... من العجيب فؤادٌ يحرق النارا!!

وقوله:

ظلك أضحى لي بلا مرية ... مؤثراً في خدك الناضر

ما أرفق اللهَ بأهل الهوى ... إذ صيَّر الجور على الجائر

وقوله: [**الطويل**]

ومن أصبحت فيه المكارم جوهراً ... بلا عرض فالمدح فيه قبيح

ولكن رأيت الشعر يثبت ذكره ... فلا غرو أن يهدى إليك مديح

وقوله - وهو معنى قول أبي نواس ولكنه نقله -: [الوافر]

وما يحتاج يوم الحرب جيشاً ... فإن عداه كالزرع الحطيم

وإن أبقى لهم فرعون سحراً ... ففي يده عصا موسى الكليم

وقوله في مهر قتله تغالب الفحول عليه: [البسيط]

يا يوسف الخيل يا مقتول إخوته ... قلبي لفقدك بين الحَرْبِ والحَرَبِ

إن كان يعقوب لم يقنع بكذبهم ... إني لأقنع منهم بالدم الكذب

وما التناسب في القربى بنافعة ... إن لم تكن أنفس القربى ذوي نسب

وقوله يصف قصر طليطلة(1): [الكامل]

قصر يقصر عن مداه الفرقد ... عذبت مصادره وطاب المورد

وكأنما الأقداح في أرجائه ... درٌّ جمادٌ ذاب فيه العسجد

وقوله يصف القبة: [**الكامل**]

شمسية الأنساب بدرية ... يحار في نسبتها الخاطر

كأنما المأمون بدر الدجى ... وهي عليه الفلك الدائر

١: نفح الطيب ١ / ٥٢٩، والذخيرة القسم الرابع – المجلد الأول ٣٥٥.

وقوله: [**مخلع البسيط**]

أي هلال أطلَّ فينا	مطلعه الطوق والجيوب
يقودنا كيف شاء طوعاً	لأن أعوانه القلوب

ومنهم:

١٦٢- أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الداني*

رجلٌ يرتع في حديقته، ويرجع الفضل إلى حقيقته، لا يقف سيف ذهنه عند حد، ولا يخرج ما سمع في حافظته من لجد حسياً في الطلب ، لا ينال باللمس، ونسباً في الأدب إلا أن أمية بن عبد العزيز لا يقاس به به أمية بن عبد شمس.

قال ابن خلكان: " كان فاضلاً في علوم الآداب، صنَّف كتابه الذي سماه: الحديقة. على أسلوب يتيمة الدهر للثعالبي وكان عارفاً بفن الحكمة، وكان يقال له الأديب الحكيم، وكان ماهراً في علوم الأوائل، وانتقل من الأندلس، وسكن الإسكندرية، ثم انتقل إلى المهدية، فمات بها، وذكره العماد في الخريدة وأثنى عليه" .

وذكره ابن أبي أصيبعة، وقال: " وهو من الأكابر الفضلاء في الطب وغيره،

* **ينظر ترجمته في**: وفيات الأعيان لابن خلكان ١ /٢٤٣، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٥٠١- ٥١٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٢ /١٤٦، والخريدة للعماد الأصبهاني ١١ /٧٧-١٢١، ومعجم الأدباء لياقوت ٧ /٥٢-٧٠، ونفح الطيب للمقري ٦ /٢٨٠-٢٩٣، وشذرات الذهب لابن العماد ٤ /٢٨٣-٢٨٤، و١٤٤. ومعجم علماء الطب لهيكل نعمة الله ٩٦-٩٧،و مرآة الجنان لليافعي ٣ /٢٥٣-٢٥٤، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٥١و١٧٣، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣ /٣، والأعلام لخير الدين الزركلي ٢ /٢٢.

وبلغ في الطب مبلغاً لم يصل إليه غيره من الأطباء، وحصل من الأدب ما لم يدركه كثير من الأدباء، وكان فريداً في علم الرياضي، مجيداً في صنعة الموسيقى، جيد اللعب بالعود، لطيف النادرة، فصيح اللسان، جيد المعاني، لشعره رونق، وأتى مصر وأقام مدة بالقاهرة، ثم عاد إلى الأندلس، وحبس بالإسكندرية، لأنه كان قد غرق بها مركب فيه أموالٌ جليلة، فالتزم بعمل آلات يخرج بها المركب بما فيه، وشرع في عمل الآلة بحبال الإبريسم، تنطوي على دواليب، ليرفع بها المركب الغارق، فغرم عليها جملة طائلة ، فلما ظهر المركب الغارق وقارب الخارج ، ثقل على الحبال، فقطعها وسقط إلى قعر البحر، فغضب الوالي عليه، وحبسه، فكتب إلى ابن الصيرفي يستشفع به، وبعث إليه بقصيدتين، يمدح بهما الأفضل ابن أمير الجيوش.

وأول الأولى :[مجزوء الكامل]

الشمس دونك في المحل | والطيب ذكرك بل أجل

وأول الثانية :[الكامل]

نسخت غرائب مدحك التشبيبا | وكفى بها غزلاً ونسيبا

فأجابه بجواب وهو :[الطويل]

لئن سترتك الجدر عنا فربما | رأينا جلابيب السحاب على الشمس

وردتني رقعة مولاي فأخذت في تقبيلها كأني ظفرت بيد مصدِّرها، أو تمكنت من أنامل مسطرها، ووقفت على ما تضمنته من الفضل الباهر، وما أودعته من الجواهر التي قذف بها فيض الخاطر :[**الطويل**]

نكرر طوراً من قراة فصوله | فإن نحن أتممنا قراءته عدنا

إذا مـا نشـرناه فكالمسك نشـره ونطويه لا طيَّ السـآمـة بل ضنًّا

فأما ما اشتملت عليه من الرضا فحكم الدهر ضرورة، وكون ما اتفق عارض بتحقق ذهابه ومروره ثقة بعواطف السلطان ومراحمه، وسكوناً إلى ما جبلت النفوس عليه من معرفة فواضله ومكارمه، فهذا قول مثله ممن طهر الله دينه ونزَّه من الشكوك ضميره ويقينه: [**الكامل**]

لا يؤيسنك من تفـرج كـربة خطب رمـاك به الزمـان الأنكد
صبـراً فـإن اليوم يتـبعـه غـد ويد الخـلافـة لا تطاولهـا يد

وأما ما أشار إليه من أن الذي مني به من تمحيص أوزار سبقت، وتنقيص ذنوب اتفقت، فقد حاشاه الله من الدنايا، وبرأه من الآثام والخطايا، بل ذلك اختبارٌ لتوكله وثقته كما يبتلى المؤمنون الأتقياء، ويمتحن البررة الأولياء، والله يدبره بأحسن التدبير، ويقضي له بتسهيل كل عسير، وقد اجتمعت بفلان فأعلمني أنه تحت وعد، وأنه ينتظر فرصة من التذكار ينتهزها ويغتنمها، ويرتقب فرجة للتقاضي يتولجها ويقتحِمها، والله يعينه على ما يضمر من ذلك وينويه، ويوفقه فيما يحاوله ويبغيه، وأما القصيدتان فما عرفت أحسن منهما مطلعاً ولا أجود متصرفاً ومتقطعاً، ولا أملكَ للقلوب والأسماع، ولا أجمع للإغراب والإبداع، ولا أكمل في فصاحة الألفاظ وتمكن القوافي، ولا أكثر تناسباً على كثرة ما في الأشعار من التباين والتناهي، ووجدتهما يزدادان حسناً في التكرير والترديد، وتفاءلت فيهما بترتيب قصيدة الإطلاق بعد قصيدة التقييد، والله يحقق رجائي في ذلك وأملي، ويقرب ما أتوقعه، فمعظم السعادة فيه لي، ثم أطلق سراحه.

ومن شعره: قوله في حالي نجم الثريا مشرقاً ومغرباً، وطالعاً :[**المتقارب**]

رأيت الثـريا لهـا حـالتـان   منظرها فـيـهـمـا مـعـجب
لهـا عند مـشـرقـهـا صـورة   يريك مـخـالفـهـا المغـرب
فـتطلع كـالكأس إذ تسـتحث   وتغـرب كـالكأس إذ يشـرب

وقوله(١):[**المنسرح**]

لله يومي ببـركـة الحـبش   والأفق بين الضـيـاء والغـبش
ونحن في روضـة مـفـوفـة   دبّج بالنور عطفـهـا ووشي
قـد نسـجـتـهـا يد الربيع لنا   فنحن من نسـجـهـا على فـرش
وأثـقـل النـاس كـلـهـم رجـلٌ   دعـاه داعي الصـبـا فلم يطش(٢)
فـعـاطني الراح إن تاركـهـا   من سَورة الهـم غـيـر منتـعش
وأسـقـني بالكبـار مـتـرعـة   فـتلك أروى لشـدة العطش

وقوله:[**الكامل**]

وا رحـمـتـاه لمعـذب يشكو الجوى   بمنعَّم يشكو فـراغ البـال
نشوان من خمرين خمر زجاجة   عـبـثت بمقلتـه وخـمـر دلال
لا يسـتـفـيق وهل يفـيق لحـاله   من ريق فـيـه سـلافـة الجـريال(٣)
علم العـدو بما لقـيت فـرقَّ لي   ورأى الحـسـود بليـتي فـرثى لي

---

١ : في الموضع المعروف ببركة الحبش بمصر، كما في عيون الأنباء ٥٠٨.

٢ : بل هو والله أعقل الناس لأنه لم يستجب لداعي الشيطان ورسله كما جاء هنا من الدعوة للفحش واغتنام الأوقات وتزجيتها بمعصية الله بشرب الراح وهي الخمر بدلاً من شكر الله على نعمه باستعمالها في طاعته، غفرانك اللهم غفرانك.

٣ : الجِرْيال والجِرْيالة: الخَمْرُ الشديدة الحُمْرة، وقيل: هي الحُمْرة. قاله في اللسان.

وقوله :[الطويل]

إذا كـان أصلي من تراب فكلهـا ... بلادي وكل العـالمين أقـاربي
ولا بدَّ لي أن أسأل العيس حاجـةً ... تشق على شم الذرى والغـوارب

وقوله :[الكامل]

دب العـذار بخـده ثم انثنى ... عن لثم مبسمه البرود الأشنب
لا غـرو إن حشي الردى في لثمـه ... فـالريق سم قـاتل للعـقـرب

وقوله :

كـيف لا تبلى غـلائله ... وهـو بـدر وهـي كـتـانُ!

وقوله يصف فرساً أشهب :

وأشهب كالشهاب أضحى يجو ... لُ في مـذهب الجـلال
من أنجم الصـبح بالثـريا ... وأسـرج البـرق بالهـلال

وقوله في طبيب اسمه شعبان :[الرمل]

يا طبـيـبـاً ضـجـر العـا ... لـم منـه وتـبـرم
فـيك شـهـران من العـا ... م إذا العـام تـصـرَّم
أنـت شـعـبـان ولكـن ... قـتلك الناس مـحـرم

وقوله :[الطويل]

يقـولون لي صـبـراً وإني لصـابر ... على نائبـات الدهر وهي فـواجع
سأصبر حتى يقضي الله ما قضى ... وإن أنا لم أصـبـر فـمـا أنا صـانع

وقوله :[السريع]

ساد صغار الناس في عصرنا لا دام من عصر ولا كانا
كالدست[١] مهما هم أن ينقضي عاد به البيدق[٢] فرزانا[٣]

وقوله وقد رأى مليحاً أبيض قد قام فجاء قبيح أسود قعد مكانه :[الطويل]

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم فقد صرت أشقى بعدما كنت أنعم
وما هي إلا الشمس حان أفولها وأعقبها قطع من الليل مظلم

وقوله :[الطويل]

وقائلة : ما بال مثلك خاملاً أأنت ضعيف الرأي أم أنت عاجز؟
فقلت لها : ذنبي إلى القوم أنني لما لم يحوزوه من المجد حائز
وما فاتني شيء سوى الحظ وحده وأما المعالي فهي عندي غرائز

وقوله :[**الرجز**]

جدّ بقلبي وعبث ثم مضى وما اكترث
وا حربا من شادنٍ[٤] في عقد الصبر نفث
يقتل من شاء بعينيـ ـه ومن شاء بعث!
فأي ودٍّ لم يخن وأي عهدٍ ما نكث!؟

وقوله :[**الكامل**]

---

١ : من قولهم : "هو حسن الدست" أي حاذق بلعب الشطرنج، وكني به عن الشطرنج نفسه.
٢ : **البيذق** هو من العسكر الرجالة ويعني بيذق الشطرنج، وهو المعروف بالعسكري.
٣ : ما يسمى بالملكة في أحجار الشطرنج.
٤ : من قولهم : "شَدَنَ الغزال" من باب دخل فهو شَادِنٌ إذا قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه.

ومهفهف تركت محاسن وجهه ... ما مجّه الكاس من إبريقه
ففعالها في مقلتيه ولونها ... من وجنتيه وطعمها من ريقه

وقوله:[البسيط]

وقمت إذ قعد الأملاك كلهم ... تذب عنه وتحميه وتنتصر
بالبيض تسقط فوق البيض أنجمها ... والسمر تحت ظلال النقع تشتجر
بيض إذا خطبت بالنصر ألسنها ... فمن منابرها الأكباد والقصر[1]
وَذُبَّل من رماح الخط مشرعة ... في طولهن لأعمار العدا قصر
تغشى به غمرات الموت أسد شرى ... من الكماة إذا ما استنجدوا ابتدروا
مستثلمين[2] إذا سلّوا سيوفهم ... شبهتها خلجاً مدت بها غدر
ترتاح أنفسهم نحو الوغى طرباً ... كأنما الدم راحٌ والظُّبى زهر
الله زان بك الأيام من ملك ... لك الحجول[3] من الأيام والغرر
وللعجاج[4] على صم القنا طلل ... هي الدخان وأطراف القنا سرر
إذ يرجع السيف يبدي خده علقاً ... كصحفة البكر أدمى خدها الخفر
أما يهولك ما لاقيت من عدد ... سيان عندك قلَّ القوم أو كثروا
فاضرب بسيفك من ناواك منتقما ... إن السيوف لأهل البغي تدّخر
ما كل وقت ترى الأملاك صافحة ... عن الجرائر تعفو حين تقتدر
ومن ذوي البغي من لا يستهان به ... وفي الذنوب ذنوب ليس تغتفر
إن الرماح غصون يستظلُّ بها ... وما لهنّ سوى هام العدا ثمر

---

١ :القَصَرة: العُنْق وأصل الرَّقَبة.
٢ : أي متدرعين.
٣ : الحُجول: جمع حِجْل للبياض.
٤ : يطلق على الغبار أو الدخان.

أضحى شهنشاه غيثاً للندى غدقاً ... كل البلاد إلى سقياه تفتقر
الطاعن الإلف إلا أنها نسق ... والواهب الألف إلا أنها بِدَرُ(١)
ملك تبوأ فوق النجم مقعده ... فكيف تطمع في غاياته البشر؟
يرجى نداه ويخشى عند سطوته ... كالدهر يوجد فيه النفع والضرر
ولا سمعت ولا حُدِّثت عن أحد ... من قبله يهب الدنيا ويعتذر
ولا بصرت بشمس قبل غرته ... إذا تجلى سناها أغدق المطر
ولم أطلها بأني جد معترف ... بأن كل طويل فيه مختصر

وأورد له ابن سعيد قوله في الرقص لمن جاد عليه قبل مديحه:[الكامل]

لا غرو إن سبقت يداك مدائحي ... فتدفقت جدواك ملء إنائها
يكسى القضيب ولم تجن أثماره ... وتطوق الورقاء قبل غنائها

ومنهم: بنو زهر، فمنهم:

١٦٣-أبو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الإيادي الإشبيلي*

حكيم دافع قوى الضراء، وتابع صواب الآراء فراد الأسقام ومانع الداء، وقد

١: النسق ما كان على طريقة نظام واحد، والبدر: جمع بدرة: وهي في الأصل جلد السخلة إذا قطع وسمي بها الكيس الذي فيه عشرة آلاف درهم.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٥١٩ - ٥٢١، وحضارة العرب لغوستاف لوبون ٤٩٢، ودائرة معارف البستاني ٣/ ١٤٢، وتكملة الصلة لابن الأبار ٢/ ٦١٦، والعبر ٤/ ١٩٣، وشذرات الذهب ٤/ ١٧٩، ومرآة الجنان ٣/ ٣١٢، وكشف الظنون ٥٢٠، وهدية العارفين ١/ ٦٢٦-٦٢٧، والأعلام للزركلي ٤/ ٣٠٣، ومعجم المؤلفين ٦/ ١٨٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣٨/ ٢٣٠.

فتح فاه للالتقام، على لطف في علاجه، وتسكين لثوائر المرض وعجاجه، ورفق زانه في تأنّيه، وزاده في تأتّيه، فكان يعد فرداً، ويعد من أم مشربه وردا، ثم لم يخلف له موعد، ولا يخاف معه من سحابه مرض مرعد، لكنه لم تغن عنه حيله، ولم يكن له بدٌّ أن يأتيه أجله .

قال صاعد : " إنه دخل القيروان ومصر ، وتطبَّب بها زماناً طويلا، ثم رجع إلى الأندلس، وقصد مدينة دانية، واتصل بمجاهد ملكها، وأمره أن يقيم عنده فحظي واشتهر بالتقدم في الطب، وشاع ذكره منها في الأقطار ، وله في صناعته إرشاد منه منعه من الحمّام لاعتقاده فيه أنه يعفِّن الأجسام، ويفسد تركيب الأمزجة" . قال: وهذا رأي يخالفه فيه الأوائل، ويشهد بخطئه فيه الخواص والعوام، بل إذا استعمل على الترتيب الذي يجب بالتدريج الذي ينبغي كان رياضة فاضلة، ومهنة نافعة، لتفتيحه للمسام وتطريقه للفضول، وتلطيفه لما غلظ من الكيموسات"(١).

قال ابن أبي أصيبعة: " وأقول إنه انتقل إلى إشبيلية ولم يزل بها إلى أن مات، وخلّف أموالاً جزيلة ، ونظيرها من الرياع والضياع" .

ومنهم:

١٦٤- أبو العلاء زهر بن عبد الملك*

فردٌ في بني آدم، وواحدٌ ما أتى بمثله وقد تقادم، ابن أبيه وفوق كل من يليه، لم يقف سيف ذهنه عند حده، ولا جارى البرق وقد أضمر له نار حقده، وأمسى وهو أبو العلاء، وأخو النجم في الاعتلاء. رُبِّيَ في حجر العلم ربيباً، وأصبح منذ

١ : **الكِيْمُوس**: مَادَةٌ لُبّيَّةٌ يَتَحَوَلُ الَيْهَا الطَعَامُ المهْضُوم.

* ينظر ترجمته في : عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٥١٧-٥١٩.

كان في سن الوليد حبيبا، فطلع بدراً كامل الأنوار، وطء بحراً يتمسك له بجوار حتى استهل سحاباً، واستقل انسكابا، وكان لبيته تقف عليه زمر، وركباً يحج إليه ويعتمر.

قال ابن أبي أصيبعة فيه : " مشهور بالحذق والمعرفة، وله علاجات مختارة تدل على قوته في الصناعة، واطّلاعه على دقائقها، وكانت له في هذا نوادر، ومعرفة بأحوال المرضى من غير أن يستخبرهم، بل لمجرّد جسه لعروقهم ونظره إلى قواريرهم، وحظي في دولة المرابطين" .

وقال ابن جميع[١] أن رجلاً من التجار جلب نسخة فائقة من كتاب القانون إلى الأندلس، فأتحف أبا العلاء بن زهر به تقرُّباً إليه، ولم يكن وقف عليه ، فلما تأمَّله ذمَّه واطَّرحه ولم يدخله خزانة كتبه، ثم جعل يقطع من طرره[٢] ويكتب فيها نسخ الأدوية للمرضى.

وقال أبو يحيى اليسع بن حزم[٣] أن أبا العلاء زهراً كان مع صغر سنه تصرخ النجابة بذكره، وتخطب المعارف بشكره، ولم يزل يطالع كتب الأوائل متفهماً ، ويلقى جلة الشيوخ متعلماً، حتى برز في الطب إلى غاية عجز الطلب عن مرامها، وصرف الفهم عن إبرامها، إلى أن خرجت عن قانون الصناعة إلى ضروب الشناعة، يخبر فيصيب، ويضرب في كل ما ينتحله بأوفى نصيب، ويستغرف المدى ويغبر في وجوه سوابق الفضلاء علماً ومحتدا، ويفوق الجلة سماحة لا توصف، وندىً لولا بذاذة لسان وعجلة ركب عليها الإنسان، وأي الرجال تكمل

١ : ابن جميع المصري في كتابه "التصريح بالمكنون في تنقيح القانون" ذكره ابن أبي أصيبعة ٥١٨.

٢ : أي حواشيه.

٣ : أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم ابن اليسع في كتاب :"المغرب عن محاسن أهل المغرب" ذكره ابن أبي أصيبعة.

خصاله وتتناسب أوصاله؟![1].

قال ابن أبي أصيبعة: توفي بإشبيلية ودفن بها .

ومما أنشد له قوله:[**البسيط**]

يا راشقي بسهام ما لها غرض إلا الفؤاد وما لها منه عوض
امنن ولو بخيال منك يطرقني فقد يسد مسدَّ الجوهر العرض

ومنهم:

١٦٥- ابنه أبو مروان ابن أبي العلاء ، واسمه عبد الملك *

شيخ الجلالة وفتى العلم الذي ما ورثه عن كلالة، ارتقى الذروة والغارب ، وفاض على المشارق والمغارب، جنى من الفضل غضّه، وختم ختامه وفضّه، مهّدت له المضاجع ليالي اشتغاله فأقضّها، وزفّت عليه المعالي أبكاراً فافتضّها، فلم يستدر لثام عارضه ولا تمت أيام رائضه إلا وهو رأس الأكابر الجلّه، ثم لم يصد شيء عن حائمات الحِمَام[2]، ولا رثاه إلا نائحات الحَمَام.

قال ابن أبي أصيبعة: " لحق بأبيه في المعالجة، وشاع ذكره في الأندلس وغيرها، وعكف الأطباء على مصنفاته، ولم يكن في زمانه من يماثله في صفاته، وله حكايات كثيرة في حسن العلاج مما لم يسبق إلى مثله، وخدم الملثمين، وحصل من جهتهم النعم، وفي وقته الذي كان فيه دخل ابن تومرت الأندلس، ومعه صاحبه عبد المؤمن، وشرع في بث الدعوة له دونه، وقرب عبد المؤمن ابن زهر

١ : إلا سيد الرجال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد كملت فيه خصال الكمال البشري على أحسن وجه.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥١٩-٥٢١.

٢ : الحِمام : بكسر الحاء : الموت.

هذا، واعتمد عليه في الطب، وأناله فوق أمنيته، وله ألَّف: " الدرياق السبعيني" واختصره عشارياً، ثم اختصره سباعياً. ويعرف بدرياق الأنتلة.

واحتاج عبد المؤمن إلى شرب دواء مسهل، وكان يكره الدواء، فعمد ابن زهر إلى كرمة في بستانه، وجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد أكسبه قوة الأدوية المسهلة التي أرادها لإسهاله، فطلع فيها العنب وفيه تلك القوى، فحمي عبد المؤمن وأتاه بعنقود منها، وقال له: كل منه. وكان حسن الاعتقاد فيه، فلما أكل منه وهو ينظر إليه، قال له: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد أكلت عشر حبات من العنب، وهي تخدمك عدد هذه الحبات [عشر][1] مجالس، فقام العدة التي ذكرها، ووجد الراحة واستحسن منه فعله، وتزايدت به منزلته عنده.

وكان يجد في مروره إلى دار الخلافة مريضاً به سوء قتبه[2]، وقد كبر جوفه واصفر لونه، فلما كان في بعض الأيام وقف عنده ونظر إليه، فوجد عند رأسه إبريقاً عتيقاً يشرب منه الماء، فقال له: اكسر هذا الإبريق، فإنه سبب مرضك، فقال له: لا بالله يا سيدي، فإنه ما لي غيره، فأمر بعض خدمه بأن يكسره، فكسره، فطلع منه ضفدع وقد كبر مما له فيه من طول الزمان! فقال له زهر: خلصت يا هذا من المرض ".

وحكي أنه كان بإشبيلية حكيم فاضل في الطب، يعرف بالفار، صنف كتاباً في الأدوية المفردة، كان يرى ابن زهر كثيراً يأكل التين الأخضر، وكان الفار لا يأكله إلا نادراً، فكان يقول لابن زهر لا بدَّ أن يعرض لك بمداومة أكل التين علة النغلة، وهي الدبيلة[3]، فقال له ابن زهر: وأنت لكثرة حميتك لا بدَّ أن يعرض

1: ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة استكمل من عيون الأنباء.

2: أي: المعي.

3: **الدُّبَيْلَة**: هي خُرَاجٌ ودُمَّلٌ كبير تَظْهَرُ في الجَوفِ فتَقْتل صاحبَها غالبا، وهي تصغير دُبْلة. قاله في النهاية.

لك علة التشنج، فلم يمت ابن زهر إلا بدبيلة في جنبه، ولا مات الفار إلا بعلة التشنج. قال: وكان ابن زهر يداوي دبيلته فيقول له لو زدت هذا الدواء كذا أو أبدلته بكذا، أو عملت كذا، فكان يقول له : يا بني إذا أراد الله تغيير هذه البنية فإنه لا يقدر لي أن أستعمل إلا ما تتم به مشيئته.

ومنهم:

١٦٦- أبو محمد ابن الحفيد أبي بكر بن زهر*

نير في سماء، وكوثر في عذب الماء، من بيت زاحم الإيوان(١)، وأزاح عن رتبته كيوان(٢)، وأسس على خيط المجرَّة بيت علاه، ولبس من حلية الشفق والأصيل حُلاه، ولم يزل منذ سن اللبون يصول صولة البزل(٣) القناعيس(٤)، ولا يقنع إلا أن يكون في أول العيس(٥)، فطالما حصَّل الفوائد الغزار، وحلل الفراقد(٦) وقد سلبت من جفنه الغرار(٧)، وبات الليالي في طلب العلم، لم

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٢٨-٥٣٠.

١ : الإيوانُ بكسر أولهما الصفة العظيمة كالأزج ومنه إيوان كسرى.

٢ : **الكيوان**: زُحَل وفَلَكُه. قصد السبيل مادة "كيوان".

٣ : **البازل** من الإبل الذي تَمَّ ثمانيَ سنين ودخل في التاسعة، وحينئذ يطلعُ نابُه وتكمل قوّته، ثم يقال له بعد ذلك بازلُ عامٍ وبازلُ عامَين.

٤ : **القِنْعاسُ، بالكسر**، من الإِبلِ: العظيمُ، ج: قَناعيسُ.والقُناعسُ، كعلابِطٍ: العظيمُ الخَلْقِ، ج: بالفتح، كجُوالِقٍ وجَوالِقٍ. والقَنْعَسَةُ: شدَّةُ العنقِ في قِصَرِها، كالأحْدَب.

٥ : العيس - بالكسر: الإِبلُ البيضُ يُخالطُ بَياضَها شُقْرَةٌ. قاله في القاموس.

٦ : **الفرقَدُ**: ولَدُ البَقَرَةِ، أو الوَحْشيَّةِ، والنَّجْمُ الذي يُهْتَدَى به.

٧ : **غِرَار النَّوم**: قِلَّتُه.

يطعم غمضا، ولا شام لغير سنا الصباح إلى الصباح ومضا.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان جيد الفطرة ، حسن الرأي، جميل الصورة، مفرط الذكاء، محمود الطريقة، معتنياً بالطب. اشتغل على أبيه وأطلعه على كثير من أسرار هذه الصناعة وعملها، وكان الناصر أبو عبد الله يرى له ويحترمه، ويعرف مقدار علمه ويثق به.

وروي أنه لما خرج إلى حضرة مراكش احتاج في نفقة سفره إلى عشرة آلاف دينار، فلما حضر لدى الناصر شكر سالف إحسانه وإحسان سلفه إليه وإلى سلفه، ثم قال: وبيدي مما سلف ووصل إلى أبي من إنعامكم ما يغنيني مدة حياتي، وإنما أتيت لأكون في الخدمة كما كان أبي ، وأجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه بين يدي أمير المؤمنين، فأكرمه كثيراً وأطلق له مالاً جزيلاً، وخوَّله في النعم الجمَّة، وأجلسه في مجلس أبيه، وكان قريباً منه.

حكى القاضي أبو مروان الباجي عنه قال: كنت يوماً معه، وإذا به قد قال: إنني رأيت البارحة – أي في النوم – أختي ، وكانت أخته قد ماتت. قال: فقلت لها: بالله عرِّفيني كم يكون عمري؟. فقالت: طابيتين ونصف! ، والطابية هي الخشب يكون طولها عشرة أشبار تتخذ للبناء. قال: فقلت لها: أنا أقول لك الجد، وأنتِ تجيبيني بالهزء!. فقالت: لا والله ما قلت إلا جداً. وإنما أنت ما فهمت! أليس في الطابية عشرة أشبار، فانظر إلى الطابيتين ونصف خمسة وعشرين شبراً فيكون عمرك خمساً وعشرين سنة!.

قال القاضي أبو مروان: فقلت له: لا تتوهم من هذا فلعلَّه أضغاث أحلام، قال: فلم تكمل تلك السنة إلا وقد مات! فكان عمره كما قال لم يزد ولم ينقص.

وخلَّف ولدين كل واحد منهما فاضل في نفسه، كريم في أبناء جنسه، وهما: عبد الملك ،وأبو العلاء . ولأبي العلاء نظر جيد في كتب جالينوس، وصناعة الطب، وكانا بإشبيلية.

قلت: كانا عَلَمَي طرازها، وآيتي إعجازها على سن شبيبه، ووقت اشتغال بحبيب أو حبيبه.

ومنهم:

١٦٧- أبو جعفر ابن الغزال*

من أهل المرية[١]، تغرَّب عن الأوطان حتى تقرَّب إلى السلطان ، وباشر في الخدم من أجلها، وحصَّل من النعم جلَّها، فكان واسطة العقد[٢]، ولاقطة المنهل العدّ، وحلَّ محلَّ الثقة من خليفته، وكان مكان المقة[٣] في وظيفته، لفضائله التي ثبتت عند إمامه، وأوجبت له أن يتسلم عقد زمانه، فعلا رتبه، وامتدت إليه الأيدي رَغِبَه.

ذكره ابن أبي أصيبعة: " قرأ على الحفيد ابن زهر وعلى غيره، وأتقن الطب، وخدم المنصور به، وكان خبيراً بالمفردات، وكان المنصور يعتمد عليه في الأدوية

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٥٣٦.

١ : المرية، بفتح فكسر وياء مشددة، مدينة كبيرة من كور البيرة من أعمال الأندلس.

٢ : **واسطة العقد** : مقدَّمه ، وليس كما يتبادر إلى الذهن أوسطه " القاموس مادة وسط " .

٣ : **المِقة:** المحبة، والهاء عوض من الواو، وقديَمقه، بالكسر فيهما، أي أحبه، فهو وامِق. وفي الحديث: أنه اطَّلع من وافِد قوم على كذبة فقال: لولا سَخاء فيك وَمِقك اللهُ عليه لشَرَّدْتُ بك، أي أحبك الله عليه. قاله في اللسان.

المفردة والمعاجين، ويتناولها منه، وكان المنصور قد أبطل الخمر وشدّد فيه، ثم إنه أمر ابن الغزال أن يجمع حوائج الدرياق ويركبه ، فجمعها ، ثم أعوزه الخمر لعجنه، فأنهي ذلك إلى المنصور فقال : تطلبه من كل ناحية وانظر لعله أن يكون عند أحد منه، ولو شيء يسير. فتطلّبه فلم يجد شيئاً منه ، فأعلم المنصور، فقال :والله ما كان بي تركيب الدرياق في هذا الوقت إلا لأعتبر هل بقي عند أحد من الخمر شيء أم لا؟!" .

ومنهم:

١٦٨- أبو العباس ابن الرومية ، وهو أحمد بن محمد بن مفرّج النباتي*

من أهل إشبيلية، جوال في كل تنوفة[١]، وجوَّابٌ لكل مخوفة، نزل بكل أرض مخيِّما، وطالما جنى النبات وجاء منها بالبينات، وشخصها بأشخاصها وبيَّن ما بين عامِّها وخاصِّها، فعلا محلاً، وطاف كالسحاب فلم يدع مَحْلا[٢].

قال ابن أبي أصيبعة : " من أهل إشبيلية، ومن أعيان علمائها، وأكابر

---

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٣٨، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢ /١٦٩-١٧٠، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤ / ٢١٠، ونفح الطيب للمقري ١ /٦٢٤-٦٢٥، وأخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ١ /٨٨-٩٣، والديباج المذهب لابن فرحون ٤٢-٤٣، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١٣٨٢و ١٤١٩، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٧٥ .

١ : **التَّنُوفَةُ:** والتَّنُوفِيَّةُ: المَفازَةُ، أو الأرضُ الواسِعَةُ البَعيدَةُ الأطْرافِ، أو الفَلاةُ لا ماءَ بها ولا أنيسَ، وإن كانتْ مُعْشِبَةً.

٢ : **المحل:** الجَدْبُ، وانْقِطاعُ المطرِ.

فضلائها، قد أتقن علم النبات، ومعرفة أشخاص الأدوية وقواها ومنافعها، واختلاف أوصافها، وتباين مواطنها، وله الذكر الشائع وحسن الوصف الجامع، قد شرف نفسه بالفضائل، وسمع الحديث وانتفع الناس به، وأتى مصر والشام، وعاين فيها نباتاً كثيراً لا ينبت بالمغرب، وشاهد أشخاصها في منابتها، ونظرها في مواضعها، ولما قدم الإسكندرية كان الملك العادل ابن أيوب بالقاهرة، فاستدعاه وأكرم ملتقاه، وأراده على الإقامة عنده، فقال: إنما أتيت لأحجَّ ثم أعود إلى بلدي وأهلي وولدي، ثم قضى فريضة حجِّه وعاد" .

ومنهم:

١٦٩- ابن الأصم*

وهو ابن الأصمّ إلا أنه كان أسمع ، وانعقد عليه التفضيل وأجمع، وكان يكرم أبا، ويعد منه والداً لو كان من الشهور لكان رجبا، إلى طبٍّ طالما صاد به المنون، وصاد ما لم تجله الظنون، وانتاش مهجة لم يبق منها إلا آخر الذماء(١)، وردَّ مرضاً لم يطل زاخر الدماء، وكانت إشبيلية به في حلل المفاخر تختال، وتكف بأس من يغتال، وتتيه بنسبته إليها وسمته التي دلّت دليل نسيم السحر عليها.

قال ابن أبي أصيبعة: " هو من الأطباء المشهورين بإشبيلية، وله قوة نظر في الاستدلال على الأمراض ومداواتها، وله حكايات مشهورة، ونوادر في معرفته بالقوارير، وإخباره عندما يراها بجملة حال المريض، وما يشكوه وما قد تناوله من الأغذية . حدثني أبو عبد الله المعري قال: كنت يوماً عند ابن الأصم، وإذا

* ينظر ترجمته في : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٥٣٨-٥٣٩.

١ : **الذَّماءُ**: الحَرَكَةُ، وقد ذَمِيَ، كَرَضِيَ، وبَقِيَّةُ النفْسِ، أو قُوَّةُ القلبِ، وقد ذَمَى، كَرَمَى.

بجماعة قد أقبلوا إليه ومعهم رجلٌ وفي فمه حيةٌ قد دخل بعضها مع رأسها في حلقه، وبقيتها ظاهر، وهي مربوطة بخيط قنب إلى ذراع الرجل، فقال لهم: ما شأن هذا؟ فقالوا له: إن من عادته أن ينام وفمه مفتوح، وكان قد أكل لبناً ونام، فلما جاءه هذه الحية لعقت من فيه ودخلته وهو نائم، فأحست بمن أتى فخافت وانساب بعضها في حلقه، وأدركناها فربطناها بهذا الخيط لئلا تدخل في حلقه، وقد أتينا به إليك. فلما نظر إلى ذلك الرجل وجده وهو في الموت من الخوف، فقال: لا بأس عليك، كدتم تهلكون الرجل. ثم قطع الخيط فانسابت الحية، وبلغت إلى جوفه واستقرت. فقال له: الآن تبرأ. وأمره أن لا يتحرك، وأخذ أدوية وعقاقير فأغلاها في الماء غلياً جيداً وجعل ذلك الماء في إبريق وسقاه الرجل، وهو حارٌ فشربه وصار يجس معدته حتى قال: ماتت الحية، ثم سقاه ماءً آخر مغلياً فيه حوائج، وقال: هذه تهريء الحية مع هضم المعدة، وصبر مقدار ساعتين وسقاه ماء قد أغلي فيه أدوية مقيئة، فجاشت نفس الرجل وذَرَعه القيء، فعصب عينيه وبقي يتقيّأ في طست فوجدنا تلك الحية هي قطع، وهو يأمره بكثرةالقيء حتى تنظفت معدته، وخرجت بقايا الحية، وقال له: طب نفساً فقد تعافيت، وذهب الرجل مطمئناً صحيحاً بعد أن كان في حالة الموت.

أما أطباء مصر:

فمنهم:

١٧٠-بليطيان*

وهو رجل مشهور في النصارى، معروف بينهم معدود في بطاركتهم، طبيبٌ تدارك النفوس وسيوف المنايا تنوشها، ومواقيت الآمال قد قامت لها

* ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٥٤٠.

نعوشها. رأس في ملته ، وكان رئيس محلَّته، لخِلالٍ حُمدت، وأفضال شُعَلُه ما خمدت، وكان من أئمة العيسوية، وذوي القسمة بالسوية، إلى صحة حدس وذكاء نفس وكرم عشيرة، وشيم بالتقلل مشيرة.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان نصرانياً من الملكية[١]، عالماً بشريعة النصارى، وجعل بطرك الإسكندرية. حكي أنه كان للرشيد جارية مصرية كان يحبها، فاعتلت علةً عظيمة، فعالجها الأطباء فلم تنتفع بشيء ، فقيل له: لو بعثت إلى عاملك بمصر ليبعث إليك بطبيب منها، فإنه أبصر بهذه الجارية من أطباء العراق. فكتب إليه فبعث إليه ببلطيان، وكان طبيباً عارفاً حاذقاً، فأخذ معه من كعك مصر ، والصير[٢] المعمول بها، فلما أتى بغداد ودخل على الجارية أطعمها من الكعك والصير فرجعت إلى طبعها، وزالت عنها العلة، ووهب له الرشيد مالاً جزيلاً وكتب له منشوراً بإعادة كل كنيسة تغلَّب اليعاقبة [٣] فيها على الملكية، ثم أمر بأن يكون يحمل مثل هذ الكعك والصير إلى خزانة السلطان في كل وقت، فكان ذلك لا يزال يحمل موظفاً فيما يحمل إليها إلى آخر أيام المتوكل.

---

١ : **الملكية**: هم المسيحيون الذين خضعوا للمجمع الخلقيدوني الذي انحاز إليه الملك مرتيانوس، وهم في طاعة بطريرك أنطاكية، لغتهم الطقسية اليونانية والعربية.

٢ : **الصير** : السمك المملح.

٣ : **اليعاقبة**: طائفة من النصارى قالت بالطبيعة الواحدة يسمون اليوم السريان القديم أو الأرثوذوكس تمييزاً من السريان الكاثوليك.

ومنهم:

١٧١- سعيد بن توفيل*

جمرة تشتعل توقدا، وجملة لا يضم إليها إلا فرقدا، سعى للعلم سعيا، وأوعاه وعيه، حظي بالخدم، وحلَّ حيث لا تنصب الخيم، إلا أن الأيام قلبت له ظهر المجن،وحققت له خلاف ما ظن، فأفلتت رداءه وأشمتت به أعداءه، ولم يجنِ ذنباً سوى نصحه الذي حمل على الغش، وقتل عقاباً به جانيه عليه ولم يعش.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان طبيباً نصرانياً يخدم ابن طولون[١] ولا يفارقه، فلما أدركت ابن طولون الهيضة[٢] التي مات بها طلبه فلم يجده إلا بعد يومين، فعنَّفه ثم قال له: ما الصواب ؟ قال: أن لا تقرب غذاءً . قال: أنا والله جائع وما أصبر. فقال له: هذا جوعٌ كذاب لبرد المعدة. فلما نصف الليل استدعى بشيء يأكله، فجيء بفراريج كردناج [٣] حارة، وجدي بارد، فأكل منها فانقطع الإسهال عنه، فخرج نسيم الخادم وسعيد في الدار، فقال له: أكل الأمير! . فخفَّ

---

*[ت ٢٧٩ هـ= ٨٩٢ م] **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٤٣- ٥٤٤، والأعلام لخير الدين زركلي ٣ / ٩٢، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٦٢.

١ : مؤسس الدولة الطولونية لمصر، وأول ولاتها، مع الشام الذين لم يكونوا تابعين للخلافة في بغداد إلا اسماً، بنى الجامع المعروف باسمه في القاهرة بمصر. توفي سنة ٢٧٠هجرية.

٢ :وهي الكوليرا، وقال في اللسان: الهَيْضَةُ أَنْ يُصِيبَ الإِنْسانَ مَغْصٌ وكَرْب يَحْدث بَعْدَهُما قَيْء واخْتلاف الخِلْقَةُ أَنْ لا يَلْبَثَ الطَّعامُ في البَطْنِ اللُّبْثَ المُعْتَادَ، بَلْ يَخْرُجُ سَرِيعاً، وَهُوَ بحَاله لَمْ يتغَيَّرْ مَعَ لَذْع وَوَجَع واختلاف صِدِيدِي الدُّوَارُ أنْ يكون الإِنْسانُ كَأَنَّهُ يُدَار بِهِ وتُظْلِمُ عَيْنُه وَيهُمُّ بالسُّقُوط.

٣ : **الكردناج** معرّب كردناك وهو شواء في سفود يقلب على النار لينضج ويؤكل.

عنه القيام، فقال سعيد: الله المستعان، ضعفت قوته الدافعة بقهر الغذاء لها، وستتحرك حركة منكرة، فما وافى السحر حتى قام قياماً كثيراً، وخرج من أنطاكية وعلّته تتزايد ثم أتى مصر على عجلة تُجرُّ بالرجال، فلما أتى الفرما [1] شكا انزعاجاً فركب الماء إلى الفسطاط، وضربت له بالميدان قبة نزل فيها، ثم ظهرت منه لسعيد بن نوفل نبوة وشكاه إلى كاتبه إسحق بن إبراهيم، فأخذ يلوم ابن نوفل فقال: والله ما خدمتي له إلا خدمة الفار للسنور والسخلة للذئب. قال نسيم الخادم: وكان ابن توفيل آيساً من حياته، لأن ابن طولون امتنع من مشاورته، ويعتقد فيه أنه فرَّط في أول أمره، وجيء بفاكهة من الشام، فقال له: ما تقول في السفرجل؟. فقال: تمصّ منه على خلو المعدة. فلما خرج سعيد من عنده أكل سفرجلاً عقيب عصيدة كان قد أكلها على غير رأي سعيد، فعصرها فتدافع الإسهال، فدعا به ثم قال: يا ابن الفاعلة! قلت إن السفرجل نافعٌ لي، وقد عاد الإسهال. فقام فنظر المادة ورجع إليه، فقال: هذه العصيدة التي حمدتها وقلت إني غلطت في منعها عصرها السفرجل، وأنا ما أطلقت لك السفرجل وإنما أشرت بمصه، فقال: يا ابن الفاعلة! تريد تحجني وأنت صحيح سوي، وأنا عليل مدنف؟. ثم ضربه مائتي سوط، وطاف به على جمل، ونودي عليه: هذا جزاء من اؤتمن فخان، وأمر ببيته فنهب، ثم لم يعش سعيدٌ بعد ذلك إلا يومين ومات.

١: قال ابن خالويه: **الفرَما**، بالفاء، مقصور لا غير، وهي مدينة بقرب مصر، سميت بأَخي الإسكندر، واسمه فرَما، وكان الفرما كافراً، وهي قرية إسمعيل بن إبراهيم، عليه السلام. قاله في اللسان.

ومنهم:

١٧٢- سعيد بن البطريق*

طبيبٌ طالما خلَّص الأجسام من دائها، واستلَّ النفوس من أعدائها، مع علم بشريعته، وعملٍ حسنٍ في شيعته، إلا أنه لم تصف له موارد الأيام، ولم ينصف على عوائد الأنام، وبلي باختلاف قومه ، وما برحوا في شقاق ولا صحوا من سكرة إشفاق، ولم يزل عودهم معه في التواء، وعودُهم إليه بغير استواء، هذا ولم يكن غِرّاً ولا رأى وجوه التجارب إلا غُرّاً، مع سعة اطِّلاع كأنما أشرف عليه من عالي التلاع(١)، واضطلاع قلَّ أن حنيت عليه حنايا أضلاع، ويدٍ ما قصَّرت في ضبط ولا غرب عنها ما في قِطٍّ قط، ولكنها الأيام وعاداتها، ومواهبها واستعداداتها.

قال ابن أبي أصيبعة : " كان من أهل مصر، وكان طبيباً نصرانياً مشهوراً عارفاً بعلم صناعة الطب وعملها، وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبها، ثم صيِّر في أول يوم خلافة القاهر(٢) بطرك الإسكندرية، وكان في زمانه شقاقٌ عظيم،

* **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٥٤٥-٥٤٦، وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ٢ / ٢٠٠ والوافي بالوفيات للصفدي ١٣ / ٦٦، وحسن المحاضرة للسيوطي ١ / ١١٣، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٤ / ٢٢١، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٦١-١٦٢.

١ : جمع تلعة، **والتَّلْعَةُ**: ما ارْتَفَعَ من الأرضِ، وما انْهَبَطَ منها، ضِدٌّ، ومَسيلُ الماءِ، وما اتَّسَعَ من فُوَّهَةِ الوادي، والقِطْعَةُ المُرْتَفِعَةُ من الأرضِ، ج: تَلَعاتٌ وتِلاعٌ، أو التِّلاعُ: مَسايِلُ الماءِ من الأَسْنادِ والنِّجافِ والجِبالِ،حتى يَنْصَبَّ في الوادي، ولا تكونُ التِّلاعُ إلا في الصَّحاري.

٢ : أمير المؤمنين محمد بن أحمد بن طلحة العباسي، القاهر ابن المعتضد ابن الموفق، أبو منصور، من خلفاء الدولة العباسية، بويع في أيام المقتدر أخيه لأبيه، سنة ٣١٧هجرية، وأقام يومين وخلع وسجن، ولما قتل المقتدر أخرج من السجن وبويع إلى سنة ٣٢٢هجرية، ولم تحسن سيرته فهاج الجند وخلعوه وكحلوا عينيه بالنار، بمسمار محمى دفعتين، وهو أول من سمل من الخلفاء. توفي ببغداد سنة ٣٣٩هجرية = ٩٥٠م. انظر: الأعلام ٥ / ٣٠٩.

وشرٌّ متصل بينه وبين شيعته، وله تصانيف كثيرة [١] وتواريخ محرَّرة، ولحقه إسهال مات به بالإسكندرية.

ومنهم:

١٧٣- التميمي: وهو أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي*

جادة إحسان، ومادة بقاء الإنسان، عرف الأدوية لطول ما ألفها، وركَّب مفرداتها وألَّفها، وجناها من رؤوس الشجر ومما يعرشون، ويبسطون من الأرض ويفرشون، إلى إتقان لقواعد الطب وأصوله، وعوائد المستطب في العام وفصوله، حتى إنه إليه المرجع وعليه الاعتماد في كل دواء ينجع.

ذكره ابن أبي أصيبعة[٢] وقال: " كان مقامه أولاً بالقدس ونواحيه، وله معرفة جيدة بالنبات وماهياته، وكان متميزاً في صناعة الطب، والاطلاع على دقائقها، وله خبرة بتركيب المعاجين والأدوية المفردة،واستقصى معرفة الدرياق الكبير الفاروق وتركيبه، وركَّب منها شيئاً كثيراً على أتم ما يكون من حسن الصنعة، وانتقل إلى مصر ، وأقام بها حتى مات" .

قال ابن القفطي[٣]: " إن التميمي هو الذي أكمل الدرياق الفاروقي، بما زاده فيه من المفردات، وكان خصيصاً بالحسن بن عبد الله بن طغج صاحب الرملة،

١: منها: كتاب في الطب، وكناش، وكتاب الجدل بين المخالف والنصراني، وكتاب نظم الجوهر، وغيرها ذكره ابن أبي أصيبعة .

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٤٦-٥٤٨، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ٤ / ٢٩٠، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ١٠٥.

٢: عيون الأنباء ٥٤٦.

٣: تاريخ الحكماء ١٠٥.

وعمل له معاجين ولخالخ[١] طبية، وأنواع دخن دافعة للوباء وركب سفوف الرجفان الحادث عن المرة السوداء المحترقة، وكان يذكر أنه نقله عن راهب كان بالقدس فاضلاً في الحكمة والطب ، وأدرك الدولة العلوية[٢] بمصر، وصحب يعقوب بن كلس[٣]، وزير المعز والعزيز، ولقي الأطباء بمصر وناظرهم.وحكي عن أبيه أنه سكر مرةً سكراً مفرطاً غلب على عقله، فسقط في بعض الخانات من موضع عالٍ إلى أسفل الخان وهو لا يعقل، فحمله صاحب الخان وخدمه حتى أدخله الحجرة التي كان ساكنها، فلما أصبح قام وهو يجد وجعاً ووهناً في مواضع من جسده، ولا يعرف لذلك سبباً، فركب وتصرف في بعض أموره، إلى أن تعالى النهار، ثم رجع فقال لصاحب الخان: إني وجدت في جسدي وجعاً وتوهُّناً شديداً لست أدري ما سببه. فقال صاحب الخان: ينبغي أن تحمد الله على سلامتك. قال: فماذا؟. قال: أو ما علمت ما نالك البارحة؟. قال: لا. قال: فإنك سقطت من أعلى الخان إلى أسفل، وأنت سكران. قال: ومن أي موضع؟. فأراه الموضع. فلما رآه حدث به للوقت من الوجع والضربان ما لم يجد معه سبيلاً إلى الصبر ، وأقبل يصيح ويتأوَّه ، إلى أن جاؤوه بطبيب ففصده، وشد على مفاصله المتوهِّنة جباراً، وأقام أياماً كثيرة إلى أن برأ وذهب عنه الوجع.

أقول: ومما يناسب هذه الحكاية أن بعض الناس كان في بعض أسفاره في مفازة ، ومعه رفقة له، فنام في منزلة نزلها في الطريق ورفقته جلوس ، فخرجت حية من بعض النواحي، فصادفت رجلاً ، فنهشته فيها، وذهبت، وانتبه مرعوباً من الألم وبقي يمسك رجله ويتأوه منها، فقال له بعضهم ما عليك مددت

---

١ : أي مراهم ومعاجين طبية.

٢ : أي الدولة الفاطمية بمصر.

٣ : يهودي من بغداد اشتهر بإدارته المالية، وأصبح وزيراً للخليفة العزيز الفاطمي، وأسلم وأصبح حجة في العلوم الإسلامية.

رجلك بسرعة وقد صادفت رجلك شوكة في هذا الموضع الذي يوجعك. وأظهر له أنه أخرج الشوكة وقال: ما بقي عليك باس، وسكن عنه الألم بعد ذلك ورحلوا ، فلما كان بعد عودهم بمدة وقد نزلوا في تلك المنزلة قال له صاحبه: أتدري ذلك الوجع الذي عرض لك في هذا الموضع من أي شيء كان؟. فقال: لا. فقال: إن حيةً ضربتك في رجلك ورأيناها ، وما أعلمناك، فعرض له في الوقت ضربان قويٌّ في رجله وسرى في بدنه، إلى أن قرب من قلبه وعرض له غشي ، ثم تزايد به إلى أن مات، وكان السبب في ذلك أن الأوهام ،والأحداث تؤثر في البدن تأثيراً قوياً، فلما تحقَّق أن الآفة التي عرضت له كانت من نهشة الحية تأثر ذلك وسرى ما كان في ذلك الموضع من بقايا السم في بدنه، ولما وصل إلى قلبه أهلكه.

قلت: ومن نسبة ما حكى عن أبيه ما شاهدته بعيني سنة ست وسبع مائة، وذلك أنه كان عندنا صغيرٌ في سطح الدار يلعب، وبيده تفاحة، فجعل يلقيها من يده ثم يجري وراءها، ويأخذها ، وألقاها مرةً فتدحرجت وجرى هو خلفها، فوقعت من طاقة في السطح معدة لرمي الثلج ترمى إلى الطريق علوها عن الأرض يقارب عشرين ذراعاً، واستمر هو جارياً خلفها ليأخذها، فوقع من ذلك العلو إلى الأرض قائماً على قدميه، واستمر جارياً خلف التفاحة حتى أخذها ولم يضره شيء البتة، وكان سداسي السن وكنت قريباً من سنه وأنا أشاهده، وأنا على باب الدار، فسبحان الله اللطيف بخلقه.

ومنهم:

١٧٤- ابن الهيثم : وهو أبوعلي محمد بن الحسن بن الهيثم البصري ثم المصري*

رجلٌ أخذ الفرائد فنظمها، والفوائد فأجلَّها قدراً في الصدور وعظَّمها، بطرف طموح وطرف تحت عقد بيانه جموح(١)، فأثبت الغرر، وأنبت الدرر، وصاغ النجوم وأشباهها، وتبجَّس فحكى الغيوم وأمواهها، لفضائل حصَّلها من الصِّغر، وورد منها أصفى المناهل ولم يعرف الصَّدَر، فبقيت كتبه قدوة للمتأمِّل، وجلوة مثل الصباح المتهلِّل.

قال ابن أبي أصيبعة: " أصله من البصرة، ثم انتقل إلى مصر فأقام بها إلى آخر عمره، وكان فاضل النفس، قوي الذكاء، مفنناً في العلوم، وكان كثير التصنيف، ظاهر الزهد، ولخَّص كثيراً من كتب أرسطو وجالينوس، وشرح العويص ، وكان حسن الخط، جيِّد العربية" .

حكي أنه كان قد وُزِّرَ بالبصرة ونواحيها، فمنعته عن النظر، فآثر التجرُّد ليتوفَّر على العلم، فأظهر خبالاً في عقله وتغيُّراً في تصوُّرِه، حتى تمكن من مراده، ثم أتى مصر، وأقام بالجامع الأزهر، ثم كان يكتب "أقليدس، والمجسطي" ويتقوَّت بالثمن.

---

* **ينظر ترجمته في** : عيون الأنباء لابن أبي اصيبعة ٥٥٠-٥٦٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١٣٨٩، وإيضاح المكنون للبغدادي ١ /٢٣و٩٣و٢٢٦و٢٩٢و٣١١و٣١٥و٣١٨، والأعلام للزركلي ٦ /٨٣-٨٤، وتاريخ الحكماء للقفطي ١٦٥-١٦٨، وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٣ /١٨٣-١٨٦.

١ : الطرف الأول: بمعنى النظر، والطرف الثاني: بمعنى الخيل، فبينهما جناس تام.

وقيل: إنه بلغ الحاكم أنه كان يقول: لو كنت بمصر لعملت في النيل عملاً يحصل به النفع في كل حال من حالاته من زيادة ونقص. فاستدعاه ومشى إليه، فلم يجد أنه يتم له ما أراده، فعاد خجلاً واعتذر إلى الحاكم بما قبل منه ظاهره، ثم إنه ولاه بعض الدواوين، فوليها رهبة لا رغبة، ثم تحقَّق غلطه إذ قيل لكثرة استحالة الحاكم وإقدامه على سفك الدماء، فلم يجد طريقاً إلا معاودة الجنون، فاحتيط على موجوده [1]وقيِّد، ووكِّل به من يخدمه ويقوم بمصالحه، فلما مات الحاكم أظهر العقل وعاد إلى ما كان عليه، وأعيد عليه ماله، فاستوطن قبةً على باب جامع الأزهر ملازماً وظائف الاشتغال والإفادة والتصنيف حتى مات.

ومنهم:

١٧٥- علي بن رضوان*

رجلٌ كان جمال إيوان، وكمال ديوان، ورئيس قوم، ورأس ذكرٍ باقٍ إلى اليوم، طالما أخليت له المجالس، وخليت الصدور له ولمن يجالس، فطال في الدولة الفاطمية ذيلاً، ومال به الدهر ميلا، وحصَّل من أولئك الكرام المرام، وبلغ لديهم غاية الاحترام، وفضائله تقول: هل من مزيد، وتتدفق فوق بردى ويزيد، حتى آن

١: أي حجر عليه لفساد عقله.

* **ينظر ترجمته في**: سير أعلام النبلاء للذهبي ١١ / ١٧٠-١٧٢، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٥٦١-٥٦٧، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ٣٣١-٣٣٤، وتاريخ الحكماء للقفطي ٤٤٣-٤٤٤، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥ / ٦٩، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١٥٩٦، وهدية العارفين للبغدادي ١ / ٦٩٠، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧ / ٩٤، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٢٠٥ برقم ٢٤٣.

أن يخلق رداء مفاخره، وينتهي كل شيء إلى آخره.

قال ابن أبي أصيبعة: " مولده ومنشؤه بمصر ، وبها تعلم الطب، وحكي عنه أنه قال: أخذت في تعلم الطب ولم يكن لي مالٌ أنفق منه، فلذلك عرض لي في التعليم صعوبة ومشقَّة. قال: إنه ولد بالجيزة، وكان أبوه فرَّاناً، ولم يزل ملازماً للاشتغال والنظر في العلم إلى أن تميز وصار له الذكر الحسن، والسمعة العظيمة، على سفهه وإزرائه بالعلماء، وخدم الحاكم وجعله رئيساً على الأطباء ، ثم أخذت يتيمة كان ربَّاها مالاً جليلاً كان له نحو عشرين ألف دينار، وهربت به فاختل عقله" .

ومنهم:

١٧٦- افرائيم [بن الزفَّان] الإسرائيلي*

طبيبٌ صفت له المشارب، وصحت معه التجارب، واتصل بالدولة الفاطمية اتصال اليد بالعنان، وطال بها طول الرمح بالسنان، وكان منها مكان الشجاعة من الجنان، وقرَّ لديها استقرار الخاتم في البنان، ثم جاءته منيته وقرعت بصفا اللحود ثنيته.

قال ابن أبي أصيبعة: " وهو من الأطباء المشهورين بديار مصر، وخدم الخلفاء الذين كان في زمانهم، وحصل من جهتهم من الأموال والنعم شيئاً كثيراً، وكان

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٥٦٧-٥٦٨، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢/ ٣٠٨، ودائرة معارف البستاني ٣/ ١٣٨، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٩٣.

قد قرأ صناعة الطب على أبي الحسن علي بن رضوان وهو من أجلِّ تلامذته، وكانت له همَّةٌ عالية في تحصيل الكتب، وفي استنساخها، حتى كانت عنده النسَّاخ يكتبون ، ولهم ما يقوم بكفايتهم منه، ومن جملتهم: محمد بن سعيد بن هشام الحجري ، وهو المعروف بابن ملساقة، ووجدت بخط هذا عدة كتب وعليها خط أفرائيم .

وحدثني أبي أن رجلاً من العراق وكان قد أتى إلى مصر ليشتري كتباً ويتوجَّه بها، وأنه اجتمع بأفرائيم، واتفق الحال فيما بينهما أن اباعه أفرائيم من الكتب التي عنده عشرة آلاف مجلدة ، وكان ذلك في أيام الأفضل ابن أمير الجيوش . فلما سمع بذلك أراد أن تلك الكتب تبقى بالديار المصرية، ولا تنتقل إلى موضع آخر، فبعث إلى أفرائيم والعراقي عليها، ونقلت الكتب إلى خزانة الأفضل، وكتب عليها ألقابه ، ثم خلف من الكتب ما يزيد على عشرين ألف أخرى، ومن الأموال والنعم شيئاً كثيراً جداً" .

ومنهم:

١٧٧- سلامة بن رحمون أبو الخير*

قِرنٌ لا يمل المصاع[١]، ولا يكايل بالمد والصاع، فكان لو عوَّقه في طريقه جبلٌ لاقتلعه، أو أشرقه[٢] بريقه أسدٌ لابتلعه، إلا كُدية عرضت له فلم يستطع

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٥٦٨-٥٦٩، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨/ ١٧١، والأعلام لخير الدين الزركلي ٣/ ١٠٧، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٦٥.

١ : المِصاعَ أي الجِلادَ والضِّرابَ: وماصَعَ قِرْنَه مُماصَعةً ومصاعاً: جالَده بالسيف ونحوه.

٢ : يقال: شَرِقَ من باب طرِب أي غص وفي الحديث: يؤخرون الصلاة إلى شَرَقِ الموتى. أي إلى أن يبقى من الشمس مقدار ما يبقى من حياة من شَرِق بريقه عند الموت.

صعود ذروتها، ولا بدر على ارتقاء صفاها ولا مروتها، فباء بخجلته وبقي تحت مذلة مضلّته.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان يهودياً له أعمال حسنة، واطِّلاعٌ على كتب جالينوس، والبحث عن غوامضها، ولما وصل أبو الصلت إلى مصر اجتمع به وجرت بينهما مباحث ومشاغبات، وقد ذكر أبو الصلت في رسالته المصرية قال: وأشبه من رأيته منهم وأدخله في عداد الأطباء رجلٌ من اليهود يدعى أبا الخير سلامة بن رحمون، فإنه لقي أبا الوفاء المبشر بن فاتك، وأخذ عنه شيئاً من صناعة المنطق، تخصص بها، وتميز على أضرابه، وأدرك أبا كثير بن الزفان تلميذ أبي الحسن بن رضوان، فقرأ عليه بعض كتب جالينوس، ثم نصّب نفسه لتدريس جميع المنطق، وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والإلهية، وشرح بزعمه، وفسر، ولخَّص، ولم يكن هنك في تلخيصه وتحقيقه واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه، بل كان يكثر كلامه فيضل ، ويسرع جوابه فيزل، ولقد سألته أول لقائي له واجتماعي به عن مسائل استفتحت مباحثته بها مما يمكن أن يفهمها من لم يكن يمتد في العلم باعه، ولم يكثر تبحره واتساعه، فأجاب عنها بما أبان عن تقصيره ونطق بعجزه، وأعرب عن سوء تصوره وفهمه، وكان مثله في عظم دعاويه وقصوره عن أيسر ما هو متعاطيه، كقول الشاعر:[**المتقارب**]

يشمر للج عن ساقه ويغمره الموج في الساحل

أو كما قال الآخر:[**المتقارب**]

تمنيتم مائتي فارس فردَّكم فارس واحد

قال أبو الصلت: وكان بمصر طبيبٌ من أهل أنطاكية يسمى جرجس، ويلقب بالفيلسوف على ما قيل في الغراب أبي البيضاء، وفي اللديغ سليم، قد

تفرغ بالتولُّع بابن رحمون والإزراء عليه، وكان يزوِّر فصولاً طبية وفلسفية، يقررها في معارض ألفاظ القوم وهي محال لا معنى لها ، وفارغة لا فائدة فيها، ثم إنه ينفذها إلى من يسأله عن معانيها، ويستوضحه أغراضها، فيتكلم عليها، ويشرحها بزعمه، دون تيقظ ولا تحفظ بل باسترسال واستعجال، وقلة اكتراث واهتبال، فيوجد فيها عنه ما يضحك منه. وأنشدت لجرجس هذا عنه وهو أحسن ما سمعته:[**السريع**]

إن أبا الخيـر على جهله ... يخف في كفته الفاضل
عليله المسكين من شؤمه ... في بحر هلك ما له ساحل
ثلاثة تدخل في دفعة ... طلعته والنعش والغاسل

ومنهم:

١٧٨- بلمظفر ابن معرف : وهو نصر بن محمود بن المعرّف*

عالمٌ بأسرار الطبيعة، وعارف بأخبار الشريعة، وفاضلٌ كاد يحوز الفضل جميعه، وكان محباً لكثرة الثراء، ومبلّلاً بثرى تربته الخضراء، لا يعدل شيء عنده نعمة الغنى، ولا يصرف إلى غيرها همة المنى، وعانى الصنعة فلم يبتل له منها عودٌ بماء، ولا حصل له صاد الصديق ولا كاف الكيمياء، مهما أنفق من مال، وأخفق من مآل.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٧٣، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٠٨-١٠٩.

ذكره ابن أبي أصيبعة وأثنى على فضله، وقال: " كان مغرماً بصناعة الكيمياء والاجتماع بأهلها، وكتب بخطه كثيراً من الكتب التي صنفت فيها، وفي الطب والحكمة، وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب وقراءتها، قال: ومن أعجب شيء منه أنه كان قد ملك ألوفاً كثيرة من الكتب في كل فن، ولا يوجد شيء منها إلا وقد كتب على ظهره مُلَحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي صنف ذلك الكتاب فيه، وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها كانت له وعليها اسمه، وما منها شيء إلا وعليه تعاليق حسنة وفوائد متفرقة.

وأنشد من شعره قوله[المتقارب]

وقالوا الطبيعة مبدا الكيان   فيا ليت شعري ما ذا الطبيعه؟
أقادرة طبعت نفسها   على ذاك أم ليس بالمستطيعه؟

وقوله[المتقارب]

وقالوا الطبيعة معلومنا   ونحن نبيّن ما حدّها
ولم يعرفوا الآن ما قبلها   فكيف يرومون ما بعدها؟!

ومنهم: أولاد أبي الحفائر

وكلهم أفاضل أطباء، وأماثل ألبّاء، خدموا الملوك، وأحسنوا السلوك، ولاطفوا الأمزجة، وشارفوا في العلم أعلى درجه، لو استسقى بهم الحظ العليل لبرأ، أو سكن بهم عاصف الريح العقيم لما درأ.

منهم:

١٧٩- أبو عمرو عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسي جمال الدين*

هو الذي شيَّد بناء البيت، ومهَّد لمشاهيره الحي منهم والميت.

قال ابن أبي أصيبعة فيه: " أفضل الأطباء، وسيد العلماء، وله اشتغال بالأدب، وشعره صحيح المباني، بديع المعاني، خدم العزيز ابن صلاح الدين(١)، ودام حتى خدم الكامل(٢).

ومنهم:

١٨٠- ابنه الفتح [فتح الدين بن جمال الدين بن أبي الحفائر]*

وكان مثل أبيه، وإن لم يكن مثله فيدانيه.

وقال ابن أبي أصيبعة فيه: " كان نزيه النفس، صائب الحدس، حسن المداواة، لطيف المداراة، فصيح اللسان كثير الإحسان، خدم الكامل والصالح(٣)، وفي أيامه توفي بالقاهرة ".

---

* ينظر ترجمته في: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٥٨٤-٥٨٥، والأعلام لخير الدين الزركلي ٤/٢١٥، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٩٩-٢٠٠.

١: الملك العزيز عثمان ابن الملك الناصر صلاح الدين، وأقام معه في الديار المصرية، وولاه رياسة الطب ولم يزل في خدمته وهو كثير الإحسان إليه والإنعام عليه، إلى أن توفي الملك العزيز ليلة الأحد العشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة من الهجرة، بالقاهرة. انظر: عيون الأنباء ٥٨٥.

٢: الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب.

* ينظر ترجمته في: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٥٨٥.

٣: الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد. انظر: عيون الأنباء ٥٨٥.

ومنهم:

١٨١- ابنه المهذب [شهاب الدين ابن فتح الدين]*

زاد على أبيه فضله، وزان علا سلفه نبله.

وقال ابن أبي أصيبعة فيه: " جمع بين الفضائل، وتميز على الأواخر والأوائل، علامةوقته في حفظ الصحة ومراعاتها، وإزالةالأمراض وعلاجاتها، اقتفى سيرة آبائه، وفاق نظراءه في همته وإبائه" :[الكامل]

ورث المكارم عن أبيه وجده ... كالرمح أنبوباً على أنبوب

فأما من سواهم: فمنهم:

١٨٢- الخونجي: محمد بن ناماور أفضل الدين أبو عبد الله*

قاضي القضاة، تمام الأفاضل، وإمام كل فاضل، ولهذا لقب بأفعل التفضيل، ولقي الود من كل فضيل، إلى علوم شرعية، وعلو قدر لرتبة مرعية، هذ إلى وفور إحسان، وظهور أيادٍ حسان، مع سلامة صدر، وسذاجة مفرطة بلا قدر، فلم

---

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقت الأطباء ٥٨٥-٥٨٦.

* **ينظر ترجمته في:** عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٥٨٦-٥٨٧، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٣/ ٢٧٨، وحسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٣١٢-٣١٣، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/ ٤٣، والوافي بالوفيات للصفدي ٨٩-٩٠، وشذرات الذهب لابن العماد ٥/ ٢٣٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٦٠٢و١٤٨٦و١٩٠١و١٩٨٦، وهدية العارفين للبغدادي ٢/ ١٢٣، ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده ١/ ٢٤٦،و معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٢/ ٧٣، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٢٥٥-٢٥٦.

يكن مثل بزّه الرفيع الساذج، ومهزّه الرطب عند قضاء الحوائج.

قال ابن أبي أصيبعة فيه: " اجتمعت به ووجدته الغاية القصوى في سائر العلوم، وكان يعرض له انشداه خاطر لكثرة انصباب ذهنه إلى العلم، وتوفّر فكره عليه، وولي قضاء القضاة بمصر وأعمالها".

ومنهم: بنو فانه:-

أهل بيت تنسقوا في الفضائل، وتناسبوا في كرم الشمائل، وتناسلوا لا تكذب فيهم المخايل كأنما توالدوا من ظهور إقلينوس، أو تعاقدوا على حل مشكلات جالينوس، لو جلسوا في رواق أرسطو لسطا بهم في النظر وسما بهم إلا أنه يرضى جنب القمر.

وأولهم:

١٨٣- أبو سليمان داود بن أبي المنى ابن فانة*

وكان في أهل ملته يأوي إلى جناب منيع، ويهمي بسحاب لا يجحد له حسن الصنيع، وهذا إلى فهم ثاقب، وعزم لا يوني في طلب المناقب.

قال ابن أبي أصيبعة: " كان طبيباً نصرانياً من أهل القدس، حظياً عند الخلفاء، فاضلاً من فضلاء الأطباء، وأخذه الملك ماري من مصر إلى القدس(١) ليقيم عنده به، ولما وقع الفقيه عيسى عنده في الأسر مرض مرضاً أشفى منه، فأمر ماري ابن فانة بمعالجته، فلما رآه مثقلاً بالحديد في قعر الجب قال لماري: هذا رجلٌ ذو

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٨٧-٥٨٩، وعلماء النصرانية في الإسلام للويس شيخو ٤٢-٤٣، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ١٤٥-١٤٦.

١: في موسوعة علماء الطب، وعيون الانباء: " الملك أموري الأول سنة ١١٦٧م".

نعمة، ولو سقيته ماء الحياة على مثل هذه الحال لم ينتفع به، فأطلقه من الحديد والجب وأكرمه فإنَّ ذلك كافٍ في علاجه.

فقال له: هذا عليه قطيعة[١] كثيرة وأخاف أن يهرب. فقال ابن فانة: أيها الملك! سلِّمه إليَّ وضمانه عليّ.

فقال له: تسلَّمْه، فإذا جاءت قطيعته لك فيها ألف دينار. ثم أخذه إليه وفكَّ حديده وأخلى له موضعاً من داره، وبالغ في إكرامه؛ فلما مضت ستة أشهر، أمره ماري بإحضاره، فأحضره، فوجد قطيعته قد جاءت في أكياس، فأعطى ابن فانة منها كيساً فيه ألف دينار، كما وعده وأطلق سراح الفقيه عيسى؛ فقال ابن فانة: أيها الملك هذه الألف دينار قد صارت لي، وأتصرّف فيها تصرُّف الملاّك في أملاكهم، قال له: نعم. فأعطاها للفقيه لوقته، وقال له: أنا أعرف أن هذه القطيعة ما جاءت وقد تركت خلفك شيئاً وربما استدانوا لك فيها، فاقبل مني هذه في نفقة الطريق، فقبلها منه، وكان ابن فانة عارفاً بالنجامة، ورأى أن صلاح الدين سيدخل القدس من باب الرحمة، فبعث ولده أبا الخير إليه مبشراً بذلك، فأجازه جائزة سنية، وأعطاه علماً أصفر، ونشابة لأمانه، فلما دخل صلاح الدين إلى القدس دخل الفقيه عيسى داره وحماها أن تنال بسوء هي وجميع ما جاورها.

ومنهم:

١٨٤-ابنه: الموفق أبو شاكر موفق الدين*

لم يقف عند غاية أبيه وهي نائيه، ولم يقف آثاره والسحب وراءها غير متوانيه، تشرَّف بالإسلام وتعرَّف بالهدى وعداه الملام، وحظي ممن خدمهم من

١: من قولهم: "أَقْطَعْتُه قَطِيعةً" أي طائفة من أرض الخراج.

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٨٩–٥٩٠.

الملوك بما لم يحظ به من مخدوم وغلام. وقف له مثل العادة في نهجه، وأمطاه من كراكيبه ما ركب منه في غير سرجه.

قال ابن أبي أصيبعة: " قرأ على أخيه أبي سعيد، ثم تميز واشتهر، وحظي عند الكامل، وأقطعه ضياعاً وغيرها، وكان يتفقّده بالهبات الوافرة والصِّلات المتواترة، وكان يدخل في جميع قلاعه راكباً لا ينزل ثم أسكنه عنده بقلعة الجبل، وركبه العادل مرةً بغلته التي كانت قد شُدَّت في النوبة له، وركب ووقف بين القصرين ينتظره حتى جاء ثم أخذ بيده وجعل يتحدث معه إلى أن أتيا دار الوزارة، وكان العادل يسكنها وهو معه راكب، والأمراء ومن سواهم مشاة في الخدمة.

وفيه يقول ابن منقذ :[**المتقارب**]

رأيت الحكيم أبا شاكر ... كثير المحب مع الشاكر
خليفة بقراط في عصرنا ... وثانيه في علمه الباهر

ومنهم:

١٨٥- الرشيد أبو حليقة: وهو أبو الوحش ابن الفارس ابن أبي الخير بن أبي سليمان داود ابن أبي المنى ابن فانة*

وسبب تسميته بأبي حليقة لأن أباه كان لا يعيش له ولد، فقيل لأمه: لو

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٩٠-٥٩٨، والأعلام لخير الدين الزركلي ٣/ ٢٣، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٤/ ١٦١، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله وآخرون ١٥١.

عملت في أذنه حلقة لعاش؛ فعملتها. والملك الكامل هو الذي سمَّاه بهذا الاسم لأنه طلبه مع غلام فقال له: من هومن الأطباء؟ فقال هو أبو حليقة. فعرف بذلك، وكان مذ كان منقطع القرين مهيباً لا يقتحم له عرين، معظَّماً في النفوس، متمماً لمحاسن أهل الشموس، تجلُّه الملوك وتُحلِّه حيث لا يصل إليه سلوك.

قال ابن أبي أصيبعة بعد الثناء الجميل عليه بالعلم والدين والمروءة إنه: " ربي بجعبر ، وكان أبوه يلبسه زي الجند، فدخل الملك الكامل مرة الحمام قريباً من داره، فبعث إليه أبوه معه ماء ورد، وأطباق فاكهة، فقبلها الأمير وملأ أطباقه تفاصيل سنية، ثم دخل به على ابنه الملك العادل فلما رآه قال: هذا ابن الفارس لأنه عرفه بالشبه، فقال له: نعم. فالتفت إلى أبيه وكان قائماً في الخدمة وقال له: ولدك هذا ذكي لا تعلِّمه الخدمة، فالجند عندنا كثير وأنتم أهل بيت تبرَّكنا بطبكم، فسيِّره إلى عمه أبي سعيد إلى دمشق ليقرئه الطب، ففعل، فمهر، ثم رحل إلى القاهرة وخدم الكامل وحظي لديه، وأقطعه ثم خدم من بعده إلى الملك الظاهر بيبرس على أجمل العوائد.

قال: وكانت له نوادر في العلاج؛ منها: أنه كان يعالج حظيَّة الكامل كانت معه بالعباسية، ثم عرض للرشيد شغل دخل لأجله إلى القاهرة، وأقام بها ثمانية عشر يوماً، ثم عاد فوجد الأطباء قد تردَّدوا إليها ، فلما حضر باشر معهم، فقالوا له: إن هذه على موت، والمصلحة أن نعلم السلطان بهذا قبل أن يفجأه أمرها بغتة، فقال لهم: الذي عندي أن هذه ما هي في مرض الموت. فقال له شيخ منهم: أنا باشرت المرضى أكثر منك. فطالع السلطان فلم يوافقه. فأجمع الأطباء على المطالعة بهذا إلا هو، فكتبوا إلى السلطان بموتها، فأرسل إليهم رسولاً ومعه نجار ليعمل لها تابوتاً تحمل فيه؛ فأتيا والأطباء جلوس، فقال له الرشيد: ما هذا؟

فأخبره بما أتيا له. فقال للرسول : أتضعها في التابوت وهي في الحياة؟. فقال: لا، ولكن بعد موتها، فقال له: ارجع بهذا التابوت وقل للسلطان عني خاصة أنها لا تموت في هذه المرضة، فرجع وأخبره بذلك، فلما كان الليل استدعاه وقال له: أنت منعت عمل التابوت؟ قال له: نعم. قال له: بم عرفت ذلك دون الأطباء؟. قال: بمعرفتي بمزاجها دونهم. فقال له: امضِ فطبِّبها، فطبَّبَها فعوفيت.

ومنها: أن الكامل لفَّ مرة يده وأخرجها مع أيدي الحرم وهو يجس الأيدي، فلما انتهى إلى نبض الكامل قال: هذا نبض مولانا السلطان، وهو صحيح بحمد الله!.

ومنها: أنه جاءته امرأةمن الريف ومعها ولدها شاب غلب عليه النحول لتريه إياه، واتفق أنها جاءت به إليه بالغداة، والوقت بارد، فجسَّ نبضه، وبينما هو يجس نبضه، إذ قال لغلامه : ادخل ناولني الفرجيةلألبسها، فتغير نبض الشاب عند قوله تغيراً كثيراً ، فحدس أن يكون عاشقاً ، ثم جس نبضه بعد ذلك فتساكن، وعندما خرج الغلام إليه وقال له: هذه الفرجية جس نبضه أيضاً فوجده قد تغير .

فقال لوالدته: إن ابنك هذا عاشق، والذي يهواها اسمها "فرجية" .

فقالت: إي والله يا مولاي هو يحب واحدة اسمها فرجية، وقد عجزت مما أعذله فيها، وتعجبت من قوله لها غاية العجب، ومن اطِّلاعه على اسم المرأة من غير معرفة متقدمة له بذلك.

أقول: ومثل هذه الحكاية كانت عرضت لجالينوس لما عرف المرأة العاشقة، وذلك أنه كان استدعي إلى امرأة جليلة القدر وكان المرض قد طال بها، وحدس أنها عاشقة، فتردد إليها، ولما كان عندها وهو يجس نبضها، وكانت الأجناد قد ركبوا في الميدان وهم يلعبون، فحكى بعض الحاضرين ما كانوا فيه، وإن فلاناً

تبينت له فروسية ولعب جيد، فعند ذلك لما سمعت باسم ذلك الرجل تغير نبضها واختلف، ثم جسها بعد ذلك فوجده قد تساكن إلى أن عاد إلى حاله، ثم إن جالينوس أشار إلى الحاكي سراً أن يعيد قوله، فلما أعاده وجسّ نبضها وجده أيضاً قد تغير فتحقَّق من حالها أنها تعشق ذلك الرجل، وهذا مما يدل على وفور العلم وحسن النظر في تقدمة المعرفة.

ومنهم:

١٨٦- ابنه المهذب: أبو سعيد محمد بن أبي حليقة*

وأيُّ الرجال المهذب؟، وأي الآصال عصره المذهب، وكان له أي مجلس مغشي، وأنس أضوأ من مصابيح العشي، يُعشَى إلى ضوء ناره، ويُعزَى الفضل إلى ساكن داره، ويوصف بخلائق تتكفل بري الظماء، وتلذ لذة العسل بالماء، ولم يزل فجره يتزيّد في إنارته، وبدره لا يخرج من دارته حتى طما على روضته سيل المنون، وطحنه تحت ضرسه المنجنون(١).

قال ابن أبي أصيبعة فيه: " أوحد العلماء، وأكمل الحكماء، ولد بالقاهرة وسمي محمداً لما أسلم أيام الظاهر(٢). منحه الله من العقل أكمله، ومن الأدب

* ينظر ترجمته في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٩٨-٥٩٩، وعلماء النصرانية في الإسلام للويس شيخو ٤٦، وهدية العارفين للبغدادي ٢/ ١٣٣،و معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٩/ ٢٦٨، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٢٤٤.

١: **المَنْجَنُونُ**: الدُّولاب التي يُستقى عليها وقال بن السكيت هي المَحالة التي يُسْنَى عليها وهي مؤنثة وجمعها مَنَاجِينُ و المَنْجَنِينُ لغة فيها قلت المَحَالة البَكْرة العظيمة التي تستقي بها الإبل.

٢: ركن الدين الملكي الصالحي.

أفضله، ومن الذكاء أغزره، ومن العلم أكثره، أتقن الطب وعرف الحكمة، ولا أحد يدانيه فيما يعانيه، ولا يصل إلى الخلائق الجميلة التي أجمعت عليه".

انتهى ذكرهم

فأما من سواهم؛ فمنهم:

١٨٧- أبو سعيد بن موفق الدين يعقوب*

ويلقب بالموفق، وكان في فعله موفقاً، وفي نقله موثّقا، يصيب شاكلة الرمي، ويتلقى عدو المرض تلقي الكمي[١]، وله علاج يقوم بالأبدان، ويدوم تهاديه في البلدان، وينقل من خبره ما يكون أرجاً للمجالس، وحرجاً للمنافس، وطالما طال أمثاله في البِيَع[٢]، وكانوا له كالتبع، ثم خدم السلطان فتم ممتد الاتِّطان حتى شجب بعلته، وانتحب بالبكاء عليه أهل ملته.

قال ابن أبي أصيبعة: " هو من نصارى القدس، وكان خبيراً في الطب علماً وعملاً، حادَّ الذهن، وخدم الكامل ثم ابنه الصالح، وعالجه وهو بدمشق من أكلة كانت في فخذه، وكانت بينه وبين الرشيد أبي حليقة منافسة، فقال أبو سعيد: إن معالجة أبي حليقة على غير الصواب، فنظر الصالح إلى أبي حليقة نظرة غضب، فقام من بين يديه وقعد بباب الدار، ثم عرض أبو سعيد إليه مرة أخرى في مجلس السلطان، فعرض له فالج وبقي ملقى قدامه فأمر السلطان بحمله إلى داره، فمات بها بعد أربعة أيام، ثم عاد الصالح إلى مصر بعلّته وبها مات".

---

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٥٩٩-٦٠٠.

١: **الكَمِيُّ** الشجاع المُتَكَمِّي في سلاحه أي المتغطي المتستر بالدرع والبيضة والجمع الكُمَاةُ.

٢: جمع "بيعة" **والبِيَعَةُ**: كنيسة للنصارى.

ومنهم:

١٨٨- ابن البيطار: عبد الله بن أحمد المالقي النباتي، ضياء الدين أبو محمد*

سحاب أتى سيله فطمّ على القرى، وسحب ذيله فتم نشج العبقرى، وكأنما كان بأسرار الأدوية مناجي أو أوتي أجزل من ابن جزلة منهاجا، لعلم بالعقاقير وأشخاصها، وعموم منافعها واختصاصها، مع حسن جمع وإتقان ما يلج في سمع، وعرف فيها مقالات الحكماء وحزرها، وألَّف فيها المطوّلات وحبَّرها، وكان نسيج وحده، ووشيج جفان بأسده، تقلَّب في البلاد وجلب ما يبقى على الآباد، ثم مات ولله في خلقه أمر، وجناها على نفسه وقال: بيدي لا بيد عمرو.

قال ابن أبي أصيبعة فيه: " أوحد زمانه، وعلاَّمة أوانه، في معرفة النبات وتحقيقه واختباره ومواضع نباته، ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها، سافر إلى بلاد الأغارقة، وأقصى بلاد الروم، ووجد جماعة ممن يعاني هذا الفن، وأخذ عنهم معرفة نبات كثير وعاينه في مواضعه، واجتمع أيضاً في المغرب وغيره بكثير من الفضلاء في علم النبات، وعاين نباته وتحقق ماهيته، وأتقن دراية كتاب ديسقوريدس إتقاناً بلغ فيه إلى أن لا يكاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه، وذلك أنني وجدت عنده من الذكاء والفطنة والدراية في النبات وفي نقل ما

---

* **ينظر ترجمته في**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٦٠١-٦٠٢،و دائرة معارف البستاني ٢ / ٣٨٠،و علماء النصرانية في الإسلام ٨٠-٨٢،و الأعلام لخير الدين الزركلي ٨ / ٩٦، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٦٦٥و١٠٢٣و١١٦٦و١٢٦٨،و إيضاح المكنون للبغدادي ٢ / ١٢٠و١٩٣، وهدية العارفين للبغدادي ٥٤٥-٥٤٦، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله وآخرون ١٩٠-١٩١.

ذكره ديسقوريدس وجالينوس فيه ما يتعجب منه. أول اجتماعي به كان بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وست مائة، ورأيت أيضاً من حسن عشرته، وكمال مروءته، وطيب أعراقه، وجودة أخلاقه، وكرم نفسه ما يفوق الوصف، ويتعجب منه، ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات في مواضعه، وقرأت عليه أيضاً تفسيره لأسماء أدوية كتاب ديسقوريدس ، فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئاً كثيراً، وكنت أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلّفة في الأدوية المفردة، مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس، والغافقي، وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن، فكان يذكر أولاً ما قاله ديسقوريدس من نعته وصفته وأفعاله، ويذكر أيضاً ما قاله جالينوس فيه من نعته وأفعاله ومزاجه وما يتعلق بذلك، ويذكر أيضاً ما قاله المتأخرون وما اختلفوا ، ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعته، فكنت أراجع تلك الكتب معه، ولا يغادر شيئاً بما فيها، وأعجب من ذلك أيضاً أنه كان ما يذكر دواءً إلا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة، وفي تلك المقالة.

وكان في خدمة الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب، وكان يعتمد عليه في الأدوية المفردة، والحشائش، وجعله في الديار المصرية رئيساً على سائر العشابين، وأصحاب البسطات، ولم يزل في خدمته إلى أن توفي الملك الكامل رحمه الله بدمشق ، وبعد ذلك توجه إلى القاهرة ثم خدم الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل، وكان حظياً عنده، مقدماً في أيامه، وكانت وفاة ضياء الدين العشاب – رحمه الله – بدمشق في شهر شعبان سنة ست وأربعين وستمائة. وكتابه الجامع في الأدوية المفردة لا يوجد كتاب في الأدوية أجلّ ولا أجود منه، وصنّفه للملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل.

قلت: ويحكى أنه سمَّ نفسه فمات!.

حدثني الحكيم أمين الدين سليمان بن داود المتطبِّب قال: كان الملك الصالح قد أعطى ابن البيطار ألف دينار لينفقها على أثمان أدوية دعت إليها حاجته، واجتناء حشائش شامية ورومية، فلما أتى بيت المقدس رأى امرأة نصرانية اسمها مريم، فأحبَّها وأنفق عليها ذلك المال حتى أنفده وأهمل حاجة الملك الصالح، فلما قدم الملك الصالح إما قال: القدس، أو قال: دمشق، لم يكن لابن البيطار دأب ليله أراد الصالح يدخل البلد في صباحها إلا أنه أحضر النصرانية، وبات معها في أكل وشرب واستماع غناء واستمتاع حتى كان الثلث الآخر فأخرج حشيشةً معه فسحقها في هون ثم استفها ونام، وقال: غطوني، ثم إذا أصبحتم لا تسحقوا شيئاً في الهون حتى تجيدوا غسله فإنه قد صار مسموماً، فلم يفهموا مقاله إلى أن أصبحوا فرأوه ميتاً، ففهموا ما كان قاله، وغسلوا الهون، فلما دخل السلطان سأل عنه فحكيت إليه القصة فقال: لقد أساء بنا الظن وأين مثله لأشتريه بشطر ملكي، والله لو علمت لأعطيته عشرة آلاف دينار يصرفها في لذته، وكان أمتعنا بنفسه.

قلت: ويحكى أنه ترك عقاقير كثيرة ومفردات عدة لم يذكرها في كتابه الجامع ضناً بها، وبخلاً على غيره بمعرفتها. قال لي الحكيم صلاح الدين ابن البرهان: كان ابن البيطار يعرف مما يدخل في علم الكيمياء أشياء لم يذكره في جامعه.

قلت: وابن البرهان كان مغرىً بالكيمياء، مصدقاً بعلمها وإن كان لا يعملها بيده، ولهذا أظنه قال ما قال: [**الوافر**]

وكلٌ يدعي وصــــلاً بليلى   وليلى لا تقـــــر لهم بذاك

ومنهم:

١٨٩- علي بن أبي الحزم: علاء الدين ابن النفيس القرشي الدمشقي*

فرد الدهر وواحده، وأخو كل علم ووالده، إمام الفضائل، وتمام الأوائل، والجبل الذي لا يرقى علاه بالسلالم، والحبل الذي لا يعلق به إلا الغريق السالم، لم يبق إلا من اغترف منه غرفة بيده، وأخذ منه حلية لمقلده، حلَّ مصر في محل ملكها، ونسخت لياليها بإشراقه صبغة حلكها، وقرأ عليه بها الأعيان وكلأ فضله وأعان، ولم يكن على علم واحد بمقتصر، ولا شبهه بالبحر إلا مختصر، هذا إلى حسب غير مرؤوس، وحسب مثل جناح الطاووس، وشرف قرشي لا يحل معه في بطحائه، ولا يحث في البيد قلاص بطائه، زكا محتدا، وزها بيتاً لم يضرب غير متوسط السماء وتدا، وكمَّل ذاته بكرم وخير، ومجد في أول وأخير، ومزايا استحقاق وسجايا كحواشي النسيم الرقاق، ومحاسن كطوالع النجوم ما فيها شقاق.

قال ابن أبي أصيبعة(١): " نشأ بدمشق واشتغل بها في الطب على المهذَّب

---

* **ينظر ترجمته في**: تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ٢ /١١٧، و١١٨ / ١، والوافي بالوفيات للصفدي ١٢ / ٢١و٢٢، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٧ /٣٧٧،و الأعلام لخير الدين الزركلي ٤ / ٢٧٠-٢٧١،و معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧ /٥٨، وموسوعة علماء الطب لهيكل نعمة الله ٢٠٧-٢٠٨.

١: لدى الرجوع إلى عيون الأنباء في طبقات الحكماء لابن أبي أصيبعة لم نعثر لابن النفيس على ترجمة فيه، ونؤيد هذا الكلام ما ذكره هيكل نعمة الله في موسوعة علماء الطب ٢٠٧ قال فيه: " وكان معاصراً لمؤرخ الطب الشهير ابن أبي أصيبعة صاحب" عيون الأنباء" لكنه لم يأت على ذكر ابن النفيس في كتابه لخلاف حصل بينهما".

الدخوار منجباً، تخرج عليه جماعة منهم: الرضي وابن قاضي بعلبك، والشمس الكلي، وكان علاء الدين إماماً في علم الطب لا يضاهى في ذلك ولا يدانى، استحضاراً واستنباطاً ، واشتغل على كبر وله فيه التصانيف الفائقة والتواليف الرائقة.

صنف كتاب "**الشامل**" في الطب، تدل فهرسته على أنه يكون في ثلاث مائة سفر، هكذا ذكر بعض أصحابه، وبيَّض منها ثمانين سفراً، وهي الآن وقف بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة، وكتاب "**المهذب**" في الكحل، و"**شرح القانون**" لابن سينا، في عدة أسفار، وغير ذلك في الطب، وهو كان الغالب عليه .

وأخبرني شيخنا أبو الثناء محمود أنه كان يكتب إذا صنف من صدره، من غير مراجعة حال التصنيف، وله معرفة بالمنطق، وصنف فيه مختصراً ، وشرح الهداية لابن سينا في المنطق، وكان لا يميل في هذا الفن إلا إلى طريقة المتقدمين كأبي نصر ، وابن سينا، ويكره طريقة الأفضل الخونجي(١)، والأثير الأبهري(٢)، وصنف في أصول الفقه، والفقه، والعربية، والحديث، وعلم البيان، وغير ذلك، ولم يكن في هذه العلوم بالمتقدم إنما كان له مشاركة ما، وقد أحضر من تصنيفه في العربية كتاباً في سفرين أبدى فيه عللاً تخالف كلام أهل الفن، ولم يكن قرأ في هذا الفن سوى "الأنموذج" للزمخشري، قرأه على ابن النحاس، وتجاسر به على أن صنف في هذا العلم، وعليه، وعلى العماد النابلسي تخرج الأطباء بمصر والقاهرة، وكان شيخاً طوالاً، أسيل الخدين، نحيفاً، ذا مروءة.

---

١ : مرت ترجمته.

٢ : المفضل بن عمر بن المفضل الابهري السمرقندي أثير الدين، منطقي له اشتغال بالحكمة والطبيعيات و الفلك، من كتبه هداية الحكمة، والإيساغوجي ، ومختصر في علم الهيئة، توفي سنة ٦٦٣ هجرية = ١٢٦٤ م. انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ٧ / ٢٧٩، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف إليان سركيس ١ / ٢٩٠.

وحكي أنه في علَّته التي توفي فيها أشار عليه بعض أصحابه الأطباء بتناول شيء من الخمر! إذ كان صالحاً لعلته على ما زعموا، فأبى أن يتناول شيئاً منه، وقال: لا ألقى الله تعالى وفي باطني شيء من الخمر.

وكان قد ابتنى داراً بالقاهرة وفرشها بالرخام حتى إيوانها، وما رأيت إيواناً مرخماً في غير هذه الدار، ولم يكن مزوجاً. ووقف داره وكتبه على البيمارستان المنصوري، وكان يغض من كلام جالينوس، ويصفه بالعي والإسهاب الذي ليس تحته طائل، وهذا بخلاف النابلسي فإنه كان يعظِّمه ويحث على قراءة كلام جالينوس.

وكان علاء الدين قدنزل يدرس بالمسرورية بالقاهرة[١] في الفقه ، وذكروا أنه شرح في أول التنبيه إلى باب السهو شرحاً حسناً ، ومرض رحمه الله تعالى ستة أيام أولها يوم الأحد، وتوفي سحر يوم الجمعة الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وستمائة بالقاهرة.

قال أبو الصفاء : أخبرني الإمام العلامة الشيخ برهان الدين الرشيدي خطيب جامع أمير حسين بالقاهرة قال: كان العلاء ابن النفيس إذا أراد التصنيف توضع له الأقلام مبرية، ويدير وجهه إلى الحائط ويأخذ في التصنيف إملاءً من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا تحدَّر، فإذا كلَّ القلم وحفي رمى به وتناول غيره لئلا

---

١ : **المدرسة المسرورية**: قال ابن شداد: أنشأها الطواشي شمس الدين الخواص مسرور،وكان من خدام الخلفاء المصريين، وهو صاحب خان مسرور بالقاهرة ، انتهى. وقال الشيخ تقي الدين الأسدي: رأيت بخط شيخنا أنها منسوبة إلى الأمير فخر الدين مسرور الملكي الناصري العادلي، وقفها عليه شبل الدولة كافور الحسامي، واقف الشبلية، ووقفت على كتابها الثاني الذي زاد فيه زيادات على الواقف الأول، تاريخه سابع صفر سنة أربع وستمائة. انظر: الدارس في أخبار المدارس للنعيمي ص ٢٦٥.

يضيع عليه الزمان في بري القلم.

قلت: وبهذا حدّثني شيخنا أبو الثناء محمود: قال أبو الصفاء: وأخبرني شيخنا نجم الدين الصفدي أن ابن النحاس كان يقول: لا أرضى بكلام أحد في القاهرة في النحو غير كلام ابن النفيس، أو كما قال.

وقد رأيت له كتاباً صغيراً عارض به رسالة حي بن يقظان لابن سينا، ووسمه بكتاب: "فاضل بن ناطق"، وانتصر فيه لمذهب أهل الإسلام وآرائهم في النبوات والشرائع، والبعث الجسماني، وخراب العالم. ولعمري لقد أبدع فيها ودلَّ ذلك على قدرته وصحة ذهنه، وتمكنه من العلوم العقلية.

وأخبرني السديد الدمياطي الحكيم بالقاهرة، وكان من تلاميذه قال: اجتمع ليلة هو وابن واصل [1]، وأنا نائم عندهما، فلما فرغا من صلاة العشاء الآخرة شرعا في البحث وانتقلا من علم إلى علم، والشيخ علاء الدين كل ذلك يبحث برياضة ولا انزعاج، وأما القاضي جمال الدين فإنه ينزعج ويعلو صوته، وتحمر عيناه، وتنتفخ عروق رقبته، ولم يزالا كذلك إلى أن أسفر الصبح، فلما انفصل الحال قال القاضي جمال الدين: يا شيخ علاء الدين، أما نحن فعندنا مسائل ونكت وقواعد، وأما أنت فعندك خزائن علوم.

وقال أبو الصفاء: قال السديد أيضاً: قلت يا سيدي لو شرحت "الشفاء" لابن سينا، كان خيراً من شرح "القانون" لضرورة الناس إلى ذلك. فقال: "الشفا"

١: هو محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين: مؤرخ، عالم بالمنطق والهندسة والأصولين، من فقهاء الشافعية، ولد في حماة سنة ٦٠٤ هجرية = ١٢٠٨م، وفيها توفي سنة ٦٩٧هجرية = ١٢٩٨م. وأقام مدة طويلة في مصر، واتصل بالملك الظاهر بيبرس. ينظر ترجمته في: نكت الهميان ٢٥٠، وبغية الوعاة للسيوطي ٤٤، والأعلام للزركلي ٦/ ١٣٣.

عليّ فيه مواضع تريد أيتها؟. قلت: يريد أنه ما فهم تلك المواضع لأن عبارة الرئيس في "الشفا" غلقه.

قال: وأخبرني آخر قال: دخل الشيخ علاء الدين مرة إلى الحمام التي في باب الزهومة، فلما كان في بعض تغسيله خرج إلى مسلخ الحمام واستدعى بدواة وقلم وورق، وأخذ في تصنيف مقالة في النبض إلى أن أنهاها، ثم عاد ودخل الحمام وكمل تغسيله!.

وقيل: إنه قال: لو لم أعلم أن تصانيفي تبقى بعدي عشرة آلاف سنة ما وضعتها، والعهدة في ذلك على من نقله عنه.

وعلى الجملة كان إماماً عظيماً وكبيراً من الأفاضل جسيما، وكان يقال: هو ابن سينا الثاني.

قال: ونقلت من ترجمته في مكان لا أعرف من هو الذي وضعه، قال: شرح "القانون" في عشرين مجلداً شرحاً حلَّ فيه المواضع الحكمية، ورتَّب فيه القياسات المنطقية، وبين فيه الإشكالات الطبية، ولم يسبق إلى هذا الشرح لأن قصارى كل من شرحه أن يقتصر على الكليات إلى نبض الحبالى، ولا يجري فيه ذكر الطب إلا نادراً، وشرح كتب بقراط كلها، ولأكثرها شرحان؛ مطوَّل ومختصر، وشرح "الإشارات" وكان يحفظ: "كليات القانون" ويعظم كلام بقراط، ولا يشير على مشتغل بغير القانون، وهو الذي جسَّر الناس على هذا الكتاب، وكان لا يحجب نفسه عن الإفادة ليلاً ولا نهاراً، وكان يحضر مجلسه في داره جماعة من الأمراء، والمهذب ابن أبي حليقة رئيس الأطباء، وشرف الدين ابن صغير، وأكابر الأطباء، ويجلس الناس في طبقاتهم، ومن تلاميذه الأعيان: البدر حسن الرئيس، وأمين الدولة ابن القف، والسديد الدمياطي، وأبو

الفرج الإسكندري، وأبو الفرج ابن صغير.

وحدثني عنه غير واحد منهم شيخنا أبو الفتح اليعمري قال: كان ابن النفيس على وفور علمه بالطب وإتقانه لفروعه وأصوله قليل البصر بالعلاج، فإذا وصف لا يخرج بأحد عن مألوفه، ولا يصف دواءً ما أمكنه أن يصف غذاء، ولا مركباً ما أمكنه الاستغناء بمفرد، وكان ربما وصف القمحية لمن شكا القرحة، والتطماج لمن شكا هواء، والخروب[1] والقضامة لمن شكا إسهالاً، ومن هذا ومثله ولكل بما يلائم مأكله ويشاكلها، حتى قال له العطار الشرابي الذي كان يجلس عنده: إذا أردت أنك تصف مثل هذه الوصفات اقعد على دكان اللحام، وأما إذا قعدت عندي فلا تصف إلا السكّر والشراب والأدوية.

وحكى لي شيخنا أبو الثناء الحلبي الكاتب قال: شكوت إلى ابن النفيس عقالاً[2] في يدي، فقال لي: وأنا والله بي عقال، فقلت له: فبأي شيء أداويه؟. فقال لي: والله ما أعرف بأي شيء أداويه! ، ثم لم يزدني على هذا.

ومنهم:

١٩٠- أحمد المغربي*

شهاب الدين والد الرئيس جمال الدين إبراهيم ابن المغربي رئيس الأطباء بمصر والشام، وإليه انتهت الحشمة والاحتشام. كوكب الفضائل الطالع نيرا، والمشرق قمراً منورا.

١: **الخروب**: شجر، ويسمى الخرنوب، وقيل: الخرنوب أيضاً منه بري ومنه شامي. انظر: معجم النباتات والزراعة للشيخ محمد حسن آل ياسين، طبع المجمع العلمي العراقي: ص ٦٣-٦٤.

٢: **العُقَال**: تَشَنّجٌ مُؤْلِمٌ لا إرَادِيّ فِي عَضَلَة ما.

* **ينظر ترجمته في**: أعيان العصر وأعوان النصر ١ / ٤٤٢، وفيه: أسلم سنة تسعين وستمائة، وكان اسمه في اليهودية سليمان، توفي سنة ٧١٨هجرية.

أخذ من كل العلوم الحكمية بنصيب موفّر الأجزاء، موفّر الجناب ، يعزى إليه بالاعتزاء.

قدم مصر واستوطنها، وقطع بفضله من قطنها، وكان فريداً في أنواع العلم، إلا أنه عرف بالطب أكثر من بقية ما عرف به من المعارف،وحصل من التالد والطارف(١)، وخدم السلطان وتقدم الرهط ، وتفرد في جماعة الأطباء، وأقرأ العلم وأفاد، وباشر المرضى وأحسن العلاج، وعدَّل منحرف كل مزاج، وكان وافر الحظ من السلطان والأمراء والوزراء، وسائر الكبراء، وكان بصيراً بالنجامة، متقدماً في علمها، وكان يتكلم فيها مع السلطان وأرباب الدولة، وحصل النعم الجمّة، والأموال الجزيلة، وخدم بنوه السلطان، وتقدموا في الخدم، وصحب ابنه جمال الدين السلطان حين همَّ بالحج أيام سلطنته الثانية، فلما أقام بالكرك أقام معه، وترك أسبابه وراءه بمصر منقطعة، فرعى له السلطان حق انقطاعه، وزاد في قدر إقطاعه، وولاه الرياسة حتى تجاوز قدر الرؤساء، وقرَّبه حتى كان من أخصَّاء الجلساء، وكان لا يزال يفاوضه في كل حديث ويطلعه على أكثر الأمور، ورفع إليه يوماً الصلاح ابن البرهان قصة يسأل فيها الإعفاء من وظيفته في الطب بالخدمة، وكنت سفيره فيه، فقال لي السلطان: هذا الصلاح أفضل من إبراهيم - يعني ابن المغربي - وما يطلب ترك الخدمة إلا لأجله، لكونه مقدَّماً عندنا عليه، فقل له: نحن نعرف فضيلتك وكبر قدرك، وإنك أفضل من إبراهيم وأكبر ، ولكن إبراهيم له علينا حق الخدمة من وقت كنا في الكرك، وهو صاحبنا ما هو طبيبٌ عندنا. فبلّغته الرسالة بنصِّها، فسكت على مضض!.

---

١ : التَّالدُ و التِّلادُ و الإتْلادُ بالكسر فيهما و التَّلادُ بالفتح المال القديم الأصلي الذي ولد عندك وهو ضد الطارف وفي الحديث [هن من تلادي] يعني السور أي من أخذته من القرآن قديما.

قلت: هذا قول السلطان، وأما الرئيس جمال الدين إبراهيم فإنه من أعيان الأطباء، وأهل الفضل والتقدم في العلم والعمل في الطب وصناعته، والاجتهاد دائماً في توفير بضاعته، ولهذا اكتفيت عن إفراده بترجمة.

ومنهم:

١٩١- السديد الدمياطي *

اليهودي، يعرف بابن كوجك. وبنو كوجك وبنو صغير أهل بيت واحد، وهم من يهود بلاد العجم، وكلهم كانوا لا يعرفون إلا ببني كوجك، وكوجك باللغة العربية: صغير[١]، فلما قدموا مصر عرَّب فريقٌ منهم اسم جدهم المنسوبين إليه وبقي فريق على اسمه الأعجمي، وكان "السديد" شديد المقال، مديد المجال، جالينوس زمانه في الطب الذي لم يبلغ، والعلم الذي لم يدرك.

قرأ على ابن النفيس، والنابلسي، وعلى ابن النفيس أكثر، ومن مدده استكثر.

أتقن الحكمة والطب، وأخذ من كل فن بطرف، وأذعن كل فاضل له واعترف، وكان يحفظ غالب ديوان أبي الطيب المتنبي، بل كله، وينشد منه، ويستشهد به في موضعه إذا تكلم، وخدم السلطان، وتقرَّر لديه فضله، واستقرَّ في كل خاطر أنه لا نظير له في الدهر، وتنافست الأمرا ء وأكابر الدولة في معالجته، وكانت الأطباء إذا اختلفت في حدس مرض أو وصف دواء عادوا إلى

* **ينظر ترجمته في**: الوافي بالوفيات للصفدي ١٥ / ١٢٧، والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي تأليف ابن تغردي بردي ٥ / ٣٨٤، وأعيان العصر ٢ / ٤٠٤.

١: وكوجك فارسية الأصل معناها: صغير، وقليل، وطفل، وعبد، ومطيع. انظر: المعجم الفارسي الكبير ٢ / ٢٣٠٥.

رأيه، ورجعوا إلى قوله، فإذا قال سكت كل قائل، وسلَّم كل منازع، وكانوا إذا عرض للسلطان مرض وحضروا عنده تقدم السديد فأمسك يد السلطان وجسَّ نبضه قبل الرئيس، وقبل كل أحد، وكان الرئيس هو السائل عن الأعراض بحضوره، ثم تحصل الشورى بينهم على ما يوصف، ويكون مدار الكل على كلام السديد، واعتماد السلطان عليه دون الكل.

وكان السديد رجلاً عاقلاً ساكناً لا يكاد يتكلم، حتى إذا تكلم كان البحر الزاخر، والسيل المنحدر، والضرام المتَّقِد، والأسد الصؤول، إلى نُقولٍ يستحضرها، وبحوث يحررها، وتجارب يذكرها.

وكانت له يد في علم الموسيقى والطرب، رأيت ابن كرّ[١] يصفه ويثني على علمه وينصفه. وكان على هذا الفضل الغزير والمدد الوافر لا يتوسع في الوصف ولا يخرج عن الجادة، ولا يعدل عن المعهود، ولا يرى التفقه في الطب كما كان عليه فرج الله بن صغير[٢]، وكان السديد اجتهاده لنفسه، وفرج الله اجتهاده للعليل، على أن السديد كان إذا لم يشاركه طبيب آخر يطبِّب تطبيباً مستقصى، وإن لم يتوسع، فأما إذا شورك سكت وجمد واكتفى بقول المشارك له، وإن كان عنده في الباطن خلافه، وبالجملة كان من الأفراد، وممن يقدم إذا حضرت الأفاضل بالأعداد.

١: محمد بن عيسى بن حسن بن كر الحنبلي، شمس الدين، أبو عبد الله: إمام أهل الموسيقى في عصره، يتصل نسبه بمروان بن محمد آخر خلفاء بني مروان، أصله من بغداد، خرج أبوه لما استولى عليها هولاكو، فسكن القاهرة، وبها ولد المترجم سنة ٦٨١هجرية = ١٢٨٢م، وفيها مات سنة ٧٥٩هجرية = ١٣٥٨م. انظر ترجمته في: النجوم الزاهرة ١٠ / ٣٣٠ في وفيات سنة ٧٥٩هجرية، والدرر الكامنة ٤ / ١٢٨، والأعلام للزركلي ٦ / ٣٢٣.

٢: صاحب الترجمة التالية.

ومنهم:

١٩٢- فرج الله بن صغير

طبيبٌ لو حضر معه ابن ماسويه لما مسَّ العلاج، أو أبو قريش[١] لما أقرَّ له ابن اللجلاج[٢]، أو استشعر به حنين بن إسحق[٣] لحنَّ إلى لقائه، أو كان في زمانه ابن الأشعث للمَّ شعثه ببقائه، لنفعٍ لو كان للمطجّن لأكل جديه الحنيذ[٤]، أو لأمين الدولةلكان عنده ابن التلميذ[٥]، وصدق وُدٌّ لو أنه لابن كلدة لوكل إليه الوفاء، أو لسني لابن سيناء لنسب إليه دون الشفا، ولم يكن شرواه[٦] في مداواة سقام، ومدافعة سمام، بملاطفة ما حظي بها النسيم، ولا عبث بشبهها في ملاعبه عطف الروض النسيم.

قال لي: إنه قرأ على أبيه وعلى ابن النفيس، وتلك الطبقة، واقتصر على علم الطب وحقَّقه، وأذن له في الكحل ثم في الطب، وجلس للتطبيب، وعاد المرضى، وظهر أثر علمه، وكثر النفع به، وبرء المرضى على يده.

وخدم السلطان وأطلق له المعلوم الوافر والراتب الكامل، وتفرد بخدمة بكتمر

---

١ : أبو قريش القهستاني: محمد بن جمعة بن خلف، من حفاظ الحديث ، قال ابن ناصر الدين: متقن ثقة مكثر، رحَّال. توفي سنة ٣١٣هجرية = ٩٢٥ميلادية. **انظر ترجمته في**: تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٩٧، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢/ ١٦٩، والأعلام للزركلي ٦/ ٧٣.

٢ : لم أعثر على ترجمته.

٣ : مرت ترجمته.

٤ : من قولهم: "حَنَذَ الشَّاةَ يَحْنِذُها حَنْذاً وتَحْناذاً" : شَواها وجَعَلَ فَوْقَها حِجارَةً مُحْماةً لتُنْضِجَها، فهي حَنيذٌ، أو هو الحارُّ الذي يَقْطُرُ ماؤُهُ بعدَ الشَّيِّ.

٥ : مرت ترجمته.

٦ : **الشَّرْوَى**، كجَدْوَى: المِثْلُ.

الساقي[١] ، وكان يعتمد عليه دون سائر الأطباء، ويعمل بقوله في معالجته ومعالجة ولده وحريمه، وخواصه، وأعزائه. وكان سلطاننا الملك الناصر يثق به وأفرده بعد بكتمر الساقي لخدمة الدور السلطانية والنساء والحرم، مع مشاركة الجماعة في مباشرة طبه والحضور عنده، ولم يزل موفّر الحظ من الإكرام، وكانت بيننا وبينه صحبة، وله بنا خصوصية، وله من حسن الملاطفة في العلاج ما لم يكن لأحد سواه، وكان في هذا غاية.

جرى ذكره عند الحكيم الفاضل ناصر الدين محمد بن صغير، وهو عليل بدمشق، فقال: من كان مثل الحكيم فرج الله؟. وأخذ في وصفه ووصف فضيلته والثناء عليه، وبالغ في هذا وأطنب فيه، فقال له بعض من حضر: فكيف كان السديد الدمياطي؟. فقال: كان السديد يعمل في ما يصفه مصلحته، وفرج الله يعمل مصلحة المريض.

قلت: والأمر هو على ما قاله ، فإن السديد قلَّ أن كان يخوض الغمرات في الوصف، وفرج الله يخوض الغمرات في الوصف، ويودّ لو نزع من جسده ثوب العافية وألبسه المريض، وإذا كره المريض أو من حضره غذاءً أو دواء، أبدله بغيره فإن كرهوا أبدله بغيره، يفعل هكذا حتى يصيب موافقة من رضاهم أو مقاربة ، وكان يرى أن هذا أجدى في نفع المريض، وكانت له معالجات موافقة، وإصابات في تقدم المعرفة خارقة.

---

١ : الأمير سيف الدين الساقي الناصري، كان أولاً من مماليك المظفر بيبرس الجاشنكير. وكان له عند السلطان الملك الناصر مكانة عظيمة لا يفترقان، إما أن يكون عند السلطان أو يكون السلطان عنده، وكان في خير وسياسة وقضاء لحوائج الناس. توفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة من الهجرة. **انظر ترجمته في**: الوافي بالوفيات ١٠ / ١٩٣، والدرر الكامنة ١ / ٤٨٦، وبدائع الزهور ١ / ١ / ٤٦٤، وشذرات الذهب.

حكى لي غير واحد من جيراننا بالقاهرة أنه كان معوداً بمعالجة رجل بسويقة الصاحب، وقد عرف مزاجه ودربه ، فمرَّ به ذات يوم وهو راكب على حماره قد نزل من القلعة على بيته، فرأى ذلك الرجل جالساً على باب المدرسة الصاحبية[١]، فوقف فرج الله قدامه، وذلك الرجل لا يشعر به، وأطال فرج الله النظر إليه، والتأمُّل إلى سحنته، وهو صحيح سوي، لا يشكو مرضاً ولا عرضا، ثم قال له: يا فلان هل عضَّك في هذه الأيام كلبٌ قطُّ؟. فقال له: نعم، من أيام قلائل. فقال له: قم اقعد في بيتك والحق نفسك بالمداواة، ثم ساق حماره وأتى إلى أهل بيت الرجل، وقال لهم: اعلموا أنني رأيت صاحبكم ورأيت عليه علائم الكَلَب، فسألته إن كان عضَّه كلب؟ فقال: نعم. فأمرته بأن يقعد في بيته، ويلحق نفسه بالمداواة والطب، فالله الله فيه والله الله في أنفسكم، فإنه قد كَلِبَ ويوشك أن يجفل من الماء بعد كذا وكذا يوم، ثم يموت بعد كذا وكذا !. فكان الأمر كما ذكره لم يخرم في شيء منه.

ولما اعتلَّ والدي – رحمه الله – العلَّة التي مات فيها كان أولها انصباب مادَّة بلغمية إلى يده، فورمت منها يده، وهو ونحن لا نكترث بذلك ولا يهمنا، والأطباء تتردَّد إليه في كل صباح ومساء لمعالجته، وفرج الله منهم، فأصبح ذات يوم وقد تصرَّف الورم بجملته من يده وأصبح بارئاً لا يشك في ذلك نحن ولا الأطباء، وكان منهم ابن البرهان، والسديد الدمياطي، فلما انصرفوا قال لي فرج الله: اعلم أن هذه المادة لم تتصرف، وإنما انصبَّت بجملتها إلى مكان استضعفته من الأعضاء الباطنة، وأكبر ظني أن تكون انصبَّت إلى قصبة الرئة، ولئن كان

١ : **المدرسة الصاحبية**: بالقاهرة، في سويقة الصاحب، كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس، ومن جملة دار الديباج، أنشأها الصاحب صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر، وجعلها وقفاً على المالكية، وبها خزانة كتب. انظر: خطط المقريزي ٣٧١.

كذلك ليعرضن له آخر هذا اليوم ضيق نفس، ثم قلَّ أن تنجع معالجته مع ما بلغه من هذا السن، فلم يأت آخر ذلك اليوم إلا وقد عرض له مبادي ضيق نَفَس، ثم لم يزل يتزايد إلى أن أتى عليه يوم لم نشك أنه لا يخرج عنه، فلما أتاه ورأى ماءه واستقرى أعراضه ووصف له ما وصف وقام ، وذلك يوم نصف شعبان . قلت له : تقول يمسي عليه المساء؟ . قال : نعم، ويمسك إلى آخر هذا الشهر، إلى خمسة ، ستة أيام أخرى في شهر رمضان . فكان الأمر كما ذكره لم يخرم! . قلت : وقلَّ أن وصف لي دواء إلا وبين أثره ليومه، ثم حُمدت عاقبته فيما بعد .

وعرض لي مرة دوار صفراوي، فأمر بماء فأسخن فوق الإسخان المستطاب، ثم شدَّ قدمي بأنشوطة من فوق الكعبين، وأمر بتدليتهما في ذلك الماء، وتعجيل حل الأنشوطة عند تدليتهما في الماء، ففعل ذلك ، ثم أمر بإطالة اللبث، ثم حكَّهُما بالحجر الخشن والملح والنخالة، فلم يكن بأسرع من زوال ذلك الدوار لانعكاس المادة ، وتفتُّح المسام في سفل القدم، وأثَّر ذلك لساعته.

ولما أردت الحج في حجتي الثالثة كان الزمان صيفاً، والحر شديداً إلى غاية، فسألته عما اعتمدته؟ . فقال لي : إذا خفت الحرّ لتّ[١] بزرقطونا[٢] بماء، ثم أضف إليه شيئاً من الخل الحاذق[٣] الثقيف[٤]، وضمِّد به صدرك ورقبتك،

---

١ : **اللَّتُّ** : الدَّقُّ، والشَّدُّ، والإيثاقُ، والفَتُّ، والسَّحْقُ.

٢ : **البزر قطونا** : هو الينم، كما ورد في القاموس "ينم" وهونبات اسمه العلمي : "plantagpo afra" وباللغة الانجليزية : " flea - wort "وهي حبَّة يستشفى بها، بلغة أهل العراق، ويسميها أهل البحرين حب الذرقة، ويجوز في "قطونا" القصر والمد . **انظر** : معجم النباتات والزراعة ٢ /٣٥٦. وقصد السبيل للمحبي ١ /٢٧٧.

٣ : **الحَاذِق** : شَدِيدُ الحُمُوضَة، حرِّيف .

٤ : قال في القاموس : **خَلٌّ ثَقِيفٌ**، كأمير وسكِّين : حامضٌ جداً .

فإنك لا تبالي بالحرا. فوالله لقد كنت أنا ومن معي نعمله ونركب في الهواجر المتَّقِدة والقيظ المضطرم، ونحن نظن أن على صدورنا قطع الثلج، لا نحسُّ ما الحر، وما ندري ما السموم، إلى غير هذا مما كان فيه من الفضائل وما فاق به الأنظار وفاق الأماثل.فليت الشمس لو أبقته قليلاً، ووا أسفا على مثله كيف مات على اليهودية.

ومنهم:

١٩٣- محمد بن صغير، ناصر الدين

طبيبٌ جامع، ولبيبٌ بشرق كلماته في المسامع، وفاضلٌ لم يقصِّر في نوع من الفضائل على كثرة تشعُّبها، مع أخلاقٍ لو تخلَّقت بها المُدام لما قطَّب شاربها، ولما قدر أن يذكرها عائبها.. إلى فضائل شريفة، وشمائل ظريفة، وأخوَّةٍ صحيحة الإخاء، صريحة الانتحاء، وقولٍ جزمٍ أنه قد أصبح اليوم فرداً واحداً لما جمع من شتَّى المحاسن، وكمال الأوصاف.

قرأ العلم واشتغل به، وخدم السلطان، وباشر المرستان، وقرأ النحو والأدب، وتطبَّع به حتى صار خُلُقاً له، وله في حسن العلاج يدٌ طويلة، وآثار جميلة، وأفعال حسنة مشكورة، وهو يرى لطف التدبير في معالجة المرضى، وعدم الإقدام عليهم بالأدوية، وكان السلطان يشكره ويثني على نشأته الحسنة، إلى غير هذا مما يتفكَّه به من جني الألسنة.

آخر الجزء الثامن من كتاب :« مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»

ويتلوه إن شاء الله تعالى : «وممن يعدُّ مع الحكماء : أهل علم الموسيقى» والحمد لله رب العالمين[١] .

١ : وإلى هنا انتهى بحمد الله تعالى الجزء الثامن من المسالك كما هو مذكور في الأصل المخطوط، فرحم الله تعالى مؤلفه وناسخه ومحققه ومن قرأه بنية الانتفاع، وقد تم الانتهاء من خدمته وتحقيقه على قدر جهدي البشري المحدود في غرة شهر شعبان المعظم لسنة ١٤٢٢ من هجرة من له العز والشرف، الموافق لتاريخ ٢٣ من شهر تشرين أول "أكتوبر" لسنة ٢٠٠١ م. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قاله بفمه وكتبه بقلمه :

راجي عفو مولاه الودود

بسام محمد بارود

غفر الله له ولوالديه والمسلمين ولمن قال : آمين

مصادر التحقيق

1- الإعلام بوفيات الأعلام.
2- الأعلام لخير الدين الزركلي.
3- إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية.
4- الإكمال لابن ماكولا.
5- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي.
6- الأنساب للسمعاني.
7- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون للبغدادي.
8- البداية والنهاية لابن كثير.
9- بغية الطلب لابن العديم.
10- بغية الوعاة في طبقات النحاة لابن القفطي.
11- تاريخ ابن الفرات.
12- تاريخ ابن الوردي.
13- تاريخ الإسلام للإمام الذهبي.
14- تاريخ الحكماء للشهرستاني.
15- تاريخ الحكماء للقفطي.
16- تاريخ الخلفاء للإمام السوطي.
17- تاريخ الزمان للعبري.
18- التاريخ المظفري لابن أبي الدم.
19- التاريخ المنصوري.
20- تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي.
21- تاريخ مختصر الدول للعبري.
22- تاريخ مختصر الدول.

23- تراث العرب العلمي لطوقان.
24- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى.
25- التقييد لابن نقطة.
26- تكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني.
27- خزانة الأدب للبغدادي.
28- الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي.
29- ديوان ابن الأبار الأندلسي.
30- ديوان ابن النواس.
31- ديوان ابن عنين - تحقيق خليل مردم بك.
32- ديوان الطغرائي.
33- ديوان المتنبي بشرح البرقوقي.
34- ديوان كثير عزة.
35- ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي.
36- روضات الجنات للخوانساري.
37- الروضتين لابن أبي شامة، وذيله.
38- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي.
39- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي.
40- الشقائق النعمانية لطاش كبري زاده.
41- صبح الأعشى للقلقشندي.
42- صوان الحكمة للسجستاني.
43- طبقات الأمم لصاعد.
44- طبقات الحكماء لابن جلجل.
45- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي.

46- طبقات الشافعية لابن دقماق.

47- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة.

48- طبقات الشافعية لابن هداية الله.

49- طبقات الشافعية للإسنوي.

50- طبقات الفقهاء لطاش كبري زاده.

51- طبقات المفسرين للإمام السيوطي.

52- العبر للإمام الذهبي.

53- عقود الجوهر للعظم.

54- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة.

55- الفلاكة والمفلوكون للدلجي.

56- فهرست ابن النديم.

57- الفهرست لابن النديم.

58- فواصل السمر في فضائل آل عمر لابن فضل الله العمري.

59- القاموس المحيط للفيروزابادي.

60- قصد السبيل للمحبي.

61- القضاة الشافعية للنعيمي.

62- قضاة دمشق للنعيمي.

63- الكامل في التاريخ لابن الأثير.

64- الكتاب الذهبي للمهرجان الألفي لابن سينا.

65- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للإمام العجلوني.

66- كشف الظنون لحاجي خليفة.

67- كنوز الأجداد لمحمد كرد علي.

68- لسان العرب لابن منظور.

69- مؤلفات ابن سينا لأمين مرسي قنديل.

70- مؤلفات ابن سينا لجورج قنواتي.

71- المختار من تاريخ ابن الجزري.

72- معجم الأدباء لياقوت الحموي.

73- معجم الأدباء لياقوت الحموي.

74- معجم البلدان لياقوت الحموي.

75- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.

76- معجم المطبوعات ليوسف اليان سركيس.

77- المعرب للجواليقي.

78- مفتاح السعادة لطاش كبري زادة.

79- المقفى الكبير للمقريزي.

80- المنهل الصافي للصفدي.

81- ميزان الاعتدال للذهبي.

82- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي.

83- نزهة الأرواح للشهرزوري.

84- نصارى بغداد لبابو إسحاق.

85- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري.

86- هدية العارفين للبغدادي.

87- الوافي بالوفيات لابن شاكر الكتبي.

88- الوافي بالوفيات للصفدي.

89- وفيات الأعيان لابن خلكان.

90- الوفيات لابن قنفذ.

91- يتيمةالدهرللثعالبي.

وغيرها كثير ذكر كل في موضعه.

الفهرست